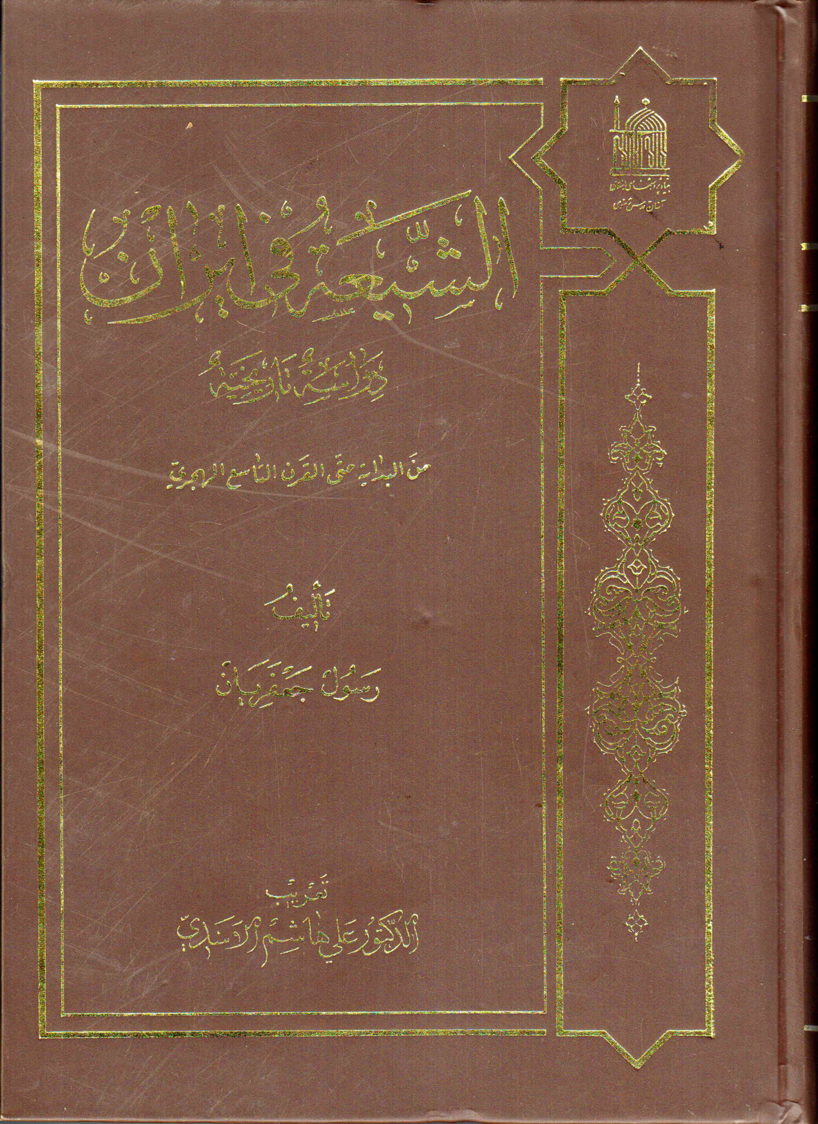
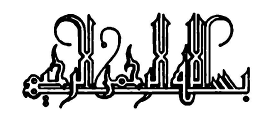

الشيعة في ايران
دراسة تاريخية
من البداية حتى القرن التاسع الهجري
تأليف
رسول جعفريان
تعريب
الدكتور علي هاشم الاسدي


بسم الله الرحمن الرحيم



الشيعة في إيران

دراسة تاريخية

من البداية حتى القرن التاسع الهجري

تأليف

رسول جعفريان

تعريب

علي هاشم الأسدي

جعفريان، رسول، ۱۳٤۳ ــ .
الشيعة في إيران دراسة تاريخية من البداية حتى القرن التاسع الهجري / تأليف رسول جعفريان؛ تعريب علي هاشم الاسدي. ــ مشهد: مجمع البحوث الإسلاميّة، ۱٤۲۰ق. = ۱۳۷۸ش.
۵۹۸ص.
ISBN 978-964-444-234-6
فهرستنويسی بر اساس اطلاعات فيپا.
عنوان اصلي: تاريخ تشيع در ايران از آغاز تا قرن نهم هجري.
عربي
كتابنامه: ص. [۵۷٤] ــ ۵۹۲؛ همچنين به صورت زيرنويس.
۱. شيعه ــ ايران ــ تاريخ. ۲. اسلام ــ ايران ــ تاريخ. الف. اسدي، علي، ۱۳۳٦ــ ، مترجم. ب. بنياد پژوهشهاي اسلامي. ج. عنوان.
۱۵۰٤۳ ت ۷ ج / ۲۳۹ BP ۲۹۷/۵۳۰۹۵۵
كتابخانهٔ ملی ايران ۳۲-٤۲۰-۷۹م



الشيعة في إيران

دراسة تاريخية

من البداية حتى القرن التاسع الهجري

رسول جعفريان

تعريب: الدكتور علي هاشم الاسديّ

الطبعة الثانية ۱٤۳۰ق / ۱۳۸۸ش
۱۰۰۰ نسخة ــ وزيري/ الثمن: ۷۸۰۰۰ ريال
الطباعة: مؤسسة الطّبع والنشر التّابعة للآستانة الرضويّة المقدّسة

مجمع البحوث الإسلاميّة، ص.ب ۳٦٦-۹۱۷۳۵
هاتف و فاكس وحدة المبيعات في مجمع البحوث الإسلاميّة: ۲۲۳۰۸۰۳
معارض بيع كتب مجمع البحوث الإسلاميّة، (مشهد) ۲۲۳۳۹۲۳، (قم)۷۷۳۳۰۲۹
شركة بهنشر، (مشهد) الهاتف ۷-۸۵۱۱۱۳٦ ، الفاكس ۸۵۱۵۵٦۰
www.islamic-rf.ir E-mail: info @islamic-rf.ir

مقدمة المترجم

بسم‌الله‌الرحمن‌الرحيم

وله الحمد والمجد والصلاة والسلام على سيّدنا و نبيّنا محمّد و آله الهداة الميامين.

لعلّ أشمل و أروع تعريف للشيعة هو التعريف القائل: إنّ الشيعة فرقة من المسلمين اهتدت بسنّة نبيّها محمّد - صلّى‌الله عليه و آله و سلّم - في اتّباع أهل بيته المنصوص على إمامتهم، و هم عليّ و أبناؤه‌الأحد عشر - عليهم‌السلام أجمعين.

و في ضوء هذا التعريف يستبين لنا أنّ الشيعة هم أناس مسلمون يتّخذون الإسلام مناراً في عملهم و سلوكهم، و أنّ التشيّع هوالاقتداء بسنّةالنبيّ - صلّى‌اللّه عليه و آله - و هدي أهل بيته - عليهم‌السلام - متجسّداً في ولاء أهل البيت ولاءً قلبيّاً و عمليّاً، كما يدلّنا التعريف على أنّ أهل البيت هم الأئمّة الّذين ورد النصّ على إمامتهم.

وهم أميرالمؤمنين عليّ بن أبي طالب و أبناؤه الأحد عشر بدءاً بالامام الحسن، و انتهاءاً بالامام المهدي - صلوات‌الله عليهم أجمعين. فيخرج بذلك من يُحسب على الشيعة من سائر فرق المسلمين كالزيديّة والاسماعيليّة و نظائرهما.

و جاء في كتب اللغة أيضاً ما يقرب من التعريف المشار إليه. فقد قال في

القاموس : «و شيعة الرجل أتباعه و أنصاره، و الفرقة على حدة، و يقع على الواحد و الاثنين و الجمع، والمذكّر والمونّث. و قد غلب هذا الاسم على كلّ من يتولّى عليّاً و أهل بيته، حتّى صار اسماً لهم خاصّاً، و جمعُه أشياع و شِيع كعنب[1]».

و قال ابن الأثير في النهاية: «وأصل الشيعة الفِرقة من الناس. و تقع على الواحد والاثنين و الجمع والمذكّر والمؤنّث بلفظ واحد و معنى واحد.

و قد غلب هذا الاسم على كلّ من يزعم أنّه يتولّى عليّاً - رضي اللّه عنه - و أهل بيته حتّى صار لهم اسماً خاصّاً، فإذا قيل: فلان من الشيعة، عُرف أنّه منهم، و في مذهب الشيعة كذا، أي: عندهم، و تُجمع الشيعة على شِيع، و أصلها من المشايعة، و هي المتابعة والمطاوعة[2].»

و قال ابن خلدون في مقدّمته : «إعلم أنّ الشيعة لغةً هم الصحب والأتباع. ويطلق في عرف الفقهاء والمتكلّمين من الخلف والسلف على أتباع عليّ و بنيه - رضي اللّه عنهم[3].»

و هكذا ورد في لسان العرب، و المصباح المنير، والصحاح، و غيرها.

و لو تأمّلنا في المصادر المعنيّة بدراسة الشيعة و التشيّع، لوقفنا على حقائق دامغة لامناص من التسليم بها. و إنّما أقول : حقائق، لأنّها ساطعة واضحة، متّسمة بقوّة الدلالة والبرهان حتّى لا نجد سبيلاً إلى إنكارها. وها نحن نسجّل فيما يأتي عدداً منها يرتبط بصميم الموضوع :

الحقيقة الأولى

التشيّع، أو قل: مذهب أهل البيت : سنّة نبويّة. أي: إنّ النبيّ - صلّى اللّه عليه و آله - هو الذي أرسى دعائم التشيّع، و أسّس قواعده، بل وُلد التشيّع مع ولادة الرسالة الاسلاميّة. فقد جاء في الأثر أنّه لمّا نزل قوله - تعالى: ﴿و أنذر عشيرتك الأقربين[4]﴾، و جمع النبيّ - صلّى اللّه عليه و آله - بني هاشم و أنذرهم، قال : أيّكم يؤازرني ليكون أخي و وارثي و وزيري و وصيّي و خليفتي فيكم بعدي. فلمّا لم يجبه إلى ما أراد غير الامام علي - عليه السلام - قال لهم : هذا أخي و وارثي

---

١ - القاموس ٣ : ٤٧.
٢ - النهاية ٢ : ٢٤٦.
٣ - مقدمة ابن خلدون : ١٣٨.
٤ - الشعراء / ٢١٤.

و وزيري و وصيّي و خليفتي فيكم بعدي، فاسمعوا له و أطيعوا[١].

و قد سجّل معاصر هذه‌الحقيقة منشداً:

إنّ التشيّع سنّة نبويّة فافهم و كن مستبصراً مستلما
ودع التعصّب جانباً فالحقّ في هدي النبوّة والإمامة فاعلما

و لم ينطق الشيعة بهذه الحقيقة فحسب، بل شاركهم فيها عدد من الباحثين والمحقّقين من خلال كتبهم و محاضراتهم و مقالاتهم التي عضدوها بالمأثور في هذا المجال. و تمثّل أقوالهم و آراؤهم أدلّة قاطعة و براهين ساطعة على هذه الحقيقة. نجتزىء هنا بنقل شذراتٍ منها :

قال ابن خلدون : «كان جماعة من الصحابة يتشيّعون لعليّ و يرون استحقاقه على غيره. و لمّا عُدل به إلى سواه، تأفّفوا من ذلك و أسفوا له، إلاّ أنّ القوم لرسوخ قدمهم في‌الدّين و حرصهم على الإلفة لم يزيدوا في ذلك على النجوى بالتأفّف والأسف[٢]».

و قال ابن حجر في الاستيعاب عند ترجمة أبي‌الطفيل: عامربن‌واثلة بن كنانة الليثيّ أبوالطفيل أدرك من حياة النبيّ - صلّى‌اللّه عليه وآله - ثمان سنين. و كان مولده عام أُحد، و مات سنة مائة. و يقال : إنّه آخر من مات ممّن رأى النبيّ. و قد روى نحو أربعة أحاديث. وكان محبّاً لعليّ، وكان من أصحابه في مشاهده. و كان ثقة مأموناً يعترف بفضل الشيخين إلاّ أنّه يقدّم عليّاً. انتهى باختصار[٣].

و نطالع في كتاب خطط الشّام كلاماً في غاية الروعة للاستاذ محمّد كرد علي، وهو ليس من الشيعة و لا من أنصارهم، بيد أنّه نقل الحقيقة جليّة في كتابه المذكور. و من تحرّى الأمانة والنزاهة فإنّ نقل الحقيقة عنده أيسر مايكون. و من كانت الحقيقة ضالّته فإنّه يعرف قيمتها إذا عثر عليها. يقول هذا المؤلّف :

«عُرف جماعة من كبار الصحابة بموالاة عليّ في عصر رسول‌اللّه - صلّى‌اللّه عليه وآله و سلّم- مثل سلمان الفارسي القائل: بايعنا رسول‌اللّه على النصح

---

١ - تاريخ‌الشيعة، العلاّمة الشيخ محمّد حسين المظفّر : ٩ .

٢ - تاريخ ابن خلدون ٣ : ٣٦٤. نقلاً عن كتاب هويّة التشيّع للدكتور الشيخ أحمد الوائليّ : ٣٨.

٣ - الاستيعاب ٢ : ٤٥٢ . نقلاً من كتاب هويّةالتشيّع للدكتور الشيخ أحمد الوائليّ.

للمسلمين، والائتمام بعليّ بن أبي طالب والموالاة له.

و مثل أبي سعيد الخدري الذي يقول : أُمر الناس بخمسٍ، فعملوا بأربع و تركوا واحدة. و لمّا سُئل عن الأربع، قال : الصلاة، والزكاة، و صوم شهر رمضان، والحجّ. قيل : فما الواحدة التي تركوها؟ قال: ولاية عليّ بن أبي طالب. قيل : و إنّها لمفروضة معهنّ؟ قال : نعم، هي مفروضة معهنّ.

و مثل أبي ذرّ الغفاري، و عمّار بن ياسر، و حذيفة بن اليمان، و ذي الشهادتين خزيمة بن ثابت، و أبي أيّوب الأنصاريّ، و خالدبن سعيدبن العاص، و قيس بن سعد بن عبادة[1]».

و يواصل كلامه قائلاً : «و أمّا ما ذهب إليه بعض الكتّاب من أنّ أصل مذهب التشيّع من بدعة عبدالله بن سبأ المعروف بابن السوداء، فهو وهْم، و قلّة معرفة بحقيقة مذهبهم. و من علم منزلة هذا الرجل عند الشيعة و براءتهم منه، و من أقواله و أعماله، و كلام علمائهم في الطعن فيه بلا خلاف بينهم، علم مبلغ هذا القول من الصواب.

لاريب في أنّ أوّل ظهور الشيعة كان في الحجاز بلد المتشيّع له[2]».

و يقول أيضاً: «و في دمشق يرجع عهدهم إلى القرن الأوّل للهجرة[3]».

نستشفّ من ذلك أنّ التشيّع نبويّ البناء.

و لعلّ النصوص التاريخيّة ـ التي وصفت جماعة بالتشيّع أيّام النبيّ ـ صلّى الله عليه و آله – إذ أحصت بعض الكتب أسماء مائة و ثلاثة و ثلاثين صحابيّاً عُرفوا بتشيّعهم و ولائهم للإمام عليّ ـ عليه السلام[4] ـ دليلٌ آخر يرشد إلى هذه الحقيقة.

يضاف إلى هذا، ما صحّ في الأثر المتّفق عليه بين الفريقين، كحديث المنزلة، والثقلين، والمؤاخاة، والمباهلة، والغدير،... و عشرات المفردات الواردة في هذا المجال، فإنّ ذلك كلّه يدلّ دلالة قاطعة على أنّ رسول الله – صلّى الله عليه و آله – هو الّذي بذر بذرة التشيّع المباركة و تعاهدها بنفسه الشريفة، و أكّد عليها مراراً،

---

١ – خطط الشام ٥ : ٢٥١ – ٢٥٦ . نقلاً عن تاريخ الشيعة للعلّامة المظفّر : ١٠ .

٢ – نفسه. ٣ – نفسه.

٤ – انظر مثلاً: هويّة التشيّع للدكتور أحمد الوائليّ ٣٣ ، ٣٤ ، ٣٥ .

ولم يألُ جهداً في رعايتها والإيصاء بها حتّى اللحظات الأخيرة من عمره المقدّس.

و حسبنا وقفته التاريخيّة في غدير خم أمام الحشد الغفير من المسلمين حيث مفترق الطرق في ذلك الهجير الملتهب، مهتمّاً بالأمر أعظم اهتمام حتّى فطن المسلمون له.

و أنشد حسّان بن ثابت الأنصاريّ شعراً في تلك المناسبة قال فيه:

يناديهمُ يومَ الغدير نبيُّهم — بخمٍّ و أسمع بالرسول مناديا
فقال: فمن مولاكم و نبيُّكم؟ — فقالوا ولم يُبدوا هناك التعاميا:
إلهك مولانا و أنتَ نبيُّنا — و لم تلقَ منّا في الولاية عاصيا
فقال له: قمْ يا عليُّ فإنّني — رضيتك من بعدي إماماً و هاديا
فمن كنتُ مولاه فهذا وليّه — فكونوا له أتباعَ صدق مواليا
هناك دعا اَللّهمّ والِ وليّه — و كن للّذي عادى عليّاًمعاديا[1]

واللافت للنظر أنّ أميرالمؤمنين عليّبن أبيطالب عليهالسلام قد تفرّد بتشيّع عدد من الصحابة له أيّامالنبيّالأعظم - صلّىاللّه عليه وآله - بينما لم يتشيّع أحد منهم لأبيبكر أوعمر يومئذٍ بدليل أنّنا لم نشمّ رائحة التشيّع لهما في أجواء السقيفة.

و من قال بأنّ التشيّع نشأ بعد حادثة السقيفة، أو في أيّام عثمان، أو في عصر خلافة الإمام عليّ - عليه السلام - أو بعد واقعة الطف، فإنّ قوله لا يقوم على دليل، و حجّته داحضة.

و ثبت وهن الذاهبين إلى هذه الآراء عبر الحجج الدامغة الّتي أدلى بها علماء الاماميّة و عظماؤهم أمثال الشيخالمفيد[2]، والشريف المرتضى[3]، والسيّد ابنطاوس[4]، والعلّامة الحليّ[5]، والامام السيّد عبدالحسين

---

١ -الغدير ٢ : ٣٤.

٢ - في كتاب **الإفصاح** و غيره من الكتب، و مئات المسائل الّتي أجاب عنها.

٣ - في كتاب **الشافي فيالإمامة**، و نظائره.

٤ - في كتاب **كشف المحجّة لثمرة المهجة**، و غيره.

٥ - في كتاب **الألفين**، و **منهاج الكرامة** و أمثالهما.

شرف‌الدّين[١]، والسيّد حامد حسين[٢]، والعلّامة الأميني[٣]، والعلّامة المظفّر[٤]، والمفكّر العظيم الامام الشهيدالصدر[٥]، و غيرهم من العلماء الأبرار والمفكّرين الإسلاميّين.

الحقيقة الثانية

إنّ التشيّع يمثّل الامتداد الطبيعي للرسالة الإسلاميّة، و المتمّم لها، والباعث على خلودها و بقائها. فإنّ الرسالة الإسلاميّة خاتمة الرسالات، و لابدّ لها من ضمانة تتكفّل بامتدادها و استمرارها، و هذه الضمانة تكون بمستوى الرسالة في كافّة توجّهاتها و تعاليمها. و لو تصفّحنا كتب التاريخ جيّداً، فإنّنا نجدها مجمعة على أنّ النبيّ الأكرم - صلّى‌اللّه عليه وآله - كان شديد الحرص على دعوته، دائم التفكير بمستقبلها، ممّا يتطلّب ذلك منه أن يخطّط لسلامة مستقبلها، وصيانتها من الانحراف.

و عندما قلنا : إنّ التشيّع يمثّل الامتداد الطبيعي للرسالة الاسلاميّة، فانّ هذه الامتداديّة نابعة من تفكير الرسول الأعظم - صلّى‌اللّه عليه وآله - بمستقبل تلك الرسالة الّتي سيظهرها اللّه على الدين كلّه. و لا أخال لبيباً منصفاً يخامره الشكّ في أنّ النبيّ - صلّى‌اللّه عليه وآله - لم يهمل أمر الأمّة، و لم يترك رسالته في مهبّ الأقدار.

و كيف نعقل صدور ذلك منه، وهو الّذي كان يأمر بالتأمير في السَّفَرِ حتّى لو كان سَفَرَ شخصين اثنين؟

---

١ - في كتاب **المراجعات**، و سائر كتبه الخالدة النافعة.

٢ - في موسوعته الثمينة **عبقات‌الأنوار**. و هو من علماء الهندالكبار، اثنى عليه العلّامة الأمينيّ في كتاب **الغدير** كثيراً. انظر : الكتاب المذكور ١ : ١٥٦ ، ١٥٧ .

٣ - في موسوعتة القيّمة **الغدير**.

٤ - في كتاب **دلائل الصدق**.

٥ - في كتاب **بحث حول الولاية**. و أدعو اخواني المسلمين بشتّى مذاهبهم دعوةالناصح‌الشفيق إلى مطالعة هذا الكتاب الصغير الحجم الكبير الفائدة الغزير المعنى بكلّ دقّة، أذ إنّه كتب باسلوب معاصر موجز. فإنّ كلّ مسلم غيور منصف يهتدي به إلى مذهب أهل البيت - عليهم‌السلام - إذا نفض عنه غبار التعصّب و العناد.

و كيف نستسيغ ذلك منه، وهو الّذي لم يخل المدينة ساعة واحدة عندما كان يذهب في غزوة أو مهمّة ما؟ و هل يصدّق ذو بصيرة أنّ رسول‌اللّه - صلّى‌اللّه عليه و آله - لم يشعر بضرورة تعيين الخليفة بعده ؟

و نِعْم ما أشار إليه أميرالمؤمنين - عليه‌السّلام - في خطبته الّتي ذكر فيها ابتداء خلق السماوات والأرض و خلق آدم، فقال : ثمّ اختار سبحانه لمحمّد ـ صلّى‌اللّه عليه و آله ـ لقاءه، و رضيَ له ما عنده، و أكرمه عن دار الدنيا، و رغب به عن مقارنة البلوى، فقبضه إليه كريماً - صلّى اللّه عليه و آله -، و خلّف فيكم ما خلّفت الأنبياء في أممها إذ لم يتركوهم هَمَلاً بغير طريق واضح، و لا علم قائم...[١]

و إذا كنّا نقرأ في التاريخ أنّ المجتمِعين في السقيفة قد بادروا إليها شعوراً منهم بتلك الضرورة، فاختار عمر أبابكر. و قبل أن يموت أبوبكر نصب عمر ثمّ لمّا طُعن عمر حصر الخلافة في الستّة الّذين رشّحهم بنفسه. فإذا كنّا نقرأ كلّ ذلك، و نعلم أنّ ذوي العلاقة سارعوا إلى السقيفة لشعورهم بالفراغ الّذي خلّفه رحيل الرسول‌الأعظم - صلّى‌اللّه عليه و آله -، فكيف يروق لنا التقوّل على النبيّ‌الكريم بأنّه أهمل الأمّة لتختار من تشاء ؟ و هل كان هؤلاء الأشخاص أحرص منه على الرسالة ؟ و لا يختلف اثنان أنّ رسول‌اللّه - صلّى‌اللّه عليه و آله - كان يشعر بمسؤوليّته حيال دينه، و هو الذي كان يبشّر المسلمين بفتح كنوز كسرى و قيصر! فمن يشعر بالمسؤوليّة، و يعد أصحابه و أتباعه بأشياء لم يتوقّعوها و يتصوّروها، لابدّ أن يعيّن قيّماً يواصل مسيرته، و يضمن تحقيق أهدافه و طموحاته. و ليس هذا القيّم إلّا عليّ بن أبي طالب - عليه‌السّلام - الّذي تواترت الشواهد من حياة النبيّ - صلّى‌اللّه عليه و آله - على أنّه كان يعدّه إعداداً رسالياً خاصّاً. وكان «يخصّه بكثير من مفاهيم الدعوة و حقائقها، و يبدأه بالعطاء الفكري والتثقيف، إذا استنفد الإمام أسئلته. و يختلي به الساعات الطوال في الليل والنهار، يفتح عينيه على مفاهيم الرسالة و مشاكل الطريق، و مناهج‌العمل إلى آخر يوم من حياته الشريفة[٢]».

و روى الحاكم في المستدرك بسنده عن أبي إسحاق، قال: سألت القاسم بن

---

١ - نهج‌البلاغة ، شرح الشيخ محمّد عبده ١ : ٢٥ .

٢ - بحث حول الولاية للامام الشهيد الصدر، الطبعة الثالثة ١٤٠٢ هـ ، ص ٦٥ .

العبّاس: كيف ورث عليّ رسولَ‌الله؟ قال: لأنّه كان أوّلنا به لحوقاً، و أشدّنا به لزوقاً[1].

و في حلية الأولياء عن ابن عبّاس أنه قال: كنّا نتحدّث أنّ النبيّ - صلّى‌الله عليه و آله - عهد إلى عليّ سبعين عهداً لم يعهد إلى غيره[2].

و روى النسائيّ عن ابن عبّاس، عن عليّ - عليه‌السّلام - أنّه قال: كانت لي منزلة من رسول‌اللّه - صلّى‌اللّه عليه و آله و سلّم - لم تكن لأحد من الخلائق، كنت أدخل على نبيّ‌اللّه كلّ ليلة. فان كان يصلّي، سبّح فدخلت. و إن لم يكن يصلّي، أذن لي فدخلتُ[3].

و روي أيضاً عن الإمام - عليه‌السّلام - قوله: كان لي مع النبيّ - صلّى‌اللّه عليه و آله - مدخلان: مدخل بالليل، و مدخل بالنهار[4].

و روي النسائيّ عن الامام أيضاً أنّه كان يقول: كنت إذا سألت رسول‌اللّه - صلّى‌اللّه عليه و آله - أُعطيت، و إذا سكتُّ ابتدأني.

و رواه الحاكم في المستدرك أيضاً، و قال: صحيح على شرط الشيخين[5].

و روى النسائي عن أمّ سلمة أنّها كانت تقول: والّذي تحلف به أمّ سلمة إنّ أقرب الناس عهداً برسول‌اللّه - صلّى‌اللّه عليه و آله - عليّ - عليه‌السّلام - قالت: لمّا كانت غداة قبض رسول‌اللّه، فأرسل إليه رسول‌اللّه، و أظنّه كان بعثه في حاجة، فجعل يقول: جاء عليّ؟ ثلاث مرّات. فجاء قبل طلوع الشمس، فلمّا أن جاء عرفنا أنّ إليه حاجة، فخرجنا من البيت.

وكنّا عند رسول‌اللّه - صلّى‌اللّه عليه و آله - يومئذٍ في بيت عائشة، وكنت في آخر من خرج من البيت، ثمّ جلست من وراء‌الباب، فكنت أدناهم إلى الباب، فأكبّ عليه عليّ، فكان آخر الناس به عهداً، فجعل يسارّه و يناجيه[6].

و قال أميرالمؤمنين - عليه‌السّلام - في خطبته القاصعة الشهيرة، و هو يصف

---

١ - بحث حول الولاية للامام الشهيد الصدر، الطبعة الثالثة ١٤٠٢ هـ، ص ٦٥.

٢ - نفسه: ٦٥ - ٦٦.

٣ - نفسه: ٦٦.

٤ - نفسه: ٦٦.

٥ - نفسه.

٦ - نفسه: ٦٧.

ارتباطه الفريد بالرسول القائد، و عناية النبيّ - صلّى اللّه عليه و آله - بإعداده و تربيته:

« و قد علمتم موضعي من رسول‌اللّه - صلّى اللّه عليه و آله و سلّم - بالقرابة القريبة، والمنزلة الخصيصة. وضعني في حجره و أنا وليد، يضمّني إلى صدره، و يكنفني في فراشه، و يُمسّني جسدَه، و يشمّني عَرْفه. وكان يمضغ الشيء ثمّ يلقمنيه. و ما وجد لي كذبة في قول، و لا خطلة في فعل ... و قد كنت أتّبعه اتّباع الفصيل أثر أمّه.

يرفع لي في كلّ يوم مِن أخلاقه علَماً، و يأمرني بالاقتداء به. و لقد كان يجاور في كلّ سنة بحِراء، فأراه و لا يراه غيري.

و لم يَجمع بيت واحد يومئذٍ في الاسلام غير رسول‌اللّه - صلّى اللّه عليه و آله - و خديجة، و أنا ثالثهما. أرى نور الوحي والرسالة، و أشمّ ريح النبوّة[1]».

و أدّى الأدب العربي دوراً عظيماً مشرّفاً في التعبير عن هذه الحقيقة. «و كان لأحاديث الشيعة والتشيّع أثر ظاهر في أشعار الصحابة، نقل طرفاً منها السيّد المرتضى في كتاب العيون والمحاسن، والشيخ الأميني في كتاب الغدير[2]».

و قد نقلنا سابقاً أبيات حسّان بن ثابت، و ننقل فيما يأتي أشعاراً أخرى لبعض الصحابة. فقد أنشد خزيمة بن ثابت ذوالشهادتين قائلاً:

إذا نحن بايعنا عليّاً فحسْبنا ... أبو حسن ممّا نخاف من الفتنْ
وجدناه أولى الناس بالناس انّه ... أطبّ قريش بالكتاب و بالسنن
وصيّ رسول‌اللّه من دون أهله ... و فارسه قد كان في سالف الزمن
و أوّل من صلّى من الناس كلّهم ... سوى خيرة النسوان واللّه ذوالمنن[3]

وقال ربيعة بن الحارث بن عبد المطلّب عند ما بويع أبوبكر:

ما كنت أحسب أنّ الأمر منتقلٌ ... عن هاشم ثمّ منها عن أبي حسنِ
أليس أوّلَ من صلّى لقبلتهم ... و أعلم الناس بالآيات والسنن

---

١ - اختيار مصباح السالكين لابن ميثم البحراني ٤٦٢، ٤٦٣. و انظر أيضاً: بحث حول الولاية: ٦٧، ٦٨.

٢ - الشيعة في الميزان للشيخ محمّد جواد مغنية: ٢٠.

٣ - نفسه: ٢٠ ـ ٢١.

وآخـرالنـاس عـهداً بـالنبيّ و مَـن جبريل عون له فيالغُسل والكـفن[١]

و قال عبداللّه بن أبي سفيان بن الحرث بن عبد المطّلب :

وكـان وليّ الأمـر بـعد محمّد عليٌّ وفي كلّ المواطن صاحبُه
وصـيّ رسـولاللّـه حـقاً و جـاره و أوّل من صلّى و من لان جانبُه[٢]

و قال الصحابيّ جرير بن عبداللّه البَجليّ :

فـصلّى الإله عـلى أحـمدٍ رسـولالمـليك تـمام النـعمْ
و صلّى عـلى الطـهر مـن بـعده خـليفتنا القـائم المـدّعم
عـليّاً عـنيت وصـيّ النـبيـ ـي يـجالد عـنه غـواث الأمـم[٣]

و قال عبدالرحمن بن حنبل :

لَـعمري لئـن بـايعتمُ ذا حـفيظةٍ عـلىالدّيـن مـعروف العـفاف مـوفَّقا
عفيفاً عـن الفـحشاء، أبـيض مـاجداً صـدوقاً و للـجبّار قِـدماً مـصدِّقا
أبـاحسن فـارضَوا بـه و تـبايعوا فليس كـمن فـيه لذي العـيب مـنطقا
عـليّ وصـيّ المـصطفى و وزيـره و أوّل من صلّى لذيالعرش واتّـقى[٤]

نستخلص من هذا كلّه أنّ حرص الرسول الأعظم - صلّىاللّه عليه و آله - على الرسالة، و تفكيره بمستقبلها، و اهتمامه المركّز في إعداد أميرالمؤمنين - عليه السّلام - إعداداً خاصّاً، و تأكيده المستمرّ على شخصيّته، و أحاديثه المتواترة في بيان منزلته و مكانته، و تصريح أميرالمؤمنين ـ عليهالسّلام ـ نفسه بذلك في مواطن عديدة من «نهجالبلاغة»، و شهادة عدد من الصحابة الّذين زكّاهم الفريقان، و اتّفقا على توثيقهم و نقْل الحديث عنهم، و تعبير هؤلاء عن الحقيقة المشار اليها عبر أشعارهم و كلماتهم.. كلُّ ذلك يدلّ دلالة لا تقبل الشكّ والشبهة أنّ التشيّع هو الإمتداد الطبيعي للرسالة بما تفرضه طبيعة الرسالة نفسها. و لعلّ إجماع المؤرّخين على تفرّد أميرالمؤمنين ـ عليهالسّلام ـ بفضائل و مناقب لم تكن لغيره مَعْلم بارز على تلك الامتداديّة.

و يجسّد التشيّع الأُطروحة الوحيدة النقيّة من شوائب الانحراف والهوى، بما

---

١ - الشيعة في الميزان : ٢١ . ٢ - نفسه.
٣ - نفسه . ٤ - نفسه.

كان عليه قادة الأُطروحة من سيرة شهد بنزاهتها و طهرها كلٌّ من أرّخ لها.

الحقيقة الثالثة

كان أئمّة أهل البيت - عليهم‌السّلام - مَفْزع الأُمّة والحكّام في كلّ ما أشكل عليهم. فقد كان المسلمون يلجأون إليهم و يسألونهم عن كلّ ما أهمّهم و كذلك كان يفعل الحكّام. و نقل لنا التاريخ عشرات بل مئات الشواهد الّتي تدلّ على رجوع‌الناس و حكّامهم إلى الأئمّة لحلّ أيّ مشكلة يستعصي حلّها عليهم. «فقد كان الإمام أميرالمؤمنين ـ عليه السّلام ـ هو المفزع والمرجِع لحلّ أيّ مشكلة يستعصي حلّها على القيادة الحاكمة يومئذٍ. و لا نعرف في تاريخ التجربة الإسلاميّة على عهد الخلفاء الأربعة واقعة واحدة رجع فيها الإمام الى غيره لكي يتعرّف على رأي الإسلام و طريقة علاجه للموقف، بينما في التاريخ عشرات الوقائع الّتي أحسّت القيادة الإسلاميّة الحاكمة فيها بضرورة الرجوع إلى الإمام بالرغم من تحفّظاتها في الموضوع[1]».

فعندما فكّر أبوبكر بغزو الروم، استشار جماعة من الصحابة، فقدّموا و أخّروا، و لم يقطعوا برأي. فاستشار عليّاً ـ عليه‌السّلام ـ في‌الأمر، فقال - عليه السلام - : إنْ فعلتَ ظفرت. فقال أبوبكر: بشّرت بخير. و أمرالناس بالخروج بعد أن أمّر عليهم خالد بن سعيد[2].

و عن الطبري في تاريخه، عن سعيد بن المسيّب، قال : جمع عمر بن الخطّاب الناس، فسألهم : من أيّ يوم نكتب التاريخ ؟ فقال عليّ - عليه‌السّلام - : من يوم هاجر رسول‌اللّه - صلّى‌اللّه عليه و آله - و ترك أرض الشرك، ففعله عمر. و هكذا وُجد التاريخ الهجري ليؤرّخ به المسلمون[3].

و عن موطّأ مالك، عن بعجة‌بن بدر الجهنيّ أنّه أُتي عثمان بامرأة قد ولدت لستّة أشهر، فهمّ برجمها. فقال - عليه‌السّلام - إنْ خاصمتك بكتاب‌اللّه خصمتك.

---

١ - بحث حول الولاية : ٦٨ - ٦٩ .

٢ - أميرالمؤمنين عليّ بن أبي‌طالب - عليه‌السّلام - ١ : ٦٦ . مؤسسة البلاغ.

٣ - نفسه ١ : ٧٣ - ٧٤ .

إنّ اللّه –تعالى – يقول :﴿ و حمله وَ فِصٰاله ثَلاٰثُونَ شهراً﴾[١] ثمّ قال : ﴿ والوالدات يرضعن أولادهنّ حولين كاملين لمن أراد أن يتمّ الرضاعة﴾[٢]، فحولان مدّة الرضاعة، و ستّة أشهر مدّة الحمل.

فقال عثمان: ردّوها[٣].

و أتذكّر في هذا المجال قولاً للخليل بن أحمد الفراهيدي، شيخ سيبويه، نقله لي أحد الأدباء الثقات، قال: «الدليل على أولويّة عليّ استغناؤه عن الكلّ، و احتياج الكلّ إليه». فالإمام –صلواتاللّه عليه – لم يحتج إلى أحد، بينما احتاج إليه الآخرون، و كانوا يسألونه.

و رأيت شواهد كثيرة رجع الخلفاء الثلاثة فيها إليه، بخاصّة الخليفة الثاني الذي اشتهر عنه قوله : لولا عليّ لهلك عمر. و لم يرجع إلى أحد، و لم تعص عليه مسألة، و لم يُحْرَجْ في شيء قطّ. ذلك أنّه اوتي علماً محيطاً مستوعباً، و أنّه صُنع على عين اللّه، كما صرّح هو بذلك في بعض كتبه إلى معاوية.

و هكذا سائر الأئمّة من أولاده الطاهرين، فانّهم كانوا الملاذالوحيد للامّة و حكّامها. وكم عجز الحكّام عن علاج المشاكل، الّتي كانت تعتريهم، فبادر الأئمّة إلى إسعافهم، وكانوا بالمستوى المطلوب في تلبية الحاجات و رفع المشاكل، منطلقين من شعورهم بالمسؤوليّة المتمثّلة بالمحافظة على المصلحة الإسلاميّة العليا، و إحساسهم بضرورة أداء دور إيجابي في خدمة الرسالة على الرغم من إقصائهم عن مركزهم القيادي في زعامتها.

و نكتفي هنا بنقل مثالين في هذا المجال :

الأوّل : يتمثّل «في المشكلة الّتي أحدثها كتاب ملك الروم إلى عبدالملك بن مروان، إذ عجز عبدالملك عن الجواب علىٰ كتاب بمستواه، فملأ الإمام زين العابدين ـ عليهالسّلام ـ هذا الفراغ و أجاب بالشكل الّذي يحفظ للدولة كرامتها،

---

١ - الاحقاف / ١٥ .　　٢ - البقرة / ٢٣٣ .

٣ - أميرالمؤمنين عليّ بن أبيطالب - عليهالسّلام - ١ : ٧٥ . مؤسسة البلاغ.

وللأمّة الإسلاميّة هيبتها[1]».

الثاني: يتمثّل «في إنقاذ الدولةالاسلاميّة من تحدّ كافر يهدّد سيادتها كالتحدّي الّذي واجهه هشام من الروم بشأن النقد و عجز عن الردّ عليه. وكان الإمام الباقر في مستوى الردّ على هذا التحدّي، فخطّط للاستقلال النقدي[2]».

و هناك مئات الوقائع الّتي رجع فيها الحكّام الأمويّون و العبّاسيّون إلى الأئمّة واستفتوهم فيها. و لم يحدّثنا التاريخ أنّ أحد الأئمّة استفتى أحداً، أواستعصت عليه مسألة، أو أحرج في معضلة. كما لم يحدّثنا أنّهم تتلمذوا على يد أحدٍ من المسلمين. وهذا دليل على عظمتهم وكفاءتهم و عصمتهم، و للّه درّالشاعر إذ يقول:

و والِ أُناساً قولهم و حديثهم   روى جدّنا عن جبرئيل عن الباري

و أجاد أبو فراس الحمداني إذ قال في ميميّته العصماء:

ليس الرشيد كموسى في القياس ولا   مأمونكم كالرضا إن أنصف الحَكَمُ

وكم أراد الحكّام إحراجهم ! وكم حاول أرباب الفرق الاسلاميّة و غيرها ذلك، فلم يفلحوا !

و حسبنا المناظرات العلميّة الّتي جرت معهم، و مجالس الاحتِجاج الّتي عقدت لأجل ذلك، فقد دلّت بكلّ وضوح أنّهم كانوا أكفأ من غيرهم و أحقّ. كما دلّت على تفوّقهم علميّاً و سياسيّاً و اجتماعيّاً. و لا نقول هذا من وحي التعصّب والإعجاب، بل إنّ المصادر المعنيّة قد تحدّثت عنه بإسهاب، و أجملت كثيراً، بخاصّة مصادر الخصم، فإنّها نطقت بفضلهم و علمهم و نقاوة سيرتهم و عظمة أخلاقهم. و لو وجدت المجال واسعاً، لأتيت بمئات الأمثلة الّتي تقطع قول كلّ خطيب. و لا أحسب أنّ أحداً يرتاب في أنّ المضايقات الّتي تعرّض لها أئمّة أهل البيت - عليهم السّلام - متمثّلة بالسجن، والنفي، والتشريد، والتعذيب، والقتل كانت نتيجة لشعور الحكّام الأمويّين والعبّاسيّين بعظمتهم، و علوّ شأنهم، وحقّانيّتهم، وجدارتهم. و كان اولئك الحكّام المنحرفون يعلمون علم اليقين أنّ

---

١ - دور الأئمّة في الحياة الاسلاميّة. من محاضرات الامام الشهيدالصدر، نقلاً عن كتاب اخترنالك، الطبعة الأولى ١٣٩٥ هـ، ص ٦٣. و سنذكر في الهوامش القادمة عنوان المحاضرة فحسب.

٢ - نفسه: ٧٥.

الأئمّة أفضل منهم و أحقّ بالحكم و ولاية الأمر.. بيد أنّ انحراف النفوس، والحسد، وحبّ الجاه والسلطة قد غلبت عليهم، بل غلبت عليهم شقوتهم.

الحقيقة الرابعة

كان أئمّة أهل البيت – عليهم السّلام – يحظون بمنزلة خاصّة و مكانة مرموقة بين المسلمين. و كان المسلمون قاطبة ينظرون إليهم نظرة تبجيل و تكريم، و يحفظون حرمتهم، و يحسبون لهم حساباً متميّزاً لما كانوا يلمسونه من عطاء رساليّ يستشعرونه في مختلف مجالاتهم، و يستفيدون منه في حلّ مشكلاتهم، والحفاظ على رسالتهم[1]. كما كان المسلمون يولون احتراماً خاصّاً للأئمّة نتيجة لشعورهم أنّ الأئمّة يتفرّدون في كلّ مفردة من مفردات حياتهم. و قد لاحظ المسلمون ذلك بمختلف توجّهاتهم. بيد أنّنا يمكن أن نقول: إنّ ذلك الولاء ليس ولاءً عقيديّاً واعياً، بل هو ولاء عاطفيّ لم يرتكز على قاعدة صلبة. و لو كان ولاءً عقيديّاً واعياً، لتمكّن الأئمّة من تسلّم مقاليد الأمور و قيادة الأمّة. و لو قدّر ذلك لهم، لانتشر التشيّع العقيدي الواعي في كافّة أرجاء المعمورة. والجالب للانتباه أنّ عزل الأئمّة و حرمانهم من القيادة السياسيّة للأمّة لم يفقدهم مكانتهم الاجتماعيّة، الّتي بلغت في بعض الحالات مستوى تسلّم السلطة أيضاً، كما نجد ذلك في خلافة أميرالمؤمنين ـ عليه السّلام ـ الّذي تفرّد عن غيره من الخلفاء في أنّ الامّة كلّها بايعته طائعة منقادة. و «أنّ تلك الزعامة الواسعة الّتي كانت نتيجة لإيجابيّة الأئمّة في الحياة الاسلاميّة هي الّتي جعلت منه المثل الأعلى للثوّار الّذين قضوا على عثمان. وهي الّتي كانت تتمثّل في مختلف العلاقات الّتي عاشها الأئمّة مع الأمّة[2]».

و نقرأ كيف كان الإمام موسى بن جعفر ـ عليه السّلام ـ يقول لهارون الرشيد: أنت إمام الأجسام و أنا إمام القلوب.

و لمّا أراد عبدالله بن الحسن أن يأخذ البيعة لابنه محمّد، كيف يقول للامام الصادق – عليه السّلام : (و اعلم فديتك أنّك إذا أجبتني، لم يتخلّف عنيّ أحد من أصحابك. و لم يختلف عليّ اثنان من قريش و لا غيرهم).

---

١ – دور الأئمّة في الحياة الاسلاميّة : ٦٥. ٢ – نفسه : ٦٦.

ولنلحظ مدى ثقة الأمّة بقيادة أئمّة أهل البيت؛ نتيجة لما يعيشونه من دور ايجابيّ في حماية الرسالة و مصالح الأمّة.

و مثالنا على ذلك المناسبة الشهيرة الّتي أنشد فيها الفرزدق قصيدته في الامام زين العابدين كيف أنّ هيبةالحكم و جلال السلطان لم يستطع أن يشقّ لهشام طريقاً لاستلام الحجر بين الجموعالمحتشدة من أفراد الأمّة في موسم الحجّ، بينما استطاعت زعامة أئمّة أهلالبيت أن تكهرب تلك الجماهير في لحظة، وهي تحسّ بمقدم الامام القائد و تشقّ الطريق بين يديه نحو الحجر.

و كذلك الهجوم الشعبي الهائل الّذي تعرّض له قصر المأمون نتيجة لإغضابه الامام الرضا - عليهالسّلام - فلم يكن للمأمون مناص من الالتجاء إلى الإمام لحمايته من غضب الأمّة، فقال له الإمام: اتّقِ اللّه في أمّة محمّد، و ما ولّاك من هذا الأمر و خصّك به فإنّك ضيّعت أُمور المسلمين و فوّضت ذلك إلى غيرك يحكم فيها بغير حكماللّه عزّوجلّ.

إنّ كلّ هذه النماذج والمظاهر للزعامةالشعبيّة الّتي عاشها أئمّة أهلالبيت على طول الخطّ تبرهن على إيجابيّتهم و شعور الأمّة بدورهم الفعّال في حماية الرسالة[1].

هذه أربع حقائق موجزة أحببت أن أعرضها في هذه المقدّمة. و ثمّة حقائق أخرى ترتبط بمذهب أهل البيت، والأئمّة المعصومين - عليهمالسّلام - و أتباعهم، يضيق بنا المجال لطرحها.

و صفوة القول: إنّ خطّ أهلالبيت هو الخطّ الّذي نهجه رسولاللّه - صلّىاللّه عليه و آله - و طلب من المسلمين التمسّك به، فاستجابت له ثلّة واعية من خيرة الصحابة الّذين زكّتهم كتب الفريقين و أقرّت نزاهتهم و إيمانهم و حسن سيرتهم، ممّا يعضد التمسّك بذلك المذهب الحقّ، و يبرز دليلاً على أحقّيّته و أفضليّته.

و ربّ سائل يسأل عن السبب في قلّة المتمسّكين بمذهب أهل البيت بين المسلمين، فنقول: إنّ الاهتداء إليه كالاهتداء إلى رسالات السماء، إذ لم يتيسّر لكلّ

---

١ - دور الأئمّة في الحياة الاسلاميّة: ٦٦ ـ ٦٧. المعلومات التاريخيّة المذكورة هنا كلّها مستلّة من هذه المحاضرة الثمينة لذلك المفكّر الكبير، و باسلوبه الأخّاذ، مع بعض التغييرات الطفيفة.

أحد، و ليست الكثرة مقياساً من منظار القرآن الكريم، بل إنّ صحّة العقيدة، و قوّة الدليل والبرهان، و تشخيص الحقّ، و وعي الحقيقة هي المقاييس الّتي يعرضها القرآن في هذا المجال. و إنّ هناك أسباباً متنوّعة لهذه القلّة قد تظافرت فأدّت إليها، و هذا موضوع يحتاج إلى دراسة مستقلّة مفصّلة ليس موضعها هنا.

بيد أنّ المثير للانتباه هو أنّ التشيّع قد انتشر في حواضر كثيرة خلال القرن الثالث، والرابع، والخامس، والسادس على الرغم من الأجواء المشاكسة الّتي كان يعيشها. و أشار مؤلّف الكتاب إلى هذه الحقيقة. كما شهد القرن الثاني اتّساع القواعد الشعبيّة الموالية لأهل‌البيت، ممّا أدّى إلى سقوط الدولة الأُمويّة و مجيء العبّاسيّين الّذين لم يفلحوا في القضاء على الامويّين، لولا رفعهم شعار أهل البيت، الّذين كان يعرفهم الناس على أنّهم آل محمّد من أولاد عليّ و فاطمة. و استغلّ العبّاسيّون ذلك الشعار، و خدعوا الأُمّة، و انتهجوا أساليب ملتوية في‌الوصول إلى الحكم. و حسبنا ذلك الشعار دليلاً على انشداد الأُمّة إلى أهل‌البيت لما عرفوه عنهم من نزاهة و كفاءة، و ما لمسوه من عطاء ثرّ جاد به أئمّة أهل‌البيت عليهم.

أمّا التشيّع في إيران، فقد تكفّل هذا الكتاب بدراسته دراسة تاريخيّة مفصّلة. و قد أنجزت تعريبه استجابة لاقتراح الاستاذ الفاضل الدكتور السيّد محمود أسداللهي، أحد أساتذة اللغة العربيّة بكليّة الآداب بجامعة مشهد، ليكون رسالتي في مرحلة الماجستير. فأتممته و حصلت على شهادة الماجستير بتقدير امتياز. وإنّي إذ أشكرالله - جلّ شأنه - و أدعوه أن يرشدنا لما فيه صلاحنا، يطيب لي أن أقدّم جزيل شكري للاستاذ الكريم أسداللّهي على اقتراحه هذا الكتاب، و دفاعه المخلص الجاد عند مناقشة الرسالة، و أتمنّى له عقبى الدار.

و من الجدير ذكره أنّ موضوع الكتاب، والشعور بضرورة خدمة المذهب الإمامي المظلوم هما اللّذان حفّزاني على الاستجابة للاقتراح المذكور والايفاض إليه.

و لا يخفى أنّ الترجمة فنّ من الفنون الّتي وجدت لها موقعاً متميّزاً في الميدان العلمي هذا اليوم. و هي لاتقلّ عن التأليف أو التصحيح أوالتحقيق، بل ربّما هي أصعب من هذه الحقول العلميّة المشار إليها، لأنّ نقل الفكرة إلى لغة أخرى دون

الإخلال بمعناها و محتواها يحتاج إلى براعة خاصّة لا تتيسّر لكلّ أحد. و هذا النقل مهمّة شاقّة لا يدركها إلاّ من مارسها، إذ يعنى صبّ الفكرة في قالب آخر بعد استيعابها و هضمها في اللغة المنقول عنها. و لابدّ للمترجم من مؤهّلات تمكّنه من مزاولة هذاالعمل العلمي العسير. منها:

أن يكون ذا حصيلة علميّة متنوّعة، و أن يكون متمكّناً من اللغتين، و له قلم أدبيّ جيّد. كما يتابع ما يصدر من ترجمات مختلفة.

أودّ أن أُسجّل في ختام هذه المقدّمة بعض الملاحظات حول الكتاب بشكل عام. و يتخلّلها حديث عن الجهود المبذولة في مجال التحقيق ليتبيّن أنّ التحقيق قد رافق التعريب في بعض المواطن.

١ - موضوع الكتاب موضوع جيّد رائع بعامّة. و لعلّه بكر من نوعه، إذ عرض دراسة تاريخيّة مسهبة عن الشيعة والتشيّع في إيران لم يعرضها أحد بهذا التفصيل إلى الآن. و قد أبدع مؤلّفه حقّاً بما بذله من جهود مشكورة محمودة فيالبحث والتنقيب، و تتبّع المصادر، و عرض المطالب والموضوعات بنحو متسلسل. فله من‌اللّه الأجر، و منّا الدعاء. و له الشكر على ترحيبه بترجمة الكتاب.

٢ - احتوى الكتاب على معلومات تاريخيّة ثمينة منقولة عن مصادر فارسيّة لم تُعرّب بعد، و هي جديرة بالتأمّل والمطالعة. على سبيل المثال، تحدّث المؤلّف عن مراسيم عاشوراء، و نقل في حديثه معلومات عن كتاب «نقض» تفيد أنّ عدداً كبيراً من علماءالسنّة و قضاتهم كانوا يقيمون العزاء على سيّدالشهداء الإمام الحسين - عليه‌السّلام. و هذا يدلّ على أنّ إقامة العزاء لم تقتصر على الشيعة وحدهم.

٣ - بدأ المؤلّف دراسته بالحديث عن ضروب التشيّع، فذكر أنّها ثلاثة هي: التشيّع السياسي، والعقيدي، والتشيّع المتمثّل بمودّة أهل البيت - عليهم‌السّلام. و يمكن أن نعبّر عن الضربين الأخيرين بالتشيّع العقيديالواعي، والتشيّع العاطفي. ثمّ انتقل المؤلّف إلى ذكر عدد من البواعث على تغلغل التشيّع بين الفرس، و تطرّق بعد ذلك إلى المَوالي و نزعاتهم الدينيّة، و إعداد بعضهم من قبل الأئمّة المعصومين - عليهم‌السّلام، و مساهمتهم في ثورة المختار، و نزعة الغلوّ عند

بعض الموالي. و في حديثه هذا كلّه نقاط لافتة للنظر، نطالع فيها نقطتين مهمّتين:

الأولى: أشار المؤلّف إلى أنّ العرب هم واضعو لبنات التشيّع و ليس غيرهم، و أثبت ذلك بالدليل. و هذه حقيقة ذهب إليها كثير من الباحثين المنصفين.

و إنّما أراد المؤلّف أن يدحض الظنّ القائل بأنّ التشيّع فارسيّ النشأة والهويّة، وهو ما ذهب اليه بعض الدارسين المغفّلين أو المغرضين. علماً أنّ اتّهام التشيّع بفارسيّة النشأة والهويّة ليس مثلبة للتشيّع، لأنّ الفرس قوم كغيرهم من الأقوام، فيهم الحسن والرديء، والصالح والطالح. و لهم مناقب و مثالب كسائر الأقوام من عرب، و ترك، و غيرهما.

و لا نرتاب في أنّ التشيّع عربيّ النشأة والهويّة. و هذه حقيقة لا ينكرها إلاّ مكابر، غير أنّنا نقول : إنّ عدداً من أقطاب التسنّن و أئمّته و رجاله كانوا من غير العرب، كالفرس، والروم، والترك. و ليس في هذا عيب أو نقص، لأنّ المقياس القرآني للتفاضل هو التقوى، لا الانحدار القومي، والانتساب العرقي. و اذا كان للفرس دور في خدمة الإسلام والمسلمين، فإنّ المسلم العقيدي الواعي يتلقّى ذلك برحابة صدره. و يبدو أنّ هذا التوجّه كان طبيعيّاً في القرون الخالية. و إنّما فطن له ذوو النفوس الوضيعة في العصور المتأخّرة لمآرب في أنفسهم لا يخفى على اللبيب كنهها. و نذكّر هنا أنّ أحداً من الشيعة لم ينبز سنّيّاً بهويّة مذهبه، و قوميّة رجاله و عظمائه. و حسبنا أنّ أئمّة الشيعة كانوا من سادة العرب و صفوة أهل الحجاز الشريف.

الثانية: ألمع المؤلّف في حديثه عن الموالي والأئمّة الاثني عشر - عليهم السّلام - إلى أنّ معظم أصحاب الأئمّة كانوا من العرب، و بينهم عدد قليل من الموالي. و مصدره في هذا البحث هو كتاب الشيخ الطوسي - رضوان اللّه عليه. و نستخلص من كلامه فيما إذا كان عدد من أصحاب الأئمّة من الموالي: أنّ الانتساب إلى المدينة لا يدلّ على الأرومة العرقيّة، إذ إنّ كثيراً من العرب هاجروا إلى إيران، و توطّنوا بعض حواضرها و نسبوا أنفسهم إليها. و هناك أرقام كثيرة مشهورة ذكر فيها لقب فارسي و أصحابها من العرب الأقحاح، كأبي الفرج الأصفهاني مثلاً إذ نسب إلى أصفهان، بينما كان أمويّ المحتد. و أمثال أبي الفرج

كثيرون.

فاللقب ليس مَعْلماً على القوميّة والهويّة. بخاصّة انّ هناك أسباباً جمّة دفعت المتلقّبين بالألقاب الفارسيّة إلى اختيارها. والجالب للانتباه هنا أنّ العرب المهاجرين إلى الأمصار الفارسيّة لم يروا عيباً و نقصاً في الانتساب إلى هذه الأمصار. و هذا توجّه محمود يدلّ على تحرّر من التعصّب القومي والعرقيّ البغيض.

كما أنّ هناك نقاطاً أخرى مفيدة في هذا البحث. منها : إثبات نزاهة المختار و صحّة عقيدته و مذهبه، و أنّ ما نسب إليه كان من تخرّصات المغرضين و تقوّلاتهم. و منها: أنّ الموالي كانوا ذوي نزعات متنوّعة، و قليل منهم ركن إلى التشيّع. فمنهم السنّيّ المتعصّب، و منهم الخارجيّ المتحجّر، و منهم العبّاسيّ المتعنّت، و منهم المغالي في عقيدته. و ثلّة منهم آمنت بالتشيّع. و هذه حقيقة أجمع عليها المؤرخون. و منها : عدم وجود فرقة باسم الكيسانيّة فيالتاريخ اعتماداً على كتاب بعنوان مذاهب ابتدعتها السياسة في الاسلام لمؤلّفه عبدالواحد الأنصاري.

تطرّق المؤلّف بعد ذلك إلى قم و تأسيسها من قبل العرب، و دور العرب في نشر التشيّع في ربوعها، و تأثيرها على المدن الأخرى. ثمّ انتقل إلى مكيدة العبّاسيّين في استغلال شعار أهل البيت من أجل الوصول إلى الحكم، و انّهم لم يفلحوا في القضاء على الأمويّين إلاّ من خلال شعار أهل البيت. و واصل حديثه عن الأمصار الشيعيّة في إيران مضافاً إلى قم. و عرّج على بعض الحركات الشيعيّة الّتي قامت في إيران، و هجرة السادة إلى إيران و استقرارهم فيها. و ذكّر بنقطة مهمّة تتجسّد في أنّ بعض السادة كانوا منحرفين عن أهل البيت، ناكبين عن صراطهم، و أنّهم ليسوا أُولي تشيّع عقيديّ واع. ثمّ انبرى المؤلّف إلى الحديث عن التشيّع في القرن الثالث الهجري. و تكلّم حول الدولة الطاهريّة، والعلويّة بطبرستان، والصفّاريّة في شرق إيران. و خصّص كتاباً مستقلاً للحديث عن التشيّع بالري، و قد ألحقناه بهذا الكتاب بديلاً عن موضوع التشيّع بالري. و جاءنا الكتاب متأخّراً بعد إتمام ترجمة كتابنا هذا، فترجمناه و جعلناه مكان الموضوع المشار إليه

بناءً على طلب المؤلّف الكريم. و تحدّث المؤلّف عن التشيّع بسبزوار، ثمّ تطرّق إلى الإسماعيليّة و أسهب في دراستها. و من الخليق بالذكر أنّه من غير الصحيح إضفاء طابع التشيّع على الإسماعيليّة، لأنّ الإسماعيليّة ليست فرقة شيعيّة، بل هي فرقة إسلاميّة كسائر الفرق. و من المستحسن أن تذكر الاسماعيليّة مجرّدة عن هويّة التشيّع. وانتقل المؤلّف بعد ذلك إلى الكلام عن الدولة البويهيّة و دور البويهيّين في التشيّع، و نشاطات الشيعة في العصر البويهي. و ناقش التشيّع في القرن الخامس. و تحدّث عن السلاجقة و معاداتهم للشيعة. ثمّ انتقل إلى التشيّع والحواضر الشيعيّة في القرن الخامس، والسادس. و ذكر مراسيم الشيعة و تقاليدهم في الغدير، و عاشوراء، والجمعة. و بعد ذلك تطرّق إلى التشيّع بطبرستان، ثمّ تشكيل الحكومة الإسماعيليّة في إيران. و ختم دراسته بالحديث عن الدولة الخوارزميّة والنزعة إلى التشيّع. و خصّص الصفحات الخمسين الأخيرة من كتابه لموضوع التشيّع و سقوط بغداد بأيدي المغول. و يسترعي انتباهنا في هذا الفصل براءة العالم الكبير نصيرالدّين الطوسي من تهمة تحريضه المغول على قتل الحاكم العبّاسي. و كذلك براءة الوزيرالشيعي ابن‌العلقمي من تهمة ممالأة المغول والتعاون معهم سرّاً للانقضاض على الحكم العبّاسي. و حديثه في هذا المجال مدعوم بالدليل والبرهان.

٤ - يلاحظ عدم الدقّة في نقل بعض المعلومات والنصوص من مصادرها الأصليّة، ممّا ولّد لنا صعوبات ضاعفت من مشقّة العمل، و لم تذلّل إلاّ بالرجوع إلى المصادر المعنيّة والتدقيق في نصوصها. فلم أكتف في ترجمة هذاالكتاب بالكتاب نفسه، بل نظرت في مصادره أيضاً حيثماتيسّرت، حرصاً منيّ على إتقان العمل وإحكامه، و حفاظاً على مستوى جيّد للترجمة.

نقرأ في موضوع: تأثير التشيّع في قم على المدن الأخرى أنّ الشيخ الطوسي روى أنّ امرأة من أهالي آبه أرادت إيصال مبلغ ٣٠٠ دينار إلى أبي‌القاسم بن روح. بينما كان المبلغ في‌المصدر الّذي أشار اليه المؤلّف ٤٠٠ دينار. و هناك أمثلة أخرى على عدم الدقّة أشرت إلى بعضها في‌الهوامش.

٥ - رجع المؤلّف إلى نصوص فارسيّة مترجمة عن العربيّة، و ليس من

الصحيح ترجمتها مرّة أُخرى إلى العربيّة لتضارب الاسلوبين. بل يحسن الرجوع إلى الأصل، لكن قد يكون الرجوع شاقّاً لأنّ النّص الفارسي قد شغل عدّة أجزاء من الكتب بينما نجد نصّه العربي في كتاب واحد. و أهمّ مثال هنا هو كتاب أحسن‌التقاسيم للمقدسي. فالمؤلّف اعتمد على ترجمته الفارسيّة في حين أن أصله عربي ممّا حداني على الرجوع إليه. و لم أجد إلاّ نسخة واحدة مطبوعة طبعة حجريّة في كليّة الالهيّات، فنظرت فيها و نقلت النصوص منها مباشرة. و قد تطلّب منيّ هذا العمل جهداً كبيراً و وقتاً كثيراً.

و هناك ملاحظات أُخرى يطول بنا المجال إذا ذكرناها جميعاً. و منها ماثبّتُّه في بعض هوامش الكتاب.

و في نهاية المطاف أودّ التذكير أنّ الدكتور أسداللهي عندما اقترح تعريب هذا الكتاب، فاتحت مجمع البحوث الإسلاميّة حول طبعه قبل أن يوافق أعضاء قسم اللغة العربيّة على تعريبه كاطروحة في مرحلة الماجستير. فلقيت مفاتحتي ترحيباً من لدن السادة المسؤولين في‌المجمع. و يحسن بي أن أُقدّم جزيل الشكر والتقدير لسماحة حجّةالإسلام والمسلمين الشيخ عليّ أكبر الهي الخراسانيّ رئيس مجمع البحوث الاسلاميّة على اضطلاعه بمهمّة إدارة المجمع، و جهوده المبذولة في هذا المجال.

كما أُقدّم بالغ الشكر والثناء للأخ الفاضل محمّد رضا مرواريد مساعد رئيس المجمع للبحوث والدراسات على استجابته المحمودة لاقتراحي طبع الكتاب، واختياره عنوان الكتاب فانّ عنوانه بالفارسيّة : تاريخ تشيّع در إيران. از آغاز تا قرن هفتم هجري. أمّا عنوانه العربي‌الّذي عرضه الأخ المذكور فهو: الشيعة في ايران - دراسة تاريخيّة ، منذ البداية حتّى القرن‌السابع‌الهجري. وهو عنوان رائع مناسب.

و لا يفوتني أن أشكر الأُستاذالكريم أحمدي بيرجندي على ما تفضلّ به من توضيح بعض النصوص والأشعار الفارسيّة المنقولة في هذا الكتاب، و له منّي كلّ تقدير.

و أودّ أن اُحيط القرّاء الكرام علماً انّني بعد فراغي من تعريب الكتاب وافاني ملحق أو مستدرك على الكتاب ألّفه الاستاذ جعفريان لمناسبة تعريب الكتاب.

وقد جاء المستدرك المذكور ليسدّ ما في الكتاب من خلل أو يزيّنه بإضافاتٍ مفيدة. و ها هو يُلحق في آخر الكتاب مكمّلاً له. و هو آية على جهود مشكورة بذلها المؤلّف المبجّل، كما يحمل دلالة على متابعته الصادقة للعمل و تعاونه الجادّ في هذا السبيل. فله من اللّه الأجر والثواب، و من القرّاء حسن الثناء.

هذا الكتاب بين يديك عزيزي القارىء، إن أجدتُ فيه نذلك ما أرجوه، و إنْ قصّرتُ فذلك مبلغي من العلم. و ما توفيقي إلاّ باللّه عليه توكّلت و إليه أُنيب.

الثامن من صفر ١٤١٦

علي هاشم الأسدي

مقدمة المؤلّف

توطئة

حالفني التوفيق في تأليف هذاالكتاب، إذ زاولت التدريس في إحدى الجامعات لموضوع بهذا العنوان كنت أُلقي دروسه على الطلّاب. يضاف إلى ذلك أنّ الشعور بالحاجة إلى مثله، الّذي عبّر عنه بعض العلماء، قد ترك بصماته على هذا الأثر المزجى.

و من المؤسف أنّ كثيراً من دروسنا الجامعيّة تفتقر إلى مادّة محدّدة. و على الرغم من أنّ هذا الموضوع يعتبر حسنة لاسيّئة إذا ما أخذنا بعين‌الاعتبار وجود الأساتذة الباحثين على الصعيد الجامعي، بيد أنّ هذه الدروس تُعرض ناقصة لفقدان الاستعداد في كثير من الحالات. و قد تطرح موضوعات لا تمتّ بصلة إلى موضوع‌الدروس.

من وحي ذلك كلّه، أتوقّع أن يكون هذا الكتاب مفيداً للأساتذة الكرام الراغبين في عرض بحوثهم المتعلّقة بتاريخ التشيّع في إيران إلى جانب البحوث الّتي يضمّها هذا الكتاب، كما أنّ مطالعته لا تخلو من ثمرة يقطفها التّواقون إلى موضوعه ـ

إنّ إعداد هذا الكتاب لم يتحقّق بالمستوى المطلوب من جرّاء المشاغل الفكريّة، فلابدّ من وجود النقائص فيه. و أحسب أنّ الباحث، في أيّ بحث كان، ينبغي أن يجدّ بنحو يطمئنّ إلى أنّه أنجز أفضل عمل في ظروفه الخاصّة. أمّا أنا فآسف على أنّي لم أستطع القيام بذلك العمل في كتابي هذا، بيد أنّ ما لا يُدرك

كلّه لا يُترك كلّه.

ثمّة موضوعات لها علاقة ثانويّة بالمباحث الأساسيّة في هذا الكتاب، و يمكن أن تشكّل وحدها بحثاً مستقلاً، لم تأخذ نصيبها من البحث كما هي أهله. و ليس هنا مجالها أيضاً.

و يحسن بي هنا أن أقدّم شكري للأساتذة الّذين أعانوني بتوجيهاتهم العامّة في استيعاب كثير من المسائل. و أخصّ منهم أُستاذي الجليل العلّامة السيّد جعفر مرتضى، و سماحة آيةالله السيّد مهدي روحاني، فهما و إن لم يطالعا الكتاب، بيد أنّهما أبديا توجيهاتهما الضروريّة على صعيد الاستشارات الفكرية في غير موطن.

و من الجدير ذكره في ختام هذا التوطئة أنّنا قد ناقشنا بعض الأبعاد الفكريّة القائمة بين التشيّع و إيران في كرّاس آخر قد صدر سابقاً، و هو بعنوان «بحث موجز حول العلاقة بين التشيّع و إيران»[1]. أمّا في هذا الكتاب فانّنا استعرضنا الأبعاد التاريخيّة للموضوع أكثر من غيرها مع بعض الإضافات المتعلّقة به - و إنْ كان ذلك الكرّاس مستقلاً و لم يرد في موضوعات هذا الكتاب - علماً أنّ الكرّاس المذكور طبع سنة ١٤٠٧ هـ من قبل القسم الثقافي للجهاد الجامعي في جامعة إصفهان.

رسول جعفريان

١٤١٠ هـ

---

١ - عنوان الكتاب بالفارسيّة: **تحقيقى كوتاه پيرامون رابطهٔ تشيّع و إيران.**

حول تغلغل التشيّع في إيران

إنّ إلقاء نظرة خاطفة على ماضي إيران يكشف لنا أنّ «تغلغل التشيّع» في إيران لم يكن مباغتاً، بل اتّخذ مجراه التدريجي ببطء على امتداد قرون من الزمان. و عندما نتأمّل في الحوادث الّتي لها علاقة بتنامي «النزعات الشيعيّة»، نستطيع أن نسجّل عدداً من المراحل الّتي تدرّج فيها التشيّع عند دخوله إلى إيران، بحيث يمثّل كلّ منها مرحلةً أشمل من سابقتها:

المرحلة الاولى، بين المَوالي الفرس في العراق.

المرحلة الثانية، تغلغل التشيّع في بعض المناطق المركزيّة من إيران كـ «قمّ».

المرحلة الثالثة، ازدياد حجم النزعات الشيعيّة بمجيء العبّاسيّين إلى الحكم.

المرحلة الرابعة، فتح طبرستان على أيدي العلويّين.

المرحلة الخامسة، قيام الحكومة البويهيّة.

المرحلة السادسة، بعد الغزو المغوليّ.

المرحلة السابعة، تسلّم الصفويّين لمقاليد الأمور.

و إذا أخذنا بعين الاعتبار هذه المرحليّة و أقررنا أنّ زمن المراحل المذكورة قد امتدّ عشرة قرون، فلا يمكن أن نلخّص البواعث على تغلغل التشيّع بواحد أو اثنين. و هذا يعود إلى أنّ كلّ عصر كانت تسوده ظروف خاصّة من الوجهة الثقافيّة، والسياسيّة، و الاقتصاديّة. و من الطبيعي أنّ موقف الناس من المذاهب والفرق يتباين أيضاً.

من هذا المنطلق، ينبغي أن ننظر إلى كلّ مرحلة على أنّها مستقلّة نسبيّاً عن المراحل الأُخرى، و أن نضع في حسابنا الظروف الخاصّة الّتي تتحكّم في كلّ مرحلة من شتّى الأبعاد. و إنّه لتفكير ساذج أن يفسّر المرء تغلغل التشيّع بالإشارة إلى وجه واحد من الموضوع، لا يعلم مدى قربه من الصواب.

على سبيل المثال، لا يمكننا أن نعتبر الوضع الروحي والثقافي لأُناس غُلبوا على أمرهم في السنة السادسة عشرة من الهجرة متكافئاً مع الوضع الروحيّ والثقافي لأُناس عاشوا بعدهم بمائة سنة، و كذلك لا تتكافأ قابليّاتهم واستعداداتهم.

و لا جرمَ أنّ الناس الّذين كانوا يعيشون في إيران إبّان القرن الخامس الهجري يختلفون كثيراً عن الّذين كانوا عرضة لغزوات العرب المسلمين. إذ إنّ البواعث العرقية والعنصريّة عندهم كانت تشهد عدّاً تنازليّاً، أو أنّ حدّتها خفّت بفضل التعاليم الإسلاميّة. و حينئذٍ لابدّ أن يتغيّر موقفهم حيال الفِرق المختلفة. فإذا كانوا قد تعرّضوا يوماً إلى هجمات الأُمويّين، فإنّهم استطاعوا أن يجيئوا ببني العبّاس في يوم آخر إلى الحكم، و أسّسوا في عصر من العصور حكومة مستقلّة لهم، بل حكموا بغداد ردحاً من الزمن.

و من البيّن أنّ هذه الظروف المختلفة إذا لم تؤخذ بنظر الاعتبار، فإنّ أخطاء كثيرة ستبرز في الاستنتاج.

و قد قويت نزعة الفرس إلى التشيّع عندما استولوا على بغداد (في العصر البويهيّ)، واتّقدت جذوتها عندهم سريعاً بعد استيلاء المغول عليهم.

و لنا أن نسأل في هذه الحالة عن علاقة هذا الموضوع بالتفسير القائل إنّهم اختاروا التشيّع بسبب الظلم الّذي لحقهم من بني أُميّة و حكّامهم، و ما عاشوه من عنت و ظروف عصيبة، و لأنّهم كانوا يريدون النضال تحت راية الإسلام الحقيقي لا إسلام الحكّام.

و في ضوء هذا التوضيح، لا سبيل لنا إلاّ أن نقول لهؤلاء الدارسين السطحيّين السذّج، الّذين استخلصوا نتائج كبيرة من خلال مقدّمات واهية، أن يعيدوا النظر في «تتبّع المجرى

التدريجي لتغلغل التشيّع في إيران والعوامل المتعلّقة به[١]».

إنّ هؤلاء الأشخاص يحلّلون تغلغل التشيّع في إيران من خلال عرض الأرضيّة الثقافيّة للفرس في القرن الأوّل الهجري، و كذلك عرض البواعث العرقيّة والقوميّة. و في الآن ذاته أُغفل كثير من القضايا الجزئيّة الّتي كان لها تأثير عامّ في نفوذ التشيّع، و قد تحقّق هذا التأثير في القرون التالية. و لابدّ لأيّ بحث ناصع من ذكر التاريخ الدقيق لدخول التشيّع في المدن والمناطق المختلفة، و استعراض القضايا الخاصّة بكلّ عصر جهد المستطاع.

و من الطبيعي أنّ المسائل الثقافيّة والحضاريّة لأيّ شعب تستأثر الاهتمام إجمالاً، و أنّ شعباً أَلِفَ ثقافة خاصّة معيّنة قروناً متواترة من الزمان لا يستطيع أن ينسلخ عنها بيسر. و ديمومتها رهينة بدور الثقافة الجديدة في المجتمع و موقفها من الثقافة القديمة. و كان هذا الموقف قويّاً من منظار الإسلام. و في الوقت نفسه كانت إقامة بعض المناسبات والمراسيم الجاهليّة الفارسية تُعدّ معْلماً على بقاء الرواسب الثقافيّة من الماضي. و كانت هذه المناسبات والمراسيم قائمة في القرون الاولى بين الفرس السنّة، والفرس الّذين كانوا ذوي ميول شيعيّة. يضاف إلى ذلك أنّها كانت ملحوظة عند العرب أنفسهم، حتّى إنّ الأمويّين أحيوا أُسطورة رستم و سهراب[٢]، و أنّ الحكّام الأمويّين والعبّاسيّين كانوا يقيمون المراسيم الخاصّة بيوم النوروز، والمهرجان، والآداب والتقاليد الفارسيّة، كما رحّبوا بكثير من التقاليد الساسانيّة[٣].

إنّ الاهتمام بهذه المسائل الثقافيّة - بعامّة - يمكن أن يحدّد بعض الخطوط في تاريخ

---

١ - انظر مثلاً: روند **نهضتهاى ملّى و اسلامى در ايران** [مسار الانتفاضات الوطنيّة والاسلاميّة في إيران] تأليف: إنصاف پور

٢ - **نقض** : للرازي ٦٧ . و عنوانه الكامل: **بعض مثالب النواصب في نقض بعض فضائح الروافض** لمؤلّفه عبدالجليل القزويني الرازي، و سنشير إليه في المتن أو في الهوامش القادمة بكلمة: **نقض**... كما فعل المؤلف. وهو كتاب فارسي عنوانه عربي كما يلاحظ.

٣ - انظر: **تحقيقى كوتاه پيرامون رابطهٔ تشيّع و ايران** : ٦٦ ، ٦٧ .

إيران برمّته. حتّى يتسنّى له أن يشكّل محوراً لتقويم «التطوّرات الفكريّة والثقافيّة» إلى حدّما. بيد أنّه ينبغي مراعاة الدقّة في هذا المجال، و توضيح التأثير الّذي تتركه هذه المسائل بنحو دقيق، لا أن تؤخذ نتائج كبيرة تحت عناوين عامّة، أو بسبب وجودها السطحي في ظواهر الأشياء.

و في مجال تحليل هذا الموضوع، استهديت بنصوص من الطراز الأوّل ما استطعت إلى ذلك سبيلاً، و استنرت بكثير من المصادر الجديدة حيثما كانت قريبة المنال.

و لا جرم أنّ كتابي ليس آخر محاولة في هذا المجال، إلّا أنّ الذي يبدو هو أنّه عرض بمجمله موضوعات جديدة. و نحيل الحكم عليه إلى القرّاء الكرام.

و نستهلّ حديثنا ببحث يرتبط بالأشكال الّتي ظهر فيها التشيّع و بعض الأسباب الباعثة على تأثيره في نفوس الناس، و ذلك قبل أن نشرع بشرح تغلغل التشيّع في نفوس الموالي، ثمّ في إيران.

الأشكال الّتي ظهر فيها التشيّع

إنّ أوّل البواعث على استقلاليّة التيّار الشيعي عن سائر المسلمين هو النظرة الخاصّة الّتي يحملها الشيعة حيال إمامة أميرالمؤمنين- عليه‌السّلام. و يعتبر هذا الموضوع أمراً إلهيّاً من منظار التشيّع. و هذا ما أفضى به إلى الخروج من الطابع السياسي المحض، ليعرض في إطار عقيدي.

و عندما أبدى الإمام عليّ ـ عليه‌السّلام ـ مرونته مع الخلفاء شكليّاً، ظلّ هذا الموضوع يحوم في نطاق حواريّيه دون غيرهم. و لمّا أيقظت الظروف السياسيّة الناس فشعروا أنّ عليّا- عليه‌السّلام - وحده هو الخليق بقيادة المجتمع، انثالوا عليه و بايعوه. وكانت بيعتهم بيعة الخلافة، لا بيعة الإمامة بالمفهوم الشيعي. بيد أنّ بينهم ثلّة قد بايعوه بيعة خاصّة في ضوء وعيهم حديث الغدير، مضافاً إلى البيعة العامّة الّتي سايروا فيها جماهير الناس، واعتبروا أنفسهم أولياء مَن والى، و أعداء من عادى.

و ذكر الطبري هذا الموضوع بالمفهوم المشار إليه[١]. إلاّ أنّ القضيّة كانت أهمّ من ذلك.

و عندما قدم الإمام أميرالمؤمنين ـ عليه‌السّلام ـ إلى الكوفة، فإنّ قدومه كان من أجل إعداد الناس الّذين قلّما تلوّثوا بالأفكار الباطلة، و غرس بذرة التشيّع الحقيقي في أعماق وجودهم. فالإمام كان يرى أنّ شخصيّته قد غُمِرت تلك الفترة، فعليه أن يعرّف نفسه و يفرض شخصيّته و يُشعر الناس بأبعادها المجهولة. وجدّ في ذلك و بذل حمادى جهده من أجله. و أوّل خطوة قام بها هو أنّه أشهد عدداً من البدريّين على حديث الغدير في «رحبة المسجد» بالكوفة. و شهد على ذلك اثناعشر رجلاً كانوا حاضرين. و نقل المرحوم الأميني في كتاب «الغدير» تفصيل القصّة[٢]. كما أراد الإمام أن يشعر الناس أنّ شخصيّته تختلف عن شخصيّة الخلفاء السابقين، و أنّ لها أبعاداً أُخرى غير البعد السياسي، و ذلك من خلال إخباره الصريح بالغيب، المأثور عن الطرق المختلفة للفريقين. و هذا هو ما يتمسّك به الشيعة. و من جهوده لتعزيز التيّار الشيعي كلماته المفصّلة في «نهج‌البلاغة» حول أهل البيت ـ عليهم‌السّلام ـ و فضائلهم و علومهم، و تعابيره الّتي تعطينا مفهوماً شيعيّاً عن «الإمامة و الولاية» بشكل صريح[٣].

و هذا كلّه يدلّنا على أنّ الإمام ـ عليه‌السّلام ـ أنشأ خطّاً فكريّاً مستقلًّا، مضافاً إلى قيامه بإدارة الشؤون المختلفة، و قتاله «الفاسقين»، فقد أرسى دعائم «الفكر الإسلامي الصحيح» في قالب التشيّع، و آتت جهوده أُكلها، فقد تربّت ثلّة من أصحابه كانوا مستعدّين للتمثيل بهم دون أن يتنازلوا عن خطّه و نهجه. و نلحظ ذلك في الشعر الّذي ارتجز به

---

١ ـ تاريخ‌الطبري ٣ : ٤٦.

٢ ـ انظر : الغدير ١ : ٦٦ ؛ شرح نهج‌البلاغة لابن أبي‌الحديد ١ : ٣٦٢ ؛ أُسدالغابة ٣ : ٣٠٧ و ٥ : ٢٠٥ ؛ الإصابة : ٢ : ٤٠٥ و ٤ : ٨٠ ؛ مسند أحمد ١ : ٨٤ و ٨٨ و ١٨٨ ؛ مجمع الزوائد ٩ : ١٠٧ ؛ صفة‌الصفوة ١ : ١٢١.

٣ ـ نقلنا هذه النقاط بشيء من التفصيل في كتاب تاريخ سياسى اسلام قسم «تاريخ الخلفاء» فى البحث عن خلافة الامام علي ـ عليه‌السّلام.

المقاتلون في صفّين، إذ انتهجوا «دين عليّ» - عليه‌السّلام - في مقابل «دين عثمان»[١].

و هكذا كان واضحاً وجود خطّ فكريّ خاصّ للإمام - عليه‌السّلام - و أنصاره.. ذلك الخطّ الّذي كانوا قد وطّنوا أنفسهم على التضحية من أجله. وكانوا يشعرون أنّهم لو تبرّأوا من هذا الخطّ الصحيح، فانّهم تبرّأوا من الإسلام حقّاً. و هذا الموضوع نفسه مطروح في معرفة العلوم الإسلاميّة. فإنّ مسائل من قبيل «الجبر» و «الاختيار» لم تطرح في أواخر القرن الأوّل الهجري، بل كانت مطروحة منذالبداية. كما نلحظ ذلك في القرآن الكريم إذ عرضها في مجال موقف المشركين من النبيّ - صلّى اللّه عليه و آله[٢]. شأنها في ذلك شأن مسألة «التوحيد» و «التشبيه». و كان للإمام علي - عليّه السلام - موقف صريح منها، فخطبه الواردة في «نهج البلاغة» حول «التوحيد» و صفات اللّه، و نفي «التشبيه» و «التجسيم» تحمل أسمى المفاهيم الفلسفيّة، و تدلّ على عقيدة الشيعة في مقابل «التشبيه» و «التجسيم» كما تشير إلى أنّ لهم خطّاً عقيديّاً لا غبار عليه.

أمّا في حقل المسائل الفقهيّة، فعلى الرغم من عدم وجود مدرسة فقهيّة خاصّة في القرن الأوّل، إلاّ أنّ آراءً مختلفة كانت معروضة وقتذاك. و نلحظ هنا أنّ الآراء الفقهيّة للإمام عليّ - عليه‌السّلام - كانت تحظى بالاحترام عند من يؤمن بأفضليّته. وكان «العلويّون» و «الشيعة» يعوّلون على آرائه و يؤثرون موقفه الفقهي على مواقف الآخرين.

و نقرأ أنّ ابن عبّاس - و هو من مشاهير الصحابة - كان يقدّم قول عليّ - عليه‌السّلام - على أقوال الآخرين[٣]. حتّى إنّه كان يجيزالمتعة. و هذا يدلّ على أنّ بني هاشم كانوا يلتزمون بالآراء الفقهيّة للإمام - عليه‌السّلام.

بيد أنّ هذا الخطّ الفكري والعقيدي الّذي يمكن أن نستشفّ من ثنايا التاريخ والفقه مواقف كثيرة لتأييده و دعمه في القرن الأوّل، كان مطروحاً عند «الشيعة» و «العلويّين» و «الأئمة الطاهرين - عليهم‌السّلام». و إن كانت مسائل فقهيّة شيعيّة تُلحظ نوعاً ما عند من

---

١ - تاريخ الطبري ٣ : ٣٣١ .

٢ - النحل / ٣٥ ؛ الأنعام / ١٤٨ ؛ الزخرف / ٢٠ .

٣ - أنساب الأشراف للبلاذري ١ : ١٠٠ (تحقيق المحمودي) : إذا حدّثنا ثقةٌ عن عليٍّ بفُتيا لم نعدها.

يقرّ بأفضليّة عليّ - عليه‌السّلام - (لا بامامته) من أهل السنّة.

و من الضروري في ضوء التوضيح المتقدّم أن نعرض شكل التشيّع بعد أمير المؤمنين بنحو متميّز. و يمكن الإشارة في هذا المجال إلى الأبعاد الثلاثة للتشيّع.

أ - التشيّع السياسي

من المؤسف أنّ كثيراً من الباحثين قد خلط سهواً و تسرّعاً بين التشيّع السياسي، والتشيّع الحقيقي. إنّ «التشيّع السياسي» يعني وجود جماعة في التاريخ كانت لا تؤمن بالمبادىء الفكريّة للشيعة، أو لم تكن على معرفة بها، إلّا أنّها اتّجهت اتّجاهاً سياسيّاً معيّناً يدعم قيادة أهل البيت - عليهم‌السّلام - لا بوصفهم «منصوبين من‌اللّه تعالى»، و نهضت معهم ضدّالظلم الّذي كان يمارسه الحكّام. أو أنّها كانت على الأقل منسجمة فكريّاً مع ذلك التوجّه.

و خلاصة ما في هذا التشيّع أنّ تلك الجماعة المنتمية إلى البيت العلوي، والّتي انتفضت ضدّ الأمويّين، كانت تتمتّع بالكفاءة القياديّة أكثر من الآخرين. و لا ينطلق هذا التوجّه من إيمانهم أنّ العلويّين خلفاء النبيّ - صلّى‌اللّه عليه و آله - والمنصوبون من اللّه تعالى، بل ينطلق من رؤيتهم أنّهم أهل للخلافة.

و كان هؤلاء الأشخاص موجودين بين كثير من التابعين والمحدّثين والفقهاء. وكثير منهم كان يقرّ بالأحاديث المأثورة عن طريق السنّة، و ربّما نقلوا روايات عن أئمّة الشيعة أيضاً. بيد أنّهم لم يلزموا أنفسهم بالسماع عن طريق أهل البيت - عليهم‌السّلام - فحسب، و لم يقرّوا بفقه آل محمّد - صلّى‌اللّه عليه و عليهم - تماماً. و في الوقت نفسه كانوا يتّفقون في تفضيلهم على الآخرين، بخاصّة في ما يرتبط بموقفهم ضدّ الحكّام.

يضاف إلى ذلك، أنّ ما يمكن أن يميّزهم عن الآخرين هو تفضيلهم عليّاً - عليه‌السّلام - على غيره عند تقويم المكانة المعنويّة والعلميّة للخلفاء. ممّا أدّى إلى أن يُعرفوا بالشيعة في مقابل أهل السنّة.

و قد رسخت هذه المسألة في كتب الجرح والتعديل لأهل السنّة، إذ وصفوا شخصيّات القرون الثلاثة الأُولى بالتشيّع حسب المفهوم المشار إليه، و عرّفوا كثيراً منهم بقولهم: «فيه تشيّع يسير». و حدّدت هذه الكتب الفارق بين هؤلاء و بين أتباع التشيّع الحقيقي الصريح، و غيّرت الألفاظ الّتي تعبّر عن نزعاتهم المذهبيّة، نحو: «شيعيّ غالٍ»، و «رافضيّ». و هنا يستبين أنّ تشيّع المعبّر عنه هكذا أقوى، و يتوكّأ على مواقفه العقائدية المرتكزة على العقيدة الشيعيّة. أمّا اصطلاح الشيعة فانّه كان يطلق عادةً على من يقدّم عليّاً – عليه‌السّلام – على غيره من الخلفاء، و لا سيّما الخليفة الثالث[1].

و من الطبيعي أنّ هؤلاء الأشخاص الّذين كانوا يعتقدون بأفضليّة الإمام علي – عليه‌السّلام – على الخلفاء – (كلّهم أو على عثمان بشكل خاص) – كانوا يرجّحون آراءه الفقهيّة أيضاً بطريق أولى، بيد أنّهم لم يؤكّدوا على ذلك، بخاصّة أنّ طرق أهل السنّة كانت ضعيفة لعرض فقه أميرالمؤمنين – عليه‌السّلام. و يعود ذلك إلى الحظر الّذي مارسه الأمويّون و بعدهم العبّاسيّون على امتداد قرن أو قرنين. حتّى أنّ ما كان يُنقل عن طريق أهل السنّة، كان يُعرَض على أنّه موافق للشيخين. و لذلك نجد أحياناً تحريفاً متعمّداً في أقوال الامام علي – عليه‌السّلام – سواء كانت في الفقه، أم تفسير القرآن، أو غيرهما. كما افتروا و تقوّلوا عليه جهرة. و محصّلة هذا التوجّه هو مناوأة الشيعة والاصطدام بهم.

و عند ما كانت هذه الطرق الضعيفة موجودة، و كان هناك أشخاص من هواة التشيّع السياسي يثقون بها و يعتمدون عليها، فإنّ المسافة بينهم و بين التشيّع العقيدي كانت تزداد يوماً بعد آخر. و يمكن أن نذكر «الزيديّة» من بين الفرق الشيعية الأُخرى في هذا المجال، فإنّ فريقاً من الزيدية كان يتمسّك بالنصّ الخفيّ في الإمامة مقابل «النصّ الجليّ» الّذي كان يتمسّك به الشيعة الاثنا عشريّة، بيد أنّ محاور افتراقهم عن الآخرين تتمثّل في قضايا سياسيّة و فكريّة في آن واحد. ففي مجال الإمامة كانوا يقرّون بامامة العلويّين فحسب. وكثير منهم لم يعتقد بنصّ في هذا المجال. و كانوا يدعمون «القائم بالسيف» من العلويّين حيثما كان. و يؤمنون بخلافة الشيخين مع إقرارهم بأفضليّة الامام

---

١ – نورالقبس: ٣١٠، ٣٨٦. «كان يتشيّع و يقدّم عليّاً على عثمان».

عليّ ـ عليه‌السّلام ـ و من الواضح أنّ هذا التوجّه كان نابعاً من حركة «زيدبن علي - عليه‌السّلام» إمام هذه الفرقة. علماً أنّ هذا لا يعني أنّ عقيدة زيد مماثلة لعقيدة الزيديّة أنفسهم.

و عندما سُئل من قبل الشيعة عن الخلفاء، لم يبرأ منهم، لأنّه كان يرمي إلى التفاف الشرائح المختلفة بشتّى نزعاتها المذهبيّة حوله.

و بناءاً على ما نقل في هذا المجال، فقد بايعه أشخاص من الشيعة، والمعتزلة، والمرجئة، و حتّى الخوارج[1]. يقول القاضي نوراللّه: «لم يطالب زيد بالخلافة، بل كان هدفه الثأر لأهل‌البيت. و كان يطمح إلى التفاف الناس حوله بأيّ أُسلوب كان... فكلّ من كان ممتعضاً من فجور الأُمويّين و تصرّفاتهم الشريرة وقتذاك، كان يصطحبه معه، سواء كان سنّيّاً، أو معتزليّاً.

(و لهذالسبب) كان يحجم عن إظهار البراءة من الشيخين[2]». و هذا التوجّه الّذي كان عليه زيد هو الّذي أوهم الزيديّة فجعلهم يعتقدون أنّ زيداً كان يقرّ بالشيخين دون أن يلتفتوا إلى ظروفه و نواياه، بينما كان موقفه المذكور سياسيّاً محضاً. و لذلك عند ما كان يلفظ أنفاسه الأخيرة، و رأى أن لا محيص من التسليم قال: «**أين سائلي عن أبي‌بكر و عمر؟ هما أقاماني هذا المقام**[3]»

تتّفق الزيديّة مع الشيعة الإماميّة، كما نلحظ في بعض المسائل الفقهيّة الّتي أُحرز افتراقهم فيها عن سائر المسلمين حتّى عصر زيد ـ مثل: حيّ على خيرالعمل في الأذان، و ذكر التكبيرات الخمس في صلاة الميّت ـ، بيد أنّ المسألة الرئيسة تكمن في الاتّجاه «السياسي الشيعي». و عندما ثار «إبراهيم بن عبداللّه» في‌البصرة، كان يكبّر أربعاً في صلاةالميّت تبعاً لزيد. و ذكر أنّ السبب الّذي دعاه إلى ذلك هو

---

١ - **الحورالعين**: ١٨٥.

٢ - **مجالس‌المؤمنين** ٢: ٢٥٥ ـ ٢٥٦. طبعة إسلاميّة ١٣٧٦ هـ.

٣ - **مجالس‌المؤمنين** ٢: ٢٥٤. عن عبدالرحمن الهمداني في كتاب الألفاظ الّذي نقله عن أصحاب التواريخ. فراجع بحثنا حول موقف زيد من القضية في قسم الخلفاء من «تاريخ سياسى اسلام»

طموحه في توحيد القوى المقاتلة[١]. و أثبت بذلك، الاتّجاه السياسي لحركة «الزيديّة».

و تمسّك الزيديّة بفقه «أبي حنيفة» لعدم إيمانهم بالتشيّع العقيدي. و لذلك يقترب علماؤهم من الفقه الحنفي كثيراً في كتبهم الفقهيّة. و كانوا يؤلّفون و يصنّفون وفقاً لهذا التوجّه[٢]. و عرفوا في المسائل الاعتقاديّة بميولهم المعتزليّة[٣].

يقول عبدالجليل الرازي: «الزيديّة طائفة من أمّة محمّد – صلّى‌الله عليه و آله ـ يقرّون بالتوحيد والعدل و عصمة الأنبياء، و يرون أنّ الامام الحقّ بعد المصطفى ـ صلّى‌الله عليه و آله ـ هو الإمام عليّ المرتضى ـ عليه‌السّلام. و يقولون بالنصّ الخفيّ، و يعتقدون بعصمة عليّ، والحسن، والحسين. و يذهبون إلى إمامة زيد بن علي (الرضا) بعد أبيه زين العابدين – عليه‌السّلام. و يأخذون بفقه أبي حنيفة و لهم اجتهاد يتّفق مع مذهب الفريقين، و يجيزون القياس في التفريعات على عكس ما يرى الشيعة.[٤]». و جاء في «تبصرة العوام»: «إعلم أنّ عقيدة الزيديّة في أُصول الكلام هي عقيدة المعتزلة... و الأدلّة الشرعيّة عندهم هي القياس، والرأي، والاجتهاد، والاستحسان. و أكثر مذهبهم القياس والاستحسان ...[٥]». و من هذا المنطلق كان الزيديّة يتقبّلون شتّى التهم في الكتب الرجاليّة. و هذا صحيح عادةً[٦].

---

١ – **مقاتل‌الطالبيّين**: ٢٢٣. طبعة‌النجف ١٣٨٥ هـ [قال ما نصّه: إنّ هذا أجمع للناس].

٢ – **عمدة‌الطالب**: ١٧٧، ابن عنبة. «يحيى الهادي من أئمّة الزيديّة، له تصانيف كبار في الفقه قريبة من مذهب أبي حنيفة».

٣ – نفسه: ١٠٣ «النفس الزكيّة يرى رأي الاعتزال». و هذا يعود إلى ما قيل أنّ زيد بن علي ـ عليه‌السّلام ـ كان تلميذ واصل بن عطاء المعتزلي. و من الطبيعي أنّ هذا الرأي مرفوض عند بعض الباحثين. أُنظر: **(سيرة و قيام زيد بن علي)**، كريميان ص ٨١ ـ ٨٢. طهران ١٩٨٥ م. [سيرة زيدبن علي و ثورته].

٤ – **نقض**: ٤٥٨. للرازي. و عنوانه الكامل **بعض مثالب النواصب في نقض بعض فضائح الروافض**.

٥ ـ **تبصرة العوام**: ١١٧. نقلاً عن **سيره و قيام زيدبن علي – عليه‌السّلام**: ٣٧٢.

٦ – قيل في عمروبن‌ابراهيم مثلاً: الزيدي‌الكوفي الحنفي الشيعي المعتزلي. أفتى بمذهب أبي حنيفة ظاهراً، و بمذهب زيد تديّناً. انظر: **ميزان الاعتدال** للذهبي ٣: ١٨١.

مع هذا كلّه، فانّ اعتبار الزيديّة في عداد الفرق الشيعيّة يعود إلى ما اتّسمت به من التشيّع السياسي، و إنْ كانت هناك بعض مواطن الالتقاء الجزئيّة مع الشيعة الإماميّة في عقائدها. و كان كثير من الشخصيّات السنيّة على امتداد القرن الأوّل الهجري و ماتلاه ذوي توجّهات شيعيّة نوعاً ما. بيد أنّه توجّه شيعي في بعده السياسي.

و نقل لنا التاريخ أنّ أبا حنيفة ـ و هو من كبار الشخصيّات السنيّة ـ كان في موقفه السياسي يتعاطف مع العلويّين الّذين ثاروا ضدّ الأُمويّين بل ضدّ العبّاسيّين. و من هؤلاء زيد بن عليّ الّذي حظي بدعم صريح من قبل أبي حنيفة[١]. لكنّ أهل السنّة لم يجرأوا على اتّهامه بالتشيّع، لأنّه كان في فقهه بعيداً عنه للغاية. أمّا الآخرون فقد اتُّهموا بالتشيّع مع أنّهم ليسوا بعيدين عنه بهذا الحجم في فقههم. حتّى نال الاتّهام كبار أهل السنّة كأبي بكر البيهقي[٢]. و كما ذكرنا سابقاً، فإنّ تعابير علماء الجرح و التعديل من السنّة تدلّ على قوّة التشيّع و ضعفه في هؤلاء الأشخاص.

يقول الذهبي مثلاً في نصربن مزاحم الّذي كان شيعيّاً عقيديّاً: «رافضيٌ جَلد[٣]». و قيل في يونس بن خبّاب الأُسيْدي: «فيه شيعيّة مفرطة[٤]». أمّاالأشخاص الّذين ينقلون روايات أهل البيت و فضائلهم، فانّهم يتّهمون بالتشيّع كثيراً و لكن بلهجة خفيفة. كما أنّ أشخاصاً من المعتزلة قد اتّهموا بالتشيّع[٥]، و ربّما اتّهم أشخاص من الشيعة بالاعتزال أيضاً[٦]. علماً أنّ الاتّهام بالتشيّع يعود إلى أحد الأسباب المشار إليها. و لا ينبغي أن نخال ذلك بمعنى التشيّع العقيدي أبداً. إذ إنّ آية التشيّع العقيدي الواردة في هذه الكتب عادة، القدح في الصحابة[٧]، أو الإيمان بالرجعة والتقيّة، أو «البغي على ولاةالجور».

و ثمّة تعابير من قبيل: «كان من غُلاة الشيعة» تدلّ على هذا المفهوم[٨].

---

١ - مقاتل الطالبيّين: ٩٩.

٢ - روضات الجنّات ١: ٢٥٢، ٢٥٣.

٣ - ميزان الاعتدال ٤: ٢٥٣.

٤ - نفسه ٤: ٤٧٩.

٥ - نفسه ٤: ٥٨.

٦ - رياض العلماء ١: ٨٨.

٧ - ميزان الاعتدال ٣: ٣٢٤ ـ ٣٢٥.

٨ - نفسه: ٤١٠، ٤٤٩. و قد يستعمل هذا التعبير في الغلاة الحقيقيّين كالمغيرة بن سعيد.

و على الرغم من أنّ اصطلاح (الغلاة) يطلق على الأشخاص الّذين هم من الغلاة حقّاً. أمّا في الكتب الرجاليّة السنيّة، فإنّ هذا الاصطلاح يلصق غالباً بالأشخاص الذين هم من ذوي‌التشيّع العقيدي المعتدل.

و الطريف أنّ الطبري ـ المؤرّخ و المفسّر المشهور ـ لم يسلم أيضاً من تهمة التشيّع. فقد قيل فيه : «ثقة صادق فيه تشيّع و موالاة لا تضرّ[1]».

و سرت هذه التهمة إلى «عبدالرّزاق بن همّام» مؤلّف المصنّف لأنّه :«حدّث بأحاديث في‌الفضائل لم يوافقه عليها أحد[2]».

و هكذا قيل في الحاكم النيسابوري (مؤلّف مستدرك الصحيحين)، و «أبي نعيم الاصفهاني[3]».

و هذا ما دعا كثيراً من الباحثين الشيعة إلى اعتبار هؤلاء في عداد الشيعة.

و نقل المرحوم السيّد عبدالحسين شرف‌الدين في الموضوع المتعلّق بأسماء رواة الشيعة في كتب أهل السنّة، أسماء أشخاص ليسوا من الشيعة العقيديّين. بل وصفوا بالتشيّع لنقلهم رواية في « فضائل أهل البيت »، أو تأكيدهم على أفضليّة عليّ ـ عليه السّلام ـ على الخلفاء.

و لذلك لا يمكن اعتبار هؤلاء في عداد الشيعة. مع أنّ عدداً من الشيعة العقيديّين وردت أسماؤهم في مصافّ رواة«الصحاح». كما قال «الذهبي» في «عبادبن‌يعقوب»: «من غلاة الشيعة و رؤس البدع[4]».

و يضيف أنّ «البخاري»، و «الترمذي»، و «ابن ماجه»، و«ابن‌خزيمة»، و«ابن‌أبي‌داود» نقلوا عنه الحديث.

يقول «الذهبي»: حتّى يقال للشيعي الغالي أيضاً في زمن السلف: «هو من تكلّم

---

١ - ميزان الاعتدال : ٤٤٩.

٢ -نفسه ٢ : ٦١٠.

٣ - نقل مؤلّف كتاب روضات‌الجنّات في ج ١، ص ٢٧٣ معلومات عن أبي نعيم الاصفهاني تحكي أنّه كان في باطنه شيعيّاً حقيقيّاً و كلّ ذلك لا يصحّ مع وجود كتابه بعنوان «الرّد على الرافضة» المطبوع اخيراً.

٤ -ميزان الاعتدال ٢ : ٣٧٩.

في عثمان والزبير و طلحة و معاوية و طائفة ممّن حارب عليّاً رضي‌اللّه عنه و تعرّض لسبّهم[١]».

و يضيف قائلاً : «والغالي في زماننا و عرفنا، هوالّذي يكفّر هؤلاء السّادة و يتبرّأ من الشيخين[٢]».

طبيعيّاً، لا دليل على قبول هذا الموضوع بالنسق المشار إليه. علماً أنّ اصطلاح «الشيعي» لم يستعمل ليشمل كلّ شيعيّ إماميّ وقتذاك.

و ما جاء في كتاب **المراجعات**[٣]، ورد في بعض الكتب الاخرى أيضاً بشكل موجز[٤].

و من الضروري أن نشير هنا إلى جهود عدد من العلماء[٥] في عرض بعض الشخصيّات على أنّهم من الشيعة.

و من المؤسف أنّ هذه المسألة لا تدرّ فائدة تذكر، لأنّ هؤلاء ليسوا شيعة حقّاً. ولو اتّهموا بالتشيّع فإنّ كلامهم (على‌الأقل) لا يُعدُّ معوَّلاً عليه لإقناع الآخرين. كما ليس هناك ضرورة تدعو إليه.

ب -التشيّع العقيدي

في ضوء حديثنا عن التشيّع السياسي، يتحدّد موقع التشيّع العقيدي أيضاً.

و بناءاً على ما ذكرنا سابقاً، فانّ الحدّالفاصل بين التشيّع و بين التسنّن كان متميّزاً منذ القرن الأوّل. و يعود ذلك إلى بعده السياسي. و كان اتّجاهه العقيدي في قسم من المسائل الفقهيّة و بعض الاصول الاعتقاديّة متبلوراً.

و هذا الموضوع يخصّ أتباع الأئمّة الّذين يعرفون في الكتب الرجاليّة بأصحاب

---

١ - **ميزان‌الاعتدال** ١ : ٦ . على سبيل‌المثال جاء في ج ٢ ص ٥٦٩ من الكتاب المذكور حول عبدالرحمن بن صالح أنّه «ألّف كتاباً في مثالب الصّحابة». ٢ - نفسه .

٣ - للسيّد عبدالحسين شرف‌الدّين.

٤ -كتاب **تأسيس الشيعة لعلوم الاسلام**. إنّ بعض الأشخاص الّذين وصفوا بالتشيّع هنا هم شيعة بالمعنى البسيط للتشيّع.

٥ - كالمامقاني في **تنقيح‌المقال**. فقد اعتبر «الواقدي» مثلاً شيعيّاً بينما كان قاضياً لهارون العبّاسي، و كتابه يضمّ موضوعات لا تؤيّدها الشيعة بحال من الأحوال. و يحتمل أنّ تولّيه منصب القضاء كان بإذن الإمام المعصوم! و ذهب إلى ذلك صاحب **أعيان‌الشيعة** أيضاً !

الأئمّة.

أمّا في القرن الثاني فقد اتّسع نطاق الهويّة العقيديّة كثيراً إلى الحدّ الّذي كانت فيه الهويّة الثقافيّة أهمّ مسألة في نطاق «الاماميّة».

أمّا الزيديّة فقد ظلّت هويّتهم السياسيّة في القرون التالية.

يقدّم لنا «أبان‌بن‌تغلب» أحد أصحاب الامامين: الباقر، والصادق - عليهماالسّلام - (العصر الّذي كان فيه الحدّ العقيدي والفقهي متميّزاً تماماً)[1] تعريفاً للتشيّع العقيدي في غاية الروعة، فيقول: «**الشيعة الّذين إذا اختلف الناس عن رسول‌اللّه أخذوا بقول عليّ - عليه‌السّلام - و إذا اختلف الناس عن عليّ - عليه‌السّلام - أخذوا بقول جعفربن‌محمّد - عليه‌السّلام -**[2]».

---

١ - إنّ ما بين القوسين يعبّر عن وجود التحديدات منذ البداية. بيد أنّها تميّزت في عصر الإمامين: الباقر والصادق عليهماالسلام. و يعود ذلك لأسباب منها: أنّ الشيعة كانوا يمارسون حتّى تلك الفترة نشاطاً سياسيّاً، فمن الطبيعي أن تظهر الخلافات الأساسيّة في ضوء النزعات السياسيّة المختلفة الّتي جسّدها«الأئمّة»، و «التوّابون» ، و «المختار»، و «محمّدبن‌الحنفيّة»، و «الزيديّة» في فترة متأخّرة. حتّى إنّ العبّاسيّين كسبوا شريحة من الشيعة في غضون ذلك. و كانت هذه ضربة أساسيّة ضدّ كيان التشيّع. لذلك كان من الضروري ممارسة نشاط ثقافي شيعيّ على نطاق واسع، لترسى دعائم حركة فكريّة شيعيّة تمثّل القاعدة الّتي تنطلق منها المواقف السياسيّة، والرصيد الضامن لخلود هذه المسيرة في‌التاريخ. و منها أنّ القرن الثاني كان يعتبر عصر تدوين الحديث، والفقه ، والعلوم الاسلاميّة الأخرى. إذ كان السنّة في القرن الأوّل قد منعوا تدوين الحديث عملاً بأوامر الخليفة الثاني، ثمّ بدا لهم أن يدوّنوه. و من الطبيعي أن تظهر انحرافات كثيرة في ضوء الأرضيّة المنحرفة الّتي يستتبعها عدم التدوين بينهم، و عدم وثوق رواتهم. و عند ما حان وقت التدوين، فانّ انحرافات أكثر من الاولى ربّما تظهر، إنْ لم يمارس أهل‌البيت - عليهم‌السّلام - حركة ثقافيّة صحيحة معزّزة بتدوين الحديث، و كذلك يكتنف العلوم الاسلاميّة مستقبل لا تُحمد عقباه. و كان دور الامامين الباقر والصادق - عليهماالسّلام - رائعاً جدّاً في التذكير بالانحرافات و عرض آراء المخالفين و تفنيدها. و يتطلّب هذاالموضوع وحده بحثاً مستقلّاً. و منها: أنّ المجتمع الإسلامي قد تعرّض في هذاالقرن إلى هجوم الأفكار الأجنبيّة الغريبة، ممّا هيّأ الأرضيّة للانحراف مع تأثيره على ازدهار الفكر الديني. كما نقرأ أنّ شرائح قد مُنيت بهذا البلاء. و من المهم جدّاً في هذا المجال دراسة دور الأئمّة - عليهم‌السّلام - في تصحيح هذه الانحرافات و تطهير الأفكار الدينيّة بخاصّة الأفكار الشيعيّة منها.

٢ - **رجال النجاشي** : ٩.

يبيّن لنا هذا التعريف أنّ قول الإمام عليّ ـ عليه‌السّلام ـ وحده يعوّل عليه عند الشيعة. و إذا ماطرأ خلاف في هذا المجال، فإنّ قول «جعفر بن محمّد ـ عليه السّلام ـ» هو المقبول فحسب. و يعود ذلك إلى أنّ لأهل السنّة أيضاً طرقاً لنقل روايات الإمام علي ـ عليه‌السّلام. و هذه الطرق – كما مرّ بنا – لا يقرّ بها الشيعة لأسباب مختلفة. فالشيعي – إذن – هو من يأخذ الأحاديث النبويّة عن طريق الإمام عليّ ـ عليه‌السّلام ـ و بعده عن طريق الأئمّة – عليهم‌السّلام – فحسب. لذلك نجد في عصر أبان أنّ الإمام جعفر الصادق ـ عليه‌السّلام ـ كان إمامه. و هكذا فانّ أئمّة الشيعة ينقلون الأحاديث عن آبائهم دون غيرهم.

و من هذا المنطلق فانّ منهل المعارف و العلوم الشيعيّة هم الأئمّة – عليهم‌السّلام – ليس غيرهم، و هم المتّصلون بمعدن الوحي والرسالة.

وكان هناك مخطّط عقيديّ و فقهيّ للشيعة بنحو محدود منذالبداية. إذ كان متميّزاً أنّ أتباع عليّ ـ عليه‌السّلام ـ هم وحدهم يتفاعلون مع أفكاره و آرائه الفقهيّة. و اتّسع نطاق هذا المخطّط سياسيّاً و دينيّاً على مرّ العصور، بخاصّة عندما استطاع أئمّة الشيعة عرض فقههم المفصّل في ظلّ الأجواء المساعدة. و كان للإمام علي ـ عليه‌السّلام ـ كيان تنظيميّ مستقلّ منذ عصر الخلفاء، بل منذ عصر النبيّ ـ صلّى‌اللّه عليه و آله ـ و حاول الآخرون ضربه. و هذه المفردة قد كبر حجمها في عصر الخلفاء في ضوء ما كان يتمتّع به الإمام من تفوّق علميّ. على سبيل المثال، عندما طُرحت مسألة حول الصيد في الحجّ، أفتى الإمام خلاف فتوى عثمان، فقال له الأخير: **إنّك لكثيرالخلاف علينا**[1]! و يعبّر هذا الموضوع عن وجود الخلاف في الرؤية و المنهج. و من الطبيعي أنّ أنصار عليّ – عليه‌السّلام – كان لهم مخطّط محدود يميّز فقههم عن الآخرين، لا سيما عن الّذين كانوا يصرّون على تطبيق فتاوى الخلفاء. و أثبتنا في الأقسام التمهيديّة لكرّاسنا المشار إليه أدناه[2] أنّ الايمان بامامة أميرالمؤمنين – عليه‌السّلام – كان مشهوراً بين الصحابة منذ البداية. و كثير منهم كانوا على هذاالخط. و جئنا بأدلّة أيضاً في المجال.

---

١ – الغدير ٨ : ١٨٦ ، عن مسندأحمد . كتاب الأم . سنن‌أبي‌داود . سنن‌البيهقي . تفسيرالطبري، المحلّى، كنزالعمّال.

٢ – تحقيقى كوتاه پيرامون رابطهٔ تشيّع و إيران.

و فيما يلي أدلّة شعريّة أخرى، نذكرها هنا ليستبين لنا أنّ هذا الاستقلال الفكري والسياسي كان متميّزاً منذالبداية عبر عقائد أميرالمؤمنين - عليه‌السّلام، ولم يكن من مخترعات المتأخّرين و مصطنعاتهم. فقد جاء في شعر أُنشد في معركة صفّين :

وصيّ رسول‌الله من دون أهله و وارثه بعد العُموم الأكابر[1]

و نقرأ في الشعر الّذي أنشده عمّار بن ياسر في معركة صفّين أيضاً أنّ اصطدام التيّارين المتحاربين اصطدام فكري يحوم حول تأويل القرآن. و أحد هذين التيّارين هو الإسلام الأُمويّ، و الآخر إسلام عليّ - عليه‌السّلام - الّذي يمثّل التشيّع.

كان هذا المقاتل الواعي يخاطب جيش الشام قائلاً:

نحن ضربناكم على تنزيله فاليوم نضربكم على تأويله[2]

و جاء في بيت آخر يحوم حول مفهوم الوصيّة:

فيكم وصيّ رسول‌الله قائدكم و أهله و كتاب الله قد نشرا[3]

و نقرأ في واقعة كربلاء أنّ أحد أصحاب الحسين - عليه‌السّلام - وهو نافع بن هلال كان يرتجز، و يقول : **أنا الجملي أنا على دين عليّ**[4].

و يدلّنا هذا على أنّ دين عليّ - عليه‌السّلام - كان خطّاً فكريّاً متميّزاً في واقعة كربلاء.

و من الطريف في تلك الفترة أنّ تعبير «دين يزيد بن معاوية» كان متداولاً أيضاً[5]. و قد أفضت كربلاء أيضاً إلى تميّز الموقف الشيعي في الفروع تدريجاً، لأنّها رسمت للشيعة حدّاً سياسيّاً يفصل بينهم و بين الّذين وقفوا أمامهم بوصفهم مسلمين. و هذا لا يعني أنّ الخلافات كانت غير موجودة، بل يعني أنّ الشيعة حتّى تلك الفترة - بغضّ النظر عن خلافاتهم - كانوا لا يزالون يرون وجودهم إلى جانب جمهور المسلمين مشروعاً، بيد أنّهم وجدوا فيما بعد أنّ من الضروري تنظيم أنفسهم للمحافظة علىالاسلام و ثقافته الغنيّة الثرّة.

---

١ - **وقعة صفّين** ١٣٧ ، لنصر بن مزاحم المتوفّى ٢١٢ هـ.

٢ - نفسه : ٣٤١.

٣ - نفسه : ٣٨٥.

٤ - **تاريخ الطبري** ٣ : ٣٣١ ، ٣٣٦.

٥ - نفسه ٣ : ٤١.

و من ثمّ دخول ألحلبة في كافّة الأبعاد لا سيّما البعد الديني[1]. و فشا اصطلاح «الترابيّة» معبّراً عن الشيعة في عصر ابن الزبير ليجسّد مواصلة خطّ أبي تراب، وهو الإمام عليّ – عليه‌السّلام – من قبل أتباعه. و جاء قولهم في الّذين بايعوا المختار: «**فإنّما بايعه شرذمة من هؤلاء الترابيّة**[2]».

و كان ابن الزبير نفسه يقول في أنصار المختار: «**العصبة السيّئة الرديئة الترابيّة**[3]»! و كان رفاعة بن شدّاد – وهو أحد المقاتلين مع المختار – يقول مرتجزاً:

أنا ابن شدّادٍ على ديـن عـليّ   لست لعثمان بن أروى بوليّ[4]

فهذا هو التشيّع العقيدي الّذي كان مطروحاً في مقابل التيّارات المناهضة له.

ثمّ تميّز في ما بعد أكثر فأكثر.

ج - التشيّع لأهل البيت - عليهم‌السّلام - و مودّتهم

ثمّة بعد ثالث للشيعة أيضاً ـ و قد أُشير إليه في تضاعيف البحوث المتقدّمة نوعاً ما ـ ويتمثّل هذا البعد في «مودّة أهل‌البيت – عليهم‌السّلام ». و نلحظ أنّ كثيراً من أهل السنّة يحبّون أهل البيت – عليهم‌السّلام – عملاً بالأحاديث المأثورة عن النبيّ الأعظم ـ صلّى‌اللّه عليه و آله – في فضائل أهل البيت – عليهم‌السّلام. حتّى يمكننا القول: إنّ ترحيب السنّة بالعلويّين ينطلق من انتماء العلويّين إلى أهل البيت ـ عليهم‌السّلام، و لذلك كانوا يحظون بتأييد الفريقين.

و من توكّأ على فضائل أهل البيت من أهل السنّة فقد اتّهم بميول شيعيّة، و إن كان لا ينسجم مع الشيعة فقهيّاً و سياسيّاً. و لعلّ اتّهام «ابن عبد ربّه الأندلسي» صاحب كتاب «العقدالفريد» بأنّه ذو ميول شيعيّة يعود إلى ما ذكرنا. و اتّهم «الشافعي» كذلك، إلاّ أنّ تهمته لم تنل نصيبها من الاهتمام كثيراً على طول التاريخ لأنّه كان أحد أئمّة المذاهب الفقهيّة عند السنّة. و عند ما كان يتحدّث عن أفضليّة الإمام عليّ ـ عليه‌السّلام، فإنّ أهل السنّة اتّهموه بالتشيّع بل بالرفض أيضاً. و في ضوء ما نقله البيهقي، لمّا قيل له: أنّ فريقاً لا يودّ أهل البيت، و كلّ من نقل شيئاً من فضائلهم، فإنّه يُدعى رافضيّاً،

---

١ - **العقيدة و الشريعة في الإسلام**: ١٧١.

٢ - **الفتوح** لابن أعثم ٦: ٩٩.

٣ - نفسه ٦: ١٣٣.

٤ - **أنساب‌الأشراف** ٥: ٢٣٣.

أنشد شعراً قال في أحد أبياته:

إذا نحن فضّلنا عليّاً فإنّنا روافض بالتفضيل عند ذوي الجهل[١]

و قال في بيت آخر:

إنْ كان حبّ الوليّ رفضاً فإنّني أرفضُ العبادِ[٢]

و حينما كان مقيماً في غزّة، اتّهم بميله إلى العلويّين و تعصبّه لهم بسبب ما كان يبديه من آراء في هذا المجال[٣].

بيد أنّه عندما طلبه الرشيد و عرف أنّ هذا الحب لا علاقة له بالقضايا السياسيّة، لم يمسّه بسوء، بل و أنعم عليه بألف دينار مع خِلع كثيرة[٤]، فأنشد قائلاً:

ما الرّفض ديني و لا اعتقادي لكنْ تولّيت من غير شكّ[٥]

فرفضه - إذن - ليس رفضاً عقيديّاً. و كان طبيعيّاً - على أيّ حال - أنّ المحدّث المعتقد عندما يرى تلك الفضائل كلّها، فانّه يعبّر عن ودّه. و من يقرأ ما جاء في المأثور: «**ما من رجل مسلم من بني هاشم إلاّ و له شفاعة يوم القيامة**[٦]»، فلابدّ أن يبدي حبّه لهم. كما نُقل عن الحسن بن الصبّاح أنّه عندما كان شافعيّاً و قرأ في كتب الحديث روايات كثيرة تتحدّث عن فضائل أهل البيت - عليهم‌السّلام - أصبح إسماعيليّاً[٧].

و أمثال هؤلاء كثيرون جدّاً إذ تقبّلوا عنوان الرفض بسبب حبّهم أهلَ البيت - عليهم‌السّلام.

و نقل عبدالجليل الرازي عن بديع الزمان الهمداني أنّه قال عند قبر الإمام عليّ بن موسى‌الرضا - عليه‌السّلام :

أنا مع اعتقادي في‌التسنّن رافضي في ولائك

و ان اشتغلت بهؤلاء فلست أغفل عن أولئك[٨]

و يمكن أن يجد بعداً رابعاً في مجال حبّ أهل البيت - عليهم‌السّلام - ما عدا الأبعاد

---

١ - **الاتحاف بحبّ الأشراف** للشبراويّ : ٢٧ . و **نورالأبصار** للشبلنجي : ١١٥ .

٢ - **الكواكب الدرّيّة** : ٣٠ ، و هو مطبوع مع كتاب **الاتحاف**. **نقض** لعبدالجليل الرازي : ٢١٤ و ٢١٥ .

٣ - **آثارالبلاد و أخبارالعباد** للقزويني : ٢٢٥ .

٤ - نفسه : ٢٣١ .

٥ - **نورالأبصار** : ١١٥ .

٦ - **غاية الاختصار** : ١٠٣ . **نقض** : ٢١٩ .

٧ - **مجالس المؤمنين** ٢ : ٣١٣ .

٨ - **نقض** : ٢١٨ .

الّتي ذكرناها في التشيّع. و يتجسّد هذالبعد في الأشخاص الّذين يرون أنّ العلوم الدينيّة، و لا سيّما علم التفسير، ينبغي أن تؤخذ من مصدرها الرئيس المتمثّل بأهل البيت ـعليهمالسّلام ـ بيد أنّهم يعتبرون أنفسهم في عداد أهل السنّة على صعيد العقائد العامّة. و لعلّ الشهرستاني صاحب كتاب **الملل و النحل** كان من هؤلاء، كما ذهب إلى ذلك أحد المحقّقين الّذي قام بتحقيق تفسيره المخطوط، عبر مقالته الّتي ذكر فيها أدلّة مقنعة تدعم رأيه بنحو وافٍ. و نحيل القرّاء الكرام إلى تلك المقالة[1].

بعض البواعث على تغلغل التشيّع في صفوف الناس

في ضوء الضرب الثالث من ضروب التشيّع - الّذي مرّ بنا في الفصل السابق - تستبين لنا حقيقة تتمثّل في سرّ الشعبيّة الّتي كان يتمتّع بها العلويّون بين الناس. طبيعيّاً أنّ هذه القضيّة - في العراق - كانت ذات بعد سياسي مضافاً إلى بعدها المتمثّل في حبّ أهل البيت - عليهمالّسلام. فقد كان أهل الكوفة يرون في العلويّين كفاءة قياديّة لما سمعوه عن حكومة الامام علي - عليهالسّلام. أمّا في المناطق الأخرى، فقد كانت شعبيّة أهل البيت - عليهمالسّلام - رهينة بالأحاديث المأثورة في فضائلهم. و إنّه لأمر طبيعي أنّ الناس الّذين لم يروا النبيّ - صلّىاللّه عليه و آله - و يسمعون أنّ شخصاً من أهل بيته قد أمّ المكان الفلاني، فانّهم يعبّرون له عن حبّهم و ولائهم إيّاه. و لم تنقص شعبيّة العلويّين على مرّ التاريخ الاسلامي مثقال ذرّة. و إذا ما سمع الناس أنّ علويّاً قد ثار في منطقة ما، فانّهم كانوا يلتفّون حوله. و كان العلويّون الّذين تغلي في نفوسهم فكرة الثورة كأبي السرايا يستثمرون هذه الشعبيّة. حتّى إنّ «صاحب الزنج» دعا نفسه علويّاً ليتمكّن من التغلغل في نفوس الموالي السودانيّين والزنوج[2]. و ما يدرينا لعلّه كان علويّاً حقّاً. وكان عبداللّه المحض يقول: الناس كلّهم يتمنّون أن يكونوا من العلويّين، و لا يتمنّى العلويّون أن يكونوا

---

١ - مجلّة تراثنا، العدد ١٢، تصدر عن مؤسّسة آلالبيت. و مقالته تحت عنوان «أهلالبيت - عليهمالسلام - في رأي صاحب **الملل و النحل**، ص ٧.

٢ - يقول ابن خلدون : رأى صاحب الزنج كثرة خروج الزيديّة مع الفاطميّين فانتحل هذا النسب ، ٤ : ١٨

من أحد[١]. لذلك كان كثير من الأشخاص ينسبون أنفسهم إلى العلويّين كذباً، ممّا أفضى ذلك إلى ظهور النسّابين بين العلويّين منذ القرون الاولى لتمييز العلويّين عن غيرهم.

من هذا المنطلق نقرأ في الكتابات الّتي دوّنت في معرفة أنساب العلويّين أنّ انتماء بعض الأشخاص إلى العلويّين لم يثبت، و هو ما نجده في مواطن كثيرة. على أيّ حال يمكن القول:

إنّ أحد البواعث الرئيسة على تغلغل التشيّع في أقطار العالم الإسلامي قاطبة، و منها إيران، هو الشعبيّة الّتي كان يتمتّع بها العلويّون. و تعود هذه الشعبيّة بصورة رئيسة إلى الفضائل الخاصّة المأثورة عن النبيّ - صلّى اللّه عليه و آله - في أهل البيت - عليهم السّلام. كما أنّ قسطاً منها يؤول إلى ما كان يتمتّع به العلويّون أنفسهم من سجايا علميّة و أخلاقيّة و سياسيّة.

و ينبغي أن لا نغفل أيضاً حبّ الناس و انشدادهم الطبيعي إلى أهل بيت النبوّة. وهو ما أدّى إلى تغلغل التشيّع على امتداد القرون والأعصار، حتّى نجد، في المناطق السنيّة الّتي كان يقطنها العلويّون، أنّ العلويّ إذا مات أو استُشهد، فانّ الناس يشيّدون له ضريحاً. و هكذا غرست بذرة التشيّع و حبّ أهل البيت - عليهم السّلام - في تلك الأرجاء. و كان الاهتمام الّذي يوليه أهل السنّة بأهل البيت - عليهم السّلام - كبيراً للغاية.

و نقل الشبلنجي نماذج رائعة في هذا المجال. و كانوا يصطلحون على السيّد: الشريف، الّذي كانوا يوقّرونه عظيم التوقير[٢].

---

١ - عمدة الطالب في انساب آل أبي طالب : ١٠١.

٢ -نور الأبصار للشبلنجي : ١١٧ ـ ١١٨.

و من الضروري أن نذكّر هنا بنقطة في غاية الأهميّة. و هي أنّ مآل هذا الاحترام أحاديث أُثرت عن النبيّ - صلّى اللّه عليه و آله - في فضائل أهل البيت - عليهم السّلام. و فيها دعوة للناس أن يقرّوا بولاء أهل البيت و حبّهم. و قد نصّ أحدها ـ و هو حديث الثقلين ـ على أنّ أهل البيت أحد ركني الدين. مع هذا، نجد أهل السنّة و يا للأسف يحبّون أهل البيت حبّاً مجرّداً فحسب، و يحسبون أنّ هذا الحبّ وحده يكفي، بينما أكّد النبيّ - صلّى اللّه عليه و آله - على مودّتهم، كما أكّد عليها القرآن، من أجل إرجاع الناس إليهم. بيد أنّ هذا الودّ كيفما كان يُعتبر قاعدة و ركيزة للتشيّع. و كان باعثاً لذوي الألباب أن يقدّموا أقوال العترة على أقوال الآخرين تدريجاً.

و من الضروري أن نشير هنا إلى أنّ التشيّع العقيدي ينطوي على التشيّع السياسي، وحبّ أهل البيت - عليهم‌السّلام - في آن واحد.

أمّا التشيّع السياسي، فقد يخلو من القسمين الآخرين. كما أنّ وضع التشيّع بالنسبة إلى مودّة أهل‌البيت - عليهم‌السّلام - على هذه الوتيرة. و كان أبو حنيفة مصرّاً على حبّه أهل البيت إلى حدّ ما، مضافاً إلى تعاطفه مع العلويّين سياسيّاً. و لذلك كان محمّد نجل الإمام الصادق - عليه‌السّلام - يقول فيه : رحم‌الله أبا حنيفة لقد تحقّقت مودّته لنا في نصرته زيدَ بن عليّ و فعل بابن مبارك في كتمانه فضائلنا و دعا عليه[1].

إنّ وعي هذه النقطة المتمثّلة بمعرفة البواعث على تمتّع العلويّين، والشيعة مبدئيّاً، بمكانتهم بين سائر الفرق الدينيّة والناس يمكن أن يساعدنا على فهم الأسباب الّتي دعت إلى اتّساع نطاق التشيّع. ذلك أنّ العلويّين كانوا هم المبلّغين لحركة التشيّع تقريباً، مع أنّ هذا التشيّع كان ذا توجّهات متنوّعة : زيديّة، و إماميّة، و غيرهما.

و تعتبر الركيزة الأولى للتشيّع - في‌الحقيقة - المودّة الّتي كانت مشتركة بين اولئك جميعاً.

و لو أنّ هذه‌المودّة سارت في اتّجاهها المنطقي، فانّها ستبلغ حدّ الولاية والطاعة. ولعلّها تؤول إلى الافراط أيضاً. و تنتهي إلى الغلوّ الّذي انتحله الغلاة في الأئمّة الطاهرين -عليهم‌السّلام. و قد أشرنا فيما تقدّم إلى عدد من البواعث على نفوذ العلويّين في الناس. و في ما يأتي مسائل أخرى أيضاً ترتبط بهذا الموضوع :

يعتبر تديّن هؤلاء الأشخاص باعثاً آخر على نفوذ التشيّع. فقد كانوا هم و أحبّتهم متمسّكين تمسّكاً دقيقاً واعياً في أداء الواجبات الدينيّة. و كانوا يعرضون الإسلام للناس بأعمالهم و سلوكيّاتهم. والناس أنفسهم يلحظون الفارق بين إسلام الأمويّين جيّداً، و يميّزون الشيعة بنزعتهم الدينيّة القويّة و تمسّكهم بمراعاة الموازين الشرعيّة. و عند ما كان الناس يلتفّون حولهم، و هم يدركون معارضتهم الأمويّين، كانوا يعرفون فضائلهم.

---

١ - مقاتل الطالبيّين : ١٤٦ .

و من هذا المنطلق فإنّ آصرتهم السياسيّة تتّخذ طابعاً عقيديّاً خاصّاً، ثمّ تجد لها تلاحماً عميقاً. بينما نقرأ أنّ الخوارج - و على الرغم ممّا قيل في تديّنهم - لم يكونوا ذوي توجّهات رزينة متّزنة. و لذلك كان واضحاً أنّ تقواهم ليست ذات طابع إسلامي. فقد كانت تصرّفاتهم الوحشيّة المتطرّفة تؤذي الناس كثيراً، بحيث أنّ البصريّين ـ على سبيل المثال ـ كانوا يهابونهم تماماً[1]. أمّا توجّهات الشيعة الرزينة المتّزنة و تقواهم العلمية و العمليّة فقد كانت باعثة على انشداد الناس إليهم. و على رأس الشيعة كان العلويّون يتمتّعون بهذه المواصفات. يقول سفيان الثوري: «هل أدركت خير الناس إلّا الشيعة ؟[2]»

فهو يرى أنّ الناس الصالحين دينيّاً هم الشيعة و ليس غيرهم. ثمّ يذكر عدداً من الشيعة كأمثلة على قوله.

و كانت المدائن من المَهاجِر الّتي أمّها العرب، و إحدى الأمصار الشيعيّة يومئذٍ.

يقول القزويني في سكّانها: «أهلها فلّاحون شيعة إماميّة و من عادتهم أنّ نساءهم لا يخرجن نهاراً[3]».

و هذا يدلّ على الروح الدينيّة الّتي كان يتّسم بها أهل المدائن.

و يقول هذا الكاتب نفسه: و كان أهل سجستان، الّذين امتنعوا عن سبّ الإمام علي ـ عليه‌السّلام ـ على المنابر، يتّصفون بهذه الصفة[4]. و كذلك كانت النساء الشيعيّات في الديلم[5].

و قيل في «حجربن‌عدي» و أصحابه الّذين وقفوا بوجه معاوية، و صمدوا و استقاموا في تشيّعهم : «أنّهم يتشدّدون في‌الدّين[6]». و تميّز الشيعة بمراعاة أوقات

---

١ - الأخبار الطوال ، للدينوري : ٢٧٠ .

٢ - مقاتل‌الطالبيّين : ١٩٥ .

٣ - آثار البلاد و أخبار العباد للقزويني : ٤٥٣ .

٤ - آثار البلاد و أخبار العباد للقزويني : ٢٠٢ .

٥ - أحسن‌التقاسيم، للمقدسي.

٦ - البداية والنهاية ٨ : ٥٤ . نقلاً عن : الصحيح من سيرة النبيّ - صلّى‌اللّه عليه و آله و سلّم ٣ : ٢٧٧ .

الصلاة[1]. والنموذج الّذي يدلّ على هذه الميزة بنحو رائع للغاية يتمثّل في القضيّة الّتي نقلت حول العثور على مخبأ «مسلم بن عقيل». فحينما أراد عبيدالله بن زياد العثور على مخبأه أمر أحد غلمانه بالذهاب إلى المسجد و تقصّي خبر مسلم. وقال له: «**إنّ هؤلاء الشيعة يكثرون الصّلاة**»، فمن وجدته على هذا الحال هناك، فقُصّ منه أثر مسلم. فذهب إلى المسجد و رأى «مسلم بن عوسجة» يصلّي أكثر من غيره، فقصده، و تعرّف منه على مخبأ مسلم بن عقيل بطريقة ماكرة[2].

و كان سلمان الفارسي في طليعة أنصار التشيّع. وهو الّذي عرف عند الصحابة بالتقوى والعلم. و اشتهر بتقواه حتّى اعتبره الصوفيّة أحد أقطابهم. و كذلك كان أبوذرّ النصير الآخر للتشيّع، فقد عُرف بإعراضه عن الدنيا، و عدم رغبته فيها، والتزامه برعاية حقوق الناس. حتّى اصطدم بمعاوية و عثمان في هذا المجال[3]. و قيل في عمّار بن ياسر: «**و قد كان عمّار أشدّ حرّاس الإسلام مراساً و أكثرهم عناداً في الحفاظ على مثُله و مبادئه**[4]».

و كان أويس القرني أحد زهّاد الشيعة المعروفين. و رُزق الشهادة بين يدي الإمام علي – عليه‌السّلام – بصفّين. و كانت له منزلة رفيعة في العرفان[5]. و يقول الشيبي فيه : كان أويس القرني شيعيّاً. وهو الّذي اعتبره الاسفراييني أحد النسّاك المشهورين[6]. و قيل في كميل بن زياد: «**كان زاهداً شيعيّاً قديماً**[7]». و قيل في خبّاب بن الأرت: «**كان خبّاب بن الأُرت ناسكاً شيعيّاً من النّواحين البكّائين**[8]». و قيل في الراوي الشيعي محمّد بن مسلم : «**من العبّاد في زمانه**[9]». و قيل في سعيد بن جبير: «**كان سعيدبن جبير**

---

١ – **الموفّقيّات** للزبير بن بكّار : ١٣٤ ؛ **آثارالجاحظ** : ٢٠٥ .

٢ – **الأخبار الطوال** : ٢٣٥ . [الكلام المذكور لم يقله ابن زياد بل قاله غلامه «معقل» كما في المصدر المشار إليه].

٣ – انظر : **البيان و التبيين** ٣ : ١٣٧ ؛ **حلية الأولياء** ١ : ١٦٥ للتعرّف على زهده.

٤ – **الصلة بين التشيّع و التصوّف** للشيبي : ٣٨ .

٥ – **مختصرالبلدان** لابن الفقيه : ١٧١ .

٦ – **الصلة بين التشيّع والتصوّف** : ٢٥٤ ؛ **التبصير في الدّين** : ٢٢ .

٧ – **الصلة بين التشيّع والتصوّف** : ٢٢٥ .

٨ – **حلية الأولياء** ١ : ١٤٣ .

٩ – **رجال الكشيّ** : ١٦٥ .

زاهداً شيعيّاً[١]». ثمّ يضيف الدكتور الشيبي قائلاً: «و هكذا يتّضح لنا منشأ التشيّع في الزهد[٢]».

و كان الشيعة على درجة عالية من الزهد جعلت حديثهم مقبولاً عند السنّة، مع شدّتهم في تشيّعهم[٣].

و يعتبر هؤلاء الزهّاد المشهورون من البواعث على اتّساع نطاق التشيّع. كما يقول الدكتور الوردي: نضج التشيّع في ثلاث مدن: الأولى: الكوفة لوجود عمّار بن ياسر فيها. والأخرى: المدائن لوجود سلمان الفارسي فيها. والثالثة جبل عامل لجهود أبي ذرّ الغفاري[٤].

و كان اشتراك عدد كبير من الفقهاء في ثورة محمّدبن عبدالله الّتي نشبت في المدينة سنة ١٤٥ هـ ـ بغضّ النظر عن بعدها السياسي ـ يعود إلى أنّ الشخص المذكور المعروف بالنفس الزكيّة كان أفضل من شخص المنصور العبّاسي. و كانوا يعرفونه، لذلك لم يجيزوا التخلّف عنه مع أنّهم ليسوا في عِداد الشيعة[٥]. و كان هذا الدعم على درجة قلّما تخلّف فيها فقيه من فقهاء السنّة عنه. و ماالتعابير الّتي استعملها أبوالفرج الأصفهاني أو الّتي نقلها عن أشخاص آخرين في مختلف العلويّين إلاّ دليل على شخصيّتهم الرفيعة. و قيل في المختار على لسان زوجته: كان من عباد الله الصالحين. و كانت هذه الكلمة قد قيلت في وقت كان المختار يتأهّب للقتل على يد مصعب بن الزبير[٦].

إنّ أجلى تعبير يترجم لنا الجوانب الأخلاقيّة المتفوّقة للشيعة في العصرالأوّل هو ما أُثر عن الإمام الباقر – عليه‌السّلام – قوله: «أولياؤنا و شيعتنا فيما مضى خير من كانوا فيه. إنْ كان

---

١ – الصلة بين التشيّع والتصوّف: ٢٥٥.
٢ – نفسه: ٢٢٥.
٣ – كشف الأستار ١: ١٥٢، ٣٠٢.
٤ – وعّاظ السلاطين: ٢٩٧.
٥ – مقاتل الطالبيّين: ٢٣٨ ـ ٢٣٩، ٢٥١. و من الجدير ذكره أنّ الامام الصادق – عليه‌السّلام – كان مخالفاً لثورته، لأنّه سمّى نفسه مهديّ أهل البيت، و لم يسمع نصيحة الإمام و مشورته، حتّى أنّ والد النفس الزكيّة اتّهمه بالحسد!!
٦ – تاريخ الطبري ٤: ٥٧٤. أنساب الأشراف ٥: ٢٦٣. و جاء في فتوح‌البلدان ٦: ١٩٩ على لسان زوجته: «أقول: كان عبداً مؤمناً محبّاً للّه و رسوله و أهل بيت رسوله محمّد – صلّى‌اللّه عليه و سلّم».

إمام مسجد في الحيّ كان منهم. و إنْ كان مؤذّن في القبيلة كان منهم. و إن كان صاحب وديعة كان منهم. و إن كان صاحب أمانة كان منهم. و إن كان عالم في الناس يقصدونه لدينهم و مصالح أمورهم كان منهم[1].»

و من البواعث الرئيسة الأُخرى على نفوذ العلويّين في الناس ظلامة العلويّين أنفسهم. فالعلويّون كانوا رمز المظلوميّة لما نالهم من حيف و عسف و ما تعرّضوا له من ظلم و اضطهاد، مع أنّهم كانوا من أهل بيت النبوّة، و كان المسلمون قاطبة يودّونهم و يتمنّون زيارتهم.

و عندما كان الناس يشاهدون ضروب الظلم النازل بهم، يركنون إليهم، بخاصّة و أنّهم كانوا يلمسون مقاومتهم.

و انتشرت ثورات العلويّين في القرون الأُولى بشكل مستمر، و كانت ذات طابع زيدي غالباً بعد استشهاد زيد بن علي. و ثمّة نماذج جمّة من هذه الثورات في أقطار العالم الإسلامي، و منها - باستثناء الشام - الحجاز، و العراق، و إيران.

يقول اليعقوبي في سياق إشارته إلى حركة زيد بن عليّ الّتي جسّدت ظلامة أُخرى من ظلامات العلويّين بعد واقعة الطف: انتشر التشيّع في خراسان بعدها، وبُثت الدعايات ضدّ الحكومة الأُمويّة[2].

و كان لهذه القضيّة خلفيّة عند أهل البيت، إذ نقرأ أنّ الامام زين العابدين - عليه السّلام - كان يذرف الدموع عدد سنين حزناً على أبيه و أحبّته الّذين استُشهدوا في كربلاء، علماً أنّ هذا التوجّه كان ذا طابع سياسي أيضاً.

و كان حجم هذه الظلامة على درجة استمدّ منها العبّاسيّون قوّتهم الرئيسة، و أقاموا حكومتهم على الدموع الّتي ذرفت حزناً لاستشهاد يحيى بن زيد.

---

١ - دعائم الإسلام ١ : ٧١ . حياة الإمام الباقر عليه السلام للقرشي ١ : ١٤٠ ، ٢٤٩ .

٢ - «لمّا قتل زيد بن علي و كان من أمره ما كان، تحرّكت الشيعة بخراسان و ظهر أمرهم و كثر من يأتيهم و يميل معهم، و جعلوا يذكرون للناس أفعال بني أُميّة و ما نالوا من آل رسول اللّه، حتّى لم يبق بلد إلاّ فشا فيه هذا الخبر» تاريخ اليعقوبي ٢ : ٣٢٦ .

و لمّا كانت هذه التحرّكات جارية في العراق و إيران، فقد كان الموالي الفرس على اتّصال بها. بخاصّة أنّهم رأوا فيها امتداداً لحكومة أميرالمؤمنين ـ عليه السّلام ـ فآمنوا أنّ اتّجاه هذه العمليات الاستشهاديّة يقوم على قاعدة لحكومة قد تعدل من «السيادة العربيّة» إلى حدّ ما، و تشركهم في الحكم.

و تجلّت هذه الظلامات على أفضل وجه في الشعر الذي أنشده شعراء الشيعة، و سار بالأدب الشيعي نحو الدم والبكاء، بحيث أنّ أكثره كان يؤثّر في نفوس الناس و يدفعهم إلى البكاء. و من الطريف أنّ أئمّة الشيعة أنفسهم كانوا يجهدون في توسيع دائرة هذا الشعر. وكانت الكوفة محطّ أنظار المؤمنين كافّة بوصفها محفلاً صفيراً للشيعة، و قد شهدت مختلف المذابح الدمويّة الّتي قام بها زياد، و ابنه، والحجّاج ضدّهم، حتّى إنّهم كانوا يشعرون بعلاقة عاطفيّة تشدّهم إليها. و قد قال أميرالمؤمنين – عليه‌السّلام – من قبل «ليأتينّ على الكوفة زمان، ما من مؤمن ولا مؤمنة إلّا بها أو قلبه يحنّ إليها[١]».

لقد بدأت هذه الظلامات منذ العهد الأموي، و اتّسع حجمها على تواتر الأيّام. إذ إنّ الامويّين لم يمارسوا ضغوطهم القاسيّة بحقّ العلويّين فحسب، بل مارسوها بحقّ الشيعة قاطبة. بيد أنّ الشيعة لم يسكتوا، بل صمدوا أمامهم بكلّ صلابة.

يقول ابن أبي الحديد:...بعد عقد الصلح «لم يبق أحد من المؤمنين إلاّ خائف على دمه، أو مشرّد في الأرض يطلب الأمن فلا يجده[٢]».

و قد أمر معاوية رأس الحكم الأموي بصراحة أن لا يجيزوا لأحد من شيعة عليّ و أهل بيته (ع) شهادة[٣].

و كتب إليه الامام الحسين – عليه‌السّلام –أنّك سلّطت زياداً على العراق يقطّع أيدي المسلمين و أرجلهم، و يسمل عيونهم، و يصلبهم على جذوع النخل، و أمرته أن يقتل كلّ من كان على دين عليّ ! و قتلهم و مثّل بهم كما أمرته[٤].

---

١ – مختصرالبلدان : ١٦٣ .

٢ – نقلاً عن حياة الإمام الحسن عليه‌السلام للقرشي ٢ : ٢٣٢ .

٣ – تاريخ الطبري ٦ : ١٤٦ .

٤ – الطبقات‌الكبرى ٥ : ٧١ (طبعة ليدن) . أنساب‌الأشراف ٢ : ١٥٤ (تحقيق المحمودي).

كذلك نقل المؤرّخون أنّه «أمَرَ بحرمان كلّ من عرف منه موالاة عليّ من العطاء و اسقاطه من الديوان والتنكيل به و هدم داره[١]».

و بلغ التشدّد في تعاملهم مع أهل البيت – عليهم‌السّلام – درجة أنّهم أعلنوا بصراحة أنْ «لا صلاة إلّا بلعن أبي تراب[٢]» و ذلك لتصعيد العداء ضدّهم.

يقول الدكتورالشيبي في ظلامة الشيعة على مرّ التاريخ: «و نجد تاريخ الشيعة منذ كارثة كربلاء عبارة عن سلسلة لا تنقطع من التعذيب والاضطهاد[٣]». والحقيقة أنّ كارثة كربلاء أساس هذه الظلامة. و قد حاول الإمام الحسين – عليه‌السّلام – نفسه تصعيد هذه الظلامة عبر أخذه أهلَ بيته معه. و سبق ذلك مقتل حجر بن عدي و أصحابه، إذ بذر في قلوب العراقيّين بذرة الشنآن ضدّ الأمويّين. و رسّخ ظلامة الشيعة أيضاً مقتلُ عمرو بن الحمق الخزاعي، و ميثم التمّار، و غيرهما على يد زياد بن أبيه. و كان الإمام الباقر ـ عليه‌السّلام ـ يقول في ظلامة أهل البيت – عليهم‌السّلام: لم نزل – أهل البيت – نُسْتَذَلُّ و نستضام، و نُقصى و نُمتهَن، و نُحْرَمُ و نُقْتَل، و نخاف و لا نأمن على دمائنا و دماء أوليائنا (في عصر معاوية). و قُتلت شيعتنا بكلّ بلدة، و قطعت الأيدي والأرجل على الظِّنَّة. و كان من يُذكر بحبّنا والانقطاع إلينا سُجن، أو نهب ماله، أو هدمت داره. ثمّ لم يزل البلاء يشتدّ و يزداد إلى زمان عبيدالله بن زياد، ثمّ جاء الحجّاج فقتل خلقاً كثيراً من شيعتنا، و أخذهم بكلّ ظنّة و تهمة، حتّى إنّ الرجل ليقال له: زنديق أو كافر، أحبّ إليه من أن يقال : شيعة عليّ ـ عليه السّلام[٤].

و نقل أيضاً أنّ الحجّاج كان يصوم و يفطر على خبز عُجِن بدماء الفاطميّين. و أمر بنبش ثلاثة آلاف من قبور النجف الأشرف في طلب جثّة أميرالمؤمنين – عليه السّلام، فلم يظفر بذلك... و كان يتحسّر و يظهر الأسف على أنّه لم يحضر وقعة الطف[٥].

---

١ – شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد ١٣ : ١٦ .   ٢ – نفسه ٢ : ٢٠٢ .

٣ – الصلة بين التشيّع والتصوّف : ٩٦ .

٤ – تلخيص الرياض ١ : ١٢ ، ١٣ ؛ عوالم العلوم للبحراني ١٦ : ١٤٧ .

٥ – روضات الجنّات ٢ : ٥٤ .

و كان السائب بن مالك الأشعري ينادي لتحريض جيش المختار ضدّ والي الكوفة المنصوب من قبل عبدالله بن الزبير : «كنتم بالأمس تُقتّلون، و تقطّع أيديكم و أرجلكم، و تُسْمَلُ أعينكم، و تصلبون على جذوع النخل...[١]

و قد رسم الخوارزمي أفضل صورة لهذه الظلامة في رسالته إلى شيعة نيسابور فقال :

«و ... و بحسبكم أنّه ليست في بيضة الاسلام بلدة إلاّ و فيها لقتيلٍ طالبيّ ترة، تَشارَك في قتلهم الأمويّ والعبّاسيّ، و أطبق عليهم العدنانيّ و القحطاني... قتل معاوية حجربن عديّ الكندي و عمروبن الحمق الخزاعي بعد الأيمان المؤكّدة والمواثيق المغلّظة . و قتل زياد بن سميّة الألوف من شيعة البصرة صبراً و أوسعهم حبساً و أسراً...» و أشار بعد ذلك إلى ما قام به الحجّاج، و قال : **«... فتلعّب بالهاشميّين، و أخاف الفاطميّين، و قتل شيعة عليّ - عليه‌السّلام - و محى آثار بيت النبيّ - صلّى‌اللّه عليه و آله ...»**.

و واصل كلامه فأشار إلى جرائم أبي مسلم الخراساني، و ذكر أنّه ينبغي أن يسمّى : «أبامجرم»، و قال فيه : **«... و افتتح بقتل معاوية بن عبدالله بن جعفر بن أبي طالب. و سلّط طواغيت خراسان و خوارج سجستان و أكراد اصفهان، على آل أبي طالب يقتلهم تحت كلّ حجر و مدر، و يطلبهم في كلّ سهل و جبل...»**.

و أخيراً، حام الحديث حول جرائم المنصور العبّاسي، فقال في هذاالمجال : **«مات المنصور و قد مُلئت سجونه بأهل بيت الرسالة و معدن الطيب والطهارة، قد تتّبع غائبهم و تلفّظ حاضرهم ... هذا قليل في جنب ما قتله هارون منهم و فعله موسى قبله بهم ... إلى أن مات هارون و قد حصد شجرة النبوّة، و اقتلع غرس الإمامة. و يقتلون من عرفوه شيعيّاً، و يسفكون دم من سمّى ابنه عليّاً ... و كانا (هارون و المتوكّل على الشيطان) لا يعطيان مالاً، و لا يبذلان نوالاً، إلاّ لمن شتم آل أبي طالب، و نصر مذهب النواصب[٢]»**.

فهذه نماذج من جرائم الأمويّين والعبّاسيّين بحقّ أهل البيت و شيعتهم. و كان لها تأثيرها في اتّساع حجم التحرّك الشيعي بنحو متواصل.

---

١ - الفتوح ٦ : ١٠٨ . كان جيش المختار يتكوّن من الشيعة الّذين التفّوا حوله للطلب بثأر الإمام الحسين - عليه‌السّلام .

٢ - رسائل الخوارزمي : ١٦٥ .

و من هذا المنطلق حاول المأمون إحباط تلك التحرّكات باستغلال موقع الإمام الرضا - عليه‌السّلام - بيد أنّه فطن إلى أنّ شيئاً لن يبقى للعبّاسيّين إذا هو واصل تلك السياسة.

و نقل الخوارزمي عن منصور بن الزبرقان أحد شعراء أهل البيت - عليهم‌السّلام - أنّه أنشد قائلاً:

آل النبيّ و من يحبّهمُ يتطامنون مخافة القتل
أمنوا النصارى واليهود و هم من أمّة التوحيد في أزلم[1]

و قيل :

نحن بنو المصطفى ذو محن يجرعها في الحياة كاظمنا
عجيبة في الأنام محنتنا أوّلنا مبتلىً و آخرنا
يفرح هذ الورى بعيدهمُ طرّاً و أعيادنا مآتمنا[2]

و يقول اليعقوبي في تعامل الهادي العبّاسي مع العلويّين: «فقد أخاف الطالبيّين خوفاً شديداً و ألحّ في طلبهم و قطع أرزاقهم و أعطياتهم و كتب إلى الآفاق بطلبهم[3]».

و يقول ابن اسفنديار في المتوكّل :كان المتوكّل يهوى قتل السادات من آل الرسول، كما يهوى الإنسان الصيد و سائر ضروب اللهو[4].

و كان تأثير هذه الظلامات على المؤمنين كبيراً، حتّى إنّ سفيان الثّوري كان يقول لعيسى نجل الشهيد زيد ما مضمونه :كلّ من كان عنده أدنى إيمان، يبكي على ما حلّ ببني فاطمة من ظلم و اضطهاد و قتل و تهديد.

و أصبح القتل مألوفاً عند العلويّين إلى درجة أنّ أحدهم يرتاب في نسبه إنْ لم يتعرّض له! و حدث مرّة في أواخر القرن الخامس أنّ أحد العلويّين الأثرياء قد استُدعي من قبل أحد ملوك ماوراء النهر. و بعد مدّة حدث خلاف بينهما فأُودع السجن. و صودرت جميع أمواله و أملاكه. فكان يقول: ما تحقّقت صحّة نسبي إلّا في هذه المصادرة، فإنّي

---

١ - نفسه : ١٦٨ .

٢ - العقيدة و الشريعة : ٢٠٠ عن يتيمةالدهر و ابن خلّكان.

٣ - تاريخ اليعقوبي ٣ : ١٣٦ .

٤ - تاريخ طبرستان لابن اسفنديار ١ : ٢٢٤ .

رُبِّيت في النعيم و كنت أقول : إنّ مثلي لابدّ أن يُبتلى. ثمّ منعوه الطعام والشراب، حتّى مات[١]!!

إذن، كانت ظلامة العلويّين أحد البواعث الواضحة على تغلغل التشيّع في قلوب الناس، مضافاً إلى ما كانوا عليه من سيماء المتّقين. و بلغت تلك الظلامة درجة أنّ انتفاضة زيد و ابنه يحيى قد كهربت خراسان برمّتها فتوجّهت تلقاء بني هاشم، بيد أنّ المؤسف هو أنّ أبا مسلم داعية العبّاسيّين قد حرف هذا التيّار عن مساره الصحيح، و لم يدع الخلافة تصل إلى أصحابها الحقيقيّين، و هم العلويّون.

وكان الاتّجاه الإسلامي الإيجابي للانتفاضات الشيعيّة، مع ما كانت تتّسم به من مرونة و اعتدال (على عكس التحرّكات المتطرّفة للخوارج) باعثاً على اجتذاب الجماهير. و أوّل نقطة تبدو للعيان في هذه الانتفاضات هي أنّ الشيعة كانوا ذوي تحرّك ضدّ الظلم والطغيان على الصعيد العقيدي والعملي. و هذه الظاهرة ظلّت متألّقة على امتداد العصر الأموي والعبّاسي (ما عدا فترات قصيرة للغاية) ممّا تمخّضت بكهربة الأجواء ضدّها. ولمّا كان الرصيد الفكري للشيعة هو جهاد الإمام أميرالمؤمنين – عليه‌السّلام – ضدّالطغيان والتمرّدات الداخليّة (أرسى هذا الجهاد في الحقيقة دعائم الكفاح ضدّ المفسدين من المسلمين)، لذلك انطلقوا منه في كفاحهم ضدّ المنافقين بأشكال شتّى. ولابدّ في الوهلة الأولى من توجيه الضربة إلى الحكّام أنفسهم.

و يرى أهل السنّة في كتبهم الرجاليّة أنّ الايمان بالحرب ضدّ الحاكم، و إن كان فاسداً، آية من آيات التشيّع[٢].

و قيل في بعض المواطن أيضاً إنّ والياً سنيّاً لم يستعد أن يتنازل للاتّفاق مع القمّيّين في مجال طاعة السلطان[٣].

و هؤلاء القمّيّون أنفسهم هم الّذين كانوا يحولون دون دخول الولاة إلى مدينتهم. ممّا أرغمهم على بناء قصورهم خارج المدينة ليحكموا الناس منها!

---

١ – البداية و النهاية ١٢ : ١٣٤ . و هذا العلويّ هو محمّد بن محمّد بن زيد بن عليّ بن موسى بن جعفر المولود سنة ٤٠٥ هـ و الملك هو الخضر بن إبراهيم. (المعرّب)

٢ – ميزان الاعتدال ١ : ٤٩٧ .

٣ – نشوار المحاضرة للتنوخي ٨ : ٢٦٠ .

و نقل عن بعضهم قوله : «كنّا ولاةً و عمّالاً سنين عديدة، و لكنّا لم نـر امـرأة عـربيّة واحدة، و لم يقع نظرنا على امرأة قط[١]». ذلك أنّهم لم يدخلوا المدينة.

يقول أيّوب بن المتوكّل : «كان أحد الملوك يعبر، فقام له الناس كلّهم إلاّ أبان بن تغلب الشيعي! و عند ما سئل عن سبب ذلك، قال: كرهتُ أن أذلّ القرآن[٢]».

و كان هذا الكفاح ضدّ الظلم والجور رائعاً جدّاً بالنسبة إلى الموالي الفرس الّذين كانوا يعيشون تحت مطرقة الإرهاب والإضطهاد، و كانوا يتحمّلون بشكل خاصّ ظلماً مضاعفاً من الوجهة العنصرية والعرقيّة. و كان زيد بن عليّ يقول في سبب انتفاضته : «أيّهاالناس! إنّنا ندعوكم إلى كتاب الله و سنّة نبيّه، و ندعوكم إلى جهاد الظالمين، و الدفع عن المستضعفين، و إعطاء المحرومين، و قسم هذا الفيء بين أهله بالسواء، و نصرنا أهل البيت - عليهم‌السّلام - على من نصب لنا و جهل حقّنا[٣]».

و هذا التوجّه ضدّ الظلم هو الّذي دعا الناس جميعهم، و ليس الشيعة وحدهم إلى المشاركة فيه، مع عقائدهم المختلفة الّتي كانوا يؤمنون بها إذ هم بين معتزلة، و مرجئة، و خوارج، و غيرهم. «فكانت بيئة مشتملة على فِرق الأمّة مع اختلافها[٤]».

و يقول المسعودي أيضاً في تحليل حركة يحيى بن زيد : «... منكراً للظلم و ما عَمّ الناس من الجور[٥]».

و كان المختار يدعو الناس إلى مثل هذه الامور أيضاً و يقول : «أدعوكم إلى كتاب الله و سنّة نبيّه والطلب بدماء أهل البيت - عليهم‌السّلام - والدفع عن الضَعفة، و جهاد المحلّين[٦]». و قال في موضع آخر أنّ هدفه قتل الظالمين، و أنّ حركته لتثبيت دعائم الدين[٧].

---

١ - تاريخ قم : ٢٨٥ .

٢ - المعرفة و التاريخ للنسوي ٢ : ٦٤٧ .

٣ - تاريخ‌الطبري ٨ : ٢٦٧ . طبعة ليدن. الكامل لأبن الأثير ٤ : ٢٤٢ . أنساب‌الأشراف ٢ : ٢٣٧ . يقول‌المقدسي : «و بايعه أربعة عشر ألفاً على جهاد الظالمين والدفع عن المستضعفين» البدء و التاريخ ٦ : ٥٠ . [هذا هو ما يفيده المصدر المذكور].

٤ - الحورالعين للحميري : ١٨٥ .

٥ - مروج‌الذهب ٣ : ٢١٢ .

٦ - أنساب‌الأشراف للبلاذري ٥ : ٢١٣ ، ٢٢٨ ، طبعة بغداد. و يقول مخاطباً أنصاره : «يا أنصار الضَعفة» أنساب ٥ : ٢٥٣ ؛ تاريخ‌الطبري : ٢١٩ .

٧ - نفسه : ٢١٩ .

فلم تكن مناهضة تلك الحركات للظلم قويّة فحسب، بل و إنّ من سماتها البارزة توكّؤها على سنّة النبيّ - صلّى‌الله عليه و آله - و إحياء القرآن. و هو ما نجده في ثورة كربلاء، و حركة زيد بن عليّ، و سائر الحركات الّتي استطاعت أن تعكس الوجه الناصع المشرق لهذه الانتفاضات في مقابل الحكّام الّذين كان هدفهم طمس معالم القرآن والسنّة النبويّة، كما تمكّنت من اجتذاب المؤمنين. و قد رأينا «أنّ خيرالناس هم الشيعة» على حدّ تعبير سفيان الثوري.

المَوالي والنزعات الدينيّة

عندما نشبت معركة القادسيّة، إلتحق أربعة آلاف من الفرس بالجيش العربي. و تأهّبوا للحرب تحت قيادة «زهرة بن حوية». و كانوا يدعون الحُمَراء[1]. بيد أنّهم اشترطوا لالتحاقهم بالجيش المذكور أن ينزلوا حيث أحبّوا، و يحالفوا من أحبّوا، و يستأثروا بحصّة من الغنائم[2]. فوافقوا على شروطهم، و اشتركوا في الحرب. و بعد تحالفهم مع بعض القبائل العربيّة، أُطلق عليهم: «الموالي»، أي: موالي تلك القبائل. كما أنّ «الحمراء» اسم آخر عرفوا به. و لعلّ الفرس الّذين أخذهم العرب إلى العراق والمناطق العربيّة فيما بعد كانوا يعرفون بالحمراء أيضاً.

أمّا اصطلاح الموالي فكان يطلق عليهم لا محالة. يقول ابن منظور: **«والعرب تسمّي الموالي الحمراء»**.

و قد اعتنق أكثر هؤلاء الدين الاسلامي على الرغم من ضروب الامتهان الّذي كانوا يتعرّضون له من قبل الأُمويّين. و كان العرب يشعرون بالإستعلاء على العجم بينما

---

١ - الحمراء أي : الحمر. و لعلّ له معنى آخر و هو : البيض . يقول ابن منظور : الأحمر في كلام النبيّ - صلّى اللّه عليه و آله : «بعثت إلى الأسود والأحمر» هو الأبيض. **لسان العرب** ٤ : ٢٠٩ . و يقول في ص ٢١٠ كان يقال للعجم : الحمراء ، لبياضهم.

٢ - **فتوح البلدان** : ٢٧٩ ، طبعة بيروت ؛ **تاريخ الكوفة** للنراقي : ٩٢ ، طبعة النجف.

لم يكن أوانهم للسيطرة على الفرس، أقحموا الحسّ العربي في السيادة والحكم. وكان ينبغي لهم أن يصرّوا على نظرتهم الاستعلائيّة أكثر من السابق، فيمتهنوا الفرس أكثر فأكثر!

و كان الموالي في العراق يعتبرون مواطنين من الدرجة الثانية. و لذلك كانوا يكلّفون - كما سترى - بمزاولة الأعمال الشاقّة منذ البداية كإقامة السوق و عمارة الطريق[1].

و كان هذا الامتهان قائماً من أوّل الأمر. و من خال أنّه كان موجوداً في العصر الأموي و بعده فحسب، إذ طرحت القضايا العنصريّة والعرقيّة في المجتمع الإسلامي، فهو ظنّ واهٍ لا يقوم على أساس، و إنّما راجت سوقه أكثر في تلك الفترة.

إنّ عدم السماح للعجم بدخول مدينة الرسول، إذ كان مألوفاً في عصر الخليفة الثاني[2]، يمكن أن يعتبر نوعاً من الامتهان للعنصر الفارسي. و عند ما رأى الخليفة أنّ الناس أحرار في استرقاق العجم، لم يستحسن استرقاق العرب حينئذٍ[3]. حتّى إنّه كان قلقاً بسبب استخدام العجم في إدارة الشؤون المختلفة[4]. و قيل إنّ سبب اغتياله من قبل ذلك الشخص الفارسي يعود إلى تشدّد صاحبه و معاملته الفظّة معه. ذلك أنّه طلب من الخليفة مساعدته، فلم يجبه، و لم يوافق على تغيير عمله[5].

و روى ابن جريج أنّ الخليفة كان يطوف فرأى شخصين يتكلّمان بالفارسيّة، فطلب منهما التكلّم بالعربيّة. و أضاف إنّ من تعلّم الفارسيّة، تموت مروءته[6].

و نقل أيضاً أنّ العرب كانوا يتزوّجون من العجم و لا يزوّجونهم عملاً بسنّة سنّها

---

١ - العقدالفريد ٣ : ٤١٣.
٢ - المصنّف ٥ : ٤٧٤. و ٦ : ٥١، ٥٤.
٣ - الكامل في التاريخ ٢ : ٣٨٢.
٤ - حياة الصحابة ٢ : ١٥٠. المصنّف ١١ : ٤٣٩.
٥ - حياة الحيوان ١ : ٥١.
٦ - اقتضاء الصراط المستقيم لابن تيميّة : ٢٠٥؛ تاريخ جرجان : ٤٨٦.

الخليفة الثاني[١].

و هذا التميز العنصري يماثل التميز الّذي كان ينتهجه الفرس بحقّ العرب[٢] قديماً. وكانت سياسة التميز العنصري و تفضيل العرب على الموالي تمارس أيضاً من قبل ولاة عمر، كأبي موسى الأشعري[٣] مثلاً. و نشطت السياسة المذكورة في عهد عثمان. و أدّى هذا كلّه إلى شعور الموالي بعقدة خاصّة حيال الوضع القائم، والسخط على السياسة الحكوميّة.

و اصّاعدت نبرة القضايا العنصريّة والعرقيّة في العصر الأُموي[٤] إذ كانت حكومتهم ترتكز على العنصر العربي (باسم الإسلام طبعاً[٥])، و لذلك لم يألوا جهداً في التمييز بين العرب والعجم. و لم يتمتّع الموالي في عهدهم بأيّ حقّ من الحقوق الّتي كان يتمتّع بها العرب[٦].

و كان هذا التعامل في وقت استطاع فيه الموالي أن يحتلّوا موقعاً خاصّاً بهم في المناطق العربيّة إبّان الربع الأخير من القرن الأوّل بفضل جهودهم المتواصلة. و كان لهم اليد الطولى في الحقل العلمي والفقهي[٧]. و من المؤسف أنّ بعض الجهّال لم يأبهوا بدور الموالي في تاريخ الحديث و موقعهم بين المحدّثين في أواخر القرن الأوّل فما بعده. و ذكروا أنّ العرب في العصر الأُمويّ كانوا يرون أنّ إيمان الموالي بالاسلام ليس حقيقيّاً، و ذلك تسويغاً منهم لسياسة التميز الّتي كان يمارسها الأمويّون بغير حقّ. و من بوحي هذا التوجّه لم يروا إسلامهم مساوياً لإسلام العرب. ثمّ قالوا: كان الحَجّاج من هؤلاء العرب.

---

١ - الايضاح لابن شاذان : ١٥٣ ، طبعة بيروت. و كان لنا بحث مفصّل حول الامتيازات العنصرية في عهد الخليفة الثاني و الثالث في كتابنا المطبوع **تاريخ سياسي اسلام از آغاز تا سال ٤٠ هـ.** [التاريخ السياسي للاسلام منذ البداية حتّى عام ٤٠ من الهجرة].

٢ - **مروج الذهب** ٢ : ٥٦ . على أن ينكحوا النسوان منهم و لا ينكحوا في الفارسينا

٣ - **حياة الصحابة** ٢ : ٤٤٧ . ٤ - **الزندقة و الشعوبيّة** : ٤٠ .

٥ - **البيان والتبيين** ٣ : ٣٦٧ .

٦ - انظر : **نظرات في تاريخ الاسلام**، دوزي : ٤٠٨ .

٧ - **شذرات الذهب** ١ : ١٠٢ .

و لعلّهم أرادوا بذلك الدفاع عنه من حيث إنّ عربيّته كانت من أجل الإسلام!! و أضافوا أنّ فرض الجزية حتّى على الّذين أسلموا كان لهذا السبب[١]. و أشاع الأمويّون جوّ التميز[٢]. و اضطهدوا الموالي كثيراً. و أثقلوا كواهلهم بالأعمال الصعبة العسيرة بينما استأثروا بالشؤون السياسيّة والعسكرية[٣].

يقول عبدالمجيد العبادي في هذا المجال : كان العرب يرون أنفسهم سادة و ينظرون إلى الموالي على أنّهم طبقة ضعيفة. و تعاملوا معهم بشكل يأباه الشرع والعقل. و يقول بعد ذكر عدد من التصرّفات المشينة: وكانوا يعتبرون تزويج الموالي عاراً على القبيلة الّتي تزوّجهم، و لذلك أدانوا قبيلة بني عبدالقيس[٤].

و كان معاوية يقول : أرى الموالي قد كثروا، و قد رأيت أن أقتل شطراً و أدع شطراً لعمارة الطرق[٥]. إلّا أنّ الأحنف بن قيس ردعه عن قصده. و كتب إلى زياد يأمره بمعاملة الموالي فيالعراق على سنّة الخليفة الثاني . ذلك أنّهم سيذلّون و يستضامون بهذه السياسة، لأنّ سنّة الخليفة الثاني تقول : إنّ للعرب أن يتزوّجوا من الموالي، و ليس لهم أن يزوّجوهم. فيتسنّى للعرب - في ضوء هذه السنّة - أن يرثوهم ، و أمّا هم فلا يرثون العرب ! و لتقلّ حصّتهم، ويكونوا في الصفّ الأوّل عند نشوب الحرب ! و ليصلحوا الطرق، و يقطعوا الأشجار ! و ليس لهم أن يؤمّوا الناس في الصلاة، و لا أن يكونوا في الصفّ الأوّل من صلاة الجماعة ... و واصل كلامه قائلاً : إذا وصلك كتابي **«فأذلّ العجم و أهنهم، و أقصهم، و لا تستعن بأحد منهم[٦]»**.

يقول الإصفهاني: كانت العرب في زمن بني أميّة إذا أقبل العربي من السوق و معه شيء فرأى مولى دفعه إليه ليحمله عنه، فلا يمتنع[٧].

---

١ - الزندقة و الشعوبيّة، الليثي : ٥٠ . ٢ - نفسه : ٣٠ .

٣ - تعتبر هذه التصرّفات امتداداً للأفكار الجاهليّة، فقد كان أبوسفيان يقول: لا خير في مكان يكون فيه بلال شريفاً ! أنظر : المحاسن والمساوىء ١ : ١٣٦ .

٤ - الإسلام و المشكلة العنصريّة : ٧٥ ، طبعة بيروت ١٩٦٩ م . إشارة إلى الشعر الّذي أدان فيه أبو بحير قبيلة بني عبدالقيس لهذا السبب. و جاء في العقدالفريد ٣ : ٢٣٢ أنّ قبيلة بنى عبدالقيس من القبائل الشيعيّة.

٥ - العقدالفريد ٣ : ٤١٣ ؛ تاريخ‌التمدّن‌الاسلامي ٤ : ٣٤١ .

٦ - كتاب سليم بن قيس : ١٠٢ ـ ١٠٤ ، طبعةالنجف.

٧ - ضحى‌الاسلام ١ : ٢٥ ؛ شعوبيّة لهمائي : ٢٣ .

وكان العرب يرون أنّ الموالي خلقوا لأعمال من قبيل :كسح الطرق، و خياطة الثياب[١]. وكان لا يسمح لأحد من أبناء الحكّام الامويّين أن يخلف أباه في الحكم إذا كانت أُمّه فارسيّة[٢].

و عندما ذهب بُسْر بن أرطاة إلى اليمن من قبل معاوية سنة ٣٩ ، فانّه قتل في إحدى حروبه مع أنصار الإمام عليّ - عليه‌السّلام - مائة شخص من أبناء فارس الّذين أخفوا ولدَي عبيدالله بن العبّاس في بيت إحدى نسائهم[٣].

و كان الحجّاج من أشدّ الحكّام الأمويّين قسوة، و قال مرّةً : ليس لأيّ أعجميّ في الكوفة أن يؤمّ الناس في الصلاة[٤]. وكان يأخذ الموالي إلى الحرب قسراً[٥]. و فرّق الحمراء قاطبة على الأمصار، و نقش على يد كلّ واحد منهم اسم المدينة الّتي يلزمه الذهاب إليها[٦]. و لُوحظ في أحد أشعارهم أنّ زواج المرأة العربية للفارسي كزواجها للبغل[٧]. ووضعوا بعض الاصطلاحات الخاصّة للأبناء الّذين يولدون من أب أو أُمّ فارسيّة، كاصطلاح «الهجين» للابن الّذي يولد من أب عربي و أمّ فارسيّة[٨].

و عندما تزوّج أحد الموالي امرأة من بني سليم ، ركب محمّد بن بشير الخارجي إلى المدينة و شكا ذلك إلى واليها إبراهيم بن هشام بن إسماعيل. ففرّق بين المولى و زوجته، و أمر بضربه مائتي سوط، و حلق رأسه و لحيته و حاجبيه. فأنشد محمّد بن بشير قائلاً:

فأيّ الحقّ أنصف للموالي ... من اصهار العبيد إلى العبيد[٩]

و أُنشدت قصائد كثيرة في هجاء الموالي[١٠].

و العجيب أنّ التمييز العنصري كان سائداً حتّى في الأمور المتعلّقة بالحديث، فقد نُقل

---

١ - العقدالفريد ٣ : ٤١٤ «هم يكسحون طرقنا و يخرزون خفافنا و يحوكون ثيابنا». و انظُر : المجروحين ٣٧: و وضعوا حديثاً أيضاً يحظر على الموالي العمل في التجارة. انظر : المجروحين ٢ : ١٢٤ .

٢ - نفسه ٦ : ١٣٠ ـ ١٣١ . يبدو أنّ هذا الموقف قد تغيّر نوعاً ما في أواخر العهد الأموي، و اتّسمت نظرة العرب بالاعتدال أكثر ! حتّى أنّ والدة مروان الحمار كانت فارسيّة.

٣ - نفسه ٢ : ٢٣٣ .

٤ - الغدير ١١ : ٢٧ .

٥ - تاريخ العراق بعد الحكم الأموي : ١٧٠ ، نقلاً عن تاريخ ايران بعد از اسلام لزرّين كوب : ٣٧٩ .

٦ -العقد الفريد ٣ : ٤١٦ .

٧ - القول في البغال للجاحظ : ٨٧ ، طبعة مصر.

٨ - العقد الفريد ٦ : ١٢٩ ؛ الزندقة و الشعوبيّة : ٣٩ نقلاً عن العقدالفريد.

٩ - الأغاني ١٤ : ١٥٠ .

١٠ - الزندقة و الشعوبيّة : ٤٠ .

أنّ المحدّث المعروف الزهري الّذي كان مرتبطاً بالأمويّين كان يأبى نقل الحديث عن أحد علماء الموالى مع وجود العلماء من العرب[١].

بل و اختلقوا أحاديث في ذمّ العجم أيضاً، و زعموا أنّ النبيّ - صلّى اللّه عليه و آله - قال : «**أبغض الكلام إلى الله الفارسيّة و كلام الشيطان**[٢]» و قال : «**إذا غضب الله -تعالى- أنزل الوحي بالفارسيّة. و إذا رضي، أنزله بالعربيّة**[٣]».

كذلك افتروا أحاديث في ذمّ الزنوج نحو: «**إيّاك والزّنج فإنّه خلق مشوّه**[٤]» و «**إيّاكم و الزنج في التزويج**[٥]».

و أُثرت أحاديث مماثلة لهذين الحديثين في ذمّ السودانيّين والأحباش أيضاً[٦].

و كان ثمّة من يتأسّف لتدوين الحديث من قبل الموالي[٧]! و لم يسمح الحجّاج للموالي أن يشغلوا منصب القضاء[٨].

و العجيب أنّ أعرابيّاً جاء ذات يوم إلى سوّار بن عبداللّه بن القاضي و قال له : مات أبي و بقينا أنا و أخي. ثمّ خطّ خطّين في جانب، و خطّاً آخر في مقابلهما و قال : الهجينُ خلّف والدي هجيناً أيضاً، فكيف نقسّم إرثه ؟ فقال له سوّار : يقسّم إرث أبيكم بينكم جميعاً، فقال الأعرابي : و هل يأخذ الهجين ما نأخذ أنا و أخي ؟ فقال سوّار : نعم، فتركه غاضباً و انصرف.

و ذكروا أن عقيل بن علّطة كان غيوراً فخطب إليه عبدالملك ابنته على أحد بنيه، و كان

---

١ - **الطبقات الكبرى** ٢ : ٣٨٨.
٢ - **المجروحين** لابن حبّان ١ : ١٢٩.
٣ - **المنارالمنيف فيالصحيح والضعيف** لابن قيّم الجوزيّة : ٥٩.
٤ - **المجروحين** ٢ : ٢٨٦.
٥ - **أخبار أصبهان** للأصفهاني ١ : ٣١٤.
٦ - **المنارالمنيف في الصحيح والضعيف** : ١٠١.
٧ - **التراتيب الإداريّة** ٢ : ٢٠ ـ ٢١.
٨ - **ضحى الإسلام** ١ : ٢٤ .**العقد الفريد** ١ : ٢٠٧ . **حياةالإمامالرضا- عليه السّلام** : ٢٦ . كان سعيد بن جبير من الموالي، نصبه الحجّاج قاضياً في الكوفة أملاً في استمالته، و بعد القبض عليه بسبب تعاونه مع عبدالرّحمن بن الأشعث، قال له : ضجّ أهل الكوفة (أشراف العرب حتماً) يومها قائلين: «لا يصلح للقضاء إلّا عربي». انظر: **شذرات الذهب** ١ : ١٠٩.

لعقيل إليه حوائج، فقال: إنْ كنتَ لابدّ فاعلاً فجنبنى هجناءَك[١]، أي الذي كان ابوه عربيّ و أمّه أعجميّة.

هذه نماذج من التمييز العنصري الّذي كان يمارس بحقّ الموالي منذ البداية.

و على الرغم من أنّ الموالي آمنوا بالإسلام من خلال معرفتهم به، إلّا أنّ تأثير هذا التمييز على الفرس البعيدين عن العراق كان سلبيّاً. لذلك كان إسلامهم يسير بطيئاً في العهد الأموي. كما نقل أنّ أهالي كرمان لم يقرّوا بالإسلام في ذلك العصر نتيجة لسياسة الأمويّين[٢].

و يعود هذا غالباً إلى ماكان يقوم به الولاة المنصوبون من قبل الأمويّين بأخذ الجزية من المجوس الّذين أسلموا، مضافاً إلى الضرائب الأخرى، و ذلك طيلة الحكم الأموي، كما أنّهم لم يحفلوا بإسلامهم[٣].

و هذا الامتهان لم يمارس بحقّ الفرس فحسب، بل طال غيرهم أيضاً من وحي حسّاسيّتهم حيال كلّ عنصر غير عربي[٤].

فكيف يمكن أن يكون انعكاس هذا الموقف على معنويّات الفرس ؟ فشعب غلب على أمره، وهو يرى نفسه ذا ماض عريق في الحضارة والمدنيّة، و إذا هو ذليل أمام قوم كان ينظر إليهم نظرة احتقار و ازدراء، فكيف يكون موقفه ؟ و ما هو ردّ الفعل الّذي يمكن أن تتركه هذه الأمور ؟! إنّ اعتناق الإسلام من قبل هذا الشعب - حتّى لو كان بنسبة مئوّية ضئيلة - يمكن أن يعبّر عن تغلغل الإسلام في نفوس أبنائه، إلى درجة أنّ جرح كبريائهم القومي لم يقف عائقاً دون إسلامهم، مع هذا كان الامتهان متواصلاً.

و على الرغم من أنّ الموالي كانوا يشاركون في الحروب و الفتوحات عادة، إلاّ أنّ حصّتهم من الغنائم كانت أقلّ من حصّة العرب. و الأنكى من ذلك أنّ العطاء الّذي كان

---

١ - عيون الأخبار ٤ : ١٢ و بشأن موارد أخرى ، انظر: أدب المعتزلة ص ٥٤ و ما بعدها؛ محاضرات الأدباء ١ : ٣٢٠ .

٢ - الموالي فيالعصر الاموي : ٤٥ ، نقلاً عن كتاب : الإسلام والمشكلة العنصريّة: ٧٦ .

٣ - تاريخ ايران بعد از اسلام، لزرّين‌كوب : ٣٨٣ . و انظر : تاريخ الطبري ٨ : ٣٥ . الزندقة والشعوبيّة : ٥٠ عن الطبري . و كان هذا الوضع قائماً حتّى زمن نصر بن سيّار (١٢١ هـ)، و هو الّذي رفع التمييز بين المسلمين. انظر : الزندقة والشعوبيّة : ٦٤ .

٤ - الزندقة والشعوبيّة : ٤٠ .

يُدفع للناس من بيت المال، ليس لهم حصّة منه[١]. و كان طبيعياً أنّهم لم يقفوا مكتوفي الأيدي حيال الامتهان الّذي يلقونه، بل حاولوا التحرّك ضدّ المصالح الامويّة بأيّ شكل من الأشكال عبر اتّخاذ المواقف السياسيّة المناسبة. فخرجوا على المغيرة بن شعبة والي معاوية في الكوفة.

و مع أنّهم شهدوا بالإسلام و كانوا يرون أنفسهم في عداد المسلمين، لم يستسلموا أمام معاوية، و قالو أنّهم لن يعودوا إلى حظيرة الشرك أبداً. و ضحّوا بأرواحهم من أجل ذلك[٢].

وكان هذا أوّل تحرّك مهمّ للموالي، قاموا به وحدهم دون مشاركة العرب إيّاهم ! و لم يكن موقفهم هذا حيال الأمويّين فحسب، بل سجّلوا قبله موقفاً آخر تمثّل في دعم حكومة أميرالمؤمنين - عليه‌السّلام - الّذي عاملهم معاملة إسلاميّة بحتة. وكانوا قد ذاقوا علقم الامتهان في عهد الخلفاء الّذين سبقوه، فبادروا إلى دعمه - عليه‌السّلام - إذ كان يهتمّ بتعويضهم و تطييب أنفسهم. و هذا الدعم لا يعني أنّهم كانوا يؤمنون بالتشيّع بمعناه العقيدي، بل لمّا كانوا موالي عرب العراق، فقد سايروهم في دعم خليفة المسلمين، وليس هذا منطلقهم فحسب، بل كان منطلقهم أيضاً ما رأوا من برّ علي - عليه‌السّلام - بهم واحسانه إليهم، ممّا ضاعف دعمهم إيّاه. و قد ذكرنا في موضوع «التشيّع العقيدي والسياسي» أنّ الدعم السخيّ الّذي قدّمه الموالي للامام - عليه‌السّلام - كان يصبّ في قالب «التشيّع السياسي» و لم ينطلق من عقيدة شيعيّة متبلورة على مستوى عقائديّ مطلوب. علماً أنّ التوجّه المذكور ليس على هذه الوتيرة بشكل عام.

و نقل عن المغيرة أنّ عليّاً - عليه‌السّلام - كان يميل إلى رعاية الموالي كثيراً، بينما كان عمر على نقيضه[٣].

و يقول اليعقوبي: كان علي - عليه‌السّلام - يعطي الناس بالسويّة لم يفضّل أحداً على أحد، و أعطى الموالي كما أعطى العرب. وكانت حجّته أنّ أولاد إسماعيل لم يفضّلوا على

---

١ - الجذورالتاريخيّة للشعوبيّة ، عبدالعزيز الدوري : ١٨ ، طبعة بيروت ١٩٦٢ م .

٢ - تاريخ اليعقوبي ٢ : ٢٢١ .

٣ - بحارالأنوار ٨ : ٥٨٠ و ٥٨١ . باب نوادر الاحتجاج على معاوية . الطبعة الحجرية.

أولاد إسحاق في كتاب الله[١]. و كان يقول مراراً إنّ آدم لم يلد عبداً و لا أمة، و إنّ الناس كلّهم أحرار... ولو كان لي مال، ما فرّقت بين أسود و أبيض في العطاء[٢]. حتّى قال ابن عبّاس: إنّما رغب الناس عن عليّ - عليه‌السّلام - لأنّه لم يفضّل العرب في العطاء[٣].

فالظلم الّذي لحق بالموالي في المجتمع الإسلامي دفعهم إلى بثّ شكواهم عند عليّ - عليه‌السّلام - و قال لهم الإمام (يبدو أنّ هذا الكلام كان قبل خلافته): **«يا معشر الموالي، إنّ هؤلاء صيّروكم بمنزلة اليهود والنّصارى، يتزوّجون إليكم و لا يزوّجونكم، و لا يعطونكم مثل ما يأخذون فاتّجروا بارك‌الله فيكم[٤]»**. و فسح الإمام المجال للموالي بشكل ملحوظ حتّى اعترض عليه بعضُ العرب من أمثال الأشعث بن قيس، و خاطبوه قائلين: غلبتنا هذه الحمراء على قربك» بيد أنّ الإمام كان يقول: ماكنت لأطردهم فأكون من الجاهلين[٥].

و هذا لا يعني أنّ الإمام كان يعتمد عليهم، بل إنّ هذا الاعتراض كان منطلقاً من الروح القوميّة لأشخاص كالأشعث ممّن أدانوا التفاف الموالي حول الإمام - عليه‌السّلام - حتّى لو كانوا قليلين! مع أنّهم ربّما شاركوا في الحروب إلى جانبه[٦]. و هذا الموقف الّذي أبداه الإمام حيال الموالي لم يشجّعهم على دعمه فحسب، بل و رسخ في أذهانهم حقيقة تتمثّل في أنّه لا يرتضي امتهانهم. و في ضوء ما ذكره عدد من الباحثين، فإنّ هذا الموقف قد مهّد الأرضيّة - طبيعيّاً - لتنامي النزعة الشيعيّة الخاصّة بين الموالي. بخاصّة أنّ سلمان - بوصفه شخصاً فارسياً - قد اختار صحبة الإمام و جنّد نفسه لنصرته و دعمه بمعيّة الطليعة الأولى للتشيّع. و هذه حقيقة لا يمكن أن يكون الموالي بمعزل عنها.

و ينصّ السيّد أمير علي أنّ من عادة عليّ - عليه‌السّلام - أن يخصّص نصيبه «النقدي»

---

١ - **تاريخ اليعقوبي**: ج ٢ آخر واقعة الجمل.

٢ - **روضة‌الكافي**: ٦٩، الحديث ٢٦؛ **أنساب الأشراف** ٢: ١٤١؛ **ألغارات** ١: ٧٠؛ **تاريخ اليعقوبي** ٢: ١٨٣.

٣ - **شرح نهج‌البلاغة** ١٦: ٢٣.

٤ - **مرآة‌العقول** ٣: ٤٤١.

٥ - **الكامل** للمبرّد ٢: ٦٢؛ **الفائق** للزمخشري ١: ٣١٩. و جاء في **لسان‌العرب** ٤: ٢١٠ و **تاج‌العروس** ٣: ١٥٤ أنّ جماعة من العرب قالوا لعليّ - عليه السّلام: «غلبتنا عليك هذه الحمراء» فأجابهم: ليضربنّكم على الدين عَوداً كما ضربتموهم عليه بدءاً.

٦ - **الكامل** لأبن الأثير ٣: ١٥٩؛ **الفصول المهمّة**: ٨٩، ٩٠؛ **الزندقة والشعوبيّة**: ٥١، نقلاً عن أبن الأثير. **نثرالدر** ١: ٣٠٠؛ **مجمع الزوائد** ٧: ٢٧٥.

في الأنفال لافتداء الأسرى الفرس. و كثيراً ما أقنع الخليفة عمر بمشورته؛ فعمد إلى تخفيف عبء الرعيّة في فارس[١].

و يقول فان فلوتن: إنّ من أسباب ميل الخراسانيين و غيرهم من الفرس للعلويّين هو أنهم لم يعامَلوا معاملة حسنة، و مارأوا عدلاً إلاّ في حكومة الإمام عليّ - عليه السّلام[٢].

و يمكننا هنا أن نتوسّع في الحديث نوعاً ما عن النزعات الدينيّة للموالي. فقد كانوا يضطلعون بالعبء الأكبر في الحياة الاجتماعيّة بوصفهم شريحة كادحة.

و نظراً إلى أنّهم كانوا واثقين من إسلامهم، لذلك لم يجدوا ما يسوّغ الاجحاف بحقّهم.

و عندما تسلّم الأمويّون مقاليد الحكم، لم يكن أمامهم إلّا التمرّد، مع أنّ زياداً[٣]، والحجّاج الواليينِ الأمويّين المتشدّدين قد قمعاهم و شدّدا عليهم النكير و فرّقاهم في البلاد. و في بادىء أمرهم لم يدخلوا حلبة الصراع بوصفهم تيّاراً مستقلاً ضدّ الأمويّين، بسبب الشبهة المثارة عليهم والقائلة إنّ الإسلام لم يتمكّن من نفوسهم بعد، فكانوا عرضة للاتّهام. وكان ينبغي لهم الانضمام إلى تيّار يحمل هويّة عربيّة على أيّ حال، و يضمن لهم العدالة، و ذلك بهدف الكفاح ضدّ الأمويّين. الكفاح ضدّ من يتّهمونهم بالاحتفاظ بأفكارهم المجوسيّة، و هم الّذين كانوا يتفوّقون على العرب من الوجهة العلمية على صعيد واسع. و كان هذا الاتّهام قائماً ضدّهم من قبل الأمويّين والعبّاسيّين، بخاصّة عند ما كانوا يرفعون لواء المعارضة ضدّ حكوماتهم. و قد مرّ بك - عزيزي القارىء - نموذج يحوم حول توجيه سياسة الحجّاج ضدّ الموالي على لسان أحد الباحثين المصريّين.

و يعتبر تحرّك العلويّين اللبنة الأولى لتيّار إسلاميّ حقيقيّ مضادّ للأمويّين في العراق بفضل الجهود الّتي بذلها أميرالمؤمنين - عليه السّلام - في تحديد الضوابط الدينيّة والسياسيّة الاسلاميّة ضدّ الانحراف الداخلي. وكان ذلك التيّار يعضد الموالي منذ البدء،

---

١ - روح الإسلام : ٣٠٦ ، نقلاً عن حياة الإمام الرضا عليه السلام : ١٧٣ .

٢ - السيادة العربيّة والشيعة والإسرائيليّات، نقلاً عن حياة الإمام الرضا عليه السلام : ١٧٣ .

٣ - من الجدير ذكره أنّ قسماً من هؤلاء الحَمْراء كانوا في جيش زياد. و جاء في رواية تاريخيّة أنّ أحدهم هاجم عمرو بن الحمق الخزاعي الشيعي انتصاراً لزياد. تاريخ الطبري ٤ : ١٩٢ . و جاء في موضع آخر من تاريخ الطبري أنّ شرطة زياد كانوا من الحَمْراء في تلك الأيّام، تاريخ الطبري ٤ : ٢١٠ .

مستهدياً بسيرة الإمام - عليه‌السّلام - في دعمهم. و حينئذٍ فإنّ التحرّك الشيعي للعلويّين يعتبر أوّل تيّار يمكنه أن يضمّ الموالي إليه. و سنرى فيما بعد أنّ انشداد الموالي إلى العلويّين كيف أخذ بالتزايد. و بينما كان أكثرهم يدين بالمذهب السنيّ، إلاّ أنّهم لم يخفوا انشدادهم و تعلّقهم بالعلويّين. و كانوا مستعدّين لتقديم كافّة أنواع المساعدة لهم عبر إيوائهم والترحيب بهم و شدّ أزرهم.

ثمّة فريق آخر كان يمكنه أن يستميل الموالي و يضمّهم إليه. و هذا الفريق يتمثّل بالخوارج[١]، كما نلحظ أنّ إحدى فرقهم كانت تضمّ خمسة من العرب ليس غيرهم[٢]. و نقرأ في التاريخ أنّ الخوارج ظهروا في معركة صفّين، مع أنّ الأرضيّة كانت ممهّدة من قبل لظهورهم. ثمّ حاربوا أميرالمؤمنين - عليه‌السّلام - في النهروان. و ظلّوا بعده عقوداً من الزمن و هم يتمسّكون بآراء متشدّدة متطرّفة مع توجّه مضادّ للأمويّين غالباً، إذ خلقوا لهم متاعب كثيرة ردحاً من الزمن. حتّى إنّ مواقفهم المعارضة لهم في العراق أعجزتهم عن الحؤول دون تقدّم قوّات أبي مسلم الخراساني في الفترة الأخيرة من حكمهم. و نقرأ أنّ الخوارج لم يقرّوا برأي الشيعة في الإمامة، كما لم يؤمنوا بنظريّة أهل السنّة فيها، إذ يرى أهل السنّة أنّ الخلافة منحصرة في قريش. و يحتمل أنّهم كانوا يعتبرون العرب والعجم متساوين في الإمامة.

و على الرغم من أنّ هذه الرؤية لا تبدو أنّها ظهرت في أوّل أمرهم إذ كانوا يخوضون نشاطاً سياسيّاً في الغالب، بيد أنّنا يمكن أن نقبل أنّ هذا التفكير - منذ أن ظهر - كان باستطاعته أن يستميل القوى المعارضة للأمويّين نوعاً ما[٣]. و ما تعاونُ الموالي مع الخوارج في إحدى ثوراتهم ضدّ معاوية[٤] إلّا نموذج على هذه الاستمالة.

و لمّا كان الخوارج لا يؤمنون بالتقيّة في بادىء تحرّكهم، لذلك كانوا يصطدمون بالأمويّين دائماً. و من هذا المنطلق، فانّ الفرس الّذين كانوا يستطيعون التعاون في ما بينهم، وكذلك التعاون مع سائر الموالي، و لهم رغبة في مثل هذه الأعمال، كان بمقدورهم إعداد

---

١ - النظم الاسلاميّة : ٥٠ .

٢ - أنساب الأشراف ٢ : ٣٥٩ (تصحيح الشيخ المحمودي).

٣ - دائرة المعارف الاسلاميّة ، نقلاً عن الزندقة والشعوبيّة : ٥١ .

٤ - تاريخ اليعقوبي ٢ : ٢٢١ .

العدّة للحرب و الانضمام الى الخوارج بكلّ سهولة. لذلك تعتبر المناطق الجنوبيّة الشرقيّة من ايران، الّتي كانت بمعزل عن تغلغل الإسلام آنذاك مسرحاً لنشاطات الخوارج.

و ينبغي القول هنا : إنّ الشعبيّة الّتي حصل عليها الخوارج بين كثير من الموالي تنطلق من اتّجاهات سياسيّة غالباً[١]. والنموذج الّذي يدلّ على هذه الشعبيّة اشتراكهم في حرب من حروب الخوارج الّتي خاضها الأزارقة ضدّ المهلّب بن أبي صفرة سنة ٧٧ هـ تقريباً. وكان الموالي يتعاونون مع شتّى الفرق والفئات الّتي تمارس نشاطاً ضدّ الأمويّين[٢]. لذلك لا يمكن أن نحسب وجود شريحة من الموالي إلى جانب الشيعة باعثاً على ظهور التشيّع وبلورته. و لو قدّر أن يُنسب هذا الشيء إلى الشيعة، فمن الضروري أن نعتبر الخوارج - قبل ذلك - تابعين للموالي. بخاصّة أنّهم كانوا يمارسون نشاطاً مكثّفاً في إيران خلال قرن أو قرنين من الزمان، و حصلوا أيضاً على قواعد لهم في المناطق الجنوبيّة منها.

و لقد كان التحاق الموالي بهذه الحركات من أجل التحرّر سياسيّاً، علماً أنّ التوجّه الديني كان يستتليه أيضاً[٣]. و في ضوء ذلك لابدّ من الإذعان أنّ هذه الرؤية - بعامّة - لا ترتكز على أساس صحيح و مقبول.

و ينبغي أن نقول هنا : إنّ تشدّد الخوارج في تعاملهم مع الشرائح الاجتماعيّة المختلفة، و رأيهم المتطرّف في تكفير مخالفيهم، و قتل الأطفال والشيوخ، والنساء ... ،كلّ ذلك أدّى إلى استياء الناس و تذمّرهم، فخسروا أكثر الناس، سواء من العرب أم الموالي. و هذه التوجّهات نفسها أفضت بكثير من الناس إلى التعاون مع الخوارج خشية بطشهم.

أمّا الشيعة، فكان بمقدورهم استمالة فرق و شرائح أُخرى إليهم، لِما عُرفوا به من حركة متّئدة، تغلغلت في نفوس كثير من الوجوه العلميّة المعروفة في العراق كسعيد بن جبير، و ابن أبي ليلى و غيرهما[٤]. وكان بإمكانهم أن ينقلوا إليها نوعاً من التشيّع السياسي

---

١ - انظر: كتاب **تاريخ إيران بعد از اسلام** لمؤلّفه عبدالحسين زرّين‌كوب : ٣٥٩ للتعرّف على مشاركة الموالي في حروب الخوارج ضدّالأمويّين والحجّاج في العراق.

٢ - **الزندقة و الشعوبيّة**: ٤٢ ، عن نيكلسون في الكتاب ٢٤٧ .

٣ - **الزندقة و الشعوبيّة**: ٣٠ .

٤ - يقول فلهاوزن : «كان للشيعة نجاح أكبر في استمالة الموالي ضدّ الأمويّين» انظر : **الدولة العربيّة و سقوطها**: ٦٨ .

الّذي ينطوي على شيء من العقائد الشيعيّة أيضاً. و حينئذٍ فليس التشيّع السياسي وحده يؤدّي دوره.

و من الجدير ذكره أنّنا لا يمكن أن نقرّ بالنظرة القائلة إنّ الموالي كانوا إمّا شيعة أو خوارج على أنّها قاعدة عامّة، لأنّ كثيراً منهم قد مالأ الأمويّين. كما نقل أنّهم تعاونوا مع ابن زياد أيضاً. حتّى إنّ المرحوم آل ياسين قد ارتاب في كلام من قال إنّ الموالي كانوا حماة التشيّع، و فنّد هذا الرأي[1]. بيد أنّ الأدلّة التاريخيّة الوافية الّتي سنعرضها في سياق بحثنا عن مساهمة الموالي في التيّارات الشيعيّة سيدحض هذا الارتياب.

و من الخليق بالذكر هنا أيضاً أنّ الضالّة المنشودة للموالي في تلك الظروف يمكن أن تتجلّى في العقائد السياسيّة للشيعة، المرتكزة على الثقافة الإسلاميّة الّتي طرحها النبيّ الأكرم، و أمير المؤمنين صلوات‌اللّه عليهما. و كان الكفاح ضدّ الحاكم الظالم عقيدة من عقائد الشيعة، بينما كان السنّة يرونه بغياً على الإمام، بل و يحرّمونه. و قد لوحظ هذا التوجّه حيال ثورة سيّدالشهداء – عليه‌السّلام[2]. و هذا الهدف الّذي كان يطمح إليه الموالي هوالّذي دفع المختار إلى القول : إنّ المغيرة أخبره أنّه إذا أراد جمع الناس حوله، لا سيّما العجم، فعليه أن يدعوهم إلى نصرة آل محمّد و الطلب بثأرهم[3].

والحقيقة هي أنّ الفرس في تلك الظروف الاجتماعيّة والسياسيّة الّتي كانوا يعانون فيها من الضغوط الاجتماعيّة، كانوا يتلمّسون غالباً رسالة تنقذهم عبر ما تطرحه من نظريّة متزامنة مع التطبيق. و لم تدُر في خلدهم المَلَكيّة الموروثة و موازنتها بالإمامة الالهيّة. وإنّما استسلموا للعرب أملاً في خلاصهم من الظلم الملكي. لذلك ينبغي لنا هنا أن نعرض استنتاجنا من الظروف القائمة وقتذاك و نقول : إنّ الهدف الّذي كان يطمح إليه الموالي، و يتمثّل في دعمهم بالنظر إلى الضغوط الّتي تمارس ضدّهم، كان مأمولاً في فكر الشيعة و عملهم. و قد أدّى هذا الأمر بفئات منهم إلى مناصرة العلويّين، بل و اعتنق

---

١ – صلح الحسن – عليه‌السّلام – : ٧٢، طبعةالنجف. و قد عرضنا في هامش أحدى الصفحات المتقدّمة أدلّة محدودة و عابرة على هذا الرأي.

٢ – تاريخ الطبري ٤ : ٣٣١، طبعة مصر. و كان عمرو بن الحجّاج يحرّض الناس ضدّ الإمام الحسين – عليه السّلام – قائلاً : يا أهل الكوفة، إلزموا طاعتكم و جماعتكم، و لا ترتابوا في قتل من مرد عن الدّين و خالف الإمام.

٣ – أنساب الأشراف ٥ : ٢٢٣.

بعضهم العقيدة الشيعيّة بصورة تامّة. لذلك فإنّ النقطة الّتي تركّز على أنّ دعمهم أحداًكان من أجل قضايا سياسيّة معيّنة[1]، لا يمكن قبولها بنحو مطلق. مع هذا، كما مرّ بنا، فإنّ الموالي لم يميلوا إلى التشيّع غالباً، و أفضل دليل يعزّز قولنا هو مادلّ عليه التاريخ إذ تحدّث عن دعمهم الخوارج، و حركة عبدالله بن جارود، و يزيد بن المهلّب، والحارث بن سريج، و عبدالرحمن بن الأشعث أيضاً، و إن كان أغلب هذه الميول والنزعات في القرن الأوّل الهجري يصبّ في قالب التشيّع السياسي أو في قالب النزعة السياسيّة للخوارج.

العراق قاعدة التشيّع والموالي

كان العراق مركزاً لتنامي الرؤية الشيعيّة منذ عصر الإمام عليّ – عليه‌السّلام. و كان يُعدّ من أفضل المراكز الّتي تمثّل السيادة الإسلاميّة خلال أكثر من أربع سنين. و تربّى الناس عقيديّاً و سياسيّاً في ظلّ توجيهات الإمام – عليه‌السّلام – المتواصلة الّتي جُمعت إضمامة منها في نهج‌البلاغة. و هذا الوضع، الّذي أرسى دعائم الفكر الشيعي، مهّد الأرضيّة لتنامي التشيّع في المجتمع. يضاف إلى ذلك، أنّ الحياة الإسلاميّة والنموذجيّة للإمام أميرالمؤمنين – عليه‌السّلام – ضاعفت شعبيّته بين الناس. والتجربة الملموسة الّتي شهدها الناس في حرب الناكثين، والقاسطين، والمارقين حدّدت الهويّة العقيديّة للشيعة بشكل أصبح التشيّع يحتلّ موقعه في مقابل الأفكار والمواقف العثمانيّة والخارجيّة.

في ضوء ذلك، و بعامّة، فإنّ أنصار الإمام ـ عليه‌السّلام ـ هم الّذين كانوا يتكتّلون في مقابل الأفكار والعقائد العثمانيّة و الخارجيّة. فكان عنوان التشيّع يُطلق عليهم تلقائيّاً. يضاف إلى ذلك، أنّ تعليمات الإمام الواسعة الّتي يزخر بها نهج‌البلاغة حول أهل‌البيت – عليهم‌السّلام، و عرض أهل البيت – عليهم‌السّلام – بوصفهم محور المجتمع الإسلامي و قوامه ، و كذلك مؤاخذات الإمام الصريحة الواضحة على اسلوب إدارة المجتمع، كلّ ذلك وطّد قاعدة الإمامة. و هذا هو أهمّ باعث على تعزيز التشيّع العقيدي في الكوفة. و حريّ بالذكر أنّ بين أنصار الإمام – عليه‌السّلام – أشخاصاً كانوا يميلون إلى بعض الخلفاء السابقين، و ما إحياء بيعة الغدير في رحبة مسجد الكوفة من قبل أميرالمؤمنين –

---

١ - شعوبيّة لمؤلّفه همائي : ٣٧ . طبعة اصفهان.

عليه‌السّلام - إلاّ توجّه يصبّ في هذا المسار. و هذه كلّها بواعث على اتّساع دائرة التشيّع في العراق، و إنْ كانت قد ضاقت فيما بعد حتّى أضحى الشيعة أقلّيّة تعيش في الكوفة.

و كان العراق، لا سيّما الكوفة، يحسب لها حساب خاصّ بين أمصار العالم‌الاسلامي و حواضره، إذ كانت قاعدة الفتوحات الّتي خاضها المسلمون في شرق الأرض. و لذلك توافد عليها و على البصرة كثير من الصحابة منذ الأيّام الأولى للفتوحات في‌العراق و بلاد فارس. و تمّ تمصير هاتين المدينتين بين عامي ١٧ و ١٩ هـ، و كان سكّان الكوفة الأوائل من المهاجرين المسلمين، ثمّ من سائر قبائل العرب فيما بعد.

و بلغت أهميّتها أنّ عمر كان يسمّيها: «سيّد الأمصار» و «جمجمة‌العرب[١]».

كما أنّ أميرالمؤمنين - عليه‌السّلام -كان يخاطبها «بكنز الايمان» و «جمجمة‌الإسلام[٢]». و كذلك كان يعتبرها «قبّة‌الإسلام[٣]».

و هذا كلّه يدلّ على أنّ العراق كان يحظى بأهميّة كبيرة للإسلام حتّى قبل حكومة أميرالمؤمنين ـ عليه‌السّلام.

و ازدادت أهميّتها عندما هاجر إليها الإمام - عليه‌السّلام - عام ٣٦ هـ، و اتّخذها عاصمة لخلافته. بخاصّة أنّ سبعين صحابيّاً هاجروا إليها[٤]، و أنّ عدداً كبيراً من الأنصار الّذين كانوا من أهمّ أتباع الإمام - عليه‌السّلام - استوطنوا فيها. و هكذا اتّسعت المدينة تبعاً لاتّساع القاعدة الشعبيّة الّتي كانت تدعم الإمام - عليه‌السلام. و كان - عليه‌السّلام - يقول فيها: «تربة تُحبّنا و نُحبّها[٥]».

و في ضوء ما مرّ بنا، فإنّ خلافة أميرالمؤمنين - عليه‌السّلام -كان لها الدور الأكبر في تمهيد الأرضيّة للتشيّع في الكوفة. وكان بين أصحاب الإمام - عليه‌السّلام - من يستوعب الخطّ العقيدي والسياسيّ للتشيّع، ويعيه وعياً تامّاً، حتى إنّهم لم يستعدّوا للتنازل عن حبّ الإمام و ولائه قطّ، ولو كلّفهم ذلك الصعود على أعواد المشانق أو إخراج ألسنتهم من

---

١ - مختصر البلدان: لابن فقيه الهمداني : ١٦٤ .   ٢ - نفسه : ١٦٣ .

٣ - نفسه : ١٦٦ ؛ تاريخ الكوفة للبراقي : ١٠٦ ـ ١٠٧ .

٤ - مختصرالبلدان : ١٦٦ .

٥ - شرح نهج‌البلاغة ٣ : ١٩٨ . و كان الإمام - عليه‌السّلام - يقول أيضاً : «هذه مدينتنا و محلّتنا و مقرّ شيعتنا». المصدر نفسه.

أقفائهم. و نذكر من هؤلاء: رُشَيدالهَجَري، و ميثم‌التمّار، و كُمَيل بن زياد.

و كان دعم التشيّع متواصلاً بعد استشهاد أميرالمؤمنين– عليه‌السّلام – على امتداد الأشهر الستّة الّتي حكم فيها الإمام الحسن – عليه‌السّلام[١]. و صحيح أنّ الكوفيّين قد سئموا بسبب خوض الحروب المتكرّرة، بيد أنّهم بايعوا الحسن – عليه‌السّلام. و عند ما طرحت قضيّة الحرب مع الشاميّين من جديد، كان كثير من الكوفيّين لم يرغب في الحرب، و رضوا من الإمام– عليه‌السّلام – عدم الاشتباك مع معاوية، بينما لم يكن ذلك ممكناً قطّ. و لذلك اعتزل الإمام الخلافة.

فهبّ عدد من شيعة الإمام يؤاخذونه على اعتزاله الخلافة، و خاطبوه بقولهم: يا مذلّ المؤمنين[٢]. فقال لهم: خشيت أن تُجتثّ الشيعة، و يزول ذكر أهل البيت – عليهم‌السّلام[٣]. والحقيقة أنّ الإمام وجد نفسه وحيداً في الميدان، و لم يأمل في تحقيق النصر على معاوية نظراً لقلّة شيعته المخلصين، و اطمأنّ أنّ الحرب لا تعني إلّا القضاء التامّ على الشيعة وإمامهم. و حينئذٍ لا يترك معاوية لهم أثراً بما عُرف عنه من مكائد دينيّة و سياسيّة. و هذا الموقف الّذي اتّخذه الإمام أسفر عن بقاء نسبة ملحوظة من أهل الكوفة على تشيّعهم، حتّى إنّ عبدالله بن مطيع والي ابن الزبير عندما أراد أن يسير فيهم بسيرة عمر و عثمان، قالوا له: بل بسيرة عليّ بن أبي طالب – عليه‌السّلام[٤].

و في ضوء ما نقله الحنبلي فانّ عديّ بن ثابت الّذي مات سنة ١١٦ ﻫ و هو «شيعيّ مفرط» على لسان ابن معين، و «رافضيّ غال» على حدّ تعبير الدارقطني، كان قاضي الشيعة و إمام مسجدهم في الكوفة[٥]. و هذا مَعْلَم من معالم تبلور خطّهم يومذاك. و في

---

١ – **الأغاني** ١١ : ١١٦.

٢ – **الفتوح** لابن الأعثم ٤ : ١٦٦ ؛ **شرح نهج‌البلاغة** لابن أبي‌الحديد ١٦ : ١٥ . هؤلاء و إن كانوا من الشيعة كحِجْر، بيد أنّ ضعف إيمانهم المؤقّت بالإمام أدّى إلى هذا الانحراف المتمثّل بعدم طاعته، مع أنّهم حافظوا على هذه الطاعة فيما بعد . و لذلك أُتهم حجر بعزمه على تسليم الحكم للعلويّين.

٣ – **الفتوح** ٤ : ١٦٦ . ترجمة الإمام الحسن – عليه‌السّلام – من **تاريخ دمشق** : ٢٠٣ – تصحيح المحمودي

٤ – **أنساب الأشراف** للبلاذري ٥ : ٢٢٠ ـ ٢٢١، طبعة بغداد.

٥ – **شذرات الذهب** ١ : ١٥٢.

الوقت نفسه فانّ هذه الشريحة من الشيعة الّتي كان منها خمسون رجلاً يعرفون عليّاً - عليه‌السّلام - حقّ معرفته. و حقُّ معرفته إمامتُه[١] كما في الأثر عن الإمام الباقر - عليه‌السّلام - واصلت نشاطها التنظيمي، و كانت تطالب الحسين - عليه‌السّلام - أن يتصدّى لقيادة الأمّة على الرغم ممّا كانت تعانيه من عجز وضعف. بيد أنّ الحسين - عليه‌السّلام - لم يستجب لهم[٢]. فواصلوا معارضتهم لبني أُميّة و لم يدّخروا وسعاً في ذلك. و آيةُ معارضتهم أنّ الحجّاج قتل منهم مائة ألف كانوا يشهدون جميعهم بكفر يزيد[٣].

و ضُرب أحد الشيعة أربعمائة سوط من قبل الحجّاج على أن يشتم عليّاً - عليه‌السّلام - فلم يفعل[٤]. و أُشخص حجر بن عديّ و صحبه الأبرار إلى الشام لمعارضتهم الوالي الأمويّ في الكوفة، ثمّ قتلوا في «مرج عذراء» لعدم براءتهم من أميرالمؤمنين - عليه‌السّلام[٥].

و نظراً إلى مكانة حجر في المجتمع الكوفي، فقد كان لاستشهاده وقع في تعزيز موقع التشيّع هناك نوعاً ما. ممّا ألجأ زياد بن أبيه إلى قمع هذا التحرّك بأبشع الأساليب، بيد أنّ جذوته كانت تتّقد تحت الرماد في تلك المدينة. و قد تجسّد ذلك في حركة التوّابين، و بعدها بفترة حركة زيد بن عليّ و دعم المجتمع الكوفي إيّاه.

و كتب هشام بن عبدالملک عن هذا المجتمع قائلاً: «**أمّا بعد؛ فقد عرفت حال أهل الكوفة في حبّهم أهل البيت و وضعهم إيّاهم في غير مواضعهم، لافتراضهم على أنفسهم طاعتهم**[٦]». لقد كان تشيّع المجتمع الكوفي تشيّعاً علويّاً حقّاً. و لذلك لم يخدع بمكر العبّاسيّين كما خُدع المجتمع الخراساني. و حينما أقام السفّاح فيها فترة، طلب منه المنصور أن يتركها لأنّ فيها شيعة آل أبي طالب[٧].

و عندما عدّ الخوارزمي الرأي كوفيّاً، والاعتزال بصريّاً، و الخطّ أنباريّاً، والحساب

---

١ - **رجال الكشّي** للطوسي: ٦.
٢ - **الأخبار الطوال**: ٢٢٢.
٣ - **العقدالفريد** ٤: ٤٤.
٤ - **شذرات‌الذهب** ١: ١٤٤.
٥ - كان نصّ الشهادة الّتي أدلى بها عدد من فسّاق الكوفة ضدّه كما يلي: و زعم أنّ الأمر لا يصلح إلاّ في آل أبي‌طالب. انظر: **تاريخ‌الطبري** ٤: ١٩٢ (طبع الاستقامة).
٦ - **الفتوح** ٤: ٢٣.
٧ - **أنساب الأشراف** ٢: ٢٣٨.

سواديّاً، فانّه عدّ التشيّع عراقيّاً[١]. و قد أشرنا من قبل و قلنا إنّ هذا التشيّع كان في أكثر الأحيان و بالنسبة الى كثير من الناس سياسيّاً، كما نقل الخوانساري عن كتب العامّة أنّ «عامّة أهل الكوفة كان عملهم في عصر الإمام الصادق - عليه‌السّلام - على فتاوى أبي حنيفة، و سفيان الثوري، و رجل آخر[٢]». و مع ذلك يقدّمون أحياناً عليّاً على الشيخين ويبغضون عثمان، في حين أنّ كثيراً من الشيعة المعتقدين بإمامة أهل البيت كانوا في الكوفة، حتّى إنّ الصادق - عليه‌السّلام - كان يقول : إنّ الله عرض ولايتنا على أهل الأمصار، فلم يقبلها إلّا أهل الكوفة[٣].

و في غضون هذه الظروف والملابسات، كان الموالي يعيشون على مسرح الحوادث. و قد ازداد عددهم بعد جلبهم إلى العراق طائعين أو كارهين، حتّى أصبحوا يشكّلون نسبة كبيرة من المجتمع الكوفي. و عند ما نشبت حرب صفّين كانوا إلى جانب أميرالمؤمنين - عليه‌السّلام -[٤]. و تعاظم دورهم في النشاطات السياسيّة بعد ذلك؛ فتوجّهت الأنظار إليهم لكفاءتهم و معرفتهم بالأمور. و كان وجودهم في العراق إلى جانب الشيعة من قبيلتي هَمْدان[٥]، و ربيعة[٦] باعثاً على تغلغل التشيّع في نفوسهم. بخاصّة، أنّ الأرضيّة كانت مساعدة على مثل هذا التغلغل بسبب الامتهان الّذي كانوا يلقونه من الأمويّين، و قد مرّ بنا ذكره.

من هذا المنطلق، ينبغي أن نقول : إنّ من الضروري أن نتلمّس البواعث الأولى على ركون الموالي إلى التشيّع في ثلاث نقاط هي : الأولى : العلاقات المقطوعة بين الحكّام والموالي. الثانية: موقف الشيعة المضادّ للامويّين. الثالثة: التقارب الجغرافي بين الشيعة والموالي.

فهذه العوامل السياسيّة و الجغرافيّة ساعدت على تمهيد الأرضيّة بين شريحة من

---

١ - رسائل الخوارزمي : ٦٥. ٢ - روضات الجنّات ١ : ١٩١.

٣ - بصائر الدرجات : ٧٦.

٤ - أنساب الأشراف «القسم الثالث» : ١٥٠. مجالس المؤمنين للشوشتري ١ : ٥٥.

٥ - الكامل للمبرّد ١ : ٢٨٨ ؛ شرح نهج البلاغة ١٩ : ١٢٤ و ٢٠ : ٢٨٤ ؛ بحارالانوار ٤١ : ١١٦ ، ١١٧ ؛ غريب الحديث لأبي عبيد ٣ : ٤١٧ ؛ بهج الصباغه للتستري ١٣ : ٤٠٠ ، ٤٠١.

٦ - معجم قبائل العرب ، عمر رضا كحّالة ٣ : ١٢٢٤. «كانت قبيلة همدان شيعة عليّ بن أبي‌طالب».

الموالي لدعم التشيّع. و ثمّة عوامل أُخرى سنعرضها في سياق البحث. و من الثابت - على أيّ حال - أنّ أوّل من آمن بالتشيّع في الكوفة هم أشخاص من شتّى القبائل العربيّة، ثمّ تبعهم الموالي.

و عند ما استُشهد الإمام الحسين - عليه‌السّلام - و أصحابه الأبرار على يد الكوفيّين في واقعة الطفّ، فإنّ شريحة من الشيعة كانت قد تقاعست عن نصرته بسبب مضايقات ابن زياد، و تقصيرها في أداء الواجب، و نظرتها الضيّقة، فندم أفرادها على ما فرّطوا في جنب الحسين - عليه‌السّلام[1]. ثمّ عزموا على الثورة ضدّ الامويّين و عبيدالله بن زياد، و سمّوا أنفسهم : التّوابين. و ما كانت مبادرتهم هذه إلاّ لتخلّفهم عن ركب كربلاء، و شعورهم بضرورة التدارك. و قالوا : «**إنْ ظهرنا رددنا هذا الأمر إلى أهل بيت نبيّنا**[2]».

بيد أنّ مبادرتهم كانت تفتقر إلى تخطيط خاصّ. و من المؤسف أنّهم لم يقوموا إلاّ بتبديد الطاقات الّتي كان من الممكن أن تشكّل رصيداً لحركة شيعيّة منظّمة[3].

والمهمّ هنا أنّ قادة التوّابين كلّهم كانوا من العرب ، وهم : **سليمان بن صُرَد الخزاعي، و المسيّب بن نجبة الفزاري، و عبدالله بن سعد بن نفيل الأزدي، و عبدالله‌بن وال التميمي، و رفاعة بن شدّاد البَجَلي**. و كان الأوّل من صحابة النبيّ - صلّى‌الله عليه و آله - و أميرالمؤمنين - عليه‌السّلام . أمّا الباقون فكانوا من خاصّة أصحاب أميرالمؤمنين - عليه‌السّلام[4].

يقول فلهاوزن: اجتمع أربعة آلاف شخص من التوّابين في النُخيلة. و فيهم عرب من جميع القبائل و كثير من القرى. و ليس فيهم شخص واحد من الموالي[5].

---

١ - **الكامل** لابن الأثير ٤ : ١٥٨ «تلاقت الشيعة بالتلاوم و التندّم» ؛ **الطبري** ٤ : ٤٢٦ .

٢ - **تاريخ الطبري** ٤ : ٤٣٣ ؛ **أنساب الأشراف** ٥ : ٢١٠ ، طبعة بغداد.

٣ - قال المختار في سليمان بن صُرَد : «إنّما يريد أن يقتلكم و نفسه، فإنّه لا علم له بالحروب و سياسة الأُمور». **أنساب الأشراف** ٥ : ٢١٨ .

٤ - كان عدد من شيعة المدائن معهم (**الكامل** ٤ : ١٦١ ؛ **الطبري** ٤ : ١٦٠). و نقل البلاذري أنّ التوّابين كتبوا كتاباً إلى سعد بن حذيفة في المدائن يدعونه إلى نصرتهم. و قال البلاذري في شيعة المدائن: «و كانوا انتقلوا إليها من الكوفة». **أنساب الأشراف** ٥ : ٢٠٦ ، طبعة بغداد.

٥ - **الخوارج و الشيعة** لفلهاوزن : ١٩٤ .

الموالي و مشاركتهم في ثورة المختار

لم يفكّر أحد قبل المختار باستثمار وجود الموالي. و صحيح أنّ أميرالمؤمنين - عليه‌السّلام - كان يلطِّف بهم تبعاً لسياسته العامّة، إلّا أنّ أكثر أنصاره كانوا من العرب. وكان المختار أوّل من بادر إلى تلك الخطوة، و طرح ضرورة استثمارهم. و أمّا ما قيل أنّ عليّاً - عليه‌السّلام - كان أوّل من أدرك أهميّة الموالي، و قد جاء إلى الكوفة من أجل ذلك. فإنّه كلام لا ينسجم مع ظروف الموالي آنذلك، إذ كان من المتبذّر استثمارهم و الاستفادة منهم في تلك الظروف. و لا ينطبق هذا الموضوع أيضاً على الإمام الحسين - عليه‌السّلام -، والدليل على ذلك حركة التوّابين الّتي لم تضمّ الموالي في صفوفها. و في ضوء ذلك، فإنّ ما قاله البعض في هذالمجال لا يبدو صحيحاً[1]، و مآله الجهل بالظروف السائدة وقتذاك.

و كان المختار بن أبي عبيدة الثقفي أحد الأشخاص الّذين بذلوا جهودهم عدد سنين لضعضعة أركان السلطة الأمويّة في الشرق. و لذلك كان يبغضه الأمويّون و من سار في ركابهم من المؤرّخين بغضاً شديداً، و كذلك كان يبغضه الزبيريّون بشدّة. و عمل هؤلاء كلّهم على اتّهامه بشتّى التهم. وكان تمسّكه بالتشيّع باعثاً على عدم تأييده من قبل الآخرين أيضاً. و لذلك نجد التقوّلات الّتي تقوّلها عليه الأمويّون في أيّام ثورته و بعدها، و بثّوها في مختلف الأرجاء بوصفها إشاعات مغرضة مضادّة، قد تلاقفتها الأيدي بلا نقد أو تمحيص، و تناقلتها الألسن على أنّها أخبار المختار بلا تريّث، و انتشرت في كلّ مكان. و نجد أنّ «تاريخ الطبري» و غيره من المؤرّخين الّذين كان تاريخهم خلاصة لتاريخه، مشحون بالتهم الكاذبة ضدّه، و لا سيّما التهمة المتمثّلة بادّعائه النبوّة. و نحن لا ننوي هنا دراسة حركة المختار و تقويمها، بيد أنّنا نجتزىء بالقول إنّ من كان يدّعي ذلك، فليس بمقدوره البقاء في العراق يوماً واحداً، فضلاً عن تولّيه أمر حكومته أكثر من سنة. و نقرأ أنّ المختار نفسه قال في خطبته بعد الانتصار: «... و تقوّلوا عليّ الأقاويل[2]». و يبدو من هذا الكلام أنّ طعوناً قد وجّهت إليه في حياته، و دحضها. و لا يستبعد أنّه كان متطرّفاً نوعاً ما، لذلك لم يحظ

---

١ - الزندقة والشعوبيّة: ٤٢، ٤٦.
٢ - الفتوح ٦: ١١٤.

بدعم الإمام زين العابدين عليّ بن الحسين - عليه السّلام[1].

و لعلّ الإمام - عليه السّلام - لم يرغب في اتّخاذ موقف صريح من تحرّكه، بخاصّة، أنّه لم يعبّر عن موقف سياسي معيّن علناً.

و لا يمكن القبول برأي مقنع حول ادّعائه النبوّة[2]. لأنّ العناد الموجود ضدّه يكشف لنا أنّ هذه التهمة هي من عمل المرجفين. والعجيب أنّ بعض المؤلّفين الجدد قد نسبوا إليه التهمة المذكورة أيضاً[3]. بينما نجد أنّ هذه التهمة الّتي نقلها المؤرّخون لاتنسجم مع ما نقلوه أنفسهم حول الموضوع الأساس لثورته. فقد نصّ هؤلاء كلّهم على أنّ المختار كان يعتبر نفسه ممثّلاً لابن الحنفيّة. و هذا هو سرّ انتصاره. فكيف ينسجم مع ادّعاء النبوّة! واللافت للنظر أنّ عبدالله بن عبّاس أيضاً رفض وصف المختار بالكذب[4]. و عند ما قالت زوجة المختار لمصعب بن الزبير بعد مقتل زوجها: ما علمته إلّا مسلماً من عباداللّه الصالحين، تقوّلوا عليها أنّها تزعم أنّه نبيّ، فقتلوها[5]! و هذا أفضل دليل على أنّ كثيراً من تلك التهم والطعون كانت مزيّفة.

و عندما ثار المختار، كان الشيعة في الكوفة يشعرون بتأنيب الضمير لخذلانهم الإمام الحسين - عليه السّلام، لذلك كانوا يعبّرون عن مواساتهم أهل البيت - عليهم السّلام. و امتلأت صدورهم حقداً و بغضاً للأمويّين مساعير واقعة الطف. و كانوا لا يفرّقون بين أبناء عليّ - عليه السّلام - سواء كانوا من فاطمة الزهراء - عليها السّلام - أم من غيرها، بيد أنّهم كانوا يولون اهتماماً أكبر بأبناء الزهراء - عليها السّلام. و عندما يمّم المختار الإمام عليّ بن الحسين - عليه السّلام - و لم يلق منه دعماً ، زعم أنّ محمّد بن الحنفيّة بوصفه

---

١ - أنساب الأشراف ٥ : ٢٧٢ .

٢ -لعلّ خبراً واحداً تذرّع به المعاندون فنسبوا إليه ادّعاء النبوّة . و يتمثّل هذا الخبر في قوله عندما كذّبه البصريّون : «إنّكم تسمّونني كذّاباً و قد كُذّب الأنبياء من قبلي» تاريخ الطبري ٤ : ٥٣٨ ، ٥٣٩ . فلم يكن قصده هنا ادّعاء النبوّة ، بيد أنّ هذا الكلام أصبح ذريعة بيد المرجفين، فبثّوا الدعايات ضدّه متّهمين إيّاه أنّه كان يرى نفسه في عداد الأنبياء . أنساب الأشراف ٥ : ٢٤٦ .

و لعلّ كلامه المسجوع كان باعثاً أيضاً على توجيه مثل هذه التهمة إليه. أنظر : الفتوح ٦ : ١٣٧ ، ١٤٠ . أنساب الأشراف ٥ : ٢١٤ ، ٢١٩ ، ٢٢٨ ، ٢٣٥ ، ٢٣٦ .

٣ - تاريخ ايران بعد از اسلام، لزرّين‌كوب : ٣٥٦ .

٤ - أنساب الأشراف ٥ : ٢٦٥ .

٥ - نفسه : ٢٦٣ ـ ٢٦٤ .

مهديّ أهل البيت – عليهم‌السّلام – أرسله إلى أهل العراق[1]. و لم يطمئنّ الناس إليه كثيراً. و نقل أنّ محمّد بن الحنفيّة لم يؤيّد أو يدحض هذا الادّعاء[2].

على أيّ حال، إنّ الناس الّذين كانوا توّاقين إلى تطبيق سيرة الإمام عليّ – عليه‌السّلام – لم ترق لهم حكومة الزبيريّين في العراق، لأنّ هؤلاء كانوا يريدون العمل بسيرة عمر أو عثمان. حتّى إنّهم عبّروا لهم عن موقفهم قائلين، أن لا يُسار فينا إلاّ بسيرة عليّ بن أبي طالب – عليه‌السّلام[3]». و من هذا المنطلق، فرشوا صدورهم للمختار. و طبيعيّاً أنّ الشرائح الّتي كانت تدعم المختار لم تضمّ أشراف الكوفة و كبارها، لأنّ هؤلاء كانوا قادة الجيش الأُموي ضدّ الإمام الحسين – عليه‌السّلام.

و هذه حقيقة كان يؤمن بها التوّابون أيضاً، إذ كان قائدهم سليمان بن صرد يقول: «إنّ قتلة الحسين هم أشراف أهل الكوفة و فرسان العرب[4]».

و حينئذٍ كان على المختار أن يعبّىء شرائح أُخرى من المجتمع الكوفي، لم تشترك في حادثة الطف.

و كان الموالي من المرشّحين لهذه المهمّة، لا سيّما أنّهم ذاقوا طعم الحرمان، و رأوا رعاية الإمام أميرالمؤمنين – عليه‌السّلام – والعلويّين لهم. و من المحتمل أنّ بعضهم كان راغباً في التعاون مع المختار لإقامة حكومة علويّة، مضافاً إلى ما كان يحمله من دوافع سياسيّة أيضاً. و قد نصروا التشيّع على أيّ حال. و كان المختار نفسه يقول : إنّي لأعرف كلمة لو قلتها، كثر تَبَعي. والكلمة هي: من جاءنا من عبدٍ فهو حرّ[5].

---

١ – تاريخ‌الطبري ٤ : ٤٣٤.

٢ – تاريخ‌گزيده : ٢٦٩ . عندما جرى الحديث عن المختار عند ابن الحنفيّة، لم يكذّبه، و قال: يقول المختار إنّه من شيعتنا. فكيف يعيش قتلة الحسين – عليه‌السّلام – إلى جانبه ؟ بعد ذلك أرسل إليه المختار رأس عمر بن سعد. تاريخ‌الطبري ٤ : ٥٣٢ . و ذكر ابن الأعثم أيضاً ذهاب الشيعة إلى محمّد بن الحنفيّة، ثمّ نقل في كتابه جواب محمّد بن الحنفيّة كما يلي : «لقد وددت أنّ اللّه تعالى قد انتصر لنا من عدوّنا بمن شاء من خلقه». و لمّا سمع الناس جوابه ، قالوا: قد رضي بذلك، و لولا أنّه رضي بالمختار لكان نهانا عن ذلك» الفتوح ٦ : ٩٢؛ أنساب‌الأشراف ٥ : ٢٢١ . و لعلّ تضييق عبداللّه بن الزبير على محمّد بن الحنفيّة كان بسبب دعمه المختارَ و لو بصورة ضمنيّة.

٣ – الكامل لابن الأثير ٤ : ٢١٣ . و انظر : تاريخ‌الطبري ٤ : ٤٩٠ .

٤ – تاريخ‌الطبري ٤ : ٤٣٢ .

٥ – أنساب‌الأشراف ٥ : ٢٦٧ .

و احتفظ أشراف الكوفة بمنزلتهم و شأنهم في ظلّ بني أُميّة، كما تكيّفوا مع توجّهات عبدالله بن مطيع والي عبدالله بن الزبير أيضاً. فلا يطيقون - إذن - أن يطرد المختار ابنَ مطيع، ويتسلّم مقاليد الأمور، و يُسلّط الموالي على أشراف العرب، لذلك كان يبدو عليهم الامتعاض والقلق. بيد أنّ المختار نفسه كان مهتمّاً بهذا الموضوع نوعاً ما، و لم يهمله. وعندما فرغ من حرب ابن مطيع انبرى إلى التفاوض مع الأشراف. فقال أحد الموالي لرئيس حرسه (كيسان): أقبل أبو إسحاق (كنية المختار) على العرب ما ينظر إلينا ! و لمّا سمع المختار ذلك، قال لكيسان: قل لهم : «أنتم منيّ و أنا منكم»، و سكت، ثمّ قرأ قوله تعالى: «إِنَّا مِنَ الْمُجرمِين مُنْتَقِمُون». فلمّا سمعوها، قال بعضهم لبعض : أبشروا، كأنّكم والله قد قُتلتم[1]!

طبيعيّاً، كان ينبغي للمختار أن يعتمد على الموالي، ذلك أنّهم كانوا ذوي دوافع سياسيّة للتخلّص من ظلم الأمويّين، مضافاً إلى أنّهم لم يُتّهموا بقتل الحسين - عليه‌السّلام. كما كانوا يودّون أهل البيت - عليهم‌السّلام. لذلك عندما أراد الأشراف التشاور مع عبدالرحمن بن مِخنف لحرب المختار، قال لهم: معه عبيدكم و مواليكم، و هم مقاتلوكم بشجاعة العرب و عداوة العجم[2]. وكان أشراف الكوفة يقولون لشبث بن ربعي: «والله إنّ المختار تأمّر علينا بغير رضئ منّا، و لقد أدنى موالينا فحملهم على الدّوابّ و أعطاهم فيئنا[3]». على أيّ حال، كان استثمار الموالي سياسةً مناسبة انتهجها المختار.

و من الجدير بالذكر أنّ الاطمئنان المفرط إلى الموالي في ظروف كان يتعذّر معها الاستعانة بهم لإقامة حكومة ما، لم يكن صائباً. لذلك كان يقول البعض : إنّ سبب هزيمة المختار هو وجود الموالي بين أفراد جيشه[4]. وكان عددهم كبيراً جدّاً، حتّى إنّ المختار عندما أرسل شرحبيل بن ورس الهَمْداني إلى المدينة على رأس جيش قوامه ثلاثة آلاف جندي، كان عدد العرب فيهم سبعمائة فقط، والباقي من الموالي[5]. و يرى الدينوري أنّ

---

١ - الكامل لابن الأثير ٤ : ٢٢٧ .

٢ - تاريخ‌الطبري ٤ : ٥١٨ . الكامل ٤ : ٢٣١ ، ٢٣٢ .

٣ - الكامل ٤ : ٢٣١ . الفتوح ٦ : ١٤٦ .

٤ - الخوارج و الشيعة : ٢٢٧ ـ ٢٢٨ . طبعة مكتبة النهضة المصريّة.

٥ - أنساب الأشراف ٥ : ٢٤٦ .

عددهم أربعون ألفاً[١]، و يبدو أنّ فيه مبالغة. و كان أشراف العرب ينظرون إلى الموالي على أنّهم أراذل.

و عندما اصطدم جيش المختار بجيش الشام، كان ربيعة بن مخارق يقول للشاميّين: **«إنّكم تقاتلون العبيد الأُباق و قوماً قد تركوا الإسلام و خرجوا منه. ليست لهم تقيّة و لا ينطقون بالعربيّة[٢]»**. إنّ اتّهام الموالي بالكفر كان لتحريض الشاميّين المشهورين بالجهل فحسب، وإلّا فإنّهم كانوا مسلمين[٣].

و كان أشراف الكوفة يقولون أيضاً: إنّ المختار استغلّ مواليهم **« و أطعم موالينا و أخذ عبيدنا فخرب بهم يتامانا و أراملنا[٤]»**.

و يقول الشعبي: كان أهل البصرة (أنصار مصعب بن الزبير على المختار) يسمّون الكوفيّين مواليهم، لأنّهم أنقذوهم من أيدي عبيدهم و مواليهم[٥]!! والأخبار المأثورة في هذا المجال كثيرة للغاية. كما جاء في خبر آخر أنّ عدد الموالي في جيش المختار كان كبيراً إلى درجة أنّ التحدّث باللغة الفارسيّة كان يُسمع كثيراً بين أفراد الجيش[٦]. و بعد قمع ثورة المختار من قبل مصعب بن الزبير الّذي كان أحد الأشراف، و قد كُلّف من قبل أخيه عبداللّه بقمع الثورة، قال مصعب لأحد أفراد جيشه: **«و اقتل هؤلاء الموالي، فإنّه قد بدأ كفرهم، و عظم كِبرهم، و قلّ شكرهم[٧]»**.

و كانوا يرون أنّهم إنْ لم يبيدوا الموالي عاجلاً، فلا قدرة لهم على الوقوف بوجوههم آجلاً، ذلك أنّهم عرفوا قدرتهم و عِظم خطرهم في الأقلّ.

و يذهب الدينوري إلى ما ذهب إليه الطبريّ أنّ **«أكثر أصحاب المختار العجم و قبيلة همدان[٨]»**.

---

١ - الجذورالتاريخيّة للشعوبيّة : ٢٥ .
٢ - الطبري ٤ : ٥١٦ .
٣ - مروج‌الذهب ٣ : ٣١ ، ٣٢ .
٤ - الطبري ٤ : ٥١٨ .
٥ - نفسه : ٥٣٨ . الموالي هنا غير الموالي الّذين هم مدار بحثنا ؛ أنساب‌الأشراف ٥ : ٢٤٥ طبعة بغداد.
٦ - الطبري ٤ : ٥٦٢ ، ٥٧٦ ؛ الأخبارالطوال : ٤٧ ؛ الزندقة و الشعوبيّة : ٤٧ ، عن‌الدينوري.
٧ - الطبري ٤ : ٥٧٧ ؛ أنساب‌الأشراف ٥ : ٢٦٣ .
٨ - الأخبارالطوال : ٢٨٨ .

و يرى أيضاً أنّ «جُلّ جندالمختار حين الحرب مع الشام أبناء فرس[١]».

و عندما فرّ محمّد بن الأشعث من قبضة جيش المختار، و نزل عند مصعب بن الزبير في البصرة، سأله مصعب عمّا وراءه، فقال: «والله أيّها الأمير، الترك والديلم[٢]».

و مضافاً إلى أنّ هذه النصوص التاريخيّة تترجم دعم الموالي حركةً من الحركات الشيعيّة، فإنّها تدلّ على كثرتهم في العراق إلى درجة أنّهم استطاعوا المحافظة على حكومة تمكّنت من الصمود ستّة عشر شهراً، مع أنّ العرب يشكّلون قسماً من عناصرها[٣].

وكان تعامل المختار مع الناس خلال تلك الفترة مقبولاً للغاية. و في ضوء ما نُقل فقد «كان المختار أوّل ما ظهر أحسن شيء سيرةً و تألّفاً للناس[٤]». و لذلك استطاع أن يملك قلوب الناس إلى حدٍّ ما. وكان الاتّجاه الشيعي لحركته باعثاً آخر على وجاهته بين الناس، إذ وفى وعده المتمثّل بالثأر من قتلة الحسين - عليه‌السّلام. و أبادهم ما استطاع إلى ذلك سبيلاً. و في ضوء ما قاله ابن الأعثم، و ما نُقل عن محمّد بن الأشعث، فانّه قتل زهاء ثلاثة آلاف شخص من المتّهمين بقتل الإمام الحسين - عليه‌السّلام - (حتّى الفترة الّتي سبقت فرار ابن الأشعث إلى البصرة[٥]).

و من المؤسف أنّ الموالي قد أُبيدوا بعد قمع ثورة المختار. بيد أنّ المجتمع لم يسعه الاستغناء عنهم وقتذاك. فهم لم ينشطوا في القيام بالأعمال الصعبة العسيرة في المجتمع فحسب، و إنّما فاقوا العرب في الأعمال العلميّة أيضاً، بحيث أنّ عامّة العلماء المعروفين في الحواضر الإسلاميّة المهمّة في أواخر القرن الأوّل كانوا من الموالي[٦]. و هذا ما أقضّ

---

١ - **الأخبارالطوال** : ٢٩٣ . و كتب الدينوري قائلاً: «إنّ المختار قرّب أبناء العجم، و فرض لهم و لأولادهم الأُعطيات، و قرّب مجالسهم، و باعد العرب و أقصاها، و حرمهم فغضبوا لذلك» **الأخبارالطوال** : ٣٠٦ .

٢ - **الفتوح** ٦ : ١٣٨ .

٣ - يقول ابن الأعثم : «بايع الناس من العرب والموالي» ٦ : ١١٥ . و بيعة إبراهيم الأشتر رئيس إحدى القبائل العربيّة دليل آخر على هذا الموضوع.

٤ - **الطبري** ٤ : ٥٣١ ؛ **أنساب‌الأشراف** ٥ : ٢٢٩ . و لذا قيل : «أحبّه الناس حبّاً شديداً». انظر: **الفتوح** ٦ : ١١٩ . كان الامويّون حتّى تلك الفترة قد مارسوا أشدّ الضغوط بحقّ المجتمع الكوفي. و عندما أنقذهم المختار من محنتهم فإنّهم أحبّوه لأجل ذلك.

٥ - **الفتوح** ٦ : ١٣٨ .

٦ - **العقدالفريد** ٣ : ٤١٦ . مقدّمة علوم الحديث عن الحاكم النيسابوري : ١٩٧ ، ١٩٩ . يقول الحموي: لمّا مات عبدالله بن عبّاس، و عبدالله بن الزبير، و عبدالله بن عمرو بن العاص صار الفقه في جميع البلدان إلى الموالي ... إلاّ المدينة. **معجم‌البلدان** ٢ : ٢٥٤ .

مضجع الحجّاج، فأمر بالتشدّد في معاملتهم. و منعهم من إمامة الجماعة والقضاء، كما مرّ بنا سابقاً.

على أيّ حال، لم يتوقّف دعم الموالي لبني هاشم عند حدّ، فقد كان لهم دور أيضاً في الانتفاضات الشيعيّة الّتي قامت في القرن الثاني. و أنصار أهل البيت - عليهمالسّلام - ليسوا من بعض القبائل العربيّة فحسب، بل كانوا من الموالي الفرس و غيرالفرس أيضاً. و عندما استولى الزبيريّون على مكّة والعراق، كانوا يرون أنّ بَني هاشم أعداؤهم، فسجنوا عدداً منهم في مكّة، منهم: محمّد بن الحنفيّة.

و في ضوء ما نقله البلاذري، فإنّ الموالي السودانيّين دافعوا عن محمّد بن الحنفيّة ضدّ عبدالله بن الزبير[١].

الموالي و دورهم في الحركات الأُخرى

كان للموالي دور في الحركات الأُخرى الّتي اتّسمت بطابع مضادّ للأُمويّين نوعاً ما، مضافاً إلى دورهم في دعم الهاشميّين. و من هذه الحركات حركة الخوارج الّتي نالت حظّها من ذلك الدعم. كما أنّ عبدالرّحمن بن محمّد بن الأشعث بن قيس كان من الّذين استعان بهم، بل و بغيرهم من أهل فارس[٢]. و لم تكن حركته ذات طابع شيعيّ، غير أنّها انطوت على مصالح للشيعة. لذلك أنضمّ إليها بعض الشخصيّات مثل كميل بن زياد الّذي عُرف بتشيّعه الصلب لأمير المؤمنين - عليهالسّلام، و سعيد بن جبير الّذي كان متّهماً بنزعته الشيعيّة.

و كان عبدالرحمن يزعم أنّه لابدّ له من الثورة على الحجّاج والأُمويّين. و لذلك عندما أشخصه الحجّاج إلى سجستان من أجل الفتوحات، عاد من هناك إلى العراق مع أفراد جيشه ليحارب الحجّاج. و كان في جيشه من يستشهد بكلام عليّ بن أبي طالب - عليهالسّلام - في قتال الامويّين[٣].

و هذا دليل على أنّ للاتّجاه الشيعي دوراً في ذلك التحرّك. يقول ابن الأثير في الحوافز الّتي دفعت جماعة كثيرة إلى الالتحاق السريع بعبدالرحمن: إنّ عمّال الحجّاج (في الشرق

---

١ - أنساب الأشراف ٢ : ٢٩٥، تصحيح المحمودي.

٢ - الإسلام و المشكلة العنصريّة : ٧٨. ٣ - الكامل ٤ : ٤٧٨.

طبعاً) كتبوا إليه أنّ الخراج قد انكسر. و سبب ذلك إسلام أهل الذمّة و التحاقهم بالأمصار. فكتب الحجّاج أنّ من كان له أصل من قرية فليخرج إليها، أخرجوهم و خذوا منهم الجزية. و كان هذا هو السبب في سرعة إجابتهم إلى بيعة عبدالرحمن[١].

و بعد أن هزم عبدالرحمن في «دير الجماجم» سنة ۸۳ هـ، ذهب إلى سابور في فارس، فاجتمع إليه الأكراد هناك، و نصروه ضدّ الحجّاج[٢]. و لذلك قام جندالشام بقتلهم عن بكرة أبيهم.

و نُقل عن ابن عبد ربّه أنّ الموالي كانوا من جملة أنصار ابن الأشعث[٣].

و ذكر أحدالمؤلّفين أنّ بيعة ابن الأشعث الحسنَ المثنّى حفيد أميرالمؤمنين عليّ بن أبي طالب ضاعفت إقبال الشيعة والموالي على انتفاضته[٤].

و توجّه ابن الأشعث تلقاء سجستان بعد اندحاره في فارس. و فضّل له أتباعه الذهاب إلى خراسان، و كانوا يقولون: من يتبعنا في تلك المدينة أكثر ممّن يقاتلنا[٥]. و ثمّة شكوك تحوم حول بيعته الحسن المثنّى.

تأثير التشيّع في العراق على الموالي

دلّت حركة المختار و التوّابين في العراق - بعامّة - على أنّ أرضيّة التشيّع في الكوفة كانت كبيرة، و أنّ العناصر الّتي تعيش في ذلك الوسط مستعدّة استعداداً تامّاً للترحيب بحكومة ذات هويّة شيعيّة. و كان هذا الضرب من التشيّع علويّاً، و ليس للعبّاسيّين أمل فيه، كما عبّرت عن ذلك تعليمات محمّدبن‌علي بن عبداللّه بن عبّاس إلى دعاته، إذ تحدّث لهم عن الميول والاتّجاهات الدينيّة لشتّى الأمصار، فقال عن الكوفة: «**أمّاالكوفة و سوادها فشيعة عليّ و ولده**[٦]». بيد أنّ هذا التشيّع لا يتّسم بطابع التشيّع الاثني عشري، على الرغم من وجود شيء من عقائده فيه. كما نقرأ أنّ الغلاة نشأوا بالكوفة في أواخر القرن

---

١ - الكامل ٤ : ٤٦٥.
٢ - نفسه : ٤٨٤ ؛ الطبري، وقائع سنة ٦٧ هـ.
٣ - العقدالفريد ٣ : ٣٤٦.
٤ - تاريخ ايران بعد از اسلام : ٣٦٠.
٥ - الكامل ٤ : ٤٨٥.
٦ - مختصرالبلدان لابن‌الفقيه : ٣١٥ . والمنصور نفسه كان يتشدّد كثيراً في تعامله مع الكوفيّين على ما نقل البلاذري . «كان (المنصور) ذامّاً لأهل الكوفة لميلهم إلى الطالبيّين». انظر: تاريخ‌الكوفة للبراقي،طبعة النجف، ص ٩٧.

الأوّل، إلاّ أنّ المهمّ فيه هو أنّنا يمكن أن نعتبره نوعاً من التشيّع السياسي كان سائداً بين سكّان الكوفة. وهو ذلك التشيّع الّذي يترافق طابعه السياسي (دعوته إلى حكومة العلويّين) مع رؤيته في تفضيل الإمام عليّ - عليه‌السّلام - ليس على عثمان فحسب، بل على سائر الخلفاء أيضاً. وكان يهمّه الأخذ بآرائه الفقهيّة. و لعلّ هذا التوجّه هو الّذي دعا سائر الفقهاء في الحجاز والشام إلى عدم الاهتمام بأحاديث أهل العراق.

و كان يقال إنّ العراقي إذا نقل لك مائة حديث، فاقبل منه سبعة و سبعين حديثاً فحسب[1].

وكان الزهري - و هو أحد المحدّثين الأمويّين - يضعّف حديث أهل العراق أيضاً[2].

و يقول الجوزجاني: كان من أهل الكوفة قوم لا يحمد الناس مذاهبهم. هم رؤوس محدّثي الكوفة. مثل: «ابن إسحاق، منصور، زبيد اليامي، والأعمش....[3]». وكان بعض هؤلاء متّهماً بنزعة شيعيّة.

و شاع آنذاك أنّ الحجّاج يعمل برأي عثمان، و زيد بن ثابت، و ذلك لمخالفته رأي عليّ - عليه‌السّلام، بينما كان يعمل أهل العراق برأي أميرالمؤمنين - عليه‌السّلام[4].

و عندما يذكر الذهبي محمّدَ بن عبيدالله، وهو من الكوفة، يقول: كان ممّن يقدّم عثمان على عليّ - عليه‌السّلام - !! ثمّ يقول: و قلّ من يذهب إلى هذا من الكوفيّين، إذ كان عامّتهم يقدّمون عليّاً على عثمان، أو يتوقّفون في ذلك على الأقلّ[5].

و من نماذج هذه القلّة، وجود فقهاء كانوا يعادون أهل‌البيت - عليهم‌السّلام. و نُقل ما نصّه: «و كان بالكوفة من فقهائها أهل عداوة له و بغض، قد خذلوا عنه (علي عليه‌السّلام) و خرجوا من طاعته مع غلبة التشيّع على الكوفة[6]».

---

١ - المعرفة والتاريخ ٢ : ٧٥٧. و كان يقال للكوفة: دار الضرب في وضع الحديث. [أي: كما أنّ دارالضرب تسكّ النقود، فالكوفة تضع الأحاديث]. انظر: الإمام الصادق والمذاهب الأربعة لأسد حيدر ١ : ١٥٢.

٢ - الطبقات الكبرى ٦ : ٣٤٣. جامع بيان العلم لابن عبدالبرّ ٢ : ٤٢.

٣ - ميزان الاعتدال ٢ : ٦٦.

٤ - غريب الحديث ٣ : ٤٣٢.

٥ - تذكرة الحفّاظ ١ : ٣٣٣.

٦ - الغارات للثقفي ٢ : ٥٥٨. يقول المسعودي: كان جعفر بن محمّد ينهى زيد بن علي عن الذهاب إلى الكوفة، و من حججه في ذلك قوله: «و فيها و في أعمالها شُتمنا أهل البيت» مروج‌الذهب ٣ : ٢٠٦.

و يقول ابن كثير في جعفر بن محمّد بن قطير وزير العراق: «و كان يُنسبُ إلى التشيّع، و هذا كثير في تلك البلاد[١]». و هذا مَعْلم على مواصلة هذه النزعة على امتداد القرون الّتي تلت القرن الأوّل.

فهذه كلّها دلالات على تشيّع أهل العراق الّذين كانوا الموالي يشكّلون نسبة ملحوظة بينهم.

و من الطبيعي أن ينتشر التشيّع في أوساطهم و لو بصورة محدودة، و تتمهّد الأرضيّة لنشوء الحركات العلويّة. و على الرغم من أنّهم كانوا شيعة، إلاّ أنّ تشيّعهم كان سياسيّاً غالباً كما مرّ بنا. و لذلك كان أكثرهم يعمل بآراء أبي حنيفة في عصر الإمام الصادق - عليه‌السّلام[٢]. بينما كان أبو حنيفة نفسه شيعيّاً من الوجهة السياسيّة، إذ أعلن عن دعم النفس الزكيّة و أخيه إبراهيم في ثورتهما[٣]. و لعلّ عدم وجود تشيّع ثقافي كان باعثاً على عدم استمرار تلك التحرّكات السياسيّة. و من هذا المنطلق كان الأمل بالكوفيّين ضعيفاً في دعم العلويّين دعماً حقيقيّاً، إذ كلّما ظهر تيّار شيعي كانوا يسايرونه، و في نفس الوقت يغدرون به حتّى أصبح غدرهم مضرب الأمثال[٤]، مع أنّنا نحتمل وجود نوع من المبالغة والافراط في هذا المجال. و بلغت الأمثال في الكوفيّين ذروتها بقولهم: الكوفي، لا يوفي[٥].

و من الطبيعي أن يتأثّر الموالي بالتشيّع لأنّهم كانوا قد نشأوا بين قبيلتي همدان و ربيعة، و غيرهما في الكوفة. و كان الحمراء حلفاء قبيلة عبدالقيس الشيعيّة[٦]. و عزّز الهمدانيّون التشيّع في العراق - و هم من قبائل الجنوب - إذ سكن قسم منهم في ربوعه بعد الإسلام[٧]. و كانوا يألمون كثيراً لما حلّ بأهل‌البيت - عليهم‌السّلام - من ظلم و جور، إذ كانوا عاطفيّين إلى أبعد مدى، لذلك نهضوا لنصرتهم. و قال فيهم النبيّ - صلّى اللّه عليه و آله : «هم أرقّ الناس أفئدة و ألين قلوباً. الإيمان يمانيّ والحكمة يمانيّة[٨]». علماً أنّ تشيّع

---

١ - نقلاً عن مجالس المؤمنين ١ : ٥٦.
٢ - روضات‌الجنّات ١ : ١٩١.
٣ - عدّه البعض من أعضاء الفرقة الجاروديّة، و هي إحدى الفرقة الزيديّة.
٤ - مختصرالبلدان : ٢٣٣.
٥ - آثارالبلاد و أخبارالعباد : ٢٥١
٦ - الصلة بين التشيّع والتصوّف : ٢٢٥ ؛ تاريخ الكوفة ١٨ . «أُهبطوا بنو عبدالقيس من البحرين تحت زعامة زهرة بن حوية. و قد كان الحمراء حلفاء زُهرة و ينزلون معه».
٧ - معجم قبائل العرب ٣ : ١٢٢٤.
٨ - صحيح‌البخاري ١ : ٦٨٣.

هؤلاء كان قد أُرسيت دعائمه منذ عصر النبيّ - صلّى‌اللّه عليه و آله . فعندما بعث النبيّ - صلّى‌اللّه عليه و آله - خالدبن الوليد إلى اليمن، ظلّ برهة لم يجبه أحد إلى الاسلام. فوجّه عليّاً - عليه‌السّلام - إليها و أسلم أهل اليمن على يده، و كان الهمدانيّون من قبائلهم المعروفة[١]. ثمّ التحقوا به في الكوفة.

و كان الإمام أميرالمؤمنين - عليه‌السّلام - يصفهم دائماً بأنّهم أنصاره[٢]. حتّى أنشد فيهم:

لمّا رأيت الموت موتاً أحمرا   عبّأتُ همْدان و عبّوا حِمْيرا[٣]

و عندما أُرغم الإمام على الصلح من قبل بعض جنده، فإنّ الهمدانيّين أعلنوا عن استعدادهم لتطبيق أوامره - عليه‌السّلام[٤]. فأثنى عليهم الإمام في بيت آخر قال فيه:

فلو كنتُ بوّاباً على باب جنّةٍ   لقلتُ لهمْدانَ آدخلوا بسلامِ[٥]

و من الطبيعي أنّ همدان ليست القبيلة الجنوبيّة الوحيدة الّتي كان رؤساؤها[٦] و كثير من أفرادها يتشيّعون، بل اليمن كانت تُعدّ أساساً من مراكز التشيّع، بحيث إنّ معاوية عندما أشخص إليها بُسر بن أرطاة سنة ٣٩ هـ قال له : «و اقتُل شيعة عليّ حيث كانوا[٧]». و كان مالك الأشتر النخعي، و هو من قبيلة مذحج الجنوبيّة، أحد شيعة أميرالمؤمنين - عليه‌السّلام. ثمّ جاء إلى الكوفة و كان من أنصار الإمام المقرّبين.

و ذكر القاضي نوراللّه الشوشتري أيضاً معلومات مفصّلة تحوم حول تشيّع هَمدان، و مذحج، و ربيعة، و خزاعة، والأزد، وطيّ[٨].

و قال الرازي في كتاب النقض: «و كان شيعة عليّ من بني همدان، و بني ثقيف،

---

١ - الصلة بين التشيّع والتصوّف : ٢٥٢ . و ظلّ التشيّع قائماً في اليمن، حتّى إنّ ابن عبّاس قال للإمام الحسين - عليه‌السّلام - عندما أراد الخروج من مكّة: إذهب إلى اليمن فإنّ فيها شيعة أبيك ! أنساب الأشراف ٢ : ١٦١ . ط المحمودي.

٢ - مروج الذهب ٢ : ٣٧٩ .

٣ - شرح نهج البلاغة ٢ : ٧٠ .

٤ - نفسه : ٢٣٩ .

٥ - نفسه ٥ : ٢١٧ . مختصر البلدان ١٧٢ ؛ وقعة صفّين لنصر بن مزاحم ٢٧٤ و ٣٤٧ .

٦ - شرح نهج البلاغة ٢ : ١٥ .

٧ - نفسه ٢ : ٦ و انظر : الأغاني ١٦ : ٢٦٦ ، ٢٦٧ و ٥ : ١١ ؛ مروج الذهب ٣ : ٢٢ .

٨ - مجالس المؤمنين ١ : ١٣٠ - ١٤٠ .

و بني مراد، و بني مذحج، و بني خزاعة[١]».

و كان وجود القبائل الشيعيّة المنحدرة من جنوب الحجاز في العراق باعثاً على أن يصبح العراق مركزاً للشيعة. حتّى إنّ البعض كان ينظر إلى الكوفيّين على أنّهم سبأيّون (شيعة)، و حروريّون (خوارج)[٢]. و هذا الأمر يثبت لنا أكثر من السابق حقيقة تتمثّل في أنّ أوّل من آمن بالتشيّع هم عرب العراق نفسه الّذين استظلّ موالي فارس بأفيائهم، فركنوا إلى التشيّع بفضلهم.

وكانت ربيعة من القبائل العربيّة الأُخرى الّتي يكثر فيها الشيعة. و قد أثنى عليها الإمام أميرالمؤمنين - عليه‌السّلام - أيضاً[٣] كما قال فيهم:

يا لهف نفسي على ربيعة   ربيعةُ السامعة المطيعة[٤]

و من الطبيعي أنّ نسبة التشيّع كلّه إلى عرب الجنوب في العراق غير صحيحة، و إن كان سفر أميرالمؤمنين - عليه‌السّلام - إلى اليمن في السنة التاسعة من الهجرة قد حمل معه بركات كثيرة، إذ أسلم أهلها، و تشرّفوا بصحبة الإمام، و كانت معروفة بتشيّعها، حتّى إنّ ابن عبّاس نصح الإمام الحسين بالتوجّه إليها لكثرة محبّيه فيها[٥]، بيد أنّ التاريخ يحدّثنا أنّ عدداً من العدنانيّين كان بين شهداء كربلاء. و قراءة دقيقة في أسماء شهداء الطف، والوقوف على نسبتهم الّتي جاءت في رسالة مستقلّة مطبوعة[٦] يكشفان لنا بدقّة أنّ العدنانيّين كانوا كثيرين، لا القحطانيّين. و انّ ما أراد أن يثبته مونتغمري‌واط و أمثاله، بقولهم انّ قبائل الجنوب آمنت بالتشيّع لأنّها كانت قبل قرن من تشيّعها ذات حكم مَلَكي امتدّ قروناً من الزمان، مرفوض و لا يعوّل عليه. فالصحيح هو كما مرّ بنا إذ قلنا: إنّ ولاءهم لأميرالمؤمنين - عليه‌السّلام - بدأ منذ تعرّفهم عليه في السنة التاسعة من الهجرة، و أحبّه

---

١ - النقض: ٣٦٧ تصحيح: ارموي.   ٢ - المعرفة والتاريخ ٢: ٧٥٨.

٣ - مروج‌الذهب ٣: ٤٨٠.   ٤ - الموفقيات: ١٥٩.

٥ - الأخبارالطوال: ٢٢٤؛ الفتوح ٥: ١١٣؛ الطبري ٤: ٢٨٧؛ أنساب‌الأشراف ٢: ١٦١، تحقيق: المحمودي.

٦ - مجلّة تراثنا، العدد الثاني رسالة «تسمية مَن قُتل مع الحسين - عليه السلام - من ولده و أخوته و أهل بيته و شيعته» للمحدّث الجليل «فضيل بن الزبير بن عمر بن درهم» من أصحاب الإمام الباقر والصادق - عليهما‌السلام.

أشخاص ـ منهم مالك الأشتر ـ منذ تلك الفترة. فزعم واط أنّ القسم الأعظم من الشيعة كانوا من عرب الجنوب، و إن كان صحيحاً إلى حدٍّ ما، بيد أنّ استنتاجه غير صحيح. يضاف إلى ذلك أنّ المهم هنا هو أنّه كان يكفي لو عبّر رؤساء بعض القبائل الجنوبيّة عن ولائهم للامام – عليه‌السّلام – بنحو من الأنحاء، و حينئذٍ ينتشر التشيّع بين عرب الجنوب. فمن المستبعد – إذن – أنّ وجود النظام الملكي في الجنوب قرناً من الزمان أفضى إلى بقاء هذه التوجّهات عندهم.

و من الطبيعي أنّ بواعث عديدة كانت وراء تأثّر الموالي بشيعة العراق. فالباعث السياسي كان أحدها كما مرّ بنا سابقاً. و وجود المصالح المشتركة بين العلويّين والشيعة من جهة، و بين الموالي من جهة أُخرى نفخ في الموالي روح التشيّع تدريجاً، إذ كان العلويّون والشيعة يمثّلون الملاذ والملجأ للموالي في كفاحهم ضدّ الأمويّين. مضافاً إلى ذلك، أنّ الظّلامة الّتي نزلت بالشيعة من الامويّين و هي تقضّ مضجع كلّ إنسان شريف تلقائيّاً – حفّزت الموالي إلى التعاون معهم ضدّ الحكّام الامويّين.

و كانوا يشاهدون بأمّ أعينهم صلابة الشيعة و إصرارهم على ولاء أميرالمؤمنين – عليه‌السّلام – إذ لم يتنازلوا عن خطّه و لم يبرأوا منه بل و كانوا يتباهون أنّهم من أتباع مدرسته. و ليس عمرو بن الحمق الخزاعي، و حجربن عديّ على هذا الخطّ فحسب، بل كان عليه أيضاً ميثم التمّار، و قنبر مولى عليّ ـ عليه‌السّلام، و كميل.

و نقرأ في التاريخ أنّ زياد بن أبيه قطع أيدي ثمانين شخصاً من أهل الكوفة على أنْ يبرأوا من عليّ ـ عليه‌السّلام ـ و طلب منهم ذلك وهو يعلم أنّهم لا يفعلون. بيد أنّه أراد أن يتّخذ من ذلك ذريعة لهدم بيوتهم[1].

و ينقل لنا التاريخ أنّ كثيراً من الموالي تربّوا في بيوت الشيعة، أو أنّهم عاشوا في ظلال حكومة أميرالمؤمنين – عليه‌السّلام – مباشرة، أو تربّوا على أصحابه. فهذه البواعث بمجملها ساعدت على نشوء الميول والاتّجاهات الشيعيّة بين الموالي.

و نؤكّد هنا مرّة أُخرى أنّ الموالي كلّهم لم يكونوا على خطّ أهل البيت – عليهم‌السّلام – كما أنّ منهم من لم ينصر التشيّع و يدعمه، ولو سياسيّاً، بل بالعكس، نقرأ أنّ كثيراً منهم

---

١ – تاريخ‌الكوفة : ٤١ ؛ شرح نهج‌البلاغة ٣ : ٢٨٦ .

لم يخف عداءه للتشيّع بسبب التربية الّتي تلقّاها من أعدائه.

الموالي و إعدادهم من قبل الأئمّة -عليهم‌السّلام

كان إعداد الموالي و تربيتهم من الأمور الشائعة إبّان القرن الأوّل والثاني الهجريّين. فهم، بما أُوتوا من مواهب، و ما كانوا عليه من استعداد لطلب العلم، و ما شعروا به من ضعف أمام العرب كانوا يطمحون إلى تلافيه، كانوا مجدّين في عملهم، و طفقوا يعملون في حقل الحديث حتّى استطاعوا أن يصبحوا في عداد الفقهاء والمحدّثين في الأمصار الإسلاميّة الرئيسة خلال فترة قصيرة. وكان هؤلاء قد تربّوا في وسط أُسر عربيّة مختلفة، فتسرّب إليهم - طبيعيّاً - ما كانت تحمله تلك الأسر من توجّهات دينيّة و سياسيّة. و لمّا كانت الكوفة ذات ميول شيعيّة أقوى من غيرها، فكذلك كان مواليها.

و أخذ أهل البيت - عليهم‌السّلام - هذه المسألة بعين الاعتبار فخطّطوا لاعداد الموالي و تربيتهم. وكان أُسلوب الإمام عليّ بن الحسين - عليه‌السّلام - في التخطيط لافتاً للنظر كثيراً، إذ بذل الإمام جهوده في إعداد الموالي كي يمهّد الطريق في المدينة للمستقبل. و حاول أن يموّنهم بالإسلام الصحيح والسليم، بخاصّة أنّهم كانوا يتمتّعون بأرضيّة مناسبة. و استطاع أن يؤثّر فيهم بما اوتي من شخصيّة فذّة. وكان متمكّناً تماماً من نقل العواطف الشيعيّة إليهم عبر بعض الممارسات العمليّة الّتي كانت تظهر منه، كالبكاء المتواصل على أبيه الحسين - عليه‌السّلام. و تحدّث الأُستاذ السيّد جعفر مرتضى عن دور الإمام - عليه‌السّلام - المتمثّل ببثّ حياة جديدة في المدرسة الاسلاميّة[1] مشيراً إلى ما كان يقوم به الإمام من شراء العبيد و إعتاقهم. و قال سيّد الأهل : و عرف العبد ان ذلك فباعوا أنفسهم له و اختاروه، و انفلتوا من أيدي السادة ليقعوا في يده... وكان الإمام يهب الحريّة في كلّ عام، وكلّ شهر، وكلّ يوم، و عند كلّ هفوة و خطأ يصدر من العبد. «حتّى صار في المدينة جيش من الموالي الأحرار والجواري الحرائر. و كلّهم في ولاء زين‌العابدين قد بلغوا خمسين ألفاً أو يزيدون[2]».

---

١ - انظر : دراسات و بحوث في التاريخ والاسلام للعلّامة جعفر مرتضى ١ : ٥٣ . مقالة بعنوان : **الإمام السجّاد - عليه السلام - باعث الإسلام من جديد.**

٢ - زين العابدين لمؤلّفه سيّد الأهل : ٤٧ . لعلّ الرقم المذكور مبالَغ فيه، بيد أنّه يدلّ على كثرتهم.

و قال مؤلّف (أعيان الشيعة) أيضاً: و لقد كان يشتري السودان، و ما به إليهم من حاجة[١].

و تطرّق الأُستاذ السيّد جعفر مرتضى - دام ظلّه - إلى هذه الامور، و استنتج منها أشياء كثيرة، و قال: «لقد كان من نتيجة ذلك أن صار الموالي يعتبرون أهل البيت - عليهم‌السّلام - هم المثل الأعلى للإنسان والإسلام، و كانوا مستعدّين للوقوف إلى جانبهم في مختلف الظروف، و لا نُعدم بعض الشواهد الّتي تظهر أنّ الموالي كانوا ينتصرون للعلويّين إذا رأوهم تعرّضوا لظلم أو لبغي من قبل السلطات[٢]». و قيل بالنسبة إلى أحمد بن موسى بن جعفر: (أنّه قد أعتق ألف رقبة من العبيد والإماء في سبيل اللّٰه)[٣].

و من النتائج الأُخرى لهذا التوجّه هي أنّ الموالي عرفوا أنّ أهل البيت - عليهم‌السّلام - يواصلون سيرة جدّهم أميرالمؤمنين - عليه‌السّلام - المتمثّلة بإنقاذ الموالي الأعاجم ممّا هم فيه، و تحريرهم ليعيشوا حياة حرّة كريمة[٤].

فهذا الضرب من الإعداد بامكانه شدّ الموالي و استمالتهم إلى أهل البيت - عليهم‌السّلام. و لم يقتصر نطاقه على المناطق العربية فحسب، بل امتدّ إلى مناطق أُخرى أيضاً بفضل الموالي الّذين كانوا قد تفاعلوا معه، كما نقرأ أنّ العرب الشيعة الّذين هاجروا من أوطانهم و استقرّوا في حواضر أُخرى - كالأشاعرة الّذين استوطنوا قم، و بني عبدالقيس الّذين قطنوا في‌المدائن - تركوا تأثيرهم على تلك المناطق، فركنت إلى التشيّع بفضلهم، و فضل الموالي الآخرين. و هذه النزعة إلى التشيّع لم تكن ذات طابع عقيدي في ايران إبّان القرن الأوّل، بل كانت في حدود نزعة شيعيّة شكليّة، أو نزعة تؤمن بعظمة أهل البيت - عليهم‌السّلام - فحسب. و هذا هو الّذي دفع أصحابها إلى دعم التيّارات الشيعيّة و نصرتها، مع أنّ بعضهم كان ملتزماً بالفقه السنّي.

و ألمحنا سابقاً إلى إقبال الموالي على التيّارات المعارضة بشتّى اتّجاهاتها. و كان الاقبال على التيّار الشيعي أحد المفردات في هذا المجال. و ينبغي لنا أن نتلمّس جذور هذا الاقبال في نهج أميرالمؤمنين - عليه‌السّلام - المتمثّل في تكريمهم و تطييب

---

١ - أعيان الشيعة ٤ : ٦٣.

٢ - دراسات و بحوث في التاريخ والاسلام ١ : ٦٤.

٣ - شدّالإزار : ٢٨٩.

٤ - دراسات و بحوث في التاريخ و الاسلام ١ : ٦٥.

خواطرهم طيلة الفترة الّتي حكم فيها. بيد أنّهم لم يكونوا ذوي نزعة شيعيّة مستقلّة وكبيرة في القرن الأوّل، و حتّى عصر المختار في الأقل، و يعود ذلك إلى التبعيّة الّتي كانوا عليها. فنزعتهم الشيعيّة كانت تابعة لنزعة القبائل العربيّة ذات الميول الشيعيّة، الّتي كانوا مواليها مثل: كندة، و عبدالقيس. أمّا في عصر المختار و ما تلاه، فقد كانت نزعتهم شبه مستقلّة. حتّى إنّهم ركنوا إلى فرق دينيّة شتّى في ظلّ تلك الظروف. فشريحة كبيرة منهم التحقت بأهل السنّة الّذين كانوا يمثّلون القوّة الدينيّة المتفوّقة، و شريحة انضمّت إلى الخوارج. و كان للشيعة نصيب فيهم إذ اجتذبوا فريقاً منهم. والتحق عدد كبير من أفرادهم بالعبّاسيّين. و محصّلة ذلك بقاء ثلّة منهم واصلت مسيرتها مع أئمّة أهل البيت - عليهم‌السّلام.

و ذكرنا سابقاً معلومات مقتضبة تحوم حول تخطيط الإمام السجّاد - عليه‌السّلام - لكسب الموالي. و رأينا أنّ إعدادهم كان من الأساليب الإعلاميّة والسياسيّة الّتي انتهجها الإمام - عليه‌السّلام - على امتداد حياته. و سنعرض فيما يأتي بحثاً إحصائيّاً للأُصول الّتي ينحدر منها أصحاب الأئمّة - عليهم‌السّلام - و هدفنا الرئيس الّذي نتوخّاه من وراء ذلك هو تحديد النسبة المئويّة الّتي يشكّلها الموالي منهم. علماً أنّ القرن الثاني - الّذي يتناوله بحثنا أكثر من غيره - شهد عدداً كبيراً من الموالي الّذين اشتهروا بوصفهم من علماء السنّة الكبار. فينبغي - إذن - أن ننتبه على أنّنا عندما نريد أن نقيس النسبة المئويّة للموالي السنّة في حكم سابق، فيمكننا أن نجزم بأنّ عددهم يفوق عدد غيرهم ذات المِرار.

فلا يعد هنا كلام يذكر حول تأثير الموالي على التشيّع، لأنّنا ناقشنا هذا الموضوع فيما مضى إلى حدٍّ ما. و في عقيدتي انّه لا يستحقّ البحث والدراسة، لوجود الأئمّة الأطهار - عليهم‌السّلام - بوصفهم محور هذه العقائد. و ما نستهدفه من هذا البحث بصورة رئيسة هو التعرّف على الاسلوب الّذي تغلغل الشيعة بواسطته في الموالي الفرس. و هذا هو أوّل بحث من سلسلة الأبحاث الّتي تحوم حول تاريخ التشيّع في إيران.

و مصدرنا في هذه الدراسة الإحصائيّة ما ألّفه الشيعة في علم الرجال من كتب، اخترنا منها كتاب الشيخ الطوسي، لأنّه ذكر أمام كلّ اسم هويّة صاحبه، إذا كان من الموالي، ممّا يسّر علينا البحث كثيراً. و استطعنا بذلك أن نعرض النسبة المئويّة للموالي بين أصحاب الأئمّة - عليهم‌السّلام. بيد أنّ من الضروري أن نشير إلى ملاحظتين قبل ذكر النتائج الّتي

توصّلنا إليها في دراستنا:

الأولى: الأشخاص المذكورون في هذه الكتب هم رواة الأحاديث غالباً، لذلك أُخذوا بعين الاعتبار بوصفهم يمثّلون مؤشّراً لسائر الموالي.

الثانية: هؤلاء الموالي ربّما كانوا من غير الفرس، غير أنّ هذا الكتاب لم يشر إلى هذا الموضوع. علماً أنّه لا يسبّب لنا إشكالاً كبيراً إذا عرفنا أنّ أكثر الموالي كانوا من الفرس.

فالاهتمام بهاتين الملاحظتين يمكن أن يقلّل من دقّة النتائج الّتي نعرضها إلى حدٍّ ما.

و بغضّ النظر عن هاتين الملاحظتين، يمكن أن نقول: ربّما كان هناك أشخاص آخرون لم تذكر هويّتهم القوميّة مع الأسف. فالمؤلّف إمّا كان غير مطّلع على ذلك، أو كان هناك سبب آخر لعدم ذكرها.

يضاف إلى ذلك، أنّ الأشخاص، المذكورين في هذه الفهارس، نوعاً ما هم من ذوي الميول والاتّجاهات الشيعيّة، و ممّن روى الحديث فحسب. أمّا من الوجهة العقيديّة، فيُعتبرون من أهل السنّة، مع أنّ عددهم في هذه الكتب قليل للغاية. و قد حاول المؤلّف أن يدلّ على هذا الموضوع إلى حدٍّ ما من خلال ذكر قيود أُخرى. كما نقرأ أنّه أضاف كلمة (عاميّ) أمام اسم «محمّد بن إسحاق بن يسار». و ذكر كلمة (عدوّ) أمام اسم ابن شهاب الزهري الّذي يروي عن الإمام السجّاد- عليه‌السّلام[1].

---

١ - كان الأُستاذ الباحث السيّد مهدي روحاني يقول: ثمّة ملاحظة يمكن أن تساعدنا على معرفة هويّة الرواة فيما إذا كانوا شيعة حقيقيين، أو كانوا رواة فحسب. فإذا قال الراوي: أنقل هذا الحديث عن جعفر بن محمّد، عن آبائه، فهو راوٍ ليس غيره. أمّا إذا قال: أنقله عن أبي عبدالله - عليه‌السلام. و لم يذكر آباءه، فهو من شيعة الأئمّة - عليهم‌السّلام.

الموالي و الأئمة الاثناعشر (عليهم السلام)

الأئمّة - عليهم السّلام	العدد الكلّي لصحابتهم	عدد الموالي	النسبة المئويّة التقريبيّة للموالي بين الصحابة
الإمام السجّاد عليه السلام	١٧٣	٢٠	١٢٪
الإمام الباقر عليه السلام	٤٦٦	٢٥	٥/٣٪
الإمام الصادق عليه السلام	٣٢٢٣	٤٤٠	١٣/٦٪
الإمام الكاظم عليه السلام	٢٧٣	٢٠	٧/٣٪
الإمام الرضا عليه السلام	٣١٧	٤٦	١٤/٥٪

لو أمعنّا في هذا الجدول الإحصائي، فإنّنا سندرك بسهولة أنّ العرب يشكّلون القسم الأعظم من أصحاب الأئمّة - عليهم السّلام، و أنّ الموالي يؤلّفون نسبة مئويّة ضئيلة بينهم[1]. و يتسنّى لنا أن نعرف عن طريق آخر أيضاً أنّ شريحة من الفرس كانت في عداد أصحاب الأئمّة. و هذه الملاحظة يمكن أن تشكّل باعثاً من البواعث الاولى على تغلغل التشيّع الاثني عشري في إيران.

و ما يمكن أن يكون دليلاً لنا في هذاالمجال هو الألقاب الّتي تلقّب بها أصحاب الأئمّة - عليهم السّلام - نسبة إلى مناطقهم. فالألقاب الّتي تُضفى عليهم توضّح لنا ما نحن فيه إلى حدٍّ ما. نقول : إلى حدّ ما، لأنّ هذه الألقاب كانت تضفى أحياناً على العرب الّذين هاجروا إلى تلك المناطق. و من الجلاء بمكان أنّ عدداً كبيراً من العرب سكنوا في مختلف الحواضر الفارسيّة، كخراسان مثلاً الّتي استوطنها خمسون ألفاً منهم.

إذن، لا يمكن الجزم بعجمة هذا العدد من أصحاب الأئمّة - عليهم السّلام . فمن هذه الألقاب، مثلاً، لقب: الرازي نسبة إلى مدينة الري. و يدلّ هذا اللقب على أنّ المتلقّبين به أقاموا في تلك المدينة مدّةً، أو أنّهم انحدروا منها أصلاً. و ينبغي أن نقول هنا: إنّ هؤلاء حتّى لو كانوا عرباً، فقد تفرّسوا بحكم الألقاب الّتي تلقّبوا بها. فوجودهم في تلك المناطق من جهة، و انتسابهم إلى الأئمّة - عليهم السّلام - من جهة أُخرى، يقدّمان لنا النتيجة الّتي نبتغيها في بحثنا هذا، و هي اتّساع نطاق التشيّع في إيران. و فيما يأتي أسماء الّذين تلقّبوا

---

١ - و يحتمل أنّ عدد الموالي أكثر من المذكور أعلاه، لأنّ الشيخ الطوسي لم يتقيّد بذكر المولى حتماً.

بهذا اللقب.

أَعْيَن، و هو أبو معاذ الرازي من أصحاب الإمام الباقر - عليه‌السّلام. بكر بن صالح الرازي من أصحاب الإمام الكاظم - عليه‌السّلام. سهل بن زياد الرازي، من أصحاب الإمام الهادي - عليه‌السّلام. الشامي الرازي من وكلاء الإمام المهدي - عليه‌السّلام. صالح بن سلمة الرازي من أصحاب الإمام الجواد، والهادي، والعسكري - عليهم‌السّلام. عبدالرحيم بن سليمان الرازي من أصحاب الإمام الصادق - عليه‌السّلام . عبدالله بن محمّد بن حمّاد الرازي من أصحاب الإمام الجواد - عليه‌السّلام. عطيّة بن نجيح الرازي من أصحاب الإمام الصادق - عليه‌السّلام. محمّد بن أبي زيد من أصحاب الإمام الجواد - عليه‌السّلام. محمّد بن أحمد أبو عبدالله الرازي، من أصحاب الإمام العسكري - عليه‌السّلام. محمّد بن جعفر الرازي، و محمّد بن حسّان الرازي، و محمّد بن خالد من أصحاب الإمام الهادي - عليه‌السّلام. محمّد بن خلف من أصحاب الإمام العسكري - عليه‌السّلام. منصور بن عبّاس من أصحاب الإمام الجواد، والهادي - عليهما‌السّلام. نعمان الرازي من أصحاب الإمام الصادق - عليه‌السّلام. يحيى بن أبي بكر الرازي من أصحاب الإمام الهادي - عليه‌السّلام. يحيى بن أبي العلاء الرازي من أصحاب الإمام الباقر - عليه‌السّلام. حسن بن الجهم الرازي من أصحاب الإمام الكاظم والرضا عليهما‌السلام[1].

و صُنِّف كتاب ضيافة الإخوان في أصحاب الأئمّة الّذين هم من أهل قزوين و سائر علماء الشيعة الّذين ينحدرون من تلك المدينة. و نقرأ فيه أيضاً أسماء عدد من أصحاب الأئمّة - عليهم‌السّلام - الّذين تلقّبوا بلقب القَزوينيّ، كأبي عبدالله القزويني من أصحاب الإمام الباقر - عليه‌السّلام، و أبي غانم الخادم من خدّام الإمام العسكري - عليه‌السّلام، و أبي محمّد القزويني من أصحاب الإمام الرضا - عليه‌السّلام، و أحمد بن الحارث القزويني أحد الّذين زاروا الإمام العسكري - عليه‌السّلام، و أحمد بن حاتم بن ماهويه القزويني من أصحاب الإمام الرضا - عليه‌السّلام[2]. و آخرين غيرهم.

و هكذا الأمر في المدن الأُخرى، إذ انتسب إليها عدد آخر من أصحاب الأئمّة، كقاسم بن عوف الشيباني الخوازي، أحد أصحاب الإمام عليّ بن الحسين - عليه‌السّلام.

---

١ - قصران لمؤلّفه كريمان ١ : ٥٧١ ؛ ری باستان ؛ جمعيّة الآثار الوطنيّة ٢ : ٥٠ .

٢ - ضيافة الاخوان : ٣٢ ، ٦٦ ، ٩١ ، ١٠١ ، ١٠٣ ، ... .

و «خواز» مدينة في أطراف «استرآباد[١]».

ثمّة مفردة أُخرى تشعرنا بمنزلة الموالي عند الأئمّة والشيعة. و تتمثّل هذه المفردة بما نطالعه من روايات تتحدّث عن رعاية الأئمّة لهم. فقد جاء في الروايات المأثورة أنّ الأئمّة - عليهم‌السّلام - كانوايثنون على الموالي. و هذه آية على ركونهم إلى الأئمّة. و نقل عن الإمام الصادق - عليه‌السّلام - قوله عندما سأله رجل: أيّهما أشرف من كان من نفس رسول اللّه - صلّى‌اللّه عليه و آله - أو من كان من نفس اعرابيّ جلف بوّال على عقبيه: ؟: من دخل في الاسلام رغبة خير ممّن دخل رهبة، و دخل المنافقون رهبة والموالي رغبة.

و نقل عليّ بن جعفر عن الإمام الكاظم ـ عليه‌السّلام ـ قوله : «إنّما شيعتنا المعادن والأشراف و أهل البيوتات و من مولده طيّب[٢]». قال عليّ بن جعفر: فسألنا عن تفسير ذلك. فقال الإمام: المعادن من قريش، و الأشراف من العرب، و أهل البيوتات من الموالي، و من مولده طيّب من أهل السواد(العراق). و روي أنّ الإمام الحسين - عليه‌السّلام - سأل شخصاً عن شباب العرب، والموالي. ثمّ قال - عليه‌السّلام : واللّه إنّهما للصنفان اللّذان كنّا نتحدّث أنّ اللّه - تبارك و تعالى - ينتصر بهما لدينه[٣]. و أُثر عن الإمام الصادق - عليه‌السّلام - قوله في تفسير الآية: «ثمّ يأتي اللّه بقوم يحبّهم و يحبّونه»: هم الموالي. و روي عن عبداللّه بن عبّاس أيضاً أنّه قال في أهل فارس: «أهل فارس عصبتنا أهل البيت[٤]».

الموالي والنزعة الشيعيّة للغلاة

إنّ الموضوعات الّتي ذكرناها حول النزعة الشيعيّة للموالي كشفت لنا أنّ الموالي ليس لهم أيّ دور في التشيّع إبّان عصره الأوّل، أي: عصر النبي - صلّى‌اللّه عليه و آله - والإمام أميرالمؤمنين - عليه‌السّلام، و ما تلاهما من عصور حتّى عصر التّوابين. و من البديهي أنّ الموالي لم يتمتّعوا بموقع اجتماعيّ خاصّ في تلك الظروف حتّى يسجّلوا مساهمة في الحركات الفكريّة و السياسيّة يومئذٍ. كما لا يمكن أن نتصوّر لهم ذلك. بيد أنّهم دخلوا

---

١ - انظر : مجالس‌المؤمنين ١ : ٣٣٥. ٢ - سفينة‌البحار ٢ : ٦٩٣.

٣ - الطبقات‌الكبرى ، ترجمة الإمام الحسين المطبوعة في مجلّة «تراثنا» العدد ١٠ ، ص ١٤٦ ـ ١٤٧ .

٤ - أخبارأصفهان ١ : ١٢ . كتب الأُستاذ احمدي ميانجي مقالة حول منزلة الفرس في الحديث النبوي . انظر : نشريه نور علم ، العدد ١٨ ، ص ٨ .

حلبة الصراع السياسي بعد ثورة المختار، المطالبة بثأر الإمام الحسين - عليه‌السّلام - فنشأت الميول الشيعيّة في أوساطهم تدريجاً، و برزوا بين أصحاب الأئمّة الطاهرين - عليهم‌السّلام - و بعض الحركات الزيديّة. و هكذا دخلوا في ميدان الكفاح شيئاً فشيئاً مع سائر العرب الشيعة. لذلك لا يخامرنا الشكّ أنّ العرب هم الّذين وضعوا اللبنات الأولى للتشيّع في المدينة والعراق، ثمّ جاء الموالي فساهموا فيه، كما نقرأ أنّ نزعة شيعيّة مستقيمة و متّزنة قد ظهرت بين العرب الأشاعرة في قم بعد مضيّ مدّة من الزمان. و ظلّت هذه المدينة شامخة في إيران بوصفها أهمّ و أعرق مركز شيعي.

و لا بدّ أن نشير هنا إلى قضيّة سبق أن ذكرناها، و هي ظهور ثلاث نزعات رئيسة في الفكر الشيعي، علماً أنّها لم تظهر في وقت واحد، بل تدرّجت في الظهور مع التقلّبات السياسيّة والطائفيّة. و لا ننوي هنا التحدّث عن الهويّة العقيديّة والفكريّة لتلك النزعات، بل نركّز على علاقة الموالي بها فحسب. بيد أنّنا سنشير -كتمهيد - إلى هذه النزعات الفكريّة في سياق البحث، بوصفها تمثّل أهمّ الفرق الشيعيّة.

نطالع في البداية النزعة الشيعيّة المعتدلة الّتي تنامت باشراف متواصل من الأئمّة، و أخذت عقائدها من كلام الإمام أميرالمؤمنين - عليه‌السّلام - و توجيهات سائر الأئمّة. و يمثّلها الشيعة الّذين قال عنهم أبان بن تغلب : الشيعة الذين إذا اختلف الناس عن رسول الله أخذوا بقول عليّ، وإذا اختلف الناس عن عليّ، أخذوا بقول جعفر بن محمّد[1]. و نقرأ أنّ النصّ على إمامة عليّ و أبنائه من أهمّ عقائدهم. و أنّ الامامة عندهم ذات صبغة دينيّة مضافاً إلى صبغتها السياسيّة، و أنّها تعرض بوصفها مكمّلة للدّين. و لهذاالسبب أصبح الاعتقاد بالإمامة محوراً للخلافات الدينيّة الّتي تجسّدت في المناقشات العقيديّة والفقهيّة، وكذلك محوراً للخلافات السياسيّة. و نجمت النزعة المغالية إلى جانب النزعة المذكورة و دعامتها الاعتقاد بألوهيّة الأئمّة الطاهرين - عليهم‌السّلام - و على رأسهم أميرالمؤمنين - عليه‌السّلام.

فالشرائح المعتقدة بهذه النزعة هي من غلاة الشيعة. و نقل أنّ هذا التوجّه بدأ من عبدالله بن سبأ الّذي كان ينحدر من اليمن. و كلّ ما نسب إليه من دور سياسي و ديني نقل

---

١ - رجال‌النجاشي : ٩ ، ذيل اسم أبان بن تغلب .

عن طريق سيف بن عمر الّذي قال عنه الباحث الشهير العلّامة العسكري: إنّه يمثّل المصدر الّذي نقل عنه جميع المؤرّخين والمحدّثين أخبار عبدالله بن سبأ[1]. و عبّر الشهرستاني عنه قائلاً: «منه انشعبت الغلاة[2]».

و نُسبت إلى الغلاة عقائد مختلفة، أهمّها: إلٰهيّة الأئمّة، و غيرهم من الّذين أوجدوا هذه النزعات. و من العقائد الّتي نسبت إليهم أيضاً: عقيدة الحلول[3]، والتناسخ، و التشبيه، والغيبة، والرجعة، و غيرها. و يمكن أن نقف على كثير من هذه العقائد بالرجوع إلى كتب متنوّعة مثل : **المقالات والفرق، فرق الشيعة ، الملل والنحل.**

و من الجدير ذكره هنا هو أنّ فرق المسلمين الأُخرى تؤمن ببعض هذه العقائد. فالغيبة - نظريّاً - عقيدة مشتركة بين أهل السنّة و الشيعة الإماميّة. كما أنّ بعض الشخصيّات الشيعة الإماميّة أقرّت بمسألة الرجعة[4]. و نقرأ أنّ عقيدة التشبيه كانت و مازالت موجودة بين بعض أهل السنّة. و مثالنا على ذلك ابن تيميّة الّذي كان يؤمن بعقيدة التشبيه[5]. وكثير من متقدّميهم كان يرى هذا الرأي. كما نطالع في صحاح أهل السنّة أحاديث حول التشبيه[6]. أمّا الألوهيّة، والتناسخ فلم تعتقد بهما فرقة من فرق المسلمين. و لعلّ الغلاة هم

---

١ - إستنتج الباحث المذكور في ضوء ما نقله علماء الرجال جميعهم من تكذيب سيف بن عمر و منقولاته الكاذبة، أنّ عبدالله بن سبأ لا وجود له . و إنّما هو اسطورة خياليّة ابتدعتها المآرب السياسيّة . و نفى وجوده أشخاص آخرون أيضاً . و قد أشرنا إلى ذلك في موضع آخر.

٢ - **الملل والنحل** ١ : ٧٤ .

٣ - يقول الشهرستاني : الغلاة هم الذينّ غلوا في حقّ أئمّتهم حتّى أخرجوهم من حدود الخليقية، و حكموا فيهم بأحكام الإلهيّة فربّما شبّهوا واحداً من الأئمّة بالاله، و ربّما شبّهوا الاله بالخلق . **الملل والنحل** ١ : ١٥٤ . و انظر : **أوائل المقالات** : ٢٣٨ .

٤ - يقول عبدالله الفيّاض : أمّا القول بالرجعة الّذي نسب إلى ابن سبأ، فهو يختلف عن الرجعة الّتي تحصل بعد ظهور الإمام المهدي. انظر: **تاريخ الإماميّة** ١٠٠ . **رسائل المرتضى** ١ : ١٢٦ ، ٣٠٣ . **أوائل المقالات** : ٥٢ ، ٥٣ ، ٩٠ . **مجمع البيان** ذيل الآية ٨٣ من سورة النمل .

٥ - **رحلة ابن بطوطة** : ٥٧ . الحنابلة - مبدئيّاً - يؤمنون بالتشبيه. انظر: **تاريخ ابن خلدون** ٣ : ٤٧٧ .

٦ - **صحيح البخاري**، ج ١ باب صلاة الفجر، ج ٦ تفسير سورة ق، ج ٩ كتاب التوحيد، ج ١ باب فضل السجود. صحيح مسلم ج ١ باب معرفة طريق الرؤية. راجع أيضاً: **سيرى در صحيحين**، نجمى.

الفرقة الوحيدة الّتي تذهب إلى ذلك. و هناك فرقة من فرق الشيعة المشهورة[1]، و هي الإسماعيليّة تحسب في عداد الغلاة نوعاً ما. و برزت الإسماعيليّة بأشكال مختلفة ذات طابع باطني بمجملها، و يلاحظ شبه كبير بينها و بين الغلاة. بخاصّة في تأويل كثير من المفاهيم الدينيّة. أمّا من الوجهة الظاهريّة، فانّها تؤمن بالشريعة و تعمل بها مع ما تختلف به عن الآخرين فقهيّاً. و كتاب دعائم الاسلام نموذج لكتاب حديثي فقهي متماسك من كتب الاسماعيليّة.

و سنتحدّث في بحوثنا القادمة عن حركات الاسماعيليّة في إيران، و نتطرّق إلى التقارب الملحوظ بين عقائد الغلاة والباطنيّة. و ذكرت موضوعات كثيرة حول البواعث الّتي أدّت إلى ظهور فرق الغلاة، و يمكن أن تطرح موضوعات أُخرى أيضاً، بيد أنّ هذا المجال لا يناسب الحديث عنها. و ما ينبغي أن نتحدّث عنه هنا هو علاقة الموالي الفرس بالغلاة.

النزعة الشيعيّة الثالثة هي النزعة الزيديّة الّتي سبق أن تحدّثنا عنها بإيجاز، و قلنا إنّها كانت ذات طابع حنفي من الوجهة الفقهيّة، و اعتزالي من الوجهة العقيديّة. والمسألة الوحيدة للزيديّة هي الإمامة الّتي تمثّل فيها رأياً وسطاً بين النظرة السنيّة و الشيعيّة، مع اقتراب إلى النظرة الشيعيّة.

لقد ذكرنا سابقاً نبذة يسيرة عن الموالي الفرس، و هل كان لهم دور في ظهور الغلاة أو لا. و إذا كان لهم دور، فما هو الدليل ؟ و ما هي طبيعة هذا الدور ؟ من الضروري أن نعرض هذا الموضوع هنا، و نبيّن رأينا فيه.

و بغضّ النظر عن السؤال المثار حول تأثير الموالي في ظهور عقائد الغلاة أو عدم تأثيرهم، فإنّ مسألة أخرى مطروحة على بساط البحث أيضاً، و هي: هل آمن الموالي بالاتّجاه الشيعي للغلاة ، أو لا ؟ إذن، نلحظ نقطتين ينبغي أن تخضعا للدراسة و التقويم:

الأولى : حجم التأثير الّذي كان للموالي في ظهور عقائد الغلاة.

---

١ -الصحيح أنّها فرقة من الفرق المشهورة ، مجرّدة عن الهويّة الشيعيّة. و ينبغي أن نذكر الفرق المحسوبة على الشيعة بأسمائها فحسب، إذ إنّ من الخطأ الشائع ذكرها على أنها فرقة شيعيّة، فنقول مثلاً: الزيدية، والإسماعيليّة من فرق المسلمين، و لا نقول : الزيدية أو الإسماعيلية فرقة شيعيّة، بل نقول الزيديّة هم زيديّة، و الإسماعيليّة كذلك. و هذا من وحي النظرة التقويميّة الصائبة. المعرّب

الثانية: حجم ركون الموالي إلى الغلاة.

و هاتان المسألتان مترابطتان تماماً. والجواب عن إحداهما - طبيعيّاً - يمكن أن يوضّح الأخرى أيضاً. لذلك لا نفرد لكلّ منهما حديثاً، بل نتحدّث - جملة - عن العلاقة بين الغلاة والموالي.

قد ذكر أنّ للموالي الفرس دوراً رئيساً في ظهور الغلاة، كما جاء على لسان أحدهم إذ قال: وكان جلّ الموالي الّذين انضمّوا إلى التشيّع خلال المراحل الاولى من تاريخه هم من الغلاة[١]». و قال هذا الكاتب أيضاً: إمّا الجماعات الايرانيّة الّتي انضمّت إلى التشيّع بشكله الغالي، فقد ورثت من بيئاتها القديمة فكرة عبادة الملوك و اتّصافهم بصفات الإله. و أصبح الأئمّة في نظر الموالي الغلاة يحتلّون المراكز الروحيّة الّتي يحتلّها الملوك الايرانيّون في عهد الوثنيّة[٢]».

و يرى أحمد أمين أنّ الموالي يشكّلون أحد أركان الغلوّ والغلاة[٣]. و قد ناقشنا سابقاً بعض المسائل الّتي تحوم حول صلة التشيّع بالموالي، و ذلك في كتاب صدر لنا تحت عنوان [بحث موجز حول العلاقة بين التشيّع و ايران][٤] بيد أنّنا لم نتحدّث عن العلاقة بين عقائد غلاة الشيعة، والموالي.

دراسة العلاقة بين الغلاة والموالي

كان عبدالله بن سبأ أوّل مصدر للعقائد الغالية على حدّ تعبير الشهرستاني. و ثمّة احتمالان في نسبه: الأوّل: يقول إنّه يهودي ينحدر من اليمن. و يذهب الأشعري في المقالات والفرق إلى أنّه عبدالله بن وهب الراسبي الهمداني[٥]. الثاني: ينسج له محتداً عربيّاً. و نلحظ أنّ الاحتمال الأوّل لا يدلّ على أرومة عربيّة لو ثبت أنّه أحد المهاجرين الفلسطينيّين إلى اليمن.

---

١ - تاريخ الإماميّة و أسلافهم من الشيعة : ٦٩ . و طرح هذا الموضوع من قبل بعض المستشرقين، و لا سيّما مونتغمري‌وات . و قد تحدّثنا عن ذلك في مكان آخر.

٢ - نفسه : ٨٨ ـ ٨٩ .

٣ - ضحى الإسلام ٣ : ١٧٧ .

٤ - تحقيقى كوتاه پيرامون رابطهٔ تشيّع و ايران.

٥ - المقالات و الفرق : ٢٠ .

و إذا سلّمنا بهذين الاحتمالين، فلا نستطيع أن نثبت أيّ علاقة بين الغلاة والموالي، لعدم وجود صلة بين الهويّة اليهوديّة و العربيّة، و بين موضوعنا الّذي يحوم حول علاقة الغلاة بالموالي، كمّا أنّه لا يبرهن لنا على شيء، بل بالعكس لو فرضنا وجود شخص بهذا الاسم والمواصفات[١]، فليس للموالي دور في ظهور هذا التيّار.

و لو تركنا عبدالله بن سبأ جانباً، فإنّ الفرقة الكيسانيّة نالت نصيبها من البحث في كتب الفرق والمذاهب بوصفها أوّل فرقة غالية. و ليس هناك اتّفاق في الآراء حول تسمية هذه الفرقة، فقد قيل: عُرف الكيسانيّة بهذا الاسم لأنهم أصحاب كيسان مولى أميرالمؤمنين - عليه‌السّلام[٢]. و ثمّة رأي آخر للشهرستاني يري فيه أنّ كيسان كان تلميذ محمّد بن الحنفيّة، و يصرّح بأنّ الكيسانيّة يعتقدون فيه اعتقاداً فوق حدّه و درجته[المقصود كيسان]. و يذهب إلى أنّ كيسان أخذ علمه من السيّدين: علي - عليه‌السّلام، و محمّد بن الحنفيّة. وبلغ درجة رفيعة من إحاطته بالعلوم كلّها و اقتباسه من السيّدين الأسرار بجملتها، من علم التأويل والباطن و علم الآفاق والأنفس[٣].

و يذهب الأشعري إلى أنّ كيسان لقب محمّد بن الحنفيّة[٤]. بينما يرى غيره أنّه لقب المختار نفسه[٥]. و يعتقد آخرون أنّه لقب المختار، و مأخوذ من عنوان أبي عمرة رئيس شرطة المختار[٦]. و جملة القول: إنّ هويّته غامضة.

يقول البغدادي: الكيسانيّة أتباع المختار بن أبي عبيدة الثقفي[٧]. و إذا صحّ ذلك، فالموضوع يرتبط بالموالي. و ينسب الشهرستاني إلى الكيسانيّة عقائد مختلفة. أمّا في مجال أصحاب المختار المعروفين بالمختاريّة، فيعرض الشهرستاني معلومات أرى من الضروري أن أُشير إليها. فهو يذكر أنّ المختار كان يؤمن بإمامة محمّد بن الحنفيّة، فيشترك مع الكيسانيّة في هذه العقيدة. و من الطبيعي أنّ القول بإمامة محمّد بن الحنفيّة لا يمكن أن

---

١ - أنكر كثيرون وجود هذا الشخص، واعتبروه شخصيّة مفتعلة من قبل الوضّاعين لتسويغ ما أحدثه عثمان، و إدانة عقائد الشيعة.
٢ - الملل و النحل ١ : ١٣١.
٣ - نفسه : ١٣١.
٤ - هامش الفَرْق بين الفِرق : ٣٨.
٥ - الفَرْق بين الفِرق : ٣٨. يقول صاحب المقالات و الفرق أيضاً : إنّ محمّد بن الحنفيّة هوالّذي سمّى المختار كيسان، كما ذهب بعضهم إلى ذلك. أنظر : المصدر المذكور : ٢٦، تصحيح الدكتور مشكور.
٦ - قاموس‌الرجال للتستري ٨ : ٤٤٦.
٧ - الفَرْق بين الفِرق : ٣٨.

يمثّل عقيدة غالية. مضافاً إلى ذلك عدم وجود الدليل على أنّ المختار كان يرى له نوعاً من الإمامة كنصّ من اللّه.

و كان المختار يقول: جئتُ من قبل محمّد بن الحنفيّة، و ذلك لجمع الشيعة. و عرض نفسه بوصفه شخصيّة سياسيّة. و لمّا كان موضوع ثورته الثأر من قتلة الإمام الحسين - عليه‌السّلام - و أصحابه، و صاحب هذا الثأر هو محمّد بن الحنفيّة، لذلك كان يعتزم أن يظهر نفسه محقّاً في توجّهاته. و الرأي القائل أنّ المختار كان مقرّاً بامامة ابن الحنفيّة مرفوض، لأنّ محمّد بن الحنفيّة لم يدّع الإمامة، فكيف يمكن قوله بإمامته ؟!

والموضوع الآخر الّذي يعرضه الشهرستاني هو أنّ المختار كان يجوّز البداء على اللّه - تعالى. و يقول : و إنّما صار المختار إلى اختيار القول بالبداء، لأنه كان يدّعي علم ما يحدث من الأحوال إمّا بوحي يوحى إليه، و إمّا برسالة من قبل الإمام[1].

و يقول البغدادي: كان المختار قد وعد إبراهيم الأشتر بأنّ الظفر يكون له . فلمّا هُزم، قال : إنّ اللّه - تعالى - كان قد وعدني ذلك، لكنّه بدا له[2]. بينما نقرأ أنّ الطبري نقل القول بالبداء عن عبداللّه بن نوف، و أضاف أنّه هو الّذي أظهر هذه العقيدة[3]. و عقيدة الشيعة أنّ البداء من المسائل الجوهريّة في مذهب أهل البيت - عليهم‌السّلام - و مصدره القرآن و السنّة[4].

لقد أشرنا سابقاً إلى موضوع ادّعاء المختار النبوّة، و قلنا إنّه لا نصيب له من الصحّة. وكان المختار عرضة لطعون المؤرّخين و تقوّلاتهم، بخاصّة الامويّين و الزبيريّين، حتّى إنّ الادّعاء بالنبوّة نسب إليه في حياته. و كان هدفهم من وراء ذلك الحطّ من شأنه، وهو الّذي ثار من أجل الدفاع عن أهل البيت - عليهم‌السّلام. و هل يستطيع أحد أن يحكم الناس، و هو يدّعي النبوّة، في تلك الظروف الّتي كانت تعيشها الكوفة ؟! و لو تغاضينا عن ذلك، فإنّ كلام الشهرستاني المتمثّل برفض محمّد بن الحنفيّة إيّاه غير صحيح، لأنّ محمّد بن الحنفيّة - كما مرّ بنا - لم يؤيّد المختار ضمنيّاً فحسب، بل واستنصره عندما تعرّض

---

١ - الملل و النحل ١ : ١٤٩ .

٢ - الفرق بين الفرق : ٥٠ ـ ٥١ .

٣ - تاريخ الطبري ٢ : ٧٣١ ، نقلاً عن نشأة الفكر الفلسفي في الإسلام ٢ : ٧٣ .

٤ - انظر : البداء في الكتاب و السنّة للشيخ جعفر سبحاني، و راجع أيضاً : أوائل المقالات : ٥٢ ، ٩٣ ، ٢٠٠ ـ ٢٠١ ؛ عقائد الصدوق.

لمضايقات عبدالله بن الزبير في مكّة[1]. و هذه نقطة ذكرها كافّة المؤرّخين الّذين نقلوا تلك الوقائع. و من الطريف أنّ الشهرستاني نفسه هنا يكشف لنا عن عقائده الغالية فيقول : وإنّما حمل المختار على الانتساب إلى محمّد بن الحنفيّة حسْنُ اعتقاد الناس فيه. وكان محمّدبن الحنفيّة كثيرالعلم، وقّاد الفكر، مصيب الخاطر في العواقب. قد أخبره الإمام عليّ - عليه‌السّلام - عن أحوال الملاحم، و أطلعه على مدارج المعالم[2] ! فهذا هو تصريح الشهرستاني نفسه بعلم أميرالمؤمنين - عليه‌السّلام - و نجله ابن الحنفيّة بالغيب و معرفة ما سيجري في المستقبل، فهل ينسجم هذا التوجّه مع نهج أهل السنّة ؟

و جاء في إحدى المقالات أنّ الشهرستاني -كما يبدو من تفسيره - كان من الّذين يعتقدون أنّ العلوم الدينيّة الواقعيّة، بخاصّة علم التفسير، ينبغي أن تؤخذ من أهل بيت النبوّة فحسب[3]. و حينئذٍ لا نستبعد منه أن يصرّح بمثل هذه الآراء في الملل والنحل.

و ألّف أحد الباحثين كتاباً تنيف صفحاته على مائتي صفحة حول الفرقة الكيسانيّة، و هل كانت موجودة في التاريخ أو لا؟ و عرض فيه أدلّة وافية أثبت من خلالها أنّ هذه الفرقة مختلَقة، و أنّها لم ترد في التاريخ بهذا الاسم و هذه المواصفات كفرقة مستقلّة[4]. و ذهب هذا الباحث إلى أنّ لبني العبّاس ضلعاً في اختلاق هذه الفرقة، إذ كانوا يطمحون إلى انتقال الأمر إليهم عبر الاعتقاد بوصيّة محمّدبن حنفيّة و وصيّة ابنه أبي‌هاشم بعده، زاعمين أنّ أبا هاشم جعل الوصيّة عند دنوّ أجله في محمّد بن عليّ بن عبدالله بن عبّاس. فانتقلت الإمامة إلى العبّاسيّين عن هذا الطريق.

و ما يهمّنا هنا هو أن نعرف هل كان للموالي دور في هذا الموضوع. و نحن نرى أنّ مساهمتهم في التحرّك السياسي الّذي قام به المختار كانت نابعة من حبّهم أهلَ البيت - عليهم‌السّلام. و ثمّة دافع آخر كان يعتمل في نفوسهم - سبق أن أشرنا إليه - و هو

---

١ - الطريف أنّ البغدادي يقول من وحي حقده : أقام ابن الحنفيّة بمكّة خوفاً من أن يقتله المختار، **الفرق بين الفرق** : ٤٧ . بينما نقرأ أنّ استنصاره المختار عندما وقع في قبضة عبدالله بن الزبير أشهر من نار على علم، و هو من الأخبار الثابتة المقطوع بصحّتها.

٢ - **الملل و النحل** ١ : ١٤٩ - ١٥٠ .

٣ - انظر: مجلّة تراثنا، العدد ١٢ ، مقالة الدكتور آذرشب.

٤ - **مذاهب ابتدعتها السياسة في الاسلام**، عبدالواحد الأنصاري. يقول الباحث الجليل الشوشتري أيضاً : و أمّا قولهم بكيسانيّة المختار فغير معقول، لأنّه مذهب حدث بعد المختار. **قاموس‌الرجال** ٨ : ٤٥٢ .

طموحهم إلى ردّ الاعتبار. و ليس لهم أيّ علاقة تذكر من الوجهة الفكريّة بالعقائد الّتي عرضتها تلك الكتب المعنيّة بدراسة الفرق والمذاهب، و ابتدعتها تكيّفاً مع الأفكار السائدة في القرن الرابع و الخامس.

و نُسبت العقيدة المهدويّة إلى المختار أيضاً. و نُقل أنّه كتب رسالة إلى محمّد بن الحنفيّة خاطبه فيها بالمهدي. ممّا حدا البعض على القول أنّه هو الّذي طرح العقيدة المهدويّة. بيد أنّ هذا الموضوع واهٍ لأسباب مختلفة. يضاف إلى ذلك أنّنا نحتمل احتمالاً كبيراً أنّ المختار نظر إلى المعنى اللغوي للمهدي. و يمكننا أن نقول :

إنّ العقيدة المهدويّة - جوهريّاً - لا تقتصر على الشيعة، بل يشاركهم فيها أهل السنّة أيضاً، إذ يعتقدون بانتظار المهدي و ظهوره، و لكن بشكل آخر. كما أنّ غير المسلمين لهم اراء خاصّة في هذه العقيدة، كالنصارىٰ واليهود، و ليس هؤلاء فحسب، بل غيرهم يؤمن أيضاً بظهور منجٍ ينقذ البشريّة، كما جاء ذلك في الثقافات الاسطوريّة[1].

من هذا المنطلق يمكننا أن نحصل على نتيجة قيّمة للغاية تتمثّل في أنّ العقيدة المهدويّة عريقة في التاريخ لأنّها وردت في كافّة الثقافات الأُسطوريّة والدينيّة أو أكثرها. ولابدّ أن ننتبه إلى أنّ وجود هذه العقيدة عند اليهود ينبغي أن لا يدفعنا إلى التصوّر أنّ المسلمين أخذوها منهم. بل إنّ اشتراك الثقافات والحضارات في هذه العقيدة دليل على عراقتها و أصالتها. لذلك لا تنحصر هذه العقيدة بالغلاة، كما يروق للبعض أن يُعنى بها بأشكال مختلفة. و من الطريف أنّ الخليفة الثاني هو أوّل من طرح مضمون العقيدة المهدويّة عندما توفّي النبيّ الأعظم - صلّى اللّه عليه و آله - إذ لم يصدّق، و قال : إنّه لم يمت. ثمّ اقتنع بعد ذلك، فسلّم بموته[2].

و يبدو من الضروري أن نعرض نبذة موجزة عن الفرق الّتي انشعبت من الكيسانيّة، و نقلتها كتب الفرق أو ابتدعتها للتشويش بكثرة الأسماء.

إنّ إحدى الفرق الّتي كانت تقول بإمامة أبي هاشم بعد موت محمّد بن الحنفيّة تعتقد

---

۱ - انظر : مقالتنا في مجلة نور علم، العدد ۲۰ ، و هي بعنوان «أساطير و مذاهب الهي».

۲ - ذكرت العقيدة المهدويّة متواترة في الأحاديث. و كان هناك مختلف الأشخاص قد ادّعوا المهدويّة أو ادّعاها الآخرون لهم منذ القرن الأول. و نظرة إلى الأحاديث المأثورة في هذا الحقل، و كذلك الادّعاءات، تدلّ علىٰ أنّ أصل المهدويّة ثابت و لا سبيل إلى إنكاره.

أنّ وصيّ أبي هاشم هو عبداللّه بن عمرو بن حرب الكندي. و ترى هذه الفرقة أنّ روح الإله تناسخت في عبداللّه بن عمرو بن حرب الكندي[١]. و مهما كان من أمر هذا الشخص، إن كان من أتباع بيان بن سمعان، أو كان صاحب فرقة مستقلّة به، فما هي علاقته بالموالي؟ إذ كان عربيّاً من كندة مضافاً إلى عدم وجود معلومات تدلّ على ارتباط الموالي به. علماً أنّ البيانيّة عُدّت من فرق الكيسانيّة[٢]. ويعتقد هؤلاء بالهيّة الإمام عليّ - عليه‌السّلام - كما يعتقدون بالتناسخ أيضاً.

و كتب بيان بن سمعان رسالة إلى الإمام الباقر - عليه‌السّلام - يدعوه فيها إلى نفسه. و لمّا وصلت إلى الإمام أمر الرسول أن يأكلها، فأكلها، فمات في الحال[٣].

ما هو موقف الموالي من دعوة بيان بن سمعان ؟ والجواب هو أنّ الكتب المعنيّة لم تتطرّق إلى ذلك. و يضاف إليه أنّ هذا الشخص كان من قبيلة بني تميم، فهو - إذن - من العرب الخالصة، و قبيلته كانت تنتهج سبيلاً غير سبيل التشيّع. و للوقوف على عقائده، تُنظر المصادر المبيّنة في الهامش أدناه[٤].

و نُسبت العقائد الغالية أيضاً إلى عبداللّه بن معاوية بن عبداللّه بن جعفر[٥]. كما عُدّ مؤسّساً لفرقة تُدعى الجناحيّة. و من المؤسف حقّاً أن تنسب إليه هذه العقائد الّتي لا تليق بشأنه[٦]. و لا يمكن التسليم بها على أساس ما نقله الشهرستاني. و لو نظرنا أنفسنا في هذه

---

١ - **الفرق بين الفرق** : ٤١ ؛ **مقالات الاسلاميّين** ١ : ٦٨ ؛ **التبصير في الدّين** : ٧٣ ؛ **الحورالعين** : ١٦٠ . نقلاً عن هامش ص ٣٧ من كتاب **المقالات والفرق** ، تصحيح الدكتور مشكور.

٢ - **الملل و النحل** ١ : ١٥٢ .

٣ - نفسه : ١٥٣ ، إنّ ما نقله الشهرستاني هنا يوحي بأنّ الإمام الباقر - عليه‌السلام - كانت له يد أيضاً في هذه الأعمال الخارقة. انظر : **المقالات و الفرق** : ٤١ ، ٦٨ فما بعدهما، و فرق الشيعة : ٣٤ .

٤ - **مقالات الإسلاميّين** ١ : ٦٦ ؛ **التبصير في الدّين** : ٧٢ ؛ **الأغاني** ١١ : ٦٦ - ٧٩ ؛ **الحورالعين** : ١٦١ ؛ **اعتقادات فرق المسلمين** : ٥٧ .

٥ - **الملل و النحل** ١ : ١٥١ ، نقل الشهرستاني هذه العقائد بعد ذكر اسم عبداللّه بن حارث الّذي كان أحد الغلاة، فمن المحتمل أن تكون عقائده. علماً أنّ المؤلّف أشار إلى هلاك عبداللّه بخراسان في آخر كلامه، دون ذكر أبيه إن كان معاوية أو حارث، و كأنّ هذه العقائد كانت لعبداللّه بن معاوية. و مهما يكن من أمر فقد عُدّ عبداللّه بن حارث من دعاته أيضاً.

٦ - **نشأة الفكر الفلسفي في الإسلام** : ١٠٩ . يقول سامي النشّار: أخباره متناقضة. و ليس واضحاً هل كان من الغلاة أو كان رجلاً لبيباً من بني هاشم. انظر: المصدر نفسه ٢ : ١٠٩ .

العقائد أيضاً، فسوف لا نصدّق بما قيل عنه. منها : أنّه كان يعتقد بتناسخ الأرواح ! و أنّه قال بحلول روح الإله في البشر، حتّى بلغته فحلّت فيه !! و أنّه ادّعى الربوبيّة والنبوّة ! و أنّ أتباعه كفروا بالقيامة...[١] ! و لو فرضنا أنّ هذه هي عقائده، و أنّه كان من أقطاب الغلاة، فمن الثابت أنّنا لا نستطيع أن نسجّل دوراً للموالي في تكوين هذه العقائد.

و لنا أن نقول بكلّ اطمئنان أنّه لما كان قد قتل على يد أبي مسلم داعية العبّاسيّين، فلا جرم أنّ العبّاسيّين هم الّذين قاموا بتشويه سمعته[٢].

و من الطريف أن نعلم أنّ دعوى النبوّة كما نسبت إلى المختار، فقد نسبت إلى عبداللّه بن معاوية أيضاً[٣]. على أيّ حال، لا يمكن أن نعثر على أثر للموالي في مانقله هؤلاء المؤرّخون من معلومات عن الفرق. و ما قيل فيهم هو كلام واهٍ لا يقوم على دليل[٤]. و لمّا كان عبداللّه بن معاوية قد ذهب إلى المدائن، و منها اتّجه شرقاً، فقد حاول البعض أن يختلق صلة بين الغلاة والفرس من جهة، و بين نصرته والتعاطف معه من جهة أُخرى[٥].

بيد أنّ حكم المؤلّف العراقيّ المشهور الدكتور الشيبي في هذا الموضوع يزيل كلّ شبهة. فهو يقول: و يزيد الأمر وضوحاً أنّ المدائن الّتي نزلها أوّلاً، و اصطخر الّتي صارت عاصمة ملكه كانتا مهجرين لقبيلة عبدالقيس الشيعيّة الّتي خرج الغلوّ من بطونها. و تلك أمارة على أنّ الغلوّ لم يكن فارسيّاً في جوهره. و إنّما كان للعرب من الشيعة المتعصّبين الممتلئين بالغيظ والحقد على الأمويّين دورهم الأساسي في تبنّيه عقيدةً[٦].

و يذهب البلاذري أيضاً إلى أنّ شيعة المدائن كانوا من الناس الّذين هاجروا إليها من الكوفة[٧].

و أمّا ما قاله صاحب كتاب تاريخ الإماميّة و أسلافهم من الشيعة حول الفرس أنّهم كانوا يرون ملوكهم في جوّ روحي، و انّهم اعتقدوا بالأئمّة نفس الاعتقاد. فينبغي أن نجيب عنه

---

١ - نشأة الفكر الفلسفي في الإسلام : ١٠٩ .

٢ - قيل : إنّ أبامسلم سلّمه لموالي الأمويّين، و هو الّذي قتله أيضاً !!

٣ - نشأة الفكر الفلسفي في الاسلام للدكتور سامي النشّار : ١١٠ ـ ١١١ .

٤ - نقصد من وراء ذلك أنّنا لم نعثر على دليل في هذه الكتب. فمن كان له دليل، فليعرضه.

٥ - نشأة الفكر الفلسفي في الإسلام : ١١٢ .

٦ - الصلة بين التشيّع و التصوّف : ١٣٢ ـ ١٣٣ .

٧ - أنساب الأشراف ٥ : ٢٠٦ .

قائلين: إنّ الفرس لم يعتقدوا يوماً بإلهيّة ملوكهم، أو بحلول روح الاله فيهم، و إنّما كانوا يرون أنّ حكومتهم تفويض إلٰهي. لذلك لا يمكن أن نقيم علاقة تذكر بين الغلاة و عقائدالفرس. حتّى إنّنا لو تصوّرنا هذا الموضوع تصوّراً بسيطاً، فلا نجد علاقة بين الحكومة حسب نظرية التفويض الإلٰهي و بين الإمامة عند الشيعة.

و قد أثبتنا زيف هذه الامور في أحد كتبنا، و قلنا: هذه هي أيضاً عقيدة المسلمين بالأنبياء، و لو كانت ثمّة مؤاخذة على عقيدة الشيعة، فإنّها ستُسجّل أيضاً على كافّة المسلمين و عقيدتهم في نبيّهم العظيم - صلّى‌اللّٰه عليه و آله[١].

و أشار الدكتور سامي النشّار إلى هذه النقطة، وهو الّذي يرمي إلى الكشف عن المصدر الّذي انبثق منه تيّار الغلاة، و ذكر أنّ الكوفة شهدت امرأتين كانتا تعتبران من رؤساء الغلاة. و نُقل عن الطبري أنّ غلاة الشيعة كلّهم كانوا يجتمعون في بيت هند بنت المتكلّفة الناعطيّة، و يتباحثون. و كذلك كانوا في بيت ليلى بنت، قمامة المزنيّة[٢].

و لو سلّمنا - فرضاً - أنّ هاتين المرأتين كانتا من الغلاة[٣]، فانّهما عربيّتان، و ليس للموالي علاقة بهما.

و قال الجاحظ : إنّ الناعطيّين كانوا من أصحاب عليّ - عليه‌السّلام - في‌الكوفة، و من أفراد جيشه في اليمن[٤].

و حينئذٍ يمكن أن يكون تشيّع هؤلاء فحسب باعثاً على اتّهامهم بالغلوّ. و هذا الضرب من الحكم يكثر في الكتب الرجاليّة لأهل السنّة.

أقطاب الغلاة الآخرون و علاقتهم بالموالي

و من هؤلاء: حمزة بن عمّار البربري الّذي ذكر في عِداد أقطاب الغلاة. و هذا الشخص

---

١ - انظر : تحقيقى كوتاه پيرامون رابطهٔ تشيّع و ايران.

٢ - تاريخ‌الطبري ٢ : ٧٣١ - ٧٣٣ ، نقلاً عن نشأة الفكر الفلسفي في الاسلام ٢ : ٧٢ . أعلام النساء ٥ : ٢٥٢ عن الطبري.

٣ - على الرغم من أنّ هذا الشيء لا يمكن قبوله، لأنّ أهل السنّة كانوا يطلقون صفة الغلوّ حتّى على الشيعة المعتدلين الّذين ليس لهم أيّ علاقة به.

٤ - البخلاء : ٣١٠ ، ٣٥٠ . نقلاً عن نشأة الفكر الفلسفي في الاسلام : ٧٤ .

مذموم في كتب الرجال الشيعيّة. و أُثرت روايات عن الأئمّة - عليهم‌السّلام - في تكذيبه[١]. كان يعيش في المدينة والتحق به عدد من أهل المدينة والكرفة كما نقل[٢]. و هذا الرجل كان يُعرف بالبربري، و حتّى لو لم يكن له هذا اللقب البسيط[٣]، و علمنا أنّه من بلاد المغرب، فليس لموضوعه علاقة بالموالي الفرس. و في الآن ذاته، إنّ إقبال أهل المدينة عليه و هم من العرب الخالصة يدلّ نوعاً ما على تنامي أفكار الغلاة بين أُناس سلموا من تهمة الامتزاج الثقافي بالمذاهب الأُخرى، لا كأهل الكوفة الّذين وُجّهت لهم هذه التهمة.

و من أقطابهم: المغيرة بن سعيد البَجلي. و كان من الموالي. يقول الدكتور سامي النشّار بعد إشارته إلى أنّ المغيرة كان من موالي قبيلة بجيلة: **فهو إذن على الأرجح فارسيّ الأصل**[٤]، بيد أنّه لم يذكر دليلاً على هذه الأرجحيّة. لذلك يحتمل أن يكون من الموالي غير الفرس، إذ كان عددهم كبيراً آنذاك، بخاصّة في أواخر القرن الأوّل و أوائل القرن الثاني. و كان للمغيرة عقائد غالية، و على الرغم من أنّه كان يزعم أنّه من محبّي الإمام الباقر - عليه‌السّلام - إلاّ أنّ الإمام لعنه و دعا عليه مرّات[٥]. و مضافاً إلى ما ادّعاه الدكتور سامي النشّار بشأنه، فإنّ المصادر الشيعيّة تذهب إلى أنّه كان متأثّراً باليهود[٦]. و هذا ما يثير الشك حول نسبه الفارسي، أو يدلّ كحدّ أدنى على عدم وجود علاقة بين أفكاره و الأفكار الفارسيّة.

و منهم : أبو منصور العجلي المتوفّي سنة ١٢١ هـ. يرى سامي النشّار أنّ أبا منصور والمغيرة بن سعيد كانا من غلاة الإماميّة. و هذا التعبير غير صحيح طبعاً. إذ إنّ إضفاء صبغة الغلوّ على الفكر الإمامي أمر لا يمكن قبوله. و إنّما نسمّيهم غلاة الشيعة فحسب. و كان أبو منصور من قبيلة بني عجل، و هي من العرب الخالصة. يقول الأشعري: «**العجلي من أهل**

---

١ - انظر: **قاموس الرجال ٣ : ٤٣١ - ٤٣٢**.

٢ - **قاموس الرجال ٣ : ٤٣٢ ؛ نشأة الفكر الفلسفي في الإسلام ٢ : ٨٥**.

٣ - كما قال ذلك ابن الأثير الجزري في سابق بن عبدالله البربري أنّ البربري لقبه لا غير. **اللباب في تهذيب الأنساب ١ : ١٣٢**.

٤ - **نشأة الفكر الفلسفي ٢ : ٩١**.

٥ - انظر : **قاموس الرجال ٢ : ٧٨**.

٦ - كما قال الإمام الصادق - عليه‌السّلام - بحقّه : لعن الله المغيرة بن سعيد، و لعن اليهوديّة، كان يختلف إليها يتعلّم منها السحر والشعبذة و المخاريق . انظر: **قاموس الرجال ٩ : ٧٩**.

الكوفة من عبدالقيس. وكان منشأه في البادية. كان أُمياً لا يقرأ[١]».

و لمّا كان هذا الشخص أحد الأركان المهمّة للغلاة، فيمكننا أن ندرك جيّداً أنّ الموالي بُرَآء من الغلوّ. و كان أنصار هذا الشخص أيضاً من قبيلة كندة. كما ذكر ذلك ابن قتيبة[٢]. و يضاف إليه أنّ قبائل بني عجل، و بني بجيلة، وكندة كانت مشهورة بالغلوّ، كما قال سامي النشّار[٣]. و لم يرد في التاريخ أنّ الموالي كانوا من أنصاره.

و من الطبيعي أنّ الموالي الساكنين في العراق يركنون إلى الغلاة كغيرهم من العرب. بيد أنّ ركونهم هذا لا يعني أنّ القسم الأعظم من أنصار الغلاة كانوا من الموالي، أو أنّ جميع الموالي ركنوا إليهم. إذ نقرأ أنّ عدداً كبيراً من الموالي التحق بالخوارج، و عدداً أكبر منهم اختار المذهب السنّي !!

و نقرأ أيضاً أنّ أبا حنيفة كان محترماً بين الموالي إذ كانوا يلتفّون حوله[٤]. فكيف يمكننا أن نعتبر ذكر اسم واحد من الموالي دليلاً على ركونهم إلى الغلاة ؟! و نتغاضى عن النصوص التاريخيّة الّتي تحكي دعم القبائل العربيّة لهذا التيّار ؟ و بغضّ النظر عن الأدلّة المتقدّمة الّتي تعتبر براهين ساطعة على عربيّة تيّار الغلاة من حيث مؤسّسيه و أنصاره، فلابدّ أن نقف عند عقائدهم أيضاً.

العلاقة بين عقائد الغلاة و عقائد الفرس

زعم بعض المؤلّفين و الكتّاب أنّ ثمّة صلة بين عقائد الغلاة والمجوسيّة. فقد قال الأشعري: وهو أقدم المؤرّخين في الفرق والمذاهب: «**و فرقة من الغلاة لعنهم اللّه أظهروا دعوة التشيّع واستبطنوا المجوسيّة**[٥]». و نلحظ بين الكتّاب المعاصرين من يذهب إلى هذا الرأي أيضاً، فقد كتب الدوري قائلاً: «**و في أواخر الفترة الاموية نرى ازدياد نشاط الغلاة. وهؤلاء كانوا يتمسّكون بتراثهم الديني المجوسي**[٦]». و أشار الفيّاض إلى هذا الموضوع

---

١ - المقالات و الفرق : ٤٦ .
٢ - عيون الأخبار ٢ : ١٤٧ .
٣ - نشأة الفكر الفلسفي في الاسلام ٢ : ١٠٦ . و أشار أيضاً إلى أنّ هذه القبائل العربيّة كانت من أنصار المغيرة بن سعيد.
٤ - الإمام الصادق و المذاهب الأربعة ١ : ٣٠٤ .
٥ - المقالات و الفرق : ٦١ . و انظر : ص ٦٤ .
٦ - الجذور التاريخيّة للشعوبيّة : ٣٥ .

أيضاً[١].

و هذه رؤية نُسبت إلى الشيعة كلّهم على امتداد القرون المنصرمة. و جاء في كتاب تاريخ إيران - كمبريج : «عندما ورد في كتاب فضائح الروافض أنّ الشيعة هم مجوس في الباطن، و مسلمون في الظاهر، فانّ المؤلّف يعيد تهمة قديمة (و لعلّ مبتدعها هو ابن حزم المتوفّى سنة ٤٥٧ هـ) أصبحت اليوم مصدراً لبعض الدعاوى الجوفاء القائلة بوجود شَبَه بين التشيّع والدين المجوسي[٢]».

و لابدّ لنا هنا من إلقاء نظرة ثانية، و لو كانت عابرة، على عقائد الغلاة لندحض الصلة المزعومة بين عقائد الغلاة و بين المجوسيّة، أو نخفّف منها على الأقلّ. و إذا ما ثبت ذلك، في فصل أساسيّ آخر طبعاً، فانّ النتيجة الّتي سنتوصّل اليها تتمثّل في عقمِ و هراء ما قيل عن ركون الموالي إلى الغلاة، أو دورهم في الغلوّ.

يقول الشهرستاني في الغلاة: «الّذين غلوا في حقّ أئمّتهم حتّى أخرجوهم من حدود الخليقيّة، و حكموا فيهم بأحكام الهيّة[٣]».

و يعرض في عبارته الأُخرى أربع عقائد من عقائدهم بوصفها بدعاً، وهي :

١ - التشبيه. ٢ - البداء. ٣ - الرجعة. ٤ - التناسخ[٤].

و يشير على وجه الخصوص إلى أنّ جميع فرق الغلاة تتّفق في عقيدة التناسخ[٥]. و يذكر أنّ التجسيم، والتشبيه من عقائدهم الثابتة، و يقول في عقيدة بيان بن سمعان : «و زعم أنّ معبوده على صورة إنسانٍ عضواً فعضواً، و جزءاً فجزءاً[٦]».

و من الجدير ذكره أنّ الّذين يُعرفون بالغلاة هم الّذين يعتقدون بربوبيّة الأئمّة. و أقلّ منهم درجة هم المفوّضة الّذين لا يقولون بربوبيّتهم. بيد أنّهم يرون لهم اختيارات خاصّة خارجة عن الحدود المرسومة لهم.

و لو أنعمنا النظر في العقائد السابقة، فانّنا سنجد أنّ أشهرها هو الغلوّ في حقّ الأئمّة،

---

١ - تاريخ الإماميّة و أسلافهم من الشيعة : ٨٨ .

٢ - تاريخ ايران - كمبريج «از سلجوقيان تا فرو پاشى ايلخانيان».

٣ - الملل و النحل ١ : ١٥٤ .

٤ - نفسه : ١٥٥ .

٥ - نفسه : ١٥٦ .

٦ - نفسه : ١٣٦ .

و قد كذّبه الأئمّة أنفسهم[١]. و هذا الغلوّ ناتج عن حبّ مفرط ظهر في البداية بين شيعة الكوفة الّذين كانوا عرباً. و أشار كثير من المؤلّفين إلى أنّ الغلوّ منبثق أساساً عن هذا الحبّ، و أنّ جذوره تكمن في عداء الامويّين الشديد للعلويّين و تضييق الخناق عليهم[٢]. يقول الدكتور الفيّاض: **«احتلّ عليّ و آل بيته مركزاً مرموقاً بين الغالبيّة العظمى من المسلمين، فلا عجب أن نجد أنّ الغلوّ في بداية ظهوره يتمركز في الغالب حول أشخاصهم و يظهر في بيئة شيعيّة هي الكوفة و نواحيها[٣]».**

و كلّما ازدادت صلافة الامويّين وقاحتهم في سبّ أميرالمؤمنين - عليه‌السّلام - و أبنائه، اشتدّ تمسّك الشيعة بحبّ أهل البيت، و تصلّبوا في تنظيم منزلتهم، حتّى أصبح هذا الحبّ نزعة مشهورة فيالكوفة، ثمّ شابته أوهام أُخرى نتيجة لمرور الزمان و ابتعاد الأئمّة عن الكوفة.

و نقرأ في التاريخ أنّ هشام بن عبدالملك كتب رسالة إلى يوسف بن عمر قال فيها: **أمّا بعد، فقد علمت بحال أهل الكوفة في حبّهم أهل هذا البيت و وضعهم إيّاهم في غير مواضعهم، لأنّهم افترضوا على أنفسهم طاعتهم، و وظّفوا عليهم شرائع دينهم، و نحلوهم علم ما هو كائن[٤].**

إذن، تكمن جذور هذا الغلوّ في الحبّ الّذي كان يكنّه الشيعة لأميرالمؤمنين - عليه‌السّلام - و أبنائه. و بغضّ النظر عن هذا الحب، ثمّة نقطتان أُخريان لهما أهميّتهما: الأُولى: الإمامة، وكانت قد طُرحت أيّام النبيّ - صلّى‌اللّه عليه و آله - و مسك ختامها في عصره ببيعة الغدير. و ظلّت معروفة بين شريحة من الصحابة بعد وفاته، ثمّ اتّسعت دائرتها على تواتر الأيّام. و لمّا كانت هذه العقيدة تنطلق من نصّ إلهي، لذلك يمكن أن تولّد نوعاً من التصوّر الغالي عند ذوي النفوس الضعيفة. وكأنّ جزءاً إلهيّاً قد حلّ في أرواح الأئمّة. ونلاحظ أنّها نُسبت إلى عدد من الأئمّة و لم تقتصر على الإمام علي - عليه‌السّلام - فحسب. و انّ عقيدة الإمامة عقيدة أصيلة و صحيحة، بيد أنّها اتّخذت طابع الغلوّ عند ذوي النفوس الضعيفة أو المفرطة تدريجاً. كما أنّ هذه الرؤية تصدق على كثير من الأفكار

---

١ - انظر: رجال الكشّي: ٢٥٤ - ٣٤٢.

٢ - انظر: الصلة بين التشيّع و التصوّف: ١٢٢ و ١٢٣. عليّ و بنوه للدكتور طه حسين ١٨٨؛ نشأة الفكر الفلسفي في الاسلام ٢: ٦٨.

٣ - تاريخ الإماميّة: ١٢٧.

٤ - تاريخ الطبري ٨: ٢٦٥. الصلة بين التشيّع و التصوّف: ١٢٣ عن الطبري.

الأُخرى، إذ أضحت باعثاً على تشويه هويّتها، و قدح أصالتها على كرور الأيّام.

النقطة الثانية: كان أئمّة الشيعة - عليهم‌السّلام - يقومون ببعض الأعمال الخارقة شيئاً ما لإثبات إمامتهم. و ذكرت كتب أهل السنّة كراراً أنّ أميرالمؤمنين - عليه‌السّلام - كان يخبر ببعض المغيّبات. و نقل عن الإمام الباقر، و الصادق[1] و الكاظم - عليهم‌السّلام - قصص و حكايات حول إخبارهم بالمغيّبات[2]. و كتب الشيعة أيضاً مليئة بذكر هذه الخوارق الّتي نسبت إلى كافّة الأئمّة - عليهم‌السّلام - لاثبات إمامتهم[3].

إذن، بغضّ النظر عن الحبّ المفرط، فانّ هاتين النقطتين يمكن أن تؤدّيا دوراً خطيراً في هذا المجال. و لذلك قلّما نسبت هذه العقائد إلى غيرهم. و إذا ما نسبت، فانّ ذلك يعود إلى الأواصر الّتي كانت تربطهم بالأئمّة - عليهم‌السّلام. فيستبين من هذه المعلومات أنّ أصل الغلوّ هو العقائد الشيعيّة المعتدلة الّتي أخرجها ذوو النفوس الضعيفة أو المريضة من حدودها المنطقيّة. من هذا المنطلق فنّدها الشيعة وكذّبوها على مرّ التاريخ، و ابتعدوا عنها تماماً، و هذا هو الحقّ، لا أنّ تلك العقائد أُخذت من عقائد الغلاة.

إنّ مسألة حلول الجزء الإلٰهي في الأئمّة الّتي تمثّل الموضوع الأساس للغلاة لا علاقة لها بعقائد الفرس من قريب أو بعيد. فإذا كان الفرس يعتقدون أنّ القدرة الإلٰهيّة تدعم سلطة ملوكهم، فإنّ هذه العقيدة لم تصل إلى حدّ الايمان بحلول الجزء الإلٰهي في الملوك الساسانيّين. حتّى إنّ نموذجاً و احداً من هذه العقيدة لم ينقل في هذاالمجال. إذن، لو قدّر أنّ أمر الفرس يفضي إلى الغلوّ بسبب هذه العقيدة، فقدكان مناسباً أن تظهر العقائد الغالية

---

١ - على سبيل المثال إخبار الإمام بقتل النفس الزكيّة في أحجار الزيت. و كذلك إخبار الإمام الكاظم بمصير شهيد فخ، و هما من الأخبار الّتي نقلها أبوالفرج الأصفهاني. أمّا بالنسبة إلى الإمام الحسين - عليه‌السّلام - فانظر: **تاريخ الإمام الحسين - عليه‌السّلام - من تاريخ دمشق** : ١٥٥ و هامش ص ١٠٧ و ١٤٤ من الجزء الخامس من **الطبقات الكبرى** و **فضائل الخمسة** ٣ : ٢٧١ . و حول الأخبار الغيبيّة عن عليّ - عليه‌السّلام - راجع : **تاريخ الإمام الحسين من تاريخ دمشق** : ١٤٥ في هامش من **الطبقات الكبرى**.

٢ - في ضوء الموضوعات المتقدّمة، فإنّ ما قاله الدكتور الشيبي من أنّ التشيّع في صورته المتأخّرة قد اعتمد على آراء الغلاة بعد تهذيبها و ترتيبها (انظر : **الصلة** : ١٢٩) غير صحيح، لأنّ أصل الإمامة و لوازمها في طابع الاعتدال كانت موجودة عندالشيعة، و إنّما استغلّها الغلاة فوضعوا عقائدهم الغالية، و هذا هو الصحيح، لا كما ذهب إليه الشيبي.

٣ - طبيعيّاً، هذه الخوارق في حدود الأمر الإلٰهي كما يعتقد الشيعة.

في حقّ الساسانيّين قبلهم. أو أنّ العدد الكبير الّذي سار على خطّ الخلفاء منهم كان يبثّ مثل هذه العقائد في حقّ الخلفاء أنفسهم.

و لو تقرّر أن يكون هناك تأثير من عقائد الآخرين في عقيدة الغلاة، فإنّ هذا التوجّه ينطبق على عقائد أهل الكتاب أكثر، لا سيّما على عقائد النصارى. ذلك أنّهم كانوا يرون لأئمّتهم منزلة تماثل ما يؤمن به الغلاة من نظرة حيال أقطابهم. كما نلاحظ عقيدة اليهود في العُزَير، و عقيدة النصارى في المسيح.

على أيّ حال، لو كان هناك تأثير من المجوس أيضاً، فلا نستطيع أن نجده في هذاالحقل من الغلوّ في حقّ الأئمّة. والنظرة الّتي كان يعرضها أبوالخطّاب في الإمام الصادق - عليه‌السّلام - كانت نتيجة لتشبيه الإمام بالمسيح - عليه‌السّلام[١]. يضاف إلى ذلك أنّ المصادر الشيعيّة نصّت على أنّ الغلاة كانوا يتعلّمون من اليهود أشياء كثيرة، كما مرّ بنا في موضوع المغيرة بن سعيد. و روي أيضاً أنّ الإمام الصادق - عليه‌السّلام - قال في بشّار الشعيري و أمثاله: قال هؤلاء بما قالت اليهود، أو النصارى، أو المجوس[٢]. إذن، مادام لليهود والنصارى قصب السبق في هذه العقائد، و أنّ عقائد الغلاة تماثل عقائدهم، فليس لنا أن نقول بدور للموالي في جذور الغلوّ، مع أنّهم كانوا كغيرهم أيضاً. و ربّما وردت جزئيّات من عقائدهم في تضاعيف أقوال الغلاة، كما يدلّ كلام الإمام - عليه‌السّلام - على ذلك.

و يمكننا أن نجزم أنّ ما ذُكر من التجسيم والتشبيه جاء إلى المسلمين من اليهود[٣]، و نلحظه عند كثير من فرق المسلمين، بيد أنّ الشيعة منه بُرَآء.

و أمّا في مجال التناسخ بوصفه من أشهر عقائدهم، فينبغي أن نقول: على الرغم من أنّ هذه العقيدة كانت موجودة عند بعض الفرس، إلاّ أنّ كثيراً من الأمم والشعوب كان يؤمن بها أيضاً. يقول الشهرستاني في هذا المجال: «لقد كان التناسخ لفرقة في كلّ ملّة تلقّوها من المجوسيّة المزدكيّة والهند البرهميّة و من الفلاسفة والصابئة[٤]». إذن، لا يمكننا أن ننسب هذه

---

١ - الصلة بين التشيّع و التصوّف: ١٣٨. ٢ - رجال الكشّي: ٣٤٢.

٣ - بحوث مع أهل السنّة و السلفيّة للسيّد مهدي الروحاني: ٨٠، ٨١. و قام الأُستاذ السيّد جعفر مرتضى بدراسة لهذا الموضوع بشكل رائع، نأمل أن ترى نور الطبع قريباً.

٤ - الملل و النحل ١: ١٧٥.

العقائد إلى الفرس وحدهم.

الغلاة تيّار ضئيل الحجم

إنّ النقطة الّتي ينبغي أن نقولها في ختام هذا البحث هي أنّنا لا يمكن أن ننظر إلى الغلاة في عصر الأئمّة و بعدهم على أنّهم فرقة بالمفهوم الّذي يتبادر إلى الأذهان، إذ لم يشكّلوا جماعة كبيرة بل كان عددهم محدوداً، و لم يتجاوز أنصارهم عدد الأصابع. و إنْ كان يمكننا القول : إنّ تيّار المفوّضة كان يتمتّع بقدرة بين الشيعة. و قد ترك بصماته على الأخبار والعقائد الشيعيّة. أمّا كتب الفرق الّتي ألّفها أهل السنّة فقد أسهبت و فصّلت في الحديث عن عقائد الغلاة ليكون ذريعة لإدانة التشيّع و انتقاص الشيعة عادةً . و لم تشر هذه الكتب إلى تفرّعها عن التشيّع المعتدل، بل نسبتها كلّها إلى مصدر واحد. من جهة أُخرى نقرأ أنّ أئمّة الشيعة قد كذّبوا الغلاة و فنّدوا مزاعمهم. بخاصّة، أنّ كثيراً منهم -كما تفيده تراجمهم المذكورة في كتب الرجال الشيعيّة - أسّس تلك الفرق لمآرب دنيويّة، و زعْمُ مهدويّةَ بعض الأئمّة و عدم وفاته طمعاً في حطام الدنيا و زبرجها !

و يمكن القول بكلّ جرأة : إنّ أكثر الانشقاقات الّتي اختلقتها كتب الفرق و نسبتها إلى فرق الشيعة كانت لإكثار العدد، و تحقيق أغراض خاصّة أيضاً. و لعلّ من الصحيح أنّ عدداً منها قد استمرّ برهة[1]، بيد أنّها كانت محدودة بحياة قادتها، أو ربّما ظلّت بعدهم فترة قصيرة.

و يحدّثنا التاريخ عن تشدّد المهدي العبّاسي على أصحاب الأهواء والفرق. و كتب له ابن المفضّل - عن قول هشام - صنوف الفرق صنفاً صنفاً، ثمّ قرأ الكتاب على الناس. فقال يونس : قد سمعت الكتاب يُقرأ على الناس في المدينة. ثمّ قال أيضاً: إنّ ابن المفضّل صنّف لهم صنوف الفرق فرقة فرقة حتّى قال فيكتابه: و فرقة يقال لهم الزَراريّة نسبة إلى زَرارة بن أَعيَن أحد أصحاب الإمام الصادق - عليه‌السّلام، والعمّاريّة نسبة إلى عمّار الساباطي، واليعفوريّة نسبة إلى ابن أبي يعفور، والجواليقية، و أصحاب سليمان

---

١ - الصلة بين التشيّع و التصوّف : ١٤٠ .

الأقطع[١] ... الخ. و لعلّ اسم الفرقة الجعفريّة من مبتدعات هؤلاء الأشخاص، لا كما هو مشهور عنها، إذ إنّنا نُدعى: جعفريّة لأنّ فقهنا ينسب إلى جعفربن محمّد - عليه السّلام. وإن كان لا ضير من إطلاق مثل هذا الاسم نظراً إلى النقطة المشار إليها.

إنّنا نعلم من السياسة الّتي كان انتهجها المهدي العبّاسي أنّه كان يعذّب المؤمنين بذريعة الزندقة و ضروب التهم الأخرى، وكان بينهم عدد من الزنادقة فعلاً، وأنّ الكتاب الّذي ألّفه ابن المفضّل[٢] له كان يستهدف تلفيق هذه التهم. لذلك يقول اليعقوبي فيه: «كان أوّل خليفة أمر المتكلّمين أن يضعوا الكتب على أهل الالحاد[٣]». و يذهب المسعودي إلى هذا الرأي أيضاً و يقول: «و كان المهدي أوّل من أمر الجدليّين من أهل البحث من المتكلّمين بتصنيف الكتب في الردّ على الملحدين[٤]».

و تستبين الصلة المزعومة بين هذه الامور و بين الشيعة أكثر عندما نقرأ ما قاله بدوي إذ ذكر «انّ الاتّهام بالزندقة في ذلك العصر، كان يسير جَنْباً إلى جنب مع الانتساب إلى مذهب الرّافضة[٥]». نلحظ في ضوء ما تقدّم أنّ المبالغة ترافق كثيراً من التهم المنسوبة إلى هؤلاء الأفراد، و أنّ فِرقاً اختُرعت بأسماء أشخاص لم يكونوا أصحاب فرق أصلاً. و هكذا الأمر بالنسبة إلى الغلاة نوعاً ما. و لذلك ينبغي أن لا نتصوّر أنّ تيّارهم كان على درجة من الضخامة فجرف قسماً من الموالي، و من تعاطف معهم من العرب. إنّ هؤلاء -كما مرّ بنا - كانوا أفراداً معدودين ينتسبون إلى بعض القبائل العربيّة. و نقرأ أيضاً أسماء عدد من الموالي الّذين كانوا - اعتماداً على أسماء آبائهم - مسلمين من قبل جيلين في الأقل. ونستبعد أن يكونوا على درجة مرموقة من الفهم و العلم و الوعي و التفكير فيحتفظوا بأفكارهم الفارسيّة بعد زهاء سبعين سنة من الحياة في المجتمع الإسلامي. كما أنّ وجود عدد كبير من الموالي بين علماء السنّة لا يعني تأثّر المذهب السنّي بالموالي. و نقل أنّ أكثر الّذين التفّوا حول أبي حنيفة كانوا من الموالي[٦].

---

١ - رجال الكشّي : ٢٦٥ ؛ بحار الأنوار ٤٨ : ١٩٥ و ١٩٦ عن الكشّي ؛ الحياة السياسيّة للإمام الرضا - عليه السّلام : ٩٠، عن قاموس الرجال ٩ : ٣٢٤، و تنقيح المقال للمامقاني ٣ : ٢٩٦.

٢ - خ . ل : ابن المقعد.

٣ - مشاكلة الناس لزمانهم : ٢٤.

٤ - ضحى الإسلام ١ : ١٤١.

٥ - الإمام الصادق و المذاهب الأربعة ١ : ٣٠٤.

٦ - الإمام الصادق و المذاهب الأربعة ١ : ٣٠٤.

و لو فرضنا أنّ العقائد الفارسيّة كان لها تأثيرها المحدود في هذا التيّار، فلا ضرورة لمشاركة الموالي فيه، إذ إنّ عقائد الفرس كانت معروفة في العراق منذ القديم.

إذن، استبان أنّ ما أراده بعض المؤلّفين من عقد صلة بين الغلاة والموالي لا يتوكّأ على دليل قاطع. كما لا يمكن الجزم بشيء في هذا المجال. و كذلك الزعم بركون الموالي الشيعة كلّهم في البداية إلى الغلاة، فانّه لا يقوم على دليل راسخ. و لم يذكر هؤلاء الزاعمون ـ في الأقل - مصدراً لمزاعمهم. و انّما كلّ ما نلحظه هو إصدار حكم قاطع اعتماداً على ما ذكره الشهرستاني أو البغدادي من اسم المزدكيّة. و لا يهدف هؤلاء إلى عرض دراسة تحليليّة علميّة، بل إنّ هدفهم الأساس هو مناوأة الشيعة[1].

و نرى أنّ أحد أشكال هذه المناوأة هو ضرب الشيعة من خلال ضرب الغلاة الّذين أدانهم الشيعة أنفسهم، و وقف أئمّتهم منهم موقفاً صلباً[2]. يضاف إلى ذلك أنّهم ينسبون الأفكار الشيعيّة إلى اليهود أو الفرس أو غيرهما، من أجل تشويه هويّتها بإفقاد أصالتها المعهودة.

و هذه المزاعم الّتي كانت سائدة في القرن الرابع و الخامس غالباً لا تكفي وحدها، إذ تحتاج إلى نصوص تعرض البعد التاريخي لإثبات هذه الأواصر كما توضّحه تماماً ليس من الوجهة التاريخيّة فحسب، بل من الوجهة الفكريّة أيضاً. و كذلك التشابه بين العقائد لا يكفي، لأنه -كما مرّ بنا- قد ثبت هذا اليوم أنّ كثيراً من الثقافات تتشابه فيما بينها، و لا يمكن أن نحتمل وجود آصرة كانت تربطها في الماضي البعيد.

و لو سلّمنا - فرضاً - أنّ للأفكار الأجنبيّة تأثيراً على أفكار الغلاة، فينبغي أن نفصل أفكار الشيعة المعتدلة منها. فالغلاة أُدينوا منذ عصر الأئمّة ـ عليهم‌السّلام.

و في الأثر أنّ الإمام الصادق - عليه‌السّلام - فسّقهم وكفّرهم مراراً. و نقل الكشّي في كتابه روايات كثيرة في هذا الباب، و قد قام بعض الأشخاص بجمع قسم منها، بيد أنّ المؤسف هو أن نقرأ في التاريخ إقحام أفكار الغلاة في أفكار الشيعة الإماميّة سهواً

---

١ - إنّ ربط العقيدة الشيعيّة بالعقيدة المزدكيّة أو ما يماثلها عمل حاول إثباته أشخاص كالخواجه نظام الملك، أو الجويني، و نظائرهما. و حقد هؤلاء على الشيعة بيّن لا غبار عليه. و يكفي أن يترك هذا الحقد تأثيره على نظرتهم فيربطوا بين العقيدتين بكلّ وسيلة ممكنة.

٢ - بحارالأنوار ٢٥ ، الباب‌العاشر : ٢٤٦ - ٢٦١ .

أو عمداً. و كان هذا الإقحام ذريعة لإدانة الأفكار الشيعيّة الصحيحة، بينما نطالع أنّ علماء الشيعة أدانوا تلك العقائد منذ البداية، كما أدانها أئمّتهم ـ عليهم السّلام ـ مِن قبل.

يقول الشيخ المفيد: «و هم ضُلّال كفّار ... و قضت الأئمّة عليهم بالكفر و الخروج عن الإسلام[١]». و يقول المجلسي أيضاً بعد ذكر عقائد الغلاة: «والقول بكلّ منها، إلحاد و كفر و خروج عن الدّين...[٢]»

و نقل عن الشيخ الصدوق أيضاً قوله: «اعتقادنا في الغلاة والمفوّضة أنّهم كفّار باللّه - جلّ جلاله - و أنّهم شرّ من اليهود والنصارى والمجوس... و جميع أهل البدع والأهواء المضلّة[٣]».

و قد التفت الكثيرون أيضاً إلى فصل الإماميّة عن غيرهم، و قالوا: إنّ الزيديّة، والإماميّة من فرق الإسلام، لا الكفر[٤].

وكتب سامي النشّار قائلاً: «إنّ الأفكار الفلسفيّة للشيعة الاثني عشريّة هي في مجموعها إسلاميّة بحتة[٥]».

و قال أبو زهرة أيضاً: «لا شكّ أنّ الشيعة فرقة إسلاميّة. و لا شكّ أنّها في كلّ ما تقول تتعلّق بنصوص قرآنيّة و أحاديث منسوبة إلى النبيّ[٦]».

و هذا معلم واضح على تمسّك الشيعة الإماميّة بالثقافة الإسلاميّة الأصيلة المنبثقة عن القرآن والسنّة.

---

١ - أوائل المقالات: ٢٣٨.
٢ - بحارالأنوار ٢٥: ٣٣٦.
٣ - نفسه: ٣٤٢.
٤ - الفرق بين الفرق: ٢١.
٥ - نشأة الفكر الفلسفي في الإسلام ٢: ١٣.
٦ - تاريخ المذاهب الإسلاميّة: ٣٩.

التشيّع في ايران

كان بحثنا إلى الآن يحوم حول تشيّع الموالي، و هم الفرس الّذين وفدوا إلى العراق و تعرّفوا على التشيّع في ربوعه. و كان كثير منهم قد جاء إلى الكوفة، و زاول تدريس الحديث فيها أواخر القرن الأوّل، و أكثرهم جاء في القرن الثاني. و استطاعت الكوفة - الّتي كانت مركز التشيّع وقتذاك - أن تنشر عقائدها في أوساطهم. و عندما عاد عدد كبير منهم، فإنّه حمل إلى بلاده العقائد الشيعيّة.

إذن، كان هؤلاء من البواعث الرئيسة على دخول التشيّع إلى إيران. و يمكننا هنا أن نفيد من بحثنا المتقدّم حول صلة الفرس أوالعرب المتفرّسين بالأئمّة. و أنّ تحديد النسبة المئويّة لتغلغل اولئك الوافدين، والمناطق الّتي ذهبوا إليها رهين ببحث مفصّل في كتب الرجال و الحديث الّتي انطوت على إشارات في هذا المجال أحياناً.

و بغضّ النظر عن هذا التيّار الّذي عرف بنطاقه البعيد والدقيق في آن واحد، فقد كان هناك تيّاران رئيسان لعرض الأفكار الشيعيّة أو التمهيد لها في إيران إبّان القرن الأوّل والثاني، و هما:

١ - التشيّع في قم. ٢ - أرضيّة التشيّع مع ظهور الحكومة العبّاسيّة، و سنتحدّث عنهما بإيجاز.

التشيّع و قمّ

يمكن أن نقول بنحو جازم: إنّ مدينة قم كانت أوّل مركز للتنسيّع في إيران، إذ إنّ عهدها به يعود إلى الربع الأخير من القرن الأوّل الهجري. و كانت إيران لا تزال حتّى تلك الفترة تعيش صراعاً بين الانقياد للدين الإسلامي، أو البقاء على دين آبائها الأوّلين. أمّا قم فقد اختارت طريقها باتّجاه الدين الجديد.

و ثمّة كلام كثير يحوم حول عراقة هذه المدينة فيما إذا تمصّرت بعد الإسلام، أو كانت موجودة قبل ذلك. فالحمويّ يذهب إلى أنّها مدينة إسلاميّة[١]. و آخرون يرونها مدينة قديمة، و قد ساقوا أدلّتهم الّتي تعرّضت لنقود الآخرين[٢]، و ليس هنا مجال مناقشتها.

و يستشفّ من مجموع الحوادث المتعلّقة بدخول العرب الأشاعرة إلى هذه المدينة - و مصدرها الأصلي مؤلّف كتاب تاريخ قم - أنّ جماعات من العجم كانت تعيش فيها. و عندما جاء العرب أجلوهم عنها، ثمّ قضوا عليهم[٣].

إنّ العرب الّذين تقاطروا على قمّ كانوا من الأشاعرة الّذين انحدروا من المناطق الواقعة في جنوب الحجاز. و بعد مجيء أبي موسى الأشعري إلى المدينة، وفد قوم آخرون على المدينة أيضاً قادمين من جنوب الجزيرة العربيّة. ثمّ انتقلوا منها إلى الكوفة و سكنوا فيها بعد دخول الإسلام إلى العراق.

و في ضوء ما قاله اليعقوبي، فإنّ أكثر العرب الّذين سكنوا قمّ كانوا من قبيلة مذحج، ثمّ يأتي بعدهم الأشاعرة[٤].

و نطالع في هذا الحقل معلومات تدلّ على وجود العرب في قم قبل الأشاعرة. و جاء في بعضها أنّ شريحة من موالي العبّاسيّين قدمت إلى قم في النصف الأوّل من القرن الأوّل الهجري، و توطّنتها. و نقل أيضاً أنّ رهطاً من بني أسد هاجروا إلى قمّ بعد ثورة المختار

---

١ - معجم البلدان ٤ : ٣٩٧.

٢ - ذكر المرحوم رشيد ياسمي في مقدمة راهنماى قم أدلّة على ذلك، و انبرى مؤلّف كتاب گنجينه آثار قم إلى نقدها. گنجينه آثار قم ١ : ٧٤ - ٨٠. تاريخ قم : ٦ لناصر الشريعة.

٣ - انظر: تاريخ قم. كان يعيش في أطراف المدينة عجم ظلّ عدد منهم على الدين المجوسي مدّة. انظر : أحسن التقاسيم : ٣٩٤، ٤١٤. تاريخ قم : ١٨. المسالك و الممالك : ٣٦٥.

٤ - البلدان مطبوع مع الأعلاق النفيسة : ٣٧٤.

سنة ٦٧ هـ، و سكنوا هناك. كما أُشير إلى قدوم بني مذحج و قيس إليها قبل الأشاعرة[1].

و كان أوّل من جاء إليها من أجداد الأشاعرة[2] هو السائب بن مالك الأشعري. و كان هذا الرجل شيخ الشيعة في الكوفة، كما ذكر الكلبي. و نزعته الشيعيّة كانت بمستوى التشيّع العقيدي. و لذلك طلب من عبدالله بن مطيع والي عبدالله بن الزبير أن يسير فيهم بسيرة أميرالمؤمنين - عليه‌السّلام[3]. و نقل أنّه التحق بالمختار بعد خروجه للطلب بثأر الإمام الحسين - عليه‌السّلام - و ظلّ معه حتّى اللحظة الأخيرة إلى أن رُزق الشهادة[4].

و في ضوء ما تقدّم، نعلم أنّ التشيّع كان خطّاً تنتهجه تلك الأُسرة الّتي عرفت بعدائها الشديد للامويّين. و عندما تمرّد عبدالرحمن بن الأشعث على الحجّاج[5]، فانّ الأحوص نجل السائب بن مالك كان معه، و أُلقي عليه القبض، فتوسّط أخوه عبدالله و أطلق سراحه.

و لمّا كان هناك احتمال لإلقاء القبض عليه و على أخيه ثانية، فقد عزما على ترك العراق، و الذهاب إلى مكان آخر بعيد عن بطش الحجّاج.

و يستشفّ من الأخبار الّتي نقلها لنا التاريخ أنّهما توجّها تلقاء اصفهان الّتي كانت قد فتحت على يد أبي موسى الأشعري، بيد أنّهما سكنا قم. و انسجما مع أهلها في بادىءالأمر، و بعد مدّة اصطدما معهم، و كانت الغلبة لهما. و هكذا تُسّست قم من خلال وجود العرب الأشاعرة الّذين كانوا ذوي نزعة شيعيّة قويّة. و كان يعيش إلى جانب هؤلاء بعض الفرس حتماً، و هم إمّا كانوا معهم منذ البداية، أو التحقوا بهم في فترة متأخرّة. حتّى أنّ لغتهم -كما نقل ابن حوقل - قد بدّلت بالفارسيّة[6] بعد مدّة.

يقول الحموي: و كان عبدالله بن سعد أوّل من نزل قم من العرب. و كان له ولد قد رُبّي

---

١ - انظر : تاريخ مذهبى قم : ٤٨ للفقيهي . مجلّة الهادي، مقالة بعنوان : الأشعريّون في تاريخ قم. السنة الاولى العدد ٤ ، ص ٦٤ .

٢ - تاريخ الطبري ٤ : ٤٩٠ ، حوادث سنة ٦٦ هـ. الكامل لابن الأثير ٤ : ٢١٣ .

٣ - تاريخ قم : ٢٨٥ .

٤ - نفسه : ٢٨٩ ، ٢٩٠ .

٥ - نقل مؤلّف تاريخ قم سهواً أنّ حركة ابن الأشعث كانت مع ثورة زيد بن علي، ثمّ ذكر أنّ الحجّاج قبض عليه. بينما كانت المدّة الفاصلة بين الحركتين زهاء أربعين سنة. انظر : تاريخ قم : ٢٤٩ .
و جاء بعده كاتب آخر غير مطّلع فنقل الموضوع بشكل أسوأ اعتماداً على ذلك الكتاب. انظر : تاريخ اجتماعي كاشان : ٤٦ .

٦ - صورة الأرض : ٣١٥ .

بالكوفة، فانتقل منها إلى قم. وكان إمامياً، فهو الّذي نقل التشيّع إلى أهلها، فلم يوجد فيها سنّيّ قطّ[1].

و ذكر ابن سعد محدِّثَينِ قمّيين من آل الأشعري هما: الأشعث بن إسحاق، و يعقوب ابن عبدالله الأشعري[2]. وكانا سُنيّين.

و نقل أبونعيم أنّ جرير بن عبدالله كان عندما يرى يعقوب بن عبدالله الأشعري، يقول: هذا مؤمن آل فرعون[3]. و يُستشفّ من الكلام المذكور أنّ معظم آل الأشعري كانوا شيعة.

و يقول مؤلّف كتاب تاريخ قم في هذا المجال :كان هؤلاء أوّل من صدع بالتشيّع، بينما لم يجهر به أحد في منطقة أخرى حتّى تلك الفترة[4]. و يقول في موضع آخر من كتابه: «...و من مفاخرهم (الأشاعرة) أنّ موسى بن عبدالله بن سعد الأشعري ابتدأ باظهار مذهب الشيعة في قم، فاقتدى به الآخرون و أظهروا مذهبهم ا شيعي[5]».

ثمّ أصبح التشيّع في هذه الأُسرة مبدأً ثابتاً بعده. حتّى قال المامقاني : المنسوبون إلى عبدالله كثيرون، و أكثرهم صلحاء و لهم اتّصال بالأئمّة ـ عليهم‌السّلام[6].

و نقل الكشّي أيضاً روايات عديدة تتحدّث عن لقاء عمران بن عبدالله بن سعد، وعيسى بن عبدالله الإمامَ الصّادق – عليه‌السّلام[7].

هويّة التشيّع في قمّ

يُستشفّ من كلام الحموي أنّ أوّل شيعيّ نزل في تلك الديار كان إمامياً. و هذا الاصطلاح يعني الايمان بالتشيّع الاثني عشري. فكان الشيعة هناك قد عرفوا بمتابعتهم الأئمّة الطاهرين – عليهم‌السّلام – و التسليم بإمامتهم. و إذا ما استشهد أحد الأئمّة،كانوا يلتحقون بالإمام الجديد بعده بما عرفوه من آيات تدلّ عليه. و هكذا واصلوا نهجهم حتّى عصر الغيبة الصغرى إذ كانوا على اتّصال دائم بنوّاب الإمام المهدي– عليه‌السّلام.

---

١ – معجم البلدان ٤ : ٣٩٧ ـ ٣٩٨.
٢ – الطبقات الكبرى ٧ : ٣٨٢.
٣ – تهذيب الكمال ٣٢ : ٣٤٦.
٤ – تاريخ قم : ٢٤١.
٥ – نفسه : ٢١٧.
٦ – تنقيح المقال ٢ : ١٨٤.
٧ – رجال الكشّي : ٢٣١ ـ ٢٣٢ ـ ٣٣٤.

ونستعرض فيما يلي نقطتين يمكن أن نجد فيهما عوناً للكشف عن هويّة التشيّع في قم:

الأولى : الاتّصال بالأئمّة : حسبنا من اتّصال القمّيّين (و هم الأشاعرة الّذين عرفوا بالقمّيّين تدريجاً[١]) بالأئمّة ما نقلته لنا كتب الرجال الشيعيّة من أنّ عدداً منهم كانوا من أصحاب الأئمّة[٢]، و أحد هؤلاء هو عبدالعزيز بن المهتدي الّذي كان وكيلاً للإمام الرضا- عليه‌السّلام - على ما نقل ابن شاذان.

يضاف إلى ذلك ما نطالعه في كتب الحديث من روايات كثيرة في فضيلة قم و أهلها.

و بلغت هذه الروايات من الكثرة أنّنا إذا أنكرنا عدداً منها، فلا يسعنا أن نردّها كلّها.

و نقرأ في روايات أُثرت عن الإمام الصادق - عليه‌السّلام - أنّ قم ملجأ الشيعة و ملاذهم[٣] و هذا طبيعيّ للغاية إذا ما علمنا أنّ قم كانت بعيدة عن عاصمة الحكومة، و أنّها عرفت بانتشار التشيّع في ربوعها، فلابدّ أن تكون ملاذاً لأصحاب الأئمّة. و دعم الشيعة في قم من قبل الإمام الصادق - عليه‌السّلام - هو كدعم الفكر السائد في تلك الحاضرة إلى حدّ كبير.

و جاء في رواية أُخرى عن الإمام الصادق - عليه‌السّلام : «قم بلدنا و بلد شيعتنا[٤]».

و ورد أيضاً : «و إنّ لنا حرماً وهو بلدة قم[٥]». و أُثر كذلك:«أهل قم أنصارنا[٦]».

و طُلب من الشيعة أن يأووا إلى الكوفة، و قم و أطرافها عند انتشار فتن العبّاسيّين، لأنّ «في قم شيعتنا و موالينا[٧]». و سمّيت قمّ في رواية أُخرى : «كوفة صغيرة[٨]».

و يستشفّ من روايات عديدة أنّ اتّصال القمّيّين بالأئمّة كان يزداد على كرور الأيّام.

و نقل عن الإمام العسكري ـ عليه‌السّلام ـ أنّه كتب إليهم، و إلى أهل آبه كتاباً دعا فيه أن

---

١ - روضات الجنّات ٢ : ١٨٠ .

٢ - انظر : رجال‌النجاشي . قام حجّة الإسلام الشيخ قوام إسلامي باعداد كتاب يضمّ المحدّثين في قمّ، و دلّ فيه على صحبة عدد كبير منهم للأئمّة. انظر قم و قمّيين، تاريخ تأليفه ١٩٧٤ م، كما قام ناصر الشريعة بالعمل نفسه في تاريخ قم، و أشار إلى القمّيين من أصحاب الأئمّة - عليهم‌السّلام - في الصفحات ١٦٨ ، ١٦٩ ، ١٧٦ ، ١٨٢ ، ١٩٢ ، ١٩٤ ، ١٩٥ ، ١٩٩ ، ٢٠٢ من كتابه .

٣ - بحارالأنوار ٦٠ : ٢١٤ ـ ٢١٥ ، ٢١٧ . تاريخ قم : ٩٩ . على سبيل المثال، قتل يوسف بن عمر جدّه محمّد بن علي . فهرب خالد مع أبيه عبدالرحمن إلى قم. الفوائدالرجاليّة ١ : ٢٣١ .

٤ - سفينةالبحار ٢ : ٤٤٧ .

٥ - نفسه : ٤٤٦ . كتاب النقض للرازي : ١٩٦ .

٦ - بحارالأنوار ٦٠ : ٢١٤ .

٧ - سفينةالبحار ٢ : ٤٤٦ .

٨ - مجالس المؤمنين : ٨٣ .

يكرّمهم الله بهدايته[١]. و أُثر عن الإمام الجواد - عليه‌السّلام - في جوابه عن كتاب بعثه إليه عليّ بن مهزيار أنّه علم بمحنة القمّيين، و دعا لهم قائلاً: «خلّصهم الله و فرّج عنهم[٢]». و نقل أيضاً أنّ الحسين بن روح أحد نوّاب الإمام المهدي - عليه‌السّلام - أنفذ كتاب التأديب إلى قم، و كتب إلى جماعة الفقهاء و قال لهم: انظروا في هذا الكتاب، و انظروا فيه شيء يخالفكم، فكتبوا إليه أنه كلّه صحيح إلاّ مسألة جزئيّة واحدة[٣]. و هكذا كان تنسيقهم مع الأئمّة ملموساً تماماً. و يستشفّ من روايات أُخرى أنّهم كانوا يتردّدون على الإمام الرضا - عليه‌السّلام[٤]. و ورد أيضاً أنّهم كانوا أوّل من بعث الخمس للأئمّة - عليهم السّلام[٥]. و ذكرالشيخ قوام إسلامي ثلاثاً و أربعين فضيلة لقم و أهلها استناداً إلى ما أُثر من روايات[٦]. و جاء في مصدر من مصادر أهل السنّة أنّ أبا موسى الأشعري سأل الإمام عليّاً - عليه‌السّلام - عن أفضل الأماكن عند نشوب الفتنة، فقال: منطقةالجبل، ثمّ خراسان، ثمّ قم و هي أسلمها[٧]. و نقل في رواية أُخرى أيضاً: «لولا القمّيّون لضاع الدّين[٨]».

و أخيراً، نقل الكشّي روايات حول وفود عمران، و عيسى ابني عبدالله القمّي على الإمام الصادق - عليه‌السّلام[٩].

الثانية: أقوال المؤرّخين والجغرافيّين

إنّ المصدر الآخر الّذي يمكن أن نستهدي به للتعرّف على الهويّة الشيعيّة للقمّيين هو ما ذكره المؤرّخون و الجغرافيّون حول عقائد أهلها. فقال القزويني: «أهلها شيعة غالية جدّاً»، و يستخدم هذا الكلام للتعبير عن التشيّع العقيدي[١٠]. و نقل القزويني قصّة تدلّ على عدم وجود سنّيّ واحد في تلك المدينة.

و ذكر المقدسي أيضاً أنّ أهل قم شيعة غالية[١١].

---

١ - الكنى و الألقاب ٣ : ٨٧. كما جاء في رواية أُخرى أنّه استغفر لهم. سفينةالبحار ١ : ٥٥.

٢ - مفاخر اسلام، للشيخ دواني ١ : ١١٠، نقلاً عن الكشّي. مجالس‌المؤمنين ١ : ٤٢٢.

٣ - الغيبة للشيخ الطوسي : ٢٢٧، ٢٤٠.

٤ - سفينةالبحار ٢ : ٤٤٧.

٥ - قم و قمّيين : ٣٨.

٦ - نفسه : ٣٨ - ٤٠.

٧ - مختصرالبلدان لابن الفقيه : ٢٦٣، ٢٦٤.

٨ - تاريخ قم لناصر الشريعة : ٥٢.

٩ - رجال‌الكشّي : ٣٣٢ - ٣٣٣.

١٠ - آثار البلاد و أخبار العباد : ٤٤٢.

١١ - أحسن‌التقاسيم : ٣٩٥ عثرت عليه بعد البحث و التنقيب.

و كتب البلخي أنّ أهل قم كلّهم شيعة، و الغالب عليهم العرب[1]. و نقل ابن حوقل كذلك أنّ التشيّع هو المذهب الغالب على قم[2]. و قال في عبارة أُخرى: «و جميع أهل قم شيعة. لا يغادرهم أحد. والغالب عليهم العرب و لسانهم الفارسيّة[3]».

و قال المستوفي (٧٢٠ هـ) : «الناس هناك شيعة إثناعشريّة، و هم متعصّبون للغاية[4]». و يستخلص من معلومات تاريخيّة أُخرى أنّ مذهبهم الرفض، و المقصود هنا - طبعاً - هو التشيّع الإمامي[5]. و قال أبوالفداء: و في سنة ٨٣ هـ بنى عبدالله بن سعدان، والأحوص، وإسحاق، و نعيم، و غيرهم قمّ. و أظهر التشيّع فيها موسى بن عبدالله بن سعدان[6]. و أشار مؤلّف حدودالعالم إلى تشيّع القمّيّين أيضاً[7]. و كتب القاضي نورالله قائلاً: قم مدينة عظيمة، و بلدة كريمة. و هي من الأمصار الّتي كانت داراً للمؤمنين. نهض منها كثير من العلماء والفضلاء و مجتهدي الشيعة الاماميّة[8]. و تطرّق آدم متز إلى مدينة قم بوصفها إحدى المدن الشيعيّة المهمّة[9]. و نلحظ في كتب المتأخّرين هذا المضمون أيضاً[10]. و يدلّ ذلك كلّه على أنّ مذهب تلك المدينة هو المذهب الاثناعشري. كما يدلّ على أنّ هذا المذهب لم يتغيّر على امتداد الآباد و الأزمان. و هو ما ثبّته الكتّاب المذكورون على اختلاف عصورهم.

و كلّ من كان يسمع باسم قم، فإنّ التشيّع يتوارد في ذهنه مباشرة. و لمّا كانت أصفهان و قمّ تقفان على طرفي نقيض، لذلك كان الصراع قائماً بينهما. و كان اسم قم يقضّ مضاجع الاصفهانيّين. و جاء في حكاية أنّ أصفهانيّاً سأل رجلاً: من أين أنت ؟ فقال : من مدينة قالعي الأسنان[11]. فحار الأصفهاني و قال : لا أفهم شيئاً. فقال الرجل : أقصد أنّي ما إن أقول:

---

١ - المسالك و الممالك : ٢٠١ . ٢ - صورة الأرض : ٣٠٨ .

٣ - نفسه : ٣١٥ . هذا نصّ العبارة في المصدر المذكور . المعرّب.

٤ - نزهة القلوب : ٦٧ . ٥ - نشوار المحاضرة ٨ : ٢٦٠ .

٦ - سيرى كوتاه در جغرافياى تاريخى تفرش و آشتيان : ٢٨ .

٧ - حدود العالم : ١٤٢ المؤلّف مجهول. ٨ - مجالس المؤمنين ١ : ٨٢ .

٩ - تمدّن اسلام در قرن چهارم، آدم متز ١ : ٧٧ .

١٠ - آل بويه و اوضاع زمان ايشان للفقيهي : ٤٥١ ، ٤٥٢ .

١١ - هذه هي الترجمة الحرفيّة للعبارة . و المقصود هنا من مدينة أهلها يؤيسون غيرهم من الطمع فيهم أو هم مصدر قلق و ازعاج لغيرهم.

قم، تقول : آه! فلا يعد ذكر المذهب ضرورياً حينئذٍ. و لو لم يكن القمّيّ شيعياً لا يسمىّ رافضياً[١]!

قمّ والحكّام

لمّا كانت قم بأسرها شيعيّة المذهب، فلا ينتظر منها أن تنقاد للحكّام الجائرين. إلاّ أنّها اضطرّت إلى ذلك، و في الوقت نفسه كانت تحاول أن تبدي مقاومتها بأيّ شكل من الأشكال.

و كان أهلها يتهاونون في دفع الخراج، لذلك تعرّضوا لمضايقات متكرّرة. يقول مؤلّف تاريخ قمّ في هذا المجال : «... كان أهل قم فقراء، و يجنون محاصيلهم من الغلاّت عند نضجها، لكنّهم كانوا يتثاقلون و يتكاسلون من دفع الخراج[٢]». و جاء في هذا الحقل أيضاً: «... و كان همّهم و هدفهم في كسر الخراج إذ كانوا يتظلّمون منه. و هلك منهم جماعة بسبب ذلك. و عصوا عمّال المأمون حتّى وجّه إليهم عليّ بن هشام على رأس جيش جرّار، فقتلهم، و هدم سور مدينتهم، و دمّر منازلهم، وجبى منهم مالاً كثيراً[٣].

والتمرّد الآخر كان في عهد المعتصم ... حتّى أشخص المعتصم عليّ بن عيسى على رأس جيش لهذه المهمّة ليدمّروا مركز حكومتهم ... و هكذا الأمر أيّام المستعين و نشوب الفتنة بينه و بين المعتز، إذ امتنعوا من أداء الخراج. حتّى وجّه إليهم المستعين مفلح التركي بعد سنين مضت على عدم أداء الخراج فبذل المذكور جهوده و جمع منهم مالاً كثيراً. ثمّ عادوا إلى سجيّتهم في زمن المعتمد و تمرّدوا عدد سنين... و كذلك كانوا في عصر المعتضد إذ قاموا بسلب عمّاله[٤]».

و نقل أيضاً أنّ الولاة الّذين كانوا يأتون إلى قم من قبل مركز الحكومة لا يسكنون داخل المدينة. و لعلّ ذلك يعود إلى خوفهم من القتل، لما طرق أسماعهم من بروز حوادث القتل سابقاً[٥]. و أُثر عن أحد الحكّام قوله: كنتُ والياً على قم عدّة سنين، فلم يقع نظري على

---

١ - النقض : ٢٥٢ . مجالس المؤمنين ١ : ٨٥. ٢ - تاريخ قم : ٣١ .

٣ - فتوح البلدان : ٣١١ ؛ النجوم الزاهرة ٢ : ١٩٠ .

٤ - تاريخ قم : ١٦٣ ، ١٦٤ . و انظر : گنجينهٔ آثار قم ١ : ١٥٩ - ١٦١ . و بخصوص سلب مدينة قم سنة ٢٥٤ هـ من قبل مفلح مندوب العبّاسيّين، راجع : الكامل ٧ : ١٨٩ .

٥ - انظر : تاريخ قم : ٣٠ ، ٣١ .

امرأة[١].

و جاء في أحد الأخبار أنّه خلال الفترة الّتي كانت السيادة تعيش فيها مرحلة الانتقال من الامويّين إلى العبّاسيّين، و كانت الامور غامضة إذ لم يُعلم من الّذي سيحكم الناس (العلويّون أو العبّاسيّون)، وقف القمّيّون أمام أحد الجيوش الأمويّة و قاتلوا، بيد أنّهم اندحروا[٢].

و يستشفّ من خبر آخر أنّهم كانوا يختلفون عن غيرهم في طاعة السلطان، إذ كانوا يتهاونون في ذلك[٣].

و عندما ثار أبوالسرايا باسم ابن طباطبا العلوي، و بعد وفاة ابن طباطبا، بايع شخصاً آخر يدعى محمّد بن محمّد بن زيد، أرسل الحسن بن سهل وزير المأمون إليه هرثمة بن أعين. فنشب القتال بينهما حتّى بان الانكسار على أبي السرايا، و قدم قوم من أهل قم لاسناده و لمّا رأى جند هرثمة القمّيّين، تضعضعوا على حدّ تعبير البلاذري. و استمرّ القتال بين الجانبين مدّة مديدة حتّى هُزم أبو السرايا و توجّه تلقاء البصرة[٤].

من هذا المنطلق، و منطلق العناد والمكابرة ضدّ أهل البيت عليهم السلام بخاصّة، كان الحكّام يتعمّدون في تعيين ولاة معروفين بانحرافهم الشديد عن أهل البيت - عليهم‌السّلام[٥]. وكان القمّيّون يبدون ردود فعلهم حيال هذه الخطوة. حتّى أُثر أنّهم امتنعوا عن طاعة أحد الولاة في العصر العبّاسي، وكلّما أرسلت إليهم الحكومة والياً، كانوا يقاتلونه ... حتّى اضطرّت - في آخر الأمر - إلى إرسال الأمير الشيعي ناصرالدولة بن حمدان الّذي كان أميرالأمراء يومذاك. و لمّا شارف ناصرالدولة قم، استقبله أعيانها بالتحف والهدايا. و قالوا له : نحن لا نرضى بحكومة على غير مذهبنا، و لكنّا نمتثل أوامرك طوعاً و رغبةً[٦].

---

١ - انظر : تاريخ قم : ٤٠ .

٢ - تاريخ ايران در قرون نخستين اسلامى، شبولر : ٧٢ .

٣ - نشوار المحاضرة ٨ : ٢٦٠ .

٤ - أنساب‌الأشراف ٢ : ٢٦٧ تصحيح المحمودي.

٥ - مثال ذلك : أحمد بن عبيدالله بن خاقان . انظر : كشف الغمّة ٢ : ٤٠٧ .

٦ - مجالس المؤمنين ١ : ٨٥ نقلاً عن كشف الغمّة.

قمّ و الطالبيّون

إنّ الضغوط الّتي مارسها الحكّام الأُمويّون، ثمّ واصلها العبّاسيّون أكثر ضدّ الطالبيّين أرغمتهم على النزوح من أوطانهم واللجوء إلى إيران. وكانت المدن المختلفة في إيران من الشمال إلى الجنوب ملاجىء لهم، غير أنّ بعضها استقبل أكبر عدد منهم لأسباب خاصّة. وكانت قمّ إحداها. وطبيعيّاً أنْ تستقبل - بسهولة - ذلك العدد من المهاجرين بما عرفت به من عقائدها الشيعيّة. وسبق أن نقلنا عن الإمام الصادق - عليه‌السّلام - قوله أنّ قم ملجأ شيعتهم و ملاذهم[1].

و في ضوء ما قاله الخوانساري، فإنّ مدينتين من مدن إيران اختصّتا بأكثر قبور أولاد الأئمّة - عليهم‌السّلام - و هما: الري، و قم. مع أنّ قبوراً أُخرى موجودة في سائر المدن كشيراز، و أصفهان، وكاشان[2].

و بلغت أهميّة قمّ درجة أنّ فاطمة بنت الإمام الكاظم - عليها‌السّلام - عندما تحرّكت نحو خراسان عبر المناطق المركزيّة في ايران، و اعتلّت في ساوة، سألت: كم بيني و بين قم؟ فقيل لها: عشرة فراسخ. فأمرت خادمها أن يأخذها هناك، و أخذها، و نزلت في دار موسى بن خزرج بن سعد الأشعري[3].

وكان رائعاً جدّاً لأهل قم الشيعيّة أن يطأ أحد العلويّين أرضهم. فهم لم يحبّوا العلويّين حبّاً شديداً فحسب، بل كانوا يحبّون كلّ ما يتعلّق بهم أيضاً. و أُثر أنّ دعبل الخزاعي عندما أخذ جبّة الإمام الرضا- عليه‌السّلام - لشعر أنشده في حضرته، و جاء إلى قم، فانّ أهلها اشتروا منه الجبّة بعد إلحاح[4].

وكان عشرون علويّاً مدفونين إلى جوار مرقد فاطمة بنت الإمام الكاظم حتّى سنة ٣٨٥هـ الّتي ألّف فيها صاحب تاريخ قم كتابه المذكور. مضافاً إلى من دفن منهم في نقاط أُخرى من المدينة. وكان قبر فاطمة - عليها‌السّلام - مهوى أفئدة الزائرين من السنّة والشيعة، كما نقل الرازي. و قال أيضاً: «وكان ملوك العالم و أمراؤه من الحنفيّة و الشافعيّة

---

١ -تاريخ قم: ٢٠٩.
٢ - روضات‌الجنّات ٤: ٢١٢.
٣ - تاريخ قم: ٢١٣. گنجينه آثار قم ١: ٣٨٢. و جاء في رواية أُخرى ذكرها مؤلّف تاريخ قم أنّ موسى بن خزرج هو الّذي دعاها إلى قم.
٤ - غاية الاختصار: ٧٠. عيون أخبار الرضا - عليه‌السّلام - ١: ٢٦٩. روضات الجنّات ٣: ٣١١. و قيل: دفعوا إليه ألف دينار في مقابلها !! رجال النجاشي: ١٩٧. تاريخ قم: ٢٧٩.

يتقرّبون إلى اللّه بزيارة قبر فاطمة بنت موسى بن جعفر - عليهاالسّلام -[۱]».

قمّ و علماء الشيعة

كانت الأواصر القائمة بين هذه المدينة و بين الأئمّة - عليهم‌السّلام - باعثاً على انتشار علوم أهل البيت - عليهم‌السّلام - فيها، إلى درجة أنّ أحد أصحاب الأئمّة الكبار - عليهم‌السّلام - و هو زكريّا بن آدم كان قمّياً. و انتقلت أحاديث أهل البيت - عليهم‌السّلام - إلى قمّ بعد أن فقدت الكوفة مكانتها تدريجاً بوصفها أوّل مركز شيعي[۲]. و أضحت قمّ منتدى لمحدّثي الشيعة. لذلك جاء الحسين بن سعيد الأهوازي إلى الأهواز في البداية، ثمّ انتقل منها إلى قم[۳]. و أمثال هؤلاء كثير[٤].

و كان أهل قم يشعرون بحاجتهم إلى علوم أهل البيت - عليهم‌السّلام - لذلك تحسّسوا من علماء الشيعة حيثما كانوا، و طلبوا منهم القدوم إلى مدينتهم. و من هؤلاء: أبو إسحاق مؤلّف الكتاب المشهور: الغارات، الّذي كان قد ذهب إلى اصفهان، إذ دعوه إلى قم[٥]. بيد أنّه كان راغباً في البقاء هناك لبثّ أحاديث أهل البيت - عليهم‌السّلام - لأنّ أصفهان كانت مشهورة بنزعتها السنّيّة آنذاك.

و كان كثير من علماء الشيعة المشهورين ينحدرون من هذه المدينة، أو أنّهم نشأوا فيها نشأة علميّة و صاروا من كبار محدّثي الشيعة. و من هؤلاء: احمد بن محمّدبن علي و أخوه عبدالله وإبراهيم بن هاشم و أحمدبن محمّد بن خالد البرقي و محمّدبن احمد بن يحيى بن عمران الأشعري، و اخيراً عليّ بن بابويه القمّي الّذي قال عنه النجاشي: «**شيخ القمّيّين في عصره و متقدّمهم و فقيههم**[٦]».

و منهم الشيخ الصدوق، وهو أحد العلماء المعروفين عند الشيعة. و حاول أحد الكتّاب

---

۱ - **النقض** : ٥٨٩ .

۲ - **رجال النجاشي** : ۱۳ . و ذكر أحد الكتّاب أنّ مدرسة الحديث الامامي انتقلت من الكوفة إلى قم و خراسان في القرن الثالث. **نظريات علم الكلام عند الشيخ المفيد** : ۳۸ .

۳ - **الفهرست للشيخ الطوسي** : ٥٨ .

٤ - انظر: **مجالس المؤمنين** ۱ : ٤۳٥ ، ٤۳۹ .

٥ - **روضات الجنّات** ۱ : ٤ .

٦ - **رجال النجاشي** : ۱۸٤ . اسمه الكامل عليّ بن الحسين بن موسى بن بابويه القمّي. و جاءت كلمة : و ثقتهم بعد و فقيههم .

أن ينسب الكليني، والشيخ الطوسي[1] إلى قم أيضاً في ضوء معلومات تأوّلها، و تشبّث بكلام صادر عن ابن شهر آشوب، فذهب إلى أنّ الشيخ المفيد كان قمّياً أيضاً[2]. و يبدو أنّ كلامه لا يتوكّأ على دليل، و لا يثبت لنا شيئاً إلاّ كما قال هو نفسه: «إنّ كلّ من يهوى، ينسب أولئك إلى مدينته». و قد سار الكاتب المذكور على هذا النهج. فهو لم يرد أن يعرض بحثه كبحث استدلالي.

و ينبغي أن نقول في المرحوم الكلينيّ أنّ الرواة القمّيّين والرازيّين يشكّلون زهاء تسعين بالمائة من أسناده. و لا غرو فإنّ معظم مشايخه كانوا من القمّيّين كمحمّد بن يحيى العطّار، و عليّ بن ابراهيم القمّي، و أحمد بن إدريس الأشعريّ، والحسين بن محمّد بن عامر القمّي. و لا جَرَمَ أنّ نسبة الشيخ المفيد إلى قمّ خطأ.

من الثابت - على أيّ حال - أنّ قم كانت محفلاً لمحدّثي الشيعة. و كان الآخرون ينتظرون أن يجدوا الأحاديث الخاصّة بأهل البيت - عليهم‌السّلام - فيها. و طلب المأمون من الريّان بن الصلت القمّي يوماً أن يتحدّث عن فضائل الإمام عليّ - عليه‌السّلام - في مجلس عام. فتحدّث، لكنّه لم يجد حديثاً أحسن ممّا سمعه من المأمون في هذا المجال! فقال المأمون متعجّباً: «لقد هممت أن أجعل أهل قم شعاري و دثاري[3]».

و يستشفّ من بعض الروايات التاريخيّة أنّ علماء قم كانوا يدحضون العقائد الغالية. وكانوا متشدّدين في ذلك للغاية حتّى أفرطوا أحياناً. و نقل أنّ أحمد بن محمّد بن عيسى، وهو أحد محدّثي قم المعروفين قام في اواسط القرن الثالث بنفي عدد من الرواة خارج قم لنقلهم روايات غالية، إلاّ أنّه عدل عن رأيه في بعضهم بعد مدّة.

و من المخرَجين أحمد بن محمّد بن خالد أحد محدّثي الشيعة المعروفين ثمّ أُعيد إلى قم[4]. واتّهم محمّد بن موسى بن عيسى الهمداني بالغلوّ أيضاً، و رُمي بالضعف[5]. و كان حسين بن عبدالله المحرّر في عداد المخرَجين[6]. وكذلك سهل بن زياد، فقد كان منهم، ثمّ

---

١ - گنجينهٔ آثار قم ١ : ٢٦٥ .
٢ - نفسه : ٢٢٥ ، ٢٣٣ .
٣ - عيون أخبار الرضا - عليه‌السّلام - : ١٥١ ، ١٥٤ ؛ بحارالأنوار ٤٩ : ١٢٨ .
٤ - مفاخر إسلام ١ : ٤٠٠ .
٥ - رجال النجاشي : ٢٣٩ . و نقل النجاشي كتاباً له بعنوان الرّد على الغلاة .
٦ - رجال الكشّي : ٤٣٢ .

رحل إلى الري[١]. و لم يأبه أحد لهذه الضروب من التضعيف كثيراً، إلاّ إذا شمل أشخاصاً قد ضُعّفوا من طرق أُخرى. و اتّهم الخوارزمي القمّيّين بالقول بالتشبيه[٢] متذرّعاً أنّهم ذكروا بعض الروايات الخاصّة به. كما جاء في كاشان قول أحدهم: «والغالب عليها الحشو[٣]». وفي ذلك إشارة إلى توكّؤ علماء هاتين المدينتين على الأحاديث و ظواهرها. و تتماثل هاتان التهمتان نوعاً ما. و نعلم أنّ الشريف المرتضى أيضاً رمىٰ القمّيّين بالنزعة التشبيهيّة. و لعلّه رأى ذلك لنقلهم بعض الروايات في التشبيه.

بيد أنّ ما ذكرناه عن تشدّد القمّيّين حيال الغلاة يدفع هذه التهمة عن قم، و يثبت كذب ما قيل عن وجود فرقة فيها تعرف بالغرابيّة كانت تعتقد أنّ البنت ترث دون غيرها. و قيل إنّ أحد القضاة حكم بأن تأخذ البنت نصف ما يأخذ الولد من الإرث، فهدّدوه بالقتل[٤]. و هذا كلام لا يمكن الركون إليه أبداً إذ إنّ الفقه الشيعي - الّذي كان أكثر علمائه من قمّ أو كانوا مقيمين فيها - يشهد خلاف ذلك.

تأثير التشيّع في قمّ على المدن الأُخرى

في ضوء العقائد الّتي كانت سائدة في المدن الواقعة قريباً من قمّ، يمكن الحدس بانتقال التشيّع من قم إلى تلك المدن. و لا نجد صعوبة في قبول هذه الرؤية إذا أخذنا بنظر الاعتبار قوّة العلماء في تلك المدينة.

وكانت آوه أو آبه من المدن المعروفة بنزعتها الشيعيّة القويّة، و لذلك كانت تعيش في صراع دائم مع ساوه المشهورة بعقيدتها السنّيّة المتعصّبة. و أشار الحموي إلى هذا الصراع، و نقل عن الميمندي شعراً يدلّ علىٰ تشيّع أهالي آبه[٥]. و قال القزويني: «أهل آبه كلّهم شيعة[٦]». و ذكر المستوفي أنّ أهالي ساوه نفسها سُنّة، أمّا أهالي القرى المحيطة بها

---

١ - الفوائد الرجاليّة ٣: ٢٣. ٢ - رسائل الخوارزمي: ١٦٥.

٣ - صورة الأرض: ٣٠٨. و اتّهم الشريف المرتضى القمّيّين بالقول بالجبر و التشبيه. انظر: رسائل المرتضى.

٤ - طبقات السبكي ٢: ١٩٤، نقلاً عن تاريخ التمدّن الإسلامي في القرن الرابع ١: ٧٧ - ٧٨.

٥ - معجم البلدان ١: ٥١.

و قائلةٍ أتبغض أهل آبه — و هم أعلام نظم و الكتابه
فقلتُ: اليكِ عنّي إنّ مثلي — يعادي كلّ من عادى الصحابه

٦ - آثار البلاد: ٢٨٣ - ٢٨٤، ونقل البيتين المتقدّمين أيضاً. وانظر: روضات الجنّات ٦: ٣٢٣ و٤: ١١٦.

فهم شيعة إثناعشريّة[١].

و روى الشيخ الطوسي أنّ امرأة من أهالي آبه أرادت أن تعطي أباالقاسم بن روح ثلاثمائة دينار بيدها. فجاءت عنده و أعطته المبلغ[٢]. و كان الإمام العسكري - عليه السّلام - يعتني بهم أيضاً[٣].

و من المدن الأخرى: كاشان. قال القزويني فيها: «أهلها شيعة إماميّة غالية جدّاً» و أشار بعد ذلك إلى السنّة المعروفة في هذه المدينة، وهي انتظار الإمام المهدي- عجّل اللّه تعالى فرجه[٤]. وكتب الحموي قائلاً عنها: «أهلها كلّهم شيعة إماميّة[٥]». و قال المستوفي أيضاً: «الناس فيها شيعة. و أكثرهم ذوو حكمة في تصرّفاتهم و لهم طباع لطيفة. و يقلّ فيها الجهّال والعاطلون[٦]».

و كان أهل مهاباد - إحدى القرى الكبيرة الواقعة في أطراف كاشان - شيعة إماميّة أيضاً[٧].

و قيل إنّ قبر أبي لؤلؤة - قاتل الخليفة الثاني ـ موجود في كاشان، و ثمّة مقبرة باسمه فيها كذلك[٨]. لكنّ هذا القول غير صحيح أبداً، لأنّ المؤرّخين أجمعوا على أنّ أبا لؤلؤة انتحر في المسجد بعد قتل عمر مباشرة. و بغضّ النظر عن بعض قرى كاشان السنّيّة[٩]، فقد كان بعضها الآخر شيعيّاً إماميّاً، مثل مهاباد، كما مرّ بنا[١٠].

و من هذه المدن: فراهان، إذ كان أهلها شيعة إماميّة. قال فيهم المستوفي: «... و أهلها

---

١ - نزهةالقلوب: ٦٢ ـ ٦٣.

٢ - الغيبة للشيخ الطوسي: ١٥٩، و لكن المبلغ في المصدر المذكور أربعمائة دينار.

٣ - بحارالأنوار ٥٠: ٣١٧.

٤ - آثار البلاد: ٤٣٢.

٥ - معجم البلدان ٤: ٢٩٦.

٦ - نزهة القلوب: ٦٧ ـ ٦٨.

٧ - آثارالبلاد: ٤٣٢.

٨ - تاريخ اجتماعي كاشان: ٤٢ ـ ٤٤، تُعرف هذه المقبرة بمقبرة بابا شجاع و يرى مؤلّف الكتاب المذكور أنّ تشيّع كاشان سبق قدوم الأشاعرة إلى قم. لأنّ أحد علماء الشيعة - و هو متوفّى سنة ٢٢٠ هـ - كان من كاشان. الكتاب: ٤٧، بيد أنّ هذه الرؤية غير صحيحة، إذ إنّ الأشاعرة جاؤوا إلى قم بين سنة ٨٣ و ٩٣ هـ، و هذا العالم المشار إليه توفيّ بعد مجيئهم بمائة و ثلاثين سنة.

٩ - نزهة القلوب: ٦٨.

١٠ - روضات الجنّات، ١: ١٧٢ عن تلخيص الآثار.

شيعة اثنا عشريّة متعصّبون جدّاً[١]».

و منها : تفرش الّتي يطلق عليها: طبرس أحياناً. فانّها من المدن الشيعيّة في أطراف قم. كتب المستوفي عن أهلها قائلاً : «هم شيعة إثنا عشريّة. و كانوا على هذا المذهب منذ قديم الأيّام[٢]». و نقل هذا المؤلّف عن مرآة البلدان «أنّ القسم الأعظم من سكّان تفرش سادة حسينيّون»، قيل : إنّهم من السادة الّذين هاجروا من مكّة، و سكنوا هناك. و لعلّ القسم الأكبر من التشيّع في مناطق الجبل[٣] يعود إلى تأثّر هذه المناطق بالتشيّع الّذي كان موجوداً في قمّ.

و في ضوء هذه النقطة، يستبين لنا أنّ هذه المناطق كانت منتديات للعلويّين، و انتشر التشيّع فيها بواسطتهم، مضافاً إلى تأثّرها بمدينة قم.

ظهور التشيّع و اتّساع نطاقه مع مجيء العباسيّين إلى الحكم

ألمعنا سابقاً إلى تغلغل التشيّع في قم. و نواصل حديثنا في هذاالفصل عن اتّساع نطاق التشيّع في إيران، بخاصّة في خراسان، من خلال ذكر مقدّمة موجزة.

إنّ أحد البواعث الرئيسة على دخول الإسلام إيرانَ هم العرب الّذين توجّهوا إليها قادمين من الجزيرة العربيّة، والعراق. و هذه حقيقة لا مناصّ منها. و كان عدد العرب المهاجرين في القرن الأوّل و الثاني كبيراً جدّاً. و هاجر هؤلاء العرب بدافع الاستيلاء على الأرض، و بسبب الوضع الاقتصادي المناسب الّذي كانت تتمتّع به ايران. و اتّخذت الهجرة طابعاً قبليّاً، و توزّعت القبائل على مختلف المناطق. و رأينا فيما تقدّم أنّ العرب الأشاعرة استوطنوا قم و اهتمّوا بها.

و نقل اليعقوبي في البلدان معلومات رائعة عن وجود العرب في شتّى البقاع الفارسيّة. و ذكر الحواضر الّتي كان للقبائل العربيّة فيها حضور ملحوظ. فقال في خراسان : و في جميع مدن خراسان قوم من العرب من مضر، و ربيعة، و سائر بطون اليمن إلاّ باسه، و شنة فإنّهم كانوا يمنعون العرب أن يجاوروهم[٤]. و قال في سائر المدن: و أهل شيروان أخلاط

---

١ - نزهة القلوب : ٦٩.

٢ - سيرى كوتاه در جغرافياى تاريخى تفرش : ٢٩.

٣ - بحارالأنوار ٥ : ٢٧٢ . الجبل : مناطق قم و أطرافها حتّى همدان.

٤ - البلدان مطبوع مع الأعلاق النفيسة : ٢٩٤.

من العرب والعجم[١]. أمّا المدن المشابهة لشيروان فهي حميرة[٢]، و حلوان[٣]، و دينور[٤]، وقزوين[٥]، و نهاوند[٦].

و كان أهل كرج قوماً من العجم. و إلى جانبهم آل عيسى بن إدريس العجلي، و من انضوى إليهم من سائر العرب[٧].

و أهل قم الغالبون عليها قوم من مذحج، ثمّ من الأشعريّين[٨]. وكان يعيش في فريدن، و منطقة جرمقاسان[٩] في أطراف أصفهان قوم من العجم، و قوم من العرب من قبيلة همْدان.

و أهل الري أخلاط من العرب والعجم، و عربها قليل[١٠]. و أهل نيسابور أيضاً أخلاط من العرب و العجم[١١]. و هكذا الأمر في مرو[١٢].

و في هراة قوم من العرب[١٣]. وكانت بوشنج[١٤]، و بُخارى[١٥]، و قيروان[١٦] من المدن الّتي عاش فيها العرب إلى جانب العجم.

فإذا حملنا مثل هذا الانطباع عن سكّان إيران وقتذاك إذكان عدد كبير من العرب يقطن في أكثر مدن خراسان، و حتّى في أطراف مدينة مثل أصفهان، فإنّا نستطيع أن نتابع حديثنا عن المسيرة التاريخيّة للتشيّع في إيران بنحو أفضل.

و نظراً إلى المنزلة الّتي كان يتمتّع بها هؤلاء العرب بين العجم المغلوبين، فإنّ مواقفهم كانت تترك بصماتها على الآخرين طبيعيّاً. و هذه النقطة لافتة للنظر أكثر بخاصّة في القضايا الدينيّة. و لمّا كانوا يمارسون أعمالهم مقتدين بقادتهم و رؤسائهم في المنطقة أو في العراق، فقد سجّلوا مواقف دينيّة مستقلّة غالباً، كما أنّ لهم مواقف خاصّة بهم على

---

١ - البلدان مطبوع مع الأعلاق النفيسة : ٢٦٩.
٢ - نفسه : ٢٧٠.
٣ - نفسه.
٤ - نفسه : ٢٧٠ - ٢٧١.
٥ - نفسه : ٢٧١.
٦ - نفسه : ٢٧٢.
٧ - نفسه : ٢٧٣.
٨ - نفسه : ٢٧٤ ؛ تاريخ الكوفة : ١٨٣ ؛ و انظر : الحضارة الاسلاميّة : ٨.
٩ - البلدان مطبوع مع الأعلاق النفيسة : ٢٧٥.
١٠ - نفسه : ٢٧٦.
١١ - نفسه : ٢٧٨.
١٢ - نفسه : ٢٧٩.
١٣ - نفسه : ٢٨٠.
١٤ - نفسه : ٢٨٠.
١٥ - نفسه : ٢٩٢.
١٦ - نفسه : ٣٤٨.

صعيد التكتّلات الدينيّة و المذهبيّة.

أمّا العجم الآخرون الّذين كانوا يعيشون إلى جوار هؤلاء العرب، فقد تأثّروا بتلك النزعات والاتّجاهات. و أغلبهم اعتنق الإسلام متأثراً بهم. و هكذا دأبهم في الميول والإتّجاهات السياسيّة والدينيّة.

و إذا وجدنا في إيران نزعة دينيّة سواء كانت سنّيّة، أو شيعيّة أو معتزليّة، أو مارقيّة، فينبغي أن نصرف أذهاننا قبل كلّ شيء إلى العرب الموجودين فيها. و هذا لا يعني مصادرة دورالفرس. أمّا طبيعة الامور فهي كما أشرنا.

و عندما نرى قبائل همدان أو بني عبدالقيس في بعض المناطق الفارسيّة، فلابدّ أن نتوقّع انتشار التشيّع في تلك المناطق، لأنّ تينك القبيلتين كانتا من القبائل الشيعيّة في العراق.

و من الجدير ذكره أنّ كثيراً من هؤلاء العرب قد تفرّسوا خلال القرن الثاني والثالث وبعدهما، حتّى لم يعد هناك ذكر للنسب والقبيلة و العشيرة بينهم. لذلك ينبغي التعامل معهم كفرس. و هذا رهين بدراسة تاريخ التشيّع في ايران، أو تاريخ تشيّع الفرس، إذ لا فرق بينهما اليوم.

ممهّدات السيادة العبّاسيّة

تقوّضت أركان الدولة الامويّة سنة ١٣٢ هـ. فحلّ العبّاسيّون محلّ الامويّين. و حكم منهم سبعة و ثلاثون سلطاناً على امتداد خمسمائة و خمسين سنة.

وكان بنو هاشم كياناً واحداً حتّى عام ١٠٠ هـ بخاصّة في الشؤون المتعلّقة بعبدالله بن الزبير خلال السبعينات من القرن الأوّل. و لم يكن هناك فارق بين العبّاسيّين والعلويّين، إذ كان الناس ينظرون إليهم كلّهم على أنّهم بنو هاشم. و جمعهم موقف واحد تقريباً، يتمثّل بدعم خلافة الإمام عليّ - عليه‌السّلام - والعلويّين بعده.

و طفق العبّاسيّون يمارسون نشاطاً مستقلاً منذ أوائل القرن الثاني، لكنّهم كانوا إلى جانب العلويّين حتّى تلك الفترة، و مارسوا نشاطهم مستغلّين المكانة الاجتماعيّة الّتي كان يتمتّع بها الطالبيّون بين الناس، إذ لم يتيسّر لهم التحرّك بصورة مستقلّة. ذلك أنّ مصداق أهل البيت - عليهم‌السّلام - بخاصّة في ضوء حديث الكساء و غيره من الأحاديث - هم

عليّ و فاطمة، و الحسن، والحسين - عليهم‌السّلام - ليس غيرهم[١].

و كانت ظلامة العلويّين السلاح الرئيس ضدّ الأمويّين في تلك البرهة. إذ بدأت هذه الظلامة بكارثة كربلاء، و استمرّ مسلسلها باستشهاد زيد بن علي عام ١٢٢ هـ، و ولده يحيى بعد أربع سنين مضت على استشهاده و كان الناس يكنّون احتراماً فائقاً لآل عليّ - عليه‌السّلام - و يرونهم أولاد رسول‌اللّه، لما سمعوه من فضائل أهل البيت - عليهم‌السّلام. من هذا المنطلق، وقف العبّاسيّون إلى جانب العلويّين.

و هذه الظلامة - كما أشرنا سابقاً - كانت من البواعث الرئيسة على ازدياد شعبيّة العلويّين في مختلف المناطق من العراق و إيران. و طبيعيّاً فإنّ اقتران أهل البيت بالكتاب، المأثور في الأحاديث كثيراً، يمكن أن يهيّىء الأجواء لاجتذاب قلوب الناس في ايران فيتأثّروا بما حلّ بأهل البيت من ظلامات.

و هذا ما دفع شريحة من الفرس والموالي أن يمارسوا نشاطهم لمصلحة العلويّين. ولذلك نرى العبّاسيّين - قبل وصولهم إلى الحكم - يؤازرون - بكلّ تحمّس - التحرّك المضادّ للامويّين الّذي كان يتمتّع بإسناد علويّ وقتذاك.

و كانت أوّل ثورة للعلويّين في القرن الثاني هي ثورة زيد بن عليّ بن الحسين - عليه‌السّلام. فقد تحرّك هذا الثائر ضدّ الأمويّين سنة ١٢٢ هـ منطلقاً من الكوفة المقرّ الرئيس لشيعة أميرالمؤمنين - عليه‌السّلام. و يبدو أنّه لم يكن راغباً في الثورة بادىء الأمر، بيد أنّ الشيعة طلبوا منه أن يقودهم، و قالوا له: يبايعك مائة ألف من أهل الكوفة، والبصرة، و خراسان[٢]. و نقل عن أبي مخنف أنّ ديوانه أحصى خمسة عشر ألف رجل من أهل الكوفة خاصّة، سوى أهل المدائن، والبصرة، و واسط، والموصل، و خراسان، والري، و جرجان، والجزيرة[٣].

و كان كثير من هؤلاء عرباً مهاجرين. فالمدائن - على سبيل المثال - كانت موطناً

---

١ - الحياة السياسيّة للإمام الرضا - عليه السّلام: ٤١.

٢ - غاية الاختصار: ١٣٨، ١٣٩؛ مقاتل الطالبيّين: ٩١.

٣ - عمدة الطالب: ٢٥٦؛ مقاتل الطالبيّين: ٩١ - ٩٢؛ الفخري في الآداب السلطانيّة: ٩٦؛ أنساب الأشراف ٢: ٢٣٧.

لقبيلة بني عبد القيس الشيعيّة. و أفرادها كلّهم بايعوا زيداً[١]. أمّا الفرس، فالصحيح هو أنّهم - بغضّ النظر عن انشدادهم إلى العلويّين من الوجهة الدينيّة - كانوا يحاولون أن يجعلوا من العلويّين درعاً ضدّ الأمويّين. و بعث زيد إلى خراسان رجلين يمثّلانه ليمارسا نشاطهما هناك. و هما عبداللّه بن كثير الجرمي، و حسن بن سعد[٢].

و يدلّ هذا على أنّ الري، و خراسان كانتا من المدن الفارسيّة المستعدّة أكثر من غيرهما لقبول الدعوة الشيعيّة. لا سيّما خراسان، فقد كانت لافتة للنظر، إذ إنّ استعدادها لمعارضة الأمويّين كان قويّاً ، بخاصّة قد شهدت صراعاً بين عرب الجنوب و عرب الشمال، ممّا مهّد الأرضيّة للكفاح ضدّ الأمويّين.

و فرّ يحيى بن زيد من الكوفة إلى المدائن، ثمّ قدم الري، و أقام فيها مدّة، توجّه بعدها إلى سرخس، و منها يمّم خراسان.

يقول اليعقوبي : «لمّا قتل زيد، وكان من أمره ما كان، تحرّكت الشيعة بخراسان و ظهر أمرهم وكثر من يأتيهم و يميل معهم. و جعلوا يذكرون للناس أفعال بني أُميّة و ما نالوا من آل رسول اللّه - صلّى اللّه عليه و آله - حتّى لم يبق بلد إلاّ فشا فيه هذا الخبر[٣]».

يدلّنا هذا الكلام على السبب الّذي دفع يحيى بن زيد إلى التوجّه نحو خراسان. إذ كان يأمل في الاستعانة بالطاقات الشيعيّة الموجودة هناك. وكان يتنقل بين مدن خراسان. فأقام مدّة في هرات، ثمّ رحل إلى الجوزجان، فالتحق به أهلها، و جماعة من الطالقان، و فارياب، و بلخ[٤]. و بعد مضيّ فترة على وجوده في الجوزجان استشهد على يد جلاوزة نصر بن سيّار، ثمّ صلب بعدها[٥].

وكان في استشهاد يحيى أكبر فائدة للعبّاسيّين. إذ كانوا يمارسون نشاطاتهم باسم هذه الظلامات، و يبثّون دعاتهم - الّذين كانوا يثقون بهم - بين الناس. و كان أبو مسلم الخراساني أحد دعاتهم المشهورين، و قد استغلّ و جاهة يحيى كثيراً. و كان يؤكّد في

---

١ - أنساب الأشراف ٢ : ٢٣٩ . و كان هؤلاء قد بايعوا التوّابين أيضاً .

٢ - مقاتل الطالبيّين : ١٤٧ .

٣ - تاريخ اليعقوبي ٢ : ٣٢٦ .

٤ - أنساب الأشراف ٢ : ٢٦٢ .

٥ - و بعد ذلك أنزله أبو مسلم من خشبة الصلب و دفنه . المصدر السابق : ٢٦٣ .

كلامه دائماً على طلب ثأره[1].

وكان أهل خراسان يحبّون يحيى حبّاً جمّاً. و لمّا أُطلق، و فكّ حديده، جاء جماعة من الشيعة إلى الحدّاد الّذي كان يحتفظ بقيد يحيى، و طلبوا منه القيد. و أخيراً اشتروه بعشرين ألف درهم، و قسّموه قطعة قطعة، و أخذ كلّ واحد منهم قطعة للتبرّك بها[2]. و هذا التشيّع ليس تشيّعاً عقيديّاً بل هو تشيّع عاطفي ينطلق من رؤيتهم إلى يحيى بوصفه ابن رسول‌الله - صلّى‌الله عليه و آله . بيد أنّه لفت أنظار الناس إلى أهل البيت، و هيّأ الأجواء للتشيّع. و بعد استشهاد يحيى، أظهر أهل خراسان النياحة عليه. و لم يولد في تلك السنة مولود بخراسان إلاّ و سمّيَ بيحيى أو بزيد[3].

و في تلك الفترة، نهض ثائر آخر من آل الحسن، وهو محمّد بن عبدالله، إذ كان يمهّد الطريق لثورة أُخرى. و كان أبوه عبدالله بن الحسن بن الحسن بن عليّ يبلّغ له كثيراً. ورضي به رهط من الناس على أنّه مهديّ أهل البيت - عليهم‌السّلام[4]. و التفّ حوله العبّاسيّون أنفسهم، و بايعه المنصور[5]. بيد أنّه لمّا استفحل أمر العبّاسيّين، تركوه، إلى أن ثار مرّة أُخرى في عهد المنصور سنة ١٤٥ هـ.

اسلوب العبّاسيّين في استغلال العلويّين لاستلام الحكم

أشرنا في تضاعيف البحوث المتقدّمة إلى أنّ العبّاسيّين بدأوا نشاطاتهم تحت غطاء ظلامة العلويّين و وجاهتهم عند الناس. و في الوقت الّذي كانوا فيه إلى جانب العلويّين حتّى إنّهم بايعوا النفس الزكيّة[6]، كانوا يخطّطون سرّاً لاستلام الحكم. و كانت خراسان -

---

١ - **أنساب الأشراف** ٢ : ٢٦٢ و ٢٦٣ ؛ **مقاتل الطالبيّين** : ١٠٨ . و جاء في **أنساب الأشراف** ٢ : ٢٦٤ «خرج أبومسلم في رمضان للطلب بدم يحيى بن زيد». و في ضوء ما ذكره أحد المؤلّفين فانّ استشهاد يحيى كان مفيداً للعباسيّين أكثر من الأمويّين . **جهاد الشيعة** : ٥٢ و ٥٣ . و قال ابن اعثم : «فلم يبق مدينة بخراسان، إلاّ لبسوا السواد و جعلوا ينوحون و ينعون على زيد بن علي و يحيى بن زيد، و يذكرون مقتلهما». **الفتوح** ٨: ١٦٠.

٢ - **مقاتل الطالبيّين** : ١٠٥ .

٣ - **مروج الذهب** ٣ : ٢١٣ ، هذا هو ما أفاده المصدر المذكور .

٤ - **الفخري** : ١٢٠ . انظر: مجلّة التوحيد، العدد الثاني، مقالة بعنوان : «المهديّة في نظرة جديدة». للأُستاذ السيّد جعفر مرتضى .

٥ - نفسه : ١١٩ .

٦ - كان المنصور العبّاسي بن محمّد بن علي قد بايع محمّد بن عبدالله العلويّ «النفس الزكيّة» مرّتين . و جاء في مصدر آخر : و بايعه إبراهيم الإمام، و السفّاح، و المنصور، و صالح بن عليّ، و سائر من حضر. انظر: **الحياة السياسيّة للإمام الرضا - عليه‌السّلام -** : ٣٨ ، ٣٩ ؛ **غاية الاختصار** : ٢٢ .

على حدّ تعبيرهم- أفضل مكان لدعوتهم. و أوّل من بدأ يعمل للعبّاسيّين هو محمّد بن عليّ بن عبداللّه بن عبّاس إذ أنفذ دعاته إلى خراسان و قال لهم : أمّا الكوفة و سوادها فهناك شيعة عليّ - عليه‌السّلام - و ولده. و البصرة، فعثمانيّة. والجزيرة، فحروريّة مارقة. و الشام، فليس يعرفون إلّا آل أُميّة. و أمّا مكّة والمدينة، فغلب عليهما أبوبكر و عمر. ولكن عليكم بأهل خراسان ! فإنّ هناك العدد الكثير والجلَد الظاهر. و هناك صدور سليمة و قلوب فارغة لم تتقسّمها الأهواء، و لم تتوزّعها النِحل، ولم يقدم عليهم فساد[١].

بدأت نشاطات هؤلاء، منذ سنة ١٠٩ هـ فما تلاها[٢]. و تركّز عملهم على كشف فضائح الأمويّين و جرائمهم في حقّ آل‌البيت - عليهم‌السّلام - و في الوقت نفسه كانوا يحترزون من الشيعة. حتّى إنّ محمّد بن علي نفسه نهى أوّل دعاته، وهو زياد أبو محمّد، عن رجل اسمه غالب، لأنه كان مفرطاً في حبّ بني فاطمة[٣]. و يستبين من هذه النقطة أنّ مودّة العلويّين كانت موجودة بخاصّة في خراسان، و إن كانت على مستوى ضئيل. و صحيح أنّ بني العبّاس كانوا يتحاشون هؤلاء، بيد أنّهم - من حيث لا يشعرون -كانوا يزيدون عظمة العلويّين في قلوب الناس من خلال ذكر ظلم الأمويّين[٤].

و يذهب ابن طباطبا في الفخري أيضاً إلى أنّ خراسان كانت أفضل مكان للعبّاسيّين،

---

١ - **معجم البلدان** ٢ : ٣٥٢ ؛ **أحسن التقاسيم** ٣ : ٢٩٣ ؛ **مختصر البلدان** : ٢٦٣ ؛ **أنساب الأشراف** (حول أخبار العبّاس و أولاده) : ٨١.

٢ - تاريخ **مختصر الدول** : ١١٧ و لعلّ نشاطاتهم بدأت قبل هذا التاريخ و منذ سنة ١٠٠ هـ. إذ ذهب حيّان العطّار إلى خراسان سنة ١٠٠ هـ، و في سنة ١٠٢ هـ توجّه ميسرة إلى خراسان. و في سنة ١٠٧ و ١٠٨ هـ توجّه بكير بن هامان مع عدّة من الدعاة إلى خراسان. انظر : **الحياة السياسيّة للامام الرضا - عليه‌السّلام** : ٣١، الهامش.

٣ - **الكامل** ٥ : ١٤٢ ؛ **تاريخ مختصر الدول** : ١١٧.

٤ - يقول أبو الفرج : عندما تحرّك دعاة بني هاشم كانوا «أوّل ما يظهرونه فضل عليّ - عليه‌السّلام - و ولده - عليهم‌السّلام - و ما لحقهم من القتل والخوف». **مقاتل الطالبيّين**: ١٥٨.

و كان العبّاسيّون - حتّى بعد استلامهم مقاليد الحكم - يوطّدون بنية الأفكار الشيعيّة من خلال أقوالهم. إذ نقرأ أنّ السفّاح قال في خطبته لأهل الكوفة بعد بيعته: اختار الناس بعد النبي - صلّى‌اللّه عليه و آله - التيميّ (أبابكر)، و العدويّ(عمر)، ألا و إنّ آل محمد أئمّة الهدى، و منار سبيل التقى ؛ **شرح نهج‌البلاغة** ٧ : ١٦٢ ؛ **الحياة السياسيّة للإمام الرضا ـ عليه السلام ـ** : ٧٥.

ملاحظة: يذكر المصدران المشار إليهما أنّ الخاطب هو أبو مسلم الخراساني و ليس السفّاح. المعرّب.

لأنّ الشام، و مصر كانتا للأمويّين ، والعراق لشيعة عليّ - عليه‌السّلام[١]. و استطاعت خراسان أن تحقّق أكبر نجاح في بثّ الدعايات للعبّاسيّين لما كانت تعيشه من صراع داخلي بين عرب مضر، و ربيعة. و بايع العبّاسيّون العلويّين للتمويه على الناس. و بعد مدّة انتظمت نشاطاتهم على محور الرضا من آل محمّد - صلّى‌اللّه عليه و آله[٢]. و كانوا لا يذكرون شخصاً خاصّاً بعينه. و ظلّت هذه الدعوة قائمة حتّى في السنين الأخيرة من الحكم الأموي عندما حقّق أبو مسلم انتصارات باهرة في خراسان. و هو نفسه كان يقول لابن‌الكرماني: ادع إلى آل محمّد - صلّى‌اللّه عليه و آله - لكنّه لم يذكر اسماً خاصّاً[٣]. على أيّ حال، تسلّم العبّاسيّون زمام الأمور تماماً في نهاية المطاف. و هكذا وطّدوا دعائم الحكم لأنفسهم تدريجاً، و على امتداد ثلاثين سنة مستغلّين وجاهة آل محمّد - صلّى‌اللّه عليه و آله. ثمّ كثّفوا جهودهم بعد ذلك لإبادة العلويّين. و كانوا يسعون في تغيير نبرة كلامهم الّذي أُثر عنهم في دعم مواقف العلويّين، و اتّخذوا موقفاً سنّيّاً محضاً. و قد جهر المنصور بذلك قائلاً: «واللّه لأرغمنّ أنفي و أنفهم و أرفع عليهم بني تيم و بني عدي».

و نستشفّ من الأخبار المنقولة أنّ عقيدته الرسميّة أصبحت تفضيل أبي بكر و عمر على غيرهما بعد النبيّ - صلّى‌اللّه عليه و آله[٤]. و هذه الأعمال والتصرّفات المستهدية بوجاهة العلويّين لم تُصبّ في مصلحة العبّاسيّين - الّذين عانوا كثيراً - فحسب، بل -كما مرّ بنا- عمّقت شعبيّة العلويّين في قلوب الناس. لكنّ هذه التحرّكات لم تمثّل التشيّع

---

١ - **الفخري** : ١٠٤ .

٢ - **الحياة السياسيّة للامام الرضا - عليه‌السّلام** : ٤٢ ، عرض الأُستاذ المؤلّف هذا الموضوع ناقلاً أقوال عدد كبير من الأشخاص، و مستهدياً بالنصوص التاريخيّة.

٣ - **تاريخ اليعقوبي** ٢ : ٣٣٣ ؛ **الكامل** ٤ : ٣١٠ ؛ **أنساب الأشراف** (القسم الثالث في العبّاس و أولاده): ١٣٠. و جاء في **العيون و الحدائق** : ١٨٠ : كانوا يكتفون بقولهم : آل محمّد صلّى اللّه عليه و آله. و ربّما دعوا أيضاً إلى أبي هاشم بن محمّد بن الحنفيّة. و إذا كانت هذه الدعوة موجودة ، فلعلّها كانت متأخّرة. و يحتمل أن تكون إشاعة افتعلها العبّاسيّون أنفسهم. ذلك أنّهم كانوا يقولون إنّ أبا هاشم أوصى عند موته إلى عبداللّه بن عليّ بن عبداللّه بن عبّاس. و كانوا يرون أنّ حكومتهم جاءت عن طريق أبي هاشم أوّلاً و حسب وصيّته الّتي لا يُعلم مدى صحّتها. و لعلّ القول بوجود فرقة الكيسانيّة في التاريخ كان لإثبات هذه الوراثة. و إلّا لا وجود للكيسانيّة كفرقة إلاّ في شعر كُثيّر عزّة. و بعد ذلك سوّغ العبّاسيّون حكومتهم عن طريق وراثة العبّاس للنبيّ - صلّى اللّه عليه و آله.

٤ - **الإمام الصادق و المذاهب الأربعة** ١ : ٢٥١ .

العقيدي. حتّى إنّ النسبة المئويّة لدعم العلويّين كانت ضئيلة. و عندما طلب أبومسلم، و أبوسلمة من الإمام الصادق - عليه السّلام - في رسالتين بعثاها إليه، أن يأخذا له البيعة من الناس، لم يقبل، لأنّه كان واثقاً أنّ هذه خدعة، إذ لم يرسل الإمام - عليه السّلام - مبعوثاً عنه إلى خراسان ليهيّىء له الأجواء ! حتّى إنّه قال لعبدالله بن الحسن حينما قبل الدعوة: متى كان أهل خراسان شيعتك ؟ أنت بعثت أبامسلم إلى خراسان؟ أنت أمرته بلبس السواد[1]». و قال - عليه السّلام -في موضع آخر: أبو سلمة شيعة غيري[2]. و هذا يدلّ على أنّ تعبئة الناس، الّتي تحقّقت باسم آل محمّد في خراسان، انتهت لمصلحة العبّاسيّين. و لم يكن التشيّع عقيدياً فيحدّد خطّاً معيّناً . و دلّت الحوادث المتأخّرة أنّ شريحة من الناس أدركت هذه الخدعة واعتزمت معارضتها، بيد أنّ الأوان قد فات[3].

حركة عبدالله بن معاوية بن عبدالله بن جعفر و ايران

تحرّك عبدالله بن معاوية بن عبدالله بن جعفر بن أبي طالب في الفترة الواقعة بين ثورة يحيى بن زيد و مجيء العبّاسيّين إلى الحكم. و قد أشرنا إليه سابقاً، بيد أنّنا نتحدّث هنا عن تحرّكه بالنسبة إلى إيران.

خرج عبدالله في سنة ١٢٧ ه[4]، و انضمّ إليه عدد كبير من العبّاسيّين بما فيهم السفّاح،

---

١ - مروج الذهب ٣ : ٢٥٤ . و قال في موضع آخر : «مالي و لأبي سلمة ا و هو شيعة لغيري ...» انظر : الإمام الصادق و المذاهب الأربعة ١ : ٥٧ ؛ الحياة السياسيّة للإمام الرضا - عليه السّلام : ٤٥ فما بعدها . مقاتل الطالبيّين : ١٤١ ، ١٤٢ ، ١٧٢ ؛ عمدة الطالب : ١٠٦ .

٢ - العيون والحدائق : ١٩٧.

٣ - و من هؤلاء سليمان بن كثير أحد قادة التمرّد في خراسان، فقد قال مرّة لعبيدالله الأعرج بن الحسين الأصغر بن السجّاد - عليه السّلام : إنّا غلطنا في أمركم و وضعنا البيعة في غير موضعها. فهلمّ نبايعكم، و ندعو إلى نصرتكم. فخاف عبيدالله أن تكون دسيسة فأخبر أبامسلم بذلك. و بعد مدّة قتل أبومسلم سليمان. انظر عمدة الطالب : ٣١٩ .

٤ - ذكر المستوفي سهواً أنّه خرج أيّام المهدي العبّاسي، و لم ينتبه المصحّح إلى ذلك أيضاً. انظر: تاريخ گزيده : ٢٥٨ ، تصحيح نوائي.

والمنصور[1]. و كان أوّل خروجه في الكوفة. ثمّ سيطر بعد مدّة على مدن مختلفة منها: فارس، حُلوان، قومس، اصبهان، الري، همدان، قم، و اصطخر[2]. و كان مقرّ حكومته في أصفهان، ثمّ انتقل بعد هزيمته إلى سجستان[3]، و منها فرّ باتّجاه خراسان. والعجيب أنّه قتل فيها على يد أبي مسلم الخراساني[4]! طبيعيّاً، أنّه ليس أوّل من قتل على يد دعاة العبّاسيّين قبل الحكم العبّاسي و بعده، بل سبقه عبيداللّه بن الحسين بن عليّ بن الحسين إذ استشهد على يد أبي مسلم أيضاً[5].

استطاعت حركة عبداللّه بن معاوية أن تساعد على انتشار الأفكار الشيعيّة في إيران إلى حدّ بعيد. و ما قدومه إليها بعد أن أشار عليه بعض الناس في الكوفة بالذهاب إلى فارس ونواحي المشرق[6] إلّا دليل على توفّر المناخ المناسب لنشر مثل هذه الأفكار. و نُقل أيضاً أنّ الموالي دعموا حركته[7].

و ذكرت معلومات متضاربة حول عقائده[8]، و لا ننوي هنا دراستها و نقدها. إذ عرضنا سابقاً نبذة يسيرة عنها. بيد أنّ الثابت هو أنّ أتباعه الأُوَل كانوا من عرب المدائن الّتي تمثّل أحد المقرّات الرئيسة للشيعة يومئذٍ.

---

١ - قال أبوالفرج انّه أخذ البيعة من الناس باسم الرضا من آل محمّد. **مقاتل الطالبيّين** : ١١٤ ، يبدو أنّ ما نسب إليه من ادّعاء الامامة و دعوة الناس إلى نفسه غير صحيح. إذ نُقل أنّ أوّل من دعا الناس إلى نفسه من الطالبيّين هو محمّد بن الإمام الصادق (لا بوصفه الرضا من آل محمّد). انظر: **الأوائل** للتستري. **مقاتل الطالبيّين** : ٣٥٨ . و جاء في **تاريخ سيستان** : ١٢٩ ، أنّه كان يدعو إلى الرضا من آل محمّد.

٢ - **الوزراء و الكتّاب** : ٩٨ ، ٩٩ ، و عيّن عدداً من إخوته ولاة على اصطخر، و شيراز، و كرمان، و قم. انظر: **مقاتل الطالبيّين** : ١١٥ ؛ **الفخري في الآداب السلطانيّة** : ٩٩.

٣ - عندما ذهب إلى سجستان، لم يقاتله واليها حرب بن قطن. إلاّ أنّه اصطدم بالخوارج، و قُتل شيبان الخارجي على أثر ذلك. ثمّ توجّه إلى خراسان. انظر: **تاريخ سيستان** : ١٣٣ .

٤ - **أنساب الأشراف** ١ : ٦٦ تحقيق المحمودي. **الفخري** : ٩٩ .

٥ - **مقاتل الطالبيّين** : ١١٥ ـ ١١٧ .

٦ - نفسه : ١١٤ ؛ **الصلة بين التشيّع و التصوف** : ١٣١ . و جاء في **الفخري** : ٥٥ أنّه اختار المدائن في البداية.

٧ - نفسه : ١١٥ . كان داعيه في فارس محارب بن موسى أحد الموالي.

٨ - انظر في هذا الحقل : الكتب الّتي تطرّقت إليها بالتفصيل.

استمرار التشيّع في خراسان
و سائر المدن الفارسيّة خلال القرن الثاني

عندما استولى العبّاسيّون على الحكم و أحكموا قبضتهم على الأمور، أدرك بعض الناس الّذين كانوا يتودّدون إلى العلويّين من قبل أنّهم ارتكبوا خطأً فادحاً. فعزموا على رفع لواء المعارضة ضدّ الحكومة العبّاسيّة[1]. و قاموا بعدد من الانتفاضات الّتي حدثت إحداها في بخارى سنة ١٣٣ هـ. و تولّى قيادتها شريك بن شيخ المهري[2].

و قال في خطبة له: لقد أذلّنا بنو مروان و أعاننا اللّه عليهم إذ استأصل شأفتهم و ما اتّبعنا بني العبّاس، فنظلّ نشهد القتل و إراقة الدماء! و لا يكفينا إلّا رجل من أهل البيت - عليهمالسّلام[3]. ويقول النرشخي في شريك: رجل عربيّ، رحل إلى بخارى. و كان شيعيّاً موصوفاً بالكفاح والنضال، دعا الناس إلى خلافة أميرالمؤمنين عليّ رضياللّه عنه. و كان يقول: تخلّصنا من عذاب المروانيّين، فلا ينبغي لنا أن نعاني من عذاب آل العبّاس. و لابدّ

---

١ - ثمّة احتمال ضعيف أنّ أباسلمة الخلّال - أوّل وزير للعبّاسيّين - عدل عنهم أيضاً إلى بني عليّ - عليهالسّلام، انظر: **الفخري**: ١١٢. و قتله من قبل السفاح دليل على ذلك مع الأخذ بنظر الاعتبار مراسلته بني عليّ - عليهالسّلام. و أنكر البعض هذا الموقف. **الحياة السياسيّة للامام الرضا**. و نقل أيضاً أنّ الإمام الصادق - عليه السّلام - رفض رسالة الخلّال، و اعتبرها مكيدة. **الفخري**: ١١٣.

٢ - ذكر ابن قتيبة أنّ اسمه شريك بن عون الهمداني. **الإمامة و السياسة** ٢: ١٦٦.

٣ - **تاريخ بخارا لفامبري**: ٧٩؛ **بخارا دستاورد قرون وسطى**: ٤٣.

أن يكون أبناء النبي خلفاءه ليس غيرهم. و التفّ حوله أُناس كثيرون[١]. و بعد ذلك أشخص إليهم أبو مسلم زيادَ بن صالح و قضى عليهم. و اتّبعه - على ما قال الطبري - زهاء ثلاثين ألفاً[٢]. و انضمّ إليه حكّام العرب الّذين كانوا في بخارى و خوارزم. كما التحق به أكثر سكّان بخارى[٣]. و قال البلاذري أيضاً: قال شريك لأبي مسلم: «إنّا بايعناكم على العدل و لم نبايعكم على سفك الدماء والعمل بغير الحقّ. فاتّبعه أكثر من ثلاثين ألفاً[٤]».

و قال النرشخي في تاريخ بخارا: أكثر هؤلاء إمّا قتل بالسيف، أو صُلب على بوّابات بخارى[٥].

و نلحظ هنا أنّ أقلّ ما في هذه الحادثة هو أنّ الفكر الشيعي - في مجال تصدّي رجل من أهل البيت- عليهم‌السّلام -كان موجوداً بين الناس، على الرغم من أنّ أنصاره قد لا يكونون ذوي إخلاص دينيّ يذكر في مناصرتهم إيّاه. إلاّ أنّ الموقف السياسي كان يقترن به.

و نقرأ بعد ذلك أنّ حاكماً عربيّاً أُعدم في بخارى بتهمة قيامه بنشاطات شيعيّة، و كان ذلك قد حدث أيّام حكومة شخص يدعى بنيات بين سنة ١٣٩ و ١٦٥ هـ.

و كان تشدّد المنصور ضدّ العلويّين، بخاصّة الحسنيّين[٦] منهم، باعثاً على تمرّدهم و تذمّرهم. و بدأت التحرّكات ضدّ العبّاسيّين منذ العقد الثاني لحكومتهم. و كان أوّل من تحرّك هو محمّد بن عبداللّه الّذي كان له أنصار في ايران مضافاً إلى أنصاره في الحجاز، والعراق.

و عندما صمّم على الثورة سنة ١٤٥ هـ كان المنصور قد بذل جهوداً كبيرةً لالقاء القبض عليه. بيد أنّه كلّما تحرّى عنه، لم يهتدِ إلى ذلك. و دعا غلامه ليتقصّى له مخبأه، و أمره أن يذهب إلى خراسان، و يدخل قرية فيها شيعة محمّد بن عبداللّه الّذين يرسلون

---

١ - تاريخ بخارى للنرشخي : ٨٦.

٢ - الكامل ٥ : ٤٤٨؛ تاريخ الطبري ٦ : ١١٢؛ الإمامة و السياسة ٢ : ١٦٠.

٣ - تاريخ بخارا : ٨٦. و من هؤلاء : عبدالجبّار بن شعيب أمير بخارا، و عبدالملك بن هرثمة أمير خوارزم، و مخلّد بن حسين أمير برزم.

٤ - أنساب الأشراف، القسم الثالث (ترجمة العباسيين) : ١٧٧ (بتصحيح عبدالعزيز الدوري).

٥ - تاريخ بخارا : ٨٩.

٦ - الفخري : ١١٩.

إليه الأموال، و يتّصل بهم، و يحصل على معلومات منهم عنه[١].

والطريف أنّ محمّد بن عبدالله عندما قتل، بعث المنصور رأس أحد المقتولين إلى خراسان ليعلم أهلها أنّ هذا هو رأس محمّد بن عبدالله[٢] فيستيقنوا قتله.

و تدلّ هذه الأخبار بوضوح على وجود التشيّع السياسي أو الزيدي ـ على حدّ تعبير البعض ـ في خراسان آنذاك. علماً أنّ المنصور لم يذكر اسم القرية بل اكتفى بقوله: قرية، على نحو غامض. و من الواضح أنّ هذا التيّار الشيعي كان موجوداً في مناطق أُخرى أيضاً. وكان محمّد بن عبدالله نفسه يعقد الأمل الكبير على خراسان، و قال مرّةً: «إنّ أهل خراسان على بيعتي[٣]». و يدل على هذا الموضوع ـ نوعاً ما ـ إرسال الرأس المذكور إلى خراسان على أنّه رأسه. وكان المنصور نفسه يقول: إنّ محبّة آل أبي طالب في قلوب أهل خراسان ممتزجة بمحبّتنا[٤].

و من الثورات الزيديّة الأُخرى[٥]، ثورة إبراهيم بن عبدالله أخ محمّد المتقدّم ذكره، و مركزها البصرة والمناطق القريبة من إيران. وكان هذان الأُخوان قد قرّرا أن يثور أحدهما في المدينة، والآخر في البصرة. و لم تكن نزعة شيعيّة كبيرة في هاتين المدينتين، إلّا أنّ أرضيّة التشيّع فيهما كانت ممهّدة بحجم ضئيل. و لذلك كان المنصور يقول لأحد العلويّين: «إنّ الحجاز والعراق مفسدة لكم[٦]».

و عندما سيطر إبراهيم على البصرة، بعث ممثّلين عنه إلى مختلف المدن الواقعة في جنوب غرب ايران. وكان أحد دعاته المغيرة بن مفرغ. توجّه إلى الأهواز، و بعد أن استولى على المدينة اصطدم بمبعوث المنصور حازم بن خزيمة و تغلّب عليه، بيد أنّه انهزم بعد مدّة، فعاد إلى البصرة[٧]. و من دعاته رجل يعرف بعمرو بن شدّاد، أنفذه إلى فارس، فسيطر عليها أيضاً، لكنّه رجع إلى البصرة بعد مقتل إبراهيم[٨].

---

١ - مقاتل الطالبيّين : ١٤٤ .
٢ - أنساب الأشراف ٢ : ٩٠ .
٣ - مقاتل الطالبيّين : ١٨١ .
٤ - أنساب الأشراف ٢ : ١١٥ .
٥ - أشرنا سابقاً إلى أنّ ثورات الزيديّين في القرن الثاني لا تعني قبول المبادىء و العقائد الزيديّة الّتي ظهرت منذ أواخر هذا القرن، و اتّسعت في القرن الثالث فما تلاه.
٦ - مقاتل الطالبيّين : ٢٣٣ .
٧ - نفسه : ٢١٦ . الكامل لابن الأثير ٥ : ٥٦٤ .
٨ - نفسه : ٢٢٠ ؛ الكامل ٥ : ٥٦٤ .

و كانت حركة إبراهيم حركة علويّة. والأجواء مهيّأة في بلاد فارس لانتصار مثل هذه الحركات. و إن كنّا قد أشرنا مراراً إلى أنّ تشيّع هؤلاء تغلب عليه الصبغة السياسيّة، و رصيده حبُّ الناسِ العلويّين من منطلق أنّهم أبناء رسول اللّه - صلّى اللّه عليه و آله. لكنّنا نستطيع أن نعتبر هاتين الحركتين إجمالاً تشيّعاً عقيديّاً بنحو ضمني. إذ إنّ نزعتهما لا تنسجم مع التسنّن الحقيقي. و عندما ثار إبراهيم في البصرة، أتاه جماعة كانوا راغبين في تقديم مساعدة مالية له، و أخبروه أنّهم ليسوا عرباً. بيد أنّه لم يقبل. و قال لهم: من كان عنده مال، فليعن به أخاه. ثمّ قال : هل هي إلاّ سيرة عليّ بن أبي طالب - عليه‌السّلام - أو النار[1]. فدعم هؤلاء غير العرب - الّذين كانوا إمّا من الموالي الفرس، أو الفرس غير الموالي - يدلّ على تغلغل مثل هذا التشيّع في صفوفهم.

---

١ - مقاتل الطالبيّين : ٢٢٢ ؛ غاية الاختصار : ٢٩ - ٣٠.

حول تغلغل التشيّع في إيران خلال القرن الثالث

لا نملك معلوماتٍ خاصّةً عن مساهمة الفرس في التيّارات الشيعيّة حتّى أواخر القرن الثاني الهجري، إلاّ ما نقل من وجود علاقة تربط عدداً من الفرس الّذين كانوا من أصحاب الأئمّة بتلك التيّارات. و عندما كانوا يذهبون لأداء فريضة الحج، فإنّهم لم يمرّوا بالعراق فحسب، بل و يتّصلون بأئمّتهم مباشرة في المدينة. و خلال تلك الفترة تعامل العبّاسيّون مع العلويّين بعنف و قمعوا ثوراتهم و شخصيّاتهم. و بدأ قتل العلويّين منذ عهد المنصور. و قلّما كان عامل أو وزير من العبّاسيّين لم تتلطّخ يده بدم أحد العلويّين. و شاع القتل إلى درجة أنّ المهدي حينما أراد أن يقتل أحدهم، قال له وزيره: إنّك لم تقتل علويّاً حتّى الآن، و هذه مفخرة عظيمة لك[1]. و عندما ثار الحسين بن علي شهيد فخ أيّام موسى الهادي، أرسل العبّاسيّون رأسه من مكّة إلى خراسان. و هذا معلَم على تغلغل التشيّع فيها. و طبيعيّاً أنّ ما قام به العبّاسيّون كانت له نتائج معكوسة عليهم.

و كان الناس ينظرون إلى هذه المقاتل و المذابح بوصفها اصطداماً بأبناء رسول اللّه - صلّى اللّه عليه و آله. لذلك أكسبت العلويّين تأييداً شعبيّاً كبيراً بين الناس. و كان هذا التأييد الشعبي ملموساً في الحجاز، والعراق، و إيران. و لهذا السبب كان العبّاسيّون يخافون

---

١ - آثار الوزراء للعقيلي: ٣٤. تصحيح أرموي.

العلويّين أكثر من غيرهم[١].

واستمرّت تلك الثورات والحركات المضادّة طوال حكم المتصور، والمهدي، والهادي، و هارون.

و كان المأمون - بالنظر إلى هذه الحقيقة - أوّل من حاول أن يزيل الفجوة الموجودة بين العلويّين والعبّاسيّين. و بعبارة أخرى، أوّ ل من فصل العلويّين عن الناس، و ربطهم بالعبّاسيّين ليتمكّن من قطع دابر هذه الثورات و الانتفاضات[٢]. فبعث وراء الإمام الرضا- عليه‌السّلام - ليهيّىء المناخ أجل تحقيق هدفه عبر استمالة الإمام و اجتذابه إلى البلاط العبّاسي.

الإمام الرضا (ع) و التشيّع في ايران

عندما انتصر المأمون على أخيه الأمين، فإنّه أضفى على الحكم العبّاسي المتوكّىء أساساً على الخراسانيّين طابعاً خراسانيّاً أكثر من ذي قبل. و كانت حكومة الأمين تقوم على العناصر العربيّة المرغوبة عند البيت العبّاسي. أمّا حكومة المأمون فليست كذلك، و هذا سرّ ضعفها، ممّا دفعها إلى التفكير بالحصول على قاعدة أُخرى، تستطيع من خلالها أن تكسب ودّ الناس الّذين كانوا يميلون إلى العلويّين، و تستخدمها وسيلة لإخماد الصيحات الّتي تعالت من أُناس ثاروا إلى جانب العلويّين.

يقول ابن خلدون: و كان سواد الشيعة موجباً لدعوة عليّ بن موسى الرضا لولاية العهد[٣]. من هذا المنطلق دعا المأمون الإمام إلى خراسان. و كان قدوم الإمام و قبوله دعوة المأمون إلى الخلافة أو ولاية العهد يمثّلان تأييداً للمأمون. و هذا أحد الأهداف الخطيرة الّتي كان يتوخّاها المأمون من وراء هذه الخطوة.

أمّا الإمام - عليه‌السّلام - فقد رفض دعوة المأمون. لذلك تحوّل إلحاح المأمون إلى

---

١ - الحياة السياسيّة للإمام الرضا - عليه‌السّلام -: ٦٧ - ٧٠.

٢ - يقول المستوفي : كان هذا التحرّك بتدبير الفضل بن سهل . و قام بما قام به من أجل ... و إخماد فتنة العلويّين . تاريخ گزيده : ٣١٢ .

تعليق : إنّها ليست فتنة، بل هو حقّ مهتضم غصبه العبّاسيّون ظلماً و عدواناً . المعرّب

٣ - تاريخ ابن خلدون ٤ : ٧.

تهديد. و أخيراً أُرغم الإمام على التوجّه تلقاء مرو بعد تهديدات كثيرة[١]. تلا ذلك قبوله ولاية العهد بعد شروط اشترطها على المأمون، أهمّها أن لا يتحمّل أيّ مسؤوليّة حيال الأعمال المختلفة في الدولة[٢]. و قال في بعضها: «إنّي داخل في ولاية العهد على أن لا آمر و لا أنهى، و لا أُفتي و لا أقضي، و لا أولّي و لا أعزل، و لا أغيّر شيئاً ممّا هو قائم و تعفيني من ذلك كلّه[٣]». و هذا الموقف الّذي سجّله الإمام - عليه‌السّلام - أفضى إلى بقاء الانتفاضات العلويّة في جذوتها. و لذلك صرّح البعض «إنّ ولاية العهد لم تثمر في إطفاء لهيب الانتفاضات العلويّة[٤]».

إنّ دعوة الإمام إلى مرو عاصمة الحكم العبّاسي آنذاك دليل على ميل تلك الحاضرة إلى التشيّع.

و أصدر المأمون أوامره بجلب الإمام عن طريق البصرة، فالأهواز، ففارس، و منها إلى خراسان، لئلاّ يمرّ بالمناطق الشيعيّة فيتّصل بشيعته فيها. و تلقّى رجاء بن أبي الضحّاك أمراً أن لا يجلب الإمام عن طريق الكوفة[٥]. و جاء في بعض المصادر أنّ الإمام أُتي به عن طريق قم[٦]. و هذا غير صحيح ، إذ ورد في كتاب عيون أخبار الرضا أنّ المأمون كتب إلى الرجاء

---

١ - مقاتل الطالبيّين : ٣٧٥ . قال الإمام - عليه السّلام : «قد علم اللّه كراهتي لذا ، فلمّا خُيّرت بين قبول ذلك و بين القتل اخترت القبول على القتل». انظر : غاية الاختصار : ٦٧ ، ٦٨ .

٢ - كانت شروط الإمام في غايه الحكمةكما يدلّ على ذلك كتاب العهد. لمزيد الاطّلاع و الوقوف على بحث أكثر تفصيلاً، انظر : الحياة السياسيّة للإمام الرضا - عليه‌السّلام.

٣ - أُصول الكافي ١ : ٤٨٦ ؛ عيون أخبار الرضا ـ عليه السّلام ـ ٢ : ١٥٠ .

٤ - تاريخ ايران بعد از اسلام: ٤٩٨ ، و أدرك المأمون هذه الحقيقة أيضاً لذلك أقدم على قتل الإمام، و تظاهر للناس أنّ الإمام مات حتف أنفه، و أنّه صاحب العزاء، بيد أنّ العلويّين لم يخدعوا بذلك. إذ نجد أنّه عندماكتب إلى عبداللّه بن موسى يدعوه إلى ولاية العهد بعد قتل الإمام، قال له : فبأيّ شيء تغرّني؟ ما فعلته بأبي الحسن - صلوات اللّه عليه - بالعنب الّذي أطعمته إيّاه فقتلته ؟ انظر : مقاتل الطالبيّين: ٤١٥، ٤١٦.

٥ - الخرائج و الجرائح : ٢٣٦ و انظر : المقالات و الفرق : ٩٥ .

٦ - رسالة الدلائل الرهبانيّة : منسوبة إلى العلّامة الحلّيّ، و هي مطبوعة في آخر كتاب الغارات ٢ : ٨٥٨. و لم تصحّ نسبة هذه الرسالة إلى العلّامة الحلّي . انظر: رياض العلماء ١ : ٣٧٩ . و نقل الفيض أنّه جاء في تاريخ قم : ١ ـ ٩ أنّ عيناً كانت في قم شرب منها عليّ بن موسى الرضا - عليه‌السّلام . و هذا يدعو إلى العجب أيضاً. و يحتمل أنّ الشارب كان أحد أبناء عليّ بن موسى - عليه‌السّلام . و نُقل ذلك عن السيّد ابن طاووس أيضاً. انظر : گنجينهٔ آثار قم ١ : ٣٨١ .

بصراحة قائلاً : «لا تأخذ على طريق الكوفة و قم[1]».

و استطاع الإمام- عليه‌السّلام - أن يتّصل بمحبّي أهل البيت - عليهم‌السّلام - في طريقه إلى مرو. و كانت نيسابور أكثر المناطق ازدحاماً إذ اجتمع فيها من الناس ما لم يجتمع في غيرها لاستقبال الإمام. وكان بينهم عدد من علماء السنّة مثل أبي زرعة الرازي، و طلبوا من الإمام أن يحدّثهم. و جاء في ينابيع المودّة أنّ الإمام أقام بنيسابور أيّاماً، ثمّ خرج يريد بلدة مروشاهجان، فعرض له أبو زرعة الرازي، و محمّد بن أسلم الطوسي ومعهم من طلبة العلم والحديث ما لا يحصى فتضرّعا إليه أن يريهم وجهه الشريف المكرّم المبارك و يروي لهم حديثاً عن آبائه الكرام. فاستوقف البغلة، و أمر غلمانه بكشف المظلّة. فأقرّ عيون تلك الخلائق برؤية طلعته المباركة، والناس بين صارخ و باك، فصاحت العلماء : معاشر الناس، أنصتوا. فحدّثهم عن آبائه قائلاً «كلمة لا إله إلّا اللّه حصني. فمن دخل حصني أمن من عذابي» فشرع الناس كلّهم يكتبون، فقال لهم بعد هنيئة : «ألا بشروطها، و أنا من شروطها[2]».

أي: أنّ الإقرار بإمامتي من شروطها. و هذا الموضوع هو قوام الفكر الشيعي. فقبول إمامته و الانقياد إلى ولايته بعد التوحيد شرطان للنجاح و الفلاح من منظار التشيّع.

وكانت غاية الإمام - عليه‌السّلام - من عمله هذا أن يجعل الحبّ الّذي يبديه الناس للعلويّين هادفاً، و يستبدل التشيّع العقيدي بالتشيّع الناتج عن حبّ أهل البيت حبّاً سطحيّاً مجرّداً.

و بعد ذلك، كان وجود الإمام في خراسان باعثاً على معرفة الناس شخصيّته أكثر فأكثر بوصفه إمام الشيعة. و لذلك كان عدد أنصار التشيّع يزداد على كرور الأيّام[3]. وكانت منزلة

---

١ - عيون أخبار الرضا ٢ : ١٤٨ ـ ١٤٩ ، ١٨٠ . طبيعيّاً أنّ كلام صاحب العيون مقدّم على غيره، في هذه الحالة. و انظر : بحار الأنوار ٤٩ : ٩١ ـ ٩٢، ١١٨، ١٣٤ .

٢ -ينابيع المودّة : ٣٦٤ . و سند هذا الحديث على درجة من القوّة لو أنّه قُرىء على مجنون لأفاق من جنونه على حدّ تعبير أبي‌الصلت!! وهو منقول من عدد من المصادر. و ذكرت روايات أُخرى في استقباله أيضاً . انظر : ينابيع المودّة : ٣٨٥ ؛ عيون أخبار الرضا ٢ : ١٣٢ ـ ١٣٣ .

٣ - في ضوء ما ذكره صاحب كتاب ضيافة الاخوان الّذي يترجم لعلماء قزوين، فإنّ الإمام الرضا - عليه‌السّلام - جاء مرّة إلى قزوين سنة ١٩٣ هـ و نزل في دار داود بن سليمان. انظر: الحياة السياسيّة للامام الرضا - عليه‌السّلام - : ٢٢٧ - ٢٢٨ .

الإمام العلميّة أهمّ باعث على اتّساع نطاق التشيّع. لا سيّما أنّ الأُسس الفكريّة للشيعة قد تميّزت عن غيرها آنذاك. و طبيعيّاً فانّ مرجعيّة الإمام العلميّة كانت تحمل في تضاعيفها اتّساعاً لدائرة الفكر الشيعي. ينقل رجاء بن أبي الضحّاك - الّذي تولّى إشخاص الإمام - عمّا حدث لهم في الطريق فيقول في بعض كلامه: «وكان - عليه‌السّلام - لا ينزل بلداً إلّا قصده الناس يستفتونه في معالم دينهم فيجيبهم و يحدّثهم الكثير عن أبيه، عن آبائه، عن عليّ - عليه‌السّلام - عن رسول اللّه - صلّى‌اللّه عليه و آله[١]».

و كلّ من كان عارفاً بنقل الرواية عن طريق الأئمّة - عليهم‌السّلام - يعلم أنّ تركيزهم على طريق آبائهم أفضل معْلم لاتّساع الفكر الشيعي. إذ هو الطريق الّذي تنقل فيه الأحاديث عبر أهل البيت - عليهم‌السّلام - و لا يستعان بأحد الرواة في سلسلة السند[٢]. و هذا السند مشهور بين رواة الحديث بسلسلة الذهب.

وكان المأمون يظهر رغبته في المسائل العلميّة، لذلك كان يعقد مجالس النظر بحضور الإمام ويجمع المخالفين للبحث و المناظرة حول الإمامة[٣]، وكذلك حول النبوّة[٤]. و لا يستبعد أن يكون هدفه إدانة الإمام[٥]. و لمّا كان الناس ينظرون إلى أهل البيت - عليهم‌السّلام - بوصفهم العلماء المتفوّقين على غيرهم في العلم، و حتّى انّهم يعتقدون بعلمهم اللدني، لذلك يمكن أن تفضي إدانة الإمام إلى الحطّ من شأنهم عند الناس. بيد أنّ تلك المجالس استطاعت أن تعرّف الناس الشخصيّة الحقيقيّة للامام الرضا - عليه‌السّلام. و طالما خُتمت لمصلحة الإمام[٦]. و هذا ما كان يسبّب متاعب كثيرة للمأمون. ينقل عبدالسلام بن صالح الهروي قائلاً: رُفع إلى المأمون أنّ أباالحسن عليّ بن موسى الرضا -

---

١ - عيون أخبار الرضا ٢ : ١٨٠ ، ١٨٣ . كان الإمام يهتمّ بنقل الحديث عن آبائه. عيون أخبار الرضا ١ : ١١١ .

٢ - يقول أبوالمحاسن في الإمام الصادق - عليه‌السّلام : «لا يروي إلاّ عن أهل بيته». النجوم الزاهرة ٢ : ٩. إذن، لا يصحّ ما قيل عن الخاصيّة الجديدة الوحيدة للتشيّع في القرن الرابع أنّها تتمثّل في إرجاع جميع الأخبار و الآثار إلى عليّ و أهل بيته (تاريخ تمدّن اسلامى در قرن چهارم ١ : ٨١) . و لم يكن المؤلّف على علم باسلوب نقل الحديث عند الشيعة في بادىء الأمر.

٣ - عيون أخبار الرضا ٢ : ١٨٤ ـ ١٨٥ .

٤ - نفسه ٢ : ١٨٣ ـ ١٨٤ .

٥ - مجالس المؤمنين ٢ : ٢٧٤ .

٦ - بحار الأنوار ٤٩ : ١٠٠ . و يضمّ كتاب الاحتجاج للمرحوم الطبرسي هذه المناظرات مفصّلة.

عليه‌السّلام - يعقد مجالس الكلام، والناس يفتتنون بعلمه. فأمر المأمون محمّد بن عمرو الطوسي أن يطردالناس من مجلسه، و لمّا سمع الإمام ذلك ، دعا عليه و قال: «... و انتقمْ لي ممّن ظلمني و استخفّ بي، و طرد الشيعة من بابي[1]».

تدلّ هذه الرواية على أنّ هؤلاء الناس كانوا شيعة الإمام - عليه‌السّلام. فحضوره في خراسان إذن لتنظيم الشيعة و توسيع نطاق الفكر الشيعي. و كان الناس يسألونه عن مختلف المسائل الكلاميّة. و عندما ترجمت الكتب اليونانيّة منذ أواخر عهد المنصور، فإنّ شيئاً من المذهب العقلي قد دخل نطاق الأفكار الإسلاميّة. وكان ضروريّاً - طبعاً - أن يحدّد الشيعة أفكارهم حيال الظروف الفكريّة الجديدة. و كان أئمّة الشيعة بخاصّة الإمام الصادق، والإمام الرضا - عليهما السّلام - بمستوى المواجهة في حلّ الرموز المستعصية للحقائق المعروضة. و طرح مرّة سؤال عن رؤية اللّه يوم القيامة، فردّ الإمام ذلك[2]. و سئل عن الحديث : «إنّ اللّه خلق آدم على صورته» فذكر الإمام أنّ الرواة حذفوا قسماً من هذا الحديث، و هذا القسم هو الّذي يبيّن معناه الحقيقي[3]. و سئل كذلك عن قول الإمام الصادق - عليه‌السّلام: « أمرٌ بين الأمرين[4]». و غير ذلك من الأسئلة.

وكان الإمام - عليه‌السّلام - يهتمّ بإحياء السنّة النبويّة في أداء العبادات، و عندما طلب منه المأمون أن يقيم صلاة العيد فإنّه عزم على أن يخرج إليها كما كان يفعل النبيّ - صلّى‌اللّه عليه و آله - لا كما يفعل الملوك إذ يخرجون بأبّهة ملوكيّة. و كان ما عزم عليه، فبلغ تأثير خروجه في الناس حدّاً أُرغم فيه المأمون أن يُرجع الإمام من منتصف الطريق[5].

---

١ - عيون أخبارالرضا ٢ : ١٧٠ و ١٧١ . ٢ - نفسه : ٩٣ ـ ٩٤ .

٣ - نفسه : ٩٨ .

٤ - نفسه : ١٠١ . و كان جواب الإمام عن هذه المسألة عرْضاً لموقف كلاميّ شيعيّ. و عندما سأله المأمون مسائل مختلفة، منها في الجبر و الاختيار ، قال - عليه السّلام : «إنّ أفعال العباد مخلوقة خلق تقدير لا خلق تكوين. و لا تقل بالجبر و لا بالتفويض» بحارالأنوار ٥ : ٣٠ . و كانت هذه الأسئلة الكلاميّة كثيرة. و من الواضح أنّ نشر أجوبتها نشر للأفكار الشيعيّة . مثلاً ، حول عدم الرؤية انظر: اصول الكافي ١ : ٩٦ . معادن الحكمة ٢ : ١٦١ . التوحيد للصدوق ١٠٩ . وكذلك حول مفهوم التوحيد، إذ طرح سؤال أجاب عنه الإمام في رسالة، انظر: التوحيد : ٥٦ ؛ بحارالأنوار ٤ : ٢٨٤ .

٥ - بحارالأنوار ٤٩ : ١٣٥ . للوقوف على تحليل هذه القضيّة، انظر : الحياة السياسيّة للإمام الرضا : ٣٥٦ . مجالس المؤمنين ٢ : ٢٧١ ـ ٢٧٢ .

و لعلّ التشدّد على الإمام و شيعته بدأ بعد هذه الواقعة. و كان المأمون يحاول أن يقطع علاقات الإمام بالشيعة أو يُخضعها لرقابته بأساليب مختلفة. و أخيراً وجد نفسه مرغماً على قتل الإمام ليقضي بذلك على محور الشيعة[١]. بيد أنّ طبيعة الامور كانت تفرض اتّساع نطاق التشيّع في خراسان، و حتّى في أطرافها من خلال وجود الإمام – عليه‌السّلام – فيها.

إنّ الرسائل الّتي بعثها الإمام إلى مختلف الأشخاص و فيها توضيح الأسس والدعائم الشيعيّة تدلّنا على اتّساع قاعدة التشيّع. و تحوم هذه الرسائل حول منزلة أهل البيت – عليهم‌السّلام – في الكتاب و السنّة[٢]، و سائر المسائل الكلاميّة[٣]، والمسائل الخلافيّة الأُخرى بين الشيعة والسنّة، مثل: إيمان أبي طالب[٤]، توضيح مصداق الشيعة[٥]، توضيح مصداق الصحابي[٦]، و اولي الأمر[٧]، و غيرها من هذه المسائل.

و تطرح هذه المسائل وفقاً للعلوم و المعارف الّتي تقرّها الشيعة. و كان الإمام يعرضها للناس نقلاً عن آبائه. و هكذا اتّسعت قواعد التشيّع العقيدي في خراسان والمناطق المتّصلة بها.

---

١ – قلّما تجد عالماً شيعيّاً يرتاب في هذه المسألة. و نقرأ أنّ المحقّق الشيعي رضيّ الدين عليّ بن طاووس قد ارتاب فيها، و لم تصحّ عنده نظراً إلى معاملة المأمون الطيّبة مع الإمام. بيد أنّا ينبغي أن نعلم أنّ هذه المعاملة كانت لهدف معيّن و مصالح سياسيّة خاصّة كما ذهب إلى ذلك الاستاذ جعفر مرتضى. حتّى إنّ عفو المأمون عن محمّد بن جعفر الصادق، و زيد النار اللّذين خرجا عليه كان يصبّ في هذا الاتّجاه. و لا دليل على وجود توجّه ايجابي يحمل طابعاً عقيديّاً عند المأمون. مضافاً إلى أنّنا نقرأ في عيون أخبار الرضا روايات صريحة تنصّ على استشهاد الإمام – عليه السّلام – و على هذا إجماع علماء الشيعة. انظر: مجالس المؤمنين ٢: ٢٧٣ ـ ٢٧٤؛ تاريخ بيهقي: ٤٨ ـ ٤٩.

٢ – أصول الكافي ١: ٢٢٣، ٢٢٤؛ بصائر الدرجات ١١٨؛ بحار الأنوار ٢٣: ٣٦٦.

٣ – انظر: عيون أخبار الرضا ١: ١٣٦؛ معادن الحكمة ٢: ١٩٥؛ بحار الأنوار ٢٦: ٢٥؛ بصائر الدرجات: ٨٠٨؛ اصول الكافي ١: ١٧٦؛ رجال الكشّي: ٤٩٣، ٦٦٥؛ التوحيد للصدوق: ٣٣٨؛ اصول الكافي ١: ٨٦، ١٥٢، ١٦٠.

٤ – شرح نهج البلاغة: ٦٨؛ معادن الحكمة ٢: ١٧٦.

٥ – قرب الإسناد: ٢٠٣ ـ ٢٠٦.

٦ – عيون أخبار الرضا ٢: ٨٧.

٧ – تفسير العيّاشي ١: ٣٦٠؛ بحارالأنوار ٢٣: ٢٩٦.

هجرة السادة العلويّين إلى ايران و اتّساع قاعدة التشيّع

إنّ من البواعث الرئيسة على تغلغل التشيّع في إيران هجرة السادة العلويّين إليها. و كان هؤلاء شيعة غالباً. و قد يشاهد بينهم عدد من النواصب[١]. طبيعيّاً، أنّ هؤلاء لم يكونوا شيعة اثني عشريّة كلّهم، بل كان كثير منهم شيعة زيديّة. و من كان منهم محوراً للانتفاضات المضادّة للعبّاسيّين فإنّه يحسب من الشيعة الزيديّة عادةً. و سبب ذلك أنّهم لم يعتقدوا بالتقيّة و كانوا يرون القيام بالسيف[٢] معْلماً على إمامة زيد.

ثمّة دوافع حفّزت هؤلاء السادة على الهجرة. و هذه الدوافع هي: أوّلاً: الأمن الّذي كان سائداً في المناطق الفارسيّة. و هذا أهمّ دافع على الهجرة. فقد كانت إيران بعيدة عن عاصمة الحكومة الّتي كان مقرّها إمّا في الشام أو في العراق. فهاجر السادة إليها بسبب الضغوط الّتي مارسها العبّاسيّون، و من قبلهم الأمويّون بحقّهم. و كان بين العلويّين من اشترك في الانتفاضات الّتي حدثت ضدّ الحكومات، كانتفاضة زيد، و محمّد بن عبداللّه، و إبراهيم بن عبداللّه، و الحسين بن عليّ شهيد فخ، فهؤلاء كانوا يشعرون بخطر أكبر. و منهم من هاجر و اختفى في افريقيا مثل إدريس بن عبداللّه، و منهم من اتّجه شرقاً، أي: إلى إيران؛ مثل يحيى بن زيد، و يحيى بن عبداللّه.

ثانياً: الرفاه الّذي كانت تعيشه تلك المناطق، وهو الّذي شجّع سائر العرب على الهجرة أيضاً. و كان هذا الرفاه لافتاً لنظر عدد منهم. يضاف إلى ذلك، أنّهم كانوا يرون أنفسهم محبوبين عند أهلها، و أهلها كانوا يحترمونهم أيضا لأنّهم أبناء رسولاللّه. و هذا ما كان يجتذبهم إلى تلك الديار[٣]. و في غضون ذلك، كانت المدن الشيعيّة ذات أهميّة أكبر ـ كما قلنا في قم سابقاً. و أهل السنّة أيضاً يحترمون العلويّين احتراماً خاصّاً[٤].

بدأت هذه الهجرة أكثر منذ القرن الثاني فما تلاه. لذلك قلّما نجد شخصاً منهم فرّ إلى

---

١ - **عمدة الطالب** : ٧١ ، ٢٠٠ ، ٢٥٣ .

٢ - نُسبت هذه العقيدة إلى زيد بن علي - عليه‌السّلام. و نحن نذهب إلى أنّ زيداً كان يعتقد بإمامة أخيه الباقر - عليه‌السّلام. و المذهب الزيدي شيء لا علاقة له بزيد.

٣ - **بحارالأنوار** ٥٠ : ٢٩٥ ، عندنا رواية تدلّ على أنّ أحد العلويّين جاء إلى إيران طلباً للفضل.

٤ - **نورالأبصار** : ١١٥ ، ينقل الاصفهاني أنّ يحيى بن عبداللّه بن الحسن عندما جاء إلى مالك بن أنس بالمدينة، قام له عن مجلسه و أجلسه إلى جنبه ؛ **مقاتل الطالبيّين** : ٣٠٩ .

ايران خوفاً من الحجّاج. بيد أنّ البعض ذهب إلى أنّ أوّل مجموعة من السادة العلويّين المهاجرين هم الّذين أووا إلى ايران هرباً من ظلم الأمويّين و بخاصّة من بطش الحجّاج[١].
و تمهّد طريق الهجرة بعد مجيء يحيى بن زيد إلى ايران. لذلك، فالأشخاص الّذين كانوا ملاحقين من قبل المنصور العبّاسي لدعمهم محمّد بن عبدالله، و أخاه إبراهيم، يمّموا إيران بأسرع ما يمكن. ثمّ اتّسع نطاق الهجرة بعد ذلك.

ثالثاً: التفكير بكسب الطاقات من أجل الثورة. و يأتي هذا الدافع بعد الحادثة المشار إليها. فإنّ الفرس الّذين أعربوا عن رغبتهم في تغيير السيادة العربيّة عند مجيء العبّاسيّين إلى الحكم، أبلوا بلاءً حسناً أيضاً في موقفهم من الانتفاضات، وكان بمقدورهم أن يفعلوا ذلك مرّة أُخرى. و هذا التصوّر هو الّذي كان يستقطب العلويّين إلى تلك المناطق. و بينما كان الوعي العام للفرس ضعيفاً حيال العلويّين، وكذلك كان نشاط العلويّون في تحريض الناس، نجد أنّ نشاط العبّاسيّين قد أثمر بعد ثلاثين سنة فحسب. وكان العلويّون يعتزمون القيام بمثل هذا العمل الكبير من خلال تحرّك قليل[٢].

و كان يحيى بن عبدالله بن الحسن بن الحسن - عليه‌السّلام -[٣] من الّذين شاركوا في ثورة الحسين بن علي شهيد فخّ. و توجّه إلى إيران بعد فشل الثورة، و استقرّ في الديلم شمال إيران مع عدد من الكوفيّين. وكان هارون العبّاسي قلقاً من تصاعد هذه التحرّكات، فأمر الفضل بن يحيى البرمكي بالقبض على يحيى المذكور بأيّ شكل كان[٤].

و يبدو أنّ ثورة يحيى أوّل ثورة شيعيّة في الديلم. وكانت منطقة الديلم إحدى المناطق الّتي قاومت المسلمين بشدّة. و احتفظ الاسفهبدان بسلطتهم فيها. وكانوا حكّاماً عليها من قبل. و في تلك الفترة، كانت علاقاتهم بالسلاطين تتراوح بين الصلح حيناً، والاصطدام حيناً آخر.

---

١ - **قصران** ١ : ١٧١ ، ١٧٢ . انتشارات انجمن آثار ملّى (إصدارات الجمعيّة الوطنيّة للآثار). و أُشير في **زينة المجالس** : ٨١٠ إلى هجرة شريحة من السادة إلى الصين. و هم الّذين توجّهوا إلى تركستان أوّلاً، ثمّ غادروها إلى الصين خوفاً من الأمويّين.

٢ - **مقاتل الطالبيّين** : ٣١١ .

٣ - كان يحيى يحدّث عن الإمام الصادق - عليه السّلام. و هو أحد الّذين أوصى لهم الإمام لكي لا يُعرف الإمام الحقيقي بعده، و هو ولده موسى الكاظم - عليه‌السّلام. للاطّلاع على وصايته، انظر: **شرح نهج‌البلاغة** لابن أبي الحديد ١٥ : ٢٩٠ .

٤ - **مقاتل الطالبيّين** : ٣١٢ .

و يمكن أن يكون ذهاب هؤلاء الأشخاص إلى تلك المنطقة عاملاً مساعداً على استثمار الخلافات المذكورة لمصلحتهم. و في ضوء ما جاء في كتاب الفخري فإنّ عدداً كبيراً من أهل الأمصار اجتمعوا إلى يحيى[١].

و نقل الطبري أيضاً عن أبي حفص الكرماني«أنه ظهربالديلم و اشتدّت شوكته و قوي أمره[٢]». و يواصل كلامه بأنّ كثيراً من أهل الأمصار التفّوا حوله[٣]. و بلغ عدد أنصاره درجة أنّ الفضل بن يحيى تحرّك نحوه بخمسين ألف مقاتل[٤]. بيد أنّ اصطداماً لم يقع بين الطرفين، إذ أفلح هارون بإجباره على قبول الصلح من خلال كتاب الأمان الّذي بعثه إليه. من جهة أُخرى، وعد الفضل صاحب الديلم بمال كثير ليسهّل خروجه من المنطقة[٥]. و بعد قدومه إلى بغداد، تعاملوا معه معاملة طيّبة إلى حين، ثمّ قتلوه شهيداً[٦].

و كان بمقدور الديلم أن تحتضن انتفاضة شيعيّة من الوجهة الجغرافيّة والسياسيّة، كما نلحظ أنّ أوّل حكومة شيعيّة كانت قد ظهرت فيها آنذاك. و أصبحت حركة يحيى بن عبداللّه فاتحة لحركات أُخرى تلتها، مع أنّ الأرضيّة كانت مساعدة فيها من قبل، و إنْ كانت يسيرة. و عندما سئل يحيى عن سبب اختيار الديلم، قال: «إنّ للديلم معنا خرجة فطمعت أن تكون معي[٧]». و هذا معلم على وجود مثل هذه الأرضيّة. و لعلّ قصده سماع خبر غيبي حول مستقبل المنطقة.

و توجّهت مجموعات من السادة إلى ايران بعد هذه الحادثة، و بعد قدوم الإمام الرضا - عليه‌السّلام - إليها. و لعلّ تساهل المأمون مع السادة في مقابل تشدّد أبيه هارون عليهم كان له تأثيره الملحوظ في تناميهم و رفعتهم. و على الرغم من أنّه تعامل مع ثوراتهم بعنف أيضاً، إلّا إنّه كان يحترمهم كثيراً في الظروف الاعتياديّة، لإيمانه بأفضليّة عليٍّ على سائر الخلفاء. و مع هذا كلّه، فإنّ سياسته حيال هؤلاء الّذين كانوا يشكّلون خطراً على الحكومة العبّاسيّة تغيّرت تماماً في نهاية المطاف.

---

١ - الفخري : ١٧٦ .

٢ - تاريخ الطبري ٦ : ٤٥٠ . و انظر : عمدة الطالب : ١٥٥ .

٣ - نفسه.

٤ - تاريخ الطبري ٦ : ٤٥٠ .

٥ - نفسه . و اسمه جستان أو حسّان. انظر: تاريخ گزيده : ٣٠٤ .

٦ - مقاتل الطالبيّين : ٣١٩.

٧ - نفسه : ٣١٣.

و كان مجيء فاطمة بنت الإمام موسى الكاظم - عليهماالسّلام - إلى إيران مَعْلماً من معالم الهجرة إليها إذ كانت له علاقة بمجيء أخيها الرضا - عليه‌السّلام -[١].

يقول المرعشي : ... و توجّه السادة إلى ايران بعد ولاية العهد الّتي فوّضها المأمون إلى الإمام. و كان له من الإخوة واحد و عشرون، فرحلوا مع بني أعمامهم من السادة الحسنيّين والحسينيّين إلى الري، والعراق[٢]. و يقول عن ردّ فعل السادة - بعد تطرّقه إلى تغيير سياسة المأمون من خلال قتل الإمام الرضا - عليه‌السّلام : لمّا سمع السادة غدر المأمون بالإمام الرضا، التجأوا إلى جبال الديلم و طبرستان. و استشهد بعضهم هناك، و لهم مراقد مشهورة و معروفة في تلك المناطق. و لمّا كان اسفهبدان مازندران - الّذين اعتنقوا الإسلام مبكّراً - شيعة، و كان اعتقادهم حسناً بأولاد الرسول - عليهم‌السّلام - لذلك سهّلوا للسادة المُقام في تلك المنطقة[٣].

و سنرى فيما بعد أنّ الهجرة كانت في تزايد بعد ظهور الانتفاضات الشيعيّة في مازندران، و جيلان.

و كان العراق غير آمن آنذاك، على الرغم من كثرة الشيعة فيه. و لم يستعدّ العلويّون للثورة هناك بسبب سوابقه المتمثّلة بخذلان أهله في الظروف الحسّاسة. يقول فيه أحد العلويّين، و هو موسى بن عبدالله بن الحسن:

لا تتركيني بالعراق فإنّها　　　بلادٌ بها أُسُّ الخيانة والغدرِ[٤]

و كانت إيران أفضل مكان للثورة بعد العراق.

و يمكن الاستهداء بالأماكن الّتي سكنها العلويّون المهاجرون للتعرّف على الوضع النسبي للتشيّع في ايران. علماً أنّ تحديد هذه الأماكن بوصفها مناطق شيعيّة لا يتيسّر بنحو قاطع. ذلك أنّ أصفهان - على سبيل المثال - كانت سنّيّة متعصّبة للغاية، حتّى أنّها كانت ترفع معاوية إلى درجة النبوّة[٥]، و كان أهلها يصطدمون بالقمّيّين كراراً لأنّهم

---

١ - قصران لمؤلّفه كريمان ١ : ١٧٢ .

٢ - تاريخ طبرستان و رويان و مازندران للمرعشي : ٢٧٧ .

٣ - نفسه : ٢٧٨ .

٤ - مقاتل الطالبيّين : ٢٦٢ ؛ أنساب الأشراف ٢ : ١٤٠ .

٥ - أحسن التقاسيم : ٣٩٩ .

شيعة[١]، لكنّها كانت مأوى للسادة أيضاً. إذ هاجروا إليها فوطّدت هجرتهم بنية التشيّع فيها تدريجاً، حتّى نقرأ أنّ المقدسي عندما زارها في القرن الرابع وجدها تعيش صراعاً بين الشيعة و السنّة[٢]. و هذا مَعْلم على اتّساع نطاق التشيّع هناك إذ كانت هجرة السادة العلويّين إليها أحد ممهّداته. و هكذا الأمر في سائر المدن.

و قيل في «تفرش» : يُستشفّ من وجود قبور أبناء الأئمّة العديدة في تفرش، و قربها من قمّ و الري أنّ أهلها كانوا يدينون بالمذهب الشيعي منذ عصر صدر الإسلام[٣].

و قال كاتب آخر: وجد المذهب الشيعي الحقّ طريقه إلى الري، ثمّ قصران خارج منذ القرن الأوّل الهجري ... و يبدو أنّ السادة هم الّذين نشروا مذهب التشيّع في الريّ، و قصران عند ما هاجروا إليهما هرباً من جحيم الأمويّين[٤]. و قال في موضع آخر: إنّ وجود قبر حمزة بن موسى بن جعفر في مدينة الري مَعْلم على وجود التشيّع فيها[٥].

و كانت هجرة السادة إلى بيهق نموذجاً من نماذج الهجرة إلى المناطق الفارسيّة[٦]. إذن يتسنّى لنا نوعاً ما أن نحدّد خطوط اتّساع التشيّع في إيران من خلال مراقد السادة و أبناء الأئمّة. بيد أنّ القيام بهذا العمل - كما هو واضح - يتطلّب دراسة مستقلّة و يستلزم جهداً كبيراً، وهو ما يتعذّر علينا الاضطلاع به في هذه العجالة.

يقول الرازي في بعض الأماكن الّتي تضمّ مراقد أبناء الأئمّة الأطهار - عليهم‌السّلام: «يزور أهل الري قبر السيّد عبدالعظيم الحسني، و أبي عبداللّه الأبيض، و حمزة الموسوي... و يزور القمّيّون قبر السيّدة فاطمة بنت الإمام موسى بن جعفر - عليهاالسّلام كما يزوره الملوك والأُمراء الحنفيّون والشافعيّون تقرّباً إلى اللّه - تعالى.

و يزور الكاشانيّون مرقد عليّ بن الإمام الباقر - عليه‌السّلام - الموجود في ياركرسب، والّذي ظهر هناك من خلال عدد من الحجج والبراهين.

و يزور أهل آوه مرقدي الفضل و سليمان ابني الإمام موسى بن جعفر الكاظم - عليه‌السّلام. و كذلك يذهبون إلى اوجان حيث مرقد عبداللّه بن موسى - عليه‌السّلام.

---

١ - البداية والنهاية ١١ : ٢٣٠ ؛ الكامل ٨ : ٥١٨ . و انظر : نقض : ٢٥٢ .

٢ - رحلة ابن بطوطة : ١٢٤ .

٣ - جغرافياى تاريخى ... تفرش : ٢٩ .

٤ - قصران ٢ : ٧٤٩ .

٥ - رى باستان ٢ : ٥١ .

٦ - انظر : تاريخ بيهقى : ٦٠ ـ ٦٣ .

و يتقرّب أهالي قزوين سنّتهم و شيعتهم إلى اللّه بزيارة قبر أبي عبداللّه الحسين بن الإمام الرضا - عليه‌السّلام[١]».

و يمكن تحديد نقاط أُخرى استهداءً بكتاب منتقلة الطالبية الّذي يحوم حول هجرة بعض العلويّين و مناطق سكناهم. و يتطلّب البحث الطويل دراسة لكلّ واحد من هؤلاء الأشخاص المعروفين و سلسلة نسبه الى الأئمّة - عليهم السّلام. فإذا كان أحد السادة يصل نسبه إلى الإمام السجّاد - عليه‌السلام -[٢] عبر خمسة أجداد، و فرضنا أنّ كلّ واحد من هؤلاء الأجداد عاش ٣٥ سنة، فالحدّ الفاصل بين هذا السيّد و الإمام السجّاد ١٧٥ سنة. أي : زهاء قرنين. و هناك قرن واحد تقريباً يمتدّ من بداية الهجرة إلى استشهاد الإمام السجّاد - عليه السّلام. لذلك نحتمل أن يكون استشهاد ذلك السيّد أو وفاته قد وقع في أواسط القرن الثالث أو أوائل القرن الرابع. و حينئذٍ نستطيع أن نقف إلى حدٍّ ما على تغلغل التشيّع، أو تمهيد الأرضيّة له بواسطة هذا السيّد من أولاد الأئمّة - عليهم‌السّلام.

و من الجدير ذكره أنّ هؤلاء الأشخاص الّذين شُيّدت لهم مقابر كانوا من كبار شخصيّات العلويّين. لذلك بلغت مكانتهم حدّاً أنّ الناس كانوا يبجّلونهم مثل هذا التبجيل منذ عصر استشهادهم، فلا تبقى قبورهم خافية عن الأنظار. و كان لهؤلاء تأثيرهم الديني والسياسي على الناس طبيعيّاً. و لمّا كان هؤلاء من الشيعة عموماً، فمن المحتمل احتمالاً قويّاً جدّاً أنّهم نقلوا إليهم أفكارهم و عقائدهم. و عندما اشتهرت مقبرة محمّد بن جعفر الصادق - عليه‌السّلام - في سرخس[٣]، كان هذا معلماً على تغلغل مذهب أهل البيت - عليهم‌السّلام - منذ العصور الإسلاميّة الأولى.

تمّ تأليف كتاب منتقلة الطالبيّة فيالقرن الخامس الهجري. فالنتائج الّتي سننقلها قريباً تتعلّق بالقرون الاولى حتّى حدود هذا القرن. بعبارة أُخرى، إنّ المدن الفارسيّة الّتي كانت موطناً للعلويّين المهاجرين - و نحن نريد أن نتابع تغلغل العقائد الشيعيّة فيها - استمرّت

---

١ - نقض : ٥٨٨ ـ ٥٨٩ .

٢ - هذا مثال. و قد يصل نسب بعضهم إلى الإمام المعصوم بواسطة واحدة، و قد يصل بأكثر من عشر وسائط . و فاطمة بنت الإمام موسى الكاظم يصل نسبها مباشرة. و يوجد في كاشان بعض السادة الّذين يصل نسبهم إلى الأئمّة بواسطة واحدة أو بواسطتين. انظر : تاريخ كاشان لكلانتر ضرّابي : ٤٢٨ .

٣ -تجارب السلف : ١٦٠ .

حتّى القرن الخامس. و فيما يلي فهرس بأسماء تلك المدن مع عدد السادة العلويّين الّذين سكنوا فيها. و يتعذّر علينا فعلاً أن نأتي باستنتاج أكبر.

بروجرد ٤ . تستر ٢ . تفرش ٢ . جنديسابور ٢ . جيرفت ٢ . جيلان ٤ . جرجان ٣٢ . خراسان ١٥ . الديلم ٦ . رامهرمز ٣ . راوند ٣ . الري ٦٦ . رويان ٢ . سابور ٣ . سيرجان ٢ . سجستان ٣ . سمرقند ١٥ . شيراز ٢٣ . جالوس ١٤ . طبرستان ٧٦ . الطالقان ٢ . طبس ٢ . طوس ٦ . فارس ٦ . فسا ٥ . قزوين ٢٧ . قم ٢٣ . كازرون ٢ . كرمان ٧ . مرو ٨ . نيسابور ٢١ . ورامين ٣ . همدان ١١ . يزد ٢ . آذربايجان ٣ . ابهر ٥ . أردبيل ٢ . الأهواز ٣٥ . ارجان ٨ . اصفهان ٣٣ .

هذا العدد - كما قلنا- يمكن أن يكشف لنا النسبة المئويّة لاتّساع نطاق التشيّع. و نلحظ أنّ عددهم في طبرستان ٧٦ ، و في الري ٦٦، و في قم ٢٣ ...(طبيعيّاً، بالنسبة إلى عدد السكّان) ممّا يرشدنا إلى ما نحن فيه - أي : التعريف بالمساحة الواسعة للتشيّع.

و ينبغي أن نلتفت إلى أنّ مؤلّف كتاب منتقلة الطالبيّة ذكرَ فيكتابه أسماء عدد من العلويّين فحسب، و لم يستقص النقاط المعنيّة.

و قويت شوكة السادة في القرن الرابع و الخامس على تواتر الأيّام. و كانت كثافة الطالبيّين في بغداد تتطلّب تعيين نقباء لهم من قبل الحكّام العبّاسيّين. و نقرأ أنّ الشريف الرضي و أباه تسلّما منصب النقابة ردحاً من الزمن في القرن الرابع الهجري، و هما من الشيعة الإماميّة. و كانت للسادة في الحواضر الفارسيّة منزلة تفوق التصوّر، و احتفظوا بهذه المنزلة حتّى في الحواضر الّتي كانت تعتبر «دار السنّة». و لدينا معلومات دقيقة عن وجود كبار السادة في شتّى الحواضر الفارسيّة خلال القرن الخامس. و قد ذكرها عبدالجليل الرازي. ومن هذه الحواضر : إصفهان، و قزوين، والري، و نيسابور، و حواضر أُخرى غيرها.

والطريف أنّ الشخص المشار إليه يصرّ على أنّ السادة كانوا شيعة بعامّة. و يقول : «والعلويّ الحقيقي لم يكن إلّا شيعيّاً إماميّاً، و لا يمكن أن يكون غير ذلك، و إلّا فلا. و نقل أنّ زيديّاً كان - على ما حُكي - علويّاً سنيّاً، فاستأذن يوماً للدخول على السلطان سعيد مسعود، وكان معه علويّ شيعيّ. فقال السلطان: ائذنوا لأحدهما بالدخول، و لا تجد علويّاً سنيّاً إلّا منافقاً ! و لم يؤذن للعلويّ السنّي، و أُذن للعلويّ الخالص. و تحقّق المقصود لتعلم

أنّ العلويّ لا يكون إلّا شيعيّاً قحّاً، إذ إنّ التبرّي من الأب عقوق، و بيع المذهب ينمّ عن نفاق كثير[1]».

١ - نقض : ٢٢٦ ـ ٢٢٧ .

التشيّع في القرن الثالث الهجري

بدأت حكومة المأمون مع مستهلّ هذا القرن. بغضّ النظر عن أنّ المأمون أثبت أحقّيّة الأئـمّة - عـليهم‌السّـلام - للـخلافة مـن خـلال تـفويض ولايـة العـهد للامـام الرضـا- عليه‌السّلام، فقد كانت له آراء أيضاً مهّدت الأرضيّة للنزعات الشيعيّة، إذ إنّه كان يرى رأي المعتزلة. و من هذا المنطلق كانت له عقائد مشتركة مع الشيعة فـي كـثير مـن المسـائل الكلاميّة. و لمّا كان المعتزلة يعتقدون بأفضليّة عليّ - عليه‌السّلام - على الخلفاء، فـهذه أوّل خطوة ينبغي أن يخطوها المرء على طريق التشيّع[1]. و نقل أنّ المأمون‌كان متشدّداً جدّاً في موقفه من معاوية، فقد أعلن بكلّ صراحـة أن «برئت الذمّة ممّن ذكر معاوية بـخير[2]».

---

١ - يقول ابن الإسكافي: إنّك لم تر شيعيّاً قطّ رجع القهقرى ، بل يزداد في الإفراط، و يغلو في القول و لا يرجع إلى التقصير حتّى يصير بالإفراط رافضيّاً كبيراً. و لذلك قال بعض الناس : «أرني شـيعيّاً صـغيراً أُريك رافضيّاً كبيراً» **المعيار والموازنة** : ٣٢ ـ ٣٣ . من الجدير ذكره أنّ الفارق بين المعتزلة والشيعة كـبير والبـون بينهما شاسع. و لم يلتفت بعضهم إلى هذا الأمر فعدّ واصل بن عطاء - مثلاً - أحد مؤسّسي التشيّع، جاعلاً إيّاه في مصافّ سلمان الفارسي !! أنظر : **روند نهضتهاى ملّى و اسلامى در ايران** : ١٢٥ . علماً أنّ بين المعتزلة مَن كان عثمانيّ الهوى.

٢ - **الكامل** ٦ : ٤٠٦ . عندما همّ المأمون بلعن معاوية، فثناه يحيى بن أكثم، و قال : العامّة لا تحتمل هذا، و لا سيّما أهل خراسان. **المحاسن والمساوىء** ١ : ٢٣١ ، **أخبار الموفقيات** : ٤١ و لو صحّ هذا الخبر، فإنّه يدلّ على أنّ الميول السنّيّة الأُمويّة كانت لا تزال معشعشة في خراسان. بيد أنّ الّذي يبدو هو عدم صحّته نظراً إلى ما عرف عن خراسان من سوابق مضادّة للأُمويّين.

وكان يفضّل عليّاً - عليه‌السّلام - و يقول: «هو أفضل الناس بعد رسول‌اللّه[١]».

هذا تشيّع ضعيف. و على الرغم من أنّ أصحابه كانوا يقدّمون رأي عليّ - عليه‌السّلام - على غيره في المسائل الفقهيّة أحياناً، بيد أنّهم لم يقرّوا بامامة الأئمّة - عليهم‌السّلام. و هؤلاء كانوا منبثّين بين أبناء السنّة، و منهم المحدّث الشهير عبدالرزّاق صاحب المصنّف و عبداللّه بن موسى أحد مشايخ بخارى[٢].

و ينبغي أن نضع في حسابنا دائماً أنّ العقائد الدينيّة الّتي كان يحملها كثير من الحكّام والسلاطين قد تصطبغ بصبغة سياسيّة تغطّي على صبغتها الدينيّة[٣]. أي: إنّ طابعها السياسي يغلب على طابعها الديني مرّات.

على أيّ حال، كان للموقف العلني الّذي اتّخذه المأمون تأثيره الخاص. لا سيّما أنّ جُلّ اعتماده كان على الشيعة في بادىء أمره. أي: على الّذين كانوا يرون أفضليّة عليّ - عليه‌السّلام. و بخاصّة انّهم يفكّرون تفكيراً اعتزاليّاً. و نُقل «أنّ المأمون لمّا قدم العراق حظر أن يُقلّد الأعمال إلاّ الشيعة الّذين قدموا معه من خراسان».

و عندما اقتنع أخيراً أن يستعين بغير الشيعة، فإنّه صمّم على أن يجعل مع كلّ واحد من هؤلاء رجلاً شيعيّاً[٤]. بيد أنّه نفسه كان يتشدّد كثيراً على الشيعة الإماميّة الّذين كانوا يتطلّعون إلى مستقبل أفضل. و في ضوء ما نقله الفضل بن شاذان، فإنّه عندما بلغه أنّ محمّد بن أبي عمير يعرف أسماء الشيعة في العراق، استدعاه ليخبره بها. لكنّه لم يقل شيئاً على الرغم من تحمّله أكثر من مائتي سوط[٥].

الدولة الطاهريّة والتشيّع

كان طاهر بن الحسين قائد قوّات المأمون. وهو الّذي هزم محمّد الأمين، فعزّز بذلك موقع المأمون. ثمّ وجّهه المأمون إلى خراسان حاكماً عليها. و تعتبر حكومته أوّل حكومة مستقلّة تتمتّع بدعم عاصمة الحكم العبّاسي. و امتدّت الدولة الطاهريّة من سنة ٢٠٥ هـ

---

١ - الكامل ٦ : ٤٠٨ . و انظر : مروج الذهب ٣ : ٤٥٤ .

٢ - الكامل لابن الأثير ٦ : ٤٠٦ ـ ٤١١ .

٣ - ذُكر هذا الرأي بخاصّة في المأمون . انظر : عصر المأمون ١ : ٣٧١ .

٤ - العيون و الحدائق : ٤٥٠ ـ ٤٥١ .

٥ - مجالس المؤمنين ١ : ٤١٤ .

إلى سنة ٢٥٩ هـ.

قيل: إنّ طاهر بن الحسين بل الطاهريّة كلّها كانت تتشيّع[١]. و يبدو أنّ مصدر هذا القول رواية تحكي أنّ طاهراً أسقط اسم المأمون من الخطبة في خراسان، و وضع مكانه اسم القاسم بن علي أحد العلويّين[٢]. و لعلّ السبب في ذلك ما أُشيع أنّ سليمان بن عبدالله بن طاهر عندما تقابل مع الحسن بن زيد العلوي في جرجان، انهزم له لعرق التشيّع الّذي كان في بني طاهر[٣]. بيد أنّ هذا الموضوع لا يمكن قبوله. و لو فرضنا وجود شيء من التشيّع عندهم، فإنّه من النوع الّذي كان يحمله المأمون، و نسبه إليه ابن الأثير أيضاً[٤].

كما ذكر المسعودي ذلك قائلاً: «كان المأمون يظهر التشيّع[٥]». و نلحظ وجود أدلّة كثيرة تدحض نسبة التشيّع إلى طاهر و أبنائه.

و ينقل ابن الأثير نفسه أنّ المأمون عندما سمع أنّ عبدالله بن طاهر يميل إلى ولد عليّ بن أبي طالب، و كذا كان أبوه قبله، أشخص إليه رجلاً ليدعوه إلى القاسم بن إبراهيم بن طباطبا. لكنّه امتنع و أعلن عن عدم استعداده لخيانة وليّ نعمته المأمون. فاستبشر المأمون عندما سمع بذلك[٦].

و ثمّة دليل آخر يقول إنّ محمّد بن عبدالله بن طاهر عندما أخذ يحيى بن عمر العلوي، و أُرسل إلى عاصمة الحكومة العبّاسيّة، اعترض عليه أخوه عبيدالله قائلاً له: عملت خلاف عهد طاهر! ذلك أنّه كان قد رأى عليّاً - عليه‌السّلام - في منامه وهو يقول له: «واحفظني في ولدي فإنّك لا تزال محفوظاً ما حفظتني في وُلدي[٧]». و حينئذٍ قال محمّد بن عبدالله: أنا أيضاً سمعت البارحة في المنام قائلاً يقول: «يا محمّدا نكثتم[٨]».

و بينما نستشفّ من هذه الحادثة احترام العلويّين، فإنّها تكشف لنا أيضاً إساءة

---

١ - الكامل ٧: ١٣٢، حوادث سنة ٢٥٠ هـ.

٢ - تاريخ إيران پس از إسلام: ٥٤٠.

٣ - تاريخ ابن خلدون ٤: ٢٢.

٤ - الكامل ٦: ٤٣٨. و المأمون الّذي نسب إليه التشيّع، جهّز جيشاً بقيادة علي بن هشام لأخماد ثورة القميّين، فأفلح في ذلك بعد ارتكابه مذابح كبيرة، ٦: ٣٩٩. فتوح البلدان: ٣١١؛ النجوم الزاهرة ٢: ٩٠؛ تجارب الامم لابن مسكويه ٦: ٤٦٠؛ تاريخ الطبري ١١: ١٠٩٣.

٥ - مروج الذهب ٣: ٤١٧.

٦ - الكامل ٦: ٤٠٢؛ الفتوح ٨: ٣١٩ و ٣٢٠.

٧ - مقاتل الطالبيّين: ٤٢٠.

٨ - نشوار المحاضرة ٢: ٢٤١.

الطاهريّة.

و قال ابن الرومي بمناسبة قتل يحيى :

بني طاهرٍ غضُّوا الجفونَ و طأطئوا   رؤوسَكُم مِمّا جنتْ أمُّ عامرِ

و قال أبو هاشم الجعفري لمحمّد بن عبداللّه بن طاهر : إنّك لتهنّأ بقتل رجل لو كان رسولاللّه حيّاً لعُزّي عليه[1]. و نقرأ انعكاس هذه الإساءة الّتي لا صلة لها بمحبّة عليّ – عليه‌السّلام – فضلاً عن التشيّع له في كلام ابن اسفنديار إذ يقول : «كانت معاملة الطالبيّين سيّئة مع أولاد طاهر بن الحسين على طول الخط، و ذلك بسبب قتل محمّد بن عبداللّه بن طاهر، يحيى بنَ عمر في الكوفة»[2]. و لعلّ هذا هو الّذي دفع الحسن بن زيد إلى قتل عبداللّه بن عزيز أحد إخوة الطاهريّين[3].

يقول فراي في مذهب الطاهريّين: كان الطاهريّة على مذهب السنّة. و كانوا يهاجمون أتباع المذهب الشيعي، والرافضة الآخرين في مناطق نفوذهم بدعم كانوا يتلقّونه من الجهات المسؤولة في البلاط العبّاسي[4]».

وكذلك نرى عبداللّه بن طاهر يضيّق على الفضل بن شاذان في نيسابور بسبب عقائده الشيعيّة[5].

و نقل أيضاً أنّ المأمون عندما قُتل الإمام الرضا ـ عليه‌السّلام ـ و عاد إلى بغداد فإنّه «بدّل اللباس الأخضر الّذي كان شعار العلويّين بالتماس طاهر بن الحسين ـ نتيجة إصرار العبّاسيين و تأكيدهم[6]». و لعلّ منشأ هذا الركون هو الاحترام الّذي أبداه طاهر للإمام الرضا– عليه‌السّلام – عند لقائه إيّاه[7]. علماً أنّ هذا العمل لا يترجم لنا اتّجاهاً شيعيّاً.

---

١ - نثرالدر ١ : ٣٨٢ ـ ٣٨٣ .
٢ - تاريخ طبرستان ١ : ٢٣٨ .
٣ - نفسه : ٢٤٣ .
٤ - بخارا دستاورد قرون وسطى : ٥٧ . و لعلّ فيه إشارة إلى قمع ثورة يحيى بن عمر العلوي، و كذلك قمع محمّد بن القاسم على يد عبداللّه بن طاهر. انظر : تاريخ طبرستان ١ : ٢٢٧ .
٥ - رجال الكشّي : ٤٥٢ .
٦ -تاريخ ايران بعد از اسلام : ٤٩٨ ـ ٤٩٩ . الأوائل للعلّامة التستري : ٥٩ ؛ تاريخ الطبري ١٠ : ٢٥٥ . الفتوح ٨ : ٣٢٤ . و عرض ذلك عبداللّه بن طاهر.
٧ - تاريخ بيهقي : ١٤١ ، ١٤٢ (فارسي).

و على الرغم من عدم وجود النزعات الشيعيّة، فإنّ الخراسانيّين كانوا يحترمون أهل البيت - عليهمالسّلام - كما مرّ بنا ذلك. و إنْ كان الخوارج قد اتّخذوا من خراسان قاعدة لبعض حركاتهم المناهضة للحكومات[1]. كما أنّ الميول السنّيّة الأصيلة الّتي هي نفسها الميول الأمويّة كانت موجودة في خراسان إبّان عصر المأمون[2].

و في ختام هذا البحث، نرى من الضروري التذكير بهذه النقطة، و هي أنّ البعض أراد أن يوازن تشيّع الطاهريّين باستقلالهم و فارسيّتهم، بينما نجد سقم الاثنين من الوجهة التاريخيّة.

أمّا القسم الأوّل فقد تحدّثنا عنه.

و أمّا القسم الثاني فنختمه بكلام لأحد المستشرقين يقول فيه: «لا نجد في عهد الطاهريّين شيئاً من النزعة القوميّة الفارسيّة[3]». و قيل: «إنّ عبداللّه بن طاهر أمر باحراق كلّ كتاب عجميّ[4]».

و أشار فراي إلى أنّ بعض المصادر تحدّثت عن تعاطف آل سليمان بن عبداللّه بن طاهر مع العلويّين، لذلك لم يكن تسييره الجيش إلى طبرستان جدّيّاً. و قال المشار إليه: «يبدو أنّ هذه النسبة (وجود الميول العلويّة) لا أساس لها من الصحّة أبداً. و أضاف أنّ شعراء الشيعة قد هجوا الطاهريّين، مثل دعبل بن علي[5]».

ثورة محمّد بن القاسم في خراسان

و هو من نسل الإمام الحسين - عليهالسّلام. ثار بالطالقان من خراسان سنة ٢١٩ هـ. و نسب إليه أنّه يرى رأي الزيديّة، بل كان من الفرقة الجاروديّة كما نقل الأصفهاني[6]. وكان

---

١ - الكامل ٦ : ٤١٤. كانت لطاهر حروب متكرّرة مع الخوارج في المناطق الجنوبيّة و الجنوبيّة الشرقيّة من ايران، بيد أنّ الخوارج تمرّدوا مرّة في نيسابور ذاتها.

٢ - عصر المأمون ١ : ٣٧١؛ تاريخ بغداد ٦ : ٧٥.

٣ - عصر زرّين فرهنگ ايران : ٢٠٤.

٤ - تاريخ إيران از اسلام تا سلاجقة : ٩٣.

٥ - نفسه : ٩٤.

٦ - مقاتل الطالبيّين : ٣٨٤. يرى الجاروديّة أنّ رسول اللّه - صلّى اللّه عليه و آله - نصّ على عليّ - عليه السّلام - بالوصف دون الاسم.

و قال صاحب عمدة الطالب أيضاً : و هو أحد أئمّة الزيديّة. انظر : ص ٣٠٦.

ابتداء أمره أنّه لازم المدينة، فأتاه رجل من خراسان قد شغفه حبّاً فقال له : أنت أحقّ بالإمامة من كلّ أحد، تعال معي إلى خراسان. و بايعه، ثمّ جاء إلى خراسان فبايعه عدد من أهلها[١]. وكانت دعوته -كدعوة أكثر العلويّين- إلى «الرضا من آل محمّد- صلّى اللّه عليه و آله[٢]».

و ذكر إبراهيم بن عبداللّه الّذي كان يرافقه أنّ سبعة عشر كوفيّاً كانوا معه. و دعوا الناس بخراسان إليه حتّى استجاب له أربعون ألفاً. و قال المذكور: «أنزلناه في رستاق من رساتيق مرو و أهله شيعة كلّهم[٣]». و هذا معلَم على اتّساع نطاق النزعات الشيعيّة بخراسان.

وكان عبداللّه بن طاهر والياً عليها من قبل المعتصم آنذاك، فتوجّه إلى محمّد بجيش عظيم. و بعد وقعات جرت بين الطرفين، و دامت مدّة من الزمن اندحر فيها جيش ابن طاهر مرّات، تمكّن الأخير من هزيمة محمّد. و لعلّ سلوك محمّد هو الّذي فرّق كثيراً من أصحابه عنه.

و قال الطبري: فخرج بعد هزيمته يريد بعض كور خراسان، وكان أهله قد كاتبوه، و طلبوا منه التوجّه إليهم[٤]. لكنّه اعتقل في مدينة نسا، و وقع في قبضة عبداللّه بن طاهر. فأرسله إلى عاصمة الحكومة العبّاسيّة. و سجن هناك، ثمّ هرب من السجن. و لا نعلم شيئاً عنه بعد ذلك. و يذهب الأصفهاني إلى أنّه توجّه تلقاء واسط.

وكان نفوذ الشيعة، أو مودّة أهل البيت - عليهم‌السّلام - في الأقلّ، باعثاً على أن يأمر عبداللّه بن طاهر بأخذ محمّد بن القاسم إلى بغداد في جوف الليل لئلّا يثير أتباعه مشكلة لهم[٥].

و احتفظ محمّد بنفوذه بين الشيعة الزيديّة في ايران حتّى القرن الرابع الهجري. يقول المسعودي في حوادث سنة ٣٢٢ هـ: و انقاد إلى إمامته خلق من الزيديّة. و يزعم بعضهم أنّه لم يمت، و أنّه مهديّ هذه الأمّة. و أكثر أتباعه يتواجدون بالكوفة، و طبرستان، والديلم، وكثير من كور خراسان[٦].

---

١ - الكامل لابن الاثير ٦ : ٤٤٢ . حوادث سنة ٢١٩ هـ.

٢ - تاريخ الطبري ٧ : ٢٢٣ .

٣ - مقاتل الطالبيّين : ٣٨٥ .

٤ - تاريخ الطبري ٧ : ٢٢٤ .

٥ - مقاتل الطالبيّين : ٣٨٩ .

٦ - مروج الذهب ٣ : ٤٦٥ .

إنّ الاعتقاد بمهدويّته ناتج عن اختفائه غالباً، بعد فراره من السجن، حتّى إنّنا لم نحصل على معلومات دقيقة عنه حينئذٍ.

حكومة العلويّين في طبرستان

تعرّضت المناطق الشماليّة في إيران للهجوم منذ أواخر عهد عثمان. و تصالح أهالي مازندران مع المسلمين على دفع الجزية طيلة القرن الأوّل والثاني. أمّا أهالي جيلان والديلم فقد صمدوا أمامهم ردحاً من الزمن. و ما استسلموا إلّا بقبول الإسلام الزيدي فحسب. و ظلّوا على عدائهم الشديد للمسلمين حتّى العصر الّذي حكم فيه العلويّون مناطقهم. و كانوا يقومون بهجماتهم المستمرّة ضدّ المناطق الجنوبيّة، لا سيّما قزوين الّتي كانت حصناً حصيناً للمسلمين، والحدّ الفاصل بين الكفّار والمسلمين يومئذٍ. و رأينا قبل ذلك أنّ يحيى بن عبداللّه ثار فيها، ثمّ استسلم بعد حين.

و تكشف لنا هذه الحركة نقطتين: الأولى : وجود عدد من العلويّين في طبرستان. والأخرى: العناية الخاصّة الّتي كان يوليها أهل الديلم بهم. و من المحتمل أنّ أحد البواعث الرئيسة على هذه الوحدة (مع أنّ الاسلام لم يتغلغل في تلك المنطقة بعد) هو وجود العدوّ المشترك المتمثّل بالعبّاسيّين. و كان لجوء العلويّين إلى هذه المنطقة بسبب عجز الجيوش العبّاسيّة من التسرّب فيها. يضاف إلى ذلك، وجود العداء بين أهلها و بين حكّامهم. و كانت منطقة طبرستان خاضعة لنفوذ الطاهريّين. و عندما ظفر محمّدبن‌عبداللّه بن طاهر بيحيى بن عمر الطالبي، أقطعه المستعين شالوس وكُلار. و وجّه محمّد إليهما نائبه جابر بن هارون النصراني. و حينما كان سليمان بن عبداللّه بن طاهر حاكماً على طبرستان، فإنّ عامله فيها هو محمّد بن أوس البلخي الّذي كان مستحوذاً عليه. ففرّق أولاده الأحداث في مدن طبرستان المختلفة، فأساؤوا إلى أهلها. ممّا أدى إلى تشويه سمعة آل طاهر. و لم تقف اعتداءات محمّد بن أوس عند طبرستان فحسب، بل هاجم الديلم أيضاً و آذى أهلها بالضرب والشتم. و سبى منهم جماعة[١].

و توجّه عدد من الناس إلى أحد العلويّين في طبرستان و يُدعى: محمّد بن إبراهيم،

---

١ - الكامل ٧: ١٣٠؛ أعيان الشيعة ٢٢: ١٤٧ - ١٤٨.

و طلبوا منه أن يقودهم. بيد أنّه أرشدهم إلى الحسن بن زيد الّذي لقّب بالداعي الكبير فيما بعد.

و يمكن أن تكون هناك بواعث عديدة وراء التوجّه إلى العلويّين. و أوّلها أنّ العلويّين كانوا معروفين بالنزاهة والعفّة. و في ضوء ما نقله ابن اسفنديار فإنّ الناس عندما كانوا يرون السادة المقيمين في مناطقهم، يعتقدون بزهدهم و علمهم و ورعهم. و كانوا يقولون: السادة هم الّذين يمثّلون السيرة الإسلاميّة[1]. ثانياً: كان العلويّون يعارضون العبّاسيّين، والطاهريّين على نحو خاص. و قبل ذلك، كان محمّد بن عبدالله بن طاهر الحاكم الحقيقي لطبرستان، و يُنظَر إليه على أنّه قاتل يحيى بن عمر العلوي الّذي خرج في الكوفة. و من هذا المنطلق، كان الطالبيّة يشنأون أولاد طاهر بن الحسين دائماً[2]. و طبيعيّاً أنّ هؤلاء يستطيعون أن يخلّصوا أهالي طبرستان من شرّهم بالنظر إلى هذا الشنآن.

و كان الحسن بن زيد يعيش في الري الّتي تمثّل مركزاً آخر من مراكز العلويّين. و قد تحسّنت كثيراً آنذاك، و نفضت عنها غُبار النَصْب (نصب العداء لأهل البيت - عليهم‌السّلام) و مالت إلى العلويّين[3].

و رحل الحسن بن زيد إلى طبرستان بعد دعوة أهلها إيّاه. فاتّخذت طابعاً جديداً بدخوله فيها. و في ضوء ما قاله ابن اسفنديار، فإنّ أهل طبرستان بجملتهم قبلوا بيعته[4].

و أفلح في السيطرة على هذه المنطقة بعد اشتباكات و اصطدامات متكرّرة مع حكّامها الطاهريّين.

و كانت آمل، و ساري، و حتّى جرجان، و جيلان، والديلم من المناطق الّتي حكمها العلويّون طيلة عشرين سنة، و قد تخلّلتها اصطدامات متفرّقة مع الطاهريّين حيناً، و مع يعقوب بن الليث الصفّاري حيناً آخر، فانهزموا و تراجعوا بعد مدّة. بيد أنّ هذه المنطقة الوعرة - الّتي لم يتمكّن أحد من السيطرة عليها إلّا الديالمة - ظلّت بيد العلويّين الّذين

---

١ - تاريخ طبرستان لابن اسفنديار ١ : ٢٢٩ . ٢ - نفسه : ٢٣٨ .

٣ - انظر : المعيار و الموازنة لابن الاسكافي : ٣٢ ، تصحيح : المحمودي. و لعلّ أهل الري أكثروا في نصبهم بادىء الأمر، و عندما تسلّط العبّاسيّون أخذ أبومسلم أملاكهم و لم يردّها عليهم إلّا السفّاح. انظر : تاريخ ابن خلدون ٣ : ١٢٦ . ٤ - تاريخ طبرستان لابن اسفنديار ١ : ٢٣١ .

كانوا يتحبّبون إلى الناس[١].

و تُعتبر حكومة العلويّين في طبرستان أوّل حكومة تأسّست في الشرق الإسلامي بعيدة عن دعم العبّاسيّين. لذلك لم ترقهم، فحرّضوا يعقوب بن الليث الصفّاري على الاطاحة بها[٢].

و كان اضطراب الأوضاع في العراق و جنوب إيران بسبب ثورة الزنج سنة ٢٥٥ هـ، وكذلك تخلخل الوضع في خراسان نتيجة الاصطدامات القائمة بين الصفّاريّين و الطاهريّين، كلّ ذلك ساعد طبرستان على أن تعيش الهدوء و الاستقرار. و على حدّ تعبير المرعشي «فإنّ الداعي استقلّ بالحكومة في طبرستان خلال تلك الفترة[٣]».

و استطاع الداعي طيلة حكومته الّتي امتدّت من سنة ٢٥٠ حتّى سنة ٢٧٠ هـ أن يتغلّب على مناطق الري، و زنجان، و قزوين عدّة مرّات[٤]. و بعث في تلك السنة أحد العلويّين، و هو محمّد بن جعفر، إلى المناطق المذكورة بيد أنّه وقع في فخّ الطاهريّين بعد حين[٥]. و نهض الحسين بن أحمد العلوي في قزوين سنة ٢٥١ هـ، و طرد ولاة الطاهريّين منها[٦]. كما أنّ الحسين بن زيد، و هو أخو الحسن بن زيد، بويع في لاريجان، و قصران (شمال طهران الحاليّة) و ذلك عندما استولى أخوه على ساري آنذاك[٧].

هذه الانتفاضات قامت ـ في الحقيقة ـ مع تحرّك العلويّين في شمال إيران. و فجّر العلويّون عشرات الانتفاضات في مصر، والعراق، والحجاز، و إيران خلال تلك الفترة. و ذكرها الطبري، و ابن الأثير في كتابيهما.

و كان الحكّام العبّاسيّون يرون في طبرستان قاعدةً لجميع هذه التحرّكات. بخاصّة أنّ

---

١ - ذكر الطبري و ابن الأثير هذه الحوادث مفصّلة. و انظر أيضاً: **جنبش زيديّة در إيران** : ٧٥ فما بعدها. و **أعيان الشيعة** ٢٢ : ١٤٤ فما بعدها.

٢ - انظر : **تاريخ ابن خلدون** ٣ : ٣٠٩ .

٣ - **تاريخ طبرستان و رويان و مازندران** : ٢٩٠ ـ ٢٩١ .

٤ - يقول الطبري : «فاجتمعت للحسن بن زيد مع طبرستان، الري إلى حدّ همدان». انظر: **تاريخ الطبري**، وقائع سنة ٢٥٠ هـ.

٥ - **الكامل** ٧ : ١٣٣ .

٦ - نفسه : ١٦٥ .

٧ - انظر : **تاريخ طبرستان** لابن اسفنديار ١ : ٢٣٣ ؛ **تاريخ رويان** لأولياءاللّه : ٩٠ ؛ **تاريخ طبرستان** للمرعشي : ١٣٢ . نقلاً عن **قصران** لمؤلّفه كريمان ١ : ٢٩٤ .

حكومة العلويّين لم تعترف بالحكومة العباسيّة في بغداد. و يمكن أن يشكّل هذا التوجّه إنذاراً بظهور حكومات مستقلّة أُخرى. لا سيّما أنّهم كانوا يشتبكون مع أنصار الحكم العبّاسي بكلّ عنف. كما نقل ابن اسفنديار «أنّ الحسن بن زيد كان يقتل كلّ متعاطف مع المسوّدة (العبّاسيّين)، و ينحي باللائمة على كلّ واحد من هؤلاء حتّى وجفت قلوب الناس، فلم يفكّروا إلاّ بطاعته و استرضائه[1]».

من هذا المنطلق كان العبّاسيّون يرغبون كثيراً في قمع هذا التحرّك. و على الرغم من أنّهم لم يعتبروا يعقوب بن الليث عنصراً صالحاً، بيد أنّهم شجّعوه و دعموه في تحرّكه نحو طبرستان. لكنّه هزم و رجع خائباً بعد أن قصدها في سنة ٢٦٠ هـ. و قد سبق أن بعثوا موسى بن بغا، و مفلحاً قبله للقضاء على الحكومة العلويّة، و نجحا نوعاً ما لولا موت المعتزّ الّذي سبّب رجوعهما إلى بغداد، فاستولى الحسن بن زيد مرّة أخرى على طبرستان.

و يرى البعض أنّ الحسن بن زيد كان زيديّ الاتّجاه. بينما يرى آخرون أنّه من سادات الشيعة و علمائهم، و أحد ولاة الإماميّة[2].

طبيعيّاً، إذا كان الحسن زيديّاً، فإنّ فقهه فقه حنفي. و بغضّ النظر عن تشابه الفقه الحنفي والزيدي. فانّ للفقه الزيدي قواسم مشتركة مع الفقه الاثني عشري أيضاً، لا تمتّ بصلة إلى الفقه السنّي حتّى عصر زيد بن عليّ، بل هي مختصّة بالشيعة. و ظلّت هذه القواسم وحدها للزيديّة من الفقه الشيعي، ولم يزيدوا عليها شيئاً، و تمسّكوا بالفقه الحنفي لأسباب مختلفة.

و نقل عن عمر بن إبراهيم بن محمّد أبي البركات الحسيني الزيدي الكوفي الّذي كان أحد علماء الزيديّة الكبار في القرن الخامس والسادس (م ٥٣٩) أنّه قال: «أنا زيديّ لكنّي أفتي على مذهب أبي حنيفة[3]».

و نلحظ هذه القواسم في التعليمات الدينيّة للحسن بن زيد. فقد ذكّر ولاته كافّة بعدد من النقاط ليعملوا في ضوئها. منها: العمل بكتاب اللّه و سنّة رسوله - صلّى اللّه عليه وآله - و ما نقل عن أميرالمؤمنين - عليه السّلام - في الأُصول والفروع بطريق صحيح،

---

١ - تاريخ طبرستان لابن اسفنديار ١ : ٢٤٢. ٢ - رياض العلماء ١ : ١٨٨.

٣ - الطبرسي و مجمع البيان، كريمان ٢ : ١٧.

و تفضيل عليّ - عليه‌السّلام - على جميع الأمّة إلّا رسول‌اللّه - صلّى‌اللّه عليه و آله؛ ونهي الناس عن القول بالجبر و التشبيه، و مخالفة الموحّدين الّذين يعتقدون بالعدل والتوحيد؛ و كذلك نهيهم عن نقل الحديث في تفضيل أعداء اللّه[١] و أعداء عليّ - عليه‌السّلام. و تكليفهم باجهار البسملة في الصلاة، و الإتيان بالقنوت في الصلوات الخمس كلّها (على عكس أهل السنّة[٢])، والتكبير خمساً في صلاة الميّت (عند السنّة أربع تكبيرات)، و نهي الناس عن المسح على الجورب، و إلزامهم باضافة «حيّ على خير العمل» في الأذان والإقامة، و تثنية الأذكار في الاقامة. و أعلن في ختام تعليماته أنّ من خالف أمرهم، فهو ليس منهم[٣].

تتّفق هذه الأحكام -كما مرّ بنا- مع فقه الشيعة الإماميّة. لكنّها لا تدلّ على تشيّع إمامي، لأنّ الزيديّة يعتقدون بهذه الأحكام نفسها في نطاق محدود. و قال المرحوم الأمين في الحسن بن زيد: أظهر مذهب أهل البيت في الأصول والفروع، و دعا إلى الرضا من آل محمّد[٤]. و عندما نقوم بدراسة دقيقة لإحدى رسائله المسمّاة بالحسبة، و كذلك لكتاب الإبانة، فإنّنا نفهم منهما أنّه مؤلّف الكتب المهمّة للزيديّة[٥]. و بغضّ النظر عن نشاطاته الشيعيّة، فقد نقل ابن حوقل أنّه كان واسطة لإسلام جماعة من الديالمة، في وقت كان الناس ما زالوا على كفرهم حتّى تلك الفترة[٦]. يضاف إلى ذلك، أنّه جاهد الكفّار، و قتل منهم ألفين، و وقعت غنائم كثيرة في يده قسّمها على الديالمة. و بذل جهوده لرفع الظلم عن طبرستان و محاربة الفساد فيها. و عندما سمع أنّ بعض الديالمة سرقوا، نصحهم في بادىء الأمر. و لمّا لم يقبلوا نصيحته، قطع أيدي و أرجل ألف شخص منهم[٧]. و في اليوم

---

١ - لعلّ المقصودين هنا هم الخلفاء. و حينئذٍ تثبت إماميّته إلى حدٍّ ما، ذلك أنّ الزيديّة لا يرون ذلك.

٢ - جاء في عبارة أخرى: القنوت في صلاة الفجر. و لذلك أراد المؤلّف أن يؤكّد على زيديّته من خلال وجوب القنوت في صلاة الفجر عند الزيديّة. انظر: **قصران ١: ٢٩٧**.

٣ - **تاريخ طبرستان و رويان و مازندران للمرعشي**: ٢٨٨؛ **أعيان الشيعة ٢١: ١٥٦**؛ **تاريخ طبرستان لابن اسفنديار** ١: ٢٣٩.

٤ - **أعيان الشيعة ٢١: ١٤٢**.

٥ - انظر: **مجلّه فرهنگ**، العدد الأوّل خريف ١٩٨٧ م، ص ١٩٠.

٦ - **صورة الأرض**: ٣٢٠؛ **المسالك و الممالك**: ١٢١؛ **تاريخ ابن خلدون ٣**: ٢٨١.

٧ - **تاريخ طبرستان و رويان و مازندران للمرعشي**: ٢٩٢.

الأوّل الّذي بويع فيه، جعل أساس بيعته العمل بكتاب اللّه و سنّة رسوله- صلّى اللّه عليه و آله - والأمر بالمعروف، والنهي عن المنكر[1].

و قال ابن الأثير: «الحسن بن زيد كان متواضعاً للّه[2]».

إنّ حكومة العلويّين في طبرستان شجّعت كثيراً من السادة على التجمّع فيها، و من ثمّ إرساء دعائم التشيّع هناك. يقول المرعشي: «لمّا كان الداعي رؤوفاً بالسادة عطوفاً عليهم، التفّ حوله كثير منهم. فكان إذا ركب، ركب معه ثلاثمائة سيّد مقاتل و هم يحملون سيوفهم[3]».

و يقول ابن اسفنديار أيضاً: «... والتحق به يومئذٍ السادة العلويّون و بنو هاشم من الحجاز و أطراف الشام والعراق، و عددهم عدد أوراق الأشجار، فبرّهم و أكرمهم جميعاً. وكان كلّما ركب، أحاط به ثلاثمائة علويّ شاهرين سيوفهم[4]».

و استحكم الأساس العلمي للفقه و العقائد الشيعيّة في طبرستان من خلال كتب الحسن بن زيد نفسه. و نسب إليه ابن النديم عدداً من الكتب، منها: الجامع في الفقه، وكتاب البيان، و كتاب الحجّة في الإمامة[5].

و يُستشفّ من كتابه الأخير، بخاصّة، نوعاً من التشيّع الّذي يرى أنّ الإمامة من اللّه. و هذا التشيّع لا يمكن أن يكون تشيّعاً زيديّاً، إذ إنّ الزيديّة لا يقرّون بهذه الرؤية الصريحة في الإمامة. ولعلّ المقصود هو التشيّع الإثنا عشري. و يُستخلَص من رواية أُخرى أنّه كان يناهض العقائد المضادّة للشيعة في طبرستان بكلّ قوّة[6].

و يبدو أنّ الشيعة ذوي العقائد الإماميّة كانوا موجودين في بعض المدن و منها جرجان، قبل قيام حكومة العلويّين في تلك الأرجاء[7].

---

١ - تاريخ طبرستان و رويان و مازندران : ٢٨٣ . تاريخ طبرستان لابن اسفندديار ١ : ٢٢٩ .

٢ - الكامل ٧ : ٤٠٧ .

٣ - تاريخ طبرستان و رويان و مازندران للمرعشي : ٢٩٠ . العدد المذكور هو الصحيح كما ورد في المصدر المشار إليه. المعرّب

٤ - تاريخ طبرستان لابن اسفنديار ١ : ٢٤٣ .

٥ - الفهرست لابن النديم : ٢٢٤ . و نسب مؤلّف كتاب جنبش زيديّة هذه الكتب إلى محمّد بن زيد سهواً.

٦ - تاريخ طبرستان و رويان و مازندران للمرعشي : ٢٨٩ ؛ تاريخ طبرستان لابن اسفنديار ١ : ٢٤١ .

٧ - بحارالأنوار ٥٠ : ٢٦٣ .

و كان نائب الحسن بن زيد أخاه محمّد بن زيد الّذي نصبه أخوه والياً على جرجان. و أخذ الداعي الكبير البيعة لأخيه عند دنوّ أجله. بيد أنّ صهره أبا الحسين خرج بعد وفاته، و بايعه جماعة. و لكنّه هرب إلى شالوس بعد قدوم محمّد من جرجان.

و كانت المناطق الشماليّة في ايران يومذاك تعيش صراعاً بين ثلاث قوى، يمثّلها كلّ من عمرو بن الليث الصفّاري، و رافع بن هرثمة، و محمّد بن زيد. و كانت بغداد من جانب آخر تحاول أن تستغلّ الخلافات الناشبة بين هؤلاء الثلاثة لمصلحتها. فتنصّب أحدهم والياً على إحدى المدن، و تحرّض الآخر ضدّه ليخرج المدينة من قبضته. علماً أنّهم كانوا أنفسهم يتطلّعون إلى خراسان، والري أيضاً. لذلك كانت الحروب قائمة بينهم باستمرار للسيطرة على المنطقتين المشار إليهما.

و أخيراً، فرّ رافع بن هرثمة في إحدى الحروب، ثمّ قتل. و أمّا عمرو بن الليث فقد وقع في قبضة السامانيّين بخراسان. و هكذا خلت طبرستان لمحمّد بن زيد.

يقول المرعشي في هذا المجال: «... وصل في سنة ٢٨٢ هـ خبر مفاده أنّ إسماعيل بن أحمد الساماني قبض على عمرو بن الليث و قتله. فتفرّغ السيّد من كلّ الجهات تماماً، و ذاع صيته في الآفاق أنّه ذو همّة و مروءة. و رغب العرب، والعجم، والروم، والهنود، والملوك، و العلماء في استرضائه و مؤاخاته، فاشتهر بسمعته الطيّبة [١]».

و نستنتج من هذا التعبير أنّه كان متواضعاً مع الناس. و أنّ حكومته كانت من الحكومات الّتي جسّدت العدل العلوي في ايران.

و نقل ابن الأثير رواية تشعر أنّه كان يدعم العلويّين الرازحين تحت نير الظلم في العراق، والحجاز، عبر إرساله المساعدات الماليّة إليهم [٢].

و عندما أحكم السامانيّون قبضتهم على منطقة ماوراءالنهر، و تغلّبوا على عمرو بن الليث في خراسان، تطلّعوا إلى حكومة طبرستان. فوجّه إسماعيل بن أحمد الساماني جيشاً إليها، و حدثت مواجهة خطيرة بين الطرفين استُشهد الداعي فيها من فوره. و هكذا استولى السامانيّون على هذه المنطقة أيضاً. و سنتحدّث عن استمرار الحكومة العلويّة في القرن الرابع بعدُ.

---

١ - تاريخ طبرستان و رويان و مازندران للمرعشي : ٢٩٩.

٢ - الكامل ٤ : ٤٧٤.

مجالات تغلغل العلويّين في المناطق الإسلاميّة

عندما تسلّم العلويّون مقاليد الأُمور في طبرستان سنة ٢٥٠ هـ، فإنّ عدداً كبيراً منهم قد ثار في مناطق شتّى. و ينقل لنا التاريخ أنّ عام ٢٥١ هـ وحده شهد خروج بعضهم. و منهم : إسماعيل بن يوسف العلوي، والحسين بن أحمد بن حمزة، والحسين بن أحمد بن إسماعيل العلوي، و إسماعيل بن يوسف بن إبراهيم العلوي. و «خرج إنسان علويّ بنينوى[1]» على حدّ تعبير ابن الأثير.

و بلغت هذه الانتفاضات في الكثرة حدّاً جعل صاحب الزنج ينهض بنسب علوي. و قاوم خمس عشرة سنة تقريباً بعد توحيد الزنوج (٢٥٥ - ٢٧٠ هـ). و حكم في جنوب العراق و إيران ردحاً من الزمن بهويّة علويّة، إلى أن قُضي عليه في نهاية المطاف.

و تدلّ هذه الحركات على أنّ الفكر الشيعي قد بلغ ذروته على صعيد واسع. و هذا الشيّع ليس تشيّعاً عقيديّاً، بيد أنّه - في الأقلّ - تشيّع سياسي يحمل تفضيلاً للعلويّين على غيرهم. و من الجدير ذكره أنّ هذه الانتفاضات لم تقتصر على ايران، والعراق، بل امتدّت إلى مصر، والحجاز، و شمال أفريقية أيضاً. من هذا المنطلق، لا يمكن أن نعتبر هويّة التشيّع هويّة فارسيّة، لأنّ أكثر من سبعين بالمائة من هذه الانتفاضات كان في العراق، والحجاز، و شمال أفريقية، واليمن. و لا نجد في إيران إلاّ قسماً ظئيلاً منها.

و عندما عزم المعتضد العبّاسي سنة ٢٨٤ هـ على لعن معاوية بن أبي سفيان على المنابر، اعترضوا عليه. و كان قد همّ بإنشاء كتاب يستدلّ فيه بأحاديث على جواز لعنه. فأُنذر بنشوب فتنة عامّة !! فلم يقبل، إلى أن قيل له : إذا فعلتَ هذا، فما تصنع بالطالبيّين الّذين يخرجون من كلّ ناحية و يميل إليهم خلق كثير من الناس لقرابتهم من رسول اللّه - صلّى اللّه عليه و آله ؟ و لو سمع الناس ما في هذا الكتاب، كانوا إليهم أميل. فأمسك المعتضد عن ذلك[2].

والطريف هنا أنّه لم يخش تمرّد الناس الّذين يحبّون معاوية. لأنّهم ليسوا ممّن يؤبه لهم. لكنّه خشي الناس الّذين يميلون إلى العلويّين!

---

١ - نفسه ٧ : ١٦٤ - ١٦٥ .

٢ - الكامل ٧ : ٤٨٥ - ٤٨٦ .

و يدلّ هذا التوجّه على اتّساع تلك الحركة. و كان قبله المنتصر بن المتوكّل قد سار خلاف سيرة أبيه، و أظهر الميل إلى أهل البيت[١]. و يلحظ بين الحكّام أيضاً من كان محبّاً لأهل البيت - عليهم‌السّلام - كوالي سجستان في عصر من العصور[٢].

و نقرأ عن أفريقية أيضاً أنّ أبا عبدالله الشيعي ثار في سنة ٢٨٦ هـ بدعم الإمام الإسماعيلي عبيدالله بن المهدي، و استولى على أفريقية، و المغرب الأقصى، و مصر، والشام. و ثار يحيى بن الحسين في اليمن سنة ٢٩٠ هـ و أخضعها لسلطته[٣]. و في تلك الفترة نفسها أسّس العلويّون حكومتهم في طبرستان. فهذه كلّها آيات على مدى النفوذ الّذي كان يتمتّع به العلويّون والأفكار الشيعيّة في أرجاء العالم الإسلامي من غربه إلى شرقه. و لم يرتبط بإيران وحدها.

الأسرة الصفّاريّة و التشيّع

إنّ إحدى الأُسر الفارسيّة المستقلّة الأُخرى هي الأُسرة الصفّاريّة الّتي أطاحت بالأُسرة الطاهريّة من جهة، ثمّ ألوى بها الدهر بعد مدّة على يد السامانيّين، من جهة أُخرى. بيد أنّ أحفادهم ظلّوا يحكمون سجستان من قبل الغزنويّين و غيرهم ردحاً من الزمن. و كان يعقوب بن الليث أوّل أمير صفّاري. بدأ عمله بالدهاء، ثمّ أصبح أقوى حاكم في شرق إيران بعد أن أباد الأسرة الطاهريّة. توفّيّ بفارس سنة ٢٦٥ هـ. و خلفه أخوه عمرو الّذي لقي حتفه على يد السامانيّين.

و لا يمكننا الإدلاء بحديث قاطع عن مذهب آل الصفّار، إذ لم يستقرّوا على رأي

---

١ - مقاتل الطالبيّين : ٤١٩ . و نقل هذا في هامش الصفحة المذكورة عن مروج الذهب ٢ : ٢٨٤ ؛ الكامل ٧: ٣٧ - ٣٩ ؛ تاريخ أبي الفداء ٢ : ٤٤ . و لكن جاء في مصدر آخر أنّ المنتصر كتب إلى والي مصر بأن لا يقبل علويٌّ ضيعة، و لا يركب فرساً، و لا يسافر من الفسطاط إلى طرف من أطرافها. و أن يمنعوا من اتّخاذ العبيد إلّا العبد الواحد. و من كانت بينه و بين أحد من الطالبيّين خصومة من سائر الناس، قُبل قول خصمه فيه و لم يطالَب بالبيّنة. و هذا معلم على النفوذ الشعبي الّذي كان يتمتّع به العلويّون، و احتمال ثورتهم. الولاة و القضاء للكندي : ١٩٨ .

٢ - بحارالأنوار ٥٠ : ٨٦ .

٣ - تاريخ ابن خلدون ٣ : ٢٨ .

واحد، فمرّة يبدون للعبّاسيّين رضاهم آنياً، و أُخرى يصطدمون بالعلويّين في طبرستان[١]، و يحترمون العلويّين في سجستان حيناً، و يستعينون بالخوارج الّذين كانوا بين كرّ و فرّ في المناطق الجنوبيّة من ايران حيناً آخر. فهذه المواقف المتناقضة تجعل الحكم عليهم عسيراً. و ينبغي أن نقول: إنّهم كانوا يرون حكومتهم أهمّ من أيّ شيء آخر. فليس ضروريّاً عندهم التمسّك بأيّ مذهب من المذاهب. و في الوقت نفسه نلحظ أنّ الهويّة الشيعيّة تلصق بهم من أطراف عديدة. و كان هذا قد صدر غالباً عن أشخاص كانوا يهدفون إلى تشويه سمعتهم في القرن الثالث بين أُناسٍ كانوا يعتنقون المذهب السنّي. لذلك لا يمكن التعويل على هذا الإلصاق كوثيقة مقنعة تدلّ على تشيّعهم.

و نقل عن سجستان أنّ أهلها امتنعوا على بني أُميّة أن يلعنوا عليّ بن أبي طالب - عليه‌السّلام - على منابرهم. كما كان من عادتهم أن لا تخرج المرأة من منزلها أبداً، فإن أرادات زيارة أهلها فبالليل، و مع زوجها[٢].

و عرفت المدائن، و قم الشيعيّتان بهذه الصفة أيضاً. و يمكن أن يشكّل هذا معلماً على أرضيّة التشيّع في المدن المذكورة.

و تحدّث الخواجه نظام الملك عن دعوة القرامطة في بلاد ماوراء النهر، فذكر شخصاً يدعى أبا بلال كان منهمكاً في الدعوة الاسماعيليّة بهرات سنة ٢٩٥ هـ فوافت والي هرات محمّد بن هرثمة بتقرير عن نشاطه. و قال: قيل: إنّ أبا بلال هذا كان ينادم يعقوب بن الليث، و يدعو إلى نيابته في المذهب[٣].

و قال في موضع آخر: «خرج يعقوب بن الليث في مدينة سجستان و سيطر عليها، ثمّ جاء إلى خراسان فضمّها إلى حكومته. و تحرّك منها نحوالعراق و استولى عليه. و خدعه دعاة الاسماعيليّة فبايعهم على الفور. و لم يحسن نيّته مع الحاكم العبّاسي. و عزم على الذهاب إلى بغداد فمنعه الحاكم، بيد أنّه لم يطعه. فقال الحاكم: إخاله بايع الباطنيّة ... ثمّ جاء و أراد الاطاحة بالحاكم العبّاسي، فأرسل الحاكم إلى أمراء جيشه يعلمهم أنّه قد أظهر

---

١ - وردت إشارة إلى هذه القضيّة في رسالة الخوارزمي إلى شيعة نيسابور. انظر: **رسائل الخوارزمي**: ١٦٥ فما بعدها.

٢ - **آثار البلاد**: ٢٠٢ و انظر: **مجالس المؤمنين** ١: ١١٦.

٣ - **سياست‌نامه**: ٢٩٧. و من الجدير ذكره أنّ أخبار الخواجه ضعيفة جدّاً على ما يرى القزويني.

عصيانه، و اتّحد مع الشيعة، و عزم على الاطاحة بالعرش، و إجلاس المخالفين عليه[١]».

يستشفّ من هذا التعبير أنّ تهمة «الرفض» أو «الباطنيّة» هي من مخترعات جهاز الدعاية العبّاسيّة. و استُغلّت هنا لتشويه سمعة يعقوب عند السنّة. فاتّهامه بالإسماعيليّة - إذا نظرنا إلى الارتقاء النسبي للإسماعيليّين بوصفه خطراً - يوضّح لنا هذا الموضوع جيّداً.

طبيعيّاً، من هذا المنطلق ذاته ألصق المستوفي أيضاً تهمة الرفض بالأسرة الصفّاريّة[٢]. و لا أساس لها من الصحّة، و قد ذهب المرحوم الشوشتري إلى هذا الرأي أيضاً بقوله : «لا يخفى أنّ حكومة بني الليث في نيسابور كانت باعثاً عظيماً على بثّ المذهب الإمامي الحقّ فيها[٣]». و لم يشر مؤلّف كتاب تاريخ سيستان إلى مذهب يعقوب، إلّا في موضع واحد من كتابه ذكر فيه أنّ الخوارج جميعهم اتّحدوا مع يعقوب بن الليث[٤]. و قال يعقوب نفسه لأحد الخوارج: «لابدّ أن يكون لك و لأصحابك قلوب قويّة، فأكثر جُندي و أمرائهم منكم[٥]». و هذه القضيّة لافتة للنظر إذا أخذنا بعين الاعتبار تغلغل الخوارج في سجستان آنذاك. و جاء في موضع آخر من الكتاب أنّ يعقوب بن محمّد بن عمرو بن الليث كان على مذهب أصحاب الرأي غالباً. و أنّ أخاه طاهراً كان على مذهب أصحاب الحديث[٦]. و هذان الشخصان هما من أحفاد عمرو بن الليث شقيق يعقوب.

---

١ - سياست نامه : ٢٠ .
٢ - تاريخ گزيده : ٤٢٦ .
٣ - مجالس المؤمنين ١ : ١١٥ .
٤ - تاريخ سيستان ، تصحيح ملك الشعراء : ٢٠٩ .
٥ - نفسه : ٢١٨ .
٦ - نفسه : ٢٧٦ .

تاريخ امتداد التشيّع في الري

يمكن أن تشكّل دراسة التغييرات الّتي تطرأ على الوضع الديني لمدينة ما جزءً من دراسة عامّة للتطوّرات الدينيّة الكبيرة، كما يتسنّى لها أن تقدّم عوناً مناسباً في تبيين أسبابها و نتائجها.

و من الجدير ذكره أنّ التغيير الديني قد يكون مفاجئاً و منبعثاً عن وضع قسري و عوامل خارجيّة، و قد يكون تدريجيّاً و ناتجاً عن أسباب داخليّة. و لكلّ منهما طبيعته الخاصّة، و ينبغي دراسة كلّ واحد منهما على حِده.

و كان التطوّر الديني في مدينة الري تطوّراً تدريجيّاً امتدّ سبعة قرون. بدأ بالنزعة الناصبيّة (نصب العداء لأهل البيت - عليهم السّلام -) و خُتم بالتشيّع الإمامي. و أنّ الاهتمام بالمقارنة الجوهريّة بين النظرتين، و كذلك الأخذ بعين الاعتبار أنّ هذا التطوّر كان منبثقاً عن ظروف داخليّة و أسباب طبيعيّة، كلّ أولئك يمكن أن يمثّل تجربة قيّمة في دراسة التطوّرات الدينيّة. و قد لمسنا في تاريخ إيران و غيرها من الأقطار الإسلاميّة نزوعاً من المذهب السنّي إلى المذهب الشيعي أو بالعكس، و ذلك النزوع كان بفعل ظروف قسريّة. على سبيل المثال كان الناس في مدينة حلب من الشيعة و مازالت معالم التشيّع بادية فيها، بيد أنّ الضغوط الّتي مارستها الحكومة الأيوبيّة ثمّ العثمانيّة قد أدّت إلى أُفول شمس التشيّع في هذه المدينة، و لم يبق فيها إلّا آثار ضئيلة منه. علماً بأنّ أهالي بعض المناطق الأُخرى قد تشدّدوا في هذا المجال، و أصرّوا على مذهبهم تحدّياً منهم لتلك

الضغوط. و من هؤلاء أهالي جنوب لبنان. و أنّ مثل هذه التجارب تقلّ قيمتها بالنسبة إلى التطوّر الديني في الري، ذلك أنّ هذا التطوّر -كما مرّ بنا -كان تطوّراً تدريجيّاً و داخليّاً بدأ من نقطة «النصب» و انتهى بنقطة «التشيّع». و من الطريف أنّ الضغوط الكثيرة الّتي مارسها الغزنويّون والسلاجقة ضدّ شيعتها لم تقف عقبة في طريق نموّ التشيّع الإمامي فيها.

و نستعرض في هذا الفصل المسيرة الدينيّة التحوّليّة للري، و امتداد التشيّع فيها، و أسبابه، وكذلك نتحدّث عن جانب من الجهود الثقافيّة لشيعتها.

الابتعاد عن التشيّع

استقرّت القبائل العربيّة في نقاط مختلفة من بلاد فارس بعد رسوخ الإسلام فيها، و فتح الري. وكان حكّام الحواضر الفارسيّة ينصبون من قبل حكومة المدينة، ثمّ العراق، والشام. و نقرأ في التاريخ أنّ الولاة الّذين حكموا خلال تسعين سنة من العهد الأموي (٤١ - ١٣٢ هـ) كانوا ذوي نزعات أمويّة، و جهدوا في تربية الناس على أساس معتقداتهم الدينيّة. و يستشفّ من أخبار متعدّدة أنّ عملهم التبليغي ذلك قد ترك بصماته على الري.

و نُصب كثير بن شهاب حاكماً على الري من قبل المغيرة بن شعبة والي الكوفة. وكان هذا الحاكم يسيء الأدب إلى أميرالمؤمنين - عليه‌السلام - على المنبر عملاً ببدعة معاوية الّتي طُبّقت في جميع الأمصار يومذاك.

و قال ابن الأثير فيه: كان يكثر من سبّ عليّ على منبر الري[1]. و عُرف عن هذا الرجل سوابقه السيّئة في نزعته الناصبيّة ؛ فهو أحد الّذين شهدوا على حجر بن عديّ في الكوفة[2]، و استشهد حجر على يد معاوية بشهادة الزور الّتي أدلى بها هو و أمثاله. وهو الّذي صعد على سطح قصر الإمارة عندما حوصر القصر من قبل مسلم بن عقيل، و خذّل الناس عن مسلم حتّى تفرّقوا عنه[3]. وهو الّذي حرّض أهل الكوفة على الذهاب لقتال الإمام الحسين - عليه‌السّلام[4]. فإنّ وجود أمثال هؤلاء الحكّام في الري أدّى إلى طغيان الروح المعادية لأهل البيت - عليهم‌السّلام - فيها.

---

١ - الكامل ٣ : ٤١٣ - ٤١٤ . ٢ - البداية و النهاية ٨ : ٥٣ .

٣ - الأخبار الطوال : ٢٣٩ .

٤ - أنساب‌الأشراف ٢ : ١٧٨ (طبعة المحمودي) و انظر : ربيع الأبرار ١ : ٦١١ الهامش.

و نقرأ خبراً آخر نقله أبو دلف، و ذكره ياقوت، وهو يحكي لنا بنحو من الأنحاء مساهمة بعض الناس من مناطق الري في قمع انتفاضة يحيى بن زيد سنة ١٢٦ هـ، قال أبو دلف في القرن الرابع: كانت هناك مدينة (الري) تُدعى سورين. و رأيتُ بنفسي أنّ أهل الري يتكرّهونها، و يتطيّرون منها، و لا يقربونها. فسألت عن السبب، فأجابني شيخ من تلك الأرجاء: إنّ السيف الّذي قتل به يحيى بن زيد قد غُسل بمائها[١]. و هذا الخبر ذو بعدين. فهو يدلّ - من جهة - على ميولٍ غير شيعيّة لقسم من أهالي الري في القرن الثاني الهجري، و يشير - من جهة أُخرى - إلى حسّاسيّة أهاليها و ركونهم إلى أهل البيت - عليهم السّلام - في القرن الرابع.

و ثمّة خبر آخر يحوم حول النزعة الناصبيّة في الري، و يعود إلى عصر سقوط الدولة الامويّة على يد قوّات أبي مسلم الخراساني. ففي هذا العصر زعم العبّاسيّون و داعيتهم أبومسلم زوراً أنّهم يدافعون عن أهل البيت - عليهمالسّلام، و يدعون إلى «الرضا من آل محمّد»، بينما كانوا يضمرون الدعوة إلى أنفسهم.

توجّه حسن بن قحطبة من قبل أبي مسلم لاحتلال الري. و قال ابن الأثير: و لمّا استقرّ أمر بني العبّاس بالري، هرب أكثر أهلها لميلهم إلى بني أُميّة، لأنّهم كانوا سفيانيّة. و سلب جنود خراسان أموال الناس. فذهب أهل الري سنة ١٣٢ هـ إلى الكوفة عند السفّاح، و تظلّموا من أبي مسلم. فأمر السفّاح بردّ أموالهم. فأعاد أبو مسلم الجواب مذكّراً أنّهم أشدّ الأعداء، فلم يسمع قوله، و عزم على أبي مسلم بردّ أموالهم[٢].

و يدلّ هذا الخبر بوضوح على الميول الأُمويّة لأهل الري.

و نقرأ خبراً آخر يعضد ما ذكرناه - بشأن قسم عظيم من أهل المدينة في الأقلّ - وهو الخبر الّذي نقله ابن الإسكافي عنها. فقد ذكر ثلاث مدن بوصفها مدناً ناصبيّة قائلاً: «بلدان النصب: الشام والري و البصرة[٣]». و من الضروري الالتفات إلى أنّ ابن الأسكافي كان معتزليّاً شيعيّاً.

و يدلّ وجود عدد من الروايات المأثورة عن آل محمّد في ذمّ أهل الري على

---

١ - سفرنامهٔ أبو دلف: ٧٥ (طبعة مينورسكي)؛ معجم البلدان ٣: ٢٧٩.

٢ - الكامل ٥: ٣٩٦. و اشترك أهل الري بعد ذلك بتمرّد ضدّ المنصور.

٣ - المعيار و الموازنة: ٣٢.

الاتّجاهات والميول غير الشيعيّة القائمة هناك.

يقول ابن الفقيه الهمداني: ورد في أخبار آل محمّد أنّ الري ملعونة، و هي على بحر عجاج و تربتها تربة ديلميّة تأبىٰ أن نقبل الحقّ[١].

و ذكر المقدسي ذلك من غير أنّ يشير إلى القائل[٢]. و روى ياقوت عن الإمام الصادق عليه السلام أنّه قال: «الري و قزوين و ساوه ملعونات مشؤومات[٣]». و كانت هذه الحواضر الثلاث متعصّبة في التسنّن لا سيّما ساوه الّتي كانت في صراع مع مدينة آوه الّتي كان فيها شيعة[٤].

و جاء في رواية أُخرى عن الإمام الصادق عليه السلام في أهل الري: ... و أهل مدينة تُدعى الري، و هم أعداء اللّه و أعداء رسوله و أعداء أهل بيته، يرون حرب أهل بيت رسول‌اللّه جهاداً[٥]. و أُثر في رواية أُخرى أنَّ الايمان لا يدخل قلوب أهل الري[٦].

و يمكن أن يشير قول الإمام: «يرون حرب أهل بيت رسول‌اللّه ...» بنحو من الأنحاء إلى مشاركة ثلّة من أهل الري في قمع انتفاضة يحيى بن زيد، كما مرّ بنا. و كذلك يمكن أن يعود ذمّ الري إلى دورها في واقعة كربلاء، و قد وافق عمر بن سعد على قيادة الحرب ضدّ أهل بيت رسول‌اللّه طمعاً في حكومتها[٧].

و إذا وضعنا هذه الروايات إلى جانب روايات أُخرى أُثرت عن الإمام الصادق - عليه‌السّلام - في فضيلة أهل قم و آوه، لاستبانت لنا بدقّة الهويّة المعادية للتشيّع في الري.

و في الوقت نفسه ينبغي أن لا نغفل أنّ عدداً من محبّي أهل البيت كانوا موجودين في هذه المدينة إبّان العصر الأموي أيضاً. و قيل أنّ منهم مَن كان في صفوف أنصار زيد بن

---

١ - مختصر البلدان : ٢٧٣.

٢ - أحسن التقاسيم : ٣٨٥، و انظر : معجم البلدان ٣ : ١١٩.

٣ - معجم البلدان ٣ : ١١٨؛ بحارالأنوار ٥٧ : ٢٢٩؛ رى باستان ١ : ١١١.

٤ - انظر : هذا الكتاب نفسه. و كان مثل هذا النزاع قائماً بين شيعة قم و كاشان من جهة، و نواصب الري و أصفهان من جهة أُخرى. انظر : روضات الجنّات ١ : ٢٥٣.

٥ - بحارالأنوار ٦٩ : ٢١٢، ٥ : ٢٧٩، ٥٧ : ٢٠٦؛ الخصال : ٩٦.

٦ - بحارالأنوار ٥ : ٢٧٧، و انظر : ٧٦ : ١٣٩.

٧ - معجم البلدان ٣ : ١١٨؛ رى باستان ١ : ١١٢.

عليّ و مبايعيه[١].

و نقل لنا التاريخ أنّ عبدالله بن معاوية بن عبدالله بن جعفر سيطر على الجبل «الري»، و أصفهان، و فارس، و الدينور، و نهاوند سنة ١٢٧ هـ[٢]، بيد أنّ حكومته لم تستمرّ طويلاً.

تعرّف الري على التشيّع

عندما تقوّضت أركان الدولة الأمويّة ، قلّ الضغط على المحدّثين الّذين كان الأمويّون قد أرغموهم على بثّ فضائلهم، و وضع الأحاديث الباطلة، و منعوهم من نقل الروايات في فضائل أهل البيت. و نقل عدد من المحدّثين السنّة الّذين كان لهم هوى في آل محمّد عليهم‌السلام روايات في هذا الباب. و كان هؤلاء يُتّهمون بالتشيّع من قبل المتعصّبين، و إنْ لم يكن تشيّعهم بالمعنى المصطلح.

و ذكر الذهبي شخصاً يدعى «عبدالله بن عبدالقدّوس» كان كوفيّاً، و سكن الري. و قال عنه: كان رافضيّاً، و جميع أحاديثه في فضائل أهل البيت. و قدم ابن إسحاق صاحب السيرة إلى الري في زمان ما، و قرأ سيرته على البعض. و اتُّهم بالتشيّع أيضاً لأسباب مماثلة[٣]. و هذا التشيّع في نطاق نقل شيءٍ من فضائل آل محمّد عليه و عليهم الصلاة والسلام.

إنّ نقل فضائل أهل البيت – عليهم‌السّلام ـ أوّل خطوة لإلغاء النزعة الناصبيّة، كما أنّه تمهيد لمراحل مقبلة في بثّ التشيّع.

و ما ظهر من تشيّع أصيل بالري في أواخر القرن الثاني الهجري يتمثّل في اتّصال بعض أهلها و ساكنيها بأئمّة الشيعة ـ عليهم السلام. و أوّل رواية تحدّثت عن الاتّصال نقلت لنا اتّصال أحد شيعة الري بالإمام الكاظم ـ عليه‌السّلام. و دلّت هذه الرواية على أنّ حاكم الري آنذاك كان من الشيعة أيضاً، و قد دعمهم ـــ في حجاب التقيّة. و نلاحظ مثل هذا التغلغل والنفوذ في عهد الإمام الكاظم – عليه‌السّلام. و لعلّ قصّة عليّ بن يقطين إحدى مفرداته.

---

١ – مقاتل الطالبيّين : ١٣٢ .

٢ – نثر الدر ١ : ٤٢٧ . (مصر ، الهيئة العامّة للكتاب).

٣ – تاريخ سياسى إسلام ١ : ١٨ .

و ننقل فيما يأتي الرواية المشار إليها في حديثنا: نقل أحد أهالي الري قائلاً: وُلّي علينا بعض كتّاب يحيى بن خالد البرمكي، وكان عليّ بقايا يطالبني بها، و خفت من إلزامي إيّاها خروجاً عن نعمتي، و قيل لي: إنّه ينتحل هذا المذهب. فخفت أن أمضي إليه و أمتّ به إليه، فلا يكون كذلك فأقع فيما لا أحبّ. فاجتمع رأيي على أنّي هربت إلى اللّه تعالى وحججت و لقيت مولاي الصابر[1] ـ عليه‌السّلام ـ فشكوت حالي إليه فأصحبني مكتوباً نسخته: إعلم أنّ للّه تحت عرشه ظِلّاً لا يسكنه إلاّ من أسدى إلى أخيه معروفاً، أو نفّس عنه كربة، أو أدخل على قلبه سروراً. و هذا أخوك، والسلام.

قال ذلك الشخص: فعدتُ من الحج إلى بلدي و مضيت إلى الرجل ليلاً و استأذنت عليه، و قلتُ: رسول الصابر – عليه‌السّلام . فخرج إليّ حافياً ماشياً، ففتح لي بابه و قبّلني، و ضمّني إليه، و جعل يقبّل عيني و يكرّر ذلك. كلّما سألني عن رؤيته – عليه‌السّلام – وكلّما أخبرته بسلامته و صلاح أحواله، استبشر و شكر اللّه تعالى، و صدّرني في مجلسه، وجلس بين يديّ، فأخرجت إليه كتابه – عليه‌السّلام – فقبّله قائماً، و قرأه. ثمّ استدعى بماله و ثيابه فقاسمني ديناراً ديناراً و درهماً درهماً و ثوباً ثوباً، و في كلّ شيء من ذلك يقول : يا أخي، هل سُررتَ ؟ فأقول : إي والله.

ثمّ استدعى العامل فأسقط ما كان باسمي ، و أعطاني براءة ممّا يوجبه عليّ منه. و أخبرته بلقائي الصابر – عليه‌السّلام[2].

و من المؤسف أنّ اسم الحاكم المشار إليه لم يرد في هذه الرواية.

و نلحظ بين أصحاب الإمام الكاظم – عليه‌السّلام – من كان يلقّب بالرازي. و هؤلاء إمّا كانوا من أهل الري، أو أنّهم أقاموا فيها برهة فلقّبوا بذلك اللقب. و منهم : حسين بن محمّد الرازي، عليّ بن عثمان الرازي، و عمرو بن عثمان الرازي[3]، و بكر بن صالح الرازي[4].

و كذلك كان عدد منهم بين أصحاب الإمام الرضا– عليه‌السّلام –كأبي الحسين

---

١ – أحد الألقاب الّتي كان يستعملها الشيعة و يقصدون بها الإمام الكاظم ـ عليه السّلام.

٢ – كتاب قضاء حقوق أميرالمؤمنين مطبوع في مجلّة تراثنا، العدد ٣ ، ص ١٨٧ ؛ أعلام الدّين : ٩٢ ؛ عدّة الداعي : ١٧٩ ؛ بحارالأنوار ٤٨ : ١٧٦ ، الحديث ١٦ ، و ٧٤ : ٢١٣ .

٣ – مسند الإمام الكاظم عليه‌السّلام ٣ : ٣٦٦ ، ٤٧٠ ، ٤٨٣ حسب ترتيب الصفحات.

٤ – رجال النجاشي : ١٠٩ .

الرازي، و حسن بن عبدالله الرازي، و عبدالله بن محمّد الرازي[١].

و نطالع رواية أُخرى تحكي لنا اتّصال بعض شيعة الري بالإمام الجواد - عليه‌السّلام. يقول الحرّ بن عثمان الهمداني: دخل أُناس من أصحابنا من أهل الري على أبي جعفر الجواد - عليه‌السّلام - و فيهم رجل من الزيديّة. فسألناه مسألة، فقال أبو جعفر لغلامه: خذ بيد هذا الرجل فأخرجه، فقال الزيدي (الّذي عرف إمامة الإمام و علمه بنحو من الأنحاء): أشهد أن لا اله إلّا اللّه و أشهد أنّ محمّداً عبده و رسوله، و أنّك حجّةاللّه[٢].

و نلحظ في عداد أصحاب الإمام الجواد - عليه‌السّلام - محمّد بن إسماعيل الرازي الّذي عُدَّ من أهالي الري، و منصور بن عبّاس «الرازي» الّذيكان يقطن في بغداد[٣].

و نقرأ عدداً من أصحاب الإمام الهادي - عليه‌السّلام - كانوا يلقّبون بلقب الرازي أيضاً، و هم : حسين بن محمّد الرازي[٤]، و أبوبكر الرازي[٥]، و أبو محمّد الرازي[٦]، و أحمد ابن إسحاق الرازي الّذي كان من أصحابه الثقات، و أحد وكلائه، و كان له اتّصال حميم بالناحية المقدّسة[٧].

وكان سهل بن زياد الآدمي أحد المحدّثين الّذين أخرجهم أحمد بن محمّد بن عيسى من قم بتهمة الغلوّ. و قد مضى هذا الرجل إلى الري و سكن فيها. و قال عنه النجاشي: كاتب الإمام العسكري - عليه‌السّلام - بواسطة محمّد بن عبدالحميد العطار سنة ٢٥٥ هـ. ق، و ألّف كتابين هما : التوحيد، و النوادر[٨].

و كان السيّد عبدالعظيم الحسني أحد الوجوه البارزة بين أصحاب الأئمّة. و عدّ في أصحاب الإمام الرضا، والإمام الجواد، و الإمام الهادي عليهم‌السلام. و قد أثنوا عليه كثيراً.

وكان قدوم السيّد عبدالعظيم إلى الري معلماً على وجود التشيّع في تلك المدينة، كما كان ممهّداً لنموّ الدعوة الشيعيّة هناك. و لمّا توفّي أصبح قبره مركزاً للشيعة، و كان له أثره في استقطاب الشيعة القاطنين في تلك المناطق. و وردت ترجمته بإيجاز في كتابات

---

١ - مسند الإمام الرضا عليه‌السّلام ٢ : ٥١٥ ، ٥٢٥ ، ٥٧٣ .

٢ - الثاقب في المناقب : ٢٠٨ ؛ مسند الإمام الجواد : ١٢٨ . هكذا أصل النص في المسند . المعرّب

٣ - مسند الإمام الجواد عليه‌السّلام : ٣٣٠ .

٤ - نفسه : ٣١٢ .

٥ - مسند الإمام الهادي عليه‌السّلام : ٣٣٣ .

٦ - نفسه : ٣١٧ .

٧ - نفسه : ٣٢٠ .

٨ - رجال النجاشي : ١٨٥ .

الصاحب بن عبّاد، والنجاشي. و نقل أحمد بن محمّد بن خالد البرقي أنّه ورد الري هارباً من السلطان، و سكن سَرَباً في دار رجل من شيعة الري بمحلّة «سكّة الموالي». فكان يعبدالله في ذلك السرب و يصوم نهاره و يقوم ليله، وكان قريباً من ذلك البيت قبر يزوره، و يقول هو قبر رجل من ولد موسى بن جعفر - عليه‌السّلام. فلم يزل يأوي إلى ذلك السَرَب و يقع خبره إلى الواحد بعد الواحد من شيعة آل محمّد حتّى عرفه أكثرهم[١].

و في ضوء ما نقله صاحب منتقلة الطالبيّة[٢]، فانّه جاء من طبرستان إلى الري. و لابدّ أن تكون سفرته تلك قد وقعت في العقد الخامس من القرن الثالث. أي: في وقت لم تكن للعلويّين سلطة في تلك المناطق، وكان ولاة الدولة الطاهريّة يضطهدون الناس ويسومونهم الخسف يومذاك. و ذكر الصاحب أنّه سكن في ساربانان. وكانت ساربانان في سكّة الموالي كما دلّت عليه دراسة الدكتور كريمان. و هي نقطة التقاء المناطق الجغرافية الخاضعة للمذهب الحنفي، والشافعي، والشيعي[٣]. وكان السيّد عبدالعظيم من الصحابة الكبار للإمام الرضا والجواد والهادي عليهم السلام، و يُحتمل أنّه توفّي في حدود سنة ٢٥٠ هـ. و ورد عدد من الروايات في فضيلة زيارته، و لا جرم أنّها استهدفت لفت أنظار الشيعة إلى الري، بل إلى السكن فيها.

إنّ أحد البواعث المهمّة على اتّصال الأئمّة بشيعة الري، وكذلك كثرة الشيعة فيها هو وجود أحد وكلاء الإمام المهدي - عليه‌السّلام - في‌الري. و من الطبيعي أنّ وكالته كانت غير مباشرة، فقد اضطلع بها من قبل أحد النّواب الأربعة. و هذا الرجل هو أبو الحسين محمّد بن جعفر الأسدي (م ٣١٢). يقول صالح بن أبي صالح: سألني بعض الناس في سنة تسعين و مائتين قبض شيء [للإمام] فامتنعت من ذلك، و كتبت أستطلع الرأي، فأتاني الجواب: بالري محمّد بن جعفر، فليدفع إليه [الأموال]، فإنّه من ثقاتنا[٤].

و جاء التأكيد على وكالته و عدالته و وثوقه في روايات أُخرى أيضاً[٥].

---

١ - **رجال النجاشي**: ٢٤٨. و انظر: رسالة الصاحب بن عبّاد في **مستدرك الوسائل** ٣: ٦١٤؛ **زندگانى حضرت عبدالعظيم** للاستاذ عطاردي: ٣١ - ٣٣.

٢ - **منتقلة الطالبيّة**: ١٥٧.

٣ - **رى باستان** ١: ٢٢٩.

٤ - **الغيبة**، للشيخ الطوسي: ٤١٥.

٥ - نفسه: ٤١٦ **بحارالأنوار** ٥١: ٢٩٤، ٣٦٣؛ **إثبات الهداة** ٣: ٦٩٣، الحديث ١١٤؛ **الخرائج** ٢: ٦٩٥؛ **مدينة المعاجز**: ٦١٦، الحديث ١٠٠؛ **الكافي** ١: ٥٢٣؛ **إعلام الورى**: ٤٢٠.

بيد أنّ النجاشي ذكر أنّه ينقل عن الضعفاء، و أنّه يعتقد بالجبر و التشبيه [و هذا ما يخالف عقائد الأئمّة المعصومين عليهمالسلام[1]]. و قد ذُبَّ عنه في هذا المجال، بخاصّة أنّه كان من مشايخ الكليني أيضاً[2].

ذكرنا قبل قليل عدداً من أصحاب الأئمّة عليهم السلام من الّذين كانوا يلقّبون بلقب الرازي. و ننقل فيما يأتي أسماء خمسة و عشرين راوياً آخر من رواة أخبار الأئمّة المذكورين في الكتب الأربعة:

الجاموراني الرازي، محمّد بن إسماعيل الرازي، أبو القاسم بن مخلد الرازي، أبو عبداللّه الرازي، أبوإسحاق إبراهيم بن محمّد بن عبداللّه الرازي،محمّد بن عبداللّه الرازي، موسى بن حسين الرازي، موسى بن حسن الرازي، محمّد بن حسن الرازي، عليّ بن سليمان الرازي، عليّ بن نعمان الرازي، عليّ بن عثمان الرازي، أبو يحيى الرازي، ابن أبي يحيى الرازي، يحيى بن أبي العلاء الرازي، عبداللّه بن أحمد الرازي، قاسم بن محمّد الرازي، حسين بن محمّد الرازي، أبو محمّد الرازي، جعفربن محمّد بن أبي زيد الرازي، محمّد بن أبي زيد الرازي، أحمد بن إسحاق الرازي، أبو إسماعيل صيقل الرازي، أبو هلال الرازي، محمّد بن حسّان الرازي[3].

و ينبغي أن تضاف إلى هذه القائمة أسماء الرواة الّذين لم ترد أحاديثهم في الكتب الأربعة، أو أنّهم لم يتلقّبوا بلقب الرازي، لكنّهم كانوا من أهل الري.

تغلغل التشيّع في الري

يرى ياقوت الحموي أنّ التشيّع في الري بدأ في أيّام حكومة أبي الحسن مادراني [مادرائي] . و في ضوء ما نذهب اليه نحن، و ما مرّ بنا، فإنّ ذلك العصر كان عصر امتداد التشيّع في الري، لا عصر بدايته فحسب.

يقول ياقوت : و كان أهل الري أهل سنّة و جماعة إلى أن تغلّب أحمد بن الحسن

---

١ - رجال النجاشي : ٣٧٣ .   ٢ - انظر : تنقيح المقال ٣ : ٩٥ .

٣ - نقلنا هذه القائمة من الأسماء [و قد ذكرنا بعضها قبل قليل] استهداءً بما عرضه مركز الدراسات الكومبيوتريّة للعلوم الإسلاميّة في هذا المجال. فيحسن بنا أن نشكر الاخوة مسؤولي المركز المذكور على ذلك.

المادراني [المادرائي] عليها، فأظهر التشيّع و أكرم أهله، و قرّبهم. فتقرّب إليه الناس بتصنيف الكتب في ذلك. فصنّف له عبدالرحمن بن أبي حاتم كتاباً في فضائل أهل البيت، و غيره. و كان ذلك في أيّام المعتمد و تغلّبه عليها في سنة ٢٧٥ هـ، و كان قبل ذلك في خدمة كوتكين بن ساتكين التركي. و تغلّب على الري و أظهر التشيّع بها و استمرّ إلى الآن[١].

و جمع المرحوم المحدّث أرموي الأخبار المتعلّقة بكوتكين والمادراني[٢]. و تحوم هذه الأخبار حول ساتكين و ابنه كوتكين، و اتّصال المادراني به في حوادث سنة ٢٥٥ إلى سنة ٢٧٦ هـ، و في ضوء ما ورد في بعض هذه الأخبار، و ما أشار إليه ياقوت أيضاً، فإنّ المادراني انفصل عن كوتكين سنة ٢٧٥، و استقلّ بالري لنفسه.

كان كوتكين رجلاً ظالماً، هاجم قمّ، و قزوين، والري، و ارتكب فيها المذابح. و كان المادراني شريكه في هذه الحوادث أيضاً[٣]. و لمّا انفصل عنه، طلب من الموفّق العبّاسي أن يأتي إلى الجبال، فجاء سنة ٢٧٦[٤]، و كان قد وعده بأموال كثيرة له في تلك المناطق.

و لعلّه كان يقصد الأموال العائدة لكوتكين. و أنّ مشاركة المادراني كوتكين في هجومه على قمّ، و كذلك في قتاله محمّدبن زيدالعلوي سنة ٢٧٢ هـ - و كان قد قدم من جرجان لمهاجمة الري - تثير علامات استفهام حول عقائده الشيعيّة.

و يمكننا أن نشير في جواب ذلك إلى ما قاله المحدّث أرموي في هذا الحقل، إذ ذكر أنّه انفصل عنه بسبب اختلافهما مذهبيّاً، و كذلك بسبب ظلم كوتكين و جوره[٥]. يضاف إلى ذلك أنّ كلام ياقوت الّذي نقله من كتاب تاريخ ري لأبي سعيد آبي أو لمنتجب الدّين ينصّ على تشيّعه. فتعاونه مع كوتكين إمّا كان تقيّة أو مَغْلَماً على تغيير عقيدته.

و ثمّة أدلّة أُخرى أيضاً على تشيّع المادراني تنبئ عن اتّصاله بالشيعة و دعمه إيّاهم في منطقة الجبال كلّها.

و روى ثقة الإسلام الكليني نقلاً عن بدر غلام أحمد بن حسن [المادراني] قال: وردت الجبل و أنا لا أقول بالإمامة، لكنّي أُحبّ أهل البيت - عليهم‌السّلام - جملة، إلى أن مات

---

١ - معجم البلدان ٣: ١٢١.

٢ - انظر: مقدّمة المحاسن، ص مب إلى نب.

٣ - انظر: تاريخ قم: ١٦٣.

٤ - انظر: تاريخ الطبري، حوادث ٢٧٦ هـ.

٥ - مقدّمة المحاسن، ص مج.

يزيد بن عبدالله فأوصى في علّته أن يدفع سيفه و منطقته إلى مولاه [يريد الإمام المهدي عجّل الله تعالى فرجه]. فخفت إن أنا لم أدفع الحصان و غيره إلى كوتكين، نالني منه استخفاف. فقوّمت الدابّة و السيف و المنطقة بسبعمائة دينار في نفسي و لم أُطلع عليه أحداً. فإذا الكتاب قد ورد عليّ من العراق : وجّه السبعمائة دينار الّتي لنا قبلك[1].

إنّ سند الرواية يدلّ على أنّ هذا الأمر قد حدث لبدر غلام المادراني، بيد أنّنا نستشفّ من رواية مماثلة نقلها ابن طاووس أنّ بدراً هو الّذي روى هذه الحادثة الّتي وقعت للمادراني.

و نقل ابن طاووس الرواية المذكورة مع بعض التغييرات ممّا يدلّ على أنّ هذه الرواية أصحّ. و جرى الكلام في هذه الرواية عن إرسال مال من قبل المادراني إلى أحد و كلاء الإمام المهدي عليه السلام. ثمّ ورد فيها أنّ المادراني عزم بعد حرب كوتكين مع يزيد بن عبدالله في «شهرزور» و قتله أن يدفع حصانه و سيفه إلى مولاه، إلّا انّ كوتكين طالبه بها فأُرغم على دفعها إليه مع أشياء أُخرى تعود ليزيد، و بعد ذلك يرسل ثمنها إلى الإمام. و مضت مدّة فاستدعاه أبوالحسن الأسدي [الّذي كان وكيلاً بالري] و سلّمه رسالة الإمام الّتي دعاه فيها إلى دفع الألف دينار إلى الأسدي. و يقول المادراني: فشكرت الله لأنّي كنت أعلم أنّ أحداً لم يطّلع على ذلك غيري[2].

تذهب هذه الرواية و ما نقل بعدها إلى أنّ تشيّع المادراني بدأ منذ تعاونه مع كوتكين.

و لدينا دليل آخر على تشيّع المادراني و هو قول أحمد بن محمّد بن خالد البرقي (م ٢٧٤ أو ٢٨٠)[3] أحد علماء الشيعة الكبار في القرن الثالث، إذ نقل تشيّعه لأهل البيت - عليهم‌السّلام - بعد لقائه إيّاه. فقد ذهب عنده شافعاً لشيخ اتُّهم بالوشاية بكوتكين إلى الخليفة، فشفّعه فيه. كما طلب أحمد منه أن يُرجع إليه ملكاً في كاشان كان كوتكين قد صادره، فلبّى حاجته. و جاء في هذه الرواية أنّ الإجراء المذكور الّذي اتّخذه المادراني كان بسبب اشتراك الشيخ، و أحمد، والمادراني في حبّ أهل البيت. و يشير هذا النقل أيضاً إلى تردّد أحمد على الري.

إنّ النقطة الأُخرى الّتي تخصّ المادراني تتمثّل في ما قاله ياقوت إنّ العلماء والمحدّثين

---

١ - الكافي ١ : ٥٢٢.
٢ - بحارالأنوار ٥١ : ٣٠٠ - ٣٠١.
٣ - رجال النجاشي : ٧٧.

كانوا يتقرّبون إليه من خلال تأليف الكتب في فضائل أهل البيت عليهم‌السلام. و ذكر اسم ابن أبي حاتم الرازي (٢٤٠ - ٣٢٧). و من المؤكّد أنّ هذا الرجل كان من أهل السنّة، و في وضوء ما نُقل، فإنّه ألّف كتاباً في فضائل أهل البيت أيضاً[1]. وهو صاحب كتاب الجرح والتعديل الّذي يشبه التاريخ الكبير للبخاري شبهاً تامّاً نوعاً ما!

العلويّون والتشيّع في الري

كانت الري، و طبرستان مركزين مهمّين لاستقرار العلويّين في ايران. و قد بدأت هجرة العلويّين إلى طبرستان منذ أواخر القرن الثاني الهجري، بيد أنّ نطاقها امتدّ في القرن الثالث. قال المرعشي: «... يمّم السادة تلك الأرجاء بعد ولاية العهد الّتي فوّضها المأمون إلى الإمام الرضا. وكان للإمام واحد و عشرون أخاً آخر. و وصل هؤلاء الإخوة و بنو أعمامهم من السادة الحسينيّين والحسنيّين إلى الري والعراق [عراق العجم]». و أضاف أنّهم تفرّقوا في جبال الديلم و طبرستان بعد ما بلغهم خبر استشهاد الإمام عليّ بن موسى الرضا- عليه‌السّلام[2].

و لابدّ أن يكون أحد هؤلاء الإخوة حمزة بن موسى بن جعفر - عليهم‌السّلام - الّذي كان قبره بالري. و عندما قدم السيّد عبدالعظيم إلى الري (منتصف القرن الثالث) كان يزور ذلك القبر. ثمّ أصبح مزاراً للسنّة والشيعة على الدوام[3].

وكان السادة بعامّة شيعة - سواء كانوا إماميّة أو زيديّة - غير أنّهم كانوا يعيشون التقيّة أحياناً، و في الوقت نفسه كانوا يدافعون عن فضائل أهل البيت - عليهم‌السّلام. و قال عبدالجليل الرازي: والعلويّ الصريح لا يكون إلّا إماميّاً شيعيّاً و إلّا فهو زيدي[4].

و الدليل على ذلك شعر قوامي رازي في السيّد فخر الدّين العلوي الّذي كان رئيس الشيعة بالري في النصف الأوّل من القرن السادس. فقد قال فيه و تعريبه:

---

١ - انظر : مجلّة تراثنا، العدد ١٧ ، ص ١١٤ - ١١٥ . و انظر : الأنساب للسمعاني، ذيل عنوان الحنظلي (بيروت ، دار الكتب العلميّة)، و معجم البلدان ٣ : ١٢١ ، و التدوين في أخبار قزوين ٣ : ١٥٣ ، ١٥٩ (بيروت ، دار الكتب العلميّة).

٢ - تاريخ طبرستان و رويان و مازندران للمرعشي : ٢٧٧ - ٢٧٨ .

٣ - رجال النجاشي : ٢٤٨ ؛ نقض : ٦٤٣ .

٤ - نقض : ٢٢٤ - ٢٢٧ .

أنت رئيس الشيعة و أنت سيّد سادات العصر. و الإقبال يغني الأعيان بجاهك. (الدولة هنا بمعني الاقبال و الطالع و الثروة)[١].

و كان السادة الكثيرون الّذين يعيشون في الري يتمتّعون بحياة هادئة طبيعيّاً إلاّ من كان منهم ذا تفكير زيديّ فانّه يتعرّض للمحن إذا ما راودته فكرة الثورة على النظام الحاكم.

و حظي العلويّون بسمعة طيّبة في أرجاء الريكافّة كما كان الناس يحترمونهم و يوقّرونهم كثيراً لانتسابهم إلى رسول‌الله - صلّى‌الله عليه و آله و سلّم. بعبارة أُخرى، كان الناس يرونهم ملاذاً لهم من جور العبّاسيّين والأُمراء التابعين لهم.

و عندما كان محمّد بن أوس البلخي عامل سليمان بن عبدالله بن طاهر يمارس الظلم والاضطهاد بحقّ أهل طبرستان، لجأ عدد من وجهائهم إلى محمّد بن إبراهيم أحد العلويّين المقيمين بالري، فأرسلهم إلى الحسن بن زيد. و قبل هذا الرجل دعوتهم، فتوجّه من الري لطبرستان، و وضع اللبنة الأُولى لسلالة العلويّين بطبرستان. و بسط سيطرته عليها قرابة عشرين سنة، و أحكم قبضته على الري أيضاً في فترات متقطّعة (٢٥٠، ٢٥١، ٢٥٣، ٢٥٨ هـ[٢]).

و شجّع هذا الانتصار سائر العلويّين في مختلف المناطق على التوجّه إلى طبرستان، والري[٣]. ثمّ قتل خليفة الحسن، وهو محمّد بن زيد على يدالجيش الساماني، ففرّ ناصر الأُطروش إلى جيلان، ثمّ عاد إلى طبرستان ثانية سنة ٣٠١ هـ، و أهمّ خطوة قام بها الأُطروش هي نشر الإسلام الشيعي في ربوع طبرستان، و مواصلة العلويّين حكومتهم فيها.

و كان لاتّصال الري بطبرستان تأثير متبادل على الري والمناطق الواقعة في أطرافها كقصران بالنسبة إلى التشيّع. و لمّا كان العلويّون الّذين حكموا طبرستان من الزيديّة، فإنّ الأفكار الشيعيّة الزيديّة كانت سائدة في المناطق الشماليّة من الري، و في الري نفسها. وكان اتّصال قمّ بالري من جهة أُخرى باعثاً على إيجاد الأفكار الشيعيّة الإماميّة.

---

١ - ديوان قوامي رازي: ١١٥. تصحيح محدّث ارموي.

هم رئيس شيعتی هم سيد سادات عصر — دولت از جاهت همی سرمايهٔ اعيان دهر

٢ - انظر: تاريخ ايران، كمبريج (از اسلام تا سلاجقة) ٤: ١٨٠.

٣ - انظر: تاريخ طبرستان لابن اسفنديار ١: ٢٤٣.

و ذكر ابن طباطبا عدداً كبيراً من الشخصيّات العلويّة و أُسرهم الّذين توطّنوا الري. وكان هو نفسه على قيد الحياة حتّى أواخر القرن الخامس، و هؤلاء الأشخاص كانوا في الري آنذاك. و لكلّ واحد منهم اسرته و بيته، و بعضهم كان ذا شهرة واسعة. و يستبين لنا من المقارنة بين الاحصائيّة الّتي ذكرها ابن طباطبا للعلويّين القاطنين في الري، و بين المعلومات الّتي نقلها عن بعض المدن الاخرى كثرة المهاجرين العلويّين إلى الري. و تقع طبرستان قبل الري، و هي منطقة كبيرة نسبيّاً. و قدّم لنا ابن طباطبا معلومات مفيدة عن العلويّين من خلال ذكر أسمائهم و أنسابهم والأماكن الّتي كانوا يسكنون فيها و قدومهم إلى الري. و تضمّ قائمتهم أكثر من خمسة و ستّين علويّاً مشهوراً. و كان بعضهم من السادة الحسنيّين، والبعض الآخر من الحسينيّين[١].

و لنا حديث آخر عن علويّي طبرستان سنأتي عليه في الموضوعات القادمة.

امتداد التشيّع بالري أيّام البويهيّين

إنّ الحدّ الأدنى في هذا الموضوع هو أنّ البويهيّين كانوا حسنة من حسنات ظهور العلويّين في طبرستان بنحو غير مباشر، و إنْ كنّا لا نجد معلماً على تشيّع خاصّ في حياتهم السياسيّة قبل حكومتهم غير ما نقرأ من أنّهم نهضوا في كلّ مكان من طبرستان. وكانت هذه المنطقة شيعيّة.

و كان عماد الدولة مؤسّس الحكومة البويهيّة و أخواه من أهالي الديلم. و نشأوا في وسط إسلامي شيعيّ كان حصيلة جهود العلويّين في تلك المناطق. و قضوا فترة من عمرهم في خدمة ما كان بن كاكي، ثمّ انضووا تحت لواء مرداويج مؤسّس حكومة آل زيار. و نصب مرداويج عماد الدولة حاكماً على كرج[٢]. و عندما وصل الحسن إلى الري،

---

١ - **منتقلة الطالبيّة** : ١٥١ - ١٦٧ . و ذكرنا في كتابنا هذا إحصائيّة للعلويّين المهاجرين إلى مدن إيران نقلاً عن الكتاب المشار إليه. و صرّح بعض الباحثين بأنّ بعض نسخ المنتقلة ضمّت عدداً أكثر من العلويّين المهاجرين إلى الري.

٢ - كانت كرج تجاور بهرام آباد الحاليّة على بعد ستّين ميلاً جنوب شرق همدان، و هي غير كرج الحاليّة. انظر : **تاريخ ايران** (از اسلام تا سلاجقة) ٤ : ٢٢٠ . و **فرمانروايان گمنام** : ٢٠ - ٢٢ . (**طهران** ، بنياد موقوفات افشار ١٩٨٨).

ندم مرداويج على توليته الري، بيد أنّه كان قد وصل كرج قبل القيام بأيّ عمل. فسيطر على كرج و اتّخذ اجراءات معيّنة لقمع بعض المتمرّدين من «الخرّم دينيّة» الّذين كانوا هناك. وكانت كرج قبل ذلك تحت سيطرة أبي دلف و أُسرته. و هذا الرجل كان محبّاً للعلويّين[١].

و توجّه عماد الدولة من كرج إلى اصفهان، ثمّ تحرّك منها إلى شيراز بعد احتلال مؤقّت لها، و أقام في مدينة أرجان. ثمّ أخضع شيراز لسيطرته و ظلّ فيها. و مضى أخوه الأصغر معزّ الدولة إلى بغداد، و جعل حكومتها طوع عنانه. أمّا أخوه الآخر ركن الدولة فقد انبرى إلى توطيد أركان الحكومة البويهيّة في إيران.

و استطاع ركن الدولة (م ٣٦٦) أن يحتفظ بايران للبويهيّين وسط الطامحين الكثيرين إلى حكومتها. و اتّخذ من اصفهان، ثمّ من الري قاعدة لحكومته برهة من الزمان. وكانت الري في أيّام البويهيّين من أهمّ مراكز اقتدارهم السياسي، كما كانت من الحواضر الثقافيّة المهمّة في إيران. و جاء بعد ركن الدولة نجله مؤيّد الدولة، ثمّ تلاه أخوه فخر الدولة الّذي مسك زمام الحكومة البويهيّة في ايران بفضل الصاحب بن عبّاد الشيعي. و مات الصاحب سنة ٣٨٥ هـ. ثمّ مات فخر الدولة بعده سنة ٣٨٧ هـ. فخلفه ابنه. و لمّا كان صغير السنّ، تسلّمت امّه سيده خاتون زمام الامور عدد سنين. وكان ولده مجدالدولة حاكماً على الري حتّى سنة ٤٢١ هـ الّتي أخرج فيها السلطان محمود الغزنوي الري من قبضة البويهيّين.

و هكذا كانت الحكومة البويهيّة الّتي امتدّت ثمانين سنة في الري باعثاً على بثّ التشيّع في المدينة بقوّة نظراً إلى الميول الشيعيّة للبويهيّين و وزرائهم[٢]. كما كانت الأوضاع في المناطق الاخرى الخاضعة لسيطرتهم على هذه الشاكلة.

وكان الصاحب بن عبّاد الوزير العالم والمقتدر للبويهيّين شديد الحبّ لأهل بيت النبوّة. و قد خصّص ما ينيف على نصف أشعاره في مدح أهل البيت - عليهم‌السّلام[٣]. وغيّر الجوّ الديني للري من خلال إقصاء مناوئي أهل البيت - عليهم‌السّلام - و تقريب الشيعة والمعتزلة. و تحدّث المقدسي عن حنابلة الري في القرن الرابع[٤]، بيد أنّنا لم نجد

---

١ - فرمانروايان گمنام : ٥١.

٢ - انظر : كتابنا هذا.

٣ - انظر: ديوان الصاحب بن عبّاد باهتمام الشيخ محمّد حسن آل ياسين، قم ١٤١٢ هـ (مؤسّسة قائم آل محمّد عليه و عليهم السّلام). و بشأن مذهب الصاحب، انظر أيضاً: كتاب آل ياسين تحت عنوان «الصاحب ابن عبّاد» (النجف).

٤ - أحسن التقاسيم : ٣٨٥.

لهم أثراً بعد ذلك، و هم الّذين كانوا من أشدّ أهل السنّة تطرّفاً في تعاملهم مع الشيعة، و لم يبق في الري من أهل السنّة غير الشافعيّة والحنفيّة. و ثمّة اختلاف يحوم حول مذهب البويهيّين، فهل كانوا إماميّة أو زيديّة ؟ بيد أنّ الثابت هو وجود الميول الشيعيّة القويّة عندهم، إلّا أنّ دخولهم في السياسة ولّد نوعاً من التسامح لديهم.

و من آثار الشيعة في العصر البويهي وجود المكتبات والمدارس الكثيرة الّتي دُمِّر قسم منها على يدالسلطان محمود الغزنوي الّذي كان يتّسم بتعصّب خاص في تسنّنه و جبريّته. و على الرغم من هذا، فإنّ التشيّع لم يضعف في الري قط كما سترون.

و من معالم التشيّع في الري أيّام البويهيّين نضج طبقة من علماء الشيعة و أُدبائها الّذين كان لهم دور في الحكومة، كما كانت لهم قدرة ملحوظة في تأليف الكتب العلميّة. و من هؤلاء: أبو سعد الآبي الّذي كان وزيراً لمجد الدولة البويهي مدّة. و توفّيّ سنة ٤٢١ هـ. وكان من طلاّب الشيخ الصدوق عليه الرحمة، و أحد الوزراء الإماميّين في الحكومة البويهيّة. و أهمّ أثر له هو كتابه القيّم: نثرالدر[١] الّذي طبع أخيراً بمصر في ستّة أجزاء. و يدلّ هذا الكتاب على عمق العقيدة الشيعيّة لهذا الوزير، و تسامحه في الوقت نفسه. كما ينبىء عن أدبه و مطالعته الواسعة. و لعلّ كتابه أوّل كتاب رتّب الفهرس الموضوعي للآيات القرآنيّة، وهو ابتكار مهمّ للغاية في موضوعه. و ذكر المؤلّف أئمّة الشيعة واحداً تلو الآخر، و نقل عن كلّ منهم عدداً من الروايات والذكريات[٢]. و ألّف كتاباً في تاريخ الري أيضاً كان في متناول أيدي الناس بعده بقرون، أمّا اليوم فلا أثر له[٣].

آل بابويه في الري

إنّ وجود البيوتات الشيعيّة الأُصيلة في الري الّتي كان أهلها من العلماء جيلاً بعد جيل هو أحد البواعث على بروز التشيّع و غلبته في هذه المدينة. وكان آل بابويه من أرسخ هذه

---

١ - نثر الدر، تحقيق محمّد علي قرنة، مصر، الهيئة المصريّة العامّة للكتاب.

٢ - انظر في ترجمة تعليقات المرحوم ارموي على : **الفهرست** لمنتجب الدّين : ٣١٥ ؛ **الأعلام** ٨ : ٢٣٧ ؛ **كشف الظنون** : ٢٩٥ ؛ **الذريعة** ٣٤ : ٥١ ؛ **ساوه نامه** : ٦٧ .

٣ - وردت معلومات مأخوذة من هذا الكتاب في كتب أُخرى ذكرها المحدّث ارموي في تعليقات الفهرست ص ٣١٦ - ٣١٨ .

البيوتات الشيعيّة، عاشوا بادىء أمرهم في قم ثمّ انتقلوا منها إلى الري. و لعلّ أوّلهم هو عليّ بن الحسين بن موسى بن بابويه الّذي كان يعيش في قمّ. وهو والد الشيخ الصدوق. كان في قم بيد أنّه كان يتردّد على الري. و نقل عن الشهيد الثاني أنّ له رسالة في مناظرة مع محمّد بن مقاتل الرازي في الامامة انتهت بتشيّع الأخير. و عنوان هذه الرسالة: الكرّ والفرّ، و جمعها بعض تلاميذه[1]. و كان نجله الشيخ الصدوق من أرفع محدّثي الشيعة و علمائهم منزلةً في القرن الرابع. توفّي سنة ٣٨١ هـ و كان مقيماً في الري، و «وجه الطائفة» في خراسان على حدّ تعبير النجاشي[2].

و ذكر المرحوم ربّاني شيرازي شرحاً لرحلاته في بداية كتاب معاني الأخبار. ولد الشيخ الصدوق في قم، و أقام في الري سنة ٣٤٧. و أذن له ركن الدولة البويهي بالسفر إلى مشهد سنة ٣٥٢، ثمّ عاد إلى الري. وكانت له رحلات عديدة إلى مناطق مختلفة استهدف منها جمع الأحاديث و نشر أخبار أهل البيت عليهم‌السلام و فقه آل‌محمّد[3]. و من البيّن أنّ لآل بابويه صلة حميمة بآل بويه. و أهدى الشيخ الصدوق كتاب عيون أخبار الرضا إلى الصاحب بن عبّاد، و يعود ذلك إلى ولاء الصاحب لأهل البيت - عليهم‌السّلام، و تمسّكه بولايتهم و اعتقاده بوجوب طاعتهم و قوله بإمامتهم و إحسانه إلى شيعتهم[4].

و كان للشيخ الصدوق أخ هو الحسين بن علي. ألّف كتاباً في نفي التشبيه و أهداه إلى الصاحب بن عبّاد أيضاً[5]. و كان آل بابويه معروفين حتّى أواخر القرن السادس. و آخرهم هو الشيخ منتجب الدّين صاحب الفهرست و آثار أُخرى غيره. و كان معروفاً بابن بابويه أيضاً. و ذكر عدداً من آل بابويه في فهرسته. و أورد المرحوم ربّاني أسماء اثنين و عشرين عالماً من علماء هذه الأسرة، و معظمهم كان يسكن الري[6]. و نقل الأستاذ طارمي معلومات قيّمة عن أربعة عشر شخصاً من الأشخاص المنسوبين إلى آل بابويه[7].

و مهما يكن من شيء، فإنّ وجود أحد علماء الشيعة الكبار و أُسرته الوجيهة في الري

---

١ - روضات الجنّات ٤ : ٢٧٥ .
٢ - رجال النجاشي : ٣٨٩ .
٣ - مقدّمة معاني الأخبار ١٧ - ٢٥ .
٤ - عيون أخبار الرضا ١ : ٢ .
٥ - انظر: لسان الميزان ٢ : ٣٠٦ ، مقدّمة معاني الأخبار : ٨٤ .
٦ - مقدّمة معاني الأخبار : ٢٧ - ٣٥ .
٧ - دانشنامه جهان اسلام ، حرف الباء، الكرّاسة الاولى : ٩٩ - ١٠٠ .

أدّى دوراً عظيماً في تشيّع تلك المنطقة. و لا جرم أنّ كلّ واحد من تلاميذه بذل جهوداً مهمّة في تشييد صرح الفكر الشيعي في هذه الديار والمناطق الواقعة في أطرافها.

وكانت في الري بيوتات أُخرى من الشيعة أيضاً سنذكرهم فيما بعد.

و لدينا علماء مشهورون من الشيعة يتلقّبون بلقب الرازي أيضاً. و أبرزهم أبو جعفر بن قِبَة الرازي مؤلّف كتاب **الإنصاف في الإمامة**، و **المستثبت في الإمامة** . وكان هذا الرجل يعيش في الري.

و جملة القول أنّنا ينبغي أن نعتبر قرب الري من قمّ أحد البواعث على تشيّعها، مع الأخذ بنظر الاعتبار هجرة آل بابويه إلى الري.

شيعة الري تحت ضغط الغزنويّين في الري

لم يتيسّر للبويهيّين أن ينالوا رضا الحاكم العبّاسي، لأنّهم ضعضعوا قاعدة الحكم العبّاسي من جهة، و عرفوا بدعمهم المذهب الشيعي والعلويّين على كره من العبّاسيّين من جهة أُخرى. وكانت الحكومة العبّاسيّة تخطّط للضغط على البويهيّين بأيّ وسيلة ممكنة. ومن الوسائل الّتي مارستها هي تسخير الحكومات القائمة في شرق إيران من أجل ذلك الغرض. و عرفت تلك الحكومات بتعصّبها للمذهب السنّي، فأثارت مشاكل مختلفة في طريق البويهيّين. وكانت الحكومة السامانيّة، ثمّ الغزنويّة من الحكومات المناوئة للمذهب الشيعي. و أهمّ إجراء اتُّخذ ضدّ الري هو هجوم السلطان محمود الغزنوي على هذه المدينة سنة ٤٢٠ هـ . و قام السلطان المذكور بهجومه رغبة منه في تقديم خدمة معيّنة للحاكم العبّاسي الّذي كان مستاءً من البويهيّين، والتشيّع، و مذهب الاعتزال - الّذي كانت له قدرة في الري بعد الصاحب بن عبّاد. يضاف إلى ذلك، أنّ الغزنويّين كانوا يحصلون على غنائم من خلال احتلال منطقة جديدة.

و ذكر المؤرّخون والسلطان نفسه أنّ الدافع الّذي حرّكهم لمهاجمة الري هو قمع التشيّع والاعتزال. وكان الشيعة يُذكرون في الأراجيف السنّيّة يومذاك على أنّهم قرامطة وباطنيّة، و هذان العنوانان يرتبطان بالإسماعيليّة أساساً. و نقرأ في الرسالة الّتي نقلها الخواجه نظام الملك عن السلطان محمود أنّه لم يقدم لاحتلال العراق [عراق العجم] بل قدم لإصلاح الأوضاع الفاسدة في تلك المنطقة. وكتب في رسالته - ضمن إشارته إلى

التعارض القائم بين الأتراك الّذين كانوا على المذهب السنّي، والديالمة الّذين كانوا يعتنقون المذهب الشيعي - قائلاً: «... آثرت هذه المهمّة على غزو الهند و توجّهت تلقاءالعراق [عراق العجم] و سلّطت الجنود الأتراك، و كلّهم من المسلمين الحنفيّة الأطهار، على الديالمة و الزنادقة والباطنيّة لأقطع دابرهم. فمنهم من قتل بسيوفهم، و منهم من أُسر و حُبس، و منهم من شُرّد في أرجاء الأرض. و فوّضت الأعمال إلى سادة خراسان و متنفّذيها، و هم إمّا من الحنفيّة أو الشافعيّة الأطهار، و كلاهما عدوّ الروافض والباطنيّة، و صديق الأتراك[1].

و في ضوء ما نقله ابن كثير فإنّ السلطان الغزنوي أطلع الحاكم العبّاسي في رسالة بعثها إليه سنة ٤٢٠ هـ أنّه أحلّ بطائفة من أهل الري كانوا من «الباطنيّة» و «الروافض» قتلاً ذريعاً و صلباً شنيعاً، و أنّه انتهب أموال رئيسهم و كانت ألف ألف دينار[2].

و بناءاً على ما أفاده ابن الأثير فإنّ السلطان صلب أصحاب مجدالدولة الباطنيّة الّذين كانوا يقضون وقتهم في المطالعة، و أتلف كتب الفلسفة و نفى المعتزلة أيضاً إلى خراسان[3].

و قال فرّخي في شعر له و تعريبهما:

أخذتَ ملك الري من القرامطة، و أصبحتَ راغباً الآن في أداء مناسك الحج. و كلّ من عمل منهم بهواه، فانّ جزاءه الصلب على أعواد المشانق[4].

إنّ ما قام به السلطان الغزنويّ المتعصّب ذو الأفق الضيّق في إتلافه مكتبات الري جريمة من جرائمه الثقافيّة الّتي تمثّل ضربة للكتب الشيعيّة والفلسفيّة، و لعلّ بعض الكتب قد أُتلفت تماماً و ليس لها نسخ أُخرى. و من أهمّ مكتبات الري المكتبة الصاحبيّة الّتي تعود للصاحب بن عبّاد.

---

١ - سياستنامه: ٨٧ - ٨٨.

٢ - البداية و النهاية: ١٢ : ٢٦.

٣ - الكامل ٩ : ٣٧٢. انظر:

٤ - انظر: بيست گفتار، المقالة الثانية: ٢٢١، مهدي محقّق.

ملك رى از قرمطيان بستدى — ميل تو اكنون بمنى و صفاست

هركه از ايشان به هوى كار كرد — بر سر چوبى خشك اندر هواست

و قد أحرق السلطان كتبها الكلاميّة والفلسفيّة[١]. و كان الصاحب نفسه يقول: إنّ كتبها تُحمل على أربعمائة بعير أو أكثر[٢].

و رأى أبوالحسن البيهقي فهرس الكتب الموجودة في هذه المكتبة في عشرة أجزاء[٣].

يقول مؤلّف كتاب فضائح الروافض ـ و هوالكتاب الذي انتقده عبدالجليل الرازي غير مدافع ـ في تعامل السلطان محمود مع الشيعة: و ماذا حدث في عهد السلطان محمود الغزنويّ من القتل والصلب، و تشويه سمعة علماء الروافض، و تحطيم المنابر، و حظر المجالس[٤]؟

إنّ تشدّد السلطان الغزنوي على الشيعة لم يترك أثراً يذكر في الحدّ من تغلغلهم في الري، لأنّهم - مضافاً إلى كثرتهم الملحوظة هناك - كانوا من أصحاب الوجوه الجذّابة المعروفة على الصعيد الثقافي. فلا يمكن القضاء على هذا الكيان بهجوم عسكريّ مؤقّت. و هو ما أشار إليه عبدالجليل الرازي أيضاً في جوابه عن كلام مؤلّف الفضائح. قال: «... و لمّا هلك محمود، عاد علماء الشيعة إلى ما كانوا عليه من أعمال بحضور شِحَنه و نوّابه[٥]».

و لم تصمد الحكومة الغزنويّة في الري. فقد عاد علاءالدولة بعد مدّة و كان قد هرب من الري بعد هجوم الغزنويّين، و استولى على الري و أصفهان بعد كرّ و فرّ، و قبول للسلطة العامّة للغزنويّين، و واصل الحكومة البويهيّة شبه الميّتة عدد سنين.

و استطاعت حكومة جديدة أن تتسلّم السلطة في الشرق إبّان العقد الثالث والرابع من القرن الخامس. و بسطت سيطرتها على إيران ردحاً من الزمن. و هذه الحكومة هي الحكومة السلجوقيّة. فقد جاء طغرل إلى الري سنة ٤٣٤ هـ، و أطاح ببقيّة البويهيّين في بغداد سنة ٤٤٧ هـ و أنهى حكومتهم الّتي امتدّت مائة و بضع سنين[٦].

---

١ - ري باستان ١ : ٥٤٥، ٥٤٦.

٢ - معجم الأدباء ٦ : ٢٥٩ (بيروت، دارالفكر)، وفيات الأعيان ١ : ٢٠٨ (قم، اوفسيت الرضي). و انظر: الصاحب بن عبّاد حياته و أدبه : ١٤٧ للشيخ محمّد حسن آل ياسين، النجف ١٣٧٦ هـ.

٣ - معجم الأدباء ٦ : ٢٥٩. ٤ - نقض : ٤٢.

٥ - نقض : ٤٣. شِحَن جمع شحنة و هم الّذين يقيمهم الملك في البلد لضبطه كالشرطة. المعرّب.

٦ - واصل آل كاكويه الّذين كانوا ينتمون إلى البويهيّين حكومتهم في يزد لقرن أو قرنين من الزمان.

شيعة الري في العصر السلجوقي

كان ملوك السلاجقة و أمراؤهم ينحازون نوعاً ما إلى التسنّن الحنفي و الحكومة العبّاسيّة، و يناهضون التشيّع كالغزنويّين والسامانيّين. بيد أنّ مناهضتهم و إن كانت للإسماعيليّة و الباطنيّة بشكل مباشر، غير أنّ الشيعة الإماميّة لم يسلموا من هجماتهم وضغوطهم. و في الوقت نفسه كان التشيّع قد ضرب بجرانه في منطقة الجبال، و تكيّف مع الأوضاع الجديدة بسرعة، و استطاع أن ينمو نموّاً لافتاً للنظر حتّى في العصر السلجوقي.

و نقرأ في هذا العصر أنّ من دعائم النموّ المذكور تغلغل الشيعة الإماميّة في الكيان الإداري للحكومة السلجوقيّة، ذلك التغلغل الّذي تمّ بادّراع التقيّة و اختدام المسوّغات الشرعيّة الأُخرى، فتمخّض بنتائج مهمّة للشيعة و حصّنهم أمام أُمراء الأتراك. كذلك يمكننا أن نعتبر السادة العلويّين و نقباءهم ركيزة من ركائز التشيّع هناك بوصفهم شريحة اجتماعيّة وجيهة متنفّذة.

و نلحظ أنّ من آثار الحكومة البويهيّة الّتي امتدّت مائة سنة تربية جيل من شباب الشيعة على الصعيد الإداري والثقافي، فقد تربّى هؤلاء في أجواء تلك الحكومة واستأثروا بأغلب المناصب الاداريّة المهمّة. و أنّ هذه الشريحة من الشيعة بوصفها شريحة مثقّفة في المجتمع لا يمكن أن تُقال على غرّة. و لو وقعت تحت ضغط التعصّب السلجوقي في البداية، فإنّ المجتمع والحكومة يظلّان بحاجة إليها. و أنّ لقب القمّي، والتفرشي، والفراهاني، والآوي[1]، والكاشاني، والبرقي معلم على حضور أصحابها وتغلغلهم في الحكومة السلجوقيّة. و نرى أنّ الشيعة الإماميّة كانوا سبّاقين في هذا الباب إذا ما قيسوا بالزيديّة، لأنّ الزيديّة كانوا دعاة دار الإمامة، أمّا الشيعة فقد حافظوا على اتّصالهم بالفقهاء لتسوية شؤونهم الماليّة والقضائيّة، وكانوا ينتظرون ظهور الإمام المهدي عجّل اللّه فرجه على صعيد المطالبة بالحكومة. من هذا المنطلق كانوا يحتفظون

---

١ - جاء في الشعر الّذي أُنشد في أهل آبه - الّذين كانوا شيعة - أنّهم «أعلام النظم و الكتابة»، و فيه إشارة إلى الشؤون الديوانيّة و الكتابيّة. انظر : روضات الجنّات ٦ : ٣٢٣ .

بسيطرتهم النسبيّة على الأوضاع من خلال الدخول في الجهاز الإداري، و ذلك من أجل صيانة المجتمع الشيعي، والدفاع عن حقوق المظلومين أيضاً. و نلحظ نماذج من هذا التغلغل بين أصحاب الأئمّة عليهم السلام منذ عصر الإمام الباقر- عليه‌السّلام - و بعده، وكذلك نلحظها في الموقع الّذي احتلّه علماء الشيعة عبر العصور المتنوّعة. وكان الأمر على هذه الشاكلة في العصر السلجوقي أيضاً.

قال مؤلّف فضائح الروافض : كان أبو الفضل براوستاني، و بو سعد هندوي قميّ من جُباة الضرائب في عهد بركياروق، و السلطان محمّد. و استولى المعمّمون من قم، وكاشان، و آبه على الامور بأعمالهم و تصرّفاتهم استيلاءً تامّاً ».

و قال أيضاً: و لم يعهدوا هذه القدرة في عصر من العصور الخالية، إذ تجرّأوا و كانوا يتحدّثون بملء أفواههم، و لا نجد مكاناً للإتراك إلّا و يحكم فيه خمسة عشر رافضيّاً، وكان كتّاب الدواوين كلّهم منهم، و وضعهم اليوم كوضعهم في عصر المقتدر العبّاسي[٢].

و يقصد مؤلّف الفضائح أنّ تغلغل الشيعة في أواخر العهد السلجوقي كان أكثر من العهود المتقدّمة، بينما كانت تلحظ ضروب من التشدّد والاضطهاد في زمن ملكشاه أحد سلاطينهم. و قال المؤلّف المذكور: إذا كان عند أحد الامراء في عهد السلطان الماضي محمّد ملكشاه مختار رافضي فإنّه يرشي أحد علماء السنّة ليبلّغ الأتراك أنّه ليس رافضيّاً، بل هو سنّيّ أو حنفيّ. و نجد في هذا العهد أنّ معظم أرباب الأتراك و حجّابهم و وبوّابيهم و طهاتهم و فرّاشيّهم هم من الرافضة، و يفتون على مذهب الرفض، و يبتهجون بذلك من غير وجلٍ و لا تقيّة[٣].

و بلغ هذا التغلغل حدّاً أنّ الموظّفين الاداريّين، بل التنفيذيّين كانوا من الرافضة. و من الطبيعي أنّ تعيين هؤلاء لا يمكن أن يكون بمعزل عن حضور الكوادر الإداريّة العالية في الحكومة، وهذه الكوادر كانت شيعيّة بالضرورة. و كان الشيعة في داخل الأجهزة الحكوميّة يتعاضدون و يتكاتفون. و ينبغي أن لا نغفل أنّ هذه الحقائق تصدق على الري الّتي كان يعيش فيها مؤلّف الفضائح، وكذلك صاحب النقض.

و قال مؤلّف الفضائح : «إذا وقع رافضيّ في مأزق، فانّهم يتآزرون و ينقذونه من ورطته.

---

١ - - نقض : ٨١. ٢ - نفسه : ٧٩.

٣ - نفسه : ١١٣.

أمّا إذا كان المتورّط حنفيّاً أو شافعيّاً، فإنّهم يتعاضدون ضدّه، و ينهبون داره، و ينتقمون من مذهبه[١]».

لقد كذّب صاحب النقض وجود هذا التشدّد عند الشيعة في موقفهم من السُّنّة. و عندما نقل صاحب فضائح الروافض قصّة حول تعصّب مجدالملك القمّي، فإنّ عبدالجليل مؤلّف النقض رفضها، و ركّز على روح التسامح الّتي كان يحملها. (انظر : الصفحات القادمة).

و إذا ما عرفنا أنّ الشيعة قد تعرّضت في مستهلّ العصر السلجوقي إلى بعض الضغوط، فلا يمكن أن نقبل أنّها تلقّت ضربة موجعة بالري يومذاك. و قد خفّت هذه الضغوط على كرور الأيّام، يضاف إلى ذلك فرز الإسماعيليّة من الإماميّة إلى حدٍّ ما. وكان للإماميّة أنفسهم دور مهمّ في هذا الفرز، بل كانوا يساهمون في دحض الإسماعيليّة، و خوض المناظرات العلميّة معهم، و كتابة الردود ضدّهم. و هكذا كان رجل مثل نظام الملك المتعصّب لمذهبه الشافعي يحترم بعض الشخصيّات الشيعيّة[٢].

و اتّسم هذا الموضوع بأهميّة أكبر فيما يخصّ السادة. و هكذا يحاول عبدالجليل الرازي- متغاضياً عن بعض التصرّفات الحادّة الّتيكان يبديها ملوك السلاجقة حيال الشيعة - أن يستنتج من الأدلّة القائمة أنّ تعاملهم مع الشيعة كان مناسباً في الجملة.

يقول صاحب الفضائح : «... و في عصر كريم ملكشاهي - سقاه الله برحمته - كان نظام الملك أبو علي الحسن بن علي إسحاق مطّلعاً على سرّ عقيدة هؤلاء. فأذلّهم و امتهنهم جميعاً. و كلّ من ادّعى بالعلم منهم في الري كحسكابابويه[٣]، و بوطالب بابويه[٤]، و أبو المعالي إمامتي[٥]، و حيدر زيارتي مكّي، و علي عالم، و بوتراب دوريستي[٦]،

---

١ - نقض : ١١٦.

٢ - نفسه : ١٤٢ ـ ١٤٥.

٣ - حسكا مخفّف حسن كيا، و هو حسن بن حسين بن بابويه القمّي أحد علماء الشيعة المشهورين. عرف بشمس الاسلام. و كان يسكن بالري، انظر: **الفهرست** لمنتجب‌الدّين (ارموي) : ١٤٧ ؛ تعليقات **الفهرست** : ١٩٢ - ١٩٤ (قم، اصدارات مكتبة آية الله المرعشي).

٤ - هو أبوطالب إسحاق بن محمّد بن حسن بن حسن بن بابويه، انظر : **الفهرست** (ارموي) : ٣٣ .

٥ - هو سعد بن حسن بن حسين بابويه، انظر: **الفهرست** : ٦٩ .

٦ - من علماء الشيعة المشهورين، كان تلميذ الشيخ المفيد، و الشريف المرتضى، انظر: **الفهرست** : ٤٥ ، و التعليقات ١٨٩ . و كان دوريست [طرشت الحاليّة] إحدى القرى التابعة للري.

و خواجه أبوالمعالي نگارگر، و غيرهم من الرافضة السبّابين، فإنّه أمر بإصعادهم على المنابر، و نزع العمائم من رؤوسهم، و هتك حرمتهم، والاستخفاف بهم. وكانوا يقولون لهم: أنتم أعداء الدّين، و أنتم الّذين تلعنون أهل السابقة في الإسلام، و شعاركم شعار الملحدين، آمنوا إذا شئتم. فكانوا يؤمنون، و يبرأون من مقالة الرفض.

و يجيب عبدالجليل قائلاً[1]: أمّا جواب ما نسبه إلى عهد السلطان العادل ملكشاه السلجوقي والخواجه المنصف نظام الملك قدّس اللّه روحهما، فأقول : إنّه كذب و افتراء، لأنّهما قد أكرما السادات والشيعة بالعطايا والهدايا، و ذلك ما تنطق به خطوطهما و توقيعاتهما. و هي ما زالت عندهم ، و ما فتأوا يأخذونها. و كان احترامهم و توقيرهم و ترفيعهم أشياء ملموسة و ملحوظة يومذاك[2]... و أمّا ما ذكره من بعض أعلام هذه الطائفة، فأقول : إنَّ الخواجه نظام الملك كان ينعم عليهم بعطايا كثيرة و صلات عظيمة. وإنّ فرق المسلمين جميعها كانت تعرف علم شمس الإسلام حسكا بابويه و أمانته و زهده و ورعه . كما كان بوطالب بابويه واعظاً يعظ المسلمين و يذكّرهم عدد سنين، و أمانته و فضله ظاهران باهران. و أمّا ابوالمعالي إمامتي العالم والمفتي والواعظ والمقري، فإنّ امتلاك نفسه و ضبطها كانا بارزين عليه. و كذلك كان الخواجه بُلحسن معروفاً و ذا شأن. وكان آباء الخواجه علي عالم – رحمه‌اللّه – و أعمامه معروفين مشهورين. و نجد في هذه الطائفة أمثال الخواجه بوسعيد الّذي كان عالماً متديّناً مفسّراً و راوياً للأخبار، والخواجه الفقيد عبدالرحمن النيسابوري[3] الذي لفت أنظار عظام السلاطين والوزراء إلى كتبه و أقواله و قلمه و تصانيفه ، فأجزلوا له العطاء، و عظّموا حرمته. و هؤلاء ليسوا من قوم يتطاول عليهم شخص مثل نظام الملك الّذي أغدق عليهم العطاء و رفق بهم كثيراً. و كان أبوالمعالي نگارگر مؤمناً معتقداً، و لم يعرف بالشتم واللعن [لعن الصحابة] بحمداللّه.

و أمّا الخواجه بوتراب دوريستي، فقد كان مشهوراً في فنون العلم، و تصنيف الكتب و رواية الأخبار الكثيرة، و يعتبر أحد العلماء الكبار في هذه الطائفة و كان نظام الملك

---

١ – نقلنا هنا جوابه المفصل لاحتوائه على معلومات مفيدة نسبيّاً عن وضع الشيعة في الري.

٢ – **نقض** : ١٤٢ . و انظر : ٤١ .

٣ – ذكره منتجب الدّين و أثنى عليه بقوله: «شيخ الأصحاب في الري». و عدّه من تلامذة الشيخ المفيد، و الشريف المرتضى ، و الشريف الرضي. انظر : **الفهرست** : ٧٥ .

يذهب كلّ اسبوعين إلى دوريست، و يسمع الأخبار من الخواجه جعفر و يعود مغموراً بغاية فضله و عظمته. وهذه الأسرة معروفة بالعلم والعفّة والأمانة خلفاً عن سلف، و كان الخواجه حسن والد بوتراب قد خدم نظام الملك و صحبه، و له عليه دالّة، و أنشد شعراًفي مدحه[١].

و ينبغي أن نعلم أنّ نظام الملك كان شخصاً متعصّباً، و قد أساء القول في الرفض و الرافضة في كلّ موضع من كتابه سياستنامه، و أكّد التشدّد عليهم. و مع هذا، كان تغلغل الشيعة في زمانه قد بلغ درجة بحيث انّه ألزم نفسه بالاقتراب منهم والتودّد إليهم ما استطاع إلى ذلك سبيلاً، بخاصّة، أنّه كان يسمع الحديث من علماء الشيعة المشهورين من منطلق فضل الصداقة والمودّة، كما أشار عبدالجليل إلى ذلك.

والطريف هو أنّه كمؤلّف الفضائح كان يشكو من تغلغل المذهب العراقي، و فيه إشارة إلى المذهب الشيعي في عراق العجم، بينما نبّه على وجود التشدّد اللازم في العصر السلجوقي الأوّل للحيلولة دون هذا التغلغل[٢]. و قال : لم يجرأ أحد من المجوس، والنصارى، والروافض في عهد محمود و مسعود [الغزنويّين] ، و طغرل، و البارسلان على الظهور في الساحة أو القدوم عند الأتراك. و كان المختارون الأتراك كافّة يسيطرون على رؤساء خراسان. و كان الكتّاب الخراسانيّون الحنفيّون والشافعيّون من الأطهار، وليسوا من الكتّاب والعمّال الّذين يدينون بمذهب العراق السيّىء، و كانوا قد أجازوا لهم الاقتراب منهم، و لم يسمح الأتراك قطّ بتشغيل أحد منهم ... و لا جرم أنّهم كانوا يعيشون مبرّأين من كلّ عيب. أمّا الآن فقد بلغ الأمر أنّ البلاط والديوان قد غصّا بهم، و وراء كلّ تركيّ مئتان منهم، يخطّطون أن لا يمرّ خراسانيّ على هذا البلاط والديوان أو يجد فيه خبزاً[٣].

و ذكر نموذجاً على تشدّد ألبارسلان بالنسبة إلى الروافض، و نصّ على أنّ شخصاً لو قال في ذلك الزمان: أنا شاعي [شيعي] ، و من أهل قم أو كاشان، أو آبه، أو الري، فإنّه

---

١ - نقض : ١٤٥ ـ ١٤٦ .

٢ - لابدّ من الالتفات إلى أنّ هذه المعلومات تحوم حول الري و منطقة عراق العجم، أو بعبارة أُخرى : منطقة الجبال.

٣ - سياستنامه : ٢١٥ - ٢١٦ .

يُرْفَضُ[١].

ثمّ تحدّث كثيراً عن ذمّ الروافض. و كمامرّ بنا سابقاً، فانّ هذه الضروب من التشدّد لم تترك تأثيراً يذكر في تقليص نفوذ الشيعة، لأنّ التشيّع كان قد ضرب بجرانه في الري و توابعها.

تسامح الشيعة في تعاملهم مع المذهب السنّي و دور ذلك في بقاء شيعة الري

لابدّ لنا من الحديث هنا عن باعث مهمّ كان له دور عظيم في المحافظة على شيعة الري. و ليس هذا الباعث إلاّ تسامح الشيعة في تعاملهم مع السنّة المسيطرين المتعصّبين، ذلك التسامح الّذي خفّف من الضغط على الشيعة. و ينبغي الإقرار بالقاعدة الآتية فيما يخصّ الشيعة : إذا كان الشيعة يعيشون إلى جانب السُنّة، فانّهم يتواجهون ثقافيّاً، و يتعايشون تعايشاً سلميّاً، و يتفادون الاصرار على مسائل خاصّة تثير نوعاً من الحسّاسيّة. و في مقابل ذلك، إذا كانوا يعيشون وحدهم فحسب، فإنّهم يبتعدون عن الوضع المذكور. و يمكن القول بنحو تقريبي أنّ الأصوليّة والأخباريّة كانتا وليدتَي هذين الوضعين إلى حدٍّ ما.

و كانت الأوضاع السائدة في الري من الضرب الأوّل. إذ إنّ الشيعة كانوا يعيشون في وسط يكثر فيه السنّة، و يعيش فيه عدد كبير من علمائهم. و من الطبيعي أنّ الشيعة كانوا يتعاملون و يتصرّفون من وحي التسامح، للسبب المتقدّم، و قد يقوى ذلك التسامح بوصفه تقيّة.

و إنّ من أفضل الأدلّة على ذلك كتاب نقض لعبد الجليل القزويني الرازي. و نقرأ في هذا الكتاب أمثلة كثيرة تعرض الروح الشيعيّة الأصوليّة بحذافيرها في المسائل الاعتقاديّة. و تحدّث المؤلّف مراراً عن حسن رأي الشيعة في الصحابة و أزواج رسول‌اللّه - صلّى‌اللّه عليه و آله و سلّم، و أنكر سبّهم إيّاهم. و قال لإثبات صحّة مدّعاه: «ألّفت في سنة ٥٣٣ كتاباً منفرداً في تنزيه عائشة أيّام حكومة أمير غازي عبّاس رحمة‌الله عليه

---

١ - سياستنامه : ٢١٦ - ٢١٨.

بإشارة رئيس الشيعة و مقتداهم السيّد سعيد فخر الدّين بن شمس الدين الحسيني [١] قدّس اللّه روحهما و قاضي القضاة سعيد عماد الدّين الحسن الاسترابادي [٢] نوّراللّه قبره... و من أراد الاطّلاع على الكتاب المذكور، فليطلبه و يقرأه حتّى يتعرّف على عقيدة الشيعة الإماميّة في أزواج الرسول [٣]. و قد جهد كثيراً من أجل إثبات هذه الرؤية، حتّى انّه حاول توجيه ضغط الباب على فاطمة الزهراء - عليهاالسّلام - بنحو من الأنحاء ضمن قبوله «أنّ هذا الخبر صحيح» «و أنّه مذكور في كتب الفريقين» بقوله: «لو كان هدف عمر أخذ عليّ ليبايع أبابكر، لا إجهاض حمل الزهراء، و لعلّه لم يعلم أنّها كانت وراء الباب». و حينئذٍ يكون القتل قتل خطأ. و في الوقت نفسه ينصّ على «أنّه لا يستطيع أن يقول أكثر من هذا في هذا الفصل واللّه أعلم بأعمال عباده». و يدلّ كلامه المذكور - بكلّ صراحة - على أنّه لم ير المجال مناسباً لتوضيح أكثر.

و أبدى المؤلّف مثل هذا التسامح أيضاً في حديثه عن سلاطين السلاجقة بحيث انّه كان يترحّم عليهم عند ذكر أسمائهم بقوله: «رحمةاللّه عليه» أو «سقاه اللّه برحمته»، و ذلك بنحو يدلّ على رضاه عنهم.

وكان الخواجه حسن والد أبي تراب دوريستي - الّذي كان أحد علماء الشيعة الكبار - يتردّد على الخواجه نظام الملك، و في ضوء تعبير الرازي «أنشد شعراً في مدحه، وكيف يوصف بالشتم واللعن، وهو الّذي نظم القصائد في فضائل كبار الصحابة». ثمّ نقل إحدى قصائده «الّتي تخلّص فيها بمدح الخواجه نظام الملك [٤]».

واللافت للنظر هو الأواصر العائليّة الّتي كانت تربط نظام الملك بأحد سادة الري من

---

١ - انظر: ديوان قوامي رازي (تصحيح ارموي): ١١١ - ١١٦.

٢ - كان حنفيّاً، روى عنه جمع من الشيعة لاعتداله. انظر: تعليقات **الفهرست**: ٢٦١. و نصّ صاحب **نقض** أنّ الشيعة سمعت كتاب **غررالفرائد** للشريف المرتضى عن طريقه، و هو سمعه عن ابن قدامة، و هذا سمعه عن الشريف المرتضى. انظر: ص ١٥٨. و انظر: تعليقات ديوان قوامي رازي، : ٢٤٤.

٣ - **نقض**: ١١٥. و انظر: ص ٢٩٥. و انظر: **الفهرست** (تصحيح الاستاذ الطباطبائي): ١٢٩. و نحتمل احتمالاً قويّاً أنّ هذا الكتاب يحوم حول حديث الإفك.

٤ - **نقض**: ١٤٥ - ١٤٦.

خلال زواج ابن السيّد مرتضى القمّي بإحدى بنات نظام الملك[١].

و بينما كان مؤلّف الفضائح يحاول أن يعرّف الشيعة كأُناس متعصّبين على الخلفاء، والصحابة، و أهل السنّة، فإنّ عبدالجليل يجدّ لردّ هذه التهمة. و ثمّة نموذجان تاريخيّان جالبان للإنتباه نقلهما المؤرّخون حول مجدالملك القمّيّ.

كان مجدالملك المقتول سنة ٤٩٢ هـ من الوزراء الشيعة في العصر السلجوقي و ينحدر من براوستان قم، و أثنى عليه الرازي فيكلّ موضع من كتابه، و لم يشكّ أدنى شكّ في تشيّعه الامامي. تسنّم مجدالملك منصب الوزارة في عهد بركياروق نجل ملكشاه السلجوقي، ثمّ قُتل بمؤامرة بعض الأمراء بعد سنين قضاها في الوزارة متمتّعاً بنفوذ عظيم. و كان العذر الّذي تمحّلوه في قتله هو أنّه كان يحرّض الباطنيّين الإسماعيليّين على قتل الأمراء الحكوميّين[٢].

و ندم بركياروق على قتله، كجُلّ الملوك الآخرين الّذين يندمون بعد قتل وزرائهم.

و يصرّ مؤلّف الفضائح على تعصّب مجدالملك القمّي في التشيّع ، و ذكر بشأن هذا التشدّد ما نصّه : «... إلى درجة أنّ بلفضل براوستاني عندما كان بالري، استأجروا غسّالاً من أهل درغايش ، وكان اسمه أبابكر، بيد أنّه كان رافضيّاً ، و وقع في قبضة مجدالملك براوستاني، فقال : خذوه و علّقوه على المشنقة بحكم لا يوجب قتله. فقيل له : أيّها الملك، إنّه رجل مؤمن، أي: رافضي. قال : قلتم: اسمه أبوبكر، و إنّ أبابكر لابدّ أن يقتل. و كلّموه فيه إلى أن أطلقه.

و انتقد عبدالجليل مؤلّف الفضائح على هذه القصّة، وهو يلهج بالثناء على مجدالملك بوصفه «متديّناً معتقداً» «آثار خيراته ظاهرة في الحرمين : مكّة و المدينة» ، و قال : «و لا يقيم اللبيب وزناً لما ذكره في قصّة الغسّال. و كيف يناط ملك المشرق والمغرب برجل جاهل يأمر بقتل إنسان بريء على اسمه فحسب، أليس في جنده و فرّاشيه آلاف من السنّة والشيعة يتسمّون بأبي‌بكر، و عمر، و عثمان، و هم محترمون و أقوالهم نافذة عنده ؟ أليس في بلاطه سبعمائة غلام تركي من السنّة الحنفيّة والشيعة ؟ أليس عنده سبعمائة من

---

١ - انظر تعليقات نقض ١ : ٢٦٤ ، التعليقة ٥٢ . و انظر أيضاً : **وزارت در عهد سلاطين بزرگ سلجوقي** : ١٠٩ - ١١٤ .

٢ - انظر : تعليقات **الفهرست** : ٣٤٦ ؛ **نقض** : ٢٨٠ ؛ **لباب الأنساب** ٢ : ٦١٣ .

الأتراك كلّهم شيعة ؟

ثمّ نقل بعد ذلك قصّة تدلّ على المعاملة السمحة لمجد الملك، و ذكْرها هنا مثير للانتباه، يقول: و سمعت أنا أيضاً من رئيس الشيعة و شيخ السادات السيّد السعيد فخرالدّين شمس الإسلام الحسن رحمةاللّه عليه أنّه قال :كنت ذات يوم عند مجد الملك مع والدي السيّد علي العلوي رحمهاللّه، فأقبل تاجران غريبان أحدهما من حلب، والآخر من بلاد ماوراءالنهر. و كان الثاني حنفيّ المذهب و اسمه عمر، أمّا الأوّل فكان شيعيّ المذهب و اسمه علي، و كلاهما يدين السلطان مبلغاً من المال، فأمر مجدالملك باعطاء الحنفيّ ذهباً نقداً من الخزينة، و وكل الشيعي على شخص في المدينة. و كان الفرّاش حاضراً، فقال : أليس عجيباً أن يَنْقُدَ الملك عمرَ و ينسأ عن عليّ دَينَه !؟ فقال الملك: أنا أعرف ذلك، و لكنّي فعلت ما فعلت ليعلم الناس أن لا تعصّب في ملكنا و معاملتنا، و لا غرو فانّي أحترم عليّاً و أُحبّه. و استحسن الناس هذا منه[1].

و نقل ابن الأثير أيضاً تشيّعه وقال :كان يذكر الصحابة بخير، و لم يأذن لأحد أن يُسيء إليهم[2]. و نقرأ في ديوان بدر الدّين قوامي رازي أحد شعراء القرن السادس أمثلة كثيرة تدلّ على هذا التسامح. و كان الشاعر المذكور يخالف التعصّب القائم بين الشيعة والسنّة بقوّة، و يدعو إلى نبذه. و نحن نعلم أنّ إحدى التهم الّتي أشاعها السنّة المتعصّبون على الشيعة هي انّهم يعادون الصحابة و يشتمونهم. قال قوامي ما معناه : لا تُلصق بالشيعة تهمة شتم الصحابة، و لا تقل شيئاً يستوجب الاستغفار ... و إنّ هذا التعصّب الّذي بيننا لم يكن موجوداً في عهد أحمد المختار[3].

و قال أيضاً و تعريبهما : اجمع بين حبّ الصحابة و حبّ أهل البيت، فقد كان النبيّ والعتيق في غار واحد. و الزم طريق العدل في سبيل التوحيد. و احذر يا عزيزي من الطواف حول فكرة الجبر[4].

---

١ - **نقض** : ۸۳ - ۸٦.

٢ - **الكامل** ۱۰ : ۲۹۰ (حوادث سنة ٤۹۲).

۳ - مبر تو تهمت شتم صحابه بر شیعت / مگو چیزی کت واجب آید استغفار
تعصّبی که کنون هست در میانه ما / نبود هرگز در عهد احمد مختار

٤ - تو مهر یاران با أهل بیت دار بهم / که بوده‌اند نبي و عتيق در یک غار
طریق عدل نگهدار در ره توحید / بگرد جبر مگر ای عزیز من زنهار

و يطلب الشاعر من أهل السنّة أن يضربوا عن التعصّب صفحاً، و يعلموا أنّهم والشيعة على دين واحد: و تعريبهما: أنا و ايّاك على دين واحد و مذهبين مختلفين، كما أنّ الليل والنهار من عالم واحد بنظامين مختلفين. فلا يفترق أحدنا عن الآخر في الدّين، كما لم يفترق نبيّنا عن المهاجرين و الأنصار[1].

و كان الشاعر شيعيّاً أماميّاً، و ليس في هذا أدنى شكّ. فلنسمعه يقول : و تعريبها: أحبب عليّاً بعد النبيّ ، فانّ من الاشمئزاز أن يكون العنق بلا رأس.

و بعده أحد عشر سيّداً يجب أن نثق بهم في دنيانا و آخرتنا.

إنّ حبّ أهل البيت و الصحابة راسخ في فطرتي إلى درجة أنّ السيف لا يمنعني حبّهم[2].

و يقول أيضاً في إمامة عليّ عليه السلام و نبذ التعصّب : و تعريبها: عليّ وليّ النعمة لأهل الدّين من قِبل الرسول ، و هو وليّ عهده.

و هو في عقيدتنا أوّل الأئمّة الاثني عشر، و في عقيدة غيرنا خاتم الصحابة الأربعة.

... اشمخ أيّها الشيعي بالصحابة و أهل البيت، و افتخر بكلّ منهما على حِدة[3].

ديوان قوامي رازي ١٤٢ - ١٤٤ و تعريبها: و لكن استيغن أنّ محمّداً أفضل من الخمسة و عليّاً أفضل من الأربعة.

و لم يخالف عليّ عمر، فلا تلوّث نفسك بالتعصّب.

---

١ -

من و تو به دو مذهبيم در يك دين — چنانكه روز و شب از یک جهان بدو هنجار
من و تو را نگريزد ز يكديگر در دين — چنانكه احمد را از مهاجر و أنصار

٢ -

بعد از احمد، دامن مهر علي در پای کش — زانكه بس ناخوش بود بی سرگریبان داشتن
وز پس او یازده سيّد كه ما را واجب است — اعتماد عقبى و دنيا بر ايشان داشتن
حبّ أهل بيت و اصحاب آن چنان دارم بطبع — كم بتيغ او دوستيشان باز نتوان داشتن

٣ -

ولي نعمت أهل دين از رسول — ولي عهد پيغمبر كردگار
بنزديک ما سابق ده و دو — بقولى دگر خاتم چاريار
...سرافراز از أصحاب وز أهل بيت — همى كن ز هر يك جدا افتخار

و ما ضرّ أن يكون أئمّة الحقّ بالنصّ و أنت تراهم أئمّة بالاختيار؟

... و بعد عليّ أحد عشر سيّداً في ميدان الدّين ، و هم فرسان من حيث العصمة.

و كلّهم مطهّرون و معصومون و منصوص عليهم من اللّه ، و هم كالانبياء في وقارهم، والملائكة في ظاهرهم[1].

و من الواضح أنّ قوامي كان شيعيّاً إماميّاً يقول بالنص. و مع ذلك كلّه كان يؤكّد حبّ الصحابة إلى جانب حبّ أهل البيت كراراً. و من الطبيعي أنّه كان يقدّم عليّاً على الصحابة كافّة:

ديوان قوامي رازي : ١٦٨، و تعريبها: إنّ من أحبّ أهل بيت النبوّة، ينظر إلى صحابة النبي على أنّهم صحابة.

و لابدّ من تفضيل عليّ على الآل و الأصحاب في كلّ وقت.

لأنّه أوّل الآل (الأئمّة الاثني‌عشر) و خاتم الأصحاب في آن واحد[2].

و على الرغم من أنّ هذا الشاعر كان بعيداً عن التعصّب، بيد أنّ له موقفاً حيال مذهب الجبر. و ذكر شعار التوحيد والعدل، و نفى التشبيه في كثير من أشعاره[3]. و يلاحظ مثل هذا التسامح بوضوح في كتاب نثر الدر، وهو الكتاب الأدبي الخالد الّذي ألّفه أبو سعد آبى وزير مجدالدولة البويهي. و نلمس في هذا الكتاب نظرة نقيّة من شوائب التعصّب، بحيث انّنا يمكن أن ندلّ على مشاكلته الآثار الأدبيّة لبعض السنّة بعد التغاضي عن القسم المتعلّق بالأئمّة المعصومين - عليهم‌السّلام، أو عن الاشارات الواردة في باب التشيّع. و يبدو أنّ المناخ الديني السائد يومذاك كان يتطلّب مثل هذا الأمر، و إن كان من الممكن في الوهلة

---

١ - وليكن يقين دان كه فاضلتر است / محمّد ز پنج و عليّ از چهار
خلافى نكردى علي با عمر / تو اندر ميانه تعصّب ميار
چه باشد كه باشند امامان حق / بدين دم مرا نصّ؛ ترا اختيار
...ز بعد علي يازده سيّدند / بميدان دين در؛ ز عصمت سوار
همه پاک و معصوم و نص از خداى / پيمبر وقار و فرشته شعار

٢ - آنرا كه بود دوستى آل پيمبر / ياران نبى را بدل و ديده بود يار
ز اولاد وز اصحاب پيمبر بهمه وقت / تفضيل علي بيش بود لابد و ناچار
زيرا كه ز اولاد وز أصحاب نبى اوست / هم اوّل اين يازده هم آخر آن چار

٣ - نفسه : ١٢٢ ، ١٦٤ .

الاولى أنّ هذا المناخ قد طرأ بسبب التقيّة، لكنّه تبلور في وضع فكريّ خاص على امتداد العصور. و هكذا ينبغي أن نعدّ التسامح الّذي أبداه حكّام الشيعة و علماؤهم و فقهاؤهم في الري أحد البواعث على بقاء التشيّع إلى جانب تعصّب الحكّام السلاجقة.

علويّو الري في العصر السلجوقي

قلنا سابقاً : إنّ كثرة العلويّين في الري كانت سبباً لامتداد التشيّع من النوع الإمامي والزيدي. وكان لهؤلاء العلويّين كيان مستقلّ و منظّم يعرف بالنقابة، و على رأس هذه النقابة علويّ بارز معروف ، يعيَّن من قبل الحكّام للقيام بالشؤون المتعلّقة بهم. و تحدّث المرحوم ارموي عن نقباء الري و قم، و يستشفّ من حديثه أنّهم كانوا يتمتّعون بشخصيّة اجتماعيّة رفيعة[١].

و تحدّث البيهقي بالتفصيل عن أحد النقباء الكبار في الري وهو شرف الدّين محمّد، الّذي عاصره، و نقل الأشعار الّتي أنشدها في حقّه[٢]. وكان والد شرف الدّين هو عزّ الدّين أبوالقاسم علي الّذي كانت أمّه من أحفاد نظام الملك من جهة النساء. و أشرنا قبل ذلك إلى أنّ إحدى بناته عقدت لابن السيّد مرتضى القمّي. وكانت والدة شرف الدّين أيضاً بنت الملك السلجوقي ألب ارسلان[٣].

---

١ - تعليقات ديوان رازي : ١٩٣ . تعليقات **الفهرست** : ٣٤١ - ٤١٣ .

٢ - **لباب الأنساب** ٢ : ٦١١ - ٦١٤ .

٣ - **لباب الأنساب** : ٦١٣ . كان الشاعر الشيعي قوامي قد لفت نظره نسبُ شرف الدّين المتّصل ببيت الوحي من جهة، و بسلاطين السلاجقة من جهة أُخرى . و كان يذكره على أنّه ذو الحسبين. و قال في شعر أنشده في حقّه:

از گوهر مطهر سلجوقيان و وحى   با چتر شرع و نوبت دين شاه لشكرى

و تعريبه : أنت من الجوهر المطهّر لأهل بيت الوحي و السلاجقة. و لك مظلّة الشرع و قدرة الدين مع الامارة و الملوكيّة.

أنظر: **ديوان قوامي**: ٤٠ - ٤١. و قال في موضع آخر:

صدر جهان، نقيب نقيبان شرق و غرب   كو سيّدى نبى صفت و پادشه لقاست

وتعريبه: رئيس العالم نقيب نقباء الشرق و الغرب و هو سيّد نبويّ الصفات ملوكيّ الملامح.

انظر : **ديوان قوامي**: ٧٦ .

و هكذا يستبين لنا أنّ السادات العلويّين كانت تربطهم و شيجة بالحكّام استطاعوا من خلالها أن يتغلغلوا تغلغلاً ملحوظاً في الأوضاع السياسيّة والإداريّة الّتي كانت قائمة آنذاك. و كان نجل شرف الدّين، وهو أبو القاسم عزّ الدّين يحيى، نقيب النقباء بالري، و قم، و آمل، و قد ذكرته مصادر تلك الفترة بالثناء والتبجيل[١]. و قُتل هذا النقيب في هجوم خوارزم شاه على الري. وتوجّه ابنه ناصرالدّين تلقاء بغداد، فاستوزره الحاكم العبّاسي الناصر لدين اللّه. و من نقباء الري الآخرين زيد ما نكديم بن محمّد الّذي ذكره البيهقي[٢].

و اذا صرفنا عن النقباء، فانّنا نجد أُسَر السادات الّتي كانت تُعرف كبطون إحدى القبائل. و كان على رأس كلّ أُسرة رجل مشهور بارز يتميّز بلقب معيّن، و كذلك تشتهر سلالته بهذا اللقب. و عُرِّفت هذه الأُسر و وجوهها المرموقة في عشرات الكتب الّتي صنّفت في نسب العلويّين. و ذكر البيهقي بعضها، كما أنّ كتب الأنساب الأُخرى أوردت مطالب في هذا الحقل، و نشير إلى عدد منها فيما يأتي:

سادات خرامابادي: كانت خراماباد قرية من قرى الري. و هؤلاء السادة منسوبون إلى محمّد بن عيسى بن أحمدبن ... الحسين الأُصغر وكانوا يقطنون في هذه القرية[٣].

سادات صدر زينبي: نسبة إلى حيّ في ضواحي المدينة،كانوا يسكنون فيه، ثمّ قدموا الري و توطّنوها[٤].

سادات كركوره: أُسرة مشهورة من السادات المنسوبين إلى أحمد بن محمّد بن جعفر بن عبدالرحمن الشجري[٥].

وكذلك كان بالري سادات لحياني[٦]، و سادات بني ميسرة الحسني[٧]، و بني الوارث الحسني[٨] أبناء أحمد بن حمزة بن محمّد بن إسحاق بن جعفرالصادق – عليه السلام.

---

١ – انظر: تعليقات ديوان قوامي رازي : ٢١٢ – ٢١٤ .

٢ – لباب الأنساب ٢ : ٦٤٥ .

٣ – نفسه ١ : ٢٥٢ . و انظر: ص ٢٧٨ .

٤ – نفسه : ٢٧٦ .

٥ – نفسه : ٢٩١ .

٦ – نفسه : ٢٩٥ .

٧ – نفسه : ٢٩٩، ٢ : ٢٥٩ – ٢٦٥ .

٨ – نفسه : ٣١٣ .

العلويّون المقتولون بالري

قتل بالري عدد من العلويّين الّذين كان تشيّعهم ذا طابع زيديّ نوعاً ما على يد حكّام المدينة المذكورة، و ذلك اعتباراً من القرن الثالث فصاعداً. و من هؤلاء:

محمّد بن حسين بن عليّ بن محمّد بن الصادق - عليه‌السّلام، قتل بالري على يد عمّال المعتضد[١]. و جعفر بن محمّد بن جعفر من أبناء عمر بن عليّ - عليه‌السّلام، قتله عبدالله بن عمر عامل عبدالله بن طاهر في «سربالاى سناردك» و قبره فيها[٢]. و منهم: يحيى بن عليّ بن عبدالرحمن بن قاسم من أولاد جعفر بن أبي طالب، قتل من قبل أعوان عبدالله بن عزيز في إحدى قرى الري، و قبره هناك أيضاً[٣]. و منهم : محمّد بن عبدالله بن إسماعيل، و هو من أولاد جعفر أيضاً، قتله عبدالله بن عزيز بالري و قبره فيها[٤]. و منهم: محمّدبن عبدالله بن اسماعيل بن موسى بن جعفر - عليه‌السّلام، قتله عبدالله بن عزيز، و قبره في وسط الطريق بين الري و قزوين[٥]. و منهم : أحمد بن قاسم بن محمّد الرسّي، قتل في مناطق الري أيضاً. وكان متوجّهاً الى ابيورد بعد أن دعاه أهلها، فقتل بالري[٦]. و منهم : عليّ بن موسى بن اسماعيل .... بن موسى بن جعفر - عليه‌السّلام، كان مقيماً بالري، و حبس أيّام حكومة المعتز و مات في حبسه[٧]. و منهم محمّد بن جعفر بن حسن بن عمر بن عليّ بن الحسين، ثار بالري سنة ٢٥١ هـ تعاطفاً مع حسن بن زيد، فقبض عليه عبدالله بن طاهر، و سجنه بنيسابور، و مات في سجنه[٨].

و من الّذين خرجوا بالري: عبدالله بن اسماعيل بن محمّد، و احمد بن عيسى بن علي....بن الحسين - عليه‌السّلام، و حسين بن أحمد بن محمّد... بن علي بن الحسين

---

١ - نفسه ١ : ٢٤٢ .

٢ - مقاتل الطالبيّين : ٥٢٥ . (بيروت ١٤٠٨ ، تحقيق أحمد صفر) ؛ لباب الأنساب ١ : ٤١٧ .

٣ - مقاتل الطالبيّين : ٥٣٠ ؛ لباب الأنساب ١ : ٤١٧ .

٤ - مقاتل الطالبيّين : ٥٣١ ؛ لباب الأنساب ١ : ٤٢٦ .

٥ - لباب الأنساب ١ : ٤٢٦ .

٦ - لباب الأنساب ٢ : ٤٦٥ ؛ مقاتل الطالبيّين : ٥٥٤ .

٧ - مروج الذهب ٢ : ٣٠٦ . و انظر : هامش مقاتل الطالبيّين : ٥٢٦ .

٨ - مقاتل الطالبيّين : ٤٩٠ .

المشهور بالكوكبي. ولم يُقتل أحد من هؤلاء[١].

إنّ مراقد أبناء الأئمّة في حيّ من الأحياء كانت تستقطب الشيعة إليهم، بخاصّة إذا كانوا مقتولين على أيدي الحكّام. و أنشد قوامي رازي الأبيات الآتية في ابن مقتول لأحد الأئمّة في محلّة زعفران جاى و هي المحلّة الّتي كانت وقفاً على الشيعة:

و تعريبها : لم يخلق اللّه من العدم أحداً مثل هذا السيّد ابن الإمام. لا عجب من شؤم قتل ذلك الجسد الّذي هو بلا رأس، و لا غرو إذا كان سرو النهر منحنياً. من لم يألم لمحنته فضميره ميّت. و أنت أيّها السيّد ميّت عجيب إذ تأتينا بخبر الأحياء. إنّ الرجل الحقيقي هو الّذي يملأ الحزن قلبه لمحنة صديقه في يوم تعرّضه لها[٢].

ديوان قوامي رازي و تعريبهما: انظر كم هو ممضّ ألم قتله، إذ إنّ ظلام تلك الليلة (ليلة قتله) يأتينا بمثال من النهار المشرق. أي: إنّ ظلام قتله قد أضاء لنا قبساً. و يبكي الناس في (زعفران جا) كلّ عام لذكراه، و الزعفران يُضْحِكُ، و لا يُبكي[٣].

و ذكر الحاكم النيسابوري أيضاً أحد سادة نيسابور و اسمه أبو يعلى الزيدي، كان «نجم أهل بيت النبوّة» يومذاك. و أثنى عليه الحاكم كثيراً و قال : ذهب إلى الري سنة ٣٣٧ هـ. ق، و اجتمع إليه الناس للبيعة فأبى عليهم. و قبض عليه أبو علي حاكم الري و أشخصه إلى بخارى ... مات سنة ٣٤٦ و دفن بقزوين[٤].

وكان أهل الري بما فيهم السنّة يميلون إلى السادة، و لذا كانوا يلتفّون حولهم في أبسط تحرّك يقومون به. و عندما أُلقي القبض على محمّد بن قاسم بخراسان في أواخر القرن

---

١ - **مقاتل الطالبيّين** : ٤٩٠ - ٤٩١.

٢ -

مير امامزاده كه چون او نيافريد	تا از عدم خداى همى بنده آورد
از شوم قتل آن تن بى سر بديع نيست	گر جويبار سرو سرافكنده آورد
دل مرده بود كه ناله ز درد اوى	اى طرفه مرده كه خبر زنده آورد
مرد آن بود كه روز بلا پيش دوستان	بر درد دوست دل به غم آكنده آورد

٣ - **ديوان قوامي رازي** : ١٦.

بنگر چه صعب درد بود قتل درد اوى	كان تيره شب ز روز درخشنده آورد
آرد به زعفران جاهر سال گريهها	آن زعفران كه خاصيتش خنده آورد

٤ - **الأنساب** للسمعاني ٣: ١٩٠.

الثاني الهجري، أُمر حرسه باقتياده خفية عند عبورهم من الري لئلاّ يعلم به أحد[١]، إذ إنّ احتمال التحرّك لإنقاذه كان قائماً.

و ينبغي الالتفات إلى هذه النقطة، و هي: أنّ المجال كان مفسوحاً في منطقة الجبال للفرق الشيعيّة الثلاث : الإماميّة، و الزيديّة، و الإسماعيليّة. بيد أنّ معظم النشاطات الثوريّة في القرن الثالث، والرابع و الخامس كانت تصدر عن الزيديّة، ثمّ استأثر بها الإسماعيليّة حتّى هجوم المغول. و لم تُلحظ انتفاضة خاصّة للإماميّة في غضون ذلك،كما لم يقم نهج علماء الشيعة و فقهائهم على هذه القاعدة. و أنّ ما دلّ على نفسه عمليّاً هو بقاء الإماميّة في الساحة، بخاصّة في الري. و هذا ينبىء عن عمق تغلغل الشيعة الإماميّة و اتّزانهم في تلك الديار.

فهرست منتجب الدّين مرآة التشيّع في الري

كان الشيخ منتجب الدّين عليّ بن بابويه الرازي آخر العلماء من أُسرة بابويه بالري. ولد سنة ٥٠٤ هـ، و يحتمل أنّه مات في أواخر القرن السادس أو في السنين الأُولى من القرن السابع. و ترجم له الرافعي في التدوين، و زعم أنّه كان من أهل السنّة[٢]. بيد أنّ كتابه : الفهرست ، و كذلك كتبه الأُخرى تدلّ بوضوح على أنّه كان من علماء المذهب الإمامي المعروفين كسائر أفراد أُسرة بابويه.

و اعتزم منتجب الدّين على تأليف كتاب في ذكر أسماء مؤلّفي الشيعة و علمائهم تلبية لطلب أبيالقاسم يحيى نجل شرف الدّين، أحد نقباء الري، و ذلك أنّه كان يرى أنّ أحداً لم يصنّف فهرساً في هذا الموضوع بعد الشيخ الطوسي[٣]. و نُظّم هذا الفهرس بالري، و هو يحتوي على معلومات مهمّة عن علماء الشيعة في القرن الخامس والسادس.

---

١ - **مقاتل الطالبيّين** : ٤٦٩ .

٢ - **التدوين** ٣ : ٣٧٧ . ذكر الأُستاذ المرحوم السيّد عبدالعزيز الطباطبائي ترجمة مفصّلة له في مقدّمة **الفهرست** . و من الجدير ذكره أنّ هذا الكتاب طبع بتحقيق الاستاذ الطباطبائي أوّلاً ، ثمّ طبع بتحقيق المرحوم ارموي. و قد أوردنا اسم المحقّق في كلّ موضع استفدنا فيه من الكتاب.

٣ - نحن نعلم أنّ ابن شهر آشوب ألّف فهرسه بعنوان **معالم العلماء**. و لعلّ منتجب الدّين لم يطّلع على ذلك.

و قد حاولنا استخراج ما تيسّرت من المعلومات المتعلّقة بعلماء الشيعة والفكر الشيعي في تلك الأرجاء اعتماداً على المعلومات المقتضبة المعروضة في هذا الكتاب.

١ - ينبغي أن نبدأ حديثنا من كلام الرافعي في منتجب الدّين. يقول: نُسب ابن بابويه إلى التشيّع ، وكان هذا هو مذهب آبائه، و هم ينحدرون من قم، أمّا الشيخ فقد رأيته بعيداً عن التشيّع. وكان يفتّش عن فضائل الصحابة، و يصرّ على رواية تلك الفضائل، و يبالغ في تعظيم الخلفاء الراشدين[١].

إنّ جميع الوثائق والآثار الباقية من الشيخ منتجب الدّين تدلّ على أنّه كان شيعيّاً إماميّاً، و من علماء الشيعة المشهورين. و لكنّ المهم هنا هو أنّ هذا الشيخ الّذي كان أُستاذ الرافعي و الرافعيّ نصّ على أنّه درس عنده سنة ٥٨٥ هـ كيف عرّف نفسه بحيث استبعد الرافعي كونه شيعيّاً ؟ فهذا إمّا يعود إلى «تقيّة» الشيخ، وهو محتمل إلى حدٍّ ما. و إمّا يؤوّل بالتسامح الّذي كان عليه شيعة الري نوعاً ما، و قد ذكرناه سابقاً. وكان تشيّع الري يعود إلى احتياط الشيعة و تقيّتهم من جهة و يبيّن بعض عقائدهم كشيعة أصوليّة من جهة أُخرى. كما مضى ذلك في عبدالجليل الرازي.

و يذكر منتجبُ الدّين أباالقاسم جعفر بن علي - من آل جعفر - الّذي كان يعيش في «دهستان»،وكان يفتي على المذهب الحنفي تقيّةً[٢]. و كان ابنه قاضي «دهستان» و يفتي على المذهب المذكور من منطلق التقيّة[٣].

٢ - نلاحظ بين الأفراد الواردة أسماؤهم فيالفهرست أشخاصاً كانت أسماؤهم و أسماء أجدادهم مازالت فارسيّة. و تدلّ هذه الأسماء على انتقالهم من دينهم السابق إلى الاسلام الشيعي، علماً أنّ بعض المسلمين كانوا يتسمّون بهذه الأسماء أحياناً، فأحدهم كان «زرين كم بن يزداد بن منوچهر» والآخر كان «أمير خسرو فيروز بن شاهور ديلمي[٤]».

٣ - إنّ الموضوع الآخر الوارد في الفهرست هو أسماء بعض الكتب الّتي ألّفها علماء الشيعة، و يمكن أن يرسم لنا هذا الموضوع المشاكل الفكريّة للشيعة في ذلك العصر.

---

١ - التدوين ٣ : ٣٧٧ .

٢ - الفهرست : ٧٠ (تحقيق الطباطبائي). [اعتمدنا فيما يأتي من موضوعات على طبعة الفهرست بتحقيق الاستاذ الطباطبائي، إلّا إذا قُيّد بذكر مصحّحه الآخر : ارموي].

٣ - نفسه : ١١٦ .

٤ - نفسه : ٦٩ ، ٨١ (بالتسلسل).

ويحوم قسم من هذا الكتاب حول الإمامة، و الفقه، والعلوم القرآنيّة. لكن الآثار المرتبطة بالإمامة أكثر من الآثار الأُخرى طبيعيّاً. و يلاحظ في هذه الآثار عدد من الكتب المؤلّفة باللغة الفارسيّة ممّا يدلّ على وجود الفرس الراغبين في المعارف والفقه الشيعي [١] بين عامّة الناس. كما أنّ الكتب المصنّفة في «أنساب العلويّين» وافرة نسبيّاً. و يُعَلَّل هذا بوجود السادات الكثيرين في الري و ضواحيها.

٤ - إنّ من الموضوعات المطروحة في الفهرست، و في النقض أيضاً هو الاصطدام القائم بين الإماميّة والإسماعيليّة. و عُرف الإسماعيليّة وقتذاك على أنّهم الملاحدة وكان أهمّ مقرّ لهم : قلعة أَلَمُوت. و اتّهم أهلُ السنّة الإماميّة بارتباطهم بالإسماعيليّة من الوجهة العقيديّة. فتعرّض الشيعة على أثر ذلك لضغط الحكّام السلاجقة. و أنكروا الارتباط المذكور. و نقل عبدالجليل تلك التهمة و أمثالها عن صاحب الفضائح، و اهتمّ بردّها. و ذكر في معرض دفاعه الكفاح الّذي مارسه الوزراء الشيعة، و كذلك بعض الامراء الشيعة في طبرستان ضدّ الملاحدة (الإسماعيليّة[٢]). كما أورد أسماء عدد من علماء الشيعة الّذين قُتلوا على أيدي الملاحدة[٣].

و تطرّق في موضع آخر من كتابه إلى جهاده العلمي قائلاً : «عرضنا أسماء هؤلاء المطعونين والمدّعين و ألقابهم و أنسابهم في الموجز الّذي كتبناه العام الماضي في جواب الملاحدة وردّ شبهاتهم الّتي أرسلوها إلينا من قزوين[٤]».

و ذكر الشيخ منتجب الدّين أيضاً الشيخ خليل بن ظفر بن خليل الأسدي الّذي ألّف كتابا **جوابات الإسماعيليّة**، و **جوابات القرامطة**[٥]. و كذلك ذكر الشيخ ناصرالدين أبا إسماعيل الحمداني الّذي كان رئيس الشيعة بقزوين، و له كتاب عنوانه: **مناظرات جرت بينه و بين الملاحدة**[٦]. و هذا الرجل ذكره أيضاً عبدالجليل قائلاً: توجّه الخواجه الإمام أبو إسماعيل الحمداني إلى أصفهان و نزل عندالسلطان محمّد على أثر الفتنة الّتي ظهرت بقزوين في شهور عام ٥٠٠، قبل ستّ و خمسين سنة... و ناظر الملاحدة لعنهم اللّه هناك

---

١ - **الفهرست** : ١٠٩.

٢ - **نقض** : ١٣٠ - ١٣١، ٥٦٠.

٣ - نفسه : ١٣٢.

٤ - نفسه : ٤٧٥.

٥ - **الفهرست** : ٦٩.

٦ - نفسه : ١٦١.

فخذلهم و دحض حجّتهم ... فلّقبه السلطان: ناصرالدّين[١].

٥ - ذُكر للشيخ خليل الأسدي كتاب عنوانه جوابات الزيديّة[٢] و ما يستشفّ من محتوى كتاب النقض هو عدم وجود مصادمات بين الزيديّة، والإماميّة بالري آنذاك. ومع أنّ المناظرات العلميّة كانت قائمة بينهما هناك، لكن لم يخالف أحدهما الآخر مخالفة صريحة. و ذكر عبدالجليل زيديّة الري و مدارسهم و علماءهم، و أثني عليهم[٣].

و تحدّث الشيخ منتجب الدّين عن أحد أئمّة الزيديّة، وهو السيّد الثائر باللّه بن المهدي الثائر باللّه الحسني الّذي ادّعى الإمامة، و خرج في جيلان، ثمّ استبصر و اهتدي إلى مذهب الإماميّة.

و زعم هذا الرجل أنّه رأى الإمام المهدي - عليه السلام[٤]. و ذكر منتجب الدّين في موضع آخر من كتابه الواثق باللّه بن أحمد بن الحسين الحسيني الّذي كان زيدياً و استبصر على يد عبدالجليل الرازي[٥].

إنّ من الثابت هو أنّ قسماً من شيعة الري، و كذلك منطقة قصران كانوا زيديّين، أمّا القسم الأكبر منهم، و من الشيعة القاطنين في ضواحي الري، فقد كانوا على المذهب الإمامي. و نقرأ في كتاب الفهرست بعض المعلومات عن تغلغل التشيّع في المناطق التابعة للري، و سنتحدّث عنه في فصل قادم تحت هذا العنوان.

٦ - يمكن أن نحصل على معلومات من فهرست منتجب الدّين عن بعض الجهود الثقافيّة لشيعة الري. فقد وردت فيه أسماء كثير منهم كوعّاظ و مذكّرين. و هو ما أشار إليه عبدالجليل أيضاً. و من الطبيعي أنّ مجالس الوعظ أدّت دوراً يؤبه له في حفظ الشعائر الشيعيّة. و جرى الحديث عن أشخاص آخرين بوصفهم مناظرين[٦]، أي: إنّ مجالس المناظرة كانت تعقد فيناظر هؤلاء الأشخاص المناوئين. و ذُكر أبو سعيد عبدالجليل بن عيسى الرازي بوصفه متكلّماً «له مقامات و مناظرات مع المخالفين[٧]». كما ورد اسم الشيخ زين الدّين أبي الحسن عليّ بن محمّد الرازي المتكلّم «شيخ علماء الطائفة الشيعيّة في

---

١ - نقض: ٣٦.
٢ - الفهرست: ٦٩.
٣ - نقض: ٤٥٨.
٤ - الفهرست: ٣٤.
٥ - نفسه: ١٩٥.
٦ - نفسه: ٥٩.
٧ - نفسه: ١١١.

عصره» و «له مناظرات مشهورة مع المخالفين[١]».

و نستنتج من معلومات نقلها عبدالجليل أنّ في المدارس مكاناً مخصّصاً للمناظرة[٢].

و وجّه صاحب كتاب الفضائح انتقاده للشيعة أنّهم «يحضرون مجالس مخالفيهم». و قبِل عبدالجليل ذلك، و علّله بأنّ الشيعة كانوا يتطلّعون إلى معرفة الأفكار الجديدة للعلماء الوافدين من خراسان إلى الري[٣]. و يمكن أن يشكّل هذا الموضوع إشارة إلى جهود الشيعة للتعرّف على آراء أهل السنّة.

٧ - و من الجهود الثقافيّة الأخرى للشيعة إنشاد المدائح. و ذكر الشيخ منتجب الدّين بعض الأشخاص بوصفهم مدّاحين[٤]. فقد كان يُنظَر إلى نظم الشعر في أهل البيت - عليهم‌السّلام - على أنّه إنشاد للمدائح. و من هؤلاء الأشخاص: «السيّد تاج الدّين أبو تراب» الّذي نظم عشرة آلاف بيت في مدح «أهل البيت[٥]». و منهم «الشيخ أبوالحسين عاصم العجلي» الّذي كانت له أشعار فيهم[٦]. و منهم: «الشيخ زين الدّين أبو الحسن عليّ بن محمّد الرازي[٧]». و يتحصّل من المعلومات الّتي وضعها عبدالجليل في متناول أيدينا أنّ منافشة شديدة كانت قائمة بالري بين «منشدي المناقب» الّذين كانوا يمدحون أهل البيت، و بين «منشدي الفضائل» الّذين كانوا يمدحون الصحابة. و نصّ عبدالجليل على أنّ عمل منشدي المناقب كان شائعاً في جميع الحواضر الشيعيّة[٨]. و يمكن أن يمثّل ديوان قوامي رازي، وهو أحد شعراء الشيعة بالري إبّان القرن السادس نموذجاً لأشعار منشدي المناقب في تلك الفترة[٩]. و من المناسب أن ننقل هنا بيتين لملك الكلام بندار رازي شاعر مجدالدولة، و كان قد توفّيّ سنة ٤٣٣ و تعريبهما:

مادام تاج ولاية عليّ على رؤوسنا، فإنّنا بخير و سعادة. و نشكرالله على أنّ أميرالدّين هو حيدر، و ذلك من فضل الله و منّ امهّاتنا علينا[١٠].

---

١ - الفهرست: ١١٤.
٢ - نقض: ٣٤.
٣ - نفسه: ١٠٥ - ١٠٦.
٤ - الفهرست: ٢٦.
٥ - نفسه: ١١٥.
٦ - نفسه: ١٢٣.
٧ - نفسه: ١١٤.
٨ - نقض: ٦٥ - ٦٧، ٧٤، ٧٧. وانظر: كتابنا هذا.
٩ - انظر: مقدّمة ديوان قوامي ص يط بشأن قواميّ الّذي كان من منشدي المناقب.
١٠ - مجمع فصيحي، القسم الثاني: ١٦٣؛ قصران ١: ٥٧٧.

تـا تـاج ولايت علي بـر سـرمه / هر روز مرا خوشتر و نيكوتر مـه
شكرانه اين كه ميردين حـيدر مـه / از فـضل خـدا و مـنّت مـادر مـه

۸ - يمكن أن نلحظ في فهرست منتخب الدّين إشارات إلى أوضاع الشيعة في سائر الأمصار، و إن كانت محدودة للغاية. و ذُكر عالم من شيعة عراق العرب و هو «الشيخ أبو طالب عليّ بن أحمد البزوفري» الّذي سكن في الري[1]. وكانت بزوفر قرية بين واسط و بغداد.

و ورد ذكر بعض علماء الشيعة الآخرين و مناطق سكنهم. و هذه المناطق هي: حلب[2]، و زنجان[3]، و خوارزم[4]، و قاشان[5]، و ورامين[6]، و ساري[7].

وكان عدد من الشيعة قضاة، مثل كمال الدّين أحمد راوندي الّذي كان قاضي كاشان[8]. و جاء لقب «المحتسب» للشيخ محمّد بن حسين ممّا يمثّل معلماً على اشتراكه في الشؤون الادارية. و نقل له كتاب بعنوان رامش افزاى آل محمّد [المُيسرّ لآل محمّد (ص)] في عشرة أجزاء، و قد قرأ عليه الشيخ منتجب الدّين شيئاً منه[9]. وكان فخرالدّين محمّد بن عليّ الاسترآبادي قاضي الري أيضاً[10].

و يعتبر كتاب الفهرست من أهمّ المصادر لمعرفة الأُسر الشيعيّة في الري. و ذكرت أُسر أُسر أُخرى بالري مضافاً إلى أُسرة بابويه مثل أُسرة كيسكي، و حمداني، و دعويدار، و راوندي، و غيرها.

و من هذه الأُسر : أُسرة خزاعة. وكان بنو خزاعة من القبائل القاطنة بمكّة. و كانوا أنصار بني هاشم منذ البداية، ثمّ اعتبروا في عداد الشيعة أكثر فأكثر. و من أشهر علمائهم: حسين بن علي بن محمّد بن أحمد الخزاعي المعروف بأبي الفتوح الرازي، المفسّر الكبير للقرآن. و كان أحد أجداده من تلاميذ الشريف الرضي ، والشريف المرتضى، والشيخ الطوسي، و هو أحمد بن حسين بن أحمد الخزاعي، و له آثار في الحديث، والفقه، والاصول، ذكرها الشيخ منتجب الدّين. و كان جدّ أبي الفتوح أبا سعيد محمّد بن حسين

---

١ - الفهرست : ١٣٣ .
٢ - نفسه : ١٤٨ .
٣ - نفسه : ١٥٠
٤ - نفسه : ١٥١ .
٥ - نفسه : ١٧٥ ـ ١٧٦ ، ١٨٤ ـ ١٨٦ .
٦ - نفسه : ١٨٢ . و سنتحدّث عن ورامين في الفصل الخاص بالتشيّع في مناطق الري.
٧ - نفسه : ١٨٣ .
٨ - نفسه : ٢٢ .
٩ - نفسه : ١٦٦ ، و انظر : **أمل الآمل** ٢ : ٢٦٨ .
١٠ - نفسه : ١٨٨ .

الخزاعي، ألّف كتباً في الزهراء - عليهاالسّلام - و فضائل أهل البيت. و كان عمّ أبيه أبامحمّد عبدالرّحمن بن أحمد بن حسين صاحب عدد من المؤلّفات. و لأبي الفتوح ولد هو الامام تاج‌الدّين محمّد بن حسين، روى عنه ابن اخته الإمام فخرالدّين أبو سعيد أحمد بن محمّد الخزاعي[1]. و هكذا يستبين أنّ هذه الأسرة العربيّة المَحْتِد، الّتي أصبحت نيسابوريّة فيما بعد، ثمّ توطّنت الري في آخر الأمركانت من الأسر الشيعيّة الأصيلة.

الأحياء الشيعة في الري من خلال مرآة كتاب النقض

يحتوي كتاب نقض على أغنى المعلومات عن الوضع الديني لمدينة الري، بل يحتوي على معلومات فذّة فريدة في هذا الحقل. و نقلنا منه سابقاً مطالب في معرفة بعض الشخصيّات الشيعيّة، و كذلك الممارسات الثقافيّة للشيعة بالري.

و نعرض فيما يأتي معلومات عن الأحياء الشيعيّة هناك، و هي مقتبسة من الكتاب المذكور، و من كتاب فضايح الروافض الّذي نقضه عبدالجليل[2]. و من الطبيعي أنّ هذه المعلومات تتعلّق بمنتصف القرن السادس الهجري.

تحدّث مؤلّف الفضائح في العبارة الآتية عن حيّين شيعيّين مهمّين بالري، و كذلك عن بعض الحواضر الشيعيّة، فقال: و اعلم أنّ مذهب المدينة ينبغي أن لا يُعتنق، لاكما في قم، و قاشان، و سبزوار، و نيسابور. و من أحياء الري: مصلحگاه، و زاد مهران، و أهلهما رافضة. و ينبغي أن يُعتَنَقَ مذهب الحقّ، و لا يُتَّبَع الهوى، كما في الري الّتي يغلب عليها الرفض. و كان ذلك أفضل، حتّى لو كان عددهم كثيراً[3].

و نجد في هذا الكلام أنّ المؤلّف أقرّ تلويحاً أنّ معظم أهل الري كانوا على المذهب الشيعي. و في كلام آخر، تحدّث عبدالجليل عن الأحياء والحواضر الشيعيّة بالتفصيل، فقال:

هل تعلم من كان جند آل المرتضى عليه السلام ؟! إنّهم ليوث فيلسان، و أُمراء الجيش في غايش، والسادة في زاد مهران، و أهل المروءة و الفتوّة في مصلحگاه، والمؤمنون

---

۱ - روضات الجنّات ۲ : ۳۱۵ .

۲ - عرض الاستاذ الدكتور حسين كريمان معلومات منظّمة في هذا المجال استهداءً بكتاب نقض أيضاً، و قد أُفدنا منه نوعاً ما.

۳ - نقض : ٤٥٣ .

المعتقدون في در رشقان، و الديلميّون في آبه، و الوزراء في قاشان، و عرب قم و علماؤها، و سادات قزوين و شيعتها، و رجال ورامين و رؤساؤها و مصلحوها، والقائمون ليلهم في نرمين و سروهه، و مؤمنو خوابه، و ملوك ساري و قادة الجيش فيها، و بواسل إرم، و عرفاء سبزوار، و شجعان نيسابور و مجاهدوها، و أكابر جرجان، و عظماء دهستان، و مؤمنو جربايقان[١]، و أمناء استرآباد. و ليسوا حفنة من أهل الغدر والمكر، سود الأقفاء، أجلاف جفاة، أمويّو الطبع، مروانيّواللون، خوارج الشكل، مجبّرو الاعتقاد، مشبّهو الدعوى، كلاعبي الميسر في دركنده[٢]، و سوّاسيّ بالانكران، و جفاة باطان، و حقراء شهرستان، و مجوس قزوين، و أجلاف همدان، و قُرعان آمل و طبرستان و حمير مزدقان، و رعاة الحمير في ساوة، و مشبّهة اصفهان، و ثيران آذربايجان، و كسالى أبهر، و دناة زنجان - فهؤلاء هم و ليسوا كاولئك[٣].

و نلحظ قبل هذاالكلام أنّ صاحب الفضائح قد شطّ كثيراً في حقّ الشيعة فقابله عبدالجليل بالمثل[٤].

و تحدّث عبدالجليل مراراً عن الأحياء الشيعيّة بالري. و يمكن استخراجها من فهرس الأماكن في كتاب نقض. و من هذه الأحياء: حي زعفران جاي. و أورد الاستاذ كريمان التوضيحات المتعلّقة بهذه الأماكن[٥].

إنّ أهمّ منطقة شيعيّة من مناطق الري هي مصلحگاه . والدليل على ذلك شعر نقله الراوندي في راحةالصدور. و نقرأ في هذاالشعر أنّ المنطقة المذكورة قد ضُمّت إلى جانب المناطق الشيعيّة الأخرى كقمّ، وكاشان ، و آبه، و طبرش و فراهان[٦].

---

١ - ذكر ياقوت مدينة اسمها جرباذقان كانت واقعة بين همدان ، و اصفهان، و كرج [أبودلف] . معجم البلدان ٢ : ١١٨ .

٢ - بدأ يذكر الأحياء السنيّة اعتباراً من دركنده.

٣ - نقض ٤٣٧ - ٤٣٨ .

٤ - قال مؤلّف الفضائح : و هل تعلم من هم جند العلويّين ؟ إنّهم أساكفة غايش ، و دبّاغو آوه، و جلاوزة قم ، و ذووالأفواه النتنة في ورامين، و كياكيّو ساري(بالفارسيّة : كياكان ، و هو اسم لجماعة كانت تعيش في ساري و ارم على ما يبدو. و كانوا من الطبقات الوضيعة في المجتمع آنذاك. تعريب ما جاء في معجم دهخدا الفارسي ٣٦ : ٤٤٧ ذيل كياكان.) و إرم. و شطّ هذا المؤلّف في حقّ الشيعة أيضاً في ص ٥٩٣ من كتابه ، و أجابه عبدالجليل بالمثل !

٥ - رى باستان ١ : ١٩٠ فما بعدها.

٦ - راحة الصدور : ٣٩٥ . و انظر : كتابنا هذا.

و استطاع الاستاذ كريمان أن يفرز المناطق السنّيّة (الحنفيّة والشافعيّة) من المناطق الشيعيّة بالري استهداءً بمعلومات عبدالجليل، و اعتماداً على تنقيبه من أجل تعيين الحدود الجغرافية لكلّ منطقة من هذه المناطق.

و في ضوء ما نقله ياقوت في ذيل عنوان الري في بداية القرن السابع، فإنّ المدينة كانت مقسّمة ثلاثة أقسام[1]: قسم للحنفيّة، و قسم للشافعيّة، و ثالث للشيعة. و هذا القسم الّذي يقطنه الشيعة هو أبنية الري القديمة، و أمّاالأحياء السنّيّة فهي أحياء الري الجديدة بعد فتحها على يد الأمويّين، ثمّ العبّاسيّين. و ازدهرت الأحياء الشيعيّة في العصر البويهي و جدّدت عمارتها. و يستشفّ من المعلومات المرتبطة بهذه الأحياء، و وجود مرقد السيّد عبدالعظيم، والسيّد حمزة، والسيّد عبدالله أنّ الريالقديمة كانت مقرّاً للشيعة.

و نصّ الأستاذ كريمان على أنّ «قسماً من المساحة الغربيّة، و جميع المنطقة الجنوبيّة، و قسماً من المنطقة الجنوبيّة الشرقيّة بالري[2]» كانت تعود للشيعة. و هي بمجموعها أكبر من القسمين الآخرين مجتمعين. و هكذا كانت الأحياء الشيعيّة بالري خلال القرن السادس كالآتي:

قسم من غرب باطان، دررشقان، درغايش، در مصلحگاه، دروازه آهنين، دروازه جاروب بندان، ديرينه قبه، قسم من شمال روده و جنوبها، زادمهران، زعفران جاى، فخرآباد، قسم من شرق فيلسان، كلاهدوزان، حي أصفهانيان، حي فيروزه، ناهك أو ناهق، مشهد أميرالمؤمنين، سرداب.

و أمّا الأحياء السنّيّة فهي: قسم من شرق باطان، پالانگران، جيلاباد، در شهرستان، دركنده، مركز روده أو قطب روده، رويان، ساربانان، سراى ايالت، سيزين، مهديآباد، نصرآباد(قبل تعمير فخرالدولة و استبدال فخر آباد بها[3]).

مدارس الشيعة بالري

نظراً إلى كثرة علماء الشيعة بالري، إذ ذكر منتجب الدين في فهرسته عدداً كبيراً منهم،

---

١ - رى باستان ٢: ٨٠ - ٨٥.

٢ - نفسه: ٨٤.

٣ - نفسه: ٨٨.

و أشار الرازي إلى حضور أربعمائة متكلّم و فقيه منهم في إحدى المدارس[١]، يمكن الحدس أنّ مدارس كثيرة كانت تحت تصرّف الشيعة. و من حسن الحظّ أنّ المعلومات الّتي عرضها عبدالجليل القزويني الرازي حول مدارس الري قيّمة للغاية، و يمكن أن ترسم لنا مخطّطاً عن النطاق الثقافي للشيعة في الري جيّداً.

قال مؤلّف الفضائح : «و لم يُسمح لهم (للشيعة) أن يبنوا مدرسة و خانقاه في عهد السلطان ملكشاه، و السلطان محمّد قدّس اللّه روحهما». و أجاب عبد الجليل عن هذا الكلام، و ذكر معلومات تدلّ على الوئام الّذي كان قائماً بين الشيعة والسلاجقة، و ننقل فيما يأتي ما قاله نصّاً: أمّا جواب هذه الكلمة الّتي حتمت عليّ الدفاع من وجوه، فأقول : لا أدري إلى أيّ منطقة أُشير، و لو انشغلت بتعديد مدارس السادات في بلاد خراسان، وحدود مازندران، و حواضر الشام كحلب و حرّان، و أمصار العراق [عراق العجم] كقم، وكاشان، و آبه، إذ كانت فيها مدارس عديدة، و ذكرتُ زمانها و أوقافها الكثيرة، لتطلّب ذلك منّي طومارات من الكتب، بيد أنّي سأُشير إلى مدينة الري الّتي وُلد و نشأ فيها هذا القائل دفعاً للشبهة:

أوّلاً: المدرسة الكبيرة للسيّد تاج‌الدّين محمّد كيسكي[٢] رحمة‌اللّه عليه بكلاهدوزان إذ اعتنى بها مبارك شرفي، وكانت قائمة تسعين سنة تقريباً. و فيها يختم القرآن و تقام صلاة الجماعة خمس مرّات في اليوم، و يعقد مجلس وعظ مرّتين أو مرّة واحدة في الاسبوع. وكانت محلاً للمناظرة و نزول المصلحين الّذين يجاورون أهل العلم والزهد والسادات والفقهاء الغرباء الوافدين و المقيمين فيها. و هي معمورة و مشهورة. ألم تكن هذه المدرسة في عهد طغرل الكبير سقاه اللّه [رحمته] ؟ و هناك مدرسة شمس الإسلام حسكابابويه الّذي كان شيخ هذه الطائفة. و هي قريبة من مركز الولاية. وكانت تقام فيها صلاة الجماعة و تلاوة القرآن، و تعليمه للصغار، و مجلس الوعظ، و الإفتاء. والتقوى عليها ظاهرة. ألم تكن هذه المدرسة قائمة في أيّام حكومة ذينك السلطانين الّذين أشار إليهما الخواجه ؟

---

١ - **نقض** : ٣٥ ، ١٨٢ .

٢ - انظر : **الفهرست** : ٣٢ ؛ **لسان الميزان** ٢ : ٧٠ ، كانت أُسرة كيسكي من أُسر السادات الشيعيّة الرازيّة . ذكر منتجب الدّين في **الفهرست** عدداً منهم ضمن الترجمة رقم ١٢٠ ، ٢٩٢ ، ٣٦٥ ، ٣٦٦ ، ٣٦٧ ، ٣٦٨ .

و من هذه المدارس: مدرسة بين هاتين المدرستين، تعود لسادات كيسكي، و يقال لها: خانقاه زنان [زنان أي: النساء] . و كان المصلحون يقيمون فيها، أفلم تكن هذه المدرسة ماثلة في عصر السلطان محمّد نوّرالله قبره ؟

و منها: مدرسة في دروازه آهنين، و هي منسوبة إلى السيّد الزاهد بلفتوح. أو ليس هذه المدرسة موجودة في عهد السلطان ملكشاه ؟

و منها : مدرسة الفقيه علي جاسبي[1] بحيّ أصفهانيان، و هي الّتي أمر الخواجه أميرك بإنشائها. و لم تُعهَد مدرسة في طائفة من الطوائف قد تُكُلِّف لها كهذه المدرسة الّتي كانت للسادات. وكان يعقد فيها مجلس وعظ، و ختم للقرآن، كما كانت تقام فيها صلاة الجماعة. أفلم تكن هذه المدرسة في عهد السلطان السعيد ملكشاه ؟ و في تلك الفترة كان أمير الجيش ساوتكين[2] يشيّد الجامع الجديد لأصحاب الحديث الّذين لم يكن لهم مسجد جمعة بالري.

و منها : مدرسة الخواجه عبدالجبار المفيد[3]. و كان فيها أربعمائة فقيه و متكلّم يدرسون الشريعة. أفلم تكن في عصر ملكشاه المبارك و بركياروق رحمةاللّه عليهما ؟ و هي معروفة و مشهورة الآن بتدريس العلوم، و إقامة صلاة الجماعة، و ختم القرآن، و نزول أهل الصلاح، و الفقهاء فيها. و كلّ ذلك ببركات شرف‌الدّين مرتضى مقدّم السادات والشيعة. و منها: مدرسة كوي فيروز. أفلم تؤسّس هذه المدارس في عصر السلطانين المذكورين ؟ ألم يشيّد خانقاه أمير اقبالي في عهد كريم غياثي، و كذلك خانقاه علي عثمان الّذي كان مأوى للسادات العلماء الزهّاد المتديّنين ؟ و كانت تقام فيه صلاة الجماعة، و ختم القرآن بنحو متواتر و مترادف. أفلم يكن ذلك في عصر السلطان ملكشاه؟ وهو لا يزال معموراً و مشهوراً.

و ثمّة مدرسة هي مدرسة الخواجه الإمام رشيد الرازي في دروازه جاروب بندان.

---

١ - جاء في فهرست چنتني: الفقيه الدّين أبوالحسن عليّ بن الحسين بن عليّ الحاستي [كذا] ص ١١٣ . و يبدو أنّه الجاسبي نفسه. و كان من شيوخ المؤلّف . انظر : هامش الصفحة المذكورة. و ورد في كلا طبعتي **الفهرست** : الحاستي. انظر: تعليقات **الفهرست** (ارموي) : ٢٥٠ .

٢ - انظر : تعليقات **نقض** ، رقم ٢٠ .

٣ - انظر: **الفهرست** : ٢١٩ . كان من تلاميذ شيخ الطائفة، و «فقيه الأصحاب» بالري. و انظر : **نقض** : ١٨٢.

وكان صاحب هذه المدرسة علّامة دهره، و قرأ عليه ما ينيف على مائتي عالم أُصولَ الدّين ، و أصول الفقه ، و علم الشريعة. أفلم تكن في عهد السلطان السعيد محمّد رحمةاللّه عليه ؟ و هي مازالت معمورة و مأهولة، و يُدرّس فيها العلم، و يختم القرآن يوميّاً. و هي مأوى للمصلحين والفقهاء، و فيها مكتبة مزيّنة بأنواع الزينة.

وكانت هناك مدرسة هي مدرسة الشيخ حيدر مكّي في درمصلحگاه، أفلم تشيّد في عصر السلطان محمّد رحمةاللّه عليه[1] ؟ و ذكر عبدالجليل بعد حديثه عن هذه المدارس قائلاً: «و في الري عدد من المدارس المعمورة عدا ما تطرّقنا إليه . و يلحظ فيها ذكر الخير، و القرآن، والصلاة، والطاعة. أمّا ما نقل في عهد ذينك السلطانين [السلجوقيّين] ، و أشار اليه الخواجه [مؤلّف الفضائح] في كتابه «أنّ الشيعة لم يجرأوا على بناء المدارس» فنقول : إنّ مساجد سادات الشيعة و منابرهم الكبيرة والصغيرة لا تحصى، و يطول الكتاب بذكرها[2]».

إنّ النقطة اللافتة للنظر في كلام عبدالجليل هي تحيّزه للحكومة السلجوقيّة. و قد حاول المؤلّف أن يعكس العلاقات بين الشيعة والسلاجقة على أنّها حسنة. و هذا الموضوع صحيح إلى حدٍّما، بيد أنّ تشدّد بعض الحكّام السلاجقة ينبغي أن لا يغفل عنه أيضاً. و هذه الملاحظة يقرّها عبدالجليل نفسه، إلاّ أنّه أراد من وحي المصلحة أن يصوّر العلاقات المذكورة بأحسن ممّا كانت عليه في حقيقتها.

المجادلات الدينيّة في الري

نحن نعلم أنّ النزاع الديني بين المذاهب الفقهيّة و الاعتقاديّة لأهل السنّة كان شديداً للغاية اعتباراً من القرن الرابع حتّى القرن السابع الهجري. وكانت تحدث مصادمات كثيرة بين أنصار الفريقين المتنازعين، مضافاً إلى تكفير أحدهما الآخر. و لم تشذّ الري عن هذه القاعدة أيضاً لما ضمّته من مذاهب فقهيّة و اعتقاديّة مختلفة.

و ذكر المقدّسي عنها في القرن الرابع أنّ الغلبة كانت فيها للحنفيّين، غير أنّ قراها كانت

---

١ - **نقض** : ٣٤ - ٣٦ . انظر بشأن المدارس : **ري باستان** : ٥٣٠ - ٥٤٢ .

٢ - **نقض** : ٣٧ . انظر بشأن مساجد الري : **ري باستان** : ٣٢٩ - ٣٣١ .

على المذهب الزعفراني، و توقّفت في مسألة خلق القرآن. و أُثر عن الصاحب بن عبّاد قوله: إنّ أهل سواد الري كانوا يتّفقون معه في كلّ شيء إلاّ في مسألة خلق القرآن ... و كان في الري حنابلة كثيرون لهم جلبة. والعوام قد تابعوا الفقهاء في خلق القرآن[١]. و أضاف المقدسي أنّ العصبيّات والمصادمات قائمة بالري حول خلق القرآن[٢].

و يبدو أنّ المذاهب الموجودة في الري كانت متواجهة على الصعيد الفقهي والاعتقادي بنحو متداخل. أي: أنّ بعض المذاهب ذات النزعة الحنفيّة كانت لها ميول خاصّة من الوجهة الاعتقاديّة. و هكذا كانت الشافعيّة فرقاً مختلفة من الوجهة المذكورة. و في الوقت نفسه كانت أهميّة المسائل الفقهيّة قد أدّت إلى بروز التقسيمات الاعتقاديّة تحت ذلك العنوان.

و ذكر عبدالجليل معلومات عن الفرق الاعتقاديّة التابعة للمذهب الحنفي والشافعي، و يحتمل أنّها كانت شاخصة في الري أو في بعض الحواضر الفارسيّة. و أشار إلى الفرق الثلاث المهمّة «الحنفيّة، والشيعة، و الشافعيّة» و قال: «... كما يُحسب النجّارية، والمعتزلة، والبادنجانيّة، والكرّاميّة، والباساحاقيّة و غيرهم على مذهب أبي حنيفة لأنّهم يعملون بفقهه، و ينتهجون نهجه في فروع المذهب. و كان المجبّرة، والأشاعرة، والمشبّهة، والكلابيّة، والجهميّة، والمجسّمة، والحنابلة، والمالكيّة، و غيرهم يُحسَبون على مذهب الشافعي، و يعملون بفقهه على خلاف فيه بينهم[٣]».

و يتّضح التداخل في هذه الفرقة من العبارة الأخيرة الّتي عدّت الحنابلة، والمالكيّة من الشافعيّة أيضاً، ذلك أنّ الحنابلة كانوا حنبليّي الاعتقاد. و عقيدة الحنابلة هي التشبيه والتجسيم.

و نلحظ في بعض المدن أنّ الحنفيّة كانوا ذوي عقائد اعتزاليّة، كما أنّ الشافعيّة كانوا كذلك في مدن أُخرى. و كانت عقائد الحنفيّة في الري اعتزاليّة. و لعلّ هذا يعود إلى أنّ المعتزلة والزيديّة كانوا يعدّون أبا حنيفة في زمرة أصحابهم.

و كانت الري تُعرف في نظام التقسيم الديني أنّها حنفيّة و شافعيّة. و ورد اسم النجّاريّة

---

١ - أحسن التقاسيم: ٣٩٥.
٢ - نفسه: ٣٩٦.
٣ - نقض: ٤٥٧ - ٤٥٨.

لاتّباع بعض الحنفيّين عقائد حسين بن محمّد النجّار[١].

و أدّى النزاع بين الحنفيّين والشافعيّين إلى انفصالهم المحلّي في الري. و اتّحد الحنفيّين مع الشيعة في بعض المواطن ضدّ الشافعيّين .كما حدث أنّ الشافعيّين ناوأوا الحنفيّون بسبب انسجامهم مع الشيعة في التصريح بمودّة أهل البيت. و من الثابت أنّ النزاع بين الحنفيّين والشافعيّين لم يقلّ عن النزاع بين السنّة والشيعة. و ينبغي لنا أن نتلمّس أحد البواعث على تقدّم الشيعة بالري في هذا النزاع المتواصل بين الفريقين المذكورين.

و كان الشيعة يتردّدون على الأوساط العلميّة لمناوئيهم. يقول عبدالجليل الرازي في هذا المجال : عندما جاء أحد الوعّاظ من خراسان، أرادوا [الشيعة] أن يسمعوه ليعرفوا مذهبه في أُصول الدّين هل يشبه مذهب هؤلاء المجبّرة أو لا ؟ و ما هي عقيدته في حبّ أمير المؤمنين و آله ؟ و إذاكان حنفيّاً، فهل هو كرّامي أو معتزليّ أو نجّاريّ[٢]؟

و يذهب إلى أنّ الشافعيّين والحنفيّين كانوا يأتون إلى المجالس الشيعيّة أيضاً، و يقول : في أيّ يوم من أيّام الاثنين[٣] لم يحضر مجلسنا و يسمعه من منشدي المناقب والعلماء و أهل السوق من الحنفيّين والشافعيّين عشرة أو عشرون أو خمسون أو خمسمائة منهم ! وكان بعضهم يكتب أيضاً[٤].

و كان بعض الحنفيّين والشافعيّين في الري يقيمون مراسيم العزاء في يوم عاشوراء[٥]. ويمكن أن يشكّل هذا التوجّه نموذجاً على محبّة كلتا الطائفتين لأهل البيت، ممّا يمثّل حلقة وصل تربطهما بالشيعة. كما أنّ العلماء والملوك من الحنفيّين والشافعيّين كانوا يذهبون لزيارة السيّدة فاطمة بنت الإمام موسى الكاظم - عليهماالسّلام - في قم، وكذلك كانوا يزورون مراقد العلويّين في الري[٦].

و كانت حوادث كثيرة ترافق النزاع القائم بين الحنفيّين والشافعيّين في الري. و قد انعكست نزاعاتهم في الآثار التاريخيّة أيضاً. و ذكر عبدالجليل أمثلة من نزاعاتهم

---

١ - انظر : **ري باستان ٢** : ٤٤ - ٤٦ للتعرّف على حنفيّة الري و شافعيّتها.

٢ - **نقض** : ١٠٥ .

٣ - يظهر أنّ الشيعة كانوا يقيمون مراسم خاصّة في يوم الاثنين.

٤ - نفسه : ١٠٦ .

٥ - نفسه : ٣٧٢ .

٦ - نفسه : ٥٨٨ .

الفكريّة في المسائل الاعتقاديّة، تلك النزاعات الّتي كانت تفضي إلى تدخّل السلطان السلجوقي أحياناً[١].

و كانت هذه الخلافات تحوم حول مسألة خلق القرآن ردحاً من الزمن. و يرى المقدسي أنّ هذه المسألة كانت المحور الأصلي للخلافات الفكريّة في الري إبّان القرن الرابع[٢]. و كذلك كان الاتّجاه الجبري عند الشافعيّة، و الاتّجاه العقلي عند الحنفيّة مثار نزاع بينهما برهة من الزمن.

و كان لكلّ فرقة من الفرق الموجودة في الري مسجد جامع خاص. و قال عبدالجليل: «و لم يصلّ الحنفيّون في جامع روده قط، كما لم يأتمّوا بإمام الأشاعرة هناك. و أجمع الأشاعرة على عدم الصلاة جماعة في مساجد الحنفيّين. و أفتى علماء الطائفتين بعدم جواز الائتمام في صلاة كلّ منهما». و «لمّا كان الحنفي لا يأتمّ بالشافعي، و كان الشافعي يحرّم الاقتداء بالحنفي، فكذلك الشيعة، إذ كانوا يصلّون وحدهم[٣]».

و هكذا ينبغي الالتفات إلى أنّ الخلافات الناشبة بين الفرق السنّيّة كانت عاملاً محلّيّاً في تقليص نفوذها، و تفوّق الشيعة عليها، مضافاً إلى ما عرضناه قبل ذلك من بواعث على التغلغل التدريجي للشيعة في الري.

و نصّ القزويني على النزعات القائمة بين الحنفيّين و الشافعيّين في القرن السابع الهجري. و قال: أهل الري شافعيّة و حنفيّة. و أصحاب الشافعي أقل عدداً من أصحاب أبي حنيفة. والعصبيّة واقعة بينهم حتّى أدّت الى الحروب، وكان الظفر لأصحاب الشافعي في جميعها مع قلّة عددهم[٤].

ونلاحظ في هذه العبارة أنّ نقطتين قد غُفل عنهما: إحداهما التغاضي عن موقع الشيعة المتفوّق في الري. و الأخرى، يبدو أنّ سهواً قد حصل في عرض الشافعيّين على أنّهم هم المنتصرون، ذلك أنّ أيّ أثر لم يبق لهم في الري بعد مدّة قليلة.

و عرض لنا ياقوت الحموي معلومات مفصّلة عن الوضع الديني للري - و لعلّ القزويني نقل قسماً منها - و قال: كان أهل المدينة ثلاث طوائف: شافعيّة و هم الأقلّ، و حنفيّة و هم الأكثر، و شيعة و هم السواد الأعظم. لأنّ أهل البلد كان نصفهم شيعة، و قليل

---

١ - نقض: ٤٤٩ - ٤٥١.
٢ - أحسن التقاسيم: ٣٩٦.
٣ - نقض: ٥٥٢ - ٥٥٣.
٤ - آثار البلاد: ٣٧٦.

من الحنفيّين، و لم يكن فيهم من الشافعيّة أحد[١].

و نقرأ بعد ذلك تحليلاً ذكره ياقوت لهذا الوضع، فقال : فوقعت العصبيّة بين السنّة والشيعة، فتظافر عليهم الحنفيّة و الشافعيّة، و طالت بينهم الحروب حتّى لم يتركوا من الشيعة مَن يعرف. فلمّا أفنوهم، وقعت العصبيّة بين الحنفيّة والشافعيّة، و وقعت بينهم حروب كان الظفر في جميعها للشافعيّة، هذا مع قلّة عدد الشافعيّة، إلّا أنّ اللّه نصرهم عليهم. وكان أهل الرستاق و هم حنفيّة يجيئون إلى البلد بالسلاح الشاك و يساعدون أهل نحلتهم، فلم يغنهم ذلك شيئاً حتّى أفنوهم. فهذه المحالّ الخراب هي محالّ الشيعة والحنفيّة. و بقيت هذه المحلّة المعروفة بالشافعيّة، و هي أصغر محالّ الري. و لم يبق من الشيعة إلّا من يخفي مذهبه، و وجدت دورهم كلّها مبنيّة تحت الأرض، و دروبهم الّتي يسلك بها إلى دورهم على غاية الظلمة و صعوبة المسلك. فعلوا ذلك لكثرة ما يطرقهم من العساكر بالغارات. و لولا ذلك لما بقي فيها أحد[٢].

إنّ ما حدث عمليّاً هو بقاء الشيعة في الري أقوياء لم يتزعزعوا. و نقرأ أنّ الحنفيّة أيضاً قد ثبتوا في بعض القرى إلى فترة معيّنة. أمّا الشافعيّة فلم يبق منهم أثر هناك.

و نعلم أنّ كتاباً بعنوان أسرارالإمامة ألّفه عماد الدّين حسن الطبري بالري نزولاً عند رغبة أهلها سنة ٦٩٨ ﻫ، و هو باللغة الفارسيّة[٣].

و قال المستوفي (المتوفّى في حدود سنة ٧٥٠) عن الدمار الّذي لحق مدينة الري: «تخاصم أهل المدينة على حجر، فقُتل ما ينيف على مائة ألف منهم، و لحق الدمار التام حاضرتهم. و دمّرت المدينة برمّتها أيّام المغول. و في عهد غازان خان، شيّد الملك فخر الدّين رئى فيها بناية بأمر يرليغ درواندك و أسكن فيها جماعة[٤]».

و تحدّث عن الوضع الديني للمدينة و قال : و أهل المدينة و أكثرالولايات التابعة لها شيعة اثناعشريّة إلّا قرية قوهه[٥]، و عدداً من المواضع الأخرى، فإنّ أهلها كانوا حنفيّة.

---

١ - معجم البلدان ٣ : ١١٧ .   ٢ - نفسه : ١١٧ .

٣ - انظر : فهرس الكتب المخطوطة في مكتبة آيةاللّه المرعشي ١ : ١٤٩ .

٤ - نزهة القلوب : ٥٣ .

٥ - هي قوهد الّتي ذكرها ياقوت أيضاً. و سنورد لاحقاً أنّ عدداً من علماء الشيعة كانوا يقطنون فيها خلال القرن الخامس و السادس .

و لهذا السبب كان أهل تلك الولاية يسمّونها: قوهه خران [قوهة الحمير].

و أخذت الري تسير نحو العدّ التنازلي بعد غزو المغول الّذي قيل عنه «انّ سبعمائة ألف من أهل المدينة والولاية قد قتلوا و أُسروا فيه[١]».

و لم تسترجع المدينة حتّى الفترة الأخيرة عظمتها و أُبهتها الّتي كانت عليها في العصر البويهي و السلجوقي.

التشيّع في مناطق الري

كانت الاتّصالات القائمة بين مدن الجبال قد بسطت التشيّع في المنطقة بأسرها، حتّى إنّ الري نفسها قد ركنت إلى التشيّع نوعاً ما نتيجة لتأثّرها بقم. و انّ هجرة أُسرة بابويه إلى الري[٢] مثال على رسوخ التشيّع القمّي في الري . و ثمّة مثال آخر يتجسّد في أبي محمّد جعفر بن أحمد بن عليّ القمّي الّذي توطّن الري، و كان في عداد علماء الشيعة و مؤلّفيهم[٣].

و عندما بلغ التشيّع ذروته في الري، فإنّ الناس الساكنين في المناطق الواقعة في أطرافها قد مالوا إلى التشيّع على كرور الأيّام، و لم يبق أحد على المذهب السنّي حتّى عصر المستوفي إلاّ عدد من القرى، و كذلك كانت المدينة نفسها على امتداد عدد من القرون.

وكانت الري مركزاً لمناطق مختلفة تقع في شمالها و شرقها على مسافات قليلة و كثيرة منها، و ذلك قبل أن تتّخذ طهران طابعها الحالي. كما كانت هناك قرى و مدن صغيرة تابعة للري، و تعتبر جزءاً منها. و حازت بعض مناطقها على أهميّة كبيرة أيضاً بعد القرن السابع حيث سارت الري نحو الدمار. و نسرد فيما يأتي معلوماتنا عن الوضع الديني لمناطق الري.

إنّ إحدى المناطق المهمّة في الري هي مدينة ورامين. وكانت على ما قال المستوفي قرية، ثمّ صارت قصبة[٤]. و ذكرها السمعاني (م ٥٦٢ هـ) بوصفها إحدى قرى الري، و قال:

---

١ –مرصاد العباد : ٩ . قصران ١ : ٣٧٧ .

٢ – انظر : مقدّمة الفهرست لمنتجب الدّين (الطباطبائي) ص ٧ .

٣ – روضات الجنّات ٢ : ١٧٢ - ١٧٣ .

٤ – نزهة القلوب : ٥٥ ، تحقيق سترنج.

و كان في زماننا رئيس متموّل يعمر الحرمين و ينفق الأموال عليهما. و ابنه الحسين الوراميني ممّن كان يكثر الحج، و يرغب في الخير والصدقة، غير أنّه متشيّع غال في ذلك[١].

و تدلّ معلومات عبدالجليل الرازي عن ورامين على أنّ أهلها كانوا شيعة اثني عشريّة في القرن السادس، و إن كان عدد من الحنفيّة والشافعيّة يسكنون هناك أيضاً «أمّا ورامين فهي قرية لم تقلّ عن المدن منزلةً، و ما يلمس فيها من معالم الشريعة و أنوار الاسلام من طاعات و عبادات و ملازمة للإحسان والخيرات، فهي من بركات رضيّ الدين أبي سعد[٢] - أسعده اللّه في الدارين - و أبنائه، إذ شيّد فيها المسجد الجامع، و أُقيمت الصلاة، و أُقرّت الخطبة، و أُنشئت المدرسة الرضويّة، و الفتحيّة بأوقاف معتمدة، و مدرّسين متديّنين، و فقهاء مجدّين. و لهؤلاء خيرات في الحرمين: مكّة والمدينة، و مشاهد الأئمّة من خلال وضع الشموع، و ارسال الحاجات اللازمة. و يُمدّ الخوان بورامين في كلّ شهر رمضان لعامّة الناس، و تُقدّم العطايا والهبات إلى جميع أبناء المذاهب الإسلاميّة بلا تعصّب أو تمييز و ما شابههما[٣]».

و ذكر عبدالجليل في مواضع أُخرى من كتابه «رافضة آبه و ورامين[٤]». كما أورد في موضع آخر «ساري و قم و كاشان و آبه و ورامين و درمصلحگاه[٥]» جنباً إلى جنب. و ذكر المسجد الجامع بورامين بوصفه المسجد الجامع للشيعة[٦].

و في ضوء ما نصّ عليه صاحب كتاب الفضائح، و كذلك عبدالجليل الرازي، فليس هناك أقلّ شبهة في تشيّع ورامين تشيّعاً اثني عشريّاً.

و قال المستوفي في القرن الثامن: أهل ذلك المكان [ورامين] شيعة اثناعشريّة[٧].

و ذكر ياقوت في القرن السابع ورامين، بيد أنّه لم يتحدّث عن تشيّعها، إلّا أنّه ذكر ورام قبل ورامين، و قال عنها : «بلد قريب من الري. أهله شيعة[٨]».

---

١ - الأنساب ٥ : ٥٨٧.

٢ - جاء في نقض : ٤٨٧ : أبو سعيد وراميني.

٣ - نقض : ٢٠٠.

٤ - نفسه : ٩٤.

٥ - نفسه : ١١١، ١٢٧، ١٩٤، ٢٧٦، ٣٠٩، ٣٦٤، ٤٣٦ - ٤٣٧، ٥٣٩، ٥٨٧، ٥٩٣، ٦٠٥.

٦ - نفسه : ٣٩٥.

٧ - نزهة القلوب : ٥٥.

٨ - معجم البلدان ٥ : ٣٧٠.

و نقل لنا منتجب الدّين أسماء عدد من العلماء الّذين كانوا يتلقّبون نسبة إلى هذه المدينة كالشيخ أسد الدّين حسن بن أبي الحسن بن محمّد الوراميني، و صفاء الدّين حسن بن عليّ بن حسين بن علويّة الوراميني، و الأديب رشيد الدّين حسين بن أبي الحسين بن مموسة الوراميني، والشيخ رشيدالدّين عبّاس بن عليّ بن علويّة الوراميني، و عبدالملك بن محمّد بن عبدالملك الوراميني، و عليّ بن إبراهيم بن أبي‌طالب الوراميني، و محمّد بن حسن بن مموسة الوراميني، و محمّد شاه بن قاسم الوراميني، و محمود بن حسن الوراميني.

و ذهب القاضي نوراللّه أيضاً إلى أنّ تشيّع ورامين كان موغلاً في القدم، و ذكر معلومات عنه منذ عصره[١].

و يمكن التعرّف على التشيّع الموجود في بعض قرى الري من خلال المعلومات الواردة في فهرست منتجب الدّين.

و كان الشيخ بدرالدّين حسن بن علي... بن سلمان الفارسي يسكن في قرية اسناباد إحدى قرى الري[٢]. و ذكر ياقوت مكاناً باسم «استناباد» و ذهب إلى أنّ اسمه الأصلي «استوناوند»، و هي قلعة بينها و بين الري ثمانية عشر فرسخاً، قريبة من دماوند[٣].

و كان الشيخ موفّق الدّين حسن بن محمّد بن حسن المعروف بالخواجه آبي متوطّناً قرية «راشدة شنست[٤]».

و ذكر ياقوت قرية شنشت كقرية من قرى الري المشهورة، و هي كالمدينة. و كانت تعتبر من «قها». و جرت فيها وقائع بين أصحاب السلطان والعلويّة مشهورة [!] من أيّام المتوكّل إلى أيّام المعتضد[٥]. و كانت قها أيضاً قرية كبيرة بين الري و قزوين[٦].

و كان رشيدالدّين حسن بن عبدالملك مقيماً في قرية رامزين قها من توابع الري[٧].

و كانت قوهد أيضاً منطقة مشهورة من مناطق الري، و كان يعيش فيها عدد من علماء

---

١ - مجالس المؤمنين ١ : ٩٤.
٢ - الفهرست : ٥٤.
٣ - معجم البلدان ١ : ١٧٥ - ١٧٦.
٤ - الفهرست : ٥٤.
٥ - معجم البلدان ٣ : ٣٦٨. و يوجد الآن حيّ صغير يدعى شنستان في رودبار قصران. انظر : فرهنگ آباديهاى كشور ١٣ : ١٩.
٦ - معجم البلدان ٤ : ٤١٧.
٧ - الفهرست : ٦١.

الشيعة. و تعتبر من «قها» أيضاً. و تتألّف من قسمين هما: «قوهد آب» [قوهد الماء] أو «العليا»، و «قوهدخران» [قوهد الحمير] أو «السفلى[1]». و كان القسمان عامرين للغاية. و هناك خانقاه للصوفيّة سنة ٦١٧ هـ[2]. و يبدو أنّ أحد القسمين كان للشيعة و الآخر للسنّة. إذ ذكر المستوفي قائلاً: و أهل المدينة [الري] و أكثر الولايات التابعة لها شيعة اثنا عشريّة إلاّ قرية قوهد، و عدداً من المواضع الأخرى، فإنّ أهلها كانوا حنفيّة. و لهذا السبب كان أهل تلك الولاية يسمّونها: قوهه خران [قوهه الحمير[3]]. و حينئذ لابدّ أن يكون أهل قوهد العليا شيعة. و ذكر اسم «عفيف الدّين إبراهيم بن خليل» في فهرست منتجب الدّين، وكان قوهديّاً، و سكن في خوارزم[4]. و كان «رشيدالدّين حسين بن أبي الفضل الراونديّ» يسكن في «قوهد» أيضاً[5]. وكذلك كان «الشيخ نجيب الدّين زيدان بن أبي دلف الكليني» في قوهدة العليا، و تحدّثوا عنه بوصفه عالماً و عارفاً[6]. و توطّن «السيّد كمال الدّين عبدالعظيم ابن محمّد بن عبدالعظيم الحسني الأبهري» «قوهدة العليا» أيضاً[7].

و كان الشيخ شرف الدّين محمّد بن علي بن حسن دستجردي يقيم في قرية «زين آباد[8]».

و كانت «دوريَسْت» من توابع الري. و ذكرها ياقوت، فقال : ينسب إليها عبداللّه بن جعفر بن محمّد بن موسى بن جعفر الدوريستي. وكان يزعم أنّه من ولد حذيفة بن اليمان. وهو أحد فقهاء الشيعة الإماميّة. قدم بغداد سنة ٥٦٦ هـ. ثمّ عاد إلى بلده، و مات بعد سنة ٦٠٠ هـ بيسير[9]. و ذكره منتجب الدّين أيضاً و قال : يروي عن أسلافه، [أي] مشايخ دوريست الّذين كانوا من فقهاء الشيعة.

و كانت أُسرة دوريستي من الأُسر الشيعيّة في الري. و كان جعفر بن محمّد الدوريستي(٣٨٠ - ٤٧٣) من تلاميذ الشيخ المفيد والشريف المرتضى، وهو عالم

---

١ - معجم البلدان ٤ : ٤١٧ .
٢ - نفسه ٤ : ٤١٦ .
٣ - نزهة القلوب : ٥٤ . لا يعلم الى أيّ مدى يكون فيه وجه هذه التسمية صحيحاً ؟
٤ - الفهرست : ٦٤ .
٥ - نفسه : ٥٥ .
٦ - الفهرست : ٨٣ .
٧ - نفسه : ١٤٠ .
٨ - نفسه : ١٧٩ .
٩ - معجم البلدان ٢ : ٤٨٤ . لسان الميزان ٣ : ٢٦٩ .

مشهور. و له علاقات بنظام الملك، و كان نظام الملك يسمع منه الحديث[١]. و ابنه هو عبدالله بن جعفر الّذي ذكره ياقوت. و كان محمّد بن أحمد بن عبّاس بن فاخرالدوريستي من علماء الشيعة في تلك المنطقة[٢]. و ذكر منتجبُ الدّين الشيخَ سديد الدّين حسن بن حسين بن عليّ الدوريستي الّذي أقام بكاشان فيما بعد[٣].

و من توابع الري الأخرى: «كُلَين» و تقع في قرية بشاپويه من مناطق الري على بعد ٣٨ كم في الجنوب الغربي منها، و في شرق جادّة قم على بعد خمسة كيلومترات عن الجادّة[٤]. و كانت هذه القرية من القرى الشيعيّة في الري منذالقديم. و أنجبت أحد أساطين الشيعة و علمائها المبجّلين، وهو محمّد بن يعقوب الكليني مؤلّف كتاب الكافي العظيم. و عدّه النجاشي «شيخ الشيعة بالري». توفّي هذا العالم ببغداد سنة ٣٢٩ هـ، و كان خاله «علان الكليني[٥]» من علماء الشيعة أيضاً. و هكذا يستبين أنّ اسرته كانت من الأُسر الشيعيّة المربّية للعلماء.

و تحدّث نظام الملك في كتابه سياستنامه عن كلين بوصفها مركزاً لاستقرار «خلف» أحد دعاة الاسماعيليّة. و نقل على لسان شيخ خلف أنّه قال له: «توجّه تلقاء الري، إذ إنّ أهاليها و أهالي قم و كاشان و آبه كلّهم رافضة، و يدّعون التشيّع ... فقدم خلف الري، و أقام في منطقة پشاپويه، في قرية تُدعى: كلين.» و واصل كلامه قائلاً: أدخل خَلف عدداً من الرجال والنساء في مذهبه، ثمّ فرّ من القرية المذكورة[٦].

و لعلّ الإسماعيليّة كانوا متغلغلين في تلك القرية، و إن كان هناك عداء بين الشيعة الإماميّة والإسماعيليّة. و ممّا يقوّي هذا الاحتمال هو الكتاب الّذي ألّفه ثقةالإسلام الكليني، و هو بعنوان: **الردّ على القرامطة**[٧].

و ذكرنا آنفاً الشيخ نجيب الدّين زيدان بن أبي دلف الكليني الّذي كان يسكن في قوهد[٨].

---

١ - **الفهرست**: ٣٧. و انظر تعليقات ارموي على **الفهرست**: ١٨٩ - ١٩٠.

٢ - **أمل الآمل** ٢: ٤٩٦.

٣ - **الفهرست**: ٥١.

٤ - انظر: مقدّمة **الكافي** ١: ٩. و ثمّة قرى أُخرى بهذا الاسم أيضاً في مناطق الري و رودبار.

٥ - **رجال النجاشي**: ٣٧٧ - ٣٧٩.

٦ - **سياستنامه**: ٢٨٣ ـ ٢٨٤.

٧ - **رجال النجاشي**: ٣٧٧.

٨ - **الفهرست**: ٨٣.

و ثمّة عالم شيعيّ آخر ينسب إلى كلين، وهو «السيّد أبوالقاسم عليّ بن يوسف بن جعفر الكليني[1]».

و كانت المناطق الواقعة بين طبرستان والري شيعيّة غالباً. و أهمّها: قصران الّتي تشمل قرى كثيرة جدّاً. وهي منطقة جبليّة في الشمال. و تضمّ شمال شرق الري و غربها. و كانت ممتدّة حتّى حدود مازندران. و أنّ كثيراً من القرى الّتي كانت تابعة لقصران، أُلحقت اليوم بطهران[2].

وكان اتّساع الإسلام في هذه المناطق، بخاصّة في الأقسام القريبة من مازندران، قد تمّ في أيّام الحكومة العلويّة عندما بويع حسن بن زيد بطبرستان سنة ٢٥٠ ﻫ، و قدم أخوه إلى شلمبه دماوند فالتحق به هناك رؤساء لاريجان و قصران[3].

و قيل : إنّ أوّل مسجد في تلك المنطقة هو مسجد لواسان الّذي شيّد بأمر الامام الحسن العسكري- عليه‌السّلام - كما ذهب إلى ذلك نائب الصدر، و احتمل الاستاذ كريمان أنّ حسن بن زيد نفسه هوالّذي أصدر أمراً بانشائه[4].

وكان استمرار الحكومة العلويّة قد نشر التشيّع في تلك الديار. و ضمِن حضورُ العلويّين في أكثر هذه القرى ديمومة التشيّع. وكان ذلك التشيّع ذا طابع زيدي و إنْ كان يعيش في وسط أهله عدد غفير من الاماميّين. و تحدّث ياقوت عن قصران و ذكر أحد علمائها الزيديّين، و هو أبو العبّاس أحمد بن حسين بن أبي القاسم بن علي بن بابا القصراني من أهل قصران الخارج. وكان يرحل إلى الري أحياناً و يتبرّك به الناس[5].

و توجد مراقد لأبناء الأئمّة في عدد من قرى قصران[6]، ممّا يمثّل معلماً على حضور كبير للعلويّين في هذه المناطق.

---

١ - **الفهرست** : ١٢٣ .

٢ - انظر بشأن هذه المنطقة : الكتاب القيّم **قصران** لمؤلّفة الاستاذ كريمان.

٣ - **تاريخ طبرستان** لابن اسفنديار ١ : ٢٣٣ . **تاريخ رويان** : ٩٠ . **قصران** ١ : ٢٩٣ - ٢٩٤ .

٤ - **قصران** ١ : ٢٠٩ - ٢١٠ ، ٣٠٦ .

٥ - **معجم البلدان** ٣ : ٣٥٣ - ٣٥٤ .

٦ - قال صاحب **روضات الجنّات** :إنّ بأرض الري و جبالها العالية من مقابر أولاد الأئمّة عليهم السّلام جمّ غفير . انظر : **روضات الجنّات** ٤ : ٢١٢ . و قال مستوفي أيضاً: دفن بالري عدد كبير من أهل البيت انظر: **نزهة القلوب** : ٥٤ .

و ذكر بين العلماء الشيعة شخص يدعى محمّد بن أحـمد، أباعبدالله جـاموراني، ونُسب إلى جماران[١]. و انّ وجود قرية باسم مهدي آباد[٢] في قصران [شميران، لواسانات و...] أمارة على وجود التشيّع الإمامي في تلك الأرجاء.

١ - **منهج المقال** : ٢٧٧ ؛ **قصران** ١ : ٥٨٦ .

٢ - تقع على بعد ١٢ كيلومتراً الى جنوب الشرقي من تجريش. انظر: **قصران** ١ : ٥٣٥ .

التشيّع في بيهق (سبزوار)

كانت بيهق إحدى مدن خراسان، و مركزها اليوم سبزوار. أسلم أهلها رغبة و طواعية منذ البداية[1]. و في ضوء ما قاله أحد المؤلّفين، فقد كانت هذه المدينة مركزاً للتشيّع الّذي انتشر فيها منذ عهد الطاهريّة. و قيّده المؤلّف المشار إليه أنّه تشيّع اثنا عشري[2]. بيد أنّه لم يذكر سنداً لذلك.

و جاء في معجم البلدان أنّ أكثريّة أهلها روافض غلاة[3]. و لكنّه أيضاً ليس دليلاً على الوجود المبكّر للتشيّع في هذه المدينة. و نقل أنّ قنبر غلام عليّ - عليه‌السّلام - سكن فيها. و يوجد مسجد هناك باسم ولده شاذان[4]. فيتسنّى لنا - إذن - أن نعتبر هذا دليلاً مناسباً على الوجود المبكّر للتشيّع في هذه المدينة.

بعامّة، إنّ وجود هذه المدينة في خراسان الّتي عرفت بانتشار النزعات العلويّة في ربوعها يعكس لنا حقيقة تتمثّل في أنّ هذه المدينة كانت محلاً لظهور النزعة الشيعيّة بادِيء بَدء.

---

١ - تاريخ بيهق : ٤٤ .

٢ - تاريخ نهضتهاى فكرى ايرانيان (از رودكى تا ...) القسم الأوّل ، هامش ص ٢٣١ .

٣ - معجم البلدان ٢ : ٥٣٨ .

٤ - تاريخ بيهق : ٢٥ ، لأبي الحسن عليّ بن زيد البيهقي. و نقل ذلك عن الجزء السادس من تاريخ نيشابور.

و نُقل عن صاحب تلخيص الآثار أيضاً أنّ جماعة غير محصورين من الفضلاء، والعلماء، و الفقهاء، و الأدباء خرجوا منها. و مع هذا، الغالب على أهلها مذهب الرافضة الغلاة. و من مشاهيرها المتّهمين هو الامام أبوبكر أحمد بن الحسين البيهقي صاحب التصانيف المشهورة[١].

و نلحظ أنّ من الأدلّة على تشيّع المدينة هو الهجرة الواسعة للسادة من مدن مختلفة كنيسابور، والري. و كان عددهم كبيراً للغاية[٢].

و نقلت حكاية عن سبزوار تماثل الحكاية المنقولة عن قم. و مضمونها أنّ الوالي كان يبحث عن شخص يدعى أبابكر، فلم يجد إلاّ شيخاً قبيح المنظر. و نسب الشاعر مولوي هذه الحكاية إلى سبزوار في إحدى قصائده[٣].

و قال السيّد بحر العلوم: «بيهق ناحية معروفة في خراسان بين نيسابور و بلاد قومس (دامغان الحاليّة). و قاعدتها بلدة سبزوار. و هي من بلاد الشيعة الإماميّة قديماً و حديثاً. و أهلها في التشيّع أشهر من أهل خاف والخزر في التسنّن[٤]». و جاء أيضاً : أهلها اثناعشرية منذ عهد سحيق[٥].

و يتبيّن من هذه العبارة جيّداً أنّ سبزوار كانت شيعيّة منذ القديم. إلاّ أنّ كلمة (القديم) هنا نسبيّة أيضاً. و قال المستوفي في مذهب أهلها: «هم شيعة اثنا عشريّة[٦]».

و لابدّ لنا، و نحن نتحدّث عن التشيّع في بيهق، أن نستثني بعض المدن الكبيرة الواقعة في أطرافها من وجود النزعات والميول الشيعيّة الواسعة كنيسابور. فقد كانت هذه المدينة مركزاً لعلماء السنّة و علومهم. وكان الشيعة فيها يعانون من التضييق و فرض الرقابة عليهم. كما نقل أنّ الامام العسكري - عليه‌السّلام - بعث كتاباً إلى شيعة نيسابور عرّف فيه رسله إليهم ليراجعوهم[٧]. مع هذا ، فإنّ وجود بعض الأشخاص فيها كالفضل بن شاذان المتوفّى سنة ٢٦٠ هـ معلم على وجود بعض الأسر الشيعيّة هناك. و يُعتبر الفضل من نوادر علماء الشيعة في القرن الثالث. و هو مقدّم على كثير من العلماء الآخرين في مجال الدقّة و التركيز

---

١ - روضات‌الجنّات ١ : ٢٥٢ ، ٢٥٣ . إنّ علماء السنّة أيضاً تأثّروا بوجود التشيّع الواسع في هذه المدينة.

٢ - تاريخ بيهق : ٦٠ ـ ٦٣ .

٣ - روضات الجنّات : ٢٥٣ .

٤ - نفسه .

٥ - زينة‌المجالس : ٨٠٢ .

٦ - نزهة القلوب : ١٥٠ .

٧ - مجالس المؤمنين ١ : ٤٠٦ .

العلمي[١]. و كتاب الايضاح دليل على ما نقول. و تعرّض هذا العالم إلى مضايقات عبيدالله بن طاهر، ثمّ أُبعد من نيشابور[٢].

و يلاحظ في مدن خراسان و أطرافها أشخاص من أصحاب الأئمّة - عليهم‌السّلام -، و ذلك آية على وجود التشيّع في تلك الأرجاء. و من هؤلاء : الحسين بن اشكيب السمرقندي الّذي قال عنه الشيخ الطوسي أنّه من أصحاب الامام عليّ الهادي - عليه‌السّلام. و كان مقيماً بسمرقند[٣]. و منهم: محمّد بن مسعود العيّاشي الّذي أسس مدرسة الاماميّة بسمرقند و ربىّ تلاميذ كثيرين و نشر الحديث الشيعي بخراسان.

---

١ - يرى الشهيد القاضي نورالله أنّه مبدع البراهين العقليّة، و موضّح القوانين النقليّة. انظر : **مجالس المؤمنين** ١ : ٤٠٠.

٢ - **رجال الكشّي** : ٤٥٢ رقم ١٠٢٤.

٣ - **رجال الشيخ الطوسي** : ٤١٣، ٤٢٩؛ انظر : **رجال النجاشي** : ٣٣؛ **رجال الكشّي** : ٣٢٢.

الإسماعيليّة

أرى من الضروري قبل الحديث عن نشاط الإسماعيليّة في إيران أن ألقي نظرة توضيحيّة موجزة عامّة على هذه الفرقة، إذ يتعذّر علينا الحديث عنها مفصّلاً هنا.

يبدو أنّ التعقيد والغموض لم يكتنفا فرقة من الفرق الإسلاميّة كالإسماعيليّة (بخاصّة إبّان نشوئها). و مازالت هويّتها الحقيقيّة غامضة حتّى بعد سنين من الدراسات المفصّلة للمستشرقين عنها.

و لهذا الموضوع أسباب متنوّعة. منها : أنّهم كانوا أقليّة تعيش في جوّ خانق. و قلّما برزوا في الفترة الاولى من حياتهم كتيّار رسمي. و كان أعداؤهم، لا سيّما العبّاسيّون، يبذلون قصارى جهدهم في تحريف عقائدهم. و كذلك كان السنّة، إذ انطلقوا من عنادهم المكشوف لعقائدهم، فجهدوا كثيراً في التعتيم عليها من خلال عرض موضوعات غير حقيقيّة عنهم.

يضاف إلى ذلك، أنّ تفرّق الاسماعيليّة أنفسهم حال دون وجود عقائد مدوّنة لهم. و في المقابل، كانوا يتأثّرون بعقائد البيئة الّتي يعيشون فيها حيثما قرّ قرارهم، فبرزت صور مختلفة في عقائدهم. و ربما بلغت هذه الصور درجة لم تلحظ معها صلة ظاهريّة بين بعض فرقهم كالقرامطة و غيرهم من الفرق الأُخرى. و لا يمكن أن نتصوّر علاقةً ما بينها - على سبيل الاحتمال - إلّا بعد البحث والتنقيب.

إنّ الاغتراف من العقائد الفلسفيّة المختلفة سواء كانت في إيران، أو العراق، أو الشام،

أو مصر، أدّى إلى تقلقل أفكارهم. فظهرت على شكل تعاليم فلسفيّة متنوّرة حيناً، كما في رسائل إخوان الصفا، و متّخذة طابع التأويلات الباطنيّة شبه العرفانيّة، و حتّى الخرافيّة تماماً، حيناً آخر.

إنّ الاعتقاد بالظاهر والباطن، و إقحامهما في تفسير التعاليم الدينيّة سبب آخر من أسباب الغموض والتعقيد. و قد أوقع الجميع في الشكّ والشبهة. فالجانب العملي من هذا الاعتقاد هو الظاهر المرْضيّ عند عامّة الناس. و هو الّذي يقرّ بالفقه الديني، و يهتمّ بظواهر الشرع اهتماماً تامّاً. أمّا الجانب الآخر فهو الباطن الّذي يتغيّر فيه كلّ شيء. حتّى إنّ الجمع بينهما في فكرة من الأفكار العقليّة يبدو عسيراً. و بينما يعرض أحد المؤرّخين في الفرق والمذاهب زوايا خاصّة من هذه الأفكار، يأتي مؤرّخ آخر فيطرح نقاطاً أُخرى، ممّا يفضي إلى زيادة الغموض و الابهام في عقائدهم.

و نرى أنّ الدعوة الخفيّة للاسماعيليّة الّتي أدّت إلى الغموض في تركيبتهم السياسيّة والتنظيميّة سبب آخر في ضياع الوجه الحقيقي للإسماعيليّة في التاريخ. و تتّضح هذه المسألة جيّداً عندما ننظر إليهم بوصفهم فرقة منفصلة عن المجتمع تماماً، و نتصوّر ارتباطهم بسائر المسلمين في حدّه الأدنى. و من البيّن حينئذٍ أنّ شيئاً ضئيلاً يصل منهم إلى الآخرين، بخاصّة إذا نظرنا إلى حركتهم التنظيميّة. و ما زال هذا التوجّه سائداً عند بعض فرقهم، كما نلمسه عند الدروز.

يقول المسعودي عن الغموض الموجود في الأخبار الدقيقة الّتي تحدّثت عن عقائد هذه الفرقة: «و قد صنّف متكلّمو فرق الاسلام من المعتزلة، والشيعة، والمرجئة، والخوارج كتباً في المقالات و غيرها من الردّ على المخالفين... فلم يعرض أحد منهم بوصف مذاهب هذه الطائفة (القرامطة). و ردّ عليهم آخرون كقدامة بن يزيد النعماني وابن عبدك الجرجاني، و أبي الحسن زكريّا الجرجاني، و أبي عبداللّه محمّد بن عليّ الرزّام الطائي الكوفي، و أبي جعفر الكلابي. فكلّ يصف من مذاهبهم ما لا يحكيه الآخر مع إنكار هذه الطائفة حكاية من ذكرنا و تركهم الاعتراف بها[1]».

و هذا هو دأب أهل السنّة، والمتخصّصين في علم الفرق إذ ينسبون التعاليم المحرّفة،

---

١ - التنبيه و الاشراف : ٣٩٥ ـ ٣٩٦.

الّتي تنطوي على المؤاخذة والإشكال في تحليل عقائد إحدى الفرق، إلى الفرقة المعنيّة. وكان هذالتوجّه مألوفاً تماماً في ظلّ الحكم العبّاسي.

قال المرحوم القزويني عن سلوك العبّاسيّين : «لقد بذل الحكّام العبّاسيّون قصارى جهودهم لإضعاف الفاطميّين من خلال نشر الأكاذيب ضدّهم، وكذلك القدح في أنسابهم و مذاهبهم و أعمالهم و أعوانهم و أنصارهم[١]». وذكر هذا الموضوع أيضاً عندما تعرّض إلى ما نسبه بعض الأشخاص -كنظام الملك - إلى الإسماعيليّة. و قال عن كتابه سياستنامه: «... أغلب موضوعاته أساطير بحتة، عاديّة، واهية تماماً. و ضمّ خرافات محضة، وكذباً مكشوفاً، و تقوّلات لمتأخّرين مفترين[٢]».

و كان التحليل الرسمي للحكومة العبّاسيّة، و تبعاً لها، مؤرّخي الفرق و المذاهب من أهل السنّة يشمل نقاطاً خاصّة نقلت في أكثر كتبهم الّتي تطرّقت إلى الإسماعيليّة في مناسبة من المناسبات. و النقطة الجوهريّة في هذا التحليل تتمثّل في إلصاق العقائد المزدكيّة و المجوسيّة بالعقائد الإسماعيليّة.

إنّ النصّ الّذي كتبه القادر العبّاسي في تكفير الفاطميّين بمصر و القدح في نسبهم يحكي لنا تحليلاً قد أُملي على كتب الفرق فيما بعد. قال المشار إليه في هذا النصّ الّذي كتبه ضدّ الفاطميّين، و بخاصّة الحاكم بأمراللّه : «**... و إنّ هذا النّاجم (الحاكم) بمصر هو و سلفه كفّار فسّاق و زنادقة، ملحدون معطّلون، و للإسلام جاحدون. و للمذاهب الثنويّة والمجوسيّة معتقدون**[٣]».

و عندما نلقي نظرة على كتاب سياستنامه للخواجه نظام الملك نجده يعرض هذه التحليلات نفسها على شكل أخبار تاريخيّة، و ذلك دفعاً لخطر الإسماعيليّين الّذين كانوايهدّدون وزارته، و قد قضوا على حياته. و تلك الأخبار - كما قال المرحوم القزويني - «... تحوي أخطاءً تاريخيّة مضحكة للغاية. و قد سلبت الثقة من كتبه كلّها تماماً[٤]».

---

١ - حواشي **تاريخ جهانكشاى** للجويني ٣ : ٣٢٦ .

٢ - **يادداشت‌ها** للقزويني ١ : ٦٩ .

٣ - **تاريخ جهانكشاى** للجويني ٣ : ١٧٦ - ١٧٧ .

٤ - **يادداشت‌هاى قزويني** ١ : ٦٩ .

إنّه[1] بدأ حكايته من مزدك، و ربط الحوادث التاريخيّة الّتي تخصّه بحركة سنباد. و واصل حديثه فذكر اهتمام سنباد بروافض كوهستان، والعراق، و قال : «جمع سنباد الشيعة حوله مستغلاً اسم المهدي. ثمّ قُتل سنباد في اليوم الرابع من اشتباكه مع جهور، بوصفه مزدك. فتشذّر ذلك الجمع. وكان مذهب خرّم مزيجاً من المجوسيّة و التشيّع[2]». ثمّ انبثقت الإسماعيليّة - برأيه ـ من صميم هذه الحركة.

و ذكر الجويني تحليلاً مماثلاً لهذا التحليل فقال : «ذهب أصحاب العصبيّة المجوسيّة منذ البداية إلى أنّ لظاهر الشريعة باطناً، و ذلك لتشكيك الآخرين. فخفي على أكثر الناس أمرهم... و واصلوا نهجهم فربطوا أنفسهم بالكيسانيّة. و لمّا لم يبق من الكيسانيّة أحد، لصقوا أرواحهم بالروافض ... وكان عبدالله بن معاوية من الغلاة. و وضع جدولاً و قال : لا حاجة إلى رؤية الهلال ... فوقع الخلاف بين الروافض. و سمّى أهل الجدول أنفسهم بأهل علم الباطن. و سمّوا سائر الشيعة أهل الظاهر ... و أولئك الّذين كانوا قد ربطوا أنفسهم بالكيسانيّة، أعرضوا عنها، و التحقوا بالاسماعيليّة، و انفصلوا عن الروافض. و قالوا: مَن علِم باطنَ الشريعة و غفل عن ظاهرها، فإنّه لا يعاقب[3]».

نجد الحركة الاسماعيليّة في هذه التحليلات مجوسيّة تماماً. لذلك نقل أنّ أحد أسمائها في التاريخ : المزدكيّة[4].

ونرى عدم صحّة هذا التحليل الّذي يذهب - من جهة - إلى أنّ الحركة الاسماعيليّة سياسيّة صرفة، و أنّها وسيلة بيد الانتهازيّين الفرس للتخلّص من الحكومة العربيّة، و من جهة أُخرى، يعرض عقائدها على أنّها مجوسيّة تماماً. و أبسط مؤاخذة نسجّلها على هذا التحليل قيام الحكومة الاسماعيليّة في مناطق غير فارسيّة كشمال افريقية، و الشام، والحجاز، و أهمّها جميعاً مصر. فقد كانت هذه المناطق من المراكز الأصليّة للحركة

---

١ - و قد نُسجت هذه الحكاية ضدّ التشيّع بعامّة. و لعلّ مصدرها هو ابن حزم المتوفّى سنة ٤٥٦ هـ الّذي يمثّل الركيزة لبعض الدعاوى الجوفاء هذا اليوم حول وجود شبه مزعوم بين التشيّع والدّين المجوسي. انظر : **تاريخ ايران**، كمبرج، ترجمة : انوشه ٥ : ٢٧٤ .

٢ - **سياستنامه** : ٢٥٥ - ٢٨٣ .

٣ - **تاريخ جهانگشاى** : ١٤٣ ـ ١٤٥ . و نقل المرحوم عباس إقبال في مقدّمة **خاندان نوبختي** تحليلاً مشابهاً لهذين التحليلين عن ابن حزم، و المقريزي . ص ج .

٤ - **الملل و النحل** ١ : ١٧٢ .

الإسماعيليّة. أمّا ايران فلم تحقّق هذا النصر إلّا في القرن الخامس، و السادس، و السابع. ممّا يضعف التحليل المذكور فيصل به إلى درجة الصفر من الوجهة السياسيّة، والفكريّة معاً. و في الوقت نفسه، نرى من الضروري تقويم العلاقات القائمة بين الغلاة والإسماعيليّة والقواسم المشتركة بينهما، فيُعرف عند ذاك ظاهر الإسماعيليّة و باطنها إلى حَدٍ ما.

و يُعتبر كتاب فرق الشيعة للنوبختي من أكثر الكتب تفصيلاً في حقل العقائد الأولى للإسماعيليّة. و ذكر هذا الموضوع أيضاً في كتاب **المقالات والفرق** لعبد الله بن سعد بن أبي خلف الأشعري مع نقاط محدودة ملحقة به. و تمّ تأليف هذين الكتابين في القرن الثالث الهجري. و لمّا كان المؤلّفان شيعيّين، فقد سجّلا موقفاً مَرناً حيال الإسماعيليّة، إذ لم يتّسما بعناد أهل السنّة و تعصّبهم و انْ كانت مصادر بعض رواياتهم مصادر مجهولة وضعيفة . و عرضا معلومات أفضل من معلومات غيرهما بسبب وجود بعض القواسم المشتركة. و هذا يؤدّي بنا إلى أن نتصوّر المعلومات المشار إليها حقيقيّة نوعاً ما. و ننقل فيما يأتي ملخّصاً لرؤية الأشعري.

ثمّة فرقة تسمّى الإسماعيليّة الخالصة. ترى هذه الفرقة أنّ الإمام بعد وفاة جعفر بن محمّد الصادق – عليه‌السّلام – ابنه إسماعيل. و طرح إسماعيل في أوّل الأمر على أنّه خليفة أبيه الصادق – عليه‌السّلام، بيد أنّ مصادر الشيعة نصّت على عدم خلافته لأسباب، منها : موته في حياة أبيه. أمّا الّذين أقرّوا بامامته، و أنكروا موته، فقد سمّوه : المهدي، والقائم. و انّه «**لا يموت حتّى يملك الأرض و يقوم بامور الناس**[1]».

و يواصل الأشعري حديثه فيقول : الاسماعيليّة الخالصة هم الخطّابيّة أصحاب أبي الخطّاب محمّد بن أبي زينب الأسدي الأجدع. و هو من أهمّ قادة الغلاة. كان في بادىء أمره من أصحاب الإمام الباقر والصادق – عليهماالسّلام. ثمّ غلا فادّعى ربوبيّة الإمام لصادق – عليه‌السّلام – لذلك كفّره الإمام، و نبذه من خلال أقوال متكرّرة قالها فيه. و هذه الأقوال مثبّتة في رجال الكشّي، و غيرها من كتب الرجال الشيعيّة.

إنّ المهمّ هنا هو الوحدة الموجودة بين الإسماعيليّة والخطّابيّة. فعبارة الأشعري تُشعر

---

١ – **المقالات و الفرق** مع تعليقات الدكتور مشكور : ٨٠.

أنّ بعض الخطّابيّة دخلوا في فرقة محمّد بن إسماعيل. وهذه الفرقة كانت تعتقد أنّ إسماعيل مات في حياة أبيه، و أنّ خليفته هو ولده محمّد.

و في ضوء ما يفيده ظاهر العبارات، فإنّ الاسماعيليّة الخالصة لابدّ أن تكون فرقة أُخرى غير فرقة محمّد بن إسماعيل و لكن بعد موت أبي الخطّاب، دخل بعض الخطّابية في فرقة محمّد بن اسماعيل. و مع أنّ الإسماعيليّة الخالصة تعتقد بحياة إسماعيل و مهدويّته،إلّا أنّ المؤلّف يرى أنّ فرقة محمّد بن إسماعيل تعترف بموت إسماعيل في حياة أبيه[1].

و تطرّق المؤلّف - بعد حديثه عن سلوك أبي الخطّاب، و اشتباكه مع العبّاسيّين، و قتله من قبل عيسى بن موسى -إلى الفرق المنشعبة عن الخطابيّة، وقال: «قال بعضهم : إنّ روح جعفر بن محمّد تحوّلت عن جعفر في أبي الخطّاب. ثمّ تحوّلت بعد غيبة أبي الخطّاب في محمّد بن إسماعيل. ثمّ ساقوا الإمامة على هذه الصفة في ولد محمّد بن إسماعيل[2]».

و تحدّث المؤلّف بعد ذلك عن فرقة باسم المباركيّة، و أُخرى باسم القرامطة، و قال عن عقائدهما : «و كان القرامطة في الأصل على مقالة المباركيّة. ثمّ خالفوهم و قالوا : لا يكون بعد محمّد - صلّى اللّه عليه و آله - غير سبعة أئمّة: ستّة منهم حتّى جعفربن محمّد. والسابع هو محمّد بن إسماعيل بن جعفر. و هو الإمام القائم المهدي[3]».

و يتابع المؤلّف حديثه فيعرض معلومات تدلّ على أنّ الخطّابيّة - عنده - فرقة من فرق الاسماعيليّة أو بالعكس. و أشار، في ختام حديثه، إلى القرامطة و وجودهم في مناطق العراق، و قال : «و قد كثر عدد هؤلاء القرامطة. و لم يكن لهم شوكة و لا قوّة. و كان كلّهم بسواد الكوفة. و كثروا بعد ذلك باليمن، و نواحي البحر، واليمامة و ماوالاها. و دخل فيهم كثير من العرب فقوي بهم و أظهروا أمرهم[4]».

و جمع برنارد لويس أمثلة مستقلّة تشعر بوجود صلة بين الاسماعيليّة والخطّابيّة[5].

و على الرغم من فقدان النصّ في هذه الأمثلة، بيد أنّ المعلومات الّتي ذكرها الأشعري

---

١ - المقالات و الفرق : ٨٠ ـ ٨١.
٢ - نفسه : ٨٣.
٣ - نفسه : ٨٣.
٤ - نفسه : ٨٦.
٥ - تاريخ إسماعيليّان لبرنارد لويس : ٤٠ فما بعدها، ترجمة الدكتور فريدون بدره‌اي. ثمّة علامات استفهام تُثار حول عدد من هذه الأدلّة، و ليس هنا موضع الحديث عنها.

تنصّ على ذلك. و الحدّ الأدنى لهذا الموضوع هو أنّ ما قاله أبو الخطّاب في الغلوّ، والعقائد الأخرى الّتي ترتبط بهذا التيار قد ترك بصماته على الإسماعيليّة، فجعل منها فرقة غالية في المراحل الأولى. و إذا كانت الإسماعيليّة قد أقرّت بظاهر الشريعة بعدُ، فإنّ ذلك يعود غالباً إلى أنّها اصطبغت بصبغة اجتماعيّة و انفتحت على سائر المسلمين الّذين كانوا يشكّلون الأكثريّة. غير أنّ الغلوّ ظلّ ملازماً لهم حتّى نهاية المطاف[1].

إنّ الجمع بين الظاهر والباطن ليس أمراً قابلاً للتفسير والتأويل بسهولة،و ثمّة أُسلوبان استغلّهما الغلاة، و كذلك الاسماعيليّة من أجل أن يكون هذا الموضوع مقبولاً. و هما:

١ - تقسيم التعاليم الدينيّة إلى تعاليم لها بعد ظاهري و باطني.

٢ - عرض طاعة الامام بوصفها أصل الدّين.

إنّ إحدى المسائل الّتي تذرّع بها الغلاة لعرض أفكارهم المنحرفة هي استعمال الظاهر والباطن الّلذين وردا في كلمات النبي - صلّى اللّه عليه و آله - والأئمّة - عليهم السّلام - بشكل من الأشكال[2]. فقد أدخلوا في الدين ما كانوا يستصوبونه أو يرونه ضروريّاً لإقرار الانحراف، و ذلك تحت عنوان التأويل والباطن! و كان الباطن يحظى بأهميّة فائقة على حساب الظاهر، و أسقطوه من الحجّية. و امتدّ نطاقه فشمل كافة المفاهيم الدينيّة سواء كانت العقيديّة، أو الفقهيّة، أو غيرهما. و نلحظ أنّ جميع الأحكام والعقائد ذات معانٍ باطنيّة، و لا شأن للمعاني الظاهريّة قياساً بها.

و لو وضعنا هذه المسألة إلى جانب المسألة الثانية، لأنتجالنا تحليلاً تامّاً !! إذ إنّ طاعة الامام الّذي يرضونه هم لا غيرهم تعني قبول الدين قبولاً تامّاً. فلا تعد هناك ضرورة لتطبيق المناسك و العبادات، ذلك أنّ الإمام هو باطن الدّين، و كلّ ما قاله ينبغي أن يقبل حتّى لو خالف ظواهر الدّين[3].

و ذكرت هذه المسألة بوضوح في عقائد أبي الخطّاب. يقول الأشعري: كان أبو الخطّاب يقول: إنّ الفرائض الّتي فرضها اللّه على الناس أسماء رجال سمّاهم، و أمر بمعرفتهم و ولايتهم. والمعاصي أيضاً رجال أمراللّه بالبراءة منهم و لعنهم و اجتنابهم ...

---

١ - عندما تأسّست الحكومة الإسماعيليّة في آلَمُوت، نقرأ أنّ حسن نَوْمُسَلْمان يقوم بمراعاة ظواهر الشرع لاستعادة كرامة الإسماعيليّة و اعتبارهم.

٢ - انظر: **كيهان انديشه**، العدد ١١.

٣ - انظر: **تاريخ فرهنگ** لمينوي: ١٧٠ ـ ١٧٢.

وكان يعتقد أنّ من عرف الرسول النبيّ الإمام، فالفرائض عنه موضوعة، فلْيصنع ما أحبّ[١].

و يقول في موضع آخر : «زعموا أنّ جميع الأشياء الّتي فرضها اللّه على عباده، لها ظاهر و باطن[٢]».

و كان محمّد بن بشير أحد الغلاة يعتقد بالصلاة والصوم، و ينكر الزكاة و الحجّ والفرائض الأخرى، و يبيح الزواج من المحارم[٣].

و كان حمزة بن عمّار البربري يرى أنّ من عرف الإمام، فليصنع ماشاء[٤].

و هذه التوجّهات مشهورة بين أكثر الغلاة. إذ ينكرون الشريعة و يحلّون محلّها عقائد من عندهم بوصفها باطناً. و نلحظ هذا الموضوع في التاريخ عند من اهتمّ بالباطن ذلك الاهتمام الّذي أفضى الى اضمحلال الظاهر.

و عزّ على سائر المسلمين هذا الأمر. و تعرّض أولئك الأشخاص. إلى الطعن والقدح تبعاً لمقدار بُعدهم عن الشريعة.

و تطرّق كثير من كتب أهل السنّة الّتي صنّفت في مخالفة الإسماعيليّة، إلى هذا الموضوع. و يرى أصحاب هذه الكتب أنّ عدداً كبيراً من هؤلاء الأشخاص كانوا على أديانهم السابقة، بخاصّة المجوسيّة. و عرضوا هذه الأفكار - بوصفها أفكاراً باطنيّة - باسم الإسلام. و قد ذكرنا سابقاً أنّ هذه الأفكار ليست كلّها مجوسيّة. إذ إنّ كثيراً منها كان منتشراً في العراق من قبل بصورة متفرّقة. والقسم الأعظم منها ليس أفكاراً، بل ذرائع ظاهريّة كان يطرحها أولئك الأشخاص ليجدوا لهم موطىء قدم في المجتمع. و كانوا يطمحون إلى أن يحلّوا محلّ الأئمّة - عليهم‌السّلام - بشكل من الأشكال من خلال زعمهم أنّهم أبناؤهم أو أوصياؤهم. و خطوا على هذا الدرب عبر الغلوّ في حقّ الأئمّة - عليهم‌السّلام - و حلول أرواحهم فيهم[٥].

---

١ - **المقالات و الفرق** : ٥١ ـ ٥٢.
٢ - نفسه : ٨٥.
٣ - نفسه : ٩٢.
٤ - نفسه : ٣٤. و كذلك **الفرقة الحربيّة** : ٣٩.
٥ - **المقالات و الفرق** . زعم حمزة بن عمّار أنّه نبي و أنّ محمّد بن الحنفيّة هو اللّه، ص ٣٢ . و زعم أبو منصور العجلي أنّه نبيّ رسول بعد الأئمّة - عليهم‌السّلام، ص ٤٧. و كان أبو الخطّاب يرى نفسه وصيّ الامام الصادق - عليه‌السّلام، ص ٥١. و قال محمّد بن بشير بإلهيّة الأئمّة - عليهم السّلام - و نبوّة نفسه ، ص ٦٣ . و كان المغيرة بن سعيد يرى أنّه هو الإمام بعد الإمام الباقر - عليه السّلام، ثمّ ارتقى إلى درجة النبوّة، ص٧٧. و ادّعى محمّد بن نصير أنّه نبيّ رسول بعثه عليّ بن محمّد بن عليّ الرضا - عليه السّلام، ص ١٠٠ .

و سارت الحركة الإسماعيليّة في هذا الاتّجاه. ثمّ أصبح إسماعيل و ابنه محمّد في عداد الأئمّة الّذين ظهروا قبلهم و بعدهم. أولئك الأئمّة الّذين تسلّموا مقاليد الحكم في شمال افريقية، ثمّ في مصر إبّان القرن الرابع باسم الفاطميّين.

و ظلّ الاعتقاد بالظاهر والباطن قائماً بين الإسماعيليّين ، على الرغم من أنّهم قسروا من الوجهة الاجتماعيّة على الاذعان بالشريعة ظاهريّاً، و ألّفوا كتباً من قبيل دعائم الإسلام في هذا المجال. أمّا الاعتقاد بالباطن فقد كان شائعاً بينهم سرّاً، و ربما جهروا به.

و أمّا الإمامة فلم يضعف موقعها، بل وجدت لها موقعاً أفضل في دعوة الحسن بن محمّد بن الصبّاح. و برزت العقيدة الباطنيّة استمراراً للدعوة الجديدة في الاعتقاد بتحقّق القيامة في هذه الدنيا. و سنتحدّث عن هذه الموضوعات في بحوثنا القادمة. و لكن من الجدير ذكره هنا هو أنّ كثيراً من الإسماعيليّة، و منهم الحسن بن الصبّاح كانوا يتشدّدون كثيراً في مراعاة ظواهر الشرع.

إنّ الشيء الّذي يبقي هنا هو أن نعرف كيف كانت أسماء الاسماعيليّة في التاريخ. فقد وُضعت لهم أسماء مختلفة في ضوء التأويلات المشهورة الّتي تأوّلها أهل السنّة عنهم إذ ربطوا عقائدهم بالمجوسيّة و سائر العقائد.

و ذكر الخواجه أنّ لهم في كلّ مدينة إسماً. فهم الإسماعيليّة بحلب و مصر؛ والسبعيّة بقم، وكاشان و طبرستان، و سبزوار؛ والقرمطيّة ببغداد، و ماوراءالنهر؛ و الخلفيّة بالري؛ والباطنيّة بأصفهان ... و واصل حديثه عنهم، فذكر أنّ المحمّرة، والمبيضّة من أسمائهم أيضاً[١].

و نقل الشهرستاني هذين اللقبين للغلاة[٢]. و تحدّث عن الإسماعيليّة في موضع آخر من كتابه، فقال عنهم: «فبالعراق يُسمّون الباطنيّة، و القرامطة، و المزدكيّة. و بخراسان التعليميّة، والملحدة. و هم يقولون : نحن الاسماعيليّة[٣]». و اشتهر عدد من هذه الأسماء بعد بثّ الدعوة الجديدة الّتي قام بها الحسن بن الصبّاح في أواخر القرن الخامس. و من هذه الأسماء: التعليميّة، والملحدة. يقول الجويني: « وُصِموا بالإلحاد لأنّهم طالبوا بإلغاء الشريعة المحمّدية وإباحة المحرّمات، من خلال دعوة الحسن بن الصبّاح[٤]». و أُخذ بعض

---

١ - سياستنامه لنظام الملك : ٣١١.

٢ - الملل والنحل ١ : ١٥٥ .

٣ - نفسه ١ : ١٧٢ .

٤ - تاريخ جهانگشاى للجويني ٣ : ١٨٠ .

هذه الأسماء أيضاً من أسماء عدد من دعاة الإسماعيليّة كالخلفيّة، والقرمطيّة. و أمّا هم فقد كانوا يرغبون في اسم الإسماعيليّة. و قد شاع هذا الاسم في مصر، و حلب - كما صرّح الخواجه بذلك - و هما من مراكز نفوذهم. و عُرفوا بالتعليميّة لأنّهم كانوا يرون أنّ إشاعة جميع المعارف تتحقّق بتعليم الإمام.

بدء الحركة الإسماعيليّة في ايران

يحوم غموض كثير حول بدء الحركة الإسماعيليّة. و يستشفّ من المعلومات المأثورة في هذا المجال أنّ تحرّكهم السياسي قد تبلور منذ البداية في العراق، و إيران. ثمّ أصبحت سورية مركز هم الرئيس. و بعد نضج عقائدهم، تغلغلوا ثانية في إيران، و استمالوا بعض الشخصيات خلال القرن الرابع و بعده.

إنّ المحور العام لعقيدة الإسماعيليّة هو الإيمان بإمامة إسماعيل بن الإمام الصادق - عليه‌السّلام. فقد أقرّوا بإمامته، و هو الابن الأكبر للإمام. بينما مات قبل استشهاد أبيه.

و نقل أنّ محمّد بن إسماعيل توجّه تلقاء الري مع عدد من دعاته. و كان تحرّكه في أواخر القرن الثاني الهجري. و آزره هناك إسحاق بن العبّاسي الفارسي ذو الميول الإسماعيليّة لنشر دعوته في تلك الربوع. و عندما علم هارون العبّاسي بهذا الموضوع، استدعى حاكم الري، فضربه بالسياط حتّى مات. و بعد ذلك، ذهب محمّد بن إسماعيل إلى نهاوند، و تزوّج بنت حاكمها أبي منصور بن جوش. فوصل خبره إلى الحاكم العبّاسي، فأنفذ جيشاً إلى نهاوند. و لمّا استخبر محمّد، يمّم دماوند، و بنى هناك قرية محمودآباد أومحمد آباد الّتي مازالت قائمة. ثمّ توجّه إلى تدمر في سورية سرّاً. و اتّخذها قاعدة لنشاطه سنة ١٩١ ه‍، و هي القاعدة الّتي يقصدها إسماعيليّو العراق، و فارس، و سورية [١].

يقول الجويني: رحل محمّد بن إسماعيل إلى الجبال. و جاء إلى الري ثمّ قصد دماوند ونزل في قرية سلمة. و تنسب إليه قرية محمّد آباد بالري. وكان له عدد من الأولاد اختفوا بخراسان، ثمّ ذهبوا إلى قندهار من ولاية السند، فألقوا فيها رحلهم [٢]».

---

١ - **تاريخ الدعوة الإسماعيليّة** : ١٣١ ـ ١٣٢ . و نقلت هذه الحوادث ، مع تغيير طفيف ، في كتاب **تاريخ الإسماعيليّة أو هداية المؤمنين الطالبين** لمؤلّفه محمّد بن زين العابدين الخراساني الفدائي : ٤٤ ـ ٤٥ .

٢ - **تاريخ جهانگشاى** ٣: ١٤٨. قال القزويني: يحتمل أن تكون سلمة تصحيفاً لشلمبه الّتي كانت قصبة دماوند.

و نقل عن كتاب زهرالمعاني : ٥٤ عن الداعي إدريس عماد الدّين أنّه قدم نيسابور أيضاً[١].

و جاء بعده نجله عبدالله بن محمّد فقصد بلاد الديلم بينما كان مقرّه الرئيس في السلميّة إحدى مناطق سورية. بيد أنّه عاد من السلميّة بعد مدّة و استقرّ في مسقط رأسه، أي: محمودآباد. و وافته المنيّة فيها سنة ٢١٢ هـ[٢].

أمّا ولده أحمد بن عبدالله فقد ظلّ في السلميّة. و امتدّت الدعوة الاسماعيليّة في زمانه فشملت أقطاراً مختلفة منها: سورية، و اليمن[٣]. و سافر أحمد إلى الري، و همدان، و اسطنبول[٤]. و صار ولده حسين بن أحمد إماماً للاسماعيليّة بعد وفاة أبيه. و جاء إلى همدان، ثمّ غادرها إلى آذربايجان، فاسطنبول. و بثّ الدعاة في مناطق مختلفة من هذه الحواضر. ثمّ رجع إلى السلميّة[٥].

يكتنف تاريخ الدعوة الإسماعيليّة غموض كثير قبل حكومة الفاطميّين في مصر. وليس في أيدينا مصدر يتحدّث عن تلك المرحلة إلّا كتاب واحد عنوانه **أُمّ الكتاب**[٦]. يضاف إلى ذلك، إنّ الصراعات الّتي كانت ناشبة بين حكّام بغداد والفاطميّين أبهمت الحوادث الواقعة خلال تلك المرحلة أكثر (أي : المرحلة الاولى للدعوة الإسماعيليّة). والأخبار المأثورة عن تنقلات الإسماعيليّين لا ترتكز على مصدر تاريخي موثوق. و ذكر ابن النديم بعض الأخبار الّتي تتحدّث عن بدء الدعوة الإسماعيليّة. و على الرغم من أنّ هذه الأخبار متضاربة، إلّا أنّها تجمع على أنّ النشاطات الإسماعيليّة كانت موجودة في مناطق من إيران خلال القرن الثالث. و أُشير في أحدها إلى وجود الدعاة في الري، و طبرستان، و خراسان، و فارس. و أُلمع في خبر آخر إلى خراسان. و جاء في خبر ثالث

---

١ – **تاريخ الدعوة الإسماعيليّة** : ١٣٣ . انظر : **أعلام الإسماعيليّة** : ٤٤٨ ـ ٤٤٩ .

٢ – نفسه : ١٥١ .

٣ – نفسه : ١٥٢ .

٤ – **طائفة الإسماعيليّة** لمؤلّفه كامل حسين : ١٨ . نقلاً عن **أعلام الاسماعيليّة** : ١١٠ .

٥ – نفسه : ١٥٥ .

٦ – **إسماعيليّان در تاريخ**، المقالة الأولى لبرنارد لويس : ٢٠ . قام لويس بدراسة في هذا المجال يمكن الرجوع إليها. و تُرجمت هذه المقالة مع مقالات أُخرى بقلمه في كتاب **تاريخ إسماعيليّان**، و لم تطبع.

ذكر الري، و آذربايجان، و طبرستان[١].

و قال فراي: «ظهر دعاة الإسماعيليّة في غرب إيران في أطراف الري القريبة من طهران الحاليّة قبيل سنة ٢٨٦ هـ ٩٠٠ م بقليل. و بعد هذه السنة بقليل أيضاً، ذُكر في بعض المصادر أوّل قائد للدعوة بخراسان، و هو أبو عبداللّه الخادم. و كان مقرّه في نيسابور... و حالف الإسماعيليّة الحظّ إذ أفلحوا في استقطاب أحد الأمراء السامانيّين المهمّين، و هو حسين المروزي[٢]».

و كان أحمد بن الحسين المعروف بدندان أحد الدعاة المهمّين للإسماعيليّة. و هناك معلومات موجزة و متفرّقة حول هويّته. جاء في بعضها أنّه كان مسجوناً مع عبداللّه بن ميمون. و ابن ميمون هذا مشهور على أنّه مؤسّس الإسماعيليّة[٣]. لكنّ المستشرق المعروف برنارد لويس يفنّد هذا الموضوع. و يقول: إنّه مات في القرن الثالث كما جاء في المصادر الشيعيّة «الّتي وصفته بالغلوّ[٤]». و في ضوء الأخبار الّتي تحدّثت عنه، فقد كان مشغولاً ببعض النشاطات في إصفهان، والأهواز. و يقول النويري أيضاً: أنفق أموالاً طائلة في نشر دعوة إسماعيل بخراسان، و فارس، و الأهواز، و اليمن[٥]. و نقل أنّ قبره في قم. ويبدو أنّه أحد غلاة الشيعة. و لعلّ وجوده في قم و صلته بهذه المدينة كان من أجل النشاطات الإسماعيليّة.

مع أنّ مصادر الرجال الشيعيّة لم تذكر شيئاً عن هويّته الإسماعيليّة. يقول النجاشي: وصفه القمّيّون بالضعف والغلوّ[٦].

و لكنّا نعرف أنّ القمّيّين يفرطون في التضعيف بالغلوّ. لذلك يبدو من جهة أُخرى أنّ احتمال إسماعيليّته ضعيف نظراً إلى أنّه كان يعيش في قم. و كان أبوه الحسين بن سعيد

---

١ - **الفهرست** لابن النديم: ٢٣٨ ـ ٢٣٩.
٢ - **بخارا دستاورد قرون وسطى**: ٨٦.

٣ - **أعلام الاسماعيليّة**: ٩٥. يحوم شكّ بيّن حول هذا الموضوع.

٤ - **تاريخ اسماعيليّان**: ٨٥ ـ ٨٦ ذكرت المصادر الشيعيّة أنّه روى عن الامام الثامن و التاسع و العاشر. و يحتمل وجود رجلين بهذا الاسم، لأنّ الفرق بين من هو من رواة الحديث الشيعي، و الذي كان من الإسماعيليّة واضح جدّاً. و هذا ما أشار إليه بعض المحقّقين.

٥ - **نهاية الإرب**: ٢٣ ـ ٢٦.

٦ - **رجال النجاشي**: ٥٦؛ **الفهرست** للشيخ الطوسي: ٢٢.

الأهوازي و عمّه الحسن من مشاهير الشيعة الّذين حظوا برضىٰ الأئمّة - عليهم السلام.

إنّ الاحتمال الّذي ينبغي دراسته هو وجود شخصين يعرف كلّ واحد منهما بـدندان أو زيدان أو لقب آخر مماثل لهما[١]. بخاصّة، أنّه سمّي مرّة محمّد بن الحسين[٢]، و دُعي أُخرى كاتباً عند أحمد بن عبدالعزيز بن أبي دلف المتوفّى سنة ٢٨٠ هـ، و وصف ثالثة بالشعوبيّة، إذ قيل : إنّه كان شعوبيّ المذهب، ثمّ أصبح إسماعيليّاً[٣].

و كان خلف بن أحمد الكاشاني أحد دعاة الإسماعيليّة الآخرين في إيران. و ليس في أيدينا معلومات عن المرحلة الأُولى من حياته كما يبدو. و كان يزاول نشاطه في الري، و قم، و كاشان، و طبرستان، والديلم. مع أنّنا لا يمكن أن نقول الكلمة الأُخيرة عن المناطق الّتي كان يمارس فيها نشاطه. و في ضوء ما قاله الباحث الإسماعيلي مصطفى غالب، فإنّه نصب ابنه أحمد مكانه. و كان أشخاص آخرون في عداد دعاته أيضاً، و أحدهم هو حسين بن عليّ المروزي الّذي كان له نفوذ كبير في الطالقان، و هرات[٤]. و تطرّق الخواجه نظام الملك أيضاً إلى شخص يعرف بخلف، كان مكلّفاً بالتوجّه إلى الري، و قم، و كاشان، و آبه حيث يكثر الرافضة. ثمّ ذهب بعد ذلك إلى بشابويه (أو نيسابور). و عاد إلى الري، و استطاع أن يستقطب شريحة من الناس إلى مذهبه[٥]. و عيّن ابنه أحمد خليفة له. و نهض بالدعوة الإسماعيليّة بعده رجل يعرف بغياث. و كان غياث قد غادر الري إلى خراسان بعد سنة ٢٠٠ هـ، ثمّ حطّ رحله في مرو الرود. و هناك استمال الأُمير حسين بن علي المروزي إلى المذهب الإسماعيلي. و استولى هذا الأُمير على خراسان، و سيطر على الطالقان، و ميمة خاصّة. و لمّا اعتنق المذهب الإسماعيلي، أثّر على أهالي تلك المناطق، فركنوا معه إلى المذهب المذكور.

و ذكر استرن أنّ هذا الشخص هو خلف الحلاّج. و لعلّه حلاّج القطن المذكور في فهرست ابن النديم.

---

١ - الطريف أنّ أبا يعقوب إسحاق بن أحمد الشجري أو السجستاني كان يلقّب بدندان أيضاً . **أعلام الاسماعيليّة** : ١٥٤ . و جاء في **زبدة التواريخ** للكاشاني أنّه دندان : ٨٩ .

٢ - **الفهرست** : ٢٣٩ .

٣ - **تاريخ اسماعيليّان** : ٨٤ . للاطّلاع على دندان انظر: تعليقات النقض ١ : ٦٦ - ٧٧ .

٤ - **أعلام الاسماعيليّة** : ٢٨٤ .

٥ - **سياستنامه** : ٢٨٣ ـ ٢٨٤ .

و قال ابن النديم : إنّ ابنه أحمد خلفه في منصبه. و جاء بعده شخص يعرف بغياث (غياث الدّين الاسترآبادي). ثمّ مات فخلفه ابنه، و رجل آخر يعرف بالمحروم. ثمّ تصدّى أبو حاتم الورسناني المعروف بالرازي بعدهما. و أضاف ابن النديم : انّ الدعاة الّذين عاشوا في فارس، و الاحساء، و اليمن، كانوا يُنصّبون من قبل قرمط[1] مؤسّس الحركة القرمطيّة. و ذكر في حكاية أُخرى اسم أبي سعيد الشعراني الّذي كان من دعاة الإسماعيليّة الأوّل في خراسان. و خليفته حسين بن علي المروزي الّذي مات في سجن نصر بن أحمد الساماني. و خلفه النسفي الّذي أدخل نصربن أحمد في الدعوة الإسماعيليّة[2].

و يُستشفّ من هذه المعلومات، الّتي لا تقدّم لنا تاريخاً دقيقاً عن الإسماعيليّة و أعمالهم، أنّ النشاطات الإسماعيليّة كانت موجودة في إيران إبّان القرن الثالث. و لعلّ أشخاصاً كثيرين كانوا يبثّون هذه الدعوة و يوسّعون دائرتها في مناطق مختلفة.

بيد أنّ الّذي يبدو هو أنّ أبا عبداللّه الخادم، و أبا سعيد قد تعاقبا على خراسان، ومارسا نشاطهما فيها. حتّى استمالا إليهما حسين بن علي المروزي الّذي كان من المتنفّذين عند السامانيّين[3]. و جاء بعده النسفي الّذي استقطب نصر بن أحمد الساماني إلى الإسماعيليّة. و سنتحدّث عنه خلال هذا الموضوع.

و كانت نشاطات الإسماعيليّة قائمة على نطاق واسع قبل نصر بن أحمد. يقول الخواجه نظام الملك: «بلغ إسماعيل بن أحمد الساماني في سنة ٢٩٥ هـ أنّ رجلاً خرج في جبل بايه و غرجه. و يدعى أبا بلال. أظهر مذهب القرامطة. و التفّت حوله مختلف الشرائح الاجتماعيّة. و سمّى مقرّه : دار العدل. و قصده قوم كثيرون من قرية هرات، وبايعوه. و عددهم يربو على عشرة آلاف رجل... وكان أبو بلال هذا ينادم يعقوب بن ليث، و ينوب عنه في المذهب».

«و بعد ذلك عبّأ الأمير إسماعيل عدداً كبيراً من الناس لقتالهم، فشهروا سيوفهم، و أبادوهم جميعاً. و قبضوا على أبي بلال، و حمدان، و توزكا، و عشرة آخرين من

---

١ - الفهرست لابن النديم : ٢٣٩ . ٢ - نفسه .

٣ - انظر: مقالة بعنوان نخستين داعيان اسماعيلى در شمال غربى إيران و خراسان و ماوراءالنهر. مجلّة كليّة الآداب في جامعة طهران، العدد ٥٣ .

رؤسائهم، و جاؤوا بهم إلى بخارى بعد سبعين يوماً. و أودعوا أبا بلال سجن «كهنه دژ» فكانت منيّته فيه. و فرّقوا أحد عشر رجلاً منهم على بلخ، و سمرقند، و فرغانه، و خوارزم، و مرو، و نيسابور و مدن أُخرى غيرها، ثمّ أعدموهم[١]».

و جاءت هذه الخطوة بسبب تغلغل الدعوة الإسماعيليّة في المدن المذكورة، فأرادت الحكومة تهديد أهاليها بهذا العمل.

و من المؤسف أنّنا لا نجد دراسة موضوعيّة لمسارالحركة الإسماعيليّة في المناطق المركزيّة والشماليّة الشرقيّة من إيران إبّان القرن الثالث. و تحدّث استرن عن هذا الموضوع في محاضرته الّتي ألقاها في جامعة طهران سنة ١٩٦١ م، بيد أنّه لم يتطرّق إلى دخول محمّد بن إسماعيل أو أبنائه. و يرى أنّ أوّل داع من دعاة الإسماعيليّة هو خلف، وكان ابنه غياث بعده. ثمّ تولّى مهمّة الدعوة الإسماعيليّة أحد أحفاده، و تلاه أحد أبنائه مرّة أُخرى. لكنّ أبا حاتم الرازي تصدّى لقيادة الإسماعيليّة بوصفه الداعي القويّ. ثمّ تقلّد الأمر بعده اثنان هما: عبدالملك الكوكبي، و إسحاق. وكان هذا مسار الدعوة في الري، و طبرستان. أمّا في خراسان و ماوراء النهر فقد كان أبو عبداللّه الخادم في بادىء الأمر. ثمّ أعقبه خليفته أبو سعيد الشعراني الّذي زاول نشاطه بوصفه داعية الإسماعيليّة. و جاء بعده حسين بن علي المروزي، فمحمّد بن أحمد النسفي. وكان أبو يعقوب السنجري، و ابن النسفي المعروف بدهقان من خلفاء النسفي نفسه[٢].

و لم يشر المحاضر المومىٔ إليه في هذا المجال إلى كثير من الأشخاص الّذين ذكرناهم سابقاً. فهو إمّا غفل عنهم، أو أنّ أمرهم مريب عنده من منظار تاريخي.

---

١ - سياستنامه: ٢٩٧ ـ ٢٩٨.

٢ - مجلّة كليّة الآداب، السنة التاسعة، العدد الأوّل: ١ - ١٢.

التشيّع في القرن الرابع

استمرار حكومة العلويّين في طبرستان

خبت جذوة الحركة الشيعيّة ردحاً من الزمن بعد استشهاد محمّد بن زيد في اشتباكه مع السامانيّين، إلى أنْ قام الناصر الكبير المعروف بالأُطروش بدعوة أهالي جيلان و الديلم سنة ٢٨٧ هـ «و اجتمع حوله قرابة ألف ألف رجل منهم[1]» على حدّ تعبير المرعشي. وانهزم في مواجهة حدثت بينه و بين خصومه، ثمّ انتصر في مواجهة أُخرى. و مع هذا، عاد إلى جيلان. و ظلّت طبرستان خاضعة للحكم الساماني. «و انهمك الشخص المذكور في طلب العلم بجيلان[2]» على امتداد أربع عشرة سنة، حتّى جاء إلى طبرستان مع الديلميّين، و طرد الوالي الساماني منها. و أحكم قبضته على هذه المنطقة بأسرها، فساء ذلك أحمد بن إسماعيل الساماني و عزم على قمعه. و تحرّك على رأس جيش قوامه أربعون ألفاً، لكنّه قتل في الطريق على يد أحد غلمانه، فظلّت حكومة طبرستان قائمة بيد العلويّين.

و يبدو من الضروري هنا ذكر عدد من الملاحظات : الأُولى :كانت الحكومة الشيعيّة العلويّة في طبرستان بمجملها حكومة عادلة للغاية. و بغضّ النظر عن بعض الفترات

---

١ - تاريخ طبرستان و رويان و مازندران للمرعشي : ٣٠٢ .

٢ - نفسه .

المتقطّعة الّتي أساء فيها بعض الحكّام إلى الناس، بيد أنّ أشخاصاً مثل الحسن بن زيد، و أخيه محمّد، و الناصر الكبير كانوا من العلماء الأبرار، و في الوقت نفسه كانوا عُدولاً. و تحدّثنا سابقاً عن الحسن بن زيد. و نشير فيما يأتي إلى ناصر الاطروش.

قال ابن خلدون عنه : «**و كان الأُطروش عادلاً حسن السيرة لم يُر مثله في أيّامه**[1]». و قال المرعشي: «كان يعامل الناس بالعدل والإنصاف، و يعفو عن السيّئات»[2].

و قال كاتب آخر مشيراً إلى الحكومة الزيديّة العادلة في طبرستان: «أثنى عليها المؤرّخون المنصفون[3]».

و كتب مؤرّخ روسي قائلاً: «تذكر مصادرنا أنّها لم تشهد حاكماً عادلاً كحسن الأطروش في طبرستان و جيلان[4]». والطريف أنّ النماذج الأُخرى للحكومة العلويّة تماثل ما ذكرناه.

و قال المقدسي: «والعلويّة على «صعدة»، و هم أعدل الناس[5]».

و قال عن حكومة القرامطة[6] الّتي واجهت أكثر الطعون والشتائم من المؤرّخين - و نحن لا نبغي الدفاع عنها طبعاً : «الاحساء مستقرّ القرامطة من آل أبي سعيد. ثمّ نظر و عدل[7]». و قال ابن العماد الحنبلي في المعزّ لدين اللّه الفاطمي بمصر: «**كان مظهِراً للتشيّع، معظّماً لحرمات الإسلام حليماً و قوراً، حازماً سَريّاً، يرجع إلى عدل و إنصاف**[8]».

و قيل في القاضي الفاطمي نعمان : إنّه تمتّع بالرئاسة العظمى الّتي كان أهلاً لها، لإقامته الحقّ[9].

---

١ - **تاريخ ابن خلدون** ٣ : ٣٦٧ ، ٤ : ٣٣٧ ؛ **الكامل** لابن الأثير- حوادث سنة ٣٠١ هـ. **تاريخ الطبري** - حوادث سنة ٣٠١ هـ.

٢ - **تاريخ طبرستان و رويان و مازندران** للمرعشي : ٣٠٣.

٣ - **تاريخ إيران از اسلام تا سلاجقة**، كمبريج : ٩١.

٤ - **تاريخ إيران** : ٢٠٧.

٥ - **أحسن التقاسيم** للمقدسي : ١٠٤ . صعدة اسم مكان

٦ - نحتمل احتمالاً قويّاً أنّ القرامطة شعبة من شعب الإسماعيليّة.

٧ - **أحسن التقاسيم** : ٩٤.

٨ - **شذرات الذهب** ٣ : ٥٢ . و قال في أحد أُمرائهم المدعو جواهر القائد أبوالحسن الرومي: كان ... حسن السيرة في الرعيّة ٣ : ٩٨.

٩ - نفسه ٣ : ١٣٢.

و جاء أنّ شيعة طبرستان، و جيلان كانوا على المذهب الزيدي.

و قال القاضي نوراللّه : «كان أهالي جيلان على المذهب الزيدي الجارودي منذ زمن ناصر الحقّ الّذي سبّب إسلامهم، حتّى ظهور الملك المغفور له صاحبقران. ثمّ اعتنق سلاطينهم مع أكثر أهالي لاهيجان مذهب الإماميّة الناجية[١]». و ذكرنا سابقاً أدلّة على زيديّة الحسن بن زيد أو إماميّته. و يبدو أنّ التشيّع الإمامي كان موجوداً في الديلم منذ البداية[٢]. و لكنّا نرى أنّ هذا الموضوع لا يزال جديراً بالبحث والدراسة. إذ لا نستطيع أن نعتبر هؤلاء الأشخاص زيديّين مائة بالمائة تعويلاً على انتشار المذهب الزيدي في تلك المنطقة. و في الوقت نفسه، نلحظ أنّ أكثر الاحتمالات المذكورة تذهب إلى زيديّتهم. و ننقل فيما يأتي ما قيل عن عقيدة الناصر الكبير. فقد جاء في غاية الاختصار ما نصّه : «أبو محمّد الناصر الكبير إمام الزيديّة أحد أئمّتها الكبار[٣]».

والدليل الآخر هنا هو أنّ ابن الناصر الكبير كان إماميّ المذهب. و عاتب أباه بسبب مذهبه الزيدي[٤]. و قال ابن خلدون أيضاً: «**كان الأطروش زيديّ المذهب، و جميع الّذين أسلموا على يده ... كلّهم على مذهب الشيعة[٥]**».

و نصّ القزويني في مدوّناته على زيديّة الدعاة الثلاثة : الحسن، و محمّد، والناصر الكبير، و ذلك اعتماداً على كلام ابن خلدون[٦]. و لو فرضنا أنّ الناصر الكبير، كان زيديّاً، فإنّ الّذي يلوح لنا هو وجود الاختلافات بين أفكاره و أفكار القاسم بن إبراهيم الّذي كان قد جمع الزيديّة حوله في شمال إيران. و لذلك نقل أنّ فرقتين من الزيديّة قد ظهرتا : الأولى: الناصريّة، و الأخرى : القاسميّة. و عندما استولى الزيديّة على اليمن سنة

---

١ - **مجالس المؤمنين** ١ : ٩٦.
٢ - نفسه ١ : ٩٧.
٣ - **غاية الاختصار** : ١٠٧.
٤ - **عمدة الطالب** : ٣٠٩ ـ ٣١٠. قال في شعره :

يا أيّها الزيديّة المهمَلة — إمامكم ذو آية منزَلة
كفٌّ له بالأخذ مبسوطةٌ — و في العطايا جعدة مقبلة
توبوا إلى الرحمن واستغفروا — من قبل أن تأتيَكمْ زلزلة

تاريخ طبرستان لابن اسفنديار ١ : ٣٧٣.
٥ - **تاريخ ابن خلدون** ٣ : ٣٦٧، ٤ : ٤١٩.
٦ - **يادداشتهاى قزويني** ٥ : ٥٦.

٢٨٤ هـ. ق، فإنّهم انتهجوا خطّ القاسميّة[١].

و على عكس هذا الرأي، نرى أنّ المرحوم الميرزا عبدالله الأفندي ذكر عدداً من الادلّة لاثبات إماميّة الناصر. بخاصّة، إذا نظرنا إلى كتاب نقل عنه، وهو بعنوان: **«أنساب الأئمّة و مواليدهم - عليهم‌السّلام - إلى صاحب الأمر»**. و هذا ما يدعم القول بإماميّته. ثمّ نقل عن الشيخ البهائي قوله: «إنّ المحقّقين من علمائنا يعتقدون أنّ ناصر الحقّ تابع في دينه للإمام جعفر الصادق - عليه‌السّلام - كما يظهر من تأليفاته. و انّه لمّا كان يدعوالفرق المختلفة في المذاهب إلى نصرته، أظهر بعض الامور الّتي توجب ائتلاف القلوب». وواصل الشيخ البهائي كلامه فذكر استدلال ناصر الحقّ لإثبات وجود الإمام المهدي - عليه‌السّلام[٢].

و يرى المرحوم الخوانساري أيضاً أنّ الاطروش كان إماميّاً. والدليل الآخر على هذا الموضوع أنّه رافق الامام العسكري - عليه‌السّلام - مدّة طويلة، كما نقل ذلك ابن اسفنديار[٣].

و تطرّقت أكثر المصادر إلى جهوده في إسلام عدد كبير من الديلميّين. و ليس الناصر الكبير فحسب، بل هذا هو دأب غيره من الدعاة أيضاً. و أفضل عطاء قدّمته الحركة العلويّة، بعامّة، هو انتشار الإسلام في هذه المنطقة.

يقول ابن خلدون: أقام فيهم (أهل طبرستان) ثلاث عشرة سنة، يدعوهم إلى الإسلام...». و يضيف قائلاً: **فأسلم على يديه خلق كثير و بنى لهم المساجد**[٤].

و يقول ابن عنبة: «أقام في الناس أربع عشرة سنة يدعوهم إلى الإسلام. و أسلم على يده خلق كثير[٥]. و أثنى المسعودي أيضاً على وعي الاطروش و فهمه مشيراً إلى رجوع الناس من المجوسيّة إلى الإسلام بسببه[٦].

يبدو أنّ أكثر نفوذ العلويّين كان في الديلم، و جيلان. و أنّ العدد الكبير من الناس الّذين

---

١ - **تاريخ إيران از اسلام تا سلاجقة**: ١٨١، ١٨٢. أمّا يحيى الهادي إلى الحقّ فهو أوّل حاكم زيديّ في اليمن. و كان من فقهاء الزيديّة. و فقهه قريب من فقه أبي حنيفة. انظر: **عمدةالطالب**: ١٧٧.

٢ - **رياض العلماء**: ٢٧٦ - ٢٩٤. ذكر المؤلّف معلومات مفصّلة في هذا المجال، و يمكن للراغبين الرجوع إلى كتابه.

٣ - **تاريخ طبرستان** لابن اسفنديار ١: ٣٧٣.

٤ - **تاريخ ابن خلدون** ٣: ٣٦٧، ٤: ١٠، ٢٥.

٥ - **عمدة الطالب**: ٣٠٨.

٦ - **مروج الذهب** ٤: ٢١٧. و هذه العبارة نفسها موجودة في **بحر الأنساب** ٢: ٧٢.

تشيّعوا بواسطتهم كانوا من أهالي تلك المنطقتين. و في الوقت نفسه كان لحركتهم في المناطق الأخرى كطبرستان والري تأثير بالغ أيضاً. و كانت الطالقان الواقعة بين قزوين و أبهر، و كذلك قزوين نفسها (حيث يسكن الشيعة فيها - عادة - بشكل محدود[١]) من المدن الّتي تأثّرت بتشيّع طبرستان. و مع هذا كان السنّة موجودين في بعض مدن طبرستان كجرجان، و ساري، و آمل قبل قدوم العلويّين إليها، كما كان الشيعة فيها أيضاً. و تحدّث المقدسي عن المذاهب الإسلاميّة في فومن، و جرجان، و قسم من طبرستان خلال القرن الرابع، و ذكر المذهب الحنفي، والحنبلي، والشافعي، و النجّاريّة، والكراميّة. و واصل كلامه قائلاً: «و للشيعة بجرجان و طبرستان جلبة[٢]». و قال في موضع آخر من كتابه : «و نواحي الديلم شيعة، و أكثر الجبل سُنة[٣]». و يعود وجود المذهب السنّي في تلك المناطق إلى تغلغل السامانيّين فيها غالباً خلال السنين الأخيرة من القرن الثالث. و كانوا متشدّدين في تسنّنهم للغاية[٤]. فلابدّ أن يكون مجيئهم إلى طبرستان باعثاً على اتّساع نطاق المذهب السنّي فيها. لذلك قال أحد الكتّاب في هذا المجال : «عندما استولى إسماعيل الساماني على طبرستان أعاد المذهب السنّي إليها[٥]». و أشار المقدسي أيضاً إلى الصراع القائم بين الشيعة المتطرّفين و السنّة السامانيّين آنذاك[٦].

و استمرّت حكومة العلويّين مدّة بعد ظهور ناصرالحقّ سنة ٣٠١ هـ، و لمّا حانت سنة ٣٠٤هـ توفّي ناصرالحق فانتقلت الحكومة إلى ابن عمّه الحسن بن القاسم. و بعد مضيّ فترة على حكومته نشب صراع بينه و بين أبناء الأطروش، و كان ذلك بمشاركة حكّام الديلم[٧]. والحسن بن القاسم كما قال ابن اسفنديار «سيّد حسن السيرة، عادل، عالم. لم

---

١ - **مجالس المؤمنين** ١ : ٩٦ . قال القاضي نوراللّه: ما فتيء أهل الطالقان و قزوين يحبّون أميرالمؤمنين - عليه السّلام. و لكن يبدو أنّ هذا الرأي غير صحيح، بخاصّة في قزوين، و انّ المؤلّف عبّر عن الحبّ بالدوام من خلال قوله : ما فتِيء ! لأنّ المعروف عن قزوين أنّها كانت دار السنّة و الجماعة. و قد أشار القاضي إلى ذلك في الصفحة الآتية من كتابه. ١ : ٩٧ .

٢ - **أحسن التقاسيم** : ٣٦٥ .

٣ - نفسه : ٣٦٧ .

٤ - **تاريخ ايران در قرون نخستين اسلامى** : ١٤٢ .

٥ - **تاريخ إيران از إسلام تا سلاجقة** : ١٨١ . تصحّ كلمة الإعادة على الحكومة لا على الناس .

٦ - **أحسن التقاسيم** : ٣٣٦ .

٧ - استُشهد الحسن بن القاسم على يد أشخاص من بطانته. و قال ابن خلدون في سبب ذلك : «لأنّه كان يشتدّ عليهم في تغيير المنكرات» **تاريخ ابن خلدون** ٤ : ٢٧ .

يرالناس في طبرستان أمناً و رخاءً و عدلاً كما رأوا في عهده. و كان أفضل من السادة الآخرين كفاءةً و سياسةً[١]». و انتهت تلك الصراعات بسيطرة آل زيار على مقاليد الامور في هذه المنطقة. بيد أنّ العلويّين احتفظوا بنفوذهم فيها. و نقل أحد الكتّاب أنّ المصادر التاريخيّة تتحدّث مراراً عن أحفاد الأطروش بوصفهم حكّام المنطقة في عصر البويهيّين و آل زيار[٢]. و نصّ المقدسي على أنّ الجيل لم يطيعوا أحداً إلاّ أبناء الداعي الأوّل والثاني، الّذين ينحدرون من «صعدة[٣]».

و نقل ابن خلدون عن بعض الكتب التاريخيّة المتأخّرة أنّ الحسن بن القاسم (الداعي الصغير) عندما بويع بعد موت ناصر الاطروش، ادّعى جعفر بن الناصر بالحكومة، لكنّه لحق بدماوند بعد أن توطّدت أركان حكومة الداعي الصغير في طبرستان. و قبض عليه هناك. و أُشخص إلى عليّ بن وهشودان ملك الديلم، فحبسه. و بعد مدّة أُطلق فملَك طبرستان (كان الداعي الصغير يومئذ حاكماً على الري، و قزوين). و لمّا ظهر ما كان بن كالي، بايع الداعي الصغير، ثمّ اصطدم بنائب جعفر بن الأطروش، وهو الحسن بن أحمد بن الأطروش، و حبسه بجرجان عند أخيه أبي علي ليقتله، فقتله الحسن و نجا. وبايعه القوّاد بجرجان. ثمّ حاربه ما كان فانهزم الحسن إلى آمد و مات بها. و بويع بعده أخوه محمّد بن أحمد بن الأُطروش، فتغلّب على أسفار بن شيرويه في ساري. و عندما غلب مرداويح على الري، ثمّ على طبرستان، بايع محمّداً هذا. و لمّا مات، خلفه أخوه الثائر. و في سنة ٣٣٦ هـ اشتبك الثائر مع ركن الدولة البويهي، و هزم، ففرّ إلى جبال الديلم. و كان ملوك الديلم يخطبون له حتّى سنة ٣٥٥ هـ. و بعد موته بويع أحد العلويّين واسمه الحسين بن جعفر الملقّب بالناصر. لكنّه لم يستمر. و انقرض مُلْك الفاطميّين في جبال الشمال[٤].

بيد أنّ مانقله المرعشي يختلف عمّا تقدّم. فهو يقول: «عند ما مات أبو الحسين بن الناصر الكبير، بايع الناس ولده أبا علي محمّداً. و هو الّذي طعن عليّ بن حسين كاكي بعد أن قبض الأخير عليه. ثمّ حكم جرجان ثانية. و بعد وفاته، بويع أخوه أبو جعفر بن أبي

---

١ - **تاريخ طبرستان** لابن اسفنديار ١ : ٢٧٦ . و انظر : كتاب المرعشي : ٣٠٩ .

٢ - **تاريخ ايران از اسلام تا سلاجقة** : ١٨٤ .

٣ - **أحسن التقاسيم** : ٣٩٩ .

٤ - **تاريخ ابن خلدون** ٤ : ٢٨ .

الحسين. و قُتل أبو جعفر على يد ماكان بن كاكي. ثمّ بايع ماكان ابن عمّ أبي جعفر، و هو إسماعيل بن أبي القاسم بن الناصر الكبير، لكنّه سُمّ من قبل أُمّ أبي جعفر و مات. و قال المرعشي : فغضب السادات بعد ذلك. و كانوا يخرجون في كلّ مدّة. لكنّ خروجهم ليس له وقع كبير. إلى أن نهض الثائر باللّه مع ابن أخ الناصر الكبير سنة ٣٥٠ هـ[١]. و بعد أن هزم الجيش البويهي، توجّه تلقاء جيلان، ثمّ سيطر عليه غلامه عمير، و خذله الناس، و انتهى أمره». و قال المرعشي أيضاً: «و لم يخرج علويّ آخر حتّى عصر السيّد قوام الدّين الحسيني[٢]».

و قصد العلويّون منطقة طبرستان، والديلم - كما مرّ بنا - لأنهم جرّبوهما خلال تلك المدّة الطويلة، فوجدوهما أفضل مأمن لهم، كما لقوا فيهما الاكرام من لدن الولاة والحكّام[٣]. و كانوا يحظون بالاحترام المستمر، و ظلّوا أوجَهَ شريحة في المجتمع الشمالي في إيران، مع انتشار التشيّع بين الناس.

يقول القاضي نوراللّه في طبرستان: «... و كان أكثر أهالي طبرستان شيعة. و لم يكن في بعض مناطقها، كآمل، سنّيّ قطّ[٤]». لكنّ هذا الرأي يبدو مستبعداً. بخاصّة، أنّ الطبري المعروف كان آمليّاً سنّيّاً! بيد أنّ المؤلّف الّذي كان ملتفتاً إلى هذه النقطة، استدلّ بها على أنّ «انتساب الطبري إلى آمل مبهم غامض، إذ يندر جدّاً أن يكون شخص آمليّ سنّيّاً[٥]».

المناطق الشيعيّة في القرن الرابع

ألمعنا سابقاً إلى بعض المراكز الشيعيّة في القرن الثالث. و كانت قم أحد هذه المراكز الّتي نصّ الجغرافيّون في القرن الرابع على تشيّعها[٦]. و من الواضح أنّ إشارة هؤلاء الجغرافيّين - الّذين كان بعضهم سنّيّاً متعصّباً - يمكن أن تكون معلماً - في الأقل - على الأكثريّة الشيعيّة في هذه المدينة (إن لم نقل على تشيّع أهلها جميعهم). و لعلّ مدناً كثيرة كان الشيعة يسكنون في نقاط منها.

---

١ - تاريخ طبرستان و رويان و مازندران للمرعشي : ٣١٤.

٢ - كتاب المرعشي : ٣١٧.

٣ - تاريخ ابن خلدون ٤ : ٣٣٧.

٤ - مجالس المؤمنين ١ : ٩٨.

٥ - نفسه : ٩٩.

٦ - المسالك و الممالك : ٢٠١.

يقول الاصطخري في منطقة من مناطق فارس تدعى خرّة : «**أهل خرّة هم شيعة**[١]». ويرى أنّ هذه المنطقة هي من مناطق سابور[٢]. و جملة القول، أنّ محافظة فارس تعدّ من المراكز الرئيسة للشيعة بسبب وجود الحكومة البويهيّة فيها. و لا يمكننا أن نحسب التشيّع كلّه مقصوراً على خرّة أو فيروزآباد. يضاف إلى ذلك، أنّ الأرضيّة كانت موجودة في هذه المنطقة من قبل. و لعلّ مرقد السيّد أحمد بن الإمام موسى الكاظم في شيراز آيةٌ بارزة على تغلغل الفكر الشيعي في هذه المدينة الّتي كانت إحدى الحواضر الإسلاميّة[٣]. و تمصّرت شيراز بعد الإسلام. يقول المقدسي في مناطق فارس : «**المعتزلة والشيعة** بلارجان و ساحل البحر كثير[٤]».

و من المناطق الشيعيّة في إيران خلال القرن الرابع، أرجاء من محافظة كرمان. و يعرض الاصطخري مناطق الشيعة في هذه العبارة: «**والغالب على أهل الرودبار و قوهستان أبي غانم والبلوص والمنوجان، التشيّع**[٥]».

و ذكر **معجم البلدان** بعض المراكز الّتي تعرف برودبار في إيران، والعراق ، و لم يشر إلى منطقة في كرمان بهذا الاسم. بيد أنّ الّذي نستخلصه من كلام الاصطخري هو أنّ البحر يحدّ الجبال المعروفة بقفص من الجنوب. و تقع جيرُفت، و رودبار، و قوهستان أبي غانم في شمالها. أمّا البلوص، و منوجان فهي في الطرف الغربي من هذه الجبال (و هي المناطق الكائنة بين فارس، و كرمان على حدّ تعبير الحموي[٦]).

و جاء في حدود العالم حول الموقع الجغرافي لهذه المنطقة: «تقع بين جيرفت، و منوجان أرض جبليّة عامرة، و نعمتها وافرة. و هي تعرف بقوهستان أبي غانم. و في غربها قرية تسمّى رودبار ...[٧]».

و من الواضح أنّ المنطقة الشيعيّة في محافظة كرمان منطقة متّصلة و فسيحة. و أشار المقدسي الّذي كان يعيش في القرن الرابع إلى المناطق الشيعيّة أيضاً، قائلاً : و الغالب على

---

١ - **المسالك و الممالك** : ١٣٩ .

٢ - نفسه : ١١٢ . سمّاها عضد الدولة: فيروزآباد.

٣ - **رحلة ابن بطوطة** : ١٣٣ .

٤ - **أحسن التقاسيم** : ٤٣٩ .

٥ - **المسالك و الممالك** : ١٦٧ . و نقلت هذه العبارة نفسها في **صورة الأرض** : ٢٧١ .

٦ - **معجم البلدان** ١ : ٤٩١ ـ ٤٩٢ . ذُكرت منوجان في المعجم باسم منوكان من مناطق كرمان ٥ : ٢١٦ .

٧ - **حدود العالم** : ١٢٧ .

رودبار، و قوهستان، والبلوص، والمنوجان التشيّع[١]».

و قال المقدسي عن المذاهب الموجودة في خوزستان: «و مذاهبهم مختلفة. أكثر الاقليم معتزلة، أمّا العسكر فكلّهم. و أكثر أهل الأهواز، و رامهرمز، والدورق، و بعض أهل جنديسابور. و أمّا السوس و أجنادها، فحنابلة. و نصف الأهواز شيعة[٢]».

و يسمّى الشيعة في هذه المنطقة : المروشيّين أو الروسيّين، كما في خبر المقدسي. وتعطي معنى العناء والإعانة. و لعلّ الشيعة عُرفوا بهذا اللقب هناك لأنّ مذهبهم هو مذهب الشريحة المضطهدة أمام المذهب السنّي السائد ! و قال المقدسي: «و تقع عصبيّات في الأهواز بين الشيعة والسنّة تجرّ إلى الحروب بينهما[٣]».

و من المدن الأخرى الّتي يكثر فيها الشيعة ايرانشهر في الشمال الشرقي من ايران[٤]. وكانت نيسابور من مدن خراسان الّتي عاشت العصبيّات بين الشيعة والكرّاميّة على حدّ تعبير المقدسي[٥]. و ذكر هذا الشخص إجمالاً أنّ أولاد عليّ على غاية الرفعة عند أهل خراسان[٦]. وكان أهل الرقّة شيعة، كما عبّر عنهم[٧]. و الرقّة إحدى مناطق خراسان. و هذه هي غير الرقّة الكائنة في العراق، و تحدّث عنها الحموي. و نُقل عنها أيضاً أنّ قافلة الحجّ عندما و صلت من خراسان، كان أهل الرقّة يبحثون عن كتاب لفقيهٍ إمامي، و هو المتمسّك بحبل آل الرسول لابن عقيل[٨]، و هذا معلم على وجودٍ ممتدّ نسبيّاً للتشيّع هناك. و جملة القول أنّ التشيّع في خراسان خلال القرن الرابع تعرّض إلى محن مختلفة. و هو ما ذكره الخوارزمي في رسالته المعروفة إلى شيعة نيسابور. بيد أنّه لا يعني عدم انتشار التشيّع في تلك الديار. و في الوقت نفسه، لا نتّفق مع ايوانوف إذ ذهب إلى أنّ التشيّع في خراسان و آسية المركزيّة كان منتشراً إبّان القرن الرابع، أنّ مدن بلخ، و سمرقند، و مرو، و سائر المدن كانت من المراكز الرئيسة للتشيّع[٩]. و نرى ذلك مبالغة و إغراقاً.

و يدلّ الفهرس الّذي عرضه المقدسي عن الحواضر الشيعيّة في الوطن الإسلامي

---

١ - أحسن التقاسيم : ٤٦٩ .
٢ - نفسه : ٤١٥ .
٣ - نفسه : ٤١٧ .
٤ - نفسه : ٣١٦ .
٥ - نفسه : ٣٣٦ . و جاء في ص ٣٧١ : و تقع حروب وحشة بين الشيعة و الكرّاميّة.
٦ - نفسه : ٣٢٣ .
٧ - نفسه : ٣٢٣ .
٨ - مجالس المؤمنين ١ : ٤٢٨ .
٩ - إسماعيليان در تاريخ : ٤١٦ ـ ٤١٧ .

خلال القرن الرابع على أنّ هذا القرن كان قرن انتشار التشيّع.

و ننقل فيما يأتي عبارات مقتضبة من كتابه في هذا الحقل. جاء في موضع منه: «أكثر قضاة اليمن، و مكّة، و صحار معتزلة و شيعة[١]». «وكان التشيّع في الجزيرة العربيّة واسعاً جدّاً[٢]». و ورد في أهل البصرة: و أكثر أهل البصرة قدريّة، و شيعة، و معتزلة، ثمّ حنابلة[٣]. و بالكوفة الشيعة إلاّ الكناسة[٤]. و بالموصل أيضاً جلبة للشيعة[٥]. و أهل نابلس، و القدس، و أكثر عمّان شيعة[٦] والناس في أعلى قصبة الفسطاط، و أهل صندفا شيعة[٧]. و أهل الملتان في أرض السند شيعة[٨]. يثنّون في الأذان والإقامة[٩]. و لعلّ الشيعة في هذه المدينة هم من الإسماعيليّة الّذين حاربهم السلطان محمود، لكنّهم بقوا بعده مدّة مديدة.

تدلّ هذه العبارات على امتداد التيّارات الشيعيّة في أرجاء الوطن الإسلامي إبّان القرن الرابع الهجري.

و جاء في شعر لابن سكرة أنّ شيعة قم، و قاشان، و الكرج كانوا يظهرون في الأعياد بثياب بيضاء و قلوب سوداء[١٠].

و من الواضح أنّ المذهب الشيعي انتشر في أنحاء مختلفة من الشرق و الغرب خلال هذا القرن. و طبيعيّاً لم تكن هناك حكومة خاصّة يديرها الشيعة الإماميّة. و لكن ظهرت الأفكار الإماميّة، و كذلك الإسماعيليّة، و الزيديّة في أكناف العالم الاسلامي من خلال الحكومات الّتي شكّلها الإسماعيليّون، والزيديّون. يقول المقريزي مشيراً إلى الحكومة البويهيّة، و الفاطميّة: «فانتشرت مذاهب الرافضة في بلاد المغرب، و مصر، و الشام،

---

١ - أحسن التقاسيم: ٩٦.
٢ - نفسه: ١٠٤.
٣ - نفسه: ١٢٦.
٤ - نفسه: ١٢٦.
٥ - نفسه: ١٤٢. و قال القاضي نوراللّه: كان أكثر أهل الموصل في عصر سيف الدولة بن حمدان شيعة. و ما زالت محلّة من محلاّت الموصل شيعيّة. مجالس المؤمنين ١: ٦٥.
٦ - نفسه: ١٧٩.
٧ - نفسه: ٢٠٢.
٨ - نفسه: ٤٨١.
٩ - نفسه: ٤٨١. و هذا دليل على تشيّعهم، لأنّ السنّة لا يثنّون في الإقامة.
١٠ - يتيمة الدهر ٢: ٢٥٦، نقلاً عن تاريخ تمدّن اسلامى در قرن چهارم لآدم متز ١: ٨٠.
و الشعر هو أنّه: عيد أهل قم و قاشان والكرج يتلاقى بياضهم بقلوب من السبج
و السبج هو الخرز الأسود. المعرّب.

و ديار بكر، و الكوفة، و البصرة، و بغداد، و جميع العراق، و بلاد خراسان و ماوراء النهر، مع بلاد الحجاز، و اليمن، والبحرين. و كانت بينهم و بين أهل السنّة من الفتن و الحروب والمقاتل ما لا يمكن حصره[١]».

إنّ الحواضر الّتي ذكرت في هذا القسم بوصفها حواضر شيعيّة، هي الحواضر الّتي كان الشيعة يؤلّفون أكثريّة السكّان فيها. و كان الشيعة يسكنون بنسبة كبيرة أيضاً في كثير من الأمصار الأُخرى، بما فيها الأمصار المشهورة بنزعتها السنّيّة كقزوين. و من هؤلاء الشيعة آل جعفر، و هم من سلالة جعفر بن أبي طالب، وكثير منهم كانوا في عداد علماء الشيعة، و إنْ كان بعضهم يفتي على المذهب الحنفي تقيّةً. لكنّهم كانوا يعدّون من فقهاء الإماميّة غالباً اعتباراً من القرن الرابع فصاعداً[٢].

الاسماعيليّة في إيران يواصلون نشاطاتهم في القرن الرابع

إنّ أحد الدعاة المهمّين للإسماعيليّة في أواخر القرن الثالث و أوائل القرن الرابع هو أبو حاتم الرازي. و اسمه، كما نصّ عليه ابن حجر: «أحمد بن حمدان بن أحمد الورساني» المشهور بأبي حاتم اللّيثي[٣] الرازي. و نقل ابن حجر عن تاريخ الري لابن بابويه أنّه كان من أهل الفضل، و الأدب، والمعرفة باللغة. و سمع الحديث كثيراً. ثمّ أظهر القول بالإلحاد !! و صار من دعاة الإسماعيليّة، و أضلّ جماعة من الأكابر[٤]. وكان أكثر نشاطه في الري أيّام عبيداللّه المهدي إمام الإسماعيليّة يومئذٍ، و نُقل له دور في القضايا السياسيّة الّتي كانت قائمة في طبرستان والديلم، و لبّى دعوته كثير من السياسيّين الكبار آنذاك كأسفار بن شيرويه، و مرداويج بن زيار[٥]. مات سنة ٣٢٢ أو ٣٢٣ هـ و لم يذكر المؤلّف مصدراً يتحدّث عنه فيما إذا كان له تأثير على مرداويج أو لا. بيد أنّ الآخرين أشاروا إلى أنّه كان

---

١ - المواعظ و الاعتبار (الخطط المقريزيّة) ٢ : ٣٥٨ .

٢ - دائرة المعارف تشيّع ١ : ١٥٩ .

٣ - لسان الميزان ١ : ١٦٤ .

٤ - نفسه .

٥ - تاريخ الخلفاء : ٢٥٩ . سياستنامه : ٢٨٦ ، ٢٨٧ . أعلام الإسماعيليّة : ٩٧ .

يميل إلى المجوسيّة[١]. و زعم شخص آخر أنّه كان يقول: إنّ روح سليمان بن داود حلّت فيه[٢]. و ذكر استرن أنّه كان يحظى في البداية بدعم أسفار بن شيرويه، و حتّى مرداويج، لكنّ هذا الدعم لم يستمر إذ غُضب عليه فيما بعد[٣].

و قال الخواجه: «اضطرب أمر السبعيّة (الّذين يعتقدون بسبعة أئمّة) و لحق بهم الضرر بعد فرار أبي حاتم من الديلم[٤]». و ذكر أنّ تغلغل أبي حاتم في الديلم يعود إلى تمرّد الديلميّين على العلويّين، و قال: «استقطبهم أبو حاتم إليه من خلال زعمه ظهورَ المهدي قريباً. لكنّهم انفصلوا عنه بعد مدّة. ففرّ منهم، و مات في فراره[٥]».

و مرّ بنا آنفاً أنّ حسين بن علي المروزي كان يمارس نشاطه في بلاط نصر بن أحمد الساماني. و زاول نشاطه في خراسان بوصفه داعياً إسماعيليّاً من سنة ٣٠٧ هـ حتّى سنة ٣١٢ هـ. ثمّ قبض عليه نصر و حبسه[٦].

أمّا خليفته أبو عبداللّه بن أحمد النسفي، فقد استطاع أن يستميل نصر بن أحمد إليه. و ليس نصر بن أحمد فحسب، بل عدداً كبيراً من أصحاب المناصب الحكوميّة في الأمارة السامانيّة، إذ أدخلهم في المذهب الاسماعيلي[٧]. و لعلّ نصر بن أحمد كان، بعد ركونه إلى المذهب الاسماعيلي، يعتبر نفسه تابعاً للحكّام الفاطميّين. و إنْ كان البعض يرتاب في ذلك بسبب عدم وجود الدافع السياسي[٨]. و لكنّ المسألة مقبولة من الوجهة الدينيّة إلى حدٍّ ما.

و لمّا كان البلاط الساماني معروفاً منذ البداية أنّه مركز المذهب السنّي في الشرق، و أنّ السامانيّين كانوا في طاعة العبّاسيّين دائماً[٩]، لذلك نحتمل أنّ عناصر البلاط قد تعنّتوا تعنّتاً خاصّاً في هذا المجال، و لم يستعدّوا لقبول المذهب الجديد الّذي يمثّل خطّاً في الطرف

---

١ - **شذرات الذهب** ٢ : ٢٩٣ .

٢ - **الكامل** ٨ : ٣٢٣ . لا يمكن أن تكون هذه التهم في معزلٍ عن الميول الإسماعيليّة.

٣ - مجلّة كليّة الآداب بجامعة طهران، العدد التاسع، المقالة الاولى ، ص ٨ .

٤ - **سياستنامه** : ٢٨٧ .

٥ - نفسه .

٦ - **الفهرست** لابن النديم : ٢٣٩ .

٧ - مقالة منشورة في العدد ٥٤ من مجلّة كليّة الآداب، و عنوانها: حول دعاة الاسماعيليّة في ايران.

٨ - **بخارا دستاورد قرون وسطى** : ٨٥ ـ ٨٦ .

٩ - **مجمع الأنساب** : ٢٣ ـ ٢٤ .

المقابل. فتآمروا ضدّ الأمير نصر. لكنّ مؤامرتهم انكشفت له و لنجله نوح بعد مدّة. و مع ذلك فقد تخلّى الأمير نصر عن منصبه، و تصدّى ولده نوح لرئاسة الحكومة السامانيّة. وفي ضوء ما نقله ابن النديم، فانّ نوح بن نصر قتل النسفي و رؤساء الدعوة الإسماعيليّة الّذين كانوا في عداد القوى المناصرة لنصر[1].

و يقول ابن الأثير في هذا المجال، دون الإشارة إلى سبب قتل النسفي من قبل نوح بن نصر: و في سنة ٣٣١ هـ استقدم الأمير نوح محمّد بن أحمد النسفي، و كان قد طُعن فيه عنده، فقتله و صلبه، فسرق من الجذع، و لم يُعلم من سرقه[2].

و ذكر الخواجه نظام الملك - المعروف بعناده المكشوف للباطنيّة - ركون الأمير الساماني إلى الباطنيّة مفصّلاً. ومن الّذين ركنوا إلى النخشبي أو النسفي[3]: بكر النخشبي نديم الأمير في خراسان . و استطاع بكر أن يستميل الأشعث إلى هذا المذهب، وكان الأشعث كاتباً خاصّاً. و ركن أبو منصور جغاني إلى الباطنيّة، و كان أحد كبار البلاط الساماني. و دخل الحاجب الخاصّ آيتاش في هذا المذهب أيضاً. يقول الخواجه: عندما كانوا يدعون أحداً إلى مذهبهم، فإنّهم يدخلونه في المذهب الشيعي أوّل الأمر، ثمّ يوجّهونه إلى السبعيّة تدريجاً. و بعد انتماء هؤلاءالأشخاص والندماء الآخرين إلى هذا المذهب، فإنّهم يذكرون النسفي بخير، و يحبّبونه إلى الملك. و أدّى عملهم هذا إلى امتعاض عدد من أمراء الجيش، فتآمروا ضدّ نصر بن أحمد. و نقل الخواجه معلومات مفصّلة عن المتآمرين، و اطّلاع الملك على عملهم، و ذكر كيف انتهت المؤامرة بمقتل قائد الجيش، و إجلاس نوح على العرش من قبل أبيه.

و عندما تسلّم نوح مقاليد الأمور، بدأ حربه ضدّ الكفّار في الداخل، و أمر بقتل كلّ من ألحد و اعتنق هذا المذهب الّذي اعتنقه أبوه في بلاد ماوراءالنهر من خراسان ... و هجم جنده و قبضوا على محمّد النخشبي الّذي كان أحد الدعاة، و ضربوا عنقه ... ثمّ انتشروا في المدينة و قتلوا كلّ من وجدوه منهم . و كانوا يعرفونهم جميعهم، و جهروا بدعوتهم بفضل الدعم الّذي كانوا يلقونه من الملك. و كانوا يبحثون عن الباطنيّة ليس في بلخ وحدها، بل في سائر مناطق خراسان و ماوراء النهر. حتّى «... انّهم تحرّوا في بخارى

---

١ - **الفهرست** لابن النديم : ٢٩٣ .
٢ - **الكامل** ٨ : ٤٠٤ .
٣ - نَسْف معرّب نخشب، قريبة من سمرقند.

و ضواحيها سبعة أيّام بلياليها، و سلبوا و نهبوا، فلم يبق أحد منهم في مناطق ماوراءالنهر و خراسان جميعها. و من بقي منهم لم يجرأ على الظهور. و أفل هذا المذهب في خراسان[١]».

و نقل الخواجه هذه القصّة مفصّلة لأهميّتها الّتي فرضت التفصيل فيها، و هي تدلّ على امتداد الإسماعيليّة في خراسان و ماوراء النهر بعد مدّة من الجهود الّتي بذلها دعاتها، كما جاء هذا التفصيل غالباً لعناد الخواجه الّذي حاول تحريض الملك على التشدّد ضدّ الباطنيّة من خلال هذا التفصيل. و قد صرّح هو نفسه بهذه انقطة[٢]. من هذا المنطلق، ينبغي أن لا نلتفت كثيراً إلى جزئيّات الأخبار الّتي نقلها.

مواصلة التشيّع في خراسان

لا تتحدّد الميول الإسماعيليّة الّتي كان عليها البيت الساماني في هذه الفترة الخاصّة، بينما كان الامراءالسامانيّون الآخرون بعيدين عن العقائد الشيعيّة، مصرّين على التمسّك بالمذهب السنّي. لذلك لا يصحّ ما قاله مصطفى الحلبي: إنّ «أكثر أُمراء هذه الدولة (السامانيّة)... كانوا يعرفون حقّ العلويّين في هذه الولاية، و يعتنقون التشيّع للأئمّة المستورين[٣]». و ينطبق هذا القول على نصربن أحمد فحسب. و على العكس، فقد كان الأمراء السامانيّون يرون طاعة الحكّام العبّاسيّين من أهمّ الواجبات. [و كان إسماعيل بن أحمد يظهر الطاعة لسلاطين بني العبّاس دائماً، و يعدّ اتّباعهم واجباً مفروضاً عليه[٤]. و لم يعصهم ساعة واحدة في عمره، و كان ينفّذ أوامرهم بقوّة[٥]].

و لكنّ تمسّك نصر بن أحمد بهذه العقيدة مؤقّتاً أدّى إلى انتشارها في أرجاء خراسان. و تأثّر الكثيرون بالعقائد الإسماعيليّة. و من الأُسر الّتي تأثّرت بهذه العقائد هي أُسرة ابن سينا. و نقل عن ابن سينا نفسه أنّه كان يقول: «كان أبي ممّن أجاب داعي المصريّين. و كان

---

١ - سياستنامه: ٢٩٦ ـ ٢٩٧.
٢ - نفسه: ٢٥٥.
٣ - مقدّمة توفيق التطبيق: ٨.
٤ - تاريخ بخارا لمؤلّفه نرشخي: ١٠٦.
٥ - نفسه: ١٢٧.

يُعدّ من الإسماعيليّة. و يشير إلى أنّ أخاه كان على هذه العقيدة أيضاً[١]. و يقول الحلبي: «(ابن سينا) أبو علي الحسين، و أبوه عبدالله، وجدّه الحسن، و أبو جدّه علي. و هذا دليل واضح على تشيّع هذه الأُسرة. و سنشير هنا إلى تشيّع ابن سينا. فانّنا نقرأ في كتبه تعابير تدلّ على ميوله الشيعيّة. و حاول البعض أن يتّخذ من هذه التعابير دليلاً على تشيّعه الإمامي. و يرى عليّ بن فضل الله الجيلاني في كتاب ألّفه بعنوان **توفيق التطبيق في إثبات أنّ الشيخ الرئيس من الإماميّة الاثني عشريّة**» انّ ابن سينا كان إمامياً. و حاول أن يدلّ على ذلك من خلال ذكر فقرات من كتاب الشفاء. و قد مرّ بنا أنّ أبن سينا نفسه اعترف أنّ أباه و أخاه كانا إسماعيليّين. حتّى انّه طُلب منه أن يقرّ بآرائهما في النفس والعقل، لكنّه لم يستجب. علماً أنّ عدم استجابته لا يعود إلى تشيّعه، بل يحتمل أنّه إشارة إلى عدم قبول أقوالهما في النفس والعقل. على أيّ حال، كان المناخ السائد في أُسرته مناخاً شيعيّاً، و قد ترك تأثيره عليه لا محالة. و إذا عثرنا على أمثلة في تعابيره، فلا جرم أنّها تدلّ على ميوله الشيعيّة.

و قبل أن ننقل طرفاً من عباراته، نذكّر أنّ ابن سينا كان فيلسوفاً عقليّاً قبل كلّ شيء. و هو الفيلسوف الّذي كان يهتمّ كثيراً بما تقرّره الشريعة، و في الوقت نفسه، كان يحترم العقل احتراماً بالغاً. على سبيل المثال، كان يقرّ بالمعاد الجسماني في ضوء الأخبار الواردة. لكنّه يقول بصراحة أن لا دليل عليه[٢].

طبيعيّاً، انّنا لا نتوقّع من شخص فيلسوف أن يكون له اهتمام كبير بالمسائل الجزئيّة للدّين، أو أنّه إذا عرض بعض الآراء، فلابدّ أن تكون مأخوذة من رؤية دينيّة متوكّئة على الحديث. بخاصّة، انّ ابن سينا كان قد مُني بالمسائل السياسيّة، ممّا دفعه إلى إخفاء نزعته الدينيّة. على الرغم من أنّ حضوره عند علاء الدولة – وهو من أُسرة ابن كاكويه الشيعيّة في أصفهان – يعتبر فرصة مناسبة لعزو التشيّع إليه[٣]. و لكن بغضّ النظر عن هذا كلّه، فإنّ

---

١ – **عيون الأنباء في طبقات الأطبّاء** ٢ : ٢ . و جاء في **شذرات الذهب** «كان أبوه من دعاة الإسماعيليّة» ٣ : ٢٣٤ . و نقلت هذه الحكاية من قبل أبي عبيد الجوزجاني، و أوردها نصّاً مؤلّف **عيون الأنباء**. و ذكرت أيضاً في نسخ متفرّقة. و صدرت رسالة بالفارسيّة للدكتور ديباجي بعنوان «ابن سينا»، ضمّت هذه الحكاية.

٢ – قال في آخر **الشفاء** : «ليس لنا دليل عقليّ على وجوب حشر الأجساد كما لا دليل لنا على امتناعه».

٣ – انظر : **الكامل** ٩ : ١٩٠ .

بعض العبارات تدلّ بوضوح على تطابق الأفكار الشيعيّة و عقائد ابن سينا. و إن كان مؤلّف توفيق التطبيق قد أتى بتأويلات و تفسيرات طويلة في هذا المجال. و هي تأويلات قد تدفعنا إلى عدم قبولها.

يقول ابن سينا في الفصل الأخير من كتاب الالهيّات[1]:

«ثمّ يجب أن يفرض السانّ طاعة من يخلفه، و أن لا يكون الاستخلاف إلاّ من جهته، أو باجماع من أهل السابقة على من يصحّحون علانية عند الجمهور أنّه مستقلّ بالسياسة، و أنّه أصيل العقل، حاصل عنده الأخلاق الشرعية من الشجاعة، والعفّة، و حسن التدبير، و أنّه عارف بالشريعة حتّى لا أعرف منه، تصحيحاً يظهر و يستعلن، و يتّفق عليه الجمهور عند الجميع. و يسنّ عليهم أنّهم إذا افترقوا، أو تنازعوا للهوى والميل، أو أجمعوا على غير من وُجد الفضل فيه والاستحقاق له، فقد كفروا باللّه».

و يواصل كلامه فيقول: **«والاستخلاف بالنصّ أصوب، فإنّ ذلك لا يؤدّي إلى التشعّب، والتشاغب، والاختلاف[2]»**.

و هذه العبارة دعم صريح و واضح لرأي الشيعة. أمّا في العبارة الأولى من النصّ المتقدّم، فإنّه يذهب إلى أنّ على النبيّ - صلّى اللّه عليه و آله - أن يفرض طاعة من يخلفه. و هذا أُسلوب يعرضه الشيخ الرئيس بوصفه مهمّة نبوّية لا مناصّ منها. و يرى الشيخ أنّ الاستخلاف إمّا بالنصّ، أو باجماع أهل الخبرة بالشروط الّتي طرحها الشيخ نفسه...

...و نلحظ هنا أنّ ابن سينا قام بطرح فرضيّة عقليّة. و تتمثّل هذه الفرضيّة بحصر الاستخلاف الصحيح في طريقين: الأوّل: هو النصّ. والثاني: هو الإجماع الّذي أحكم حدوده و قيوده ليدلّ على إمكان طرحه بوصفه فرضيّة عقليّة (في الدرجة الثانية طبعاً). بيد أنّه يعرب في ختام حديثه عن أفضليّة الطريق الأوّل، وهو يعرف أحسن من غيره أنّ على الشارع أن يختار الأصوب. مع أنّه بوصفه مفكّراً عقليّاً حرّاً يمكن أن يؤيّد هذين الطريقين بالشروط المطروحة من الوجهة العقليّة. و قد فعل ذلك أيضاً.

و نرى هنا أنّ الشيخ الرئيس عرض لنا مرّة أُخرى بحثاً عقليّاً من خلال قبوله أنّ الاستخلاف يمكن أن يكون بالنصّ، مقرّاً بأنّه أفضل طريق، غير ملتفت إلى الأخبار

---

١ - الشفاء ، الالهيّات : ٤٥١ .

٢ - نفسه.

والروايات المأثورة في هذا الحقل. و هذا هو نهجه العام بوصفه أحد الفلاسفة المشّائين. و في الوقت نفسه، فإنّ بلوغ هذه النتيجة لا يمكن أن يتحقّق صدفة، بل هو معلم على حسّه الشيعي كما يبدو. علماً بأنّ العبارة المذكورة لا تشير إلى الطريق الّذي ينبغي انتهاجه من الوجهة التاريخيّة، و لا إلى الاتّجاه الّذي كان يريده النبيّ - صلّى اللّه عليه و آله، مع أنّ الاشارة إلى الطريق الأصوب يمكن أن تكون معبّرة عن ذلك إلى حدٍّ ما.

ثمّ قام الشيخ بعد ذلك بذكر الخلاف بين شخصين لإحراز منصب الخلافة، و قال: «المعوّل عليه الأعظم العقل، و حسن الايالة. فمن كان متوسّطاً في الباقي، و متقدّماً في هذين، بعد أن لا يكون غريباً في البواقي، و صائراً إلى أضدادها، فهو أولىٰ ممّن يكون متقدّماً في البواقي، و لا يكون بمنزلته في هذين فيلزم أعلمهما أن يشارك أعقلهما، و يعاضده. و يلزم أعقلهما أن يعتضد به و يرجع إليه، مثل ما فعل عمر، و عليّ - عليه‌السّلام[1]».

هذه العبارة لا تحتمل التأويل، فإنّها تدلّ على أنّ ابن سينا يذهب إلى أنّ عمر أعقل من عليّ. و يكمل حديثه متوكّئاً على العلاقات القائمة بينهما في مجال المشاركة المتبادلة[2]. و حينئذٍ لا يتسنّى لنا أن نقبل مثل هذا التشيّع الّذي ذكره عليّ بن فضل‌اللّه الجيلاني بتأويلاته الكثيرة لمفهوم العقل. و بغضّ النظر عن هذه الاحتمالات، فانّنا نؤكّد مرّة أُخرى على أنّ ابن سينا كان فيلسوفاً فحسب، و قد أبدى آراءه المذكورة وفقاً لما تمليه متطلّباته العقليّة في حقل الخلافة و الإمامة. وكلامه قابل للنقاش من وجهة الاستدلالات الّتي أتى بها فقط، لا من الوجهة الروائيّة والحديثيّة، أو بعبارة أُخرى: الوجهة الشرعيّة.

و إذا تغاضينا عن هذه الأمور، فانّ الشيخ يعدّ أحد وزراء البويهيّين. و سنتحدّث عن البويهيّين في القسم الآتي، وكان هؤلاء من الأسر الشيعيّة الّتي حكمت في إيران، و العراق. و طبيعيّاً، أنّ وجود الشيخ بينهم وزيراً لشمس الدولة يتطلّب مثل هذه النزعة. و إن كنّا لا نستطيع البتّ في هذا المجال.

يقول صاحب روضات الجنّات: «كان يجري على مذاهب أهل السنّة» و دليله على ذلك

---

١ - الشفاء: ٤٥٢.

٢ - نرى أنّه يشمل حالات محدودة.

قول الشيخ : إنّه كان يفتي في بخارى على مذهب أبي حنيفة[١]. بيد أنّه نفسه نقل عن الشوشتري أنّه ولد على فطرة التشيّع والايمان، وكان ملازماً لملوك الشيعة. و لا جرم أنّه يشير إلى وزارته للبويهيّين. و قال المرحوم الشوشتري: كانت ملاحقة السلطان محمود لابن سينا بسبب تشيّعه[٢]». والمشهور أنّ السلطان كان يتابع مهمّة جمع العلماء. و يمكن أن يحدّد لنا هروب ابن سينا الأرضيّة لافتراقهم الفكري إلى حدٍّ ما. و لعلّ المسألة كانت سياسيّة أيضاً.

إنّ النموذج الّذي أشرنا إليه معلم على تغلغل التشيّع في خراسان. وهو التشيّع الّذي كان الإسماعيليّون قد مهّدوا له من قبل. و إنْ لم يكن إسماعيليّاً كلّه. و عندما مات نوح بن نصر، خلفه نجله منصور. و ذكر الخواجه أنّ الموجة الاسماعيليّة اجتاحت أرجاء البلاد مرّة أُخرى. «و استأنف الدعاة نشاطهم الإسماعيلي في خراسان و بخارى، و أضلّوا الناس». و أضاف أنّ عدداً من الامراء و كبار البلاط انتموا إلى الباطنيّة سرّاً، و منهم «منصور بايقراء، و سعيد ملك، و أبو العبّاس جرّاح ... و أبو عبداللّه جيهاني». و أقبلت الدنيا على الإسماعيليّين إقبالاً جعل الناس البعيدين يخالون أنّ بطانةالملك كلّها أصبحت باطنيّة». وكاد الباطنيّون أن يثوروا ثورة عامّة. من هذا المنطلق كتب الب تكين إلى منصور يخبره قائلاً: «إنّ معظم خاصّتک و أهل بلاطك و ديوانك اعتنقوا مذهب القرامطة. و دخل فيه الصغير و الكبير. و هم يدبّرون للخروج». و بعد ذلك خرج بالطالقان قوم من القرامطة، أو السبعيّة على حدّ تعبير الخواجه. فعزم منصور بن نوح على قمع ذلك التحرّك، و بعد مدّة خلّى سبيل الوزير أبي عليّ البلعمي الذي كان قد سجنه باصرار باطنيّة البلاط. و انبرى إلى إخماد التحرّكات الباطنيّة بمؤازرته. ثمّ قبض على كلّ من تقرمط من الخواصّ والكتّاب، و صادر أموالهم، و قتلهم عن آخرهم، و ذلك بدعم أبي الحسن سيمجور[٣]».

إنّ هذه الحوادث الّتي نقلها الخواجه، مشوبةً بالتعصّب و مزيجةً بأخبار الخرّم الدينيّة، تدلّ على وجود السوابق الاسماعيليّة في هذه المناطق. بخاصّة كان الإسماعيليّون دقيقين في دعوتهم. وكان تعاون الدعاة و توافقهم يسهّلون سبل تقدمهم جيّداً، إذ نُقل أنّ كلّ

---

١ - روضات الجنّات ٣ : ١٧٠ - ١٨٠ . عن تلخيص الآثار . لذلك اعتبره البعض حنفيّاً، و عدّه البعض الآخر شافعيّاً. انظر: الجواهر المضيئة في طبقات الحنفيّة لابن أبي الوفاء ١ : ١٩٥ .

٢ - مجالس المؤمنين ١ : ١٨٢ .

٣ - سياستنامه : ٢٩٧ - ٣٠٥ .

واحد منهم يفكّر بصاحبه. وكما قال الخواجه: «كانوا يعزّزون معنويات الدعاة سرّاً، و إذا كان أحدهم قادراً على القيام بعمل ما، فإنّه لا يكلّف شخصاً آخر بالقيام به. و كانوا يتعاضدون و يتآزرون في الديوان و غيره. و إذا أخطأ أحدهم، آزره الجميع و وقفوا إلى جانبه، و صحّحوا له خطأه. فازدادت قوّتهم و عددهم على كرور الأيّام. و إذا ما وجد أحدهم في خراسان و ماوراء النهر، فالجميع يستجيبون له و يلبّون دعوته، فيجهر بالدعوة مستفيداً من دعمهم[١]».

و على الرغم من وجود هذه البيوتات الشيعيّة و الدعايات الإسماعيليّة، فقد مهّد السامانيّون الأرضيّة لإضعاف التشيّع في خراسان منذ النصف الثاني من القرن الثالث (٢٦١ هـ) حتّى أواخر القرن الرابع (٣٨٩ هـ)، و ذلك بسبب إصرارهم على المذهب السنيّ. بيد أنّنا نستثني منهم نصر بن أحمد الّذي حكم ثلاثين سنة (٣٠١ - ٣٣١).

وكتب أبوبكر الخوارزمي الشيعي المتوفّى سنة ٣٨٣ هـ في رسالته المعروفة إلى شيعة نيسابور قائلاً: «فإنْ كسد التشيّع بخراسان، فقد نفق بالحجاز، والحرمين، والشام، والجزيرة، والجبل[٢]». و نلحظه في موضع آخر من هذه الرسالة يستعيذ باللّه من بعض الطوسيّين و الشاشيّين (الشاش منطقة في شمال شرقي إيران[٣]). و أبوبكر الخوارزمي هذا من شيعة خراسان المعروفين. و اشتهر بتشيّعه و التزامه. يقول في شعرٍ له:

بآمل مولدي و بنو جرير فأخوالي و يحكي المرء خاله
فمن يك رافضيّاً عن تراثٍ فانيّ رافضي عن كلاله[٤]

و يبدو من هذين البيتين أنّه ينسب نفسه إلى محمّد بن جرير الطبري صاحب تاريخ الأُمم و الملوك. ونحن نعلم أنّ الطبري كان سنيّاً، و لو فرضنا وجود نزعة شيعيّة عنده، فقدكانت محدودة، و متأخّرة[٥].

و انتهى الحكم الساماني في خراسان بنهاية القرن الرابع، و استولى الغزنويّون على

---

١ - سياستنامه : ٣٠٠. ٢ - رسائل الخوارزمي : ١٧١.
٣ - نفسه : ١٧٢.
٤ - نقض : ٢١٨. معجم البلدان ١ : ٥٧ ؛ تاريخ بيهق ١٠٨. و انظر : ص ١٩.
٥ - راجع مقالتنا «طبري و أهل حديث» في كتابنا «جغرافياي تاريخي و انساني شيعه» (قم، مكتبة انصاريان).

المنطقة الخاضعة للنفوذ الساماني. و نقرأ أنّ ألب تكين أحد أُمراء الحرس الساماني، لم يلق عطفاً و ودّاً من الأُمراء السامانيّين، لذلك توجّه تلقاء الهند. و سيطر عليها بعد مدّة من القتال. و كان سبكتكين نائبه في تلك البلاد. و هذا الشخص هو مؤسّس الحكومة الغزنويّة. و خلفه على العرش نجله السلطان محمود الغزنوي الّذي هاجم المناطق الّتي كان يحكمها السامانيّون، و قضى على السامانيّين، ثمّ أصبح حاكم خراسان المطلق بعد منحه لقب يمين الدولة من قبل الحكّام العبّاسيّين. و سنرى بعدُ أنّ سياسة الغزنويّين كانت سياسة متشدّدة ضدّ الشيعة، مع إصرار على المذهب السنيّ، و بذلك كانوا كالسامانيّين حجر عثرة في طريق التشيّع من التغلغل في المناطق الشماليّة الشرقيّة من ايران.

و كانت المنطقة الواقعة في شمال غرب إيران من المناطق الّتي مارس الإسماعيليّون فيها نشاطهم إبّان القرن الرابع.

قال استرن في ضوء بعض الأخبار التاريخيّة و النقود: كان محمّد بن مسافر حاكماً على تارم (طرم) و قلعة شميران في مستهلّ القرن الرابع الهجري. و كان له ولدان: أحدهما مرزبان الّذي غزا آذربايجان. والثاني وهسودان. و كلاهما إسماعيليّ.

و نصّ ابن مسكويه على أنّ مرزبان و وزيره إسماعيليّان. أمّا أخوه فينبغي الإلماع إلى عُملةٍ سكّها في جلال آباد سنة ٣٤٤ هـ، و كتب عليها: لا إله إلاّ اللّه. محمّد رسول‌اللّه. عليّ خليفة اللّه. ثمّ ذكر أسماء الأئمّة - عليهم‌السّلام - حتّى الإمام الصادق - عليه‌السّلام. و أعقبه باسم إسماعيل، و ولده محمّد، ممّا يدلّ على مذهبه الإسماعيلي. و قال استرن: «إنّ عدم الإشارة إلى اسم المعزّ معلَم على انفصالهم عن الفاطميّين في مصر. كما يُنبىء أيضاً عن ثبات عقيدتهم في مهدويّة إسماعيل بن جعفر[١]».

الحكومة البويهيّة والتشيّع

كانت الحكومة في أرجاء مختلفة من إيران بيد أُسر فارسيّة منذ سنة ٢٠٠ هـ فما تلاها، لكنّها كانت خاضعة لإشراف السلطة العبّاسيّة. و من هذه الأُسر: الأُسرة الطاهريّة، و الصفّاريّة، ثمّ السامانيّة بعدهما. و هذه الأُسر الّتي تمتّعت بسلطة مستقلّة عن الحكم

---

١ - مجلّة كليّة الآداب، طهران، السنة التاسعة، المقالة الأولى، ١٩٧٠ م، ص ٩ - ١٠.

العبّاسي كانت ترغم ذلك الحكم ليخوّلها شؤون المنطقة الّتي تسيطر عليها قسراً[١]. فكان الحاكم العبّاسي - الّذي لم يفكّر إلّا براحته و رخائه - يستجيب لها بعد أن يقبل منها الهدايا الكثيرة و الأخراج السنويّة، علماً بأنّه لم يؤمّل منه القيام بعملٍ ما. و كانت للحكم العبّاسي منزلته الرفيعة عند أولئك الحكّام و الامراء. و هو نفسه يزيد سلطتهم السياسيّة والدينيّة الّتي كانت لها أهميّتها الكبيرة[٢]. بيد أنّ الحاكم العبّاسي أيضاً كان يستغلّ الفرصة المناسبة لإضعافهم من خلال الايقاع بهم، و بثّ الفتن بينهم، و تحريض أحدهم على الآخر!

و ضعفت الحكومة العبّاسيّة كثيراً في مستهلّ القرن الرابع، حتّى لم تظلّ منطقة خاضعة لنفوذها في سنة ٣٢٥ هـ إلّا بغداد[٣]، الّتي احتلّها البويهيّون بعد تلك الفترة. و يرى ابن خلدون أنّ سلطة الحكّام العبّاسيّين قد ضعفت منذ عهد المتوكّل فنازلاً. بينما يرى غيره أنّه لم تعد لهم سلطة و سطوة منذ سنة ٣٠٨ فما بعدها[٤]. وكان البويهيّون على عكس الأسر الّتي سبقتهم إذ لم يقنعوا بحكومة الري، و أصفهان، و شيراز، فاقتحموا بغداد، و جعلوا الحاكم العبّاسي ألعوبة بأيديهم. و بلغت سلطتهم ذروتها اعتباراً من النصف الأوّل للقرن الرابع حتّى أواخر النصف الأوّل للقرن الخامس. أي: ما ينيف قليلاً على قرن.

و يُعدّ السلاطين البويهيّون من أقدر الحكّام الّذين حكموا البلاد الإسلاميّة، حتّى قال ابن خلدون: «وكانت لبني بويه الدولة العظيمة الّتي باهى الاسلام بها سائر الأمم[٥]». و بنو بويه ثلاثة إخوة هم : أبوالحسن عليّ أو عمادالدولة، و أبوعليّ حسن أو ركن‌الدولة، و أبوالحسن أحمد أو معزّالدولة، و أبوهم أبوشجاع صيّاد السمك[٦]. و نسبوا أنفسهم إلى ملوك فارس القدامى كما فعل الصفّاريّون و السامانيّون من قبلهم[٧]. و ذكر البعض أنّهم

---

١ - انظر : **مجمع الأنساب** : ٢١ حول يعقوب مثلاً.

٢ - **مجمع الأنساب** لمؤلّفه شبانكاره‌اى : ٥١ .

٣ - **المنتظم** لابن الجوزي ٦ : ٢٨٨ .

٤ - **تاريخ سنيّ ملوك الأرض و الأنبياء** لحمزة بن الحسن الاصفهاني : ١٥٢ .

٥ - **تاريخ ابن خلدون** ٤ : ٤٢٠ .

٦ - يقال له بالفارسيّة ماهيگير.

٧ - **الفخري** : ٢٧٧ . و ذكر ابن الأثير نسبهم في**الكامل** ٨ : ٢٦٤ كالآتي : «أولاد آل بويه أبو شجاع بن فنّا خسرو بن تمام بن كوهى بن شيرزل (شيردل) الأصغر بن شيركندة بن شيرزيل الأكبر بن شيران شاه بن شيرويه بن شتان شاه بن سيس فيروز بن شيروزيل بن سنباد بن بهرام جور الملك بن يزدجرد الملك بن هرمز بن شابور بن شابور ذي‌الأكتاف».

كانوا في البداية عند ناصر الحقّ العلوي[1]. ثمّ انضووا تحت لواء مرداويج. و لمّا رأى هذا الشخص كفاءتهم و جدارتهم، عيّنهم حكّاماً على الري. بيد أنّ عماد الدولة استمال الناس إلى نفسه بعد مدّة، ثمّ يمّم أصفهان. و تُعدّ خطوته هذه بداية لنشاطهم المستقل.

دخل البويهيّون شيراز سنة ٣٢٢ هـ. و اتّخذوها قاعدة وطيدة لحكومتهم القادمة. وكانت سيرتهم مع الناس طيّبة. و في ضوء ما قاله ابن الأثير، فإنّ معزّ الدولة عندما دخل شيراز «نادى في الناس بالأمان و بثّ العدل[2]». و كان لهذا العمل تأثيره البالغ على المجتمع طبيعيّاً.

وكانت بينهم و بين مرداويج و أخيه وشمگير مصادمات عديدة على امتداد الفترة الّتي كانوا يتأهّبون فيها لاحتلال بغداد. و تحرّكوا شطر بغداد بعد تثبيت موقعهم في فارس و خوزستان. و أخيراً دخل معزّ الدولة بغداد سنة ٣٣٤ هـ و استحوذ على الحاكم العبّاسي. و بلغت سلطته فيها درجة أنّه عزل المستكفي و نصب المطيع مكانه!

و لا نعتزم هنا استعراض الحروب الّتي خاضها البويهيّون مع الحمدانيّين في سورية من جهة، و مع السامانيّين في شرق إيران من جهة أُخرى. كما لا ننوي دراسة محاولاتهم المتكرّرة لاحتلال مهد نشأتهم، أي: الديلم، و مازندران. وكذلك لا يدور في خلدنا عرض الصراعات الداخليّة بين البويهيّين أنفسهم بعد عضد الدولة المتوفّى سنة ٣٧٢ هـ إذ نشبت بين أبنائه، و بين أخيه. بل يهمّنا هنا دراسة الدور الّذي مارسه البويهيّون في توسيع نطاق التشيّع بوصفهم حكّاماً على مناطق رئيسة من أرض فارس، و العراق.

و ألمعنا آنفاً إلى أنّ القرن الرابع هو قرن امتداد التشيّع. و كانت هناك بواعث عديدة على هذا الامتداد، منها: قيام أربع حكومات شيعيّة هي: الفاطميّة في مصر، والبويهيّة في العراق و فارس، و الحمدانيّة في سورية[3]، و الزيديّة في اليمن.

و من الواضح أنّ هذه الحكومات تحتاج إلى أرضيّة مناسبة لم تكن متهيّئة في القرون الخالية، على الرغم من قيام بعض الانتفاضات الزيديّة. أمّا في هذا القرن، فقد كان ضعف الحكّام العبّاسيّين من جهة، و نفوذ بعض العناصر الّتي دخلت في الميدان السياسي من جهة أُخرى، باعثاً على تأثّر العقائد الدينيّة بتلك الأجواء تدريجاً، و بروز بعض التغييرات

---

١ - مجمع الأنساب: ٨٩.
٢ - الكامل ٨: ٢٧٦.
٣ - البداية و النهاية ١١: ٢٤٠ ـ ٢٤١. «ابن حمدان كان رافضيّاً يحب الشيعة و يبغض أهل السنّة».

في تركيبتها. و كان التطرّف الّذي أبداه بعض السنّة بخاصّة الحنابلة، سبباً في ركون قسم منهم إلى التشيّع.

و نُقل أنّ الطبريَّ اصطدم بالحنابلة مع أنّه كان سنّيّاً، حتّى رموه بالرفض[١]. فلم يأبه لذلك، و واصل طريقه فألّف كتاباً في طرق حديث الغدير. و هو الكتاب الّذي كان يخشاه الذهبي و غيره[٢]. وكانت توجّهات الحنابلة قد وسّعت نطاق الصراعات الداخليّة لمصلحة الشيعة. و حدث مرّة أنّهم فسّروا قوله تعالى : ﴿عسى أن يبعثك ربّك مقاماً محموداً﴾ بالجلوس على العرش عنداللّه، و لم يقبل ذلك منهم سائر أهل السنّة، ممّا أدّى إلى نشوب الصراع والفتنة سنة ٣١٧ هـ[٣]. واصّاعدت حدّة الخلافات إلى درجة أنّ الراضي العبّاسي خطب سنة ٣٢٣ هـ فاتّهم الحنابلة أنّهم يعتقدون بالتشبيه، و يطعنون على خيار الأئـمّة، و ينسبون شيعة آل محمّد إلى الكفر والضلالة[٤]. و هذه الحوادث آية على وجود أرضيّة التشيّع و نموّها في خضمّ الصراعات الّتيكانت ناشبة بين أهل السنّة.

و كان لامتداد الفكر الشيعي، و الجهود الّتي بذلها فرسانه في هذا السبيل، كالشيخ المفيد، أثر في توسيع النطاق الاجتماعي للشيعة إبّان هذا القرن. و لم يقتصر هذا التشيّع على إيران، بل على العكس، كانت إيران إحدى المراكز المهمّة للمذهب السنّي، إذ نقرأ أنّ أصفهان كانت تبدي حبّها الجمّ لمعاوية[٥]، و تأهّبت مرّة للاصطدام بتجّار قم مع خوفها من البويهيّين، ذلك أنّ أهلها لم يحترموا الصحابة الّذين كانوا يوالون عليّاً و أهل البيت - عليهمالسّلام - و يجيزون امتهانهم. و قد أفضى ذلك إلى تضرّرهم طبيعيّاً[٦]. و كانت المناطق الشرقية في إيران سواء الجنوبيّة منها أو الشماليّة متمسّكة بالمذهب السنّي. و تُعدّ نيسابور من المراكز العلميّة لأهل السنّة. و اتّخذ السامانيّون أشدّ الاجراءات ضدّ التشيّع. و ما حربهم مع العلويّين في الشمال إلاّ من هذا المنطلق.

كان البويهيّون من العوامل المساعدة على امتداد التشيّع ، على الرغم من أنّهم لم يؤكّدوا هذه المسألة تأكيداً مستقلاً ، و لم يبدوا عداءً خاصّاً للمذهب السنّي. و لو كانوا

---

١ - الكامل ٨ : ١٣٤ .

٢ - تذكرة الحفّاظ ٢ : ٧١٣ ؛ الكنى و الألقاب ١ : ٢٣١ .

٣ - البداية و النهاية ١١ : ١٦٢ .

٤ - الكامل ٨ : ٣٠٨ .

٥ - أحسن التقاسيم : ٣٩٩ .

٦ - البداية و النهاية ١١ : ٢٣٠ ؛ الكامل ٨ : ٥١٨ .

قد فعلوا ذلك، لسقطت حكومتهم في وقت مبكّر. و كانت مرونتهم في الخلافات الدينيّة باعثاً على حفظ التوازن السياسي، مع أنّهم كانوا على المذهب الشيعي، و لم يكن بمقدورهم إخفاء ذلك طبعاً. و ينبغي أن نقول بصراحة: إنّ المسائل السياسيّة كانت تهمّهم أكثر من أيّ شيء آخر. و لم يعتزموا تسليم الحكومة للعلويّين حقّاً. و حتّى عندما خطر في بالهم ذلك، لم يرغبوا في تنفيذه. و السبب هو أنّ الحكومة لو صارت بيد أحد العلويّين، لانتهى أمرهم بسهولة، في حين لم يتصوّر أحد أنّ وجود العبّاسيّين وجود فوقي بالنسبة إليهم[١]. علماً أنّ وجود البويهيّين، بوصفهم من البواعث على امتداد التشيّع، لا يعني أنّهم مهّدوا الأرضيّة لهذا الامتداد أساساً، إذ سبقهم إلى ذلك غيرهم، كما صرّح ابن الجوزي بذلك قائلاً، و كثر الرفض في سنة ٣٣١ هـ قبل قدوم البويهيّين إلى بغداد. و نودي ببراءة الذمّة ممّن ذكر أحداً من الصحابة بسوء[٢]». و كذلك نقل أنّ أحد الحنابلة المتعصّبين كان قد خرج من بغداد بسبب إهانة الصحابة (و هو معلَم على انتشار التشيّع)، و ذلك قبل قدوم البويهيّين إليها[٣].

ثمّة خلافات تحوم - كما يبدو - حول مذهب البويهيّين. فذهب البعض إلى أنّهم شيعة فحسب[٤]. و أكّد آخرون أنّهم كانوا زيديّين[٥]. إلّا أنّ المعروف عنهم تاريخيّاً هو أنّهم اتُّهموا بالرفض[٦]، أي: المذهب الإمامي. و قال الرازي: كان البويهيّون إماميّة[٧]. و هذا نفسه دليل معبّر للغاية. و نصّ فراي أيضاً على تشيّعهم الاثني عشري[٨].

و نقل أنّ معزّ الدولة البويهي جعل ابن الجنيد مرجعه الفقهي. و كان ابن الجنيد أحد فقهاء الإماميّة[٩]. و كتب شبولر قائلاً: «كان البويهيّون إماميّة اثني عشريّة منذ البداية. و ظلّوا أوفياء للمذهب الامامي حتّى النهاية[١٠]». لقد ولد البويهيّون في الديلم، و أسماؤهم الّتي

---

١ - الكامل ٨: ٤٥٢؛ تجارب السلف لنخجواني: ٢٣٣؛ البداية و النهاية لابن كثير ١١: ٢١٢ و ٢١٣.
٢ - المنتظم لابن الجوزي ٢: ٣٣١.
٣ - نفسه ٦: ٣٤٦.
٤ - شيراز مهد شعر و عرفان، آربري: ٥٠.
٥ - تاريخ ايران از اسلام تا سلاجقه، فراي: ٢٨٤.
٦ - تاريخ گزيده، مستوفي: ٤٢٦.
٧ - نقض، الرازي: ٤٢.
٨ - بخارا دستاورد قرون وسطى: ١٩٥.
٩ - مجالس المؤمنين ١: ٤٣٩.
١٠ - تاريخ ايران در قرون نخستين اسلامي: ٣٢٩.

سمّاهم بها أبوهم تدلّ على أنّه كان شيعيّاً. و ممّا يقوّي هذا الرأي هو وجود التشيّع الزيدي في الشمال. أمّا وجود التشيّع الاثني عشري إلى جانب التشيّع الزيدي هناك، فإنّه يقوّي الاحتمال المقابل.

و لدينا أدلّة أُخرى في هذا المجال. منها قولهم في أحد البويهيّين : «كان غالياً في التشيّع» ، و يقصدون بذلك أنّه شيعيّ اثنا عشري.

و كان الزيديّون، بعامّة، يقرّون بخلافة الشيخين، و يتمسّكون بفقه أبي حنيفة. بيد أنّنا نقرأ ما نقله المؤرّخون عن عضد الدولة الّذي كان أقوى حاكم بويهي، فقد قيل فيه: «كان أديباً، مشاركاً في فنون العلم، حازماً، لبيباً، إلاّ أنّه كان غالياً في التشيّع [1]».

من جهة أُخرى، نلحظ أنّ عام ٣٥١ هـ شهد كتابة بعض العبارات على أبواب المساجد. و هذه العبارات هي: لعن اللّه معاوية بن أبي سفيان. و لعن اللّه من غصب فاطمة حقّها. و لعن اللّه من أخرج العبّاس من الشورى. و لعن اللّه من نفى أباذر. و قد أيّدها معزّ الدولة. و لكن عندما محاها بعض السنّة و كتبوا عوضها : لعن اللّه الظالمين لآل رسول اللّه، و لم يذكروا أحداً في اللعن إلاّ معاوية، فإنّه اكتفى بذلك [2].

و كان الزيديّون يتحاشون هذه العبارات المفصّلة في اللعن. و مرجعهم في ذلك سيرة زيد بن علي، إذ عندما كان في الكوفة أيّام انتفاضته لم يبرأ من عمر، و أبي‌بكر. و يرى الزيديّة أنّ هذا الموقف الّذي اتّخذه زيد دعم إجماليّ لخلافة ذينك الشخصين. لذلك فإنّ ذكر العبارات السابقة آية على تشيّع أقوى من التشيّع الزيدي، و هو التشيّع الإثناعشري.

ثمّة دليل آخر على ما نقول، و هو تعبير الرفض الّذي أطلقه ابن كثير على معزّ الدولة [3]. و ذكر ابن عماد الحنبلي أيضاً أنّ معزّ الدولة كان من الروافض [4]. و يرى مونتغمري واط

---

١ - مرآة الجنان لليافعي ٢ : ٣٩٨ . شذرات الذهب ٣ : ٧٨ . كان عضدالدولة أكبر حاكم بويهي، و قام بخدمات كثيرة. منها: أنّه أظهر قبر عليّ - عليه‌السّلام. و بنى عليه المشهد. و منها أنّه شيّد مستشفى كبيراً ببغداد. انظر : نقض : ٢١٤ . مرآة الجنان ٢ : ٣٩٨ .

٢ - البداية والنهاية ١١ : ٢٤٠ ، ٢٤١ . و هذا النصّ هو لابن كثير. انظر (مع اختلاف يسير): شذرات الذهب ٣ : ٧ . الكامل ٨ : ٥٤٢ . تاريخ ابن خلدون ٤ : ٤٢٢ .

٣ - البداية و النهاية ١١ : ٢٢٤ .

٤ - شذرات الذهب ٣ : ١٨ .

أيضاً أنّه كان إمامياً[١]. و يؤكّد الدكتور كامل الشيبي - اعتماداً على ما نقله البيروني - أنّه كان في البداية زيديّاً، ثمّ ركن إلى المذهب الاثني عشري[٢].

و شهدت عاصمة الحكم العبّاسي بغداد انتشار التشيّع في أرجائها. و كانت تُقام مراسم العزاء يوم العاشر من المحرّم فيها علناً عام ٣٥٢ هـ، و أمر معزّ الدولة بتعطيل الأسواق في ذلك اليوم. و قيل: إنّ أهل السنّة لم يستطيعوا منع المراسم المذكورة لكثرة التشيّع و ظهورهم، و كون السلطان معهم[٣]. و عندما كانت تُقام هذه المراسم في بغداد، فقد كانت تُقام في سائر المدن الخاضعة لسلطتها أيضاً. و كان هؤلاء يختارون ولاتهم من الشيعة أو من ذوي الميول الشيعيّة[٤]. و ربّما كان لهم وزراء غير مسلمين أيضاً[٥]. كما يلحظ بين وزرائهم من كان متعصّباً لأهل السنّة[٦].

إنّ إقامة المراسم في عيدالغدير من قبل معزّ الدولة، و استمرارها أيّام الحكم البويهي[٧] معلم على تشيّعهم الاثني عشري. ذلك أنّ الزيديّين (في الأقلّ) لم يؤمنوا بالنصّ الصريح على الإمام عليّ - عليه السّلام. والاقرار بعيدالغدير، هو الاقرار بالنصّ الصريح.

و كانت إقامة هذه المراسم في بغداد باعثاً على نشوب الصراعات المستمرّة بين الشيعة والسنّة. تلك الصراعات الّتي كانت تجري لسنين متواترة. و تبرز عادةً في يوم عاشوراء، و يُقتل على أثرها عدد كثير من الناس. كما نقل لنا التاريخ أنّ محلّة الكرخ الّتي يقطنها الشيعة قد تعرّضت للحرائق عدّة مرّات[٨]. و يقع في أطراف هذه المدينة باب البصرة باتّجاه القبلة، و أهله كلّهم حنابلة، أمّا جهة الجنوب، فقد كانت محلّة نهر قلابين، و سكّانها كسكّان باب البصرة[٩].

---

١ - Montgomery Watt, Islamic Sarveys. VOL , 6 . p 111

٢ - الفكر الشيعي و النزعات الصوفيّة: ٤١ و ٤٢.

٣ - البداية و النهاية ١١: ٢٤٣؛ شذرات الذهب ٣: ٩؛ الكامل ٨: ٥٤٩، ٥٨١.

٤ - شذرات الذهب ٣: ٤٩.

٥ - كان نصر بن هارون النصراني وزيراً لعضدالدولة.

٦ - و من هؤلاء مثلاً العبّاس بن الحسين. انظر: البداية و النهاية ١١: ٢٧٩.

٧ - شذرات الذهب ٣: ١٨، ٢٦، ٢٨. الكامل ٨: ٥٤٩.

٨ - انظر: البداية و النهاية ١١: ٢٢٤، ٢٣٢، ٢٣٤، ٢٣٦، ٢٥٣، ٢٥٤، ٢٧١، ٢٧٢؛ شذرات الذهب ٢: ٣٧٦ - ٣٧٩؛ الكامل ٨: ٦١٩ - ٦٢٨.

٩ - مجالس المؤمنين ١: ٦٦.

و افتعلت شريحة من السنّة المتطرّفين مراسمَ مماثلة في مقابل المراسم الشيعيّة المذكورة. فأقامت مراسم في يوم الغار (٢٦ ذي‌الحجّة) لتقابل مراسم يوم الغدير. و كذلك أقامت مراسم في يوم موت مصعب بن الزبير لتقابل مراسم يوم عاشوراء[١]. و نقل أيضاً أنّهم أركبوا امرأة و سمّوها عائشة، و تَسمّى بعضهم بطلحة، و بعضهم بالزبير، و قالوا: نقاتل أصحاب عليّ - عليه‌السّلام. فقتل بسبب ذلك من الفريقين خلق كثير[٢].

و كان الصراع قائماً في المدينة بين عنصرين هما: العنصر التركي، والعنصر الديلمي. و هذا الصراع صورة من صور الصراع بين الشيعة والسنّة. و إذا ما انتصر العنصر التركي، فإنّ انتصاره يسفر عن اندلاع الحرائق في محلّة الكرخ الشيعيّة[٣]. و كانت هذه الحروب المصحوبة بالأمراض الكثيرة الّتي أصابت بغداد و سائرالمدن (كالوباء، والطاعون) سبباً في تناقص السكّان في العراق. و عندما تسلّم عضد الدولة زمام الأُمور، أمر بمنع القصّاص والوعّاظ الّذين كانوا يشعلون نار الفتن والقلاقل من الكلام[٤]. و هذا نابع من روح التساهل والمرونة الّتي كان عليها الحكّام البويهيّون عادةً. و مع هذا كلّه، كان البويهيّون جميعهم قد احتفظوا بنزعتهم الرافضيّة و الشيعيّة[٥].

و كان من جهودهم ترسيخ العلوم الشيعيّة. و لمسنا ذلك في تعزيزهم مدينة قم و تجهيزها لدراسة الكلام الشيعي. و هذا معلم من معالم تلك الجهود. كما جاء أنّ أحد وزرائهم، و يدعى أبا نصر، أسّس أوّل دار للعلم في محلّة الكرخ الشيعيّة سنة ٣٨٣ هـ.ق. و هيّأ لها كتباً كثيرة، أوقفها على الفقهاء. وهو الّذي سمّاها دارالعلم. و قال ابن كثير فيها: هذه أوّل مدرسة أُوقفت على الفقهاء، و قد سبقت تأسيس المدرسة النظاميّة بمدّة طويلة[٦].

النشاطات العلميّة للشيعة في العصر البويهي و دورها في بسط التشيّع

استطاع الشيعة أن يوسّعوا نطاق أفكارهم، و ينظّموا عقائدهم و أحاديثهم من خلال

---

١ - شذرات الذهب ٣: ١٣٠. البداية و النهاية ١١: ٣٢٥، ٣٢٦. الكامل ٩: ١٥٥.

٢ - البداية و النهاية ١١: ٢٧٥.

٣ - نفسه.

٤ - نفسه: ٢٨٩. و قال عنه ابن كثير: «كان فيه رفض و تشيّع»: ٣٠١. و لا يعني هذا عدم تقيّده بالمذاهب.

٥ - نفسه: ٣٠٧.

٦ - نفسه: ٣١٢.

الحريّة النسبيّة الّتي كانت موجودة على امتداد الحكم البويهي الّذي دام مائة و ثلاث عشرة سنة، و عندما حُرموا من الاتّصال المباشر بالإمام المعصوم بعد سنة ٢٦٠ هـ - وحتّى قبل ذلك - طفقوا يجمعون الأحاديث في مجموعات منظّمة. وكان المرحوم الكليني أوّل من قام بهذا العمل إذ جمع أُصول المذهب و فروعه ذات الطابع الحديثي في كتاب الكافي.

و جاء بعده ابن بابويه المعروف بالشيخ الصدوق فبذل جهوداً كبيرة في هذا المجال. يضاف إلى ذلك، أنّه عرض عقائد الشيعة من خلال جمع الروايات و تبويبها. و اتّسعت هذه النشاطات العلميّة أكثر في العصر البويهي، و تماسك الفقه والعقائد الشيعيّة من خلال الاستهداء بالأحاديث الّتي كانت قد أُعدّت من قبل.

وكان أهمّ شخصيّة شيعيّة يومئذٍ هو الشيخ المفيد المتوفّى سنة ٤١٣ هـ، و هو تلميذ ابن بابويه. فقد بذل هذا الشيخ الكبير جهوداً عظيمة لتعريف العقائد الشيعيّة من الوجهة العقليّة، مضافاً إلى ما عرف عنه من دقّة في الأحاديث. و قام بتصحيح كتاب العقائد للشيخ الصدوق. و ألّف كتاب أوائل المقالات، فكشف فيه الفرق بين عقائد الشيعة، و عقائد المعتزلة، و عيّن الحدود الفاصلة بين التفكيرين : الشيعي، والمعتزلي. و صرّح هو نفسه بذلك في مقدّمة الكتاب المذكور : الشيعي، والمعتزلي. و صرّح هو نفسه بذلك في مقدّمة الكتاب المذكور. و كانت النشاطات الثقافيّة للشيخ واسعة للغاية. و له في حقل التاريخ كتابان مشهوران هما: الإرشاد، و الجمل اللّذان يدلّان على ذهن منفتح، وقّاد، محلّل. و يبدو أنّ كتاب الجمل أوّل كتاب تاريخي تحليلي يرتكز على الأحاديث والروايات الصريحة والصحيحة. و لم يؤلّف أهل السنّة - قطّ - كتاباً بهذا الأسلوب في ذلك العصر، و حتّى في البرهة التي تلته.

و لابدّ أن تكون عطاءات هذه الجهود العلميّة كثيرة جدّاً. و كانت الأوساط العلميّة في بغداد، حتّى تلك الفترة، خالية من النشاطات الشيعيّة نسبيّاً. بيد أنّ حضور رجل قويّ في الاستدلال ملأ هذا الفراغ فوجد الشيعة المجال مفسوحاً أمامهم، حتّى تيسّر للشريف المرتضى فيما بعد أن يحظى بثقة المجتمع الإسلامي كلّه بوصفه عالماً إسلاميّاً.

و أشار الخطيب البغدادي بصراحة إلى تأثير الشيخ المفيد على الآخرين[١]. و فضّله ابن النديم المعاصر له على الآخرين في استثمار العقل و علم الكلام، و أثنى على دقّته[٢].

و نقل عن ابن أبي طي في كتابه : تاريخ الإماميّة أنّ الشيخ المفيد بمنزلته المرموقة في العصر البويهي (لعلّ عمره أيّام عضد الدولة أربع و ثلاثون سنة) تصدّى لمناظرة جميع أصحاب العقائد ... و أضاف أنّ ثمانين ألفاً حضروا تشييع جنازته[٣]. و يدلّ هذا العدد على كثرة الشيعة في بغداد يومذاك. و تعبير الخطيب البغدادي يوضّح لنا الموضوع أكثر، إذ يقول : «هلك به خلق من الناس».

و قال فيه ابن كثير أيضاً: «كانت له وجاهة عند ملوك الأطراف لميل كثير من أهل ذلك الزمان إلى التشيّع. و كان مجلسه يحضره خلق كثير من العلماء من سائر الطوائف[٤]».

إذن، ينبغي لنا أن نعتبر النشاطات الثقافيّة للشيعة من العوامل المساعدة على امتداد التشيّع في ذلك القرن. بخاصّة، أنّ مناظرات الشيخ المفيد في هذا المجال لافتة للنظر. و لا جرم أنّ هذه المناظرات كانت تستقطب عدداً كبيراً من الناس إلى التشيّع. و لذلك أثنى مترجمو الشيخ المفيد عليه في الجدل والمناظرة بصورة رئيسة.

قال الرازي فيه: لقد بهت الشيخ المفيد أبابكر الباقلاني في المناظرة مرّات كثيرة. وكان الباقلاني أحد علماء الأشاعرة الكبار. ثمّ ذكر مثالاً على ذلك[٥].

و كما مرّ بنا سابقاً، فقد كان للمرحوم الكليني في إيران نشاط ثقافيّ قبل الشيخ المفيد. توفّي الكليني سنة ٣٢٩ هـ. و هو مؤلّف كتاب الكافي الّذي صنّفه في غضون عشرين سنة، و خلال أسفار متوالية. يقول النجاشي في المقرّ الرئيس لنشاطه : «شيخ أصحابنا في وقته بالريّ و وجههم[٦]». و يدلّ هذا الكلام على أنّ له حلقة درس في الري. وكان له أثر كبير في

---

١ - تاريخ بغداد ٣ : ٢٣١ .

٢ - الفهرست : ١٧٨ . و كذلك الفهرست للشيخ الطوسي : ١٥٧ . و انظر: رجال بحر العلوم ٣ : ٣١١ .

٣ - العبر في خبر من غبر للذهبي ٣ : ١١٤ ، ١١٥ نقلاً عن كتاب نظريات علم الكلام عند الشيخ المفيد : ٣٤ . للاطّلاع على ما قاله علماء الشيعة و السنّة في الشيخ المفيد، انظر: مفاخراسلام ٣ : ٢٤٢ - ٢٤٨ ، و شذرات الذهب ٣ : ٢٠٠ .

٤ - البداية و النهاية ١٢ : ١٥ .

٥ - نقض : ٢١٠ .

٦ - رجال النجاشي: ٢٦٦ . ولعلّه كان يعيش في بغداد مدّة من أجل سماع الحديث (لسان الميزان ٥: ٤٣٣).

توسيع النطاق الثقافي للشيعة بوصفه أوثق راوٍ للأحاديث الشيعيّة. و عدّه ابن‌الأثير الجزري مجدّد المذهب الشيعي في القرن الثالث[١].

و كذلك يُعدّ محمّد بن بابويه المعروف بالشيخ الصدوق من أهمّ علماء الشيعة في العصر البويهي. و هو شيخ المفيد. و كان له مجلس درس و مناظرة بالري عند ركن الدولة البويهي. و يرى النجاشي أنّ موطنه بالري، و يضيف أنّه وجه الطائفة بخراسان[٢]. و هذا يعني أنّ النطاق الثقافي للشيعة كان يشمل خراسان أيضاً، مضافاً إلى الري، و إنْ كان ذهاب الشيخ الصدوق و غيره إلى مناطق أُخرى لا يدلّ على اتّساع التشيّع في هذه المناطق، لأنّ علماء الشيعة كانوا يسمعون الأحاديث من علماء السنّة أيضاً.

و أشار الشيخ الصدوق في مقدمة كتابه : كمال‌الدين إلى وجود التشيّع في نيسابور. و ذكر أنّ سبب تأليف هذا الكتاب هو تبيان مسألة الغَيْبة لأهل تلك المدينة. و توفّي الشيخ الصدوق سنة ٣٨١ هـ.

و نلحظ أنّ علماء الشيعة، اعتباراً من الكليني حتّى الشيخ المفيد، كان لهم تأثير بالغ في تعريف عقائد الشيعة. و لم يكن الشيعة حتّى تلك الفترة مظلومين من الوجهة السياسيّة فحسب، بل كانوا مجهولين من الوجهة العقيديّة أيضاً. و نرى أنّ كثيراً من العقائد الّتي نسبت إلى الشيعة في القرن الثالث - و من المؤسف أنّها أصبحت مصدراً لعلماء السنّة - هي ليست من العقائد الشيعيّة في شيء. و لعلّ العقائد الشيعيّة كانت غامضة حتّى على كثير من الشيعة أنفسهم. بخاصّة انّ فرقاً مختلفة - و لو صغيرة - قد ظهرت إلى الوجود. و أقحم الغلاة أنفسهم أيضاً في حلبة الصراع، و ألصقوا بالشيعة عقائد مضادّة لعقائدهم. على سبيل المثال، كانت عقيدة التشبيه موجودة بين الغلاة، بيد أنّ ابن‌الخيّاط ذكر في الانتصار أنّ التشبيه من عقائد الرافضة، مع أنّه استثنى فريقاً منهم[٣]. و هذه التهم هي الّتي دفعت المرحوم الصدوق إلى تأليف كتاب التوحيد. و قال في مقدّمة الكتاب : «إنّ الّذي

---

١ - مفاخر الاسلام ٣ : ٢٤ . ٢ - رجال النجاشي : ٢٧٦ .

٣ - الانتصار : ٤ ـ ٦ . و أعاد أبوالحسن الأشعري بعده هذا الكلام نفسه. مع أنّ المجموعات الروائيّة للشيعة، لا سيّما كتاب التوحيد، كانت كافية لانتشار أحاديثها بين الشيعة، و نفي هذه التهمة بصراحة. كما أنّ خطب الامام أميرالمؤمنين - عليه‌السّلام - الّتي تمثّل أفضل الروايات النقليّة و العقليّة حول نفي التشبيه كانت في متناول الشيعة. و يحتمل أنّ ابن الخيّاط استثنى الشيعة الإماميّة.

دعاني إلى تأليف كتابي هذا أنّي وجدتُ قوماً من المخالفين لنا ينسبون عصابتنا إلى القول بالتشبيه والجبر، لما وجدوا في كتبهم من الأخبار الّتي جهلوا تفسيرها و لم يعرفوا معانيها و وضعوها في غير موضعها[1]».

و رُفعت هذه الشبهة بعد ظهور الكليني، والصدوق بوصفهما من محدّثي الشيعة الموثّقين، و جامعي أحاديثها، و بعد الدور الّذي مارسه الشيخ المفيد في تدوين العقائد الشيعيّة. وكان حضورهم في المراكز العلميّة و منها الري، و خراسان، و نيسابور باعثاً على انتشار الشيعة. علماً بأنّ الدعم السياسي للبويهيّين قد أدّى دوره جيّداً في مؤازرة هؤلاء العلماء.

طبيعيّاً، هذا لا يعني أنّ الشيعة غيّروا عقائدهم، بل كما مرّ بنا في هوامش بعض الصفحات السابقة، فإنّ الأحاديث الّتي حفظت نصّاً فيما بعد وضّحت هويّة هذه العقائد. أمّا جمعها، و تحليلها، و ترتيبها، و تبويبها فقد كان كلّ ذلك في القرن الثالث، والرابع[2].

يبدو أنّ العنصر الجديد الّذي دخل الفكر الشيعي في القرن الرابع يتمثّل في المسائل العقليّة. وكانت هذه المسائل موجودة أيضاً في الأحاديث من قبل. فنهج البلاغة، و كلام الامام الصادق - عليه‌السّلام - يحتويان على هذه المسائل. أمّا استثمارها في تركيبة المبادىء الفكريّة بصورة مستقلّة عن الحديث، فلم يطرح كثيراً قبل الشيخ المفيد. و هذا الموضوع لم يكن له وجود سابقاً، بخاصّة في قمّ الّتي كانت مركزاً للحديث الشيعي. و لعلّ تهمة الحشويّة المنسوبة إلى كاشان تنطلق من هذا الموضوع، إذكان أهلها يعتمدون على الحديث فحسب. على أيّ حال، نحن نرى أنّ القاعدة الفكريّة للشيعة كانت قائمة منذ البداية على الحديث الّذي يبلور العقل محتواه. أي : إنّه يشمل الاستدلال العقلي أيضاً. وكانت الأحاديث الّتي نقلتها الشيعة تضمّ هذه النقاط منذ البداية. و إنّ تضخيم هذه المسألة المتمثّلة بعدم وجود اتّجاه عقلي سليم عند الشيعة لا يصحّ كقاعدة عامّة، و إنْ كان استعمال العقل من قبل الشيخ المفيد كعنصر مستقلّ، و متأثّر بالمذاهب العقليّة الأخرى طبعاً أمر لا ينكر.

بيد أنّ هذا لا يمكن أن يدلّ على تبعيّة الشيعة للمعتزلة، ذلك أنّنا نجد أنّ أصل العقائد

---

١ - التوحيد : ١٧ .

٢ - نظريات علم الكلام عند الشيخ المفيد : ٢٧ .

الاعتزاليّة متجسّد في المضامين الّتي حملتها كلمات الإمام عليّ - عليه‌السّلام - ملحقة بها إضافات المعتزلة أنفسهم، و تأويلاتهم، و تحريفاتهم المتأخّرة. حتّى نقل المؤرّخون أنّ الحسن البصري كان تلميذ الإمام أميرالمؤمنين - عليه‌السّلام. ثمّ رسخت عقائد الاعتزال في واصل بن عطاء. على أيّ حال، كان الامام - عليه‌السّلام - بوصفه الامام الأوّل للشيعة، واضعاً لهذه المسائل. فلا يمكن أن نضفي الأصالة على المعتزلة، و نعتبر الآراء العقليّة للشيعة مأخوذة منهم.

و تصدّى الشريف المرتضى لرئاسة الشيعة بعد الشيخ المفيد. و كان له أيضاً دور رئيس و حاسم في توسيع الثقافة الشيعيّة من خلال كتب عديدة ألّفها في العقائد الشيعيّة. و لكنّه - كما قال المحدّث المعروف الشيخ يوسف البحراني - : كان مجتهداً صرفاً، و أصوليّاً بحتاً، قليل التعلّق في الاستدلال بالأخبار. و إنّما يتعلّق بالأدلّة العقليّة[١]. و يرى مارتن مكدرموت في الفصل الأخير من كتابه الّذي يتحدّث فيه عن علاقة الشيخ المفيد و الشريف المرتضى أنّ الاتّجاه العقلي عند الشريف المرتضى كان أكثر ممّا كان عند الشيخ المفيد[٢]. و يرى أنّ استعمال الشيخ المفيد العقل ذو بعد دفاعي، و ذلك لإثبات الانسجام بين مذهب الاماميّة و بين العقل. أمّا الشريف المرنضى، فهو يركّز على العقل بادىء بدء.

يقول المرحوم عبدالجليل الرازي القزويني عن جهود أولئك الأشخاص في توسيع النطاق الفكري للشيعة، و الّتي كان لها أثرها في بثّ مبدأ التشيّع أيضاً:

«إنّ ما قام به الشريف المرتضى في توطيد دعائم الإسلام، و ترويج شريعة جدّه المصطفى ـ صلّى‌اللّه عليه و آله ـ وجوابه عن الشبهات الّتي أثارها منكرو التوحيد والرسالة، كالفلاسفة، والزنادقة، والبراهمة لم يتيسّر لأحد. و سبقه الشيخ المفيد الّذي كان له طلّاب كثيرون، و مناظرات رفيعة و تصنيفات ... و كيف يمكن أن ننكر فضل و عظمة الشيخ الكبير أبي جعفر بن بابويه - رحمة‌اللّه عليه ؟ و هو الّذي لا يخفى على أحد أثر علمه و فضله و بركات زهده و أمانته، و ذلك ما تشهد به كتبه و مواعظه و دروسه، من الري إلى تركستان و إيلاق[٣]».

---

١ - لؤلؤة البحرين : ٣١٩.
٢ - نظريات علم الكلام عند الشيخ المفيد : ٤٦٩.
٣ - نقض : ٤٠.

و من أهمّ المشاكل الّتي كان يواجهها الشيعة هي أنّ الآخرين لم يفرّقوا تفريقاً واضحاً بينهم و بين الغلاة المحسوبين عليهم، فنظروا إليهم نظرة واحدة. و نلحظ أنّ ما يخصّ الغلاة نُسب إلى الشيعة كلّهم . و ما طرحه الشيعة المعتدلون بوصفه تقيّة، لم يقبلوه كعقائد يتمسّك بها الشيعة المعتدلون. و نقرأ في تاريخ الشيعة أنّ ما ضمن حياة الشيعة المعتدلين هو الاعتدال نفسه. أمّا سائر فرق الغلاة، فمنها ما انقرض، و منها ما سكن في المناطق الجبليّة بعيداً عن عاصمة الحكومة. و تعرّض هذا الاعتدال في مواضع رئيسة إلى التغيير والتبديل. و لمّا ترك الغلاة المنحرفون بصماتهم علىالنصوص الشيعيّة، لذلك لم يسلم الشيعة المعتدلون من بعض التهم نوعاً ما. كما لم يسلم أهل السنّة أيضاً من تهم ألصقها بهم الشيعة غالباً. و يعود هذا إلى وجود بعض الأحاديث غير الصحيحة في صحاح أهل السنّة. و لعلّ أهل السنّة أنفسهم يرفضون كثيراً منها. و من المشاكل الأُخرى هي ابتعاد الشيعة عن أهل السنّة قليلاً نتيجة لبعض المواقف، فأفضى هذا الابتعاد إلى طرح مسائل الغلوّ، و كان بينهم من يميل إلى بعض الروايات الّتي رواها الغلاة.

و أدّت هذه المسائل مجموعة إلى بروز بعض المشاكل المتمثّلة بعدم فهم أهل السنّة والشيعة بعضهم للبعض الآخر فهماً حقيقيّاً. و إذا ما حصل الفريقان على شيء من السلطة نسبيّاً في عاصمة الحكم، فإنّ توازناً أكثر يتحقّق بينهما، باستثناء بعض المصادمات الدمويّة الّتي قد تحدث أحياناً، ممّا يزيد في تدهور الوضع. و هذا الأمر رهين بقرار قادة الفريقين و رغبتهما في حلّ النزاع سلميّاً أو حربيّاً. و في الحالة الأُولى، نلحظ أنّ بين الفريقين من يترك التطرّف جانباً، و يتنازل عن بعض مواقفه، أو أنّه لا يطرح ما فيه الإثارة، بل ينكره أحياناً. و ثمّة ميول إلى أهل البيت - عليهم‌السّلام - كانت موجودة في الوسط السنّي، حتّى إنّ بعض السنّة اقتربوا من التشيّع كثيراً كسبط بن الجوزي. و كان بين الشيعة من يحاول أن يخطو في طريق التفاهم بين الفريقين إلى حدٍّ كبير.

و لا جرمَ أنّ السنين الأخيرة شهدت تصعيد العداء الملحوظ في كتب المتأخّرين منذ العصر الصفوي، و ذلك بسبب الحروب الّتي كانت قائمة بين الدولة العثمانيّة والصفويّة. علماً بأنّ خلفيّاته كانت موجودة في آثار الفريقين منذ البداية نتيجة لدفاع الأُمويّين والعبّاسيّين عن المذهب السنّي أمام الشيعة.

و قد أشرنا قبل ذلك إلى نقاط كانت قد سبقت المسائل السياسيّة. و نلحظ شرائح

معتدلة بين الفريقين. والشريحة المعتدلة بين الشيعة هي الشريحة الّتي حاولت أن لا تتأثّر بالغلاة. و كان الاتّجاه العقلي، الّذي اتّسع نطاقه بين الشيعة في القرن الرابع والخامس، و خرج من الطابع الاخباري إلى الطابع الاجتهادي، باعثاً على تنمية هذا الاعتدال، بخاصّة في الحقل الفكري. و إنْ كان من الثابت أنّ المخالفة الشديدة الّتي أبداها أئمّة الشيعة ضدّ الغلاة، والملحوظة رواياتها في رجال الكشّي بوضوح، هي أساس هذا الاعتدال. أمّا على الصعيد العملي، فقد كان للاتّجاه العقلي تأثيره الكبير في فرز أخبار الغلوّ عن سائر الأخبار. و على الرغم من أنّ كتاب الكافي يضمّ روايات في تحريف القرآن، بيد أنّنا نلاحظ بجلاء إنكار هذا الضرب من الروايات في عصر الشريف المرتضى. كما أنّ الطبرسي صاحب مجمع‌البيان يبدي تشدّداً بالغاً في هذا المجال.

و ينبغي أن نعتبر الفترة الزمنيّة الممتدّة في القرن الخامس و السادس فترة النمو، و بروز التوازن على الصعيد الفكري عند الشيعة. مع أنّ هذا الاعتقاد -كما أشرنا - قد ظهر منذ عصر الأئمّة بسبب مناوأتهم الشديدة للغلاة. و هذا هو الّذي أفضى إلى عدم اختلاط الشيعة المعتدلين بالغلاة، و إنْ كان التأثّر بالغلاة موجوداً، إذ نلحظ بين رواة الشيعة أشخاصاً كثيرين كانوا إمّا من الغلاة، أو من المتأثّرين بهم. و خير دليل على ما نقول هو كتب الرجال الشيعيّة، والأسانيد المنقولة في الأحاديث[1].

و كان للنشاطات الّتي مارسها الشيخ المفيد، و واصلها الشريف المرتضى، والشيخ الطوسي بعده في القرن الخامس، أهميّتها البالغة في توسيع نطاق الاعتدال من الوجهة العقيديّة، و كذلك في تدوين الفقه الاجتهادي. و عرف هؤلاء كشيعة أصوليّين تمييزاً لهم عن الإخباريّين والحشويّين البعيدين عن العقل، الآخذين بالروايات المنقولة، الّذين قد يعيش بينهم رواة غلاة. و نلحظ هذا الاصطلاح يتكرّر كثيراً في كتاب نقض للرازي. و إنّ نظرة على هذا الاصطلاح في الكتاب المذكور يمكن أن تحدّد إطار هذا الاعتدال، بخاصّة في مايرتبط بأهل السنّة. و شهد زمانه في‌ايران مشاركة الشيعة في الحكم، بينما كانت الحكومة سنّيّة. و يحاول مؤلّف نقض أن يثني على هذا الوضع بتريّث، في حين كان مؤلّف فضائح‌الروافض - الّذي ألّف الرازي كتابه المشار إليه في ردّه - ممتعضاً من الوضع

---

١ - انظر: كتابنا : اكذوبة تحريف القرآن بين الشيعة و السنّة.

المذكور.

و نقل الرازي في كتابه التهم الّتي ألصقها مؤلّف الفضائح بالشيعة، و منها : أنّهم كلّهم يعادون الصحابة والسلف الصالح و نساء النبي، ثمّ فنّدها مبرّئاً الشيعة منها، و قال في كلامه كمقدّمة : « و من قرأ هذا أو سمعه سواء كان تركيّاً أو عربيّاً، أو عاميّاً، خال أنّه مذهب الشيعة. والله - تعالى - أعلم أنّه ليس مذهبهم. و إذا قال أخباريّ أو حشويّ أو غالٍ شيئاً، أو حدّث حديثاً غير صحيح، و نُسب إلى الاصوليّة[1] فإنّه غاية الخيانة والفكر[2]». ثمّ قال عن عداء الخلفاء : «... و يرون أنّ إمامة عليّ و أولاده نصّ من الله. و يعلم أولو الألباب أنّ هذا ليس عداءً لأبي‌بكر، و عمر، و ليس سبّاً أو قدحاً بالصحابة و التابعين. و إذا كان عكس ذلك، فإنّه يحسب على الحشويّة و الغلاة، لا على الأُصوليّين[3]».

و من الطريف أنّنا نقرأ في مقدّمة تفسير مجمع البيان - الّذي خطا خطوته على طريق الوحدة الفكريّة، أو طريق الموازنة بين الفكر الشيعي والسنّي في الأقلّ - أنّ الاعتقاد بتحريف القرآن هو عقيدة الحشوية ليس غيرهم[4].

و عندما اتُّهم الشيعة أنّهم «يرون إمامة الأئمّة الإثني‌عشر كرسالة رسول‌الله !» ردّ الرازي ذلك قائلاً: «يعتقد الأُصوليّون من الشيعة أنّ درجة النبوّة والرسالة أعظم، و رتبتها أكبر، و أنّ الرسول مطاع، و أنّ طاعة الإمام واجبة[5]».

و بلغ دفاعه عن الأُصوليّين درجة أنّه ردّ على من اتّهمهم أنّهم يرون نزول الآيتين ٢٥ و ٢٦ من سورة الفجر في أبي‌بكر، قائلاً في سياق كلامه «أنّه غير موجود في أيّ كتاب من كتب الاصوليّين» : «قوله تعالى : **كلاّ بل لا تكرمون اليتيم** لا ينطبق على أبي‌بكر، لأنّه أكرم الأيتام جميعهم ... و قوله تعالى : **ولا تحاضّون على طعام المسكين** لا ينطبق عليه أيضاً، لأنّه بذل أمواله في هذا السبيل[6]». و بعد ذلك، قال مشيراً إلى أنّ مؤلّف **فضائح‌الروافض** يزعم أنّه كان شيعيّاً طوال ٢٥ سنة: « ما ظنّك ؟ كلّه كذب و افتراء. لقد كان غالياً و أخباريّاً و حشوياً. و ما ذكره هو شبهات الغلاة والأخباريّة والديصانيّة، و ليس للاصوليّين علاقة

---

١ - هم الشيعة الاماميّة أنفسهم، و سُمّوا بالاصوليّة لاعتقادهم بالاجتهاد.

٢ - نقض : ٢٣٥ .

٣ - نفسه : ٢٣٦ .

٤ - مقدّمة تفسير مجمع البيان للطبرسي.

٥ - نقض : ٢٤٠ .

٦ - نفسه : ٢٨١ .

به[١]». و في مواطن أُخرى، يبرّىء الشيعة الأصوليّين من هذه التهم الّتي يأتي أغلبها من الغلاة[٢].

و كما ألمعنا سابقاً، فإنّ مجمع البيان لافت للنظر أيضاً في حقل هذا التقارب، مع أنّ عنصر التقيّة يمكن أن يكون مؤثّراً في هذا المجال. و يرى الأُستاذ كريمان في المقارنة الّتي عقدها بين تفسير أبي الفتوح الرازي، و تفسير مجمع‌البيان أنّ الطابع الشيعي في تفسير الرازي أكثر. ثمّ يشير إلى الأوضاع الصعبة الّتي كانت تعيشها خراسان في عهد الطبرسي، و يقول: «... و لم يتمتّع أتباع هذا المذهب (الشيعي) بحريّة العمل في تلك المنطقة يومئذٍ[٣]». و أشار مصحّحو مجمع البيان السنّة في مقدّمته إلى حسن ما فيه بوضوح قائلين: «... هي أنّه مجمع ما روي عن طريق آل البيت - رضي‌اللّه عنهم - و ما روي من طريق مذاهب السنّة[٤]». و بعد ذلك، قطع الشيعة مراحل مختلفة على طريق الاقتراب من السنّة. و عندما تحتدم القضايا السياسيّة، فإنّ علاقتهما تُمنى بالمشاكل. و ننقل فيما يأتي تحليلاً للدكتور الشيبي حول العلّامة ابن ميثم البحراني المتوفّى سنة ٦٧٩ ﻫ، و هذا التحليل يرتبط ببحثنا الحالي:

« و ينبغي أن يُذكَر لابن ميثم اعتداله في التشيّع و تجنّبه الخوض في الخلافات و اللعن حتّى إنّه في تعرّضه للخطبة الشقشقيّة الّتي نسب[٥] إلى عليّ فيها تعرّضه لأبي بكر، حاول أن يجعل من الأمر شيئاً هيّناً جدّاً[٦]».

و من أطرف ما يذكر لابن ميثم عرضه لاصطلاح التبرّي الّذي يعني عند الشيعة البراءة من أعداء عليّ، فخرج به إلى عالم التصوّف المتسامح، و ذكر أنّ «المراد به أن يبرأ الإنسان من حوله و قوّته، و لا يلتفت إلى نفسه بعين الرضا و التزكية[٧]».

و في الختام، يحقّ لابن ميثم أن ينوّه له بأنّه سبق الشيعة كلّهم إلى الاستشهاد بكلام

---

١ - نقض: ٢٨٢. ٢ - نفسه: ٢٨٤، ٢٩٥.

٣ - طبرسى و مجمع البيان لمؤلّفة كريمان ٢: ٢١٢، ٢١٣.

٤ - مقدّمة تفسير مجمع البيان: ٦. نقلاً عن كريمان ٢: ٤٨.

٥ - ينبغي التأمّل في قوله: ... الّتي نسب إلى عليّ ...

٦ - الفكر الشيعي و النزاعات الصوفيّة، الدكتور كامل مصطفى الشيبي: ١٠٦ - ١٠٧.

٧ - نفسه.

الغزالي على ماكان من هذا من وقوع في الشيعة... فبيّن لنا كيف يستطيع الشيعي إنْ شاء أن يتجنّب ما ليس فيه عناد من سفاسف الأُمور. و دلّل على أنّ السبّ و غيره من الشؤون الجانبيّة إنّما يسعى إليها الشيعي في ظروف خاصّة تمليها السياسة و مقتضياتها حين تعزّ السلامة و ينفجر مرجل الغضب[١].

و بغضّ النظر عن هؤلاء العلماء، فقد كان أدباء كثيرون على هذه الشاكلة أيضاً، منهم: الشريف الرضي. و الصاحب بن عبّاد وزير البويهيّين الّذي سنتحدّث عنه في السطور القادمة بايجاز.

يضاف إلى ذلك، أنّ اتّساع نطاق الاعتزال أدّى دوراً كبيراً في تنامي الشيعة. و نقرأ أنّ البصرة الّتي كانت عثمانيّة الهوى، أصبحت مركزاً للمعتزلة تدريجاً، ممّا أفضى إلى تنامي الشيعة فيها. و عاشت بسبب ذلك صراعات و نزاعات بين الشيعة و السنّة في القرن الرابع. و يعود هذا إلى أنّ المعتزلة كانوا حماة العلويّين. و يعدّ هذا العمل أوّل خطوة على طريق التشيّع. و نلمس ميولاً علويّة شديدة عند بعض رواة الأخبار، كأبي الفرج الأصفهاني الّذي كان شيعيّاً مع أنّه ينحدر من أُرومة أمويّة. و هو ما تعجّب منه كثير من الناس. و نقل في كتاب الأغاني أخباراً جمّة تدلّ على ميوله العلويّة. كما أنّ كتابه مقاتل الطالبيّين يضمّ ملاحظات مهمّة في هذا المجال. و إنّ وجود هذه الكتب بوصفها كتباً أدبيّة و تاريخيّة، و مطالعتها في الأوساط الدراسيّة، شدّ كثيراً من الباحثين إلى العقائد الشيعيّة، و استقطبهم تلقائيّاً. بخاصّة، أنّ السنّة المتعصّبين والحنابلة كانوا يتبرّأون من هؤلاء الأشخاص حتّى لو نقلوا فضيلة واحدة لأهل البيت – عليهم السلام. و هذا ما دفعهم إلى الارتماء في أحضان الجبهة المقابلة. كما نقرأ أنّ الحنفيّين (عند ما كانت عقائدهم اعتزاليّة) تعاطفوا مع الشيعة في الصراع الّذي نشب بينهم و بين الشافعيّين (عند ما كانوا مجبّرة و مشبّهة بالري[٢]) ... وكان بعض وزراء البويهيّين من حماة التشيّع. و أحد هؤلاء هو إسماعيل بن عبّاد المعروف بالصاحب، و قد وزر للبويهيّين مدّة طويلة. و في الوقت نفسه كان علمه و أدبه باعثاً على شهرته بين الناس والعلماء. لذلك دخل بعضهم في مذهبه[٣].

وكان الصاحب أحد الشيعة الّذين حام الخلاف حول عقائدهم. فمن قائل: إنّه يتشيّع

---

١ - الفكر الشيعي و النزاعات الصوفيّة: ١٠٦ - ١٠٧.

٢ - مجالس المؤمنين ١: ٩٢.

٣ - معجم الأدباء ٦: ٢٥٥.

بمذهب أبي حنيفة و مقالة الزيديّة[١]. و من قائل : إنّه معتزلي[٢]. و نسب إليه أيضاً كتاب عنوانه الزيديّة، و كتاب آخر عنوانه : كتاب تفضيل عليّ بن أبي طالب و تصحيح إمامة من تقدّمه[٣]. بيد أنّ الّذي يبدو هو أنّ إصرار الحموي لاطائل تحته. إذ إنّ الاعتقاد بآراء المعتزلة لا يمكن أن يحدّد مذهبه إذا أخذنا بنظر الاعتبار القواسم المشتركة بين الشيعة والمعتزلة في هذه العقائد. علماً بأنّ الكتاب الّذي نسب إليه بهذا العنوان، ذكره الآخرون بشكل مغاير. فنقل الحنبلي أنّ عنوانه هو كتاب الإمامة الّذي يذكر فيه فضائل عليّ - عليه‌السّلام - و يثبت إمامته على من تقدّمه، لأنّه كان شيعيّاً[٤].

الدليل الآخر على تشيّع الصاحب بن عبّاد تشيّعاً إماميّاً هو كلام‌الشيخ الصدوق في عيون أخبار الرضا. يقول الشيخ في مقدّمة هذا الكتاب الّذي أهداه إلى الصاحب بن عبّاد: «وقع إليّ قصيدتان من قصائد الصاحب في إهداء السلام إلى الإمام الرضا - عليه‌السّلام. فصنّفت هذا الكتاب لخزانته المعمورة ببقائه. إذ لم أجد شيئاً آثر عنده و أحسن موقعاً لديه من علوم أهل البيت - عليهم‌السّلام «لتعلّقه بحبّهم، و استمساكه بولايتهم، و اعتقاده بفرض طاعتهم، و قوله بإمامتهم، و إكرامه لذريّتهم، و إحسانه إلى شيعتهم[٥]».

إنّ الشعر الّذي نقله الصدوق عن الصاحب - مضافاً إلى ما فيه من الدلالة على تشيّعه، بخاصّة للإمام الرضا - عليه‌السّلام - الّذي له منزلة رفيعة في قلوب الشيعة الإماميّة - معلم على جهوده في تنمية التشيّع أيضاً. فقد قال في بعضه:

واللّـه واللّـه حلفة صدرت ... من مخلص في الولاء مغموس[٦]

و قال في القصيدة الثانية:

و قل له من مخلص ... يرى الولا مفترضا

---

١ - معجم الأدباء ٦ : ١٧٥ .
٢ - نفسه : ١٧٦ .
٣ - نفسه : ٢٦٠ . و ذكر ابن خلّكان هذا العنوان نفسه في وفيات الأعيان ١ : ٢٣٠ . بيد أنّه لا يعني إثبات إمامة من تقدّم على عليّ - عليه‌السّلام - في ضوء تأويل الخوانساري المنقول عن أحد علماء جبل عامل. انظر: روضات الجنّات ٢ : ٢٨ و ٢٩ . علماً بأنّ المعنى المتبادر إلى الأذهان من العنوان المذكور هو تصحيح إمامة من سبق عليّاً - عليه‌السّلام.
٤ - شذرات الذهب ٣ : ١١٥ .
٥ - عيون أخبار الرضا ١ : ٢ . و انظر : روضات الجنّات ٢ : ٢٥ .
٦ - مغموس، أي من اليمين الغموس، لشدّتها. ينظر أساس البلاغة ٢ : ١٧٣ .

و أعلن الشاعر براءته من تيم، و عديّ، و عثمان في شعر آخر رواه صاحب المناقب عنه[١].

نلحظ الصاحب في البيتين المتقدّمين يتمسّك بولايته لأهل البيت - عليهم‌السّلام - ولشخص الإمام الرضا - عليه‌السّلام. و يعلن في قصيدتيه الّلتين ضمّتا هذين البيتين عن عزمه على نشر التشيّع، و قمع النواصب الذين كانوا متنفّذين في أصفهان يومئذٍ. يقول في بعضها:

لمّا رأيت النواصب انتكست رايـاتُها فـي زمـان تـنكيس
صدعت بـالحقّ فـي ولائكـم و الحقُّ مُذْ كان غيرُ مبخوسٍ[٢]

و يرى المجلسي أيضاً أنّ الصاحب بن عبّاد من الإماميّة[٣]. و يذهب الأفندي كذلك إلى نفس الرأي[٤]. و يواصل كلامه فينفي عنه تهمة الاعتزال قائلاً: «والسرّ في نسبة الاعتزال إليه أنّ العامّة من الأشعريّة لم يفرّقوا في الأصول بين المعتزلة و الشيعة، بل اعتقادهم أنّهما على طريقة واحدة[٥]». و للخونساري تحليل مماثل لهذا التحليل فيه[٦]. و نقل عن ابن أبي طي أيضاً قوله إنّه كان إماميّ الرأي، و إنّ الشيخ المفيد يرى أنّ الكتاب المنسوب إليه في الاعتزال منحول[٧].

و يتبيّن من مناوأة الآخرين له أنّ جهوده في نشر التشيّع و بسط نفوذه، و في الأقل، تنمية أُسس العدل والتوحيد كانت كبيرة.

و نقل عن القاضي نوراللّه أيضاً قوله: «إنّ تشيّع الصاحب و اهتمامه في ترويج مذهب أهل التوحيد والعدل في غاية الاشتهار[٨]».

و عندما كان الصاحب في اصفهان، فإنّ أهلها المتعصّبين كانوا يثيرون حساسيّة خاصّة ضدّه. و حكي أنّ رجلاً من أهلها وقف يوماً على رجل يزني بأهله، فأخذ السوط، و جعل

---

١ - تيم قبيلة الخليفة الأوّل، و عدي قبيلة الخليفة الثاني. انظر: **روضات الجنّات** ٢ : ٣٠.

٢ - **عيون أخبارالرضا** ١ : ٣ - ٤. و انظر: **تاريخ بيهق** : ١٣٥، إذ فيه ما يشبه هذا الشعر.

٣ - **بحار الأنوار** ١ : ٤٢.

٤ - **رياض العلماء** ١ : ٨٤.

٥ - نفسه : ٨٨. و انظر: ص ٣٤٤ - ٣٤٥.

٦ - **روضات الجنّات** ١ : ١٨٧.

٧ - **هديّة العباد در شرح حال صاحب بن عبّاد** للأديب : ٩٩. **لسان الميزان** ١ : ٤١٦.

٨ - **روضات الجنّات** ٢ : ٢٧، نقلاً عن مجالس المؤمنين.

يعاقب به امرأته على عملها، و هي تصيح معتذرة إليه بالقضاء و القدر. فقال لها الرجل: تزنين يا عدوّةالله، ثمّ تعتذرين بأكبر من إثمك. فلمّا سمعت المرأة بذلك منه، نادت: وا سوأتاه، تركتَ السنن، و صبوت إلى مذهب ابن عبّاد. فتفطّن الرجل، و ألقى من يده السوط، و اعتذر إليها، و قال لها : أنتِ سنّيّة حقّاً[1]. و مذهب الصاحب هو مذهب الاختيار الّذي يمثّل عقيدة من عقائد الشيعة والمعتزلة. و تدلّ هذه الواقعة على تسنّن قويّ في أصفهان، و جهد كبير بذله الصاحب في إبداء آرائه و عقائده، وهو مشهور عند الجميع.

و نقل عنه شعر كثير في حبّ أهل البيت - عليهم‌السّلام - و وصفهم[2]، و هو آية على صلابته في ترويج مثل هذه العقائد بين عامّةالناس، و كذلك بين الشعراء و الأدباء. و لم يوافق الأئمّة - عليهم‌السّلام - على انشاد الشعر في وصفهم فحسب، بل جعلوا لذلك أجراً كثيراً من الوجهة الماديّة والمعنويّة، لأنّ الشعر يمكن أن يترك تأثيره الكبير على أذهان الناس[3]. و قال عبدالجليل الرازي في وصفه : «بلغ في التشيّع أنّه صنّف كتاباً مستقلّاً في إمامة الأئمّة الإثني عشر المعصومين. و حسبنا شعره في الدلالة على مذهبه[4]». و قال يحيى بن عبداللطيف القزويني أيضاً: إنّه كان اثني‌عشريّاً في الفروع[5]. و جاء في شعر له:

فكم قد دعوني رافضيّاً لحبّكم ... فلم ينثن عنكم طويل عوائهم[6]

و ورد له أيضاً:

نابذتهم (النواصب) و لم أُبَلْ ... إن قيل قد ترفّضا
يا حبّذا رفضي لمن ... نابذكُم و أبغضا[7]

يتحدّث الشاعر عن اتّهام الناس إيّاه بالرفض، و هو ينابذهم لأجل ذلك، و يحدّد الرفض في إطار حبّ أميرالمؤمنين - عليه‌السّلام. كما نلحظ هذا التوجّه نفسه في شعر

---

١ - روضات الجنّات ٢ : ٢٧ . يمكن أن يصدر هذا الموقف عن المجبّرة إحدى الفرق الاسلاميّة.

٢ - نفسه : ٢٩ - ٣٣ .

٣ - انظر: مقالة بعنوان : مع جوائز الأئمّة - عليهم السّلام - للشعراء للعلاّمة السيّد جعفر مرتضى في كتاب دراسات و بحوث في التاريخ و الاسلام ١ : ٤٥ .

٤ - النقض : ٢١٧ .

٥ - لبّ التواريخ : ١٦٠ .

٦ - روضات الجنّات ٢ : ٣١ .

٧ - عيون أخبار الرضا ١ : ٥ .

الشافعي. و لعلّ وجود الصاحب على رأس الحكم كان يحول دون اتّخاذه موقفاً شيعيّاً صريحاً. علماً بأنّ هذا الحجم من التوجّه الّذي كان عليه قد تمخّض بمناوأة شديدة له. كما أنّ البويهيّين أنفسهم كانوا لا يستثمرون عقيدتهم الشيعيّة بوصفها مفردة في التحركّات السياسيّة، و ذلك طمعاً في المحافظة على سلطتهم. و هكذا يمكننا أن نعتبر موقف الصاحب منطلقاً من التقيّة. و في ضوء ذلك ، يزول التناقض بين القولين. و لعلّنا نستطيع أن نقول : إنّ الصاحب انتقل من الاعتزال إلى التشيّع في مسار حياته الفكريّة. و حينئذٍ سيكون عندنا حلّ لهذه المسألة، مع أنّنا لا نملك دليلاً واضحاً عليها. على أيّ حال يمكن أن يكون وجوده في الوزارة طوال ثماني عشرة سنة أحد البواعث المهمّة على انتشار التشيّع - و لو على صعيد ضيّق - في المناطق الّتي كان يتردّد عليها. و أهمّ هذه المناطق هي: أصفهان، والري، و قزوين.

و أُثر عنه شعر يذكر فيه أسماء الأئمّة الاثني عشر، كقوله:

بمحمّد و وصيّه و ابنيهما و بعابد و بباقرين و كاظمِ
ثمّ الرضا، و محمّد، ثمّ ابنه والعسكريّ المتقيّ والقائمِ
أرجو النجاة من المواقف كلّها حتّى أصير إلى نعيم دائمِ[1]

و يدلّ هذا الشعر على تشيّعه الإمامي بكلّ صراحة، و إنْ كان بين العامّة أيضاً من يجلّ أئمّة الشيعة و يحترمهم كثيراً، كسبط بن الجوزي في تذكرة الخواص، والشبراوي في الإتحاف بحبّ الأشراف.

---

١ - هديّة العباد در شرح حال صاحب بن عبّاد، أديب : ٧٦ - ٧٧ .

التشيّع في القرن الخامس

إنّ اضطراب الأوضاع السياسيّة في ايران سمة من سمات أواخر القرن الرابع و أوائل القرن الخامس. و كان كلّ جزء منها خاضعاً لحكم أحد الأمراء أو الوزراء، و طالما كانت الحروب والمنازعات قائمة بين الأمراء. و كلّ من تغلّب على صاحبه، فإنّه يتولّى شؤون الحكم أيّاماً. و إذا وافته المنيّة، تتجدّد المنازعات بين أبنائه، فلا يستريح الناس ساعة. و نقرأ أنّ بعض الأمراء كانوا يسملون عيون إخوتهم و أعمامهم، أو يقتلونهم، كما فعل ذلك خلف بن أحمد والي سجستان و كرمان، إذ قتل ولده الوحيد طاهراً من أجل السلطة!

و كانت فارس، و بغداد، و خوزستان تحت حكم البويهيّين الّذين كانوا يتنازعون فيما بينهم باستمرار. و تولّى بهاءالدولة نجل عضدالدولة حكومة هذه المناطق في أواخر القرن الرابع. أمّا المناطق المركزيّة من ايران، فقد حكمها فخرالدولة، ثمّ جاء بعده ابنه مجدالدولة. و كانت خراسان و ماوراء النهر خاضعة لحكم السامانيّين حتّى سنة ٣٨٤ هـ. ثمّ هاجمها الأتراك الغزنويّون، فانقرضت الحكومة السامانيّة في العقد الأخير من هذا القرن، و هي الّتي كانت في يوم ما أقدر حكومة فارسيّة مستقلّة.

و كانت سجستان و كرمان ساحة للصراع بين البويهيّين، والسامانيّين، و أحفاد الصفّاريّين الّذين حكم منهم خلف بن أحمد في تلك المنطقة ردحاً من الزمن. ثمّ تعرّضت المنطقة المذكورة لاحتلال السلطان محمود الغزنوي، و خضعت لسيادته.

و كان الصراع بين هذه الحكومات متفاقماً إلى درجة أنّها لم تجد مجالاً للتفكير

بالتكتّلات الدينيّة. إذ كانت تعيش في منازعات دائمة. بيد أنّنا نلاحظ بين الأُمراء، ووزرائهم بنحو خاصٍّ، من كان مهتمّاً بجمع العلماء، و المنجّمين، والأطبّاء، والفلاسفة. وكان بين هؤلاء العلماء الملتّفين حولهم بعض الفقهاء الّذين كان لكلّ واحد منهم مذهبه الفقهيّ الخاصّ. و هؤلاء هم الّذين كانوا يوجّهون الخطّ الديني للحكومة إلى حدّ كبير.

و كان للشريف الرضي و الشريف المرتضى في هذا العصر تأثيرهما الكبير في تحديد الاتّجاه الديني، و هما من علماء بغداد الكبار، و من أصحاب الحظوة عند بهاء الدّولة. وبالنظر إلى الخلفيّة الشيعيّة عند البويهيّين فمن الواضح أنّهم يعملون على نشر التشيّع. أو يمهّدون الأرضيّة - في الأقلّ - لتنميته و تصعيده.

و كان السامانيّون مستقيمين في مذهبهم السنّي، و لهم رغبة في جمع الكتب و العلماء. و كانوا يُحسبون في عداد الّذين وطّدوا دعائم التسنّن في شمال شرق إيران. مع أنّ قواعد هذا التسنّن لم تكن ذات نظم خاصّ يُذكر، إذ كان مذبذباً بين التشبيه والتنزيه، متأرجحاً بين المذهب الأشعري والمذهب الاعتزالي. أمّا الحكّام فقد كانت لهم عقائد مختلفة تبعاً للأوضاع السياسيّة، و ما تتطلّبه سياستهم في مقابل الحكّام العبّاسيين، و ما تتركه المناظرات العلميّة و الدينيّة من تأثير عليهم بين الحين والآخر[1].

و برز السلطان محمود الغزنوي نجل سبكتكين الّذي كان في البداية أحد ولاة السامانيّين على القسم الشرقي من ايران، ثمّ استقلّ بالحكم، و بعد تعزيز سلطته في الشرق، انبرى إلى جهاد الكفّار، فحارب كفّار الهند برهة من الزمن، و انهمك في أعماله الحربيّة هناك.

و كان هذا السلطان من المتمسّكين الأشدّاء بالمذهب السنيّ، و من المناوئين الألدّاء للتشيّع سواء كان إماميّاً، أو إسماعيليّاً أو باطنيّاً[2]. وكانت نشأته في مكان ترسّخ فيه التسنّن. و هذا أمر طبيعيّ تماماً. لذلك قال شبانكارهای: «إذا سمع أنّ شخصاً في أقصى المغرب سيّء الدين أو المذهب، فإنّه يبذل أقصى جهوده للقبض عليه ... و أُعدم في عهده ما يربو

---

١ - تاريخ يمينى: ٢٥٥ ـ ٢٥٦، ٢٨٨.

٢ - الملل و النحل ١ : ٣٨. عندما حقّق محمود انتصاراته الكثيرة في الشرق، كان يتمنّى أن يتوجّه لحرب القرامطة في مصر و الشام و المغرب، و يستولي على تلك المناطق كما استولى على الشرق و الهند. مجمع الأنساب : ٦٣.

على خمسين ألفاً من هؤلاء الزنادقة (هذا الاصطلاح لا يشمل الكفّار الهندوس طبعاً)[١]».

و كان عناد السلطان محمود الغزنوي للشيعة واضحاً في كثير من تحرّكاته، و عند ما أغار على الري سنة ٤٢٠ هـ، فإنّه أحرق مكتبة عظيمة فيها لأنّها تضمّ كتباً كثيرة للباطنيّة[٢].

و كان من ذرائعه الّتي تشبّث بها لسلب أموال الناس، أو البطش بأعدائه هي تهمة الباطنيّة. و بلغه مرّة أنّ رجلاً من نيسابور كثير المال، عظيم الغنى، فأحضره و قال له: بلغنا أنّك قرمطيّ! فأنكر الرجل ذلك، و قال: لي مال يؤخذ منه ما يراد، و أُعفى من هذا الاسم! فأخذ منه السلطان محمود مالاً، و كتب معه كتاباً بصحّة اعتقاده[٣]!

و كان القذف بالقرمطيّة أو التبعيّة لفاطميّي مصر ذريعة يلجأ إليها كثير من الأُمراء التابعين للعباسيّين، بل العبّاسيّون أنفسهم كالقادر، و ذلك لقمع الناس أو تشويه سمعتهم وعزلهم عن المجتمع[٤]. و رأينا قبل ذلك أيضاً أنّ الحكومة العبّاسيّة اتّهمت يعقوب بالباطنيّة في القرن الثالث[٥]. فيتّضح أنّ هذه التهمة وسيلة بيد العبّاسيّين للاعلام و بثّ الدعايات.

يقول ابن الأثير في سيرة محمود الغزنوي: أنّه رأى أميرالمؤمنين عليّ بن أبي طالب - عليه‌السّلام - في المنام، و هو يقول له: إلى متى هذا؟ فعلم (أنّه يسيء الظنّ به) و أنّه يريد أمر المشهد الرضوي. فجدّد عمارته، بعد أن كان أبوه سبكتكين قد أخربه. و كان أهل طوس يؤذون من يزوره، فمنعهم من ذلك.

و لعلّ هذا يدلّ على أنّ سيرته قد تغيّرت في أواخر حياته. بيد أنّه لا ينسجم مع هجومه على الري في السنة الأخيرة من حكومته. و جملة القول أنّ سيرته كانت مرتكزة

---

١ - مجمع الأنساب: ٦٧.

٢ - كانت هذه المكتبة من أضخم المكتبات يومئذٍ. و فهرست الكتب الموجودة فيها عشرات المجلّدات كما قال ياقوت. و عندما قدم السلطان محمود إليها، قيل له: هذه الكتب كتب الروافض و أهل البدعة. فأخرج السلطان ما فيها من الكتب الكلاميّة و أحرقها. معجم الأدباء ٢: ٣١٥، و ٦: ٢٥٩. و انظر: تاريخ ايران از اسلام تا سلاجقة: ١٥٥. مجمع التواريخ: ٤٠٣ - ٤٠٤.

٣ - الكامل ٩: ٤٠١.

٤ - تجارب السلف: ٢٤٩. و كذلك اتّهم جيهاني وزير السامانيّين بهذه النزعة، و لعلّها كانت صحيحة. سياستنامه: ٢٩٩.

٥ - سياستنامه: ٢٠ - ٢١.

على قمع الباطنيّين الّذين يشملون الإماميّين و الإسماعيليّين. و كتب إلى أحد ولاته مرّة قائلاً:

«... لا أبتغي من القدوم إلى العراق حكومته و السيطرة عليه، إذ إنّ ما يهمّني هو غزو الهند. و لكن الأخبار تواترت عليّ من المسلمين أنّ الديلميّين قد أفسدوا و ظلموا فيه، و أحيوا البدعة، و صنعوا السوابيط على الطرق، و إذا مرّت بهم امرأة جميلة أو فتى جميل، فإنّهم يقتادونهما إلى دورهم قهراً، و يرتكبون معهما الفساد. و يشِمُون أيدي الرجال و أرجلهم، و يخضبونها بالحنّاء. و يقتنون منهم ما يريدون، ثمّ يطلقونهم إذا رغبوا. و بلغني أنّهم يلعنون أصحاب رسول‌اللّه ـ عليه السلام ـ جهرةً و ... ، حتّى إنّ ملكهم الّذي يسمّونه مجد الدولة قد رضي بذلك، و أطلقوا عليه : شهنشاه (ملك الملوك). و جمع له تسع زوجات. و بلغني أنّ الناس قد أظهروا مذهب الزنادقة و الباطنيّة في شتّى المدن و المناطق، و هم يتكلّمون في اللّه و رسوله بما لا يليق. و ينفون وجود اللّه علناً، و ينكرون الصلاة، والصوم، والحجّ، والزكاة. لا يزجرهم المتنفّذون عن هذه العقائد الكافرة، و لا هم يسألون المتنفّذين عن سبب لعن الصحابة ! و أرتكاب الظلم و الفساد. و ... . فلمّا بلغني ذلك آثرت القدوم إلى العراق على غزو الهند. و ها إنّي متوجّه إليه. و فوّضت إلى الجندالأتراك – و كلّهم من المسلمين الحنفيّين الأطهار – أن يقطعوا دابر الديلميّين، و الزنادقة، والباطنيّة. فمنهم من قتل بالسيف، و منهم من سُجن، و منهم من شرّد في أرجاء الأرض. و أمرت أن يكون كافّة المتنفّذين والمتصدّين في خراسان من الحنفيّة أو الشافعيّة. إذ إنّ كلتا الطائفتين عدوّة للروافض، و الخوارج، و الباطنيّة. و صديقة الأتراك. و نهيت عن تعيين كاتب عراقي، إذ إنّ أكثر الكتّاب في العراق منهم. و ربما يقلبون الوضع على الأتراك و ...[1]».

إنّ من أوضح الملاحظات في هذه الرسالة هي أنّ المنازعات الّتي كانت قائمة بين الترك والديلم قد انعكست في قالب السنّة و الشيعة. و نحتمل أنّ للخواجه المتعصّب دوراً في كتابتها. كما أنّ التقارير الكاذبة الّتي كان يرفعها السنّة إلى السلطان محمود قد أثّرت في تنظيمها. و استغرقت تلك المنازعات وقتاً طويلاً، و استمرّت في العصر البويهي.

---

١ - سياستنامه : ٨٧ - ٨٨ .

و أصبحت شيئاً مألوفاً في بغداد، والبصرة، والأهواز، و غيرها من هذه المدن. و في الوقت نفسه، فإنّ هذا التوجه معلَم على مدى التأثير الّذي تركه أعداء الشيعة على السلطان محمود في إساءة ظنّه بالشيعة و إيغار صدره ضدّهم، إلى درجة أنّ تلك الافتراءات تنسب إليهم بهذه الضخامة. والرسالة برمّتها آية على سعي السلطان في قمع الشيعة والروافض، والباطنيّة. و هو نفسه يقول : إنّه أبادهم بقتل أولادهم، حتّى «صفّى العراق منهم بهذه الخطّة خلال مدّة و جيزة». و يرى ذلك واجباً كلّفه اللّه به[١]. و يقصد من تحرّكه هذا الإغارة على الري، تلك الاغارة الّتي نقل عنها بعض المؤرّخين المعروفين كابن الأثير، و ابن خلدون، أنّه صلب فيها أصحاب مجد الدولة من الباطنيّة الّذين كانوا يقضون وقتهم في المطالعة، و أحرق كتب الفلسفة، و نفى المعتزلة إلى خراسان[٢].

و ذكر ابن كثير أنّ رسالة وصلت من السلطان محمود إلى بغداد سنة ٤٢٠ هـ و جاء في مضمونها أنّه أحلّ بطائفة من أهل الري من الباطنيّة و الروافض قتلاً ذريعاً و صلباً شنيعاً، و أنّه انتهب أموال رئيسهم رستم بن عليّ الديلمي فحصل منها ما يقارب ألف ألف دينار[٣]. و نظراً إلى بخل السلطان و حبّه جمع المال، و اتّهامه الناس بالقرمطيّة لنهب أموالهم، فإنّ هذه القصّة جالبة للانتباه. و قال كرديزي أيضاً: «بلغ الأميرَ محموداً أنّ الباطنيّة و القرامطة يكثرون في مدينة الري و ضواحيها. فأمر باحضار من اتُّهم بذلك و رجمه. و قتل كثيراً منهم، و كبّل بعضهم، و أشخصهم إلى خراسان، فماتوا في قلاعها و سجونها[٤]».

و نقل البيهقي على لسان محمود الغزنوي أنّه قال: «ينبغي أن نكتب إلى هذا الخليفة الخَرِف أنّي تعهّدت للعبّاسيّين بصلب كلّ من وجدته قرمطيّاً[٥]». و على الرغم من تشدّد هذا السلطان، لم يتنازل الاسماعيليّون عن دعوتهم في زمانه. و في ضوء ما قاله المستوفي «فإنّ رجلاً جاء من مصر برسالة بعثها الحاكم الفاطمي إلى السلطان محمود. و أظهر دعوة الباطنيّة في إيران. و استجاب لدعوته عدد كبير من الناس. و ارتقى عمله تماماً، فأحضره السلطان و داراه، و أطفأ نار الفتنة بحنكته و تدبيره[٦]».

---

١ - سياستنامه : ٨٨ . كان مجيء السلطان إلى العراق في سنة ٤٢٠ هـ .

٢ - الكامل ٩ : ٣٧٢ ؛ تاريخ ابن خلدون ٤ : ٣٧٥ - ٣٧٦ ، ٤٧٨ .

٣ - البداية و النهاية ١٢ : ٢٦ .

٤ - زين الأخبار ، كرديزي : ٧٢ .

٥ - تاريخ بيهقي : ١٨٣ .

٦ - تاريخ گزيده : ٣٩٤ .

يتبيّن من هذا كلّه أنّ مهمّة السلطان كانت بثّ السنّة بخراسان بناءً على توجيهات القادر العبّاسي له بهذا الشأن[1]. و جاء في الكلام الّذي فنّده عبدالجليل الرازي ما نصّه: «ما أكثر القتل والصلب في عهد السلطان محمود الغازي! وكم شُوّهت سمعة علماء الرافضة، و كسرت منابرهم، و حظر عليهم عقد المجالس! و كلّما كانوا يأتون بجماعة، فإنّهم يضعون عمائمهم في رقابهم، لأنّهم يسبلون أيديهم في الصلاة، و يكبّرون على الميّت خمساً[2]». و نظراً إلى هذه المضايقات، عرفت الحكومة الغزنويّة في شرق ايران بتشدّدها على الشيعة[3]. كما اشتهرت بأنّها أرست دعائم المذهب السنّي في هذه المنطقة بعد السامانيّين. و لعلّ عداء السلطان محمود للبويهيّين، و احتلاله العراق يصبّان في هذا الاتّجاه. وهو ما أدّى إلى الحصول على دعم بغداد و تهديد البويهيّين ذوي النزعة الشيعيّة في الري، و العراق، و طمأنة الحاكم السنّي و تهدئة باله منهم. و مات هذا السلطان سنة ٤٢١ هـ. فاعتلى العرش بعده نجله مسعود الّذي لم يتمتّع بسلطة كبيرة، فهُزم في حربه مع السلاجقة. و اكتفى السلاطين الغزنويّون الآخرون بحكومة غزنة فحسب. و امتدّت حكومتهم في غزنة نفسها مائة و خمساً و خمسين سنة على ما ذكره المستوفي. وكان في وجود بعض العلماء الّذين أظهروا التشيّع، و لو بمستوى تفضيل عليّ - عليه‌السّلام - على الآخرين، تمهيد لتنامي الشيعة. و كما مرّ بنا سابقاً، فإنّ التعرّف على حبّ عليّ - عليه‌السّلام - كان يفتح الطريق للتشيّع. و نلاحظ نماذج من هؤلاء العلماء في أواخر القرن الرابع و أوائل القرن الخامس، منهم: أبو عبداللّه الحاكم محمّد بن ... البيع الضبي الطهماني النيسابوري الّذي قال عنه ابن العماد: «**انتهت إليه رياسة الفنّ بخراسان، لا بل بالدنيا**». و هذا الرجل في عداد الشيعة الّذين تهجّموا على معاوية كثيراً، علماً بأنّ تشيّعه ليس إماميّاً و لا إسماعيليّاً، بيد أنّه في المستوى الّذي أشار إليه ابن العماد[4]. و كان هذا باعثاً على نموّ الأفكار الشيعيّة. و صاحبنا هذا هو مؤلّف الكتاب المعروف: المستدرك على الصحيحين. لكنّه تعرّض للأذىٰ بسبب تكلّمه في معاوية، كما نصّ الذهبي على ذلك[5].

و عاش الشيعة في جوّ إرهابيّ خانق طول الفترة الّتي حكم خلالها محمود، و مسعود.

---

١ - شذرات الذهب ٣: ١٨٦.
٢ - نقض: ٤٢.
٣ - اسلام در ايران: ٣٨.
٤ - شذرات الذهب ٣: ١٧٦.
٥ - نفسه: ١٧٧. و انظر: البداية و النهاية ١١: ٣٥٥.

بيد أنّ جهد هذين الحاكمين -كما تقدّم- قد تركّز على قمع القرامطة الّذين كانوا يحملون الهويّة الإسماعيليّة. لذلك كان السادة الّذين يمثّلون رمز التشيّع يعيشون محترمين مكرّمين. و طبيعيّاً انّ امتداد التشيّع كان يفرض على السلطان محمود، و مسعود أن يصطدما كثيراً بالشيعة. و في المقابل، على الرغم من دفاعهما الشديد عن المذهب السنّيّ، فقد عاش في بلاطهما عدد من نقباء العلويّين أيضاً[1]. و مع تضييقهم على الإسماعيليّة، فقد قال عتبي: تظاهر السلطان محمود بحسن اتّباعه للخلافة، و سيرة الامامة، و شعار دعوة أهل بيت النبوّة، و إظهار كلمة الحقّ في اتّباع أهل بيت الرسالة[2]. وكان هؤلاء السادة يُحترمون عادةً، وكانت مودّتهم ممهّدة لوجود الرفض في التشيّع.

و قال بديع الزمان الهمداني في أحد العلويّين، و اسمه أبو جعفر محمّد بن موسى الّذي كان من أعيان الحكومة السامانيّة السنّيّة المتعصّبة:

أنا في اعتقادي للتسنـ ... ـنِ رافضيٌّ في ولائك
و ان اشتغلت للولا ... ءِ فلستُ أغفل عن أولئك[3]

إنّ التقيّة الّتي كانت تعدّ أُسلوباً من الأساليب السياسيّة المبهمة للإماميّة قد أدّت دورها في وقايتهم من الأخطار. و في ضوء ما قاله شبولر، فإنّهم تمكّنوا من المحافظة على مراكزهم من الضغوط المستشرية على امتداد القرون و الأعصار، و استطاعوا أخيراً أن يكونوا منطلقاً لبثّ هذه العقيدة في أرجاء إيران بثّاً ناجحاً، على الرغم من مضايقات الغزنويّين والسلاجقة الّذين أحبطوا قسماً من إنجازات الشيعة و مكاسبهم من خلال ملاحقاتهم المتكرّرة لهم[4].

و شعّ قبس التشيّع بأشكال متنوّعة في عهد السامانيّين والغزنويّين، مع تشدّد هؤلاء في المذهب السنّي و مكافحة الإلحاد الإسماعيلي. و تمتّع العلويّون بنفوذ و وجاهة في حكومة السلطان محمود. وكان منهم بين مقرّبيه، و منهم الشعراء، مَن رسخ في قلبه حبّ

---

١ - **تاريخ بيهق** : ٥٦٠ . و في ضوء ما قاله ابن فندق، فإنّ السيّد الإمام الأجلّ أبا جعفر محمّداً كان نقيب مشهد طوس مدّة. و كان بيده أمر خطّي بتعيينه في هذا المنصب. انظر: **تاريخ بيهق** : ٢٥٤ ؛ **تاريخ غزنويّان** ١: ١٨٩ .

٢ - **تاريخ يميني** : ١٣٨ .

٣ - نفسه : ١٧٥ ؛ **نقض** : ٢١٨ . و نقل هذان البيتان في كتاب **نقض** بشكل آخر، و أُشير إلى أنّه أنشدهما على قبر عليّ بن موسى الرضا - عليه‌السّلام.

٤ -**تاريخ ايران در قرون نخستين اسلامى** : ٣٣٢ .

عليّ - عليه‌السّلام - مقروناً بالصلابة الشيعيّة أو غير مقرون بها. و كان الفردوسي أهمّ الشعراء في ذلك العصر. و عرف بميوله الشيعيّة مع قربه الخاصّ من السلطان محمود. و ذكر البعض أنّه كان يركن إلى المعتزلة في أُصول العقائد[١]، و هذا ما يمكن أن ينسجم مع تشيّعه. و تدلّنا المضامين الموجودة في شعره على لون من التشيّع العقيدي الّذي لم يتعصّب له تعصّباً شديداً في حياته فحسب، بل كان يخفيه، و يستعمل التقيّة بسبب الأوضاع غير المساعدة للجهر بمثل هذه العقائد. و نقرأ في شعره كلمات نشمّ فيها رائحة التشيّع العقيدي، كوصاية أمير المؤمنين عليّ بن أبي طالب - عليه‌السّلام - و ننقل فيما يأتي شيئاً من شعره في هذا المجال و تعريبهما: إستضيء بكلام نبيّك و اقشع عن قلبك الظلمات بإشعاعه. و استنر بما قال صاحب الوحي و التنزيل، و صاحب الأمر و النهي. [أي: النبيّ صلّى اللّه عليه و آله و سلّم][٢].

أنا مدينة العلم و عليّ بابها، و هذا هو قول النبي نفسه. أنا عبد قنّ لآل النبي، و مادح لتراب أقدام الوصي. إذا كنتَ تتطلّع إلى الآخرة، فخذ مكانك عندالنبيّ والوصي. على هذا وُلدتُ و عليه أموت، فاعلم أنّني تراب أقدام حيدر الكرّار. و من كان في قلبه بُغض عليّ، فليس في العالم أتعس و أذلّ منه. فليس عدوّه إلّا ابن الزنا، الّذي سيذيقه اللّه حرّ ناره[٣].

و قال أيضاً و تعريبهما:

من كان في قلبه بغض عليّ، فهو ابن زنا. و خصم عليّ غير طاهر المولد، حتّى لو كان

---

١ - تاريخ ادبيات ايران ١ : ٤٨٧.

٢ - به گفتار پيغمبرت راه جوى — دل از تيره‌گيها بدين آب شوى
چه گفت آن خداوند تنزيل وحى — خداوند أمر و خداوند نهى

٣ - نقلاً عن مجالس المؤمنين للشوشتري ٢ : ٥٩٣. و انظر : تاريخ طبرستان لابن اسفنديار ٢ : ٢٣. هذا البيت إشارة إلى الحديث القائل أنّ الناس كانوا يعرفون طهر ولادة أبنائهم بحبّ عليّ - عليه‌السّلام.

كه من شهر علمم عليّم در است — درست اين سخن قول پيغمبر است
منم بندهٔ آل بيت نبي — ستايندهٔ خاك پاى وصي
اگر چشم دارى بديگر سراى ! — بنزد نبي و وصي گير جاى
بدين زادم و هم بدين بگذرم — چنان دان كه خاك پى حيدرم
هر آنكس كه در دلش بغض عليست — از او خوارتر در جهان زار كيست
نباشد مگر بى پدر دشمنش — كه يزدان به نيران بسوزد تنش

من أعضاء الايوان و البلاط[١].

و قال بشأن بداية الشاهنامه و تعريبهما:

إنّ الفردوسي الطوسي الطاهر المولد ينشد هذه الملحمة و ينضّد هذه الجواهر الكثيرة باسم النبيّ و عليّ، لا باسم السلطان محمود[٢].

و قال في موضع آخر و تعريبهما: أيّها الملك محمود ذو النزعة التوسّعيّة، إن لم تخف أحداً فخف اللّه. أنت ترميني بالالحاد، و تسمّيني شاةً، و أنا الليث الضرغام[٣].

و أنشد الشاعر هذين البيتين عندما امتعض منه السلطان، و هدّده بالقائه تحت أقدام الفِيَلة، بعد رميه بالتقرمط[٤].

و قال في شعر آخر له و تعريبهما: لا أُبالي فإنّي على بصيرة من أمري بفضل حبّ آل محمّد و عليّ. شفيعي محمّد، و إمامي عليّ الّذي يكفيني في دنياي و آخرتي[٥].

تدلّ هذه الاشعار الصريحة على تشيّع الشاعر العقيدي. و إذا ماورد له شعر في الخلفاء، فهو محمول على التقيّة. إذ إنّ هذا هو دأب الشيعة و ديدنهم وقتذاك، و لا يبدو شيئاً عجيباً و شاذّاً أبداً. و يظهر تشيّعه أكثر عندما أرادوا دفنه، فقد اعترض المعترضون ... حتّى صاح أحد خطباء المنبر «لا أدعكم تدفنون جثمانه في مقابر المسلمين، لأنّه كان

---

١ - مجالس المؤمنين ٢ : ٥٩٨.

بدل هر كه بغض علي كرد جاى — زمادر بود عيب آن تيره راى
كه ناپاك زاده بود خصم شاه — اگر چند باشد به ايوان و گاه

٢ - مجالس المؤمنين ٢ : ٦٠٥. و انظر تاريخ ادبيات ايران لصفا ١ : ٤٨٠.

كه فردوسى طوسى پاک جفت — نه اين نام با نام محمود گفت
بنام نبيّ و علي گفته‌ام — گهرهاى معنى بسى سفته‌ام

٣ - ايا شاه محمود كشور گشاى — زكس گر نترسى بترس از خداى
كه بيدين و بد كيش خوانى مرا — منم شير نر، ميش خوانى مرا

٤ - مجالس المؤمنين ٢ : ٦٠٠.

٥ - نفسه ٦٠١.

نترسم كه دارم ز روشن دلى — بدل مهر آل نبيّ و وليّ
شفيعم محمّد، امامم عليست — بهر دو جهانم وفيّ و مليست

رافضيّاً». و أخيراً، لم يسمحوا بذلك، فدفنوه في أحد البساتين[1].

و تحدّث نظامي عروضي عن مباينة الفردوسي للسلطان محمود، ثمّ أشار إلى ذهابه عند القائد شهريار من آل باوند، و نُقل عن شهريار قوله : إنّ السلطان رفض الفردوسي لأنه كان شيعيّاً موالياً لأهل بيت النبوّة[2].

السلاجقة والتشيّع

السلاجقة نسبة إلى سلجوق جدّ السلطان السلجوقي الأوّل طغرل بك. و طغرل هو نجل ميكائيل، و قد جاء مع إخوته إلى ماوراءالنهر و بخارى سنة ٣٧٥ هـ أيام حكومة محمود الغزنوي. و لمّا كان هؤلاء من الوجهاء الكبار في تركستان، احترمهم السلطان كثيراً. و لم تمض مدّة حتّى استعرت نار الخلاف بين الطرفين، فقامت الحرب بين أبناء ميكائيل و بين جيش مسعود الغزنوي في عهد مسعود نفسه، و كان النصر حليف السلاجقة. و أوّلهم طغرل بك الّذي جلس على العرش سنة ٤٢٩ هـ[3].

و كانت نشاطات الشيعة الإماميّة، والإسماعيليّة مكثّفة جدّاً في القرن الخامس. و لمّا كثرت الدعايات ضدّهم في شرق إيران، و حمل الناس - بخاصّة - نظرة سيّئة عن الإسماعيليّين، حاولت الحكومات - عبر محاربتها أيّاهم - أن تظهر بمظهر المصلح، و تضفي على نفسها طابع العفّة والنزاهة من الوجهة الدينيّة. يضاف إلى ذلك، أنّ مكانتها عند الحكّام العبّاسيّين رهينة بمحاربتها الفرق الشيعيّة الّتي لم تعترف بالحكومة العبّاسيّة قطّ. و كان إعداد الأُسر التركيّة قد تحقّق من قبل السامانيّين، لا سيّما نوح بن منصور، والغزنويّين أيضاً من أجل إبادة الإسماعيليّين، والشيعة. و لابدّ أن يترك هذا الإعداد أثره عليها طبيعيّاً.

يقول المستوفي عن السلاجقة : «كان السلاجقة من السنّة المعروفين بنقاوة دينهم

---

١ - **تاريخ طبرستان** لابن اسفنديار ٢ : ٢٥.

٢ - **چهار مقاله** : ٤٩ ـ ٥٠ ، نقلاً عن **تاريخ أدبيات ايران** ١ : ٤٨٣ . يشكّ مينوي في أخبار الفردوسي الواردة في هذا الكتاب (**چهار مقاله**). انظر: **نقدحال** : ١٣٤ .

٣ - نقل المستوفي هذا التاريخ، بينما ذكر غيره أنّ اعتلاءه العرش كان في سنة ٤٣٢ هـ ، انظر : **تاريخ دولتهاى إسلامى** ١ : ٢٦٠ .

و حُسن اعتقادهم[١]».

و يقول باسورث أيضاً: كان الطاهريّون ، و السامانيّون، والغزنويّون من الحكّام المؤمنين بالمذهب السنّي إيماناً راسخاً. و كان تطرّف الشيعة في غرب إيران والمناطق الواقعة على الساحل الجنوبي من بحر الخزر، والسياسة التوسعيّة للديلميّين الّذين آمنوا بالتشيّع في تلك المناطق بوصفه يمثّل واجهة استقلالهم السياسي ... كلّ أولئك أثار حكّام خراسان للوقوف أمام المذهب الشيعي دفاعاً عن المذهب السنيّ[٢]. و نقرأ هذا الموضوع المتمثّل بدور الخلافات بين الأتراك والديالمة في إصرار الأتراك على المذهب السنيّ، في كلمات نظام الملك أيضاً بوضوح. فهو ينقل على لسان ألب‌ارسلان أنّه قال لكبار حكومته: «إنّ أكثر أهل الديلم والعراق سيّئو الدين والمذهب و الاعتقاد. والعداء بين الأتراك والديالمة ليس جديداً، بل هو قديم. و قد أعزّ اللّه - عزّوجلّ - الأتراك هذا اليوم من أجل ذلك، و سلّطهم على الديالمة، لأنّهم أناس مسلمون نزيهون لا يعرفون الهوى والبدعة[٣]».

و في هذا المجال ذكر البعض أنّهم قسوا على أبناء البويهيّين قسوة لم تُبق لهم ذكراً، و لم يجرأ هؤلاء على إظهار نسبهم خوفاً من بطش الأتراك.

و جاء عن طغرل بك أنّه كان من أهل الاعتزال، و هذا ما يتضارب مع المناخ السنّي السائد. و لذلك تساهل مع وزيره، و عيّن مكانه أبا النصر الكندري (عميد الملك) الّذي كان شيعيّاً غالياً على حدّ تعبير القزويني[٤]. و كذلك كان الأمير أبوالفضل العراقي مقرّباً عنده جدّاً، «فأمره ببناء سور الري، و قم، والمسجد العتيق بقم، والمنائر. و شيّد قبّة لقبر السيّدة فاطمة بنت موسى بن جعفر - عليهاالسّلام -[٥]». و عندما دخل طغرل بك بغداد، تعرّض لهجوم العامّة (السنّة). بينما قام أهل محلّة الكرخ الشيعيّة بحماية أصحابه. و طلب عدنانَ بن السيّد الرضي الّذي كان نقيباً للعلويّين آنذاك و شكره. ثمّ أمر عدداً من جنده بحماية الكرخ من هجوم السنّة[٦]. و لكن لا يبدو أنّ هذه المعلومات، بخاصّة معلومات القزويني، تدلّ على تشيّع عميد الملك الكندري، إذ نقل في هذا المجال أيضاً أنّ طغرل بك نفسه أمر بعد مدّة بإضافة الفقرة المعروفة : الصلاة خير من النوم إلى أذان الصبح في

---

١ - تاريخ گزيده : ٤٢٦ .

٢ - تاريخ غزنويان ١ : ١٩٦ .

٣ - سياستنامه : ٢١٧ .

٤ - آثار البلاد للقزويني : ٤٤٧ .

٥ - نقض : ٢١٩ .

٦ - الكامل لابن الأثير ٩ : ٦١١ .

محلّة الكرخ ذاتها[١]. و جاء في مواضع أُخرى، بعد الإشارة إلى عناد عميد الملك مع الأشاعرة، أنّ عميد الملك أُجيز من قبل طغرل بلعن الروافض و الأشاعرة، فكانوا يُلعَنون على منابر خراسان[٢]. و قال ابن العماد الحنبلي فيه أيضاً : «**و ملَك طغرل بك العراق، و قمع الرافضة، و زال به شعارهم**[٣]».

إنّ أكثر المعلومات تفصيلاً حول وضع الشيعة في العصر السلجوقي، و ما ذكر من التشدّد و التساهل في هذا المجال، نقرأه في كتاب عبدالجليل الرازي. و نحاول هنا أن ننقل ما أورده في كتابه من المعلومات الّتي تمتاز بدقّة خاصّة، لا سيّما أنّها قد عرضت مجزّأة، و عكست الحوادث والمسائل الدقيقة[٤].

كان ثلاثة من السلاجقة حتّى أواخر القرن الخامس من أقدر الحكّام المستقلّين في البلاد الإسلاميّة آنذاك، و قد أخضعوا العالم الإسلامي برمّته لسلطتهم تقريباً إلّا مصر و شمال أفريقية. و يعدّ طغرل بك، و ألب ارسلان، و ملكشاه في مصافّ سلاطين السلاجقة الأوَل. و جاء بعدهم السلطان بركياروق، و محمّد شاه اللّذان حكما مدّة والخلافات ناشبة بينهما، إلى أن تولّى السلطان سنجر مقاليد الأمور مرّة أُخرى، و حكم حتّى أواسط القرن السادس (٥٢٢ هـ).

و جاء في أحد النصوص الّتي طالها تفنيد الرازي: «**و لم يُسمح لهم (أي الشيعة) في إنشاء مدرسة و خانقاه أيّام ملكشاه، و السلطان محمّد - قدّس اللّه روحيهما**[٥]».

و ردّ الرازي على هذا الكلام مشيراً إلى المدارس الشيعيّة، والسادات، و هو يقول : «إذا أردنا أن نتوفّر على إحصاء مدارس السادات في بلاد خراسان، و حدود مازندران، و مدن

---

١ - **تاريخ ابن خلدون** ٣ : ٤٦٠ ؛ **الكامل** ٩ : ٦١٤ .

٢ - **تاريخ ابن خلدون** ٣ : ٤٦٨ ؛ **شذرات الذهب** ٣ : ٣٠٢ .

٣ - **شذرات الذهب** ٣ : ٢٩٥ .

٤ - كتاب **النقض** . صُنّف في حدود سنة ٥٦٠ هـ ، و هذا الكتاب نقض لكتاب عنوانه: **بعض فضائح الروافض** . ينقل المؤلّف فيه نصّاً من الكتاب المذكور أوّلاً ثمّ يشرع في تفنيده و دحضه. و سمّى كتابه : **بعض مثالب النواصب في نقض بعض فضائح الروافض** . و نشير إليه في كتابناهذا بكتاب **النقض**.

٥ - **نقض** : ٣٤ .

الشام من حلب إلى حرّان، و من بلاد العراق[١] كقمّ، و كاشان، و آبه، و متى كانت هذه المدارس، و كم كانت الأوقاف في تلك المدن، لبلغت طومارات من الكتب[٢]». و يتطرّق المولّف بعد ذلك إلى عدد من المدارس الّتي كانت موجودة منذ القديم، أو الّتي شيّدت في عهد هؤلاء السلاطين. و معلوماته هنا رائعة جدّاً.

أمّا الحقيقة فهي أنّ التشدّد كان موجوداً في عهد ملكشاه. و لذلك عندما ورد في أحد النصوص «انّ الإزراء بالرافضة قد بلغ مبلغه في عهد السلطان ملكشاه بالري ! حتّى أُصعدوا علي المنابر، ليؤمنوا[٣]»، فإنّ الرازي لا ينفي ما جاء فيه. كذلك جاء في نصّ آخر أنّ عدداً من الّذين يتحدّثون في مناقب أهل البيت - عليهم السلام - قد قطعت ألسنتهم يومئذٍ[٤]». و هؤلاء كانوا ينشدون الأشعار في مدح أهل البيت - عليهمالسّلام - في كلّ حدب وصوب. و كان هذا التقليد مألوفاً في القرن الخامس والسادس. و في مقابل الشيعة، كان بين السنّة أيضاً من يتحدّث بفضائل أصحابهم[٥].

و ورد في نصّ آخر أيضاً : «إذا كان عند أحد الأمراء في عهد السلطان الماضي محمّد ملكشاه مختار رافضي، فإنّه يرشي أحد علماء السنّة ليبلّغ الأتراك أنّه ليس رافضيّاً، بل هو سنّي أو حنفي». و يواصل هذا المتحدّث كلامه متأسّفاً على ما يُوصف في عصره - لعلّه كان في أواخر القرن الخامس و أوائل القرن السادس - بالقول : إنّ أكثر أرباب الأتراك، والحجّاب، والبوّابين، والفرّاشين هم من الرافضة. و يفتون على مذهب الرفض، و يبتهجون بذلك بلا وجل و لا تقيّة![٦]».

إنّ أهمّ وزير في العصر السلجوقي هو نظام الملك. و كان من أتباع المذهب السنّي المتعصّبين. و هو الّذي أسّس المدرسة النظاميّة للدفاع عن المذهب السنّي، و بثّ العقائد الأشعريّة و الشافعيّة. و اشتهر هذا الوزير بتشدّده ضدّ الفرق الشيعيّة، لا سيّما الإسماعيليّة[٧]. و يتحدّث التاريخ عن محاولاته الكثيرة في قمع الباطنيّة والإسماعيليّة،

---

١ - المقصود عراق العجم الّذي كان يُدعى: الجبل. و يشمل الآن المناطق المركزيّة من ايران حتّى الحدود الغربيّة.

٢ - نقض : ٣٤ . و انظر: ص ٣٥ ـ ٣٦ .

٣ - نفسه : ٤١ .

٤ - نفسه : ١٠٨ .

٥ - انظر: نقض : ٦٤ ـ ٦٥ .

٦ - نقض : ١١٣ .

٧ - انظر : آثار البلاد للقزويني : ٤١٣ .

وإلى جانبهما الشيعة الإماميّة. و كتابه المعروف سياستنامه زاخر بسبّ الشيعة و الإساءة اليهم، و خلط فرقهم المختلفة بعضها ببعض. و أُشير إلى هذا التشدّد في كتاب بعض فضائح الروافض (الكتاب الّذي فنّده الرازي) و قد دحضه الرازي إلى حدٍّ ما.

و ورد في نصّ آخر ما لفظه: «و في عصر كريم ملكشاهي، كان نظام الملك مطّلعاً على سرّ عقيدة هؤلاء. فأذلّهم و امتهنهم جميعاً. و كلّ من ادّعى العلم منهم في الري، كحسكا بابويه، و أبي طالب بابويه، و أبي المعالي إمامتي، و حيدر زيّاتي مكّي، و علي عالم، و أبي تراب دوريستي، والخواجه أبي المعالي نگارگر و غيرهم من الرافضة السبّابين، فإنّه أمر بإصعادهم على المنابر، و نزع العمائم من رؤوسهم، و هتك حرمتهم، و الاستخفاف بهم. و كانوا يقولون لهم: أنتم أعداء الدّين. و أنتم الّذين تلعنون أهل السابقة في الإسلام. و شعاركم شعار الملحدين (الإسماعيليّين). آمنوا إذا شئتم. فكانوا يؤمنون، و يبرأون من مقالة الرفض[١].»

يقول المرحوم الرازي حول هذا النصّ: «أمّا جواب ما نسبه إلى عهد السلطان ملكشاه، فنقول: إنّه كذب و افتراء، لأنّ السلطان المذكور قد أكرم سادات الشيعة بالعطايا و الهدايا. و ذلك ما تنطق به خطوطه و توقيعاته. و هي ما زالت موجودة عندهم، و ما فتئوا يأخذونها. و كان احترامهم و توقيرهم و ترفيعهم أشياء ملموسة و ملحوظة يومذاك[٢]». ثمّ أشار الرازي في النص إلى مكانة العلماء المذكورين و شعبيّتهم آنذاك، و دلّ على أنّ كثيراً منهم كان يحظى باحترام الخواجه نظام الملك. و كان لكلّ واحد منهم عطاياه و حرمته عند السلاطين والوزراء. و هم ليسوا شريحة يتطاول عليها خواجه مثل نظام الملك، و هو الّذي كان يغدق عليهم العطاء، و يرفق بهم كثيراً[٣]. بيد أنّ ما يتّضح من المعلومات التاريخيّة هو أنّهم كانوا يتشدّدون على الشيعة رغم الاحترام الّذي قد يبدونه لساداتهم. طبيعيّاً، إنّنا ينبغي أن لا نغفل عن أنّ هذا التشدّد كان يمارس غالباً ضدّ الباطنيّة و الإسماعيليّة الّذين كانوا يطمحون إلى السلطة والحكم. وكان في ايران مندوب عن الدولة الفاطميّة الّتي كانت

---

١ - نقض: ١٤١ ـ ١٤٢. ٢ - نفسه: ١٤٢.

٣ - نقض: ١٤٤ ـ ١٤٥. يروي مؤلّف نقض أنّ الخواجه كان يذهب عند أبي تراب الدوريستي مرّة في كلّ اسبوعين، و يفيد منه. و هو أحد علماء الشيعة و من أسرة الدوريستي الشيعيّة. للاطّلاع على آل الدوريستي: انظر: دائرة المعارف تشيّع ١: ١٧٢، تعليقات نقض ١: ١٣٤ عن هديّة الأحباب، ذيل كلمة الدوريستي.

قائمة في مصر. وفي هذا المجال كانوا يزاولون نشاطهم. وكان الشيعة الإماميّة أقرب إلى السنّة من الوجهة العقيديّة و الفقهيّة، و لم يفكّروا بالحكم أيضاً، ممّا خفّف الضغوط عليهم، مع أنّهم كانوا يتعرّضون إلى المضايقات دائماً. و يعود هذا إلى أنّ عامّة الناس لم يفرّقوا بينهم و بين الباطنيّة، بل عدوّهما فرقة واحدة، أو أنّهما متقاربان جدّاً.

و عندما تفسّح أحد الأتراك في المجلس لمختارٍ باطني، و أجلسه إلى جواره، وبّخه ألب ارسلان و آخذه. و لمّا سيق ذلك الشخص إلى ألب ارسلان، قال له: يا رُجيل ! أنت باطني و تزعم أنّ خليفة اللّه ليس حقّاً ! فقال الرجل: يا ربّاه ! أنا لست باطنيّاً أنا شيعيّ، أي: رافضي. فقال السلطان: أيّها الفاجر ! هل ترى مذهب الروافض مذهباً حسناً حتّى تتّخذه درعاً لمذهبك الباطني!؟ فهذا سيّىء، و ذلك أسوأ من السيّىء[1]».

طبيعيّاً، كان الشيعة أنفسهم يحترسون كثيراً، بغية المحافظة على أرواحهم. ولم يرغبوا في الاصطدام بالسنّة الّذين كانوا يشكّلون الأكثريّة. و هذه الأكثريّة عندما تتّحد مع السلاجقة و نظام الملك، فمن الطبيعي [أن تكتب في مساجد الشيعة عقيدة أهل السنّة المتمثّلة بقولهم: «خيرالناس بعد رسول‌اللّه أبوبكر الصدّيق[2]»].

إنّ الرافضي من منظار أهل السنّة ممرّ إلى الإلحاد. و قد تحدّث الرازي عن هذه النقطة مفصّلاً، و أثبت أنّ بُناة الالحاد (الباطنيّة والإسماعيليّة) ليس لهم أيّ علاقة بالشيعة الإماميّة. و أكثرهم كان من المشبّهة والمجبّرة الّذين يتمثّلون في فرق أهل الحديث السنّة. و واصل كلامه قائلاً: «و قد تحرّوا في ألَموت كلّها (القلعة المعروفة للإسماعيليّين في شمال قزوين)، فلم يجدوا فيها قمّياً أو كاشيّاً[3]».

و كان الملوك يؤْثرون مصالحهم السياسيّة على مصالحهم الدينيّة دائماً. و إذا رأوا في أحد الأعمال الدينيّة مصلحة سياسيّة لهم، فانّهم يقومون بإنجازه. و من هذا المنطلق، زوّج ملكشاه السلجوقي بنته خاتون سلقم للقائد العسكري عليّ الشيعيّ، و وثق بمجد الملك القمّي (على مستوى الوزارة[4])». و مجد الملك هذا هو الّذي «قام بأعمال خيريّة كثيرة. و بنى قبر الإمام الحسن، والإمام زين العابدين، والإمام الباقر، والإمام الصادق –

---

١ – سياستنامه : ٢١٦ ـ ٢١٧ .

٢ – نقض : ١٤٦ .

٣ – نفسه : ١٣٠ . ما بين القوسين من كلامنا. و قوله: قمّي أو كاشي، إشارة إلى الشيعيّ.

٤ – نفسه : ٢٦١ . و انظر: ص ١٠٩ للاطّلاع على حياة هذا القائد.

عليهم‌السّلام. و كذلك بنى قبرالعبّاس، والإمام الكاظم، والإمام الجواد، والسيّد عبدالعظيم الحسني بالري. و بنى أيضاً قبور كثيرمن السادات العلويّين والأشراف الفاطميّين. و زوّدها بالآلات و العُدد و الشموع و الأوقاف. و ذلك كلّه يدلّ على صفاء عقيدته[١]». و اتُّهم هذا الشخص - الّذي كان شيعيّاً - في النصّ بأنّه أمر بقتل رجل، لأنّ اسمه أبوبكر. و لمّا علم أنّه رافضي، أطلقه. بيد أنّ المؤلّف يفنّد هذا الموضوع، و ينقل قصّة مفادها أنّ مجدالملك كان مديناً لشخصين : أحدهما : سنّي و اسمه عمر، و الآخر شيعي و اسمه عليّ. فأعطى للسنّي دينه نقداً، و أخّر تسديد الدَين للشيعي. فتعجّب الناس قائلين : «أليس عجيباً أن ينقد الملك عمر و ينسأ عن عليّ دَينه ؟! لكنّ مجدالملك قال: أنا أعرف ذلك، و فعلت ما فعلت ليعلم الناس أن لا تعصّب في ملكنا و معاملتنا، و لا غرو فإنّي أحترم عليّاً و أُحبّه. و استحسن الناس هذا منه[٢]».

و يتبيّن من هذه المواقف أنّ السلطان و أُمراءه كانوا يتّصفون بالمرونة حيال السنّة أو الشيعة. و إذا كان ملكشاه يتشدّد ضدّ الشيعة تشدّداً خاصّاً، فإنّ ذلك يعود غالباً إلى دور الوزير نظام الملك الّذي كان يحرّضه على هذا العمل.

و ينقل نظام الملك معلومات عن ألب أرسلان مفادها أنّه يذكر أهل العراق والديلم بسوء الدّين و المذهب. و يوصي كبار حكومته أن لا يسمحوا لهم بالتسلّل في صفوف الجيش التركي «لأنّهم ينفذون بين الأتراك تدريجاً، و إذا ما نفذوا فقلّما يحدث في العراق تحرّك، أو ينوي الديلميّون سوءً في البلاد. و يتّحد هؤلاء سرّاً و علانية، و ينهضون لإبادة الأتراك[٣]».

و يقول الخواجه في موضع آخر : «لم يجرأ أحد من المجوس، والنصارى، والروافض في عهد السلطان محمود، و مسعود، و طغرل بك، و ألب ارسلان على الظهور في الساحة أو القدوم عند الأتراك[٤]».

و يواصل كلامه قائلاً: «إذا قدم امرؤ إلى أحد الأتراك آنذاك مختاراً أو فرّاشاً أو حوذيّاً،

---

١ - نقض : ٢١٩ ـ ٢٢٠ .

٢ - نفسه : ٨٢ ـ ٨٣ . و اتُّهم مجدالملك فيما بعد أنّه كان يعضد الإسماعيليّين في قتل أُمراء السلاجقة. الكامل، حوادث سنة ٤٩٢ هـ، انظر : تعليقات‌نقض ١ : ٢٦٥ .

٣ - سياستنامه : ٢١٨ .	٤ - نفسه : ٢١٥ .

فإنّه يُسأَل عن مدينته و مذهبه. فإذا كان حنفيّاً أو شافعيّاً، أو كان من أهل خراسان وماوراء النهر، أو أيّ مدينة سنّيّة، فإنّه يجد ترحيباً عنده. و إذا كان شيعيّاً أو من أهل قم، وكاشان، و آبه، فإنّه لا يلقى ترحيباً من لدنه. و يقول له: إنّا قتلة الأفاعي، لا مربّوها ... و إذا سمع السلطان طغرل ، والسلطان ألب أرسلان أنّ أميراً أو شخصاً تركيّاً استمال رافضيّاً، فإنّهما يوبّخانه و يغضبان من عمله[١]».

و ينقل الخواجه قصّة حدثت في عهد ألب أرسلان، يذكر فيها أنّ أحد مبعوثي وزير السلاجقة اتُّهم عند شمس الملك أنّه رافضيّ، فكتب إلى الوزير قائلاً: «إذا سمع (السلطان) أنّ الجكليّين[٢] نعتوني بالرفض، هكذا إذا سمع ملك سمرقند (شمس الملك)، فلا آمن على حياتي. و على الرغم من براءته، فإنّه دفع ثلاثين ألف دينار من الذهب، والتمس، و رجا، و أعطى ما أعطى كي لا يسمع السلطان عنه شيئاً[٣]». و بالنظر إلى هذا الموضوع، فإنّ أهل السنّة أفادوا فائدة تامّة من حكومة الأتراك. و اتّخذوا من هذه الحكومة وسيلة لقمع التشيّع الّذي كان حديث عهد في تنامبه يومذاك. و بلغ الأمر أنّ أحاديث قد وُضعت لتمجيد الأتراك، على شرط محافظتهم على المذهب السنّي الحنفي! و نقل الراوندي في راحة الصدور و آية السرور أنّ أبا حنيفة مسك حلقة الكعبة يوماً و صاح : اللّهمّ ! إن كان الاجتهاد بيدك و كان مذهبي حقّاً، فانصره. فإنّ هؤلاء يحفظون شرع المصطفى لوجهك». فأجابه هاتف من داخل الكعبة قائلاً : «حقّاً قلت، لازال مذهبك مادام السيف في يد الأتراك[٤]».

و نستخلص ممّا تقدّم أنّ الحكومة السلجوقية كانت حامية المذهب السنّي بلا مراء، مع أنّ عمل الشيعة في الشؤون الإنشائيّة - رغم الضغوط الكثيرة - قد أبقى جذوة التشيّع متوهّجة، مضافاً إلى أنّه ساعد على ارتقائه و اتّساع نطاقه أيضاً. و ما وجود عدد من الوزراء الشيعة في الحكومة العبّاسيّة و السلجوقيّة كهبةاللّه محمّد بن عليّ وزير المستظهر، و سعدالملك الآوجي وزير محمّد بن ملكشاه، و شرف الدّين انوشيروان خالد

---

١ - سياستنامه : ٢١٦ .

٢ - هذا اسم أطلقه التركمان السلاجقة على جميع الأتراك الشرقيّين. المصدر السابق ص ٣٣٧.

٣ - نفسه : ١٣١ .

٤ - راحة الصدور و آية السرور : ١٧ ، تصحيح محمّد اقبال.

كاشاني وزير المسترشد، و محمود بن ملكشاه، إلّا دليل ساطع على ما نقول[1].

و جاء في تاريخ ايران كمبريج ما نصّه : على الرغم من السياسة الّتي انتهجها السلاجقة ضدّ الشيعة يومئذٍ، فإنّ مراكزهم ظلّت متألّقة مزدهرة في إيران. كما كانت في مناطق أُخرى غيرها[2]. علماً أنّ الاتّهام بالرفض في بعض المناطق كان خطراً إلى درجة أنّ الزمخشري (المتوفّى سنة ٥٣٨ هـ) قد ترك الصلاة على آل رسول اللّه فراراً من هذه التهمة[3].

حركة الإسماعيليّة في إيران خلال القرن الخامس

عُرفت الدعايات الإسماعيليّة بجاذبيّة خاصّة، إذ كان بمقدورها أن تستقطب الإنسان المتصلّب في مذهبه السنّي، أو حتّى المنتمي إلى فرق أهل الحديث و تجعله في صفوف الاسماعيليّة والباطنيّة. و ليس اعتباطاً أن نلاحظ تغلغل العقائد الإسماعيليّة على صعيد واسع في المراكز الّتي كان للمذهب السنّي اليد الطولى فيها، كساوه، و أصفهان، و قزوين، و غيرها، و ذلك في أواخر القرن الخامس و أوائل القرن السادس. و كانت خراسان من أهمّ مراكز الإسماعيليّة، إذ إنّ بُعدها عن بغداد جعلها مكاناً مناسباً للباطنيّة. بيد أنّ عقبات كثيرة قد ظهرت في طريق دعاتهم، إذ جوبهوا بمعارضة شديدة من قبل السامانيّين، و بعدهم الغزنويّين، ثمّ السلاجقة في نهاية المطاف.

و هؤلاء جميعاً ظهروا في بلاد ماوراءالنهر والمناطق الجنوبيّة منها. و على الرغم من هذه المعارضة الشديدة، فإنّ الإسماعيليّين قد أرصدوا لأنفسهم في هذه المنطقة، وواصلوا حركتهم في القرن الرابع. و نلمس نشاطاتهم المكثّفة أيضاً في هذه المنطقة و مناطق أُخرى غيرها خلال القرن الخامس. و نحاول هنا أن نعرض المعلومات المتفرّقة حول نشاطاتهم بشكل منظّم:

لقد لاحظتم فيما تقدّم أنّ السلطة الحقيقيّة في خراسان كانت بيد الغزنويّين في أواخر القرن الرابع و أوائل القرن الخامس. و هم من أكثر الحكّام تشدّداً ضدّ الباطنيّة

---

١ - تاريخ إيران ـ كمبريج ٥ : ٢٧٩.
٢ - نفسه : ٢٧٩.
٣ - الإمام الصادق و المذاهب الأربعة ١ : ٢٥٣.

والشيعة الإثني عشريّة في هذه المنطقة. لكنّنا نشاهد أيضاً أنَّ الإسماعيليّين لم يتركوا نشاطاتهم.

يقول المستوفي: جاء رجل تاهرتي[١] من مصر مبعوثاً من قبل الحاكم الفاطمي إلى السلطان محمود، و هو يحمل إليه رسالة. و أظهر هذا الرجل الدعوة الباطنيّة في إيران. واستجاب لدعوته عدد كبير من الناس، و بلغ عمله ذروته، فأحضره السلطان و داراه (و ألزمه الحجّة بأدلّة و براهين عقليّة و نقليّة). و أطفأ نار تلك الفتنة بحنكته و تدبيره[٢]». ونقل العتبي معلومات مفصّلة عن هذه الحركة، و قال : «بلغ السلطانَ محموداً أنّ جماعة قد ظهرت و هي مرتبطة بحاكم مصر. ظاهر دعوتها الرفض، و باطنها كفر محض ...» (فأمر السلطان) بجلب أفرادها جميعاً إلى البلاط حيثما كانوا. و لمّا جُلبوا، ربطوهم على الأشجار، و رجموهم ... في غضون ذلك، قام رجل من أهل العراق، ينتسب إلى الدوحة العلويّة، فأعرب عن عزمه على الذهاب إلى السلطان محمود حاملاً إليه رسالة من حاكم مصر ... و أخيراً أُفتي بهدر دم الرجل التاهرتي الّذي كان قد ادّعى أنّه يحمل رسالة الحاكم المذكور، فقتلوه[٣]».

و جاء في مصدر آخر أيضاً «أنّ سبكتكين قد قطع دابر فساد الباطنيّة في خراسان[٤]». وسبكتكين هذا هو والد محمود الغزنوي الّذي كان من غلمان ألب تكين - أحد أمراء الدولة السامانيّة - ثمّ انفصل عنهم. و بعد مضيّ فترة على وفاته، أصبح سبكتكين أميراً. وبذلك تأسّست الحكومة الغزنويّة.

و في الفترة الأخيرة من الحكم الساماني، اتّهم عبدالملك بن نوح وزيره أبا منصور محمّد بن عزيز، وكذلك قائد جيشه أبا سعيد بكر بن مالك الفرغاني بالقرمطيّة،

---

١ - نسبة إلى تاهرت إحدى مدن المغرب، و هي من المناطق الّتي كانت خاضعة للسلطة الإسماعيليّة منذ أواخر القرن الثالث.

٢ - تاريخ گزيده : ٣٩٤.

٣ - تاريخ يميني : ٢٣٧ ـ ٢٣٩.

٤ - طبقات ناصرى لمؤلّفه منهاج سراج : ٢٢٧.

و قتلهما[١]. و لعلّ هذه التهمة كانت ذريعة لقتلهما و مصادرة أموالهما (هذا العمل كان مألوفاً عند الغزنويّين). و لكنّنا لا نستبعد أنّ الإسماعيليّين تغلغلوا «مرّة أُخرى» في صفوف السامانيّين إلى هذه الدرجة.

و نقل منهاج سراج معلومات عن وجود القرامطة في هذا العصر، ننقلها فيما يأتي نصّاً: «و ظهر أعيان القرامطة والملاحدة في بلاد الطالقان أيّام نوح بن منصور. و استجاب لهم حشد غفير من الناس. و أخضعهم الأمير سبكتكين لسلطته، و شنّ الحرب عليهم. و لُقّب ناصرالدين»... و واصل عمله فهزم جيش أبي علي سيمجور. ذلك الجيش الّذي «كان أكثر أعيان و وجهاء الولايات فيه قد انتموا إلى القرامطة و أقرّوا بدعوتهم[٢]». و أشار حسن بن الصبّاح أيضاً في ترجمته إلى الميول الإسماعيليّة لسيمجور[٣]. و كان طبيعيّاً أن يتّخذ السلطان محمود نجل سبكتكين هذا الموقف نفسه. حتّى إنّه عندما كان مشغولاً في أعماله العسكريّة بالهند، قاتل الإسماعيليّين الّذين كانوا في مولتان. مع أنّهم قد تمرّدوا مرّة أُخرى في عهده، و استمرّوا قرنين من الزمان[٤]. يقول العتبي: «كان أبوالفتح لودى والي مولتان (بين قندهار ولاهور) معروفاً بخبث النِحلة، و فساد الطويّة، و رجس الاعتقاد، و قبح الإلحاد... فبلغ خبره السلطان محمود، فأنهضته الحميّة على الإسلام والغَيرة على الدّين إلى دفع ضرره، و اجتثاث معرّته...[٥]».

و هذه الخلفيّة أدّت فيما بعد إلى مضاعفة تشدّدهم على الإسماعيليّة. و إنّ العقائد الّتي كانوا يتمسّكون بها معروفة بمناوأتها للشيعة تماماً. و قد أعلنوا دعمهم لفرقة الكرّاميّة

---

١ - طبقات ناصرى لمؤلّفه منهاج سراج : ٢١٠.

٢ - نفسه: ٢١٣.

٣ - تاريخ و فرهنگ لمينوي : ١٧٩.

٤ - تاريخ إيران از إسلام تا سلاجقه : ١٥٦.

٥ - تاريخ يميني : ١٨٠ ؛ جامع التواريخ ، القسم الخاص بالسلطان يمين الدولة محمود بن سبكتكين : ١١١. مؤلّفه دبيرسياقي. زين الأخبار لكرديزي : ٥٥.

الّتي عدّت من فرق المشبّهة، وكانت تمثّل خطّاً في مقابل أهل «العدل والتوحيد (المعتزلة والشيعة[١]).» كما أنّ الفقه الّذي كان يحظى بدعمهم هو الفقه الحنفي فحسب. و عندما مات محمود، فإنّ الإسماعيليّة و سائر الفرق الشيعيّة قد ابتهجت و اغتبطت. و لذلك قال فرّخي في رثائه و تعريبه : آه، فالآن قد ابتهج القرامطة، و أمنوا على أرواحهم من وطأة التشريد و الاعدام[٢].

و كان للإسماعيليّة أنفسهم نفوذ عميق في بلاد ماوراء النهر. و سنلاحظ أنّهم قد تعرّضوا للقمع و الإبادة في هذه المنطقة مرّات كثيرة. كما كانوا من قبل يعيشون تحت ضغوط مستمرّة.

و عندما أفرط محمود في قمعه للإسماعيليّة، فإنّ الحاكم الفاطمي في مصر الظاهر لاعزاز دين اللّه بعث إليه رسالة مع خُلَع كثيرة. و قد بادر الحاكم المذكور إلى هذا العمل ليخفّف ضغوط محمود على الإسماعيليّين و لعلّه يستميله إليه. بيد أنّ ما قام به لا يمكن أن ينسجم مع توجّهات محمود الدينيّة. كما أنّه مرفوض من الوجهة السياسيّة. ذلك أنّ بُعد غزنة عن القاهرة أضعاف بعدها عن العراق. و أنّ حدوث تقارب سياسيّ أمر متعذّر.

---

١ - بشير العتبي ، في سياق نقل الحوادث الدينيّة الواقعة في ذلك العصر، إلى نفوذ أبي بكر محمّد بن إسحاق بن محمشاد في المرحلة الأولى من حكومة محمود. و كان هذا الشخص من الكرّاميّة. ثمّ تدرّج فأصبح قوّة مستقلّة مستغلاً موقعه، و عناده الشديد للإسماعيليّة بوجه خاص، فكان سبباً في خلق المتاعب للناس . و في ضوء ما قاله العتبي، فانّ «... كلّ من وقف أمام مطالب الأصحاب (من الكرّاميّة) أو شكا منهم، أو منع شيئاً ممّا يريدون، فإنّه يُنسب إلى الإلحاد و فساد العقيدة، حتّى أنشد أبوالفتح البستي قائلاً:

الفقه فقه أبي حنيفة وحده | والدّين دين محمّد بن كرام
إنّ الّذين أراهمُ لم يؤمنوا | بمحمّد بن كرام، غير كرام

تاريخ يميني ٢٥٤ . بيد أنّ نفوذه تقلّص بعد مدّة بسبب قدوم القاضي أبي العلاء موفَداً من قبل حكومة بغداد، و مخالفته الشديدة لعقائد الكرّامية التشبيهيّة. و أمن على روحه لانكاره التشبيه . ثمّ رمى أبا العلاء بالاعتزال و لم يستطع إثبات ذلك . و هكذا يبدو تقلّص نفوذ الكرّاميّة في أواخر عهد السلطان ، و هم الّذين كانوا - على حدّ تعبير العتبيّ - «قد راجت سوق نفاقهم بسبب احترام سبكتكين لأبي بكر» . انظر: تاريخ يميني: ٢٥٥ ، ٢٥٦.

٢ - ديوان فرّخي : ٩٣ . انظر: تاريخ ايران از اسلام تا سلاجقة : ١٦٠ .

آه و دردا كه كنون قرمطيان شاد شوند | ايمني يابند از سنگ پراكنده و دار

لذلك أرسل محمود تلك الخلع إلى الحاكم العبّاسي القادر، و قال: «أنا الخادم الّذي أرى الطاعة فرضاً. و أرسلت هذه الخلع لترسم فيها ما ترى». ثمّ تمّ إحراق الخلع على باب النّوبي، فخرجت منها سلع كثيرة وزّعت على بني‌هاشم[1]. و قام محمود بهذا العمل من أجل دفع التهمة عن نفسه، لأنّ المنطقة الشرقيّة من ايران الّتي كانت محفلاً للإسماعيليّة يومئذٍ، ذات أرضيّة مساعدة على اتّهام حكّامها أو أمرائها بمثل هذه النزعة، كما حدث ذلك لسيمجور. و إنّما أخذ محمود هذه النقطة بعين الاعتبار فتصرّف كما تقدّم. وكان يحاول دائماً أن يدفع هذه التهمة. و يحصل على دعم الحكّام العبّاسيّين. و لذلك عندما توجّه التاهرتي مبعوث الحاكم الفاطمي إلى غزنة، أمر بإرجاعه إلى نيسابور لئلاً «... تتلوّث أذيال طهارته بغبار هذه التهمة !». و حينما قتله، و وصل خبره إلى بغداد «... انعقدت ألسنة المغرضين و العاذلين». على حدّ تعبير العتبي[2]. وهذا يدلّ على أنّ أعداءه و خصومه لصقوا به مثل هذه التهم، فكان يتشدّد كثيراً لإثبات نزاهته و براءته منها.

و وردت إليه تعليمات من العاصمة العبّاسيّة في السنين الأولى من القرن الخامس تأمره بقتل المعتزلة، والرافضة، و الإسماعيليّة، والقرامطة، والجهميّة، والمشبّهة أو إبعادهم ولعنهم على المنابر[3]. و هو الّذي كان يتطلّع دائماً إلى الألقاب و الخلع المهداة من العاصمة العبّاسيّة، لذلك كان يبذل قصارى جهده في هذا المجال، أملاً في دعم موقعه المعنويّ والسياسيّ. و نلحظ أنّ القادر العبّاسي أرسل إليه خلعة نفيسة و ثمينة لم يحظ بها أحدٌ من الملوك و السلاطين».

وكان بغراخان أحد ملوك ماوراء النهر قد شغله الإسماعيليّون أيضاً. و في ضوء ما نقله ابن الأثير عن حوادث سنة ٤٣٦ هـ، فإنّ بغراخان قد أوقع بجمع كثير من الإسماعيليّة، و ذلك أنّ خلقاً منهم قد جاؤوا إلى ماوراءالنهر، و دعوا إلى طاعة المستنصر باللّه العلوي، فتبعهم جمع كثير. و عندما سمع بغراخان بخبرهم، خاف في البداية أن يسلم منه بعض من أجابهم من أهل تلك البلاد (لأنّ الإسماعيليّة كانوا يمارسون نشاطهم بشكل تنظيم

---

١ - الكامل ٩ : ٣٥٠؛ البداية و النهاية ١٢ : ١٧ - ٢٩؛ مجمع الأنساب لشبانكاره‌اى : ٦٠. و لكن جاء في الكامل قوله : فخرج منها ذهب كثير وزّع على ضعفاء بني هاشم. المعرّب

٢ - تاريخ يميني : ٢٣٩. و انظر : زين الأخبار لگرديزي : ٥٦.

٣ - البداية و النهاية ١٢ : ٦.

قويّ و سرّيّ[1]).فأظهر لبعضهم أنّه يميل إليهم و يريد الدخول في مذهبهم. و تعرّف عليهم و على مجالسهم جيّداً، ثمّ أمر بقتلهم وكتب إلى سائر البلاد بقتل من فيها منهم، ففُعل بهم ما أمر و سلمت البلاد منهم[2].

و على الرغم من قول الخواجه: «إنّ أيّ مجوسيّ، أو يهوديّ، أو نصرانيّ، أو رافضيّ لم يجرأ على الظهور في الساحة السياسيّة أو المجيء عند أحد الكبار المتنفّذين في أيّام محمود، و مسعود، و طغرل، و ألب أرسلان[3]»، فإنّ الحركة الإسماعيليّة كانت قد امتدّت في أواخر القرن الرابع و أوائل القرن الخامس. و أصبحت تشكّل خطراً رئيساً على الحكومة العبّاسيّة لأسباب متنوّعة. و نقرأ أنّ الحاكم العبّاسي المطيع الّذي كان أُلعوبة بيد البويهيّين يطلب من بختيار نجل معزّالدولة «أن يخمد فتنة القرامطة الّتي انتشرت في آفاق البلاد. و قال له: ينبغي القضاء على هؤلاء القوم» وكان ذلك في أواسط القرن الرابع. بيد أنّ بختيار لم يُلق لكلامه بالاً. ممّا أدّى إلى حدوث شقاق بينهما، انتهى بتنصيب بختيار الطائع مكان المطيع[4]».

بعد ذلك، كان الفاطميّون في مصر يكرّون على شتّى المناطق و يُحكمون قبضتهم عليها باستمرار. و نلحظ أنّ كثيراً من حكّام الأطراف يخطبون باسمهم. حتّى أنّ العبّاسيّين لم يتمكّنوا من المحافظة على سلطتهم إلاّ بمؤازرة البويهيّين، ثمّ السلاجقة من بعدهم. و أصبحت حكومتهم منذ أواسط القرن الثاني أُلعوبة بيد الحكّام الّذين كانوا يسيطرون على مختلف الأمصار. وكان العراق العربي وحده بيد العبّاسيّين حتّى ظهور البويهيّين. ولكنّه أيضاً سقط بأيديهم و أيدي غيرهم من الحكّام فيما بعد[5].

و في المقابل، نجد الفاطميّين الّذين تأسّست حكومتهم أوّل الأمر في المغرب (مراكش) من قِبل أبي عبدالله الشيعي في أواخر القرن الثالث، قد سيطروا على مصر في القرن الرابع أيضاً. و تمتّعوا بقدرة عظيمة على امتداد القرن الرابع والخامس. بخاصّة، أنّ حوزتهم السياسيّة كانت تتوطّد يوماً بعد يوم بسبب جهودهم الإعلاميّة في بثّ الدعوة الباطنيّة. و أنّ كثيراً من الّذين قويت شوكتهم في مختلف الأرجاء، كانوا إمّا قد تلقّوا

---

١ - تاريخ يميني: ١٣٨.
٢ - الكامل ٩: ٥٢٤.
٣ - سياستنامه: ١٦١ - ١٦٢.
٤ - طبقات ناصري: ٢٢١.
٥ - انظر: تاريخ ابن خلدون ٣: ٤١٩ - ٤٢٠.

تعليماتهم الدينيّة في مصر (كناصرخسرو، و الحسن بن الصبّاح، و أبي حمزة الاسكاف[1])، أو تأثّروا برسل الفاطميّين في الحواضر المتنوّعة.

و استطاع الفاطميّون أن يسيطروا على قسم مهمّ من المناطق الإسلاميّة في القرن الرابع. و بلغت قدرتهم الماليّة حدّاً أنّهم بعثوا إلى الحاكم العبّاسي مالاً ليصلح به نهراً في الكوفة[2]. و لا جرم أنّ هذا العمل يعدّ جهداً إعلاميّاً.

يقول ابن خلدون: «و في أوّل المائة الخامسة خطب قرواش بن المقلّد أمير بني عقيل لصاحب مصر الحاكم العلوي في جميع أعماله. و هي: الموصل، والأنبار، والمدائن، والكوفة. فاستعدّ الخليفة أن يعدّل حركة قرواش من خلال إرسال الأموال الكثيرة. و كان ذلك داعياً في كتابة القادر محضراً بالطعن في نسب العلويّة بمصر. و شهد فيه الشريف الرضي، والشريف المرتضى، و ابن البطحاوي، و ابن الأزرق، والزكي، و أبو يعلى، و ابن الأكفاني، و ابن الجزري، و أبو العبّاس الأبيوردي، و أبوحامد الأسفرايني، وكثير غيرهم[3]. و في سنة ٤٤١ هـ أيضاً، و في سنة ٤٤٤ هـ كما ذهب ابن كثير[4]، نُشر محضر آخر مماثل لذلك المحضر، و زيد فيه انتسابهم إلى المجوس، واليهود.

و اتّخذ القادر العبّاسي هذه الخطوة للحؤول دون نفوذ الإسماعيليّة. و إلّا كان واضحاً أنّ نسبهم صحيح. كما أنشد الشريف الرضيّ شعراً في صحّته[5]. و ذكر ابن خلدون أيضاً أدلّة أُخرى حول صحّة النسب المذكور[6]، ليس هنا موضع بحثها.

وكانت الخطبة في المدينة و مكّة باسم العلويّين على امتداد القرن الرابع. و استمرّت فترة طويلة. وكانت تدور بين العبّاسيّين والفاطميّين تبعاً لقوّتهما و ضعفهما[7].

---

١ - انظر: تاريخ ابن خلدون ٤ : ٩٥.

٢ - البداية و النهاية ١٢ : ٤٠.

٣ - تاريخ ابن خلدون ٣ : ٤٤٢؛ الكامل ٩ : ٢٣٦. و انظر: البداية والنهاية ١٢ : ٦٢. و شذرات الذهب ٣ : ١٦٠ ـ ١٦١. و الكامل ٩ : ٢٢٣. «في قرواش بن مخلّد».

٤ - البداية النهاية ١٢ : ٦٣.

٥ - تاريخ ابن خلدون ٣ : ٣٦٠؛ البداية والنهاية ١٢ : ٤؛ عمدة المطالب : ٢٣٥.

٦ - تاريخ ابن خلدون ٤ : ٣١.

٧ - البداية و النهاية ١٢، حوادث سنة ٣٦٧ و ٤٧٩ هـ، و انظر: شذرات الذهب ٣ : ٣٦٣؛ تاريخ گزيده: ٣٤٩.

و نلاحظ أيضاً أنّ محمود بن صالح مرداس الّذي سيطر على حلب في منتصف القرن الرابع كان يخطب باسم الفاطميّين، ثمّ ترك ذلك بسبب القدرة المتعاظمة لألب أرسلان. و لكنّه أعاد الخطبة باسمهم بعد ثلاث سنين[١]. وكانت الخطبة في الموصل، و واسط باسم الفاطميّين بعد دخول طغرل بك إلى بغداد[٢]. و بلغت قدرة الفاطميّين حدّاً أنّ الخطبة كانت تقرأ باسمهم سنة كاملة في بغداد نفسها، و ذلك في عام ٤٥٠ هـ، حتّى فرّ الحاكم العبّاسي منها[٣]. و هكذا كان ديدن المناطق الأخرى. و نقرأ أنّ أمراء كثيرين قد تأثّروا بالفاطميّين و سلطتهم في القرن الرابع، فكانوا يخطبون باسمهم[٤]. و نلحظ أنّ بعض الامراء الشيعة أيضاً كانوا يخطبون باسم العبّاسيّين كدبيس بن علي، ثمّ عدل هذا الأمير عنهم إلى العلويّين المصريّين بسبب جور العبّاسيّين ضدّ الشيعة و مقابر أهل البيت[٥]. وهكذا استثمر قدرة العلويّين لتعديل الحكّام العبّاسيّين في إصرارهم على المذهب السنّي.

و نقل لنا التاريخ أنّ شرف الدولة (أبو) المكارم بن أبي المعالي صاحب الجزيرة و حلب، الّذي كان رافضيّاً قد اتّسعت ممالكه، و دانت له العرب. حتّى طمع في الاستيلاء على بغداد (بعد موت طغرل بك) ... لكّنه قتل بعد مدّة في حربه مع سلمان بن قتلمش السلجوقي[٦]. و يشير المستوفي إلى أنّ الحاكم الفاطمي طلب من بهاء الدولة، الّذي كان من أكبر السلاطين البويهيّين في أواخر القرن الرابع، وكذلك طلب من أمراء المناطق الخاضعة للسلطة العبّاسيّة أن يخطبوا باسمه. فوافق بعضهم على ذلك، ثمّ صدفوا عنه بعد مدّة[٧].

هذه التحرّكات كانت متعذّرة في ايران. و صحيح أنّ البويهيّين كانوا شيعة، و أنّ حكّامهم المتأخّرين كانوا لا يزالون متمسّكين بتشيّعهم كجلال الدولة الّذي كان يأتي لزيارة مشاهد الأئمّة الطاهرين ماشياً نحو فرسخ[٨]، إلّا أنّهم لم يميلوا إلى حكومة

---

١ - تاريخ ابن خلدون ٣ : ٤٧٠.

٢ - نفسه : ٤٦٠ ـ ٤٦١. و انظر : البداية و النهاية ١٢ : ٧٧.

٣ - تاريخ ابن خلدون : ٤٤٩ ؛ تاريخ گزيده : ٣٥٤ ؛ راحة الصدور : ١٠٨ ؛ الكامل ٩ : ٦٤١.

٤ - البداية والنهاية ١٢ : ١٥٤ ؛ الكامل ٩ : ٦١٤ ـ ٦١٥.

٥ - تاريخ ابن خلدون ٣ : ٤٥٥.

٦ - شذرات الذهب ٣ : ٣٦٢.

٧ - تاريخ گزيده : ٣٥١.

٨ - الكامل ٩ : ٥١٦. لم يرد في المصدر المذكور: عدّة فراسخ، كما قال المؤلّف بل ورد قوله: نحو فرسخ. المعرّب.

الفاطميّين الإسماعيليّين. ذلك أنّهم كانوا إماميّة اثني عشريّة من الوجهة العقيديّة. كما كانوا غير مستعدّين للتنازل لهم حفظاً لاستقلالهم من الوجهة السياسيّة.

أمّا في شرق إيران، فكان هذا التحرّك غير ممكن، لأنّ هذه المنطقة تعتبر مركز التسنّن يومئذٍ. بيد أنّ جهوداً كانت ملموسة في هذا المجال. و مارس الإسماعيليّون نشاطهم في إيران كما مرّ بنا سابقاً. و هذه النشاطات هي الّتي أفضت في نهاية القرن الخامس إلى خضوع مساحة شاسعة من المناطق المركزيّة الايرانيّة و حتّى من محافظتي فارس، و خوزستان لنفوذ الإسماعيليّين و هيمنتهم فجأة. و تمكّنوا من الصمود مدّة طويلة أمام أعظم الملوك، و هم السلاجقة، و أدهى الوزراء، و هو نظام الملك الّذي قتلوه هو و أبناءه! وكان نشاطهم ملحوظاً قبل ذلك أيضاً بشكل متفرّق. و حدث مرّة أن قتلوا أحد الأمراء في همدان سنة ٤٤٠ هـ، و هذا الأمير هو آقسنقر الّذي كان قد أراق دماءهم[1].

و من دعاة الإسماعيليّة في بلاد فارس : الشاعر الفارسي ناصر خسرو الّذي يعتبر ديوانه الشعري أهمّ أثر له بين الفرس. وكان هذا الشاعر أحد العاملين في البلاط الغزنوي. و عندما استولى السلاجقة على خراسان، توجّه إلى مصر في أواخر العقد الرابع من القرن الخامس. و مكث هناك مدّة طويلة تلقّى خلالها التعاليم الإسماعيليّة. و عرض الباحث الروسي إيوانوف بعض المعلومات عن ركونه إلى المذهب الإسماعيلي، و هي كلّها مشوبة بالحدس والظن. و جاء بعضها اعتماداً على ما ذكره ناصر خسرو في آثاره العديدة. و يرى إيوانوف أنّ ناصر خسرو كان شيعيّاً، و بنى رؤيته هذه على أساس اعتقاده بتشيّع البيئة الخراسانيّة في القرن الخامس (و هذا الاعتقاد - طبعاً - خطأ محض). و على الرغم من أنّ هذه الرؤية محتملة، بيد أنّ العمل في البلاط الغزنوي لا ينسجم مع هذه النزعة، إلاّ أن يكون ناصر خسرو قد عمل بالتقيّة. و ما يجدر ذكره هنا هو أنّ الباطنيّة كانوا يمارسون بعض النشاطات في خراسان. فلا نستبعد تأثّره بهم، بما كان عليه من روح خاصّة. و ذكر ايوانوف نماذج من آثاره تدلّ على إسماعيليّته، و يمكن للراغبين مراجعة مصدرها المتمثّل بأشعاره الموجودة في ديوانه المطبوع بطهران (ص ١٧٢ - ١٧٧).

و عندما أكمل ناصر خسرو مرحلته التعليميّة في مصر أيّام المستنصر باللّه سنة ٤٤٤ هـ

---

١ - الكامل ٩ : ٥٥٢.

، دخل بلخ مسقط رأسه. ثمّ سافر إلى مازندران، و لعلّ سفرته هذه كانت من أجل الدعوة. و من المؤكّد أنّه كان منهمكاً بأمر الدعوة طول الفترة الّتي كان فيها هارباً. و عُرف أخيراً ففرّ إلى الهند و منطقة يمگان. ثمّ وافاه الأجل هناك بعد مدّة[1].

و كانت الأحوال الّتي يعيش فيها، بخاصّة مرحلته الإعلاميّة، عصيبة جدّاً. فقد أقضّ الغزنويّون، و بعدهم السلاجقة مضاجع الإسماعيليّة، و نغّصوا عليهم عيشهم. و على الرغم من أنّ الدعوة الاسماعيليّة قد تنامت في ظلّ تلك الضغوط و المضايقات، و أحكم رجالها قبضتهم على مناطق فسيحة، بيد أنّ تلك الأوضاع الحرجة الّتي عاشها دعاة الإسماعيليّة تركت بصماتها على حركة ناصر خسرو و لذلك لم تبق له آثار كثيرة. مع أنّ العمل السرّي الشديد للإسماعيليّة يمكن أن ينسف هذا الرأي. و ينقل مينوي على لسان الحسن بن الصبّاح في مذكّراته «... أنّ ناصر خسرو الشاعر و الحكيم و الفيلسوف قد نُصب حجّة لخراسان من قبل الفاطميّين. و تجوّل في مناطق إيران المختلفة، و كان يدعوا الناس فيها إلى الإسماعيليّة. بيد أنّه لم ير غير النفي والتشريد، و لم يقدّم عمل الدعوة إلى الأمام[2]».

---

١ - انظر: إسماعيليّان در تاريخ، مقالة بعنوان ناصرخسرو و إسماعيليّان بقلم إيوانوف، ص ٤١٠ فما بعدها.

٢ - تاريخ و فرهنگ لمينوي : ١٧٩ . انظر : مجمع التواريخ السلطانيّة : ١٩١ ، لمحمّد مدرّسي زنجاني.

التشيّع الاثناعشريّ في القرن الخامس و السادس

كان متوقّعاً أن يفقد الشيعة نفوذهم مع أفول شمس البويهيّين. ذلك الأُفول الذي تحقّق بعد مجيء الملك السلجوقي الأوّل طغرل بك، و سجن آخر سلطان من سلاطينهم، و هو الملك الرحيم. يقول ابن كثير: «بعد سقوط الملك الرحيم، أُلزم الروافض بترك الأذان بحيّ على خير العمل. و أُمروا أن ينادي مؤذّنهم في أذان الصبح بعد حيّ على الفلاح: الصلاة خير من النوم مرّتين. و أُزيل ما كان على أبواب المساجد و مساجدهم من كتابة محمّد وعليّ خير البشر. و من أبى فقد كفر. و دخل المنشدون من باب البصرة (وكر السنّة المتعصّبين) إلى باب الكرخ ينشدون بالقصائد الّتي فيها مدح الصحابة. و ذلك أنّ قوّة الروافض اضمحلّت، لأنّ بني بويه كانوا حكّاماً، و كانوا يقوّونهم و ينصرونهم فزالوا وبادوا، و ذهبت دولتهم. و جاء بعدهم قوم آخرون من الأتراك السلجوقيّة الّذين يحبّون السنّة. و أمر رئيس الرؤساء الوالي بقتل أبي عبدالله بن الجلّاب شيخ الروافض على باب دكّانه، و نهبت دار أبي جعفر الطوسي[1]».

أمّا الحقيقة فهي أنّ الشيعة استطاعوا أن يستقطبوا عدداً كبيراً من الناس إليهم في أيّام الحكم البويهي الّذي امتدّ ما يربو على القرن. و إذا كان عددهم في بغداد أقلّ من السنّة بكثير، فإنّ ذلك يعود إلى سيطرة السنّة عليهم بسبب قدرة الأتراك السلاجقة، كما نقل ابن

---

١ - البداية والنهاية ١٢ : ٦٩ و انظر: الكامل لابن الاثير ٩: ٦٣٢.

كثير. و إلّا فإنّنا نلحظ بعد تلك الفترة عندما استولى البساسيري على بغداد سنة ٤٥٠ هـ.ق، فإنّه أفلح في إقرار الخطبة باسم الحاكم الفاطمي بمصر طول سنة كاملة. واستثمر أهل الكرخ وجوده فهجموا على محلّة باب البصرة و نهبوها، و أعادوا عبارة حيّ على خير العمل إلى الأذان في جميع صلوات الجمعة والجماعة[1].

ثمّ تعرّض الشيعة إلى المضايقات مرّة أُخرى بعد موت البساسيري. و لم تُلحظ اصطدامات بين الشيعة و السنّة في بغداد لعدّة سنين (من سنة ٤٥١ هـ إلى سنة ٤٥٨ هـ) على عكس السنين الخالية إذ كانت نارها مستعرة باستمرار. و طالما شهد المحرم، و يوم الغدير اشتباكات دامية بين الطرفين. و ذكر ابن كثير، و ابن الجرزي، و ابن العماد الحنبلي خلاصة لهذه الاشتباكات في كتبهم.

أمّا استعادة السنّة قواهم، فإنّها تعود إلى توجّهات الحكومة الجديدة. و عندما حدث اشتباك عديم المثيل! بين السنة و الشيعة في بغداد سنة ٤٨٣ هـ، فإنّ أعوان الحاكم هم الّذين سارعوا إلى مؤازرة أهل السنّة، و إذلال الشيعة. و حينئذٍ أُكره الشيعة على أن يكتبوا على أبواب مساجدهم في محلّة الكرخ شعاراً مفاده، خير الناس بعد رسول اللّه أبوبكر[2]. بيد أنّ هذا لا يعني الغاء قدرة العلويّين، لأنّنا نلاحظ أنّ نقيب العلويّين قد احتفظ بمنصبه الرسمي متولّياً إمارة الحاجّ والنظر في المظالم[3]. و هذا معلَم على نفوذهم.

و تواصلت الاشتباكات بين السنّة و الشيعة في السنين الّتي أعقبت هجوم الأتراك السلاجقة. و هذه آية على قوة الشيعة في بغداد، عاصمة الحكم العبّاسي. و عندما حدث اشتباك بين أهالي باب البصرة و أهالي محلّة الكرخ سنة ٤٦٥ هـ، فإنّ أهل السنّة أحرقوا محلّة الكرخ. و لكنّ الشيعة كانوا أقوياء إلى درجة أنّهم أخذوا من أهالى باب البصرة تعويضات عمّا لحق محلّة الكرخ من أضرار[4]. و هذه القدرة الّتي كان يتمتّع بها الشيعة هي الّتي أدّت إلى تغلغلهم في الأجهزة الحكوميّة في أكثرنقاط العراق، و قسم من إيران أيضاً. و طبيعيّاً أنّ هذا التغلغل كان باعثاً على الدفاع عن الشيعة، و عدم السماح بممارسة الظلم ضدّهم. و ما قدرة مجد الملك في بلاط السلطان بركياروق إلّا معلم واضح على هذا التغلغل.

---

١ - ١٢ : ٧٧.
٢ - شذرات الذهب ٣ : ٣٦٧.
٣ - البداية و النهاية ١٢ : ٩١.
٤ - نفسه : ١٠٦.

و جاء في الكتاب الّذي نقضه الرازي ما نصّه : «كان أبوالفضل براوستاني، و بو سعيد هندوي قمّي من جباة الضرائب في عهد بركياروق و السلطان محمّد. و استولى المعمّمون من قم، و كاشان، و آبه على الأمور بأعمالهم وتصرّفاتهم استيلاء تامّاً[١]».

و يقول مؤلّف هذا الكتاب الّذي ردّ عليه الرازي، و كان قد صُنّف في أوائل القرن السادس: «ولم يعهدوا هذه القدرة في أيّ عصر من العصور الخالية، إذ تجرّأوا و كانوا يتحدّثون بملء أفواههم، و لا نجد مكاناً للأتراك إلاّ و يحكم فيه خمسة عشر رافضيّاً. وكان كتّاب الدواوين كلّهم منهم. و وضعهم اليوم كوضعهم في عصر المقتدر العبّاسي[٢]».

وكان للشيعة نفوذ عظيم في عصر المقتدر أيضاً، إذ إنّ جميع الكتّاب منهم. و هذه آية على تمتّع الشيعة بقدرة علميّة و ثقافيّة يومذاك. و هي القدرة الّتي أهّلت أكثرهم للوزارة والكتابة في الدواوين. و هم ينحدرون من آبه، وكاشان، و قم. و جاء في موضع آخر أيضاً قوله : «إذا كان عند أحد الأمراء في عهدالسلطان الماضي محمّد ملكشاه مختار رافضي، فإنّه يرشي أحد علماء السنّة ليبلّغ الأتراك أنّه ليس رافضيّاً، بل هو سنيّ أو حنفيّ. و نجد في هذا العهد أنّ معظم أرباب الأتراك، و حجّابهم، و بوّابيهم، و طُهاتهم، و فرّاشيهم هم من الرافضة. و يستفتون على مذهب الرفض، و يبتهجون بذلك بلا و جل و لا تقيّة[٣]».

و يدلّنا هذا على أنّ الأرضيّة قد تمهّدت للشيعة، و أنّهم كانوا يبلّغون لمذهبهم بنحو أيسر خلال الفترة الّتي حكم فيها ملوك السلاجقة الأُوَل (طغرل بك، ألب أرسلان، و ملكشاه)، و ذلك بعد عصر من الضغوط والمضايقات.

و ورد في موضع آخر من الكتاب المذكور مانصّه: «إذا وقع رافضيّ في مأزق، فإنّهم يتآزرون و ينقذونه من ورطته. أمّا إذا كان المتورّط حنفيّاً أو شافعيّاً، فإنّهم يتعاضدون ضدّه، و ينهبون داره، و ينتقمون من مذهبه[٤]».

الحواضر الشيعيّة الفارسيّة في القرن الخامس و السادس

يعتبر كتاب نقض من المصادر المهمّة لتحديد الجغرافية الدينيّة في إيران إبّان القرن

---

١ - نقض : ٨٢.
٢ - نفسه : ٧٩.
٣ - نفسه : ١١٣.
٤ - نفسه : ١١٦.

الخامس والسادس. و تمّ تأليف هذا الكتاب في حدود سنة ٥٦٠ هـ، بيد أنّ معلوماته عن الحواضر الشيعيّة تتحدّث عن فترة زمنيّة تمتدّ قرنين في الأقلّ. علماً بأنّ أدلّة أُخرى تشير إلى أنّ التشيّع في بعض هذه الحواضر يعود إلى القرن الثاني. و قد تحدّثنا عن ذلك سابقاً. و وردت في مواضع مختلفة من هذا الكتاب إشارة إلى الجغرافية الدينيّة للشيعة و السنّة في ايران، ننقل فيما يأتي مطالبها:

تطرّق مؤلّف كتاب بعض فضائح الروافض إلى عدم رواج الدين في الحواضر الشيعيّة كقمّ، وكاشان، و ورامين، و ساري و إرم. فردّ عليه الرازي مبيّناً الوضع الديني للمدن الشيعيّة بالترتيب. و بدأ بقم قائلاً: «من الواضح أنّنا إذا لاحظنا آثار الإسلام و شعائر الدّين و قوّة العقيدة في قم الّتي يتمسّك أهلها كلّهم بمذهب الاماميّة، فإنّ ذلك من بركات الجوامع الّتي شيّدها بلفضل العراقي خارج المدينة، والمساجد الّتي بناها كمال ثابت وسط المدينة،وكذلك المقصورات المزيّنة و المنابر المتكلّفة و المنائر الباسقة، و كراسي العلماء، و نوبة عقود المجالس و المكتبات الزاخرة بكتب الطوائف المختلفة، والمدارس القائمة كمدرسة سعد صلب، و مدرسة أثير الملك، و مدرسة الشهيد السعيد عزّالدّين مرتضى قدّس اللّه روحه، و مدرسة السيّد الإمام زين‌الدّين أميره بن شرفشاه الّذي كان قاضياً. و نلحظ أيضاً مرقد السيّدة فاطمة بنت موسى بن جعفر - عليهماالسّلام - و ما فيه من أوقاف و مدرّسين و فقهاء و أئمّة، و ما يحبّره من زينة تامّة و إقبال عظيم عليه. و ما يشتمل عليه من مدرسة ظهير عبدالعزيز، و مدرسة الأُستاذ أبي الحسن كميج، و مدرسة شمس الدّين مرتضى بعدّتها و آلاتها و دروسها. و مدرسة مرتضى كبير شرف الدّين بزينتها و آلاتها و حرمتها والاقبال عليها، و غير ذلك ممّا يطول الكتاب بذكره كلّه. و نجد أيضاً المساجد الّتي لا تحصى، والمقرئين البارعين العالمين بالقراءات، والمفسّرين العالمين بالمنزَلات والمؤوّلات، و أئمّة النحو و اللغة و الاعراب و التعريف، و الشعراء الكبار، والفقهاء والمتكلّمين، و ما وصل من الأسلاف إلى الأخلاف، و الزهّاد المتعبّدين، و الحجّاب الّذين لا يعدّون، والصائمين في رجب و شعبان و رمضان و أيّام شريفة أُخرى من السنة، و المصلّين بالليل، و أهل البيوتات من العلويّين الرضويّين، والعرب، و الديالمة، و غيرهم. و تسمع من بعض المساجد و المنائر في كلّ سحر أصوات الموعظة و الصلوات المتواترة. و نلحظ أيضاً في المساجد الكبيرة والصغيرة، والمدارس المعروفة، و دور

الشخصيّات و الوجهاء الختم المعتاد والمعهود للقرآن في كلّ يوم، كما نلحظ الأموال الطائلة الّتي تجمع من وجوه الحلال، و تصرف حسب ما تريده الشريعة من خمس و زكاة و صدقة بإشراف أُمناء و متديّنين و محتسبين عارفين من العلويّين الّذين يحملون الدرّة على أكتافهم بلا رياء و سمعة، و ينهون عن ارتكاب المنكرات، و يطبّقون شعائر الشريعة، و قواعد الإسلام من الدرس، والمناظرة، و مجلس الوعظ، و حلقة الذِكر ... [1]».

و بعد ذلك ذكر المؤلّف بعضَ الروايات المأثورة في فضيلة قمّ، و أشار إلى قول أحد الأُمراء الأتراك، الّذي عبّر عنه الرازي بقاتل الملحدين، فقد قال في أهل قمّ: «أهل قم وديعة اللّه تعالى عندنا، و هم رعيّة مباركة لنا. و منذ أن ورد اسم قم في ديواننا، فإنّنا، نلمس تقدّماً و رقيّاً لنا في كلّ يوم. و نحن متفائلون بوجودهم [2]».

ثمّ تحدّث عبدالجليل بعد ذلك عن مدينة كاشان الشيعيّة و قال:

«كانت كاشان و لا تزال - بحمداللّه و منّه - مدينة منوّرة و مشهورة. و هي مزيّنة - والحمدللّه - بزينة الاسلام و نور الشريعة، و ما فيها من المساجد الجوامع، و المساجد الأُخرى بوسائلها و عُددها. و نجد هناك المدارس الكبيرة، كالمدرسة الصفويّة، والمجديّة، والشرفيّة، والعزيزيّة بزينتها و وسائلها، و عُددها، و أوقافها، و مدرّسيها من أمثال السيّد الامام ضياء الدّين أبي‌الرضا فضل‌اللّه بن علي الحسن، الّذي لا مثيل له في بلدان العالم علماً و زهداً. و غيره من الأئمّة و القضاة. و نلحظ فيها كثرة الفقهاء و المقرئين والمؤذّنين، كما نلحظ عقود المجالس و تربية علماء السلف كالقاضي أبي عليّ الطوسيّ و أبنائه (مثل القاضي جمال أبي الفتح، والقاضي الخطير أبي منصور - حرسهمااللّه). و في كاشان مصلحون و حجّاج لا يُحصَون. و فيها عمارة مشهد عليّ بن محمّد الباقر (بياركرز). و قد أمر مجدالدّين بتشييدها هناك، و تزويدها بما يزيّنها من الوسائل و العدد والآلات. و فيها النور و البركات الّتي يقبل عليها جميع الملوك والوزراء، و يعترف بها السلاطين والأمراء. وفي كاشان ما فيها ممّا يدلّ كلّه على صفاء إيمان مؤمنيها و خلوص طاعتهم [3]».

تلا ذلك حديثه عن مدينة آبه أو آوه الّتي كانت كبيرة جدّاً ثمّ أصبحت الآن قرية كبيرة، و قال:

---

١ - نقض : ١٩٥ ـ ١٩٦ .

٢ - نفسه : ١٩٨ .

٣ - نفسه : ١٩٨ ، ١٩٩ .

«أمّا مدينة آبه، فإنّها، و إنْ كانت مدينة صغيرة، لكنّها - بحمداللّه و منّه - بقعة كبيرة بشعائرها الاسلاميّة، و ما فيها من معالم الشريعة المصطفويّة و السنّة العلويّة متمثّلة في جامعَيها المعمورينِ الكبير و الصغير، و إقامة صلاة الجمعة و الجماعات و العيدين، و عقد المراسيم الخاصّة بالغدير، و ليلة القدر، و يوم عاشوراء، و تلاوة القرآن بنحو متواتر، و وجود مدرسة عزّ الملكي، و عرب شاهي العامرتين بآلاتهما، و عُدَدهما، و مدرّسيهما من أمثال السيّد أبي عبداللّه، والسيّد أبي الفتح، و هما من العلماء الورعين المعروفين في مجالس العلم و الوعظ المتواترة. و كذلك وجود مشاهد أبناء الأئمّة كعبداللّه موسى، و فضل، و سليمان أبناء الامام موسى الكاظم، و هي مشاهد منوّرة و مشهورة، ذهب إليها العلماء و أقاموا فيها، و كلّهم متبحّرون متديّنون[١]».

أمّا مدينة ورامين، فهي و إن كانت قرية، لكنّها لا تقلّ عن المدن شيئاً. و ما يُلمس فيها من معالم الشريعة و أنوار السلام من طاعات و عبادات و ملازمة للإحسان والخيرات، فهي من بركات رضيّ الدّين أبي سعد - أسعده اللّه في الدارين - و أبنائه. إذ شيّد فيها المسجد الجامع، و أُقيمت الصلاة و أُقرّت الخطبة، و أُنشئت المدرسة الرضويّة و الفتحيّة بأوقاف معتمدة، و مدرّسين متديّنين، و فقهاء مجدّين. و لهؤلاء خيرات في الحرمين بمكّة و المدينة، و مشاهد الأئمّة من خلال وضع الشموع، و إرسال الحاجات اللازمة. و يمدّ الخوان بورامين في كلّ رمضان لعامّة الناس، و تقدّم العطايا و الهبات إلى جميع أبناء المذاهب الإسلاميّة بلا تعصّب و تمييز و ما شابههما[٢]».

و جاء في معجم البلدان أنّ أهالي ورام كلّهم شيعة[٣]. وقال القاضي نوراللّه أيضاً: عرف أهل ورامين منذ قديم الأيّام أنّهم من أصحاب اليمين، و من الموالين لأهل بيت النبيّ الأمين[٤].

ثمّ تحدّث عبدالجليل الرازي عن مدينة ساري الّتي كانت تعرف بسارية قديماً. وكذلك تطرّق إلى مدينة إرم الّتي يقول ياقوت الحموي فيها: «بلدة قرب سارية من نواحي

---

١ - **نقض** : ١٩٩ .
٢ - نفسه : ٢٠٠ .
٣ - **معجم البلدان** ٥ : ٣٧٠ . ورام - كما قال الحموي - : بلد قريب من الري و هي غير ورامين. و لم يتحدّث الحموي عن مذهب ورامين.
٤ - **مجالس المؤمنين** ١ : ٩٤ .

طبرستان. و أهلها شيعة[1]».

و لم يشر الرازي في حديثه عن هاتين المدينتين إلى المدارس و غيرها، بل اكتفى بقوله : إنّ هناك تشدّداً مفرطاً ضد الباطنيّة. أي: على الرغم من أنّ الملوك الّذين كانوا يحكمون تلك المناطق هم من الشيعة، بيد أنّهم يقدّمون آلاف الملاحدة فريسة للكلاب سنويّاً[2]. و ذكر الرازي هذا الموضوع ليبيّن أنّ الشيعة و الباطنيّة كانا على طرفي نقيض، و لم تكن هناك أيّ صلة بينهما، بل كانا متعاديين متخاصمين.

و من الحواضر الشيعيّة الأخرى: سبزوار. يقول عبدالجليل الرازي فيها:

«أمّا سبزوار - بحمدالله و منّه - فانّها مركز الشيعة والاسلام، مزيّنة بالمدارس الجميلة والمساجد النورانيّة. وكان العلماء فيها يدرسون الشريعة خلفاً عن سلف. و يلحظ فيها بوضوح لعن الملاحدة، و عداء الباطنيّة. و نجد فيها الدرس، و المناظرة، والمجلس، و ختمات القرآن المتواترة[3]».

و يذكّر الرازي في كلامه هذا أيضاً بافتراق الملاحدة (كان اسماً مشهوراً للإسماعيليّين في ذلك القرن) عن الشيعة. و عندما تعاظم نفوذ الإسماعيليّين، فإنّ الشيعة الإماميّة - إلى جانبهم - كانوا عرضة للهجوم عادةً. وكما ذكرنا سابقاً، فإنّ البعض يرى التشيّع الإثني‌عشري ممهّداً للاسماعيليّة[4]. وكان جليّاً هنا أنّ الشيعة الإماميّة ينبغي أن يفصلوا أنفسهم عن الإسماعيليّين. ولذلك نلحظ أنّ الحكّام الشيعة في ساري أبادوا الإسماعيليّين هناك. وكان هذا باعثاً على تخفيف الضغوط على الإماميّة. و ينكر الرازي أساساً أن يكون التشيّع الإمامي ممهّداً للإسماعيليّة. و يحاول أن يثبت في مواطن مختلفة من كتابه عدم وجود صلة بينهما. و على العكس، فإنّ الباطنيّة يقيمون في المدن السنّيّة أكثر من غيرها. و يواصل الرازي حديثه في هذا المجال حول سبزوار فيقول:

«و الأعجب من ذلك أنّ كلّ جيش كان يتوجّه إلى تلك الأرجاء في عهد عبّاس غازي، و ايناج بيك مجاهد أزري، فانّه يسلب و ينهب و يقتل الملاحدة في دامغان. و لم يألف ذلك في سبزوار. فلمّا كان الخواجه (مؤلّف فضائح الروافض) يعرف أوضاع دامغان

---

١ - معجم‌البلدان ١ : ١٥٧ . ٢ - نقض : ٢٠٠ .

٣ - نفسه : ٢٠٢ .

٤ - يقول الراوندي : «إذا قدّم الرافضي، ألحد». راحة الصدور : ٣٩٤ .

ومذهب أهلها (إذ كانوا سنّة[١])، فعليه أن يراعي الأدب في حديثه عن سبزوار[٢]».

و ينقل الرازي في موضع آخر من كتابه عن الحسن بن الصبّاح قوله: «ليأتني ألف من المجبّرة، و لا يأتني شيعيّ واحد[٣]».

و من الحواضر الشيعيّة في ذينك القرنين: الري. و هذه المدينة –كما مرّ بنا– تدرّجت من النزعة الناصبيّة إلى التشيّع. وكان قسم من أهلها شيعة، و قسم آخر سنّة خلال القرنين المذكورين. و ينبغي أن نعلم – على أيّ حال – أنّ الري كانت من المدن المهمّة جدّاً في ايران يومئذٍ، إذ اختيرت مقرّاً للسلطة والامارة من قبل مختلف السلاطين مرّات عديدة. و أشار الرازي في مواضع من كتابه إلى التشيّع في الري، و ذكرها في عداد الحواضر الشيعيّة[٤]. و يصف ياقوت الحموي (مع تعصّبه السنّي) المذاهب الموجودة في الري ويقول : عندما قدمت إلى الري سنة ٦١٧ هـ، نقل لي بعض أهلها أنّ في المدينة ثلاث طوائف: شافعيّة و هم الأقلّ، و حنفيّة و هم الأكثر، و شيعة و هم السواد الأعظم. و أمّا أهل الرستاق، فليس فيهم إلّا شيعة و قليل من الحنفيّين، و لم يكن فيهم من الشافعيّة أحد. وكانت العصبيّة بين الشيعة و السنّة قويّة إلى درجة لم يترك من الشيعة من يعرف !! فهذه المحالّ الخراب الّتي ترى هي محالّ الشيعة و الحنفيّة. و بقيت هذه المحلّة المعروفة بالشافعيّة. و لم يبق من الشيعة و الحنفيّة إلاّ من يخفي مذهبه[٥]».

نلاحظ هنا أنّ القسم الأوّل من كلامه يتعلّق بالقرن الخامس و السادس، و يدلّ على أنّ الغلبة كانت للشيعة. أمّا القسم الأخير، فيبدو أنّه غير صحيح، لأنّ المستوفي يقول بعده بمائة سنة : «أهل المدينة و أكثر القرى التابعة لها إثنا عشريّة، إلّا أهل قرية قوهه فإنّهم حنفيّة. وكثير من أهل البيت مدفونون في الري[٦]».

والعجيب أنّ القزويني لم يذكر الشيعة الموجودين في الري قطّ، إذ قال : «و أهل الري شافعيّة و حنفيّة. و أصحاب الشافعي أقلّ عدداً من أصحاب أبي حنيفة[٧]» و قال القاضي نورالله : إنّ الشافعيّة في تلك الديار كانوا قليلين دائماً، (على عكس ما يصرّ عليه

---

١ – بين القوسين لنا، و هو واضح.
٢ – نقض : ٢٠٢ .
٣ – نفسه : ٤٢٦ .
٤ – نفسه : ٢٧٤ .
٥ – معجم البلدان ٣ : ١١٧.
٦ – نزهة القلوب : ٥٤ .
٧ – آثار البلاد : ٣٧٦ .

الحموي)، و يتّفق الحنفيّة مع الشيعة في إنكار الشافعيّة[١]. و قال في موضع آخر مستشهداً بكلام مؤلّفه نواقض الروافض، و هي - في رأيه - مير مخدومة شريفي شيرازي (مجالس المؤمنين ١ : ٨٧): كان الشيعة في تلك الديار أكثر من السنّة. ذلك أنّه قال تعريضاً: «لا ينبغي أن يكون مذهبهم مذهب المدينة، بل مذهب الحقّ. و أغلب الري روافض لكن ينبغي أن لا يأخذهم الغرور[٢]».

و لعلّ هذه القرية (قوهه) هي الّتي أشار إليها ياقوت الحموي بقوله: «و أمّا أهل الرستاق، فليس فيهم إلاّ شيعة و قليل من الحنفيّين». لذا يبدو أنّ وضع المدينة كان ثابتاً مستقرّاً، اللّهمّ إلّا إذا قلّ فيها عدد الحنفيّين والشافعيّين، كما تدلّ عبارة المستوفي على ذلك دلالة تامّة.

إنّ إحدى النقاط الّتي ينبغي أن نقولها حول التشيّع في الري هي أنّ حكّام المناطق الشماليّة، و هم شيعة، كانوا يهتمّون بالري اهتماماً خاصّاً. و من هؤلاء: رستم بن عليّ الّذي بلغ تأثير العلويّين و الشيعة عليه درجة أنّه عدّ ما كتبه أحد العلويّين - و اسمه مرتضى - نافذاً بغير توقيعه. و هذا العلوي بذل مالاً كثيراً لتشييد مدرسة في محلّة زاد مهران الّتي كانت من المحلّات الشيعيّة في الري.

و يُستشفّ من عبارات كتاب فضائح الروافض الّذي تمّ انتقاده في كتاب نقض أنّ الشيعة كانوا أكثريّة في الري[٣]. حتّى قال ابن اسفنديار: «و تلك المدرسة قائمة اليوم في زاد مهران لتدريس العلم. (و يدّرس فيها) المدّرس الكبير السيّد ضياء الدّين ... و هو التلميذ السديد لمحمود الحمصي، متكلّم الاماميّة. و كان التدريس فيها على درجة أنّ ابن اسفنديار لم ير في أيّ بقعة من بقاع أهل الإسلام (مثلها) على صعيد عدد الدارسين، وحرص الفقهاء، و الصلاح، و التعلّم، و التكرار[٤]».

و تُشعر عبارة الرازي أنّ محلّة مصلحگاه في الري كانت من المحلّات الشيعيّة تماماً. و هي تماثل محلّة الكرخ ببغداد. علماً بأنّ كثيراً من شيعة الري يومئذٍ كانوا من الزيديّة. ويقول الرازي في مساكن الزيديّة: «لهم في مدينة الري مدارس معروفة. و ثمّة فقهاء كثيرون على هذا المذهب ... و في الري عدد كبير من السادة من النقباء والرؤساء كانوا

---

١ - مجالس المؤمنين ١ : ٩٢.
٢ - نفسه : ٩٤.
٣ - نقض : ٤٥٣ ـ ٤٥٤.
٤ - تاريخ طبرستان لابن اسفنديار ٢ : ٩١.

يعتقدون بهذا المذهب أيضاً. و شهادتهم مقبولة و عدالتهم محرزة عند قاضي القضاة الحسن الاستر آبادي[١]».

و ذكر الرازي في فقرة أُخرى المناطق الّتي كان أهلها كلّهم شيعة، والمناطق الّتي كان بعض أهلها شيعة. و ننقل كلامه فيما يأتي نصّاً:

« هل تعلم من كان جُند آل المرتضى ؟ انّهم ليوث فليسان[٢]، و أمراء الجيش في غايش[٣]. و السادة في زاد مهران. و أهل المروءة و الفتوّة في مصلحگاه. والمعتقدون في درشقان. والديلميّون في آبه، و وزراء قاشان، و عرب قم و علماؤها. و سادات قزوين و شيعتها. و رجال ورامين و رؤساؤها و مصلحوها، والقائمون ليلهم في نرمين و سروهه. و مؤمنو خوابه[٤]، و ملوك ساري، و شجعان ارم، و عرفاء سبزوار، و شجعان نيسابور و مجاهدوها، و أكابر جرجان، و عظماء دهستان، و مؤمنو جربايقان، و أُمناء استرآباد[٥]».

كان الشيعة في بعض هذه المدن يقطنون في قسم من أقسام المدينة. كما نجد في قزوين الّتي سمّاها المصنّف: دار السنّة[٦]، إذكان الشيعة يُضطَهدون فيها كثيراً. و عندما أعلن أحمد بن إسماعيل أحد علماء السنّة في المدينة مرّة أنّ أحد الشيعة يريد قتله، و خرج من المدينة، فإنّ الناس خرجوا بخروجه، و لم يرض بالعودة إلّا بشرط أن تؤخذ مكواة عليها اسم أبي بكر، و عمر، و تكوى بها جباه جمع من أعيان الشيعة ! فكان اولئك يأتون والعمائم إلى أعينهم حتّى لا يرى الناس الكي[٧].

و ذكرت في موضع آخر مدينة اسمها: سناردك، و هي من المناطق الشيعيّة[٨]. و كذلك

---

١ - نقض : ٤٢٠ .

٢ - ذهب جلال الدّين المحدّث في الهامش الى أنّها بوّابة من بوّابات الري المعروفة.

٣ - يبدو أنّه حيّ من الأحياء في إحدى المدن. و ذكره المصنّف في موضع آخر أيضاً في عداد المناطق الشيعيّة. و لمّا كان بين فليسان و مصلحگاه، فيحتمل أنّه كان من أحياء الري، مع زاد مهران، و درشقان. انظر: تعليقات نقض ١ : ٢٩٠ .

٤ - قال جلال الدّين المحدّث في الهامش : «أسماء هذه المناطق الثلاث غير موجودة في الكتب الجغرافيّة». و لعلّها كانت قرى أو أحياء في بعض المدن.

٥ - نقض : ٤٣٧ .

٦ - نفسه : ١٠٩، ١٩٣ .

٧ - آثار البلاد : ٤٠٢ .

٨ - نقض : ٥٩٣ .

ذكرت منطقة اخرى اسمها: زعفران جا، و هي من المناطق الشيعيّة أيضاً[1].

و ذهب عبدالجليل الرازي إلى أنّ قوسين كانت في عداد الحواضر الشيعيّة، كقم، وكاشان، و آوه، و ورامين[2]. و احتمل المحدّث الارموي أنّ المقصود منها قومس الواقعة بين المحافظات الشماليّة و المركزيّة و الشرقيّة. و احتمل أيضاً أن تكون قريسين نفسها، و هي كرمانشاهان الحاليّة. و هذا الاحتمال ضعيف، لأنّ الشيعة قلّما كانوا يسكنون في غرب البلاد.

و جاء عن همدان الّتي ذكرت هنا في عداد المناطق السنّيّة أنّ أُسراً منها كانت شيعيّة[3]. و يمكن أن ينطبق هذا الموضوع على المدن الأُخرى أيضاً. علماً بأنّ الشيعة لم يجرأوا على إظهار عقيدتهم في بعض المناطق. و لذا كانوا يعملون بالتقيّة.

و يحاول المرحوم الرازي أن يدلّ في فقرة أُخرى من كلامه على الجغرافيّة الدينيّة للشيعة في إيران. و ننقل ما قاله فيما يأتي نصّاً لتتّضح الهويّة الشيعيّة لإيران جيّداً خلال القرون المذكورة. علماً أنّ بعض المناطق العربيّة قد وردت في كلامه أيضاً.

«إنّ ما نجده في حلب، و حرّان، والكوفة، وكرخ بغداد، و مشاهد الأئمّة، و مشهد، و قم، و كاشان، و آوه، و سبزوار، و جرجان، و استرآباد، و دهستان جربادقان، و مازندران كلّها، و بعض مناطق طبرستان، والري، و نواحٍ كثيرة منها، و بعض أحياء قزوين و ضواحيها، و بعض أحياء خرقان، هو أنّ أهل هذه المدن جميعهم شيعة أُصوليّة إماميّة[4]».

و من الطريف أنّ أعلى المناصب الإداريّة في عصر الأتراك السلاجقة كالوزارة و جباية الضرائب و شؤون الحسابات كان يتولّاها الشيعة غالباً، لا سيّما الشيعة المنحدرون من قم، و آوه، و كاشان. و نقل الرازي أسماء عدد منهم ممّن كان معاصراً له أو قريباً من عصره. و من هؤلاء: مجدالملك، و الوزير المحترم سعدالملك آوی، و مشيرالسلطنة شرف‌الدّين أبو طاهر مهيسه‌اي القمّي الّذي كان وزيراً للسلطان سنجر. و الخواجه علي بنكدان وزير ملوك الديلم، و أوحد الدّين مهيسه‌اي وزير فارس. و معين الدّين أبو نصر كاشي وزيرالمحتشم. و كمال ثابت القمّي مسؤول الماليّة عند مسعود السلجوقي. و ملكين

---

١ - نقض : ٣٧٣.
٢ - نفسه : ٣٦٤.
٣ - مجالس‌المؤمنين ١ : ٨٠.
٤ - نقض : ٤٥٩.

أبو فخر القمّي، و شمس الدّين محمّد بنيمان التفرشي، و كانا من مسؤولي الشؤون الماليّة و الحسابات المحترمين[١]. و لم يطق السنّة هذا الأمر. و لذا قال الراوندي في هذه المرحلة: «... و نشأ الدمار في العالم من المأجورين والغمّازين و الملاحدة الظالمين، إذ تطاولوا على أئمّة الدّين و اتّهموهم. و ظهر التعصّب والحسد بين الأئمّة. و انضمّ إلى جيش السلطان هؤلاء المأجورون الملاحدة من قم، وكاشان، و آبه، و طبرش، والري، و فراهان، و مناطق قزوين، و أبهر، و زنجان. و كانوا إمّا من الرافضة، أو من الأشاعرة ... [٢]». و نقل في موضع آخر أبياتاً لشمس الدّين لاغري، يقول فيها و تعريبها : أيّها الملك إنّ أماكن الباطنيّة هي قم، و كاشان، و آبه، و طبرش. إحفظ كرامة الخلفاء الأربعة، و اسجر النار في هذه المدن الأربع. و أحرق فراهان و مصلحگاه، حتّى يصبح ثوابك ستّة أضعاف[٣].

و ذكر أبو المعالي الشيعة الإماميّة أيضاً، و قال في مناطقهم : «هم فرقة و ليس هناك أكثر منهم بين فرق الشيعة. و عددهم كبير جدّاً في العراق ر مازندران. و كذلك في خراسان[٤]».

وكانت طوس في خراسان – و هي تتشرّف بوجود مرقد الإمام الرضا– عليه‌السّلام – من النقاط الّتي انتشر فيها التشيّع. و قال الخوانساري نقلاً عن تلخيص الآثار: «و أهل قرية سناباد القريبة من طوس شيعة، بالغوا في تزيين قبر الإمام الرضا – عليه‌السّلام[٥]. مع أنّ الشيعة كانوا يُلعنون على المنابر في خراسان أيّام السلاجقة[٦]».

و استعرض الرازي في نصّ آخر المناطق السنّيّة بشكل ضمني. و أرى أنّ ذكرها هنا يمكن أن يساعدنا كثيراً في هذا البحث. لذا ننقل فيما يأتي عباراته الّتي تعتبر متمّمة للجغرافية الدينيّة في إيران خلال القرن السادس. و ذُكرت في هذا الحقل أيضاً المناطق

---

١ – نقض : ٢٢١.

٢ – راحة الصدور و آية السرور : ٣٠.

٣ – «خسروا هست، جاى باطنيّان — قم و كاشان و آبه و طبرش
آب روي چهار يار بدار — و اندرين چار جاى، زن آتش
پس فراهان بسوز و مصلحگاه — تا چهارت، ثواب، گردت شش

٤ – راحة الصدور : ٣٩٥.

٥ – بيان الأديان لأبي المعالي : ٤٠ (أُلّف سنة ٤٨٩ هـ).

٦ – روضات الجنّات ١ : ٢٧٦ ؛ الكامل ٩ : ١١.

الّتي كان يقطنها الزيديّة. و هذا ما يفيد في تحديد النطاق الّذي كان يعيش فيه الشيعة الزيديّة.

«لكلّ طائفة من هذه الطوائف (الشيعيّة والسنّيّة المختلفة) غلبة في مكان ما. فالزيديّة يقيمون في اليمن والطائف و مكّة الّتي تعدّ دار الملك في الإسلام، و كذلك في الكوفة حرم أميرالمؤمنين، و أكثر مناطق جيلان، و جبال الديلم و بعض مناطق المغرب. و جعلوا الخطبة والسكّة باسم أئمّتهم، و هم الفاطميّون العلماء الزهّاد الشجعان الّذين قاموا بالسيف. و لم يخطبوا باسم الخليفة و السلطان، و لم يسكّوا النقود باسمه، إلّا في الكوفة القريبة من عاصمة الحكم. و يأخذون في مكّة أموالاً كثيرة سنويّاً. و تصل إليهم الخلع. وكان قضاتهم و فقهاؤهم و علماؤهم كافّة يفتون على مذهبهم.».

أمّا الحنفيّون فيكثرون في خراسان من نيسابور إلى اوزكند (قصبة في بلاد ماوراءالنهر) و سمرقند، و حدود تركستان و غزنين و ماوراءالنهر. و هم ذوو توجّه واحد، و يقرّون بالتوحيد والعدل و عصمة الأنبياء. و يعترفون بمنزلة أهل البيت و فضل الصحابة، و يعتقدون بالجزاء على الأعمال[1].

و أمّا المعتزلة فهم يعيشون في خوارزم. يقتدون بأبي حنيفة في الفقه، و بمذهب أهل البيت في الأُصول. لكنّهم يخالفون هذا المذهب في الإمامة والوعيد. علماً بأنّ الحنفيّين يقيمون في العراق أيضاً و لهم الغلبة هناك. و أمّا الشافعيّة، فنجدهم في مناطق آذربايجان حتّى بوّابة الروم، و همدان، و أصفهان، و ساوه، و قزوين، و أمثال هذه المدن. و الناس مابين مشبّهة، و أشاعرة، وكلابية، و حنابلة. و أكثر الموجودين في لرستان، و خوزستان، وكره، وكربايكان (گلبايگان)، و هروكرد(بروجرد)، و نهاوند، و تلك الحدود، هم مشبّهة و مجسّمة. و أغلب القاطنين في حدود الشام زيديّة و إسماعيليّة».

و من الحواضر السنّيّة في رأي الرازي أيضاً: «دركنده، باطان، شهرستان (محلّات في الري)، قزوين، همدان، آمل، طبرستان، مزدقان، أصفهان، آذربايجان، أبهر و زنجان[2]، لار، بروجرد[3]، كلان آمل، أهواز، خوزستان، طوس، أردبيل، ساوه، نهاوند، كره[4]. و لم

---

١ - أي : أنّهم ليسوا مجبّرة. و هذه العقائد قريبة من عقائد أهل الاعتزال .

٢ - نقض : ٤٣٧ ، ٤٣٨ .　　٣ - نفسه : ٥٩٥ .

٤ - نفسه : ٢٧٨ .

يكن شيعيّ في أسدآباد قطّ، كما لم يكن فيها حنفيّ. فأهلها كلّهم مجبّرة و مشبّهة. و لا نشمّ رائحة التشيّع في سكزي (من توابع سجستان أو جبل في زابلستان[1]). و كانت خوي من المناطق السنيّة أيضاً[2].

و قال أفضل الدّين في كرمان بوصفها منطقة سنيّة: «... إنّها مطهّرة من التشبيه، و التعطيل، والزندقة، و الرفض، والاعتزال، و الجبر، والقدر. أهلها يوحّدون اللّه، و يقرّون بمحمّد - صلّى اللّه عليه و آله - رسولاً بالحقّ. و لا يسيئون إلى الصحابة الأربعة، و يقدّمون أبابكر الصدّيق، ثمّ عمر، ثمّ عثمان، ثمّ عليّاً. و مذهبهم هو مذهب الإمام الأعظم أبي حنيفة، و الإمام المطلق الشافعي. لا يزيدون على هذا شيئاً ...[3]».

و قال في المناطق الزيديّة أيضاً: «لهم في الري مدارس معروفة. و يدين بالمذهب الزيدي فقهاء كثيرون. و هذا المذهب ظاهر و معروف في أرجاء شتّى كجبال جيلان، و الديلم، و اليمن، والطائف، و مكّة حرم اللّه. و لا يعمل الزيديّة بالتقيّة[4] ... و أكثر أهل الكوفة على هذا المذهب ... و هو مذهب السيّد حسن أمير مكّة ... و لهم علم أبيض[5]».

إنّ وجود السادة في الأمصار المختلفة مؤشّر على وجود التشيّع فيها. و قد تحدّثنا عن ذلك في موضع آخر من هذا الكتاب و قلنا: إنّ السادة، بعامّة، هم شيعة. أو زيديّة في الأقلّ. و هذه نفسها نزعة شيعيّة أيضاً، و لو في الحدّ الأدنى من التشيّع. و إنّ السادة الحسنيّين، عادة، زيديّون، مع أنّنا لا نستطيع أن نعمّم هذه النظرة. و لعلّ الباعث على هويّتهم الزيديّة هو قيام الانتفاضات الّتي نهض بها آل الحسن تبعاً لزيد بن علي- عليه‌السّلام. و يشكّل آل الحسن، في الحقيقة، النواة الأصليّة لقادة الزيديّة.

و يعرض المرحوم عبدالجليل الرازي فهرساً بأسماء السادة الّذين كان بعضهم سنيّاً، و هم ينتشرون في مدن مختلفة. و هذا نفسه دليل على حجم تغلغل التشيّع في تلك المدن، و كذلك على سبب انتشار التشيّع فيها. و من المؤسف أنّنا لا نمتلك فهرساً منظّماً بأسماء الأسر الكبيرة من السادات في المدن المختلفة كي نتمكّن من رسم صورة دقيقة لوضع الشيعة في ضوئه. و ليس في أيدينا معلومات عن وضعهم المعاشي أيضاً حتّى

---

١ - نقض : ١٢٣ .
٢ - آثارالبلاد : ٥٢٧ .
٣ - عقدالعلى للموقف الأعلى، أفضل الدّين، مع مقدّمة باستاني بريزي : ١٣٢ - ١٣٣ .
٤ - نقض : ٤٢٠ .
٥ - نفسه : ٤٢١ .

يستبين الموضوع جيّداً. و نجتزىء هنا بما عرضه المرحوم الرازي. و للقرّاء أن ينعموا النظر فيه، و يتّخذوه دليلاً للتعرّف الأفضل على الجغرافية الدينيّة للشيعة في القرن الخامس و السادس.

«النقيب الطاهري الموسوي بفضله و عدّته و جاهه و حرمته. و السيّد أبو طاهر الجعفري، العالم الزاهد الشاعر. ثمّ بيت السيّد أبي هاشم علاء الدولة الّذين ما برح الحكم بأيديهم. و أُسرة السيّد نقيب جمال‌الدّين شرفشاه الحسيني بآوه. و السيّد طباطبا الحسيني بعلمه و منزلته في أصفهان. و السيّد قوام الشرف الحسيني بدرجته التامّة و حرمته العظيمة في أصفهان أيضاً. ثمّ بيت السيّد الزكي بالري، و قمّ، و كاشان. و نجله السيّد الأجلّ المرتضى ذوالفخرين أبوالحسن عليّ بن المطهّر بن علي ... و تاج الدّين، و الأمير شمس الدّين أبوالفضل الرضوي بقم ... ثمّ بيت السيّد أبي طاهر الجعفري بقزوين... و من المتقدّمين المتملّكين و الرؤساء و السادات في الري و قزوين: السيّد أبو القاسم دوكيس. جاء الى الري قادماً من كلار و كجور و أصبح أميراً و ملكاً فيها ... و سادات نيسابور و نقباؤها مع صولتهم و شوكتهم كالسيّد الأجلّ ذخر الدّين و أُسرته، و غيرهم. و من سادات سبزوار: السيّد عزّالدّين و ولده عمادالدّين، الملك العالم المرضيّ المعروف. و سادات جرجان كالسيّد المنتهي نورالدّين، و ناصرالدّين و غيرهما... و من سادات استرآباد: السيّد نظام الدّين ناصر بن ظفر، و السيّد الامام صدرالدّين السمرقندي... والسادة الساكنون في حدود فارس و كرمان كالسيّد قوام أشرف بن الناصرلدين‌اللّه. ويطول بنا المقام لو أردنا أن نفصّل في أسماء و ألقاب السادة القاطنين في خراسان، و سمرقند، و ماوراءالنهر».

و يواصل الرازي حديثه فيقول: «والعلويّ الأصيل لا يكون إلاّ إماميّاً، و لا يمكن أن يكون غير ذلك. و إلاّ فهو زيدي[1]».

و كانت أجزاء من خراسان في عداد المناطق الشيعيّة على امتداد القرن الخامس والسادس، حتّى يُستشفّ من بعض الوثائق أنّ التشيّع كان في اتّساع آنذاك. و ترتبط هذه المسألة بحسّاسيّة الشيعة حيال مشهد الإمام عليّ بن موسى الرضا – عليه‌السّلام – الّذي

---

١ – **تاريخ طبرستان** لابن اسفنديار ١ : ١١٦ ـ ١١٨ .

كان يمثّل مسرحاً للاصطدامات والاشتباكات الموسميّة بين الشيعة و السنّة في كلّ سنة. و نلحظ وثيقة تعود إلى سنة ٥٧٩ هـ قد أشارت إلى المناطق الشيعيّة في ذلك العصر. و من الثابت أنّ سابقتها تُقدّر بقرن واحد في الأقلّ، حتّى إنّ الشيعة كانوا أكثريّة في بعض المناطق. و ثمّة رسالة عنوانها: رسالة الهنود في إجابة دعوى العنود، كتبها الأمير السيّد بهاء الدّين الحسن بن المهدي. و وردت فيها موضوعات مختلفة. و ممّا جاء فيها: **«و لم يبق في خراسان إنسان إلاّ و له يد و لسان و سيف و ... إلاّ و التشيّع ديدنه و دينه، و قرينه و خدينه، إلى ما تركنا الإلمام بذكره من أفراد الحجاز والشام ونواحيها و آحاد مدن خراسان والعراق و ما تضمّنه و تحويها، و هلمّ جرّا إلى طبرستان روضة الدنيا و غديرها ... تجدهم و من التشيّع في رؤسهم نخوة، فما أكثر الشيعة و ما أقواهم و أبسط أيديهم و ما أعلاهم[١]».**

مراسيم الشيعة في القرن الخامس و السادس

١ - إنشاد المناقب

يُعدّ إنشاد المناقب من المراسيم الشيعيّة المألوفة في إيران إبّان القرن الخامس والسادس الهجريّين. و كان يجري بشكل علني في المراكز الّتي شهدت حضوراً قويّاً للشيعة فيها. و يمكن أن نشبّه هذا العمل بإنشاد المدائح الشائع في إيران هذا اليوم بكثرة. و إنّ المصدر الّذي تكفّل ببيان نوع هذه المناقب و شكلها هو كتاب فضائح الروافض الّذي أكملته توضيحات الرازي القزويني. يقول الرازي على لسان مؤلّف الكتاب المذكور:

«... و كان منشدو المناقب ذوو الأفواه النتنة ينشدون مناقبهم في الأسواق قائلين انّهم ينشدون مناقب أميرالمؤمنين. و يقرأون عادةً قصائد ابن بنان الرافضي و أمثاله كلّها، و يجتمع حولهم جمهور الروافض. و هم ينالون من صحابة النبيّ الأبرار، و خلفاء الإسلام، و غزاة الدّين. و نظموا الصفات التنزيهيّة للّه - جلّ جلاله - و عصمة الرسل - عليهم‌السّلام - والمعجزات الّتي لا تكون لغير الأنبياء، شعراً، و نسبوها إلى عليّ بن أبي طالب[٢]».

---

١ - **تاريخ طبرستان** لابن اسفنديار ١ : ١١٦ - ١١٨ .

٢ - **نقض** : ٦٥ .

و يواصل كلامه، و هو ينقل عنه قائلاً:

«... و يقرأون المغازي زاعمين أنّ عليّاً وُضع في المنجنيق بأمرالله - تعالى - و رُمي على ذات السلاسل، ليأخذ تلك القلعة الّتي كان فيها خمسة آلاف مقاتل وحده. و قلع عليّ باب خيبر بيد واحدة، و هو ذلك الباب الّذي لو اجتمع عليه مائة رجل، لما زعزعوه عن مكانه. أمّا عليّ فقد قلعه بيده، ليعبر عليه الجند. و كان الصحابة الآخرون يذهبون و يجيئون عليه لمّا كان بيده حسداً منهم إيّاه. و فعلوا ذلك ليسأم عليّ و يظهر عجزه[1]».

و يشير المرحوم القزويني الرازي إلى موقف أهل السنّة من إنشاد المناقب، و ذلك ضمن دفاعه عن بعض الروايات الخاصّة بفضائل أميرالمؤمنين، و إيمائه إلى أنّ بعض الكلام يصدر عن الجهّال و العوامّ و الطغام. و يتمثّل هذا الموقف بإقامة سوق لإنشاد الفضائل. و بموقفهم هذا، أحدثوا للشيعة مراسيم إنشاد المناقب على تواتر الأيام. يقول الرازي:

«والعجيب أنّ هذا الخواجه يرى منشدي المناقب في الأسواق و هم ينشدون مناقبهم. و لا يرى منشدي الفضائل الّذين لم يسكتوا يوماً. و أنّى كان قمّار خمّار، لا خلاق له في دنياه، و لا يعرف فضل أبي‌بكر، و لا منزلة عليّ، فانّه يستظهر عدداً من الأبيات في شتم الرافضة و يقرأها ليكسب من ورائها مالاً. و جعل شتم المسلمين عملاً من أعماله الأساسيّة فكان يلعنهم لعناً لا مسوّغ له. و ما يحصل عليه من مال يصرفه على غناه و زناه في دور الدعارة والفسق. و يضحك على أذقان القدريّة والمجبّرة. و ليس إنشاد الفضائل والمناقب في الأسواق قاعدة جديدة. لكنّ هذا القمّار الخمّار و أمثاله ينشدون الجبر والتشبيه و اللعن، و أولئك ينشدون التوحيد، و العدل، و النبوّة، و الإمامة، و الشريعة[2]».

و يقول في موضع آخر أيضاً عن محتوى الفضائل الّتي ينشدها أهل السنّة:

«... و هكذا لم يطق المتعصّبون من الأمويّين و المروانيّين سماع فضيلة لعليّ بعد قتل الحسين. و جمعوا حولهم شريحة من الخوارج الّذين نجوا من سيف عليّ، و فئة من الملاحدة ليضعوا لهم مغازي مفتراة و قصصاً لا أساس لها تدور حول رستم، و سهراب، واسفنديار، و كاوس، و زال، و غيرهم. و مكّنوا المنشدين من مربّعات الأسواق، كي

---

١ - نقض: ٦٧.

٢ - نفسه: ٦٥.

ينشدوا لهم ما يشتهون، فيردّوا بذلك على فضل أميرالمؤمنين و شجاعته. و لا تزال هذه البدعة قائمة. و تُجمع أُمّة المصطفى على أنّ مدح المجوس بدعة و ضلالة. فإذا كان الخواجه لا يطيق سماع منقبة لعليّ من منشدي المناقب، فليذهب إلى هؤلاء الغوغائيّين تحت قوس باجكر، و في صحراء غايش[1]».

و لعلّ مؤلّف فضائح الروافض كان ممتعضاً من منشدي المناقب. و واصل كلامه قائلاً: «يجتمعون في الخرابات و ينشدون المناقب». و دافع الرازي بقوله: «أتحسب أنّه لم يرَ ولم يسمع أنّ هؤلاء ينشدون في قطب روده، و رشته نرصه، و سر بليسان، والمسجد العتيق ما ينشدونه في بوّابة زاد مهران، و مصلحگاه[2]».

إنّ إصرار مؤلّف الفضائح على رأيه وفّر لنا معلومات أكثر في هذا المجال. و عندما قال: «إنّ الروافض ينشدون هذه المناقب ليضلّوا عوامّ الناس و أحداثهم من الطوائف الأُخرى. و يظهروا لهم أنّ ما فعله عليّ وحده خارج عن قدرة غيره من الناس، و أنّ الصحابة كلّهم أعداء عليّ». أجاب الرازي قائلاً : «... كذب ظاهر و بهتان عظيم. و الدليل على ذلك أنّه لو كان هذا هو الهدف من إنشاد المناقب بزعمه، لما أنشدوا في قمّ، وكاشان، و آبه، و مازندران، و سبزوار و غيرها من هذه الحواضر الّتي ليس فيها غير الشيعة. و من الواضح أنّهم كانوا ينشدون في هذه الأماكن أكثر من غيرها[3]».

و تدلّ هذه الفقرة من كلامه على أنّ ذلك التقليد كان شائعاً في كافّة المناطق الشيعيّة في إيران. و نلمس هنا حقيقة تتمثّل في أنّ نشر فضائل أهل البيت، إجمالاً، كان يزيد إقبال الناس على التشيّع، و يضاعف نفوذ السادة و العلويّين الّذين كانوا شيعة أُصلاء. و عندما أمر المعتضد العبّاسي أن تُقرأ صحيفة في فضائل أهل البيت، لم يتخوّف من تمرّد السنّة. ولكن حينما قيل له : إنّ العلويّين يستثمرون ذلك لمصلحتهم، فزع، و لم تقرأ الصحيفة المذكورة[4].

٢ - مراسيم عاشوراء

إنّ مراسيم عاشوراء من المراسيم ذات السابقة الممتدّة بين الشيعة. و بقطع النظر عن

---

١ - نقض : ٦٧.
٢ - نفسه : ٧٤.
٣ - نفسه : ٧٧.
٤ - مجالس المؤمنين ٢ : ٢٨٣.

التعازي الواردة في الأحاديث المأثورة عن النبي - صلّى الله عليه و آله - الّتي نقلها العلّامة الأميني بنحوٍ تامٍّ في كتاب سيرتنا و سنّتنا، فإنّنا ينبغي أن نذكر ما قام به التوّابون من العزاء عمليّاً. فهؤلاء عندما عزموا على حرب الشام في مستهلّ سنة ٦٥ هـ، فإنّهم جاؤوا إلى كربلاء، و اجتمعوا حول قبر الإمام الحسين، و بدأوا بالعويل و البكاء، ثمّ ودّعوا القبر واحداً بعد الآخر، و توجّهوا إلى حيث أرادوا[١]. و اتّسع بعد ذلك نطاق مراسيم العزاء الّتي كانت تقام من قبل الأئمّة الأطهار- عليهم‌السّلام - بواسطة إنشاد الأشعار الخاصّة بهذه المناسبة. ثمّ أعلن الشيعة يوم عاشوراء يوماً للعزاء تدريجاً مع تبلور التقاليد الرسميّة. و امتدّت هذه القضيّة أكثر فأكثر عندما ابتهج الأمويّون و فرحوا في هذا اليوم، و أعلنوه عيداً لهم. و تلك سنّة ظلّت قائمة عند المجاهرين بعدائهم لأهل البيت، كالأيوبيّين الّذين أحيوها أيّام حكومتهم. و قام أستاذنا الكبير العلّامة السيّد جعفر مرتضى بدراسة للأحاديث الموضوعة في اتّخاذ يوم عاشوراء عيداً، والمراسيم الّتي كان يقيمها الأمويّون، و جمع موضوعات موثّقة حول هذه القضيّة في كتابه القيّم: المراسم والمواسم.

و قال زكريّا القزويني: «إنّهم اتّخذوا يوم عاشوراء عيداً، و تزيّنوا في ذلك اليوم، و أقاموا الولائم. بينما اتّخذه الشيعة يوم عزاء، و كانوا ينوحون و يبكون. كما أنّهم تجنّبوا الزينة فيه[٢].

و قال أبو ريحان البيروني في يوم عاشوراء أيضاً:

«فأمّا بنو أُميّة، فقد لبسوا فيه ما تجدّد، و تزيّنوا و اكتحلوا و عيّدوا و أقاموا الولائم والضيافات، و أطعموا الحلاوات والطيّبات، و جرى الرسم في العامّة على ذلك أيّام ملكهم، و بقي فيهم بعد زواله عنهم.

و أمّا الشيعة فإنّهم ينوحون و يبكون أسفاً لقتل سيّدالشهداء فيه[٣]».

و اتّخذ الأمويّون هذه الخطوة من أجل جرح مشاعر الشيعة في ذلك اليوم المثير لأحزانهم. و عبّر ابن تيميّة عنها بقوله : «... إنّ إظهار السرور في هذا اليوم و الإسراف فيه من البدع الّتي وجدت لمقابلة الرافضة[٤].

---

١ - الفتوح لابن أعثم ٦ : ٨٩.

٢ - عجائب المخلوقات في حاشية حياة الحيوان للدميري ١ : ١١٥ ؛ نظم درر السمطين : ٢٣٠.

٣ - الآثارالباقية : ٣٢١.

٤ - اقتضاء الصراط المستقيم : ٣٠١.

و نصّت زيارة عاشوراء أيضاً على أنّ بني أُميّة اتّخذوا ذلك اليوم مناسبة للفرح والسرور. و مهما كان، فإنّ أهميّة هذا اليوم عندالشيعة أدّت إلى اتّساع نطاق مراسيم العزاء الّتي كانت تدخل فيها بعض التقاليد المحليّة للعزاء بين الفينة و الأُخرى. و في ضوء ما قاله الشيبي فإنّ مواكب العزاء ظهرت في لونها الجديد (اتّخذت فيما بعد طابعاً مسرحيّاً في أيّام الصفويّين) لأوّل مرّة سنة ٣٥٢ ﻫ[١]. وكان البويهيّون يحكمون العراق آنذاك.

وكانت محلّة الكرخ ببغداد، و هي من المراكز الشيعيّة المهمّة، تقيم المراسيم في يوم عاشوراء بنحو مفصّل على امتداد القرن الرابع، بخاصّة في العصر البويهي. و لمّا كان الحنابلة - جنوحاً منهم إلى النهج الأُموي - أقوى من سائر الفرق السنّيّة، لذلك كانوا يواجهون الشيعة، و يصطدمون بهم.

و يبدو أنّ يوم عاشوراء كان يخلّف وراءه ضحايا في كلّ عام، ممّا أدّى إلى استمرار هذه المصادمات بين الشيعة و الحنابلة عدد سنين. و وردت تفاصيل ذلك في بعض الكتب التاريخيّة كالبداية و النهاية لابن كثير، و المنتظم لابن الجوزي، و الكامل لابن الأثير[٢]. و في إحدى هذه المصادمات تعرّض بيت أبي جعفر شيخ الطائفة (الشيخ الطوسي) إلى الهجوم، و نُهب ما فيه، و أُحرقت كتب الشيخ[٣].

وكانت المراكز الشيعيّة في ايران تعظّم يوم عاشوراء أيضاً. و لدينا معلومات أكثر تفصيلاً من غيرها نقلها لنا الرازي مؤلّف كتاب نقض. فقد ذكر عن صاحب كتاب الفضائح قوله: «و تُظهر هذه الطائفة الجزع يوم عاشوراء. و تقيم مراسيم العزاء، و تحيي مصيبة شهداء كربلاء على المنابر. و يسرد خطباؤها القصص في ذلك، و يحسر العلماء رؤوسهم، و يلبس العوام أثواباً ممزّقة، و تخمش النساء وجوههنّ و ينحبن و يبكين[٤]».

---

١ - الفكر الشيعي و النزعات الصوفيّة : ٤٤ . يتحدّث الشيبي في صفحات عديدة من كتابه عن طابع العزاء في الأساطير، وكذلك بين بعض الفرق الدينيّة الفارسيّة. و يبدو أنّه يحاول أن يربط بين طابع العزاء المقام على الإمام الحسين (ع)، و المراسيم العريقة في العالم القديم، لا سيّما العراق. و هذا غير ثابت عندنا. الفكرالشيعي و النزعات الصوفيّة : ٤٩ .

٢ - انظر : الكامل ٩ : ٥٦١ ، ٥٧٨ ، ٥٩١ ، ٥٩٣ وقائع سنة ٤٤١ ، ٤٤٣ - ٤٤٤ ، ٦٤٥ ﻫ .
البداية و النهاية ١٢ : ٥٩ - ٦٣ . تاريخ ابن خلدون ٣ : ٤٢٥ .

٣ - البداية والنهاية ١٢ : ٦٩ .

٤ - نقض : ٣٧٠ .

و أشار القزويني في جوابه إلى المراثي الّتي يقرأها الشافعيّة و الحنفيّة، و قال: «و مراثي شهداء كربلاء الّتي يقرأها أصحاب أبي حنيفة، و الشافعي لا تحصى عدداً[1]». و يواصل كلامه قائلا: «ثمّ عرّجْ بنا على أصفهان فستجد الخواجه بو منصور ما شاده، و هو قدوة المذهب السنّي في زمانه، كان يقيم مراسيم العزاء في يوم عاشوراء كلّ سنة مع النياحة والبكاء و العويل ... ثمّ تعال معي إلى بغداد مدينة السلام و مقرّ دارالخلافة، فستلقى الخواجه علي الغزنوي الحنيفي كيف كان يقيم هذه المراسم إلى درجة أنّه كان يبالغ في لعن السفيانيّين يوم عاشوراء ... وكانت بغداد حديثة عهدٍ بعزاء الحسين الموسوم بعزاء عاشوراء مع النياحة والعويل. و أمّا همدان، فعلى الرغم من كثرة المشبّهة فيها بسبب وجود راية السلطان و جيش الأتراك، بيد أنّ مجد الدّين الواعظ الهمداني كان يقيم العزاء يوم عاشوراء كلّ عام بشكل كان يعجب منه القمّيّون. و كان الخواجه الامام نجم أبو المعالي بن أبي القاسم البزاري يقيم العزاء في أحسن صوره بنيسابور مع أنّه كان حنفيّاً. وكان يأخذ المنديل و ينوح، و ينشر عليه التراب، و يصرخ عالياً خارجاً من طوره. و أمّا الري الّتي كانت من أُمّهات الحواضر في العالم، فقد كان واضحاً ماذا يفعل فيها الشيخ أبوالفتوح نصرآبادي، و الخواجه محمود الحدّادي الحنيفي و غيرهما يوم عاشوراء من العزاء و لعن الظالمين في محطّ القوافل بكوشك و المساجد الكبيرة. و هكذا كان الخواجه الامام شرف الأئمّة أبو نصر الهسنجاني يقيم مراسيم العزاء يوم عاشوراء سنويّاً بحضور الأُمراء و الأتراك و الوجهاء الكبار، و الحنفيّين المعروفين، و كان يتفقّ معه هؤلاء كلّهم، و يعينونه على ما هو بسبيله ... و رأى الناس الخواجه الامام أبا منصور حفيده، و هو مقدّم بين أصحاب الشافعي، عندما كان في الري، كيف كان يتلو قصّة عاشوراء في جامع سرهنك، و يفضّل الحسين على عثمان، و يسمّي معاوية باغياً. وكذلك كان يفعل القاضي عمدة ساوي حنيفي المتكلّم المعروف في جامع طغرل بحضور عشرين ألفاً من الناس، إذ يتلو قصّة عاشوراء و يقيم العزاء برأس حاسر و ثوب ممزّق ، و لم يفعل أحد مثله. و إذا كان مصنّف الكتاب رازيّاً، فلابدّ أنّه رأى و سمع ذلك. و شهد الناس الخواجه تاج شعري حنيفي نيسابوري كيف كان يبالغ في إقامة العزاء يوم عاشوراء بعد الصلاة في الجامع

---

١ - نقض: ٣٧١.

العتيق، و ذلك في سنة ٥٥٥ ﻫ بإجازة القاضي و حضور الامراء و الأكابر[١]. ويستشفّ من معلومات الرازي أنّ الحنفيّين والشافعيّين كانوا يفعلون كما يفعل الشيعة في إقامة مراسم العزاء في القرن السادس. وكانوا يبدأون بقراءة المقتل على عثمان، و عليّ - عليه‌السّلام - أحياناً و ذلك حفظاً للتوازن، ثمّ ينتقلون إلى مقتل الحسين - عليه‌السّلام[٢].

و ليس اعتباطيّاً ما نجده من موقف بعض السنّة إذ قاطعوا تلك المراسيم الّتي كانوا يشاهدونها مقامة من قبل أصحابهم، و سمّوها بدعة، و قالوا: «**يحرم على الواعظ و غيره رواية مقتل الحسين و حكاياته**». و هذا ما ردّده الغزالي و غيره[٣]. وكان هذا التشدّد باعثاً على لجوء السنّة إلى مواجهة هذه المراسم بمراسم أُخرى كانوا يقيمونها باسلوب من الأساليب. فقابلوا يوم عاشوراء بيوم سمّوه يوم مصعب بن الزبير، و قد كان بعد يوم عاشوراء بثمانية أيّام على زعمهم، إذ كانوا يذهبون إلى قبره في مسكن، و يبكون و ينوحون عليه. و تحدّث ابن العماد الحنبلي و غيره عن هذا الموضوع مفصّلاً[٤].

و من الأيّام الأُخرى الّتي واجهوا بها يوم عاشوراء: يوم الجمل. يقول ابن كثير: «و في سنة ٣٦٣ ﻫ في عاشوراء عُملت البدعة على عادة الروافض. و وقعت فتنه عظيمة ببغداد بين أهل السنّة و الرافضة، وكلا الفريقين قليل عقل أو عديمه... و ذلك أنّ جماعة من أهل السنّة أركبوا امرأة و سمّوها عائشة، و تسمّى بعضهم بطلحة، و بعضهم بالزبير، و قالوا: نقاتل أصحاب عليّ. فقتل بسبب ذلك من الفريقين خلق كثير[٥]. و لعلّ هذا يشير إلى وجود مراسم الشبيه بين الشيعة آنذاك، مع أنّه لا يدلّ على ذلك بصراحة.

٣ - عيدالغدير

يُعدّ يوم عيدالغدير من المراسيم الأُخرى للشيعة. و هو يوم محترم عندهم بسبب تنصيب أميرالمؤمنين - عليه‌السّلام - إماماً و خليفة من قبل النبيّ - صلّى‌اللّه عليه و آله. و يفرح الشيعة في هذا اليوم و يتزيّنون و يقيمون الولائم. وكانت مراسيم الغدير شائعةً في

---

١ - نقض: ٣٧٢ - ٣٧٣.　　٢ - نفسه: ٣٧٣.

٣ - الصواعق المحرقة، لابن حجر الهيتمي: ٢٢١، نقلاً عن المراسم و المواسم: ٨٣.

٤ - شذرات الذهب ٣: ١٣٠. المنتظم ٧: ٢٠٦.

٥ - البداية و النهاية ١١: ٢٧٥.

بغداد بنحو تامّ خلال القرن الرابع الهجري. وإنّ يومها من الأيّام الّتي كانت تحدث فيه المصادمات بين الشيعة و الحنابلة نوعاً ما.

و أشار ابن العماد الحنبلي إلى أنّ الشيعة اتّخذوا يوم الغدير عيداً، و ذكر ما فعله أهل السنّة في مقابل ذلك، و قال : «فعمدت غالية السنّة و أحدثوا في مقابل يوم‌الغدير يوم‌الغار. و جعلوه بعد ثمانية أيّام من يوم‌الغدير، و هو اليوم السادس والعشرون من ذي‌الحجّة. و زعموا أنّ النبيّ - صلّى‌اللّه عليه و آله - و أبابكر اختفيا حينئذٍ في الغار. و هذا جهل و غلط. فانّ أيّام الغار إنّما كانت بيقين في صفر و في أوّل شهر ربيع الأوّل[1]». و نصّ ابن الجوزي أيضاً على مقابلة أهل السنّة في افتعال يوم الغار[2].

ولم نلحظ في كتاب نقض شيئاً عن مراسم هذا اليوم. بيد أنّنا نجزم أنّ هذا التقليد كان سائداً في‌المراكز الشيعيّة في إيران، الّتي كانت على اتّصال بالمراكز الشيعيّة في العراق، بخاصّة في بغداد.

٤ - صلاة الجمعة عند الشيعة

كانت صلاة الجمعة من المراسم الدينيّة القائمة بين الشيعة. و لمّا كان ينبغي أن ينصب إمام الجمعة من قبل إمام المسلمين في الفقه الإسلامي، لذلك واجهت صلاة الجمعة بعض الإشكالات في الفقه الشيعي بسبب عدم وجود الإمام المعصوم، حتّى نجد فتاوى كثيرة بعدم وجوبها. ممّا دفع أهل السنّة إلى القدح بالشيعة. و نستشفّ من كلام الرازي أنّ صلاة الجمعة كانت مألوفة بين الشيعة على الصعيد العملي. و الدليل على ذلك وجود المساجد الجوامع في الحواضر الشيعيّة. و قد شيّدت أساساً من أجل صلاة الجمعة. يقول الرازي: «كانت هذه الصلاة - بحمداللّه و منّه - تقام في كافّة المدن الشيعيّة بشروطها و خطبتها و إقامتها. كما نجد ذلك في جامِعَي قم، و جامِعَي آوه، و جامع قاشان، والمسجد الجامع بورامين، و في جميع بلاد الشام و ديار مازندران. و من أنكر ذلك، فهو في غاية الجهل[3]».

---

١ - شذرات الذهب ٣ : ١٣٠ . ٢ - المنتظم ٧ : ٢٠٦ ؛ الكامل ٩ : ١٥٥ .

٣ - نقض : ٣٩٥ .

التشيّع في طبرستان

وجد السادة أرضيّة مناسبة للهجرة إلى شمال ايران على امتداد تلك السنين. فكان يتقاطر عليها من مصر، و الشام، و سواد العرب ما بين ألفين إلى ثلاثة آلاف علوي باستمرار[1]. و عُرف الحكّام هناك بميولهم الشيعيّة، فكانوا يساعدونهم حتّى حدث مرّة أنّ أحدهم أخرج من الخزانة ثلاثة و عشرين ألف دينار آملي ليتزوّج بها العلويّون الفقراء في طبرستان، والري[2].

إنّ حضور السادة في طبرستان، و هم الّذين كانوا يتولّون القيادة الدينيّة للناس عادةً، أدّى إلى نشوء الميول الشيعيّة عند الحكومات الّتي ظهرت هناك.

و استطاع حسام الدّولة شهريار من آل باوند أن يخرج طبرستان من قبضة آل وشمگير، وينقذها من غارات التركمان السلاجقة عام ٤٦٦ هـ، و يوحّدها تحت سلطته.

و عندما مات ملكشاه السلجوقي سنة ٤٨٧ هـ، نشب صراع بين نجليه: السلطان بركياروق، و السلطان محمّد. و تمخّض بعد مدّة عن قيام الحكومة وفقاً لمراد السلطان محمّد. و كان السلطان سنجر أخو السلطان محمّد يدير دفّة الحكم في شمال شرق إيران آنذاك. و أرسل السلطان محمّد إلى حسام الدولة أن يسلّم نفسه إلى السلاجقة، بيد أنّه

---

١ - تاريخ طبرستان لابن اسفنديار ١ : ١١٩ .   ٢ - نفسه : ١٢٠ .

أبى، فبعث إليه أميراً يدعى سنقر بخاري. و جاء هذا إلى آمل. فحضر عنده على ما نقل المرعشي «التكاكلة[١] برؤوس حاسرة و أقدام حافية، و قالوا له: قدمنا إلى ساري لنقطع دابر الروافض. لكن سنقر هزم في الاشتباكات الّتي جرت بين حسام الدولة و القوّات السلجوقيّة. و قُتل بعض أفراد جيشه، و أُلقي القبض على البعض الآخر. ثمّ جاء دور تكاكلة آمل فأمر حسام الدولة بجلبهم إلى المدينة وكيّ جباههم بمكواة عليها اسم محمّد و عليّ[٢]».

و تسلّم مقاليد الأُمور بعد حسام الدولة نجله الأكبر نجم الدولة الّذي كانت سيرته سيّئة فلم يطل به العهد حتّى جاء بعده أخوه علاء الدولة فاستقامت له الأُمور بمؤازرة السلطان محمّد. و بعد مضيّ مدّة احتدم صراع بينه و بين أخيه الصغير بهرام. وكان علاء الدولة مساعداً للسلطان محمود نجل السلطان محمّد. لكنّه بعث ولده رستم إلى سنجر بعد مقتل السلطان محمود على يد الشخص المذكور. و مع هذا، فقد اندلعت حرب بين علاءالدولة و سنجر. وكان بهرام يتلقّى الدعم والتعزيزات من سنجر، بيد أنّه هزم في تلك الحرب، ثمّ قتل بمكيدة دبّرها علاءالدولة.

و في هذا العصر ذاته، حصل وفاق سياسي بين السلطان سنجر و الإسماعيليّين، فكانوا يسارعون إلى إمداده و إعانته بين الحين و الآخر. وكان السلطان سنجر يعتزم مناوأتهم في البداية، لكنّه صالحهم عندما علم بقدرتهم على قتله[٣]. و أدّت هذه القضيّة إلى أن تنسب الاغتيالات الّتي قام بها الإسماعيليّون ضدّ آل باوند، لاسيّما رستم بن عليّ و نجله، إلى سلطان سنجر الّذي سمّوه: ملحداً[٤].

و في أعقاب هذا الموضوع، توجّه آل باوند إلى الاسماعيليّين، ثمّ ظهر بينهم العداء. وكان تشدّد آل باوند على الإسماعيليّين بحدٍّ لم يجرأ أحد منهم أن يخرج من ألَمُوت[٥].

---

١ - عصابة، شعور أفرادها طويلة و لا تمارس عملاً إجتماعيّاً شريفاً. و لعلّها تماثل في العربيّة عصابة الأوغاد و السفلة، المنبوذة اجتماعياً. المعرّب.

٢ - تاريخ طبرستان و رويان و مازندران للمرعشي : ٢١١ ـ ٢١٢ .

٣ - الجويني ٣ : ٢١٤ .

٤ - تاريخ طبرستان لابن اسفنديار ٢ : ٨٦ ـ ٨٧ ؛ تاريخ طبرستان و رويان و مازندران للمرعشي : ٢٤١ .

٥ - نفسه : ٨٧ .

ثمّ قتل نجل رستم بن عليّ الّذي كان معاهداً له على يد الإسماعيليّين فيما بعد، واسمه كردبازو. فدفعه هذا العمل إلى شنّ غاراته المتكرّرة ضدّ قلاع الإسماعيليّة[1].

و أشار الرازي إلى إجراءات رستم بن علي هذا، في حديثه عن دور الشيعة في الكفاح ضدّ الملاحدة – و هو اسم آخر للإسماعيليّين – و قال: «و أيّ سنّيّ على وجه البسيطة و في حدود العالم الإسلامي فعل بالملاحدة كما فعل ملك الملوك ألب رستم بن عليّ بن شهريار الشيعي؟ إذ فتح قلاعهم، و قبض عليهم، و قتل، و نهب، و فعل ما فعل. و ذلك أظهر من الشمس[2]».

و حسبنا هذا التوضيح عمّا صرّح به بعضهم قائلاً: «إنّما حدث تطوّر سياسي في موقف الشيعة الإماميّة من الإسماعيليّة عندما عزم المغول على إبادة الاسماعيليّة فحسب[3]». وكأنّ هاتين الفرقتين كانتا جنباً إلى جنب، أوكانتا منسجمتين حتّى تلك الفترة!

و تمتّع العلويّون بنفوذ كبير في عهد رستم بن علي إلى درجة أنّه أمر ذات مرّة بتنفيذ ما أراده أحد العلويّين، و اسمه مرتضى، دون الحاجة إلى توقيعه. كما أمر بصرف أموال طائلة لتشييد مدرسة لهم في الري. وكانت هذه المدرسة في حيّ زاد مهران الّذي كان في عداد الأحياء الشيعيّة فيالمدينة المذكورة. و نقل لنا ابن اسفنديار معلومات عن هذه المدرسة و أساتذتها[4].

و كان للزيديّين امتداد كبير في المناطق الشماليّة من إيران. و هم الّذين ركنوا فيما بعد إلى مذهب الإماميّة على مرّ القرون. و كان عدد كبير من الزيديّين يقطن في شمال إيران أيّام الرازي مؤلّف كتاب النقض، أي: في القرن السادس. و قال المؤلّف المشار إليه عن مساكنهم: «... و هذا المذهب ظاهر و معروف في أقاليم العالم كجبال جيلان، و الديلم، و اليمن، و الطائف، والكوفة، و مكّة حرم اللّه. و أتباعه لا يعملون بالتقيّة. و يعتنق هذا المذهب سادة كثيرون من النقباء و الرؤساء في الري.[5]». و قال في موضع آخر: «يكثر

---

١ – انظر: **تاريخ طبرستان و رويان و مازندران** للمرعشي: ٢٤١. و انظر: **تاريخ طبرستان** لابن اسفنديار ٢: ١٠٣. و قد أشرنا إلى ذلك في الصفحات المتقدّمة.

٢ – **نقض**: ٥٥٣.

٣ – **دين و دولت در ايران عهد مغول**، بياني: ٢٥٠.

٤ – **تاريخ طبرستان** لابن اسفنديار ٢: ٩١.

٥ – **نقض**: ٤٢٠.

الزيديّون في اليمن، والطائف، و مكّة، والكوفة، و أكثر مناطق جيلان، والديلم، و بعض مناطق المغرب. و كانت الخطبة و السكّة باسمهم[١]».

و كان حاكم مازندران أيّام الناصر لدين‌اللّه ذا ميول شيعيّة إماميّة[٢].

---

١ - نقض: ٤٥٨.

٢ - تاريخ الخلفاء: ٢٩٧، نقلاً عن كتاب الفكر الشيعي و النزعات الصوفيّة: ٥٦.

تشكيل الحكومة الاسماعيليّة في ايران

مرّ بنا أنّ النشاطات الإسماعيليّة في إيران كانت في تصاعد إبّان القرن الخامس الهجري. و كان دعاة الإسماعيليّة منهمكين في نشر أفكارهم في الحواضر المختلفة، و منها: أصفهان، والري، و خراسان الّتي كانت من مراكزهم الناشطة آنذاك.

و يُعدّ عبدالملك عطاش أحد دعاتهم المعروفين في أصفهان. و على الرغم من وجود المذهب السنّي في المدينة المذكورة، فإنّ نشاطه الدعائي أوجد من الإسماعيليّة حركة لافتة للنظر نسبيّاً في تلك المدينة. و لم يقتصر هذا الموضوع على أصفهان، بل كانت ساوه أيضاً من الحواضر الّتي مارس الإسماعيليّون نشاطاتهم علانيّةً، و هي من المراكز السنّيّة الّتي عاشت في صراعات دائمة مع منطقة آبه الشيعيّة. و بلغ الأمر فيها أنّ أوّل خطوة علنيّة اتّخذها الإسماعيليون قبل تأسيس حكومتهم في إيران كانت في ساوه على حدّ تعبير ابن الأثير، إذ قال: اجتمع منهم ثمانية عشر رجلاً فصلّوا صلاة العيد فيها. ففطن الحاكم، فأخذهم و حبسهم. ثمّ سُئل فيهم فأطلقهم[1]. وكانت مصر هي الّتي تموّن هذه التحرّكات. فإنّ عدداً من هؤلاء الدعاة إمّا كانوا أنفسهم قد زاروا مصر، أو اتّصلوا بالدعاة الّذين كانوا قد تلقّوا التعليمات الإسماعيليّة فيها. و تقارن اتّساع هذه التحرّكات مع ظهور شخص يُدعى: الحسن بن محمّد بن الصبّاح. فقد تأثّر هذا الشخص بالدعايات الإسماعيليّة، ثمّ

---

١ - **الكامل** ٨: ٢٠٠، ١٠: ٣١٣.

أصبح مؤسّساً لحكومة كانت قائمة من سنة ٤٨٣ هإلى حدود سنة ٦٥٥ ه، و لم يستطع الأتراك السلاجقة - على اقتدارهم و تعبئتهم الجيوش - أن يقضوا عليها.

و تُعدّ الحكومة الإسماعيليّة ثاني حكومة شيعيّة بعد الحكومة البويهيّة. و إنْ كانت هناك فوارق جوهريّة بين العقائد الإسماعيليّة والعقائد الشيعيّة الإماميّة، لكنّ موقفهما من السنّة متماثل تقريباً.

إنّ الأخبار الّتي وصلتنا عن هذه الحكومة قليلة. و مثَلها كمثل كثير من الحكومات الأُخرى في تدوين الحوادث المتعلّقة بها بعد سقوطها. أو إذا كانت ثمّة معلومات عنها، فإنّها غير متيسّرة إلّا في نطاق محدود.

و نجد أخبار هذه الحكومة في كتابين تاريخيين مهمّين تمّ تأليفهما في تلك المعمعة الّتي رافقت غزو القلاع الإسماعيليّة أيّام المغول. أحدهما : **تاريخ جهانكشاى** للجويني، و الآخر: **جامع التواريخ** لرشيدالدّين فضل‌اللّه. و هما يحويان أخباراً من الطراز الأوّل حول حكومة الإسماعيليّين في إيران. أمّا الكتب الكثيرة الّتي أشارت إلى الإسماعيليّين فيما بعد، فانّها أخذت معلوماتها منهما، و ضمّت إليها ماكانت تتناقله ألسن الناس فدوّنته معها.

و عندما تمّت السيطرة على قلعة أَلَمُوت، فإنّ مكتبتها وقعت بأيدي المغول. فاستأذن الجويني هولاكو أن يفرز بعض الكتب الخاصّة فيها، و يدمّر الباقي منها[1]. و وقع كتاب بيد الجويني يحوي «سرگذشت سيّدنا» أي: سيرة سيّدنا، و هو يتحدّث عن حياة الحسن بن الصبّاح. و يعتبر هذا الكتاب منبعاً للأخبار المتعلّقة بالشخص المشار إليه. و ما ذكره رشيدالدّين و غيره فيما بعد تكرار لتلك الأخبار.

و من المؤسف أنّ تعصّب الجويني لم يدعه أن ينقل كافّة الأُخبار والمعلومات، على حدّ تعبير المرحوم القزويني[2].

و كانت المكتبة المذكورة تضمّ كتباً كثيرة. و شهدت جرداً لها قبل تلك الحادثة أيضاً، إذ دمّرت كتب جمّة منها. و ذلك عندما أراد حسن نَوْمُسَلْمان مرّة أن يزيل تهمة الالحاد عن إسماعيليّ أَلَموت، فطلب من علماء السنّة في قزوين أن يزوروا المكتبة المذكورة «و يفرزوا الكتب الّتي تثبّت مذهب الإلحاد و الزندقة و تخالف عقائد المسلمين. ثمّ

---

١ - **تاريخ جهانگشاى** ٣ : ٣٦٩ - ٣٧٠.

٢ - القزويني، هامش ج ٣ ؛ **تاريخ جهانگشاى** : ١٨٧.

يحرقوها[١]». و في ضوء هذا، ينبغي أن نقول إنّنا لا نمتلك معلومات ذات أهميّة تذكر عن عقائد الألموتيّين و أخبارهم الأولى. بخاصّة أنّ الباقي منها لم يسلم من تعصّب الجويني و أمثاله، و من النظرة السلبيّة السائدة في المجتمع السنّي حيال الإسماعيليّين.

إنّ مؤسّس الحركة الجديدة، أو الدعوة الجديدة حسب التعبير المشهور، هو الحسن بن الصبّاح الّذي كان يخاف من اسمه أكثر الحكّام و الأمراء على امتداد حكومته الّتي دامت قرابة أربعة عقود. و انّ المعلومات الّتي نقلها الجويني تحت عنوان: (سيرة سيّدنا)[٢] تدلّ على أنّ ابن الصبّاح كان على المذهب الإثني عشري في بادىء أمره. ثمّ عدل عنه بتأثير رجل إسماعيليّ في الري يُدعى: أمير ضرّاب، الّذي استطاع أن يزرع الشكّ في قلبه و يمهّد الأرضيّة لاستقطابه بعد مناقشات متوالية خاضها معه. ثمّ تعرّف بعده على رجل يدعى : أبا النجم السّراج، فدلّه على غوامض الدّين و استماله إلى المذهب الإسماعيلي. و بعد ذلك قصد - بوصفه إسماعيليّاً - داعي الإسماعيليّين في أصفهان: عبدالملك بن عطاش و بايعه. و هكذا تمكّن من الاتّصال بالتيّار التنظيمي للإسماعيليّة في مصر بواسطة عبدالملك الّذي شعر باستعداده الكبير للنموّ، فطلب منه التوجّه إلى مصر لتلقّي التعاليم اللازمة. فشدّ رحاله صوب مصر و وصلها بعد أن تجشّم عناءً كبيراً في سفره.

و كان الحسن قبل ذهابه إلى مصر شخصيّة خاملة الذكر. و أفادت حادثة منقولة أنّه كان في بلاط السلاجقة مدّة، ثمّ أُرغم على تركه بدسيسة نظام الملك[٣].

فتوجّه إلى مصر، و أصبح معروفاً تماماً بين الشخصيّات المصريّة المشهورة لذلك رحبّوا به ترحيباً خاصّاً. و قال رشيدالدين: «عندما وصل إلى مدينة مقس القريبة من القاهرة، استقبله وفد من الأعيان المعروفين و فيهم داعي الدعاة أبو داود، و شريف ظاهر القزويني[٤]» ممّا يدلّ على مكانة الحسن بن الصبّاح عندهم.

و كان وفوده على مصر في سنة ٤٧١ هـ. و أقام فيها زهاء عامين. و كان الامام الاسماعيلي المستنصر باللّه العلوي يشيد به و يثني عليه، مع أنّه لم يلتقهِ عن قرب. و هذا أيضاً ينبىء عن منزلته عند الحكومة المصريّة.

---

١ - تاريخ جهانگشاى ٣ : ٢٢٤ .
٢ - سرگذشت سيّدنا.
٣ - تاريخ جهانگشاى ٣ : ١٩١ .
٤ - جامع التواريخ : ٦ .

و لعلّه لم يرغب في ترك مصر عاجلاً لولا الخلاف الّذي نجم بين أعضاء الحكومة هناك، فأرغمه على مغادرتها. و نشأ هذا الخلاف عن قرار المستنصر بتعيين ولده نزار خليفة له بعد حكم دام ستّين سنةً. ثمّ غيّر رأيه بعد مدّة لأسباب معيّنة، فنصب ولده الآخر المستعلي مكانه. فانحاز جماعة إلى جانب نزار متذرّعين بأنّه أوّل من نصّ عليه أبوه كاسماعيل بن جعفر الّذي ادّعوا كذباً أنّه أوّل من نصّ عليه الإمام الصادق - عليه‌السّلام - بالامامة. و مال آخرون إلى المستعلي فنشب صراع بين الاثنين، انتهى بمقتل نزار.

و كان الحسن بن الصبّاح إلى جانب نزار، فاضطُرّ إلى ترك مصر عائداً إلى إيران. و جاء إلى يزد و كرمان سنة ٤٧٣ هـ. ثمّ أقام في دامغان ثلاث سنين. و تركها متوجّهاً إلى باته جرود «وانخدع به كثير من الناس لما كان يبدو عليه من غاية الزهد». و انشغل بالرحلات العديدة والتبليغ في أنحاء متفرّقة من سنة ٤٧٣ هـ إلى سنة ٤٨٣ هـ، و فيها ذهب إلى ألَموت. و مكث فيها ثماني و ثلاثين سنة لم يخرج من غرفته، و لم يصعد على سطح القلعة إلّا مرّتين[١].

و كان الحسن بن الصبّاح قبل توجّهه إلى ألَموت ملاحقاً من قبل السلاجقة، بخاصّة وزير المعارف في حكومة ملكشاه. و هو الخواجه نظام الملك الّذي أصدر أوامره إلى حاكم الري بإلقاء القبض عليه. لكنّ الحسن لم يرجع إلى الري[٢]، بل توجّه تلقاء ألموت.

و ينبغي أن نوضّح نقطة ترتبط بالاشارة إلى عقيدة الحسن بن الصبّاح الاولى الواردة في (سيرة سيّدنا)[٣] قائلين:

لا يمكننا أن نقطع بمذهبه الاثني‌عشري. إذ إنّ خصوم الإسماعيليّة كانوا يخطّطون دائماً لعرض الإسماعيليّة و التشيّع في قالب واحد منسجم تماماً، والنظر إلى التشيّع الامامي كممهّد للتشيّع الإسماعيلي في الأقلّ. وكانوا يقولون: التشيّع طريق إلى الإلحاد[٤].

أمّا الشيعة فقد رفضوا هذه النبرة، إمّا خوفاً أو رغبةً في إبداء معارضتهم حقّاً، بخاصة عندما أصبح الإلحاد رسمياً في ألموت. و ينكر عبدالجليل الرازي هذه المسألة بشدّة، و هو الّذي ألّف كتابه في أوائل القرن السادس حينما كانت الحكومة الإسماعيليّة في ذروة

---

١ - تاريخ جهانگشاى (تاريخ فاتح العالم) ٣ : ١٩٤ ؛ جامع التواريخ : ٦٠.

٢ - جامع التواريخ : ٩.

٣ - سرگذشت سيّدنا.

٤ - نقض : ١١٨.

عزّها. و ينكر أيضاً اعتناق الحسن بن الصبّاح للمذهب الاثني‌عشري. و يقول في الّـذين أرسوا دعائم الإلحاد:

«أحدهم رئيس جميع الملحدين و مقدّمهم و إمامهم و مقتداهم في العقود الثمانية الماضية، و هو الحسن بن الصبّاح[1] الجبريّ بن الجبريّ الساكن في مستنقع آسن. وكان في‌الري، في حيّ المدرّس الصوفي عبدالرّزاق بيّاع زميل تاج‌الملك المستوفي الجبريّ. ولم يسكن في مصلحگاه، و لا في زاد مهران. و يعلم شيوخ الطائفة مذهب أبيه[2]».

و تحدّث بعد ذلك أيضاً عن رؤساء الباطنيّة الآخرين و أثبت تسنّنهم اعتماداً على مواطنهم و مساقط رؤوسهم. يضاف إلى ذلك أنّه ذكر أدلّة أُخرى طريفة في هذا المجال. و نقل القاضي نوراللّه في رسالة أوردها في كتابه أنّ الحسن بن الصبّاح كتب إلى ملكشاه الّذي اتّهمه بابداع دين جديد قائلاً:

«كان أبي امرءً مسلماً على مذهب الشافعي. أرسلني إلى المكتب، و برعت في شتّى العلوم، بخاصّة علوم القرآن و الحديث. بعد ذلك ظهر عندي تحمّس على الدّين. و رأيت في كتب الشافعي روايات كثيرة في فضيلة أولاد النبي و إمامتهم[3]».

و تؤيّد هذه الفقرة ما ذهب إليه الرازي أيضاً. فإنْ صحّت هذه الرسالة، و قبلنا دليل الرازي، فعلينا التسليم بعدم وجود أيّ علاقة له بالتشيّع الإثني‌عشري. و إنّما ركّز هؤلاء على تشيّعه الامامي من أجل أن يربطوا بين أجزاء هذا التيّار مستغلّين الدعايات المعادية للباطنيّين ضدّ الشيعة كافّة.

و عندما استولى الحسن على ألموت، استطاع أن يخضع مناطق أُخرى لسيطرته بأساليب و طرق مختلفة. و قام قبل كلّ شيء بتوطيد تحصيناته، و توسيع إمكانيّاته في ألموت تأهّباً لهجمات الحكّام السلاجقة. و يعتبر الارتباط التنظيمي الحركي الّذي أوجده من أهمّ البواعث على اتّساع الدعوة الإسماعيليّة. و مارس الإسماعيليّون نشاطاتهم في شبكات تنظيميّة قويّة. و حاولوا أن يتحرّكوا و يقوموا بأعمالهم في البداية ملتفّين حول الإمامة إذ إنّ لهم عقيدتهم حول الاتّصال بالامام و تمحور الإمامة. و إنّ وجود الأئمّة المستورين مَعْلم أو دليل على نوع من الحركة السرّيّة الّتي رعاها الإسماعيليّون جيّداً.

---

١ - يدلّ هذا الكلام على أنّ كتاب نقض صُنّف في حدود سنة ٥٦٥ هـ.

٢ - نقض: ١٢٤.
٣ - مجالس المؤمنين ٢: ٣١١.

وكانوا يقومون بأكبر الأعمال في سرّيّة تامّة.

من جهة أُخرى، اختار الحسن العمل الدعائي و التبليغي بوصفه أهمّ المحاور، و وجّه دعاته إلى مختلف الأرجاء بعد استقراره في ألموت[١]. و تمكّن بواسطتهم أن يستقطب كثيراً من الناس، و يُخضع كثيراً من القلاع المعروفة في الغرب و الشرق لسلطته و سلطة أنصاره.

و حقّق بعض الانتصارات مستهدياً بالأساليب الحربيّة والعسكريّة، و كان يحاول أن يرسّخ أساس القلاع المغزوّة بوجه خاصّ. يقول الجويني: «أحكم الحسن قبضته على كلّ موضع تلبّس بدعوته. و من لم يلن لتعزيره، فليس أمامه إلّا القتل، والهتك، والنهب، و السفك، و الحرب. و كان يأخذ كلّ ما تيسّر من القلاع. و أنّى وجد حجراً خليقاً بالبناء، فإنّه يشيّد عليه قلعة[٢].

و بعث الحسن حسينَ القايني أحد دعاته إلى مناطق قهستان في جنوب خراسان سنة ٤٨٤هـ، أي: بعد استقراره في أَلَمُوت بسنة. فاستطاع المبعوث أن يُخضع عدداً كبيراً من القلاع و المناطق لسيطرته[٣].

و من الأساليب الأُخرى الّتي استعملها الحسن بن الصبّاح: الاغتيال، الّذي لجأ إليه في البداية لصدّ العدوان، ثمّ أفضى - طبيعيّاً - إلى استقطاب كثير من الناس سياسيّاً. «فكان كلّ من خاصمه، يكفيه الفدائيّون أمره[٤]».

و استطاع أن يبرز كشبح مخيف للحكّام بعد اغتيال الخواجه نظام الملك بوصفه أوّل اغتيال سياسي قام به الإسماعيليّون. وكان نظام الملك - كما عبّر عنه البعض - «قد وقف بجدّ لقطع دابر القصور، واقتلاع جذور الوهن و الكسل. و بالغ في التجهيز لاجتثاثهم[٥]». و أصبحت هذه الخطوة الّتي اتّخذها الحسن عبرةً للأُمراء كي يتفادوا الاصطدام بهم. يقول الجويني: «قويت شوكة الحسن بن الصبّاح بعد مقتل الخواجه و موت ملكشاه. و كلّ من خاف بطشه، كان يذهب عنده. و بعد ذلك فانّه كان يقتل باستمرار الأُمراء و قادة الجيوش

---

١ - تاريخ جهانگشاى ٣ : ١٩٥ ؛ جامع التواريخ : ١٢ .

٢ - تاريخ جهانگشاى ٣ : ١٩٩ و ١٤ . ٣ - جامع التواريخ : ١٤ ـ ١٥ .

٤ - مجمع التواريخ السلطانيّة ، حافظ ابرو : ٢١٣ . و نقل هذا المؤلّف فهرساً بأسماء المقتولين في عهد الحكّام الإسماعيليّين. انظر : ٢٢٣ ، ٢٣١ ، ٢٤١ . ٥ - جامع التواريخ : ١٨ .

و الأعيان بمكيدة فدائيّة. و بهذه المكيدة أيضاً كان يقضي على كلّ من كابره و ناوأه[١].

و لم تقتصر هذه الاغتيالات على الحكّام السياسيّين، بل شملت أيضاً العلماء و الفقهاء الّذين كانوا يمارسون نشاطات ضدّ الإسماعيليّة، كالفخر الرازي الّذي هدّدوه بالقتل، فتراجع بعد التهديد، و لم يتعرّض لهم بسوء[٢]. و اغتيل أبو جعفر بن المشّاط، و هو من شيوخ الشافعيّة، و كان يدرّس في الري[٣]. كما اغتيل القاضي أبو العلاء النيسابوري في أصفهان[٤]. و شملت حملة الاغتيالات أيضاً القاضي أبا سعد بن نصر الهروي الّذي لقي مصيره في همدان سنة ٥١٩ هـ[٥]، و عبداللطيف الّذي قتل سنة ٥٢٤ هـ، و كان من رؤساء الشافعيّة في اصفهان[٦].

و هؤلاء كانوا ـ عادةً ـ من الّذين أفتوا بجواز قتل الاسماعيليّين و حكموا عليهم بالإلحاد.

و استمرّ هذا الموقف بعد الحسن بن الصبّاح أيضاً. و استطاع الإسماعيليّون أن يخلّصوا أنفسهم من مضايقات السلاجقة إلى حدّ كبير من خلال تسخير فدائيّيهم للقيام بحملة الاغتيالات. و هيّأوا لهم جوّاً من الأمن و الهدوء عبر تخويف السلاجقة.

و عاش الإسماعيليّون في صراع متواصل مع السلاجقة طوال الفترة الّتي حكم فيها الحسن بن الصبّاح، و نائبه بزرك اميد. و نقل المؤرّخون هذه الحوادث في كتبهم، و منهم ابن الأثير. و كانت الصراعات الداخليّة بين الحكّام السلاجقة والخلافات الوزاريّة الناشبة في حكومتهم قد ساعدت الاسماعيليّين في أوقات عديدة. و تكبّد الاسماعيليّون أنفسهم خسائر جسيمة فادحة في غير موطن أيضاً. بيد أنّه على الرغم من جميع الضغوط و المضايقات، فإنّ المغول وحدهم تمكّنوا من احتلال ألَمُوت.

و تحدّثنا فيما مضى عن عقائد الاسماعيليّة بشكل عام و موجز. و أشرنا إلى أنّ للإسماعيليّين فروعاً خاصّة محدودة جدّاً حتّى الفترة الّتي أقام فيها الحسن بن الصبّاح حكومة إسماعيليّة في إيران. و جُلّ هؤلاء كانوا من الّذين أقرّوا بحاكم مصر إماماً حقّاً. و عندما تراجع المستنصر بالله عن رأيه في تعيين نزار خليفة له، و نصب المستعلي مكانه،

---

١ - تاريخ جهانگشاى : ٢٠٦ ـ ٢٠٧ .
٢ - جامع التواريخ : ١٠٢ .
٣ - الكامل لابن الأثير ٨ : ٢٢٨ ، حوادث سنة ٤٩٨ هـ .
٤ - نفسه : ٢٣٦ ، حوادث سنة ٤٩٩ هـ .
٥ - نفسه : ٣١٩ .
٦ - نفسه : ٣٣٠ .

فإنّ عدداً منهم لم يقرّ بامامة المستعلي، و ثبت على إمامة نزار. و اشتهر هؤلاء في التاريخ بالنزاريّة. و كان الحسن بن الصبّاح من أنصار نزار. لذلك قطعت علاقته بالفاطميّين في مصر، و بلغت درجة أنّ كلاً منهما كان يقوم باستفزازات كثيرة ضدّ الآخر.

و ثمّة بحوث فلسفيّة تحوم حول العقائد الجزئيّة للإسماعيليّة لا يسع المجال هنا لنقلها مفصّلاً. و نذكر فيما يأتي عدداً من العبارات بايجاز لنستبين المبادىء العامّة للإسماعيليّين. يقول الجويني:

«و سرّ هذه الدعوة الزاخرة بالشرّ أنّ أتباعها حذوا حذو الفلاسفة في قولهم: إنّ العالم قديم، والزمان غير متناهٍ، والمعاد روحاني. و أوّلوا الجنّةَ و النار، و ما فيهما تأويلات روحانيّة. فقالوا على هذا الأساس: إنّ القيامة تحين إذا وصل الخلق إلى اللّه، و ظهرت بواطن الخلائق و حقائقها، و رفعت أعمال الطاعة. و الدنيا كلّها عمل لا حساب. والآخرة كلّها حساب لا عمل. و هذه هي الروحانيّة[1]».

إنّ التأويل أهمّ ركن من أركان الباطنيّة. و اشتهر الإسماعيليّون به. فالتأويل الروحاني للمعاد الّذي يعبّرون عنه أحياناً بقيام القيامة في هذه الدنيا أمر ملموس جيّداً في تعابير الاسماعيليّين، لا سيّما في مراحل خاصّة من حكمهم في ألموت. بيد أنّ هذا لا يعني أنّهم لم يعتنوا بظاهر الشرع قطّ، بل كانوا يعتنون و يهتمّون به اهتماماً تامّاً في بعض الحالات.

إنّ الأخبار الّتي نقلها الجويني عن مراعاة الحكّام الاسماعيليّين لظواهر الشرع مقدّمة على غيرها. و ننقل فيما يأتي بالترتيب عباراته حول مختلف الحكّام، و كذلك عبارات رشيدالدّين. يقول : «لمّا بنى الحسن بن الصبّاح عمله على أساس الزهد، والورع، والأمر بالمعرف و النهي عن المنكر، لم يجهر أحد بشرب الخمر، و لم يصبّه في الدنّ طول خمس و ثلاثين سنة من حكمه في ألموت. و بلغ الأمر حدّاً أنّه طرد شخصاً كان يضرب بالعود على القلعة، و لم يسمح له بالعودة إلى القلعة. و كان له ولد اسمه محمّد اتّهم بشرب الخمر، فأمر بقتله (و أشار الجويني سابقاً إلى قتل ولده الآخر الّذي اتّهم بقتل حسين القايني). و علّل قتل ولديه بأنّه كان لا يريد أن يخال أحد أنّه جعل الدعوة لهما. و يعضد هذا أنّه أرسل زوجته و بنتيه إلى «گرد كوه» عند المحاصرة. و كتب إلى الرئيس مظفّر

---

١ - تاريخ جهانگشای ٣ : ٢٣٧ .

يوصيه بأن يغزلن، و يُدفَع إليهنّ ما فيه بُلغتهنّ [١]».

و قال شبانكارهاى أيضاً: «وضع الحسن بن الصبّاح أساس عمله على الزهد والتقوى. لم يبحث عن جاه و منصب. و كان يصلّي و يصوم و يزكّي. و كان شديد التمسّك بالدّين إلى درجة أنّه قتل ولديه باقامة الحدّ الشرعي عليهما بسبب شرب الخمر [٢]» و يستشفّ من كلام رشيدالدّين أنّ الإسماعيليّين كانوا عبّاداً أتقياء قبل الحسن [٣].

و عندما مات الحسن بن الصبّاح سنة ٥١٩ هـ، حلّ محلّه نائبه بزرك اميدكيا. و كان من زملائه، و احتلّ قلعة لمسر و حكم فيها عشرين سنة. و كان يراعي ظواهر الشرع كصاحبه. يقول الجويني:

«عندما جلس بزرك اميد على العرش مع رفاقه الآخرين، فإنّه سار بسيرة الحسن بن الصبّاح عشرين سنة [٤]».

و يقول الجويني أيضاً في ابنه الّذي كان نائبه:

«و اقتدى محمّد بن بزرك اميد بالحسن بن الصبّاح و بأبيه في إقامة الشعائر الإسلاميّة و الالتزام بالشؤون الشرعيّة [٥]».

و يُعدّ نائب محمّد، و هو نجله الحسن بن محمّد أوّل حاكم إسماعيلي خرج على النظام المألوف المتمثّل برعاية ظواهر الشرع من خلال تمسّكه بقاعدة التأويل. و أسّس نوعاً من الحكومة التأويليّة القائمة على أساس الباطنيّة و الموافقة لهواه. يقول الجويني:

«إنّما قام في أوّل تولّيه شؤون الحكم بعد أبيه بابطال الشعائر الشرعيّة و القواعد الإسلاميّة الّتي كانوا يلتزمون بها منذ عهد الحسن بن الصبّاح [٦]»

و أعلن الحسن بن محمّد هذا عن «شعائر القيامة». و قال: «الآن حان يوم القيامة. واليوم حساب لا عمل. لذا من عمل بحكم الشريعة في يوم القيامة، و واظب على العبادات و الشعائر، استوجب النكال و القتل و الرجم و التعذيب [٧]».

و جاء بعده نجله محمّد المعروف بـ«على ذكره السلام» فكان أكثر غلوّاً من أبيه.

---

١ - تاريخ جهانگشاى ٣ : ٢١١ . و انظر : مجمع التواريخ السلطانيّة : ٢١٢ .

٢ - مجمع الأنساب : ١٢٨ .

٣ - جامع التواريخ : ١٦٨ .

٤ - تاريخ جهانكشاى ٢ : ٢١٧ .

٥ - نفسه ٢ : ٢٢٢ .

٦ - نفسه ٣ : ٢٢٥ .

٧ - نفسه : ٢٣٨ .

وحكم ستّاً و أربعين سنة.

أمّا جلال الدّين بن محمّد المذكور، فكان عكس أبيه إذ راعى ظواهر الشرع، و أقام علاقات مع حكّام بغداد. و لذلك عرف بـ«جلال‌الدين نو مسلمان»[١]. و خلفه نجله علاءالدّين الّذي انتهج الالحاد مذهباً[٢]. و لكن جاء بعده ركن‌الدّين خورشاه - الّذي استسلم لهولاكو، و هو آخر حاكم إسماعيلي - فأقام شعائر الإسلام[٣].

وكنّا قد ذكرنا سابقاً أنّ الباطنيّة لا تتنافى مع توجّه يتّسم بالغلوّ. و عندما تتبدّل رعاية ظواهر الشرع إلى أعمال مضادّة للشرع بلا مسوّغ شرعي و لا تواجه مشكلة من الوجهة العقيديّة، فانّها تغذّي مثل هذا التوجّه في باطنها طبيعيّاً.

و نقول في حقل العقائد الّتي كان يتمسّك بها الألموتيّون : إنّهم اشتهروا بقولهم: إنّ معرفة اللّه تتحقّق عن طريق المعلّم فحسب، لا عن طريق العقل و النظر. و لهذا السبب أصبح اسم (التعليميّة) من أسمائهم.

و شرح الشهرستاني (٤٧٩ - ٥٤٨) الأدلّة على هذا الموضوع من نصّ فارسي نقله إلى العربيّة. و هو الّذي عاصر الحكومة الإسماعيليّة، و اتّهم بالميل إليهم والدعوة إلى عقائدهم[٤]. وكان ينوي - حسب رأيه - إثبات هذا الموضوع المتمثّل في إمكان معرفةاللّه عن طريق المعلّم الصادق فحسب من خلال قوله: إنّ كلّ من أثبت اللّه بالعقل والنظر، فإنّه يقف في مقابل من ينفي اللّه بالعقل والنظر أيضاً[٥]. و هذا الاستدلال مماثل لاستدلال (كانْتْ) في عرض القضايا الغيبيّة (القضايا المعلّقة بما وراء الطبيعة) بوصفها قضايا جدليّة الطرفين. بيد أنّ كانْتْ نفى قصور العقل، و هو يرى أنّ وجود اللّه يثبت عن طريق العقل العملي . بينما يرى الحسن بن الصبّاح أنّ ذلك متيسّر عن طريق المعلّم الصادق. و نقل الجويني عنه في هذا المجال قائلاً:

«إنّه أوصد باب التعليم والتعلّم تماماً. و قال : إنّ معرفة اللّه لا تتحقّق بالعقل والنظر، بل بتعليم الامام. إذ إنّ أكثر الناس عقلاء. و لكلّ أمرىء نظر في الدّين. و لو كان العقل كافياً في

---

١ - أي جلال الدين المسلم الجديد.

٢ - تاريخ جهانگشاى ٣ : ٢٥٠ .

٣ - نفسه : ٢٦٠ .

٤ - لسان‌الميزان لابن حجر ٥ : ٢٦٣ . نقله ابن السمعاني.

٥ - الملل والنحل ١ : ١٧٦ - ١٧٧ .

معرفة اللّه، لما احتجّ أحد على غيره في أصل الدّين، و لتساوى الناس كلّهم أجمعون في ذلك[١]».

و نتحدّث فيما يأتي عن المجرى التاريخي لهذه الحكومة من خلال نظرة توضيحيّة كلّيّة موجزة:

بدأت الحكومة الإسماعيليّة أعمالها الرسميّة سنة ٤٨٣ هـ. أي: عندما بسط الحسن بن الصبّاح سيطرته على ألموت. و استولى الإسماعيليّون في عهده على قلاع أُخرى كثيرة في أطراف ألموت و قهستان، و كذلك في شيراز و أصفهان. و كانت سلطتهم قويّة إلى درجة أنّهم قاوموا هجمات السلاجقة مرّات كثيرة، مع أنّ هلاك بعض السلاطين السلاجقة أو وزرائهم كان يساعد في تخفيف الضغط على الإسماعيليّين. و عندما قتل الخواجه نظام الملك سنة ٤٨٥ هـ، ازدادت قدرة الاسماعيليّين. يقول فضل‌اللّه: «تضعضعت شؤون الدولة و اختلّت منذ وفاة الخواجه. و ظهرت الفوضى و الاضطرابات فيها. و في تلك الأثناء، قوي سيّدنا. و كلّ من كان فزعاً خائفاً، التجأ إليه[٢]. و عندما وصل خبر موت السلطان بعد مضيّ عدّة أيّام، رجع القائدان العسكريّان السلجوقيان اللّذان كانا يحاربان الإسماعيليّين، و هما قزل سارغ في قهستان، و ارسلانتاش في ألموت. و كانت هذه أفضل فرصة لتنامي حكومتهم و اتّساعها[٣]».

و وقعت قلعة لمسر بأيديهم سنة ٤٩٥ هـ، و هي من قلاعهم المشهورة. و كانت قوى متفرّقة أُخرى تساعد الإسماعيليّين أيضاً. و من هؤلاء الأمير مظفّرالّذي كان صاحب الخراج في أصفهان أيّام السلطان ملكشاه، فإنّه رحّب بعبدالملك عطاش مبعوثاً من قبل حكومة ألموت، بيد أنّه لمّا كان عرضة للاتّهام بالإسماعيليّة، خرج من أصفهان. فأصبح ذا نفوذ كبير ... و قويت شوكة الحسن بن الصبّاح و دعوته بمظاهرته و معاضدته إذ كان سدّاً منيعاً، و شخصاً رفيعاً[٤]. و هو الّذي أخذ (كردكوه)، و ظلّ فيها أربعين سنة من قبل الحسن بن الصبّاح[٥].

و عندما مات السلطان ملكشاه، نشب الصراع بين ولديه: السلطان محمّد، و السلطان

---

١ - جامع التواريخ : ١٢ ـ ١٣. تاريخ جهانگشاى ٣ : ١٩٥ ـ ١٩٦ .

٢ - جامع التواريخ : ٢٥ .

٣ - نفسه : ٢٧ .

٤ - نفسه : ٣٢ .

٥ - تاريخ جهانگشاى ٣ : ٢٠٨ .

بركياروق. و عاش الاثنان صراعات طويلة. و في غضون تلك الصراعات تمكّن أحمد بن عبدالملك بن عطاش أن يسيطر على قلعة (شاه دز) بذخائرها، و خزائنها، و أسلحتها، و أمتعتها[١]. بيد أنّ هذه القلعة أُبيدت من قبل السلطان محمّد بعد أن حكمها أحمد بن عبدالملك اثنتي عشرة سنة.

و استطاع الباطنيّون أن يوسّعوا نفوذهم في كثير من المناطق خلال تلك الفترة. و ضمّوا إليهم بعض الأشخاص المتنفّذين. حتّى إنّ وزير السلطان محمّد - على سبيل المثال - و هو سعد الملك أبو المحاسن قد صلب في أصفهان بتهمة الإلحاد و موالاته[٢]. علماً بأنّ هذه التهمة و أمثالها كانت تُلصق بهم أحياناً من أجل ضبط أموالهم !!

و وقعت بأيدي الإسماعيليّة قلاع مختلفة في أطراف ألَموت. و احتلّ كيابزرك اميد قلعة لمسر الّتي كانت في رودبار سنة ٤٩٥ ﻫ و ظلّ فيها عشرين سنة. ثمّ جاء إلى ألموت بعد وفاة ابن الصبّاح[٣].

و قام السلاجقة بهجمات عنيفة ضدّ الإسماعيليّين مع مستهلّ القرن السادس. لكنّهم تمزّقوا و تفرّقوا بعد موت السلطان محمّد سنة ٥١١ ﻫ، و هم الّذين وجّهوا للإسماعيليّين ضربات ماحقة جدّاً[٤].

و تعرّضت المنطقة الإسماعيليّة الأُخرى قهستان إلى ضربات السلاجقة السنجريّين أيضاً سنة ٤٩٨ ﻫ. فقد هاجمهم برغش قائد الجيش في عهد السلطان سنجر. و لم يكن معه أفراد جيشه فحسب، بل كان معه كثير من المتطوّعين المناوئين للإسماعيليّين. و قام هؤلاء باحتلال طبس الّتي كانت خاضعة للإسماعيليّين و تدميرها. بيد أنّهم استعدّوا للصلح بعد مدّة على شرط أن لا يجهّز الإسماعيليّون أنفسهم عسكريّاً، و لا يدعوا أحداً إلى مذهبهم. فعزّ ذلك على المتطوّعين للقتال[٥]. و جاءت هذه الدعوة إلى الصلح نتيجة لتهديد تلقّاه السلطان سنجر منهم. و رأى ذات ليلة سكّيناً إلى جانبه. و بلغه أنّهم قادرون أن يغرزوا هذه السكّين في صدره[٦] !! فاستعدّ للصلح، إلاّ أنّ الفقهاء لم يستحسنوا ذلك

---

١ - جامع التواريخ : ٣٦ .
٢ - نفسه : ٣٨ .
٣ - تاريخ جهانگشاى ٣ : ٢٠٩ .
٤ - نفسه : ١٢ ؛ جامع التواريخ : ٥٤ .
٥ - الكامل ٨ : ٢٢٣ .
٦ - تاريخ جهانگشاى ٣ : ٢١٤ .

منه. و اتّهموه بممالأتهم[١].

و عندما لوحظ هذا الموقف من السلطان سنجر، فإنّ عمل الإسماعيليّين قد اصّاعد[٢]. و تمّ الاعتراف بهم كقوّة لها شأنها و أهميّتها.

يقول رشيدالدّين: «و زادت قوّة النزاريّين و الإسماعيليّين بعد ذلك. و انقادت لهم الحواضر و أهلها. و استولوا على عراق العجم و آذربايجان، و خراسان، و مازندران، و ساوه، و جورجيا، و جيلان[٣]».

و توفّي الحاكم الإسماعيليّ الأوّل الحسن بن الصبّاح سنة ٥١٩ هـ بعد حكم دام ثماني و ثلاثين سنة في ألموت. فتسلّم كيابزرك اميد مقاليد الأمور.

و جرت بينه و بين الحكّام السلاجقة اشتباكات كثيرة لم يفقد الإسماعيليّون فيها قلاعهم. يقول رشيدالدّين : عندما جلس كيابزرك اميد على العرش مع رفاقه الآخرين، فإنّه سار بسيرة الحسن بن الصبّاح عشرين سنة[٤]».

و استطاع هؤلاء في تلك الفترة أن يغتالوا اثنين من الحكّام العبّاسيّين بواسطة فدائيّيهم. و هذان الحاكمان هما المسترشد، و نجله الراشد. و أدّى هذا العمل إلى «... احتجاب الحكّام العبّاسيّين عن الناس خوفاً من البرهان القاطع للنزاريّين[٥]».

و اغتالوا أيضاً عدداً كبيراً من الرؤساء، و حتّى القضاة و علماء السنّة[٦]. هذا ما عدا الهجمات المتكرّرة الّتي كانوا يقومون بها ضدّ المناطق المجاورة على شكل عصابات. وكانوا يغنمون من ورائها[٧].

لقي كيابزرك اميد حتفه سنة ٥٣٢ هـ، فجاء بعده محمّد الّذي سار بسيرته. ثمّ مات محمّد سنة ٥٥٧ هـ، فتولّى شؤون الحكم كيا حسن بن محمّد بن بزرك اميد الّذي اتّخذ اجراءاته بنسخ القواعد الشرعيّة الّتي كان يتمسّك بها الناس منذ عهد الحسن بن الصبّاح[٨].

---

١ - جامع التواريخ : ٤١.

٢ - تاريخ جهانگشاى ٣ : ٢١٤.

٣ - جامع التواريخ : ٥٥.

٤ - تاريخ جهانگشاى ٢ : ٢١٧ ؛ مجمع الأنساب : ١٢٨.

٥ - جامع التواريخ : ٦٨.

٦ - كانوا يغتالون القضاة الّذين يأمرون بقتل الملاحدة. جامع التواريخ : ٨٧.

٧ - جامع التواريخ : ٦٧.

٨ - نفسه : ٩١ - ٩٢.

حتّى إنّه قطع نسبه من بزرك اميد و لصق نفسه بنزار، ليكون إماماً حقيقيّاً. و في هذه الفترة ذاتها أصبح لقب الملاحدة من ألقابهم الحقيقيّة. يقول رشيدالدّين: «سُمّوا : الملاحدة لأنّهم أهملوا شؤون الدّين و تركوا العمل بأركان الشريعة[١]».

و حكم بعده محمّد بن الحسن الّذي يمثّل امتداداً لخطّه. و دام حكمه ستّاً و أربعين سنة. ثمّ تلاه الحسن بن محمّد الّذي لفت أنظار الإسماعيليّين إلى الشريعة مرّة أُخرى و«... آذى شيعته و وبّخهم على تركهم العمل بالشريعة، و أحيا الصلاة والصيام[٢]». و هو الّذي لقّب جلالالدّين. و حاول في أيّام حكومته أن يردّ الاعتبار للإسماعيليّين و يزيل عنهم اسم الالحاد من خلال إظهار التمسّك بالاسلام. بيد أنّ نجله علاء الدّين أعاد نهج الإلحاد بعده[٣]. أمّا ركن الدّين فقد أعلن شعائر الإسلام[٤]. و حكم ركن الدّين خورشاه بن الحسن مدّة، إلى أن هجم عليهم المغول و احتلّوا قلعتهم. و عاش خورشاه إلى جوار هولاكو فترة ثمّ طلب منه أن يرسله إلى أخيه منكوقاآن في بلاد ماوراءالنهر. فأرسله إلى هناك، و قتله منكوقاآن. و هكذا ألوى الدهر بالحكومة الإسماعيليّة في إيران.

---

١ - جامع التواريخ : ٩٤ .

٢ - نفسه : ١٠٧ .

٣ - نفسه : ١١٦ .

٤ - تاريخ جهانگشاى : ٢٦٠ .

الخوارزمشاهيّون والميل إلى التشيّع

كان الخوارزمشاهيّون من السلالات التركية الّتي بسطت نفوذها على قسم من إيران، و يشمل هذا القسم غالباً خراسان و مناطق ماوراءالنهر و أفغانستان الحاليّة. و وردت أخبارهم مفصّلة في كتب التاريخ، و منها: تاريخ گزيدهٔ جهانكشاى للجويني، و طبقات ناصري و غيرهما. و يعدّ السلطان محمّد خوارزم شاه من أهم سلاطينهم. و قد تقارن عهده مع حكومة الناصر لدين اللّه في أواخر القرن السادس الهجري. (اعتلى السلطان العرش سنة ٥٩٦ ه‍). و كانت المنطقة الخاضعة لحكم الخوارزمشاهيّين مركزاً للمذهب السنّي منذ عهد سحيق، مع أنّ السادة – الّذين كان أكثرهم من الشيعة ـ يتمتّعون بنفوذ واسع فيها.

كان الخوارزمشاهيّون آخر حلقة من حلقات الحكومات الإيرانيّة. و تمتّعوا بسلطة مستقلّة في المناطق الخاضعة لسيادتهم. و كانوا تابعين للحاكم العبّاسي في بغداد من الوجهة الدينيّة فحسب، و لهم بعض المواقف السلبيّة من الحكومة العبّاسيّة أحياناً كأكثر الحكومات المستقلّة. و ربّما أدّت هذه المواقف إلى نشوب الخلاف بينهما، و إثارة المشاكل المقلقة لهما معاً.

و من الجدير ذكره هنا هو أنّ الميول و النزعات الدينيّة كانت تُستَغَلُّ أيضاً في هذا المجال.

و عندما كان السلطان محمّد بوصفه أقدر السلاطين الخوارزمشاهيّين على رأس الأُمور، ظهرت خلافات بينه و بين الناصر لدين اللّه. و أفضت هذه الخلافات إلى استعانة

السلطان بالعقائد الشيعيّة، و إن كان الناصر متّهماً بالميل إلى التشيّع أيضاً.

و يعود قسم من هذه الخلافات - كما نقل الجويني - إلى اتّصال الحاكم العبّاسي بالإسماعيليّين، و قتل أحد أفراد بطانة السلطان محمّد على يد الفدائيّين، وكان مبعوثاً من قبل السلطان إلى الحاكم العبّاسي[١]. يضاف إلى ذلك، أنّ روح العناد والغرور الّتي كان يحملها السلطان محمّد - إذ كان يطمح إلى بسط سيطرته على بغداد كالبويهيّين، والسلاجقة - أجّجت نار الخلافات المذكورة[٢]. كما أنّ السلطان محمّد عندما قضى على سلاطين غور بعد غزو غزنين، وجد رسائل كان الحاكم العبّاسي قد بعثها إليهم يحرّضهم فيها على حربه[٣]. يزاد على ذلك أنّ الحاكم العبّاسي قدّم مبعوثي جلال الدّين نو مسلمان الّذي كان يحكم في ألموت على مبعوثي السلطان محمّد، و ذلك في إحدى سفرات الحجّ[٤]. و وجد السلطان محمّد ذريعة للتمرّد على الحاكم العبّاسي. و تتمثّل هذه الذريعة في شيئين: أحدهما: استفتاؤه علماء خراسان فيما فعله الحاكم مع مبعوثيه، فأفتوا «انّ كلّ حاكم يفعل ذلك... لا يستحقّ الإمامة». و الآخر: «إنّ الخلافة لا يستحقّها إلّا السادة الحسينيّون. أمّا العبّاسيّون فهم غاصبون[٥]».

و قال الجويني في موضع آخر من كتابه: «... و استفتى أئمّة البلاد فأفتوا بعدم استحقاق العبّاسيّين للخلافة، و استحقاق السادة الحسينيّين لها. و من كان قادراً، فليأته ليجعل الحقّ في نصابه[٦]».

و أدّى هذا الإجراء الّذي اتّخذه السلطان محمّد خوارزم شاه إلى قيام بعض الحكّام المحلّيّين بالاعتداء على المراكز الخاضعة لسلطته، ممّا دفعه إلى الرجوع و قمعهم. و عندما توجّه إلى بغداد، فإنّه توقّف في مدينة أسد آباد التابعة لهمدان بسبب الثلج و البرد القارص. ثمّ اضطرّ إلى العودة بعد هلاك عدد كبير من جنده. و استنبط الكثيرون من هذه

---

١ - **تاريخ جهانگشاى** ٢ : ١٢١ ؛ **تاريخ جلالي** للنسوي : ٢٢ .

٢ - **تاريخ جهانگشاى** ٢ : ١٢١ ؛ **سيرة جلال الدّين** أو **تاريخ جلالي** للنسوي : ٢٠ ـ ٢١ . و كان قد بعث القاضي مجيرالدّين أيضاً إلى الحاكم العبّاسي ليقدّم إلى ملك الملوك أمراً بتولّي ديوان الخلافة. بيد أنّه رفض هذا الاقتراح.

٣ - **تاريخ جهانگشاى** ٢ : ١٢٠ .

٤ - **تاريخ جلالي** : ٢١ ؛ **تاريخ جهانگشاى** : ٩٦ .

٥ - **تاريخ جهانگشاى** : ١٢٢ .

٦ - نفسه : ٩٦ .

الحادثة أنّها معجزة من اللّه لحفظ البيت العبّاسي[١]. و ثمّه نقطة طريفة أيضاً في هذا المجال و هي أنّ الشيخ شهاب الدّين السهروردي الّذي كان أحد مبعوثي الحاكم العبّاسي إلى السلطان قد حاول قبل ذلك أن يردع السلطان عن الذهاب إلى بغداد من خلال حديث نبويّ شريف ينصّ على عدم إيذاء العبّاسيّين، بيد أنّ السلطان لم يقبل منه ذلك[٢].

إنّ الشخص الّذي اختاره السلطان للخلافة هو أحد السادة المشهورين، و يدعى: السيّد علاء الملك الترمذي. قال المستوفي في هذا المجال: «... و اختار السيّد علاء الملك الترمذي للخلافة. و وجّهه إلى العراق ليطيح بالحكومة العبّاسيّة الّتي كان يلقى منها العنت و الأذى، و من ثمّ يجلسه على عرش الخلافة[٣]». و قال الجويني أيضاً: «... و رشّح من السادة الكبار: علاء الملك من ترمذ ليجلسه على عرش الخلافة...[٤]».

و جاء في المعلومات الّتي نقلها رشيدالدّين: «إنّ السلطان عبّأ جيشه لغزو دار السلام في شهور سنة ... و كانت قد حصلت قبل ذلك جفوة بينه و بين الناصر، و وقرت الضغائن والأحقاد في الصدور.»

فحصل السلطان إثر ذلك على فتوى من أئمّة البلاد، لا سيّما مولانا أستاذ البشر فخرالدّين الرازي، بعدم أحقيّة العبّاسيّين للخلافة، و أنّ الخلافة ثابتة للسادة الحسينيّين. و يرى السلطان أنّ من الواجب عليه تخويل الخلافة لأحد السادة الحسينيّين الكفوئين من أصحاب الشوكة و القدرة، و ذلك ليجعل الحقّ في نصابه ... و رشّح السيّد علاء الملك الترمذي لها، و هو أحد السادة الكبار. و تحرّك بهذه الفكرة.[٥]»

و نقل عن تاريخ الفيء «إنّ علماء السنة صوّتوا على ذلك مكرَهين، كما هو دأبهم.[٦]»

إنّ من الأسباب المهمّة لهجوم المغول على البلاد الإسلاميّة، مضافاً إلى قتل مبعوثي جنكيزخان من قبل السلطان محمّد خوارزم شاه، دعوة الناصر لدين اللّه لهم من أجل القضاء على السلطان محمّد الّذي كان في طريقهم. و قد نقل ابن الأثير هذه الحادثة. و ذكر أبو الفداء أيضاً أنّ ذلك: «بسبب ما كان بين الناصر و بين خوارزم شاه من العداوة، ليشغل

---

١ - تاريخ جلالي: ٢٧.

٢ - نفسه: ٢١. تاريخ جهانگشای ٢: ٩٦؛ حبيب السير، خواندمير ٢: ٣٢٨.

٣ - تاريخ گزيده: ٤٩٣.

٤ - تاريخ جهانگشای ٢: ٩٧.

٥ - جامع التواريخ ١: ٣٤٠ ـ ٣٤١.

٦ - دين و دولت در عهد مغول، بياني: ٢٧٧.

(الناصر) خوارزم شاه عن قصد العراق[١]».

و ينبغي أن نقول - إجمالاً - إنّ التشيّع كان قد امتدّ نسبيّاً بعد سقوط الحكومة السلجوقيّة، و حتّى في أواخر عهدهم. و هذه الحقيقة واضحة جيّداً، لا سيّما في كتاب نقض الّذي تمّ تأليفه في مرحلة متأخّرة من الحكم السلجوقي. و ذكر الدكتور كامل الشيبي معلومات تتعلّق بوضع الشيعة في بغداد منذ منتصف القرن الخامس حتّى سقوط بغداد. وكان جلّ اعتماده فيها على كتاب البداية والنهاية لابن كثير. و ننقل فيما يأتي ما قاله نصّاً: «احتلّ الجيش السلجوقي بغداد سنة ٤٤٧ هـ، فتمّ الأمر للخليفة، و انقلبت الآية و عادت الأمور على الشيعة. و كانت فاتحة المصائب إعدام شيخهم، و نهب دار متكلّمهم أبي جعفر الطوسي، و إحراق خزانة كتبه و فراره إلى النجف[٢]. و لولا مسالمة الشيعة للجيش السلجوقي أثناء دخوله بغداد، لكان من الممكن أن تحدث أُمور جسام[٣].

و لمّا رأى الشيعة ما نزل بهم، انعكس ضيقهم على صورة انقلاب قام به البساسيري (المقتول سنة ٤٥١ هـ) حليف آل مزيد من شيعة الحلّة و صهرهم سنة ٤٥٠ هـ[٤]. (كان آل مزيد من الشيعة المعروفين و مركزهم الحلّة[٥]). غير أنّ الحركة فشلت. على سبيل المثال لعن الشيعة على منابر خراسان سنة ٤٥٦ هـ[٦]. و تعدّى الأمر كلّ الحدود حتّى شمل الاعتداء و الأذى قبر الإمام الحسين - عليه‌السلام - سنة ٤٨٩ هـ[٧]. و لمّا استعاد العبّاسيّون السلطة من السلاجقة، دار دولاب السياسة من جديد لمصلحة الشيعة، حتّى زُعم أنّ الناصر (٥٧٥ - ٦٢٢ هـ) كان يتشيّع[٨]. و جعل الشيعة يتنفّسون في أيّامه بحيث جعل شعراؤهم «ينظمون الشعر في ثلب الصحابة و تهجين من يحبّهم[٩]».

---

١ - الكامل ١٢ : ١٧٠ ؛ تاريخ ابن خلدون ٣ : ٥٣٥ ؛ تاريخ أبي‌الفداء ٣ : ٤٣ . نقلاً عن كتاب الفكر الشيعي و النزعات الصوفيّة : ٥٤ .

٢ - البداية و النهاية ١٢ : ٦٨ .

٣ - الكامل ٩ : ٢١١ ، حوادث سنة ٤٧٧ هـ.

٤ - تاريخ الدولة السلجوقيّة لعليّ بن ناصر الحسيني : ١٨ ـ ١٩ .

٥ - مابين القوسين لنا.

٦ - الكامل ٩ : ١١ .

٧ - البداية و النهاية ١٢ : ١٥٢ .

٨ - تاريخ الخلفاء : ٢٩٩ ؛ تاريخ أبي الفداء ٣ : ١٤٢ ؛ الفخري، لابن الطقطقي : ٤٣٢ .

٩ - البداية و النهاية ١٢ : ٣٠٠ (حوادث سنة ٥٧٣ هـ).

ثمّ أشار الدكتور الشيبي إلى وزيره العلويّ الذي قُبض عليه في نهاية الأمر[١].

و تحدّث ابن الطقطقي في كتاب الفخري عن هذا الوزير العلوي بالتفصيل. و هو السيّد نصيرالدّين ناصربن مهدي العلويّ الرازي، مازندرانيّ الأصل. كان ينوب مدّة عن النقيب عزّالدّين المرتضى القمّي نقيب بلاد العجم كلّها. و لمّا قتل النقيب عزّالدّين، جاء إلى الحاكم العبّاسي الناصر. و بعد مدّة فوّض إليه أُمور الوزارة. و في سنة ٦٠٤ هـ قبض عليه كارهاً، فأودعه السجن، حتّى مات فيه[٢].

يتبيّن ممّا تقدّم أنّ هذا الرجل المازندرانيّ الرازي الّذي تولّى النيابة في نقابة العلويّين كان شيعيّاً لا محالة. وكان خليفة رجلاً قمّيّاً، و لا جرم أنّه كان شيعيّاً أيضاً. و هذا الشخص هو مؤيّد الدّين محمّد بن محمّد بن عبدالكريم برر القمّي الّذي وزر للناصر، ثمّ للظاهر، ثمّ للمستنصر، حتّى قبض عليه المستنصر، و حبسه في باطن دار الخلافة مدّة ثمّ مات. وكان ابن العلقميّ الشيعيّ المعروف آخر وزير في العهد العبّاسي (تولّى الوزارة في أيّام المستعصم[٣]). و في زمانه طوّح المغول بالدولة العبّاسيّة سنة ٦٥٥ هـ.

إنّ حضور الوزراء الشيعة معلم على اتّساع نفوذ الشيعة في تلك الفترة من فترات التاريخ. بخاصّة أنّهم كانوا على كفاءة تامّة لإدارة الشؤون الوزاريّة. وكانوا عارفين بالأُمور الديوانيّة. و في هذا الحقل، كانت قُم، وكاشان، و آوه، والري تضمّ هذه النماذج في الحكومة السلجوقيّة و ما بعدها. و قد ذكرنا أسماءهم في بعض المواطن.

و نختم حديثنا عن الشيعة في ايران عند هذه النقطة، آملين أن نوفّق إلى إعداد موضوعات أُخرى عن المسيرة التاريخيّة للتشيّع في القرون التالية، و وضعها في متناول الراغبين في مثل هذه الدراسات إن شاءاللّه.

---

١ - انظر : الفكر الشيعي و النزعات الصوفيّة : ٥٢ ؛ و دين و دولت در عهد مغول لبياني : ٢٦٩ - ٢٧٠.

٢ - الفخري لابن الطقطقي : ٣٢٥.
٣ - نفسه : ٣٣٧.

التشيّع و سقوط بغداد على أيدي المغول

تحدّثنا سابقاً عن تغلغل التشيّع في العراق. و عندما نقل أميرالمؤمنين - عليه‌السّلام - عاصمته من المدينة إلى الكوفة لمواجهة المشاكل العديدة المستجدّة في عصره[1]، فإنّه غرس بذرة التشيّع في هذه المدينة على امتداد أربع سنين و نصف من حكمه، فنمت أشجارها. و إن كانت ثمار تلك الأشجار غير كبيرة[2]، لكنّ أغصانها رفرفت على جزء من العراق في القرن الثاني و ما بعده، إلى أن مضت برهة من الزمان فامتدّ التشيّع في بغداد بجهود علماء الشيعة. و على الرغم من ضغوط العبّاسيّين الّتي مارسوها ضدّالشيعة وضروب الظلم الّتي أنزلوها بهم، و هي لا تُحصى، فإنّهم تمكّنوا من المحافظة على كيانهم.

و استمرّ هذا الوضع إلى أن دخل البويهيّون بغداد في الربع الثاني من القرن الرابع، فأصبحوا حماة للشيعة. و عملوا على توسيع دائرة التشيّع إلى جانب بعض العلماء كالشيخ المفيد، و ذلك على امتداد قرن من الزمان[3].

---

١ - انظر: كتابنا **تاريخ سياسي اسلام تا سال چهلم هجرى** : ٤٣٠، ٤٧٧.

٢ - هذه حقيقة تتمثّل في أنّ العراق اشتهر بالتشيّع قياساً بسائر الأقطار فحسب، و إلّا فهو لم ينطوِ على تشيّع قويّ يذكر.

٣ - انظر : **آل بويه و أوضاع زمان ايشان** ، علي أصغر فقيهي.

ثمّ جاء السلاجقة فضيّقوا على الشيعة، و حدّوا من قدرتهم، بيد أنّهم لم يستطيعوا أن يقضوا عليهم. و تعاظمت قدرة العلويّين على مرّ التاريخ، و نفت الشيعة أنظار الآخرين إليهم بوصفهم فرقة دينيّة خطيرة في بغداد. يضاف إلى ذلك، أنّ الحلّة أضحت مركزاً للتشيّع أيضاً. و كانت منزلة الشيعة و مشاركتهم في الشؤون السياسيّة قد أثارتا أهل السنّة فانبروا إلى مناوأتهم والاصطدام بهم. و كان الحكّام العبّاسيّون يضيّقون على الشيعة غالباً و يقفون إلى جانب أهل السنّة.

و عندما طفق المغول يعتدون على الشرق الاسلامي، كان الحاكم العبّاسي يومذاك الناصر لدين اللّه، فأظهر جنوحه إلى العلويّين و الشيعة، و ذلك من أجل استقطابهم إذ كانوا يشكّلون قوّة يؤبه لها في بغداد، هذا من جهة، و من جهة أُخرى، اتّخذ هذا الموقف متذرّعاً بأنّ الخوارزمشاهيّين كانوا يعارضون الحكومة العبّاسيّة. علماً بأنّ ميله إليهم قد بلغ حدّاً أنّه اتُّهم بالتشيّع أيضاً.

كما أنّ ابن الطقطقي قال فيه: إنّه «كان يرى رأي الإماميّة[١]». و كذلك وزراؤه، فقد كانوا إمّا ذوي ميول خاصّة إلى التشيّع، أو كانوا أنفسهم شيعة.

و ذهب البعض إلى أنّ هذا الموقف من الناصر يعدّ موقفاً سياسيّاً اتّخذه لاستقطاب الشيعة و استمالتهم[٢]. و ذكر الساعدي أنّ استيزار ابن العلقمي الشيعي كان من أجل إقناع العالِم الشيعي رضيّ الدّين عليّ بن موسى بن جعفر بن طاووس الحسني[٣].

إنّ هذا الموقف من الناصر، مضافاً إلى أنّه يدلّ على قدرة الشيعة و قوّتهم، فهو يكشف عن تعارضهم مع مناوئيهم، ذلك التعارض الّذي كان الناصر يحاول رفعه لمصلحته. و استمرّ هذا التعارض قروناً عديدة، و كانت تظهر معالمه في بغداد من خلال اشتباك الفريقين سنويّاً في يوم عاشوراء، و يوم الغدير. و وردت تفاصيله في كتاب البداية والنهاية لابن كثير، و المنتظم لابن‌الجوزي، و شذرات الذهب لابن العماد الحنبلي.

و بلغ تغلغل التشيّع في الجهاز الإداري للحكومة العبّاسيّة في الفترة الأخيرة من عمرها أنّ كثيراً من وزرائها كانوا شيعة، و هذا لا يمكن أن يكون بعيداً عن هدفهم المتمثّل

---

١ - **الفخري** : ٣٢٢ ؛ **الكنى و الألقاب** ، للشيخ عبّاس القمّي : ١٩٣ - ١٩٤ .

٢ - **دين و دولت در ايران عهد مغول**، لشيرين بياني : ٢٧٠ - ٢٧١ .

٣ - **مؤيّد الدّين بن العلقمي و أسرار سقوط الدولة العبّاسيّة**، الساعدي : ٦٦ .

باستمالة الشيعة لقبول السيادة السنّيّة في المجتمع الاسلامي كلّه، مضافاً إلى أنّ أولئك الوزراء كانوا ذوي كفاءات إداريّة.

و اختار المستعصم، و هو آخر حاكم عبّاسي، مؤيّد الدّين بن العلقمي الشيعي وزيراً. و ظل في منصبه حتّى سقوط بغداد و مقتل الحاكم المذكور.

و على الرغم من هذا الموقف الّذي اتّخذه الحكّام العبّاسيّون، فإنّ عناصر من السنّة كانت متسلّلة في داخل الحكومة و كانت تحرّض الحاكم العبّاسي أحياناً ضدّ الشيعة، فتترك الوضع في بغداد مزيجاً من الدم والنار، و يتكبّد الفريقان خسائر جسيمة فادحة من جرّاء الاصطدامات الّتي تجري بينهما.

و حدث أحد الاصطدامات في بغداد حتّى في آخر سنة من سنوات الحكم العبّاسي - قبل سقوطه بسنة - أي: سنة ٦٥٤ هـ[١]، فزاد حقد الشيعة على الحكومة العبّاسيّة بسبب الظلم الّذي مورس بحقّهم.

و في هذا المجال، كتب ابن العلقمي رسالة إلى أحد كبار الشيعة، و هو السيّد تاج الدّين محمّد بن نصر الحسيني، ننقلها فيما يأتي ليستبين موقف الشيعة من الحكم العبّاسي «أنّه قد نُهب الكرخ المكرّم [حي في الجانب الغربي من بغداد كان يسكنه الشيعة]، و قد ديس البساط النبويّ المعظّم، و قد نُهبت العترة العلويّة، و استُؤسرت العصابة الهاشميّة... فلهم أُسوة بالحسين - عليه‌السّلام - حيث نُهب حريمه، و أُريق دمه...[٢]».

إنّ هذه السابقة المذكورة أمر ثابت. و على الرغم من التقارب الّذي كان يحصل بين الحين والآخر على سبيل الاستثناء، بيد أنّ التعصّب كان يشدّد الأمر على الطرفين. و كان الحكّام يثيرون الخلاف في غير مصلحتهما و مصلحة الناس، و ذلك من وحي التعصّب أو رغبةً في إيجاد التفرقة، و بسط نفوذهم مدّة أطول.

و أدّت هذه الأرضية إلى توجيه التهمة ضدّ الشيعة في حادثة سقوط بغداد الّذي يمثّل

---

١ - **الفخري** : ٣٣٣ ؛ **بياني** : ٣١٣ ؛ **دول الاسلام للذهبي** : ٣٦٠ .

٢ - **تاريخ وصاف الحضرة** ١ : ٢٨ ، نقلاً عن بياني : ٣١٤ . **تاريخ ابن الوردي** : ٢٧٩ (ذكر ابن الوردي اسم ابن العلقمي كوزير لأربل). و انظر أيضاً: **البابليّات لليعقوبي** ٣ : ٣٤ ، نقلاً عن الساعدي : ٣٣ ـ ٣٤ . الذهبي : ٣٦٠ ؛ **حبيب السير** ٢ : ٣٦٦ ؛ **العسجد المسبوك** : ٦٢٦ .

سقوط الحكم العبّاسي في الحقيقة. و أصبح وجود الشيعة في رأي المتعصّبين باعثاً على تحريض المغول لإسقاط الحكومة العبّاسيّة.

بينما كان كثير من علماء السنّة في عداد خواصّ الحاكم العبّاسي الملازمين له، مثل شرف الدّين بن الجوزي. كما كان عدد كبير منهم في بطانة هولاكو. و لعلّ أساس تلك التهمة وجود الخواجه نصيرالدّين الطوسي - رحمهالله - (٥٩٧ - ٦٧٢)، و مشاركة مؤيّدالدّين بن العلقمي وزير المستعصم في هذه الحوادث. و أُشيُعت هذه التهمة من قبل الحنابلة و أحلافهم الّذين كانوا أكثر من غيرهم في سابقة عدائهم للشيعة و سائر المذاهب الإسلاميّة في بغداد.

إنّ ما نهدف إلى دراسته هنا هو ما يأتي:

أوّلاً : إنّ المغول كانوا منذ البداية يزمعون علىٰ تكثيف هجماتهم على ايران و العراق، و هم في غنىً عمّن يحرّضهم على هذا العمل.

ثانياً: إنّ الأخبار الّتي تتحدّث عن حضور الخواجه نصيرالدّين الطوسي في بلاط هولاكو لا يمكن أن تثبت ضلوعه في تحريض ملك المغول لإسقاط الحكومة العبّاسيّة.

ثالثاً: إنّ التاريخ يشهد على أنّ ما قام به الخواجه قد حال دون ضياع الإسلام و تدميره، و قلّل من الخسائر المحتملة.

رابعاً: إنّ ابن العلقمي كما أشاع مناوئوه عنه أيضاً لم يبدر منه إلّا نصيحته الصادقة في هذا المجال، و قد اتّخذ موقفاً صحيحاً تبعاً للأوضاع السائدة، و ذلك من أجل حقن دماء الناس الأبرياء الّذين ضيّعتهم الحكومة حفاظاً على مصالحها الخاصّة.

خامساً: إنّ حكّام بغداد أنفسهم هم الّذين طمّعوا المغول فيهم - كما قال ابن الأثير - و هم الّذين دلّوهم على الأقطار الإسلاميّة. و نعتقد أيضاً أنّ الشيعة، باتّخاذهم الموقف الصحيح ككثير من أهل السنّة، لم ينقذوا أنفسهم من هذه الورطة الرهيبة فحسب، بل استثمروها أيضاً لتوسيع نطاق الثقافة الإسلاميّة بعامّة، والثقافة الشيعيّة بخاصّة.

و نرى من الضروري - قبل استعراض هذه المسائل - أن ننقل عبارات الّذين رموا الشيعة و الخواجه نصيرالدّين الطوسي بهذه التهمة، ثمّ نأتي على نقدها.

إنّ من بين المؤرّخين القريبين من زمان الواقعة المذكورة هو أحمد بن محمّد بن تيميّة (م ٧٢٨ ه) الّذي لصق هذه التهمة بالخواجه نصيرالدّين. و يُعدّ ابن تيميّة مبدعاً لمذهب

جديد بين المذاهب الإسلاميّة تمتدّ سابقته إلى أحمد بن حنبل و أهل الحديث.

و اشتهر في كتبه بتهجّمه على الشيعة أكثر من الفرق الأُخرى، و دلّ في كثير من مؤلّفاته على عدائه الشديد لهم و تعصّبه البغيض ضدّهم. و أصدر حكمه الموافق لهواه - لا جرم أنّه ناتج عن القوّة المتصاعدة للشيعة في عصره - فاعتبر الخواجه مقصّراً في غزو بغداد خلافاً للنصوص الأُصيلة المتعلّقة بتاريخ الهجمات العسكريّة للمغول و المدوّنة قبله. و قال في موضع من كتابه منهاج‌السنّة بعد أن ذكر شهرة الخواجه بين الخواصّ والعوام: هو الّذي حرّض ملك المغول على قتل الخليفة و العلماء ... و بعد ذلك اتّهمه بعدم المبالاة في رعاية الشعائر الإسلاميّة، و عدم اجتناب المحرّمات الشرعيّة، و إضاعة الصلاة، و ارتكاب الفواحش، و شرب الخمر، و عدم الصلاة في شهر رمضان المبارك، و ارتكاب الزّنا[١].

و قال في موضع آخر و هو يشير إلى الخواجه أيضاً: هو الّذي أمر بقتل الخليفة، والقضاء على الحكومة العبّاسيّة[٢].

و كان ابن القيّم الجوزيّة، و هو من تلاميذ ابن تيميّة، أحد الّذين أشاروا إلى الخواجه بأصابع الاتّهام تبعاً لأستاذه. فاتّهمه بضلوعه في قتل الحاكم العبّاسي والعلماء، بعد أن اخترع له ألقاباً نحو: نصيرالشرك والكفر والالحاد. و أدان آراءه الفلسفيّة، و رماه بتهمة إنكارالمعاد، و إنكار صفات اللّه و .... و تعلّم السحر و عبادة الأُصنام[٣]. نستشفّ ممّا تقدّم أنّ ابن تيميّة، و ابن القيّم كليهما لم يتورّع في الصاق التهم و التقوّل على الخواجه بدءاً بارتكاب المحرّمات الشرعيّة و انتهاءً بعبادة الأصنام. و ثمّة أشخاص آخرون كالسبكي[٤]، و خواندمير[٥] قد رموا الخواجه بهذه التهمة أيضاً و عدّوه عنصراً مؤثّراً في غزو بغداد تبعاً لابن تيميّة و نظائره.

و نلحظ بين المستشرقين أيضاً في العصر الحديث مَن ذكر هذا الدور للخواجه و لم

---

١ - **منهاج السنّة النبويّة**، لابن تيميّة ٢ : ١٩٩ . ٢ - **مجموعة الرسائل**، لابن تيميّة : ٩٧ .

٣ - **شذرات الذهب في أخبار من ذهب**، لابن العماد الحنبلي ٥ : ٣٣٩ ، ٣٤٠ . (سيُذكر فيما بعد باسم الحنبلي)، و انظر أيضاً : **الأعلام** للزركلي ٧ : ٣٦ .

٤ - **طبقات الشافعيّة الكبرى** ، للسبكي ٥ : ١١٥ .

٥ - **حبيب السير**، خواندمير ٢ : ٣٣٨ .

ينكره، كمؤلّفي كتاب تاريخ إيران - كمبريج[1]. و يمكننا أن ننقل أسماء غيرهم كادواردبراون، و آربري اللّذين عدّهما الدكتور الحائري مع من ذهب إلى تثبيت مثل هذا الدور للخواجه[2].

و نرى بين الشيعة، من القرن العاشر فما بعده، من أثنى على عمل الخواجه ضدّالعبّاسيّين في سريرته، و اعتبره نقطة قوّة للخواجه. و من هؤلاء : الخوانساري في روضات‌الجنّات، و قد ذكر عبارة حادّة في هذا المجال[3].

و كذلك أثنى عليه القاضي نوراللّه الشوشتري (م ١٠١٩ هـ) كصاحب الروضات[4]. وبقطع النظر عن أنّ هذه الخطوة نقطة قوّة للخواجه أوّلا، فإنّ اشتراك الخواجه في تلك الحادثة موضع شكّ و ترديد. و ما قاله الخوانساري و أمثاله ناشىء عن تعصّبهم ضدّالحكّام العبّاسيّين فحسب. لذا لا يمكن الاعتماد على ما نقلوه - لا سيّما بعد أن ثبت من المصادر الأصيلة عدم وجود مثل هذا الدور - لأنّهم ألّفوا كتبهم بعد الحادثة المذكورة بعدّة قرون في الأقل.

و من المناسب أن نشير هنا إلى باحث آخر قد أدّى به عدم التمعّن، و خضوعه لتأثير الخلافات بين الشيعة والسنّة إلى أن يشطّ أكثر من ابن تيميّة فيلقي اللوم على الشيعة ويراهم المقصّرين الحقيقيّين في هذه القضيّة، مع أنّه نفى تهمة الإلحاد عن الخواجه ودافع عنه في هذا الحقل !

يذكر هذا الباحث أنّ دور الشيعة كان من البواعث الأولى على سقوط الحكومة العبّاسيّة[5]، ويقول : «و أخيراً خرجت يدالشيعة من كُمّ المغول و حسمت الأمور[6]». و يقول أيضاً مشيراً إلى ما نقله خواندمير في حبيب السير (و خواندمير مؤرّخ من القرن التاسع)،

---

١ - تاريخ ايران - كمبريج، بويل، ترجمه انوشه ٥ : ٥١٢ .

٢ - مجلّة الثقافة الاسلاميّة ، العدد ١٣ ، مقالة بقلم الدكتور الحائري عنوانها: «تحقيق من وجهة نظر تدوين التاريخ» ص ٩٧ .

٣ - روضات‌الجنّات ٦ : ٣٠٠ - ٣٠١ ، ٣١٥ - ٣١٦ .

٤ - مجالس المؤمنين ٢ : ٢٠٥ .

٥ - دين و دولت ايران در عهد مغول ، بياني : ٣٠٤ .

٦ - نفسه : ٢٨٥ ، ٣٠٥ .

والقاضي نورالله الشوشتري، و ابن تيميّة[1]، و ابن القيّم الجوزيّة، و السبكي[2] «... و تجمع المصادر كلّها تقريباً على هذا الموضوع بصراحة[3]». و يقصد من الموضوع في كلامه الدور الأساس المزعوم للخواجه نصيرالدّين الطوسي في الإطاحة بالحكم العبّاسي.

و سنلاحظ أنّ هذه القضيّة لم يتّفق عليها المؤرّخون القريبون من زمن الحادثة[4]، و أنّ ما نقله البعض مشوب بالتعصّب غالباً، و حتّى لو فرضنا فرض محال أنّ الخواجه كان ضالعاً في هذه القضيّة، فإنّ القول بخروج يد الشيعة من كُمّ المغول بعيد كلّ البعد عن حكم التاريخ و منطق التقييم المنصف، و لا يليق بباحث أن يذكره.

المغول يزمعون غزو بغداد

نقل لنا التاريخ أنّ جنكيزخان كان راغباً في إقامة علاقات وديّة مع حكّام إيران والعراق. و لم ينوِ الهجوم على هاتين الدولتين في بادىء الأمر، بل كان يسعى في توثيق الصلة بهما و بناء علاقات وديّة معهما، و لذلك أرسل إليهما التجّار، و أوفد سفيره المفوّض إلى الدولة الخوارزميّة، إلاّ أنّ غرور السلطان محمّد خوارزمشاه (م ٦١٧ هـ) قد دفعه إلى قتل التجّار و السفير المذكور، و من ثمّ توريط نفسه و بلاده بمشكلة كان في غنىً عنها. و حينئذٍ بدأت الاشتباكات والحروب بين المغول والخوارزمشاهيّين في المناطق الشرقيّة من إيران[5].

لا جرم أنّ التصرّفات الطائشة للسلطان الخوارزمي، الّذي يُحتمل أنّه لم يتوقّع انتصار المغول يومئذٍ، كانت من أسباب هجوم المغول. و نصّ ابن الأثير على أنّ السلطان ندم على عمله القبيح، و فكّر بحلٍّ، لكنّه فوجىء بإنذار السلطان المغولي و هو يقول له: «تقتلون

---

١ - في رسالة الرّد على النصيريّة : ٨٤.

٢ - أحد علماء السنّة المتعصّبين، و سمّى الخواجه : الشيطان المبين.

٣ - دين و دولت ايران در عهد مغول : ٣٠٥، ٣٠٦.

٤ - للاطّلاع على هذا الموضوع، انظر: مقالة الدكتور الحائري الّتي أشرنا اليها سابقاً، و قد استنرنا بها.

٥ - تاريخ مغول در ايران، شبولر : ٢٦ ـ ٢٧.

أصحابي و تجّاري و تأخذون مالي منهم، استعدّوا للحرب!»[1] هذا جانب من القضيّة، أمّا الجانب الآخر فيتمثّل في توجّهات المغول أنفسهم، فإنّهم و إنْ كانوا يفكّرون في البداية بتوحيد أقطار الشرق الأقصى، لكنّهم عزموا على توسيع نطاق نفوذهم بغتةً، و كان التصرّف المتهوّر الّذي بدر من السلطان محمّد خوارزم شاه ذريعة بأيديهم، فبدأوا هجماتهم على آسيا الوسطى.

و ينبغي أن نذكر هنا بواعث أُخرى دفعت المغول إلى الهجوم، منها تحريض الغربيّين لهم من أجل الهجوم على الأقطار الإسلاميّة[2]. ذلك التحريض الّذي كان بامكانه أن يقدّم مساعدة كبيرة للنصارى إلى جانب الحروب الصليبيّة. و كان الأُرمن القاطنون في أرمينيّة يعضدون الغربيّين.

و فكّر المغول بالغزو منذ أن اعترى جنكيزخان هوسُ التوسّع في المناطق الغربيّة من آسيا. و تعرّضت مناطق كثيرة من إيران للغارات المغوليّة مادام جنكيز على قيد الحياة (٦٢٤ هـ)، و من هذه المناطق: الري، و قم، و كاشان، و ساوه. أي: مناطق عراق العجم[3].

إنّ حضور جلال الدّين خوارزمشاه في السلطة، و تنمّره أمام المهاجمين (حتّى سنة ٦٢٨ هـ) قد حدّا من تغلغل المغول في المناطق المركزيّة من إيران، فواصلوا زحفهم باتّجاه القفقاز. و في أعقاب موت جلال الدّين، أغاروا على سائر المناطق في إيران بعد أن كانوا قد اكتفوا في زمانه بخراسان بوصفها المنطقة الوحيدة الخاضعة لسلطتهم.

إنّ اللافت لنظرنا هنا هو أنّ المغول طفقوا يفكّرون بعد ذلك بقمع حاكم بغداد و احتلال عاصمته. علماً بأنّهم كانوا قد شنّوا بعض الغارات على بغداد قبل غزوها باحدى و عشرين سنة تقريباً، و ذلك في أيّام المستنصر العبّاسي. و يشعرنا هذا أنّ أشخاصاً مثل الخواجه نصيرالدّين الطوسي ليس لهم أيّ دور في تحريض المغول، بل كان المغول أنفسهم يزمعون القيام بذلك من قبل.

---

١ - الكامل ١٢ : ٣٦٣ ؛ تاريخ گزيده للمستوفي : ٤٩٢ ؛ طبقات ناصرى، منهاج سراج ، تصحيح حبيبي : ٣١١ . تاريخ الخلفاء للسيوطي، تحقيق محيي‌الدّين عبدالحميد : ٤٦٩ .

٢ - تاريخ مغول در إيران، شبولر : ٤٩ . سرگذشت و عقايد خواجه نصيرالدّين طوسي، لمدرسي زنجانى : ٥٨. دين و دولت ايران در عهد مغول، بياني : ١٨٠ ـ ١٨١ . مجلّة الثقافة الاسلاميّة مقالة للسيّد حسن الأمين بعنوان حقائق تاريخيّة حول التحالف المغولي، العدد ١٢ ص ١٦٠ . الساعدي : ١٢٨ ـ ١٣٢ ؛ بغداد مدينة الإسلام، كوك ١ : ٢٢٢ ، ٢٦٦ .

٣ - شبولر، نقلاً عن الكامل لابن الأثير ١٢ : ٢٧٢ .

و يقول رشيدالدّين في هذه الغارات الّتي شُنّت في عامي ٦٣٤، و ٦٣٥ هـ ما نصّه:

«كان الجيش المغولي يقوم بغاراته فوجاً فوجاً بأمر بايجونويان، و قد حاصر أربيل، في أوائل المدّة المذكورة الّتي كان فيها المستنصر العبّاسي حاكماً على البلاد ... و لمّا بلغ المستنصر خبرُهم، وجّه إليهم شمس الدّين أرسلان على رأس ثلاثة آلاف فارس. و عندما سمع المغول ذلك، لاذوا بالفرار على غرّة. و استفتى المستنصر الفقهاء هل إنّ الحجّ أفضل أو الجهاد، فأفتوا جميعهم بأفضليّةالجهاد، فنهى الناس عن الحجّ في تلك السنة. و شرع العلماء، والفقهاء، والخواصّ، والعوامّ، والغرباء، و أهل البلد بالتدريب على السلاح، و تعلّم الرماية. و أمر بحفر خندق، و تشييد سور حول بغداد. و عاد المغول مرّة أُخرى إلى أربيل ... و كان أمير أرسلان تيكين مرابطاً مع جيشه خارج المدينة، و هو ينتظر قدومهم. و لمّا علم المغول بذلك، رجعوا أدراجهم، و اتّجهوا صوب دقوق، و بعض توابع بغداد، و قتلوا، و نهبوا، و أسروا من وجدوه في تلك المناطق ... و انهزم المغول من جبل حمرين خائبين، فلحقهم الأتراك و غلمان المستنصر، و قتلوا عدداً كبيراً منهم، و أطلقوا أسرى أربيل و دقوق منهم[1]».

و نقرأ أيضاً معلومات متكرّرة نقلها لنا المؤرّخون عن هجوم المغول على مناطق العراق في الفترة الممتدّة بين سنة ٦٣٢ و ٦٣٥ هـ[2].

و في ضوء ما نقل لنا ابن أبي الحديد الّذي شهد حوادث المغول، فإنّ جماعة منهم هاجموا بغداد بقيادة بجكتاي الصغير. و كان هذا الهجوم في سنة ٦٤٣ هـ. و وقع الاشتباك في السابع عشر من ربيع الأوّل من هذه السنة، و أسفر عن هزيمة المغول و فرارهم بسبب الاستبسال الّذي أبداه الجيش البغدادي[3].

و أعاد المغول الكرّة فأغاروا على خانقين سنة ٦٤٧ هـ[4]. و ذكر ابن الكازروني أنّ هجومهم الّذي أشار إليه ابن أبي الحديد أنّه كان في سنة ٦٤٣ هـ، قد وقع في السابع عشر

---

١ - **جامع التواريخ**، رشيدالدّين ١ : ٥٧٦ . و انظر أيضاً: **تاريخ گزيده** : ٣٦٧ ـ ٣٦٨ .

٢ - انظر : الساعدي : ٨٣ ـ ٨٤ عن **الحوادث الجامعة** لابن الفوطي : ٨٤ . و انظر أيضاً : **تاريخ مختصر الدول** لابن العبري : ٢٥٠ . **شرح نهج البلاغة** لابن أبي الحديد، تحقيق محمّد أبوالفضل ابراهيم ٨ : ٢٣٨ .

٣ - **شرح نهج البلاغة** لابن أبي الحديد ٨ : ٢٣٩ ـ ٢٤٠ .

٤ - **الحوادث الجامعة** : ٢٤١ .

من ربيع الثاني سنة ٦٤٢ هـ[1].

و ثمّة أدلّة أُخرى أيضاً تفيد أنّ المغول كانوا مستائين من الحاكم العبّاسي، و طالما كانوا يتظلّمون منه عند ملكهم.

إذن، كانوا في غنىً عمّن يحرّضهم على قتل الحاكم العبّاسي والقضاء عليه.

و عندما تولّى منكوقاآن قيادة المغول، كان بايجونويان قد توجّه الى ايران على رأس جيش جرّار للمحافظة عليها. و أوفد منها مبعوثاً إلى ملك المغول يشكو إليه من الملاحدة [الإسماعيليّين] و حاكم بغداد. و كان شمس الدّين القزويني عند منكوقاآن يومذاك، فحرّضه على الإسماعيليّة، و ذكّره باستيلائهم على قسم من البلاد[2].

و استجاب منكوقاآن لتحريضه فأشخص أخاه هولاكو لغزو تلك البلاد، و قال له: «... إبدأ من قهستان [مقرّ الإسماعيليّة في شرق إيران] و دمّر القلاع و الأسوار. و إن فرغت منها، فتوجّه إلى العراق. و إذا بادر الحاكم العبّاسي إلى الطاعة فلا تتعرّض له بسوء. أمّا إذا تكبّر و عصى ولم يوافق لسانه قلبه، فألحقه بمن سبقه[3]».

و نقل خواندمير أيضاً أنّه قال لأخيه هولاكو: «... إبدأ بغزوك من جيحون إلى أقصى مصر و...[4]»

و لو تصفّحنا التاريخ و رأينا ماذا فعل الحاكم العبّاسي خلال خمسين يوماً من غزو بغداد، وكيف كان تعامله مشيناً مع المغول قبل ذلك، لعلمنا أنّه أغضب هولاكو إلى درجة أنّ الخواجه و غيره من الأمراء والعلماء لوكانوا عارضوه لقتلهم أيضاً. كما قتل حسام الدّين الّذي هدّده و أخافه من قتل المستعصم و حذّره بأنّه لو قتل، فستنقلب الدنيا. و لمّا لم يحدث شيء، قضى عليه.

حكم التاريخ على دور الخواجه في واقعة بغداد

أرى من الضروري قبل نقل الآراء الّتي اتّهم أصحابها الخواجه نصيرالدّين الطوسي (م ٦٧٢ هـ) بضلوعه في هذه الواقعة، أن أقسّم المصادر الّتي ثبّتت دور الخواجه أو نفته إلى

---

١ - مختصر التاريخ لابن الكازروني ، تحقيق مصطفى جواد : ٢٨٦ .

٢ - جامع التواريخ ٢ : ٦٨٤ - ٦٨٥ .   ٣ - نفسه : ٦٨٦ - ٦٨٧ .

٤ - حبيب السير ٣ : ٩٤ .

ثلاث مجموعات:

أ: المصادرالّتي لم تذكر شيئاً عن دور الخواجه:

و تشمل هذه المجموعة المصادر الأصيلة الّتي دوّنت بعد الحادثة بقرن عادةً، و كان أكثر مؤلّفيها إمّا شهدوا الغزو المغولي، أوكانوا يعيشون بعده بمدّة قليلة.

إنّ سكوت هذه المصادر عن دور الخواجه يمكن أن يشكّل دليلاً على إنكار هذا الدور، ذلك أنّ القضيّة تتّسم بحسّاسيّة خاصّة.

و من هذه المصادر: **طبقات ناصري أو تاريخ ايران و إسلام** لمؤلّفة منهاج سراج، إذ نستخلص من كتابه (ص ٤٩٧) الّذي ألّفه سنة ٦٥٨ هـ عدم وجود دور للخواجه نصيرالدين، فقد نقل كيفيّة حصار بغداد، و ذكر الانتصارات الوهميّة للحاكم العبّاسي، وتحدّث عن خيانة ابن العلقمي ـ سنناقش هذا الموضوع ـ بيد أنّه لم يذكر شيئاً عن الخواجه نصيرالدّين[١].

و منها: **تاريخ مختصرالدول** لابن العبري (م ٦٥٨ هـ) فقد فصّل الكلام عن غزو بغداد نسبيّاً، لكنّه لم يتطرّق إلى الخواجه الطوسي[٢]. و في سياق إشارته إلى وفاة الخواجه في الصفحات التالية من كتابه، ذكر تبحّره في العلوم، غير أنّه لم يتحدّث عن القضايا السياسيّة المتعلّقة به[٣].

و في ضوء ما نقل الدكتور الحائري، فإنّ ابن الفوطي الّذي ألّف كتابه سنة ٦٥٧ هـ، و أورد فيه حادثة سقوط بغداد، لم يعرض أيّ شيء عن دور الخواجه في هذه الحادثة[٤].

و نقرأ في كتاب **تاريخ جهانگشاى** للجويني نصّاً للخواجه نصيرالدّين في كيفيّة غزو بغداد يذكر فيه بعض التفاصيل عن هذه الحادثة. و لم يرد فيه شيء عن دوره في غزو بغداد[٥]. هذا النصّ الّذي يقع في عدد من الصفحات مخصّص للحديث عن كيفيّة الواقعة فحسب.

---

١ - **منهاج سراج**: ١٣٠.

٢ - ابن العبري: ٢٧٠ - ٢٧٢.

٣ - نفسه: ٢٨٦، ٢٨٧.

٤ - **مجلة الثقافة ـ الإسلامية**، العدد ١٣: ٨٧.

٥ - **تاريخ جهانگشاى** للجويني، تصحيح: قزويني ٣: ٢٨٠، تحت عنوان: «ذيل كتاب كيفيّت واقعهٔ بغداد».

و كان المؤرّخ و الجغرافي الشهير في القرن الثامن حمدالله المستوفي (م ٧٣٠ هـ) من الّذين أشاروا إلى غزو بغداد، إلّا أنّه لم يذكر الخواجه في ذلك. علماً بأنّ حديثه عن هذه الواقعة يتلخّص في عدد من السطور[١].

و كان ابن طباطبا (ابن الطقطقي - م ٧٠٩ هـ) أحد المؤرّخين الناقدين. ألّف كتابه: الفخري سنة ٧٠١ هـ، و أشار فيه إلى غزو بغداد عند حديثه عن المستعصم، بيد أنّه لم يتطرّق إلى الخواجه[٢]. و لم يذكره إلّا في تعريفه ابنَ العلقمي عند قدومه إلى هولاكو[٣]. و نقل في موضع آخر كلاماً له دون الإشارة إلى اسمه، و هذا الكلام يتعلّق بنبوءة شخص آخر لم يذكر اسمه أيضاً. و تدور هذه النبوءة حول حدوث تغيير في السماء عند قتل الحاكم العبّاسي و ... و سننقل هذا الكلام في القسم الآتي و نقده.

و أشار المؤرّخ الشهير في العصر المغولي رشيدالدّين فضل‌الله إلى نفس الكلام الّذي نقلناه في السطور المتقدّمة - و سنأتي على تفصيله - و لم يذكر دوراً خاصّاً للخواجه في تحريض ملك المغول على غزو بغداد، أو في قتل المستعصم نفسه.

و كان المؤرّخ العربي أبو الفداء صاحب كتاب المختصر في أخبار البشر قد قال بأنّ الاطّلاع لم يقع على كيفيّة قتل المستعصم، و لم يشر إلى دورٍ للخواجه في قتله، مع أنّه قد ذكر بعض المعلومات المتعلّقة بحياة الخواجه[٤].

و نقل محمّد بن شاكر الكتبي (م ٧٦٤ هـ) مؤلّف كتاب فوات الوفيات شرحاً مفصّلاً نسبيّاً عن حياة الخواجه (قرابة ستّ صفحات). و ذكر خدمة الخواجه عند هولاكو و سماع هولاكو كلامه، بيد أنّه لم يشر و لو إشارة بسيطة إلى تأثير الخواجه في واقعة بغداد[٥].

و تحدّث ابن الوردي المؤرّخ في القرن الثامن الهجري (م ٧٤٩ هـ) عن واقعة بغداد في تاريخه. و أكّد على دور ابن العلقمي - سنتحدّث عن ذلك في موضع آخر - في الواقعة، و لم يتطرّق إلى الخواجه[٦]. و تكلّم أيضاً عن خدمة الخواجه لهولاكو، و تشييد المرصد، و ذكر ولادته و وفاته، و ذلك في سياق حديثه عن السنة الّتي توفّي فيها الخواجه (٦٧٢ هـ)،

---

١ - المستوفي : ٥٨٩، و انظر أيضاً : ص ٣٦٩.
٢ - الفخري : ٣٣٣.
٣ - نفسه : ٣٣٨.
٤ - المختصر في أخبار البشر ٣ : ١٩٣ - ١٩٤.
٥ - فوات الوفيات، ابن شاكر، تحقيق إحسان عبّاس ٣ : ٢٤٦ - ٢٥٢.
٦ - ابن الوردي ٢ : ٢٧٩ - ٢٨١.

و إشارته إلى خدمته في ألَموت. لكنّه لم يُلمع إلى شيء آخر يدلّ على دورٍ للخواجه في واقعة بغداد[١].

و كان الذهبي من المحدّثين والرجاليّين المعروفين بين أهل السنّة (م ٧٤٦ هـ). و عندما تحدّث عن واقعة بغداد في ذيل حوادث سنة ٦٥٦ هـ، و بيّن موقف ابن العلقمي، لم يورد ذكراً للخواجه فيها[٢].

و لم يتطرّق الصفدي (م ٧٩٧ هـ) مؤلّف كتاب الوافي بالوفيات في كتابه إلى موضوع يدلّ على وجود دورٍ للخواجه في غزو بغداد من قبل المغول[٣].

و لم يتحدّث نخجواني في كتابه الّذي ألّفه سنة ٧٢٤ هـ عن أيّ دورٍ للخواجه في واقعة بغداد[٤].

و كان الغسّاني (م ٧٦١ هـ) أحد المؤرّخين في تلك الفترة، و لم يورد اسماً للخواجه نصيرالدّين في حديثه المفصّل نسبيّاً عن غزو بغداد، مع إساءته المتكرّرة لابن العلقمي[٥].

و لم يذكر ابن الكازروني (٦١١ - ٦٩٧ هـ) في كتابه اسماً للخواجه نصيرالدّين. و كان على قيد الحياة يومئذٍ[٦]. و كذلك الأتابكي[٧] (م ٨٧٤ هـ)، و السيوطي[٨] (م ٩١١ هـ)، فانّهما لم يذكراه أيضاً.

إنّ الكتّاب المذكورين آنفاً، و أكثرهم من المؤرّخين المشهورين في القرن السابع والثامن، لم يشيروا إلى أيّ دورٍ للخواجه، مع حسّاسيّتهم حيال المغول، و هتك حرمة الحكومة العبّاسيّة، لا سيما أنّ بعضهم كان متعصّباً تعصّباً خاصّاً في هذه الأمور كابن الوردي، والذهبي.

و لو كان هناك شيء في هذا المجال حقّاً، لأكّده هؤلاء الّذين كانوا يسيئون الظنّ

---

١ - ابن الوردي ٢ : ٣١٨.
٢ - للذهبي : ٣٦٠، ٣٧١، ٣٧٣.

٣ - **الوافي بالوفيات**، الصفدي، تحقيق : زيترا : ١٧٩ ـ ١٨٣، نقلاً عن **مجلّة الثقافة الإسلاميّة**، العدد ١٣، ص ٩٥.

٤ - **تجارب السلف**، نخجواني، تحقيق : عبّاس إقبال : ٣٥٧.

٥ - **العسجد المسبوك**، الغسّاني : ٦٢٦ ـ ٦٣٠.
٦ - **مختصر التاريخ** لابن الكازروني : ٢٧١ ـ ٢٧٢.

٧ - **النجوم الزاهرة في ملوك مصر و القاهرة**، الأتابكي ٧ : ٤٧ - ٥١.

٨ - السيوطي : ٢٦٦، ٤٦٥ ـ ٤٧٤.

بالشيعة. لذا فإنّ السكوت عن ذكره يُشعر بعدم وجود دور للخواجه في هذا الموضوع المهم.

و ثمّة إشارة أُخرى إلى هذه القضيّة تتمثّل في أنّ الخواجه نصيرالدّين الطوسي - على خلاف الفترة الّتي تلت واقعة بغداد - لم يكن له نفوذ يُذكر قبل الواقعة. و هناك حقيقة التفت إليها مؤرّخو ذلك العصر، و تتجسّد في أنّ المكانة الّتي حظي بها الخواجه عند هولاكو بعد غزو بغداد لم يكن لها وجود قبل الغزو و حينه.

ب : الكتب الّتي استصوبت دور الخواجه في واقعة بغداد

نقلنا فيما تقدّم أقوال ابن تيميّة، و ابن القيّم الجوزيّة، والسبكي، و خواندمير، و اليافعي. و ينبغي أن نأخذ بنظر الاعتبار عدداً من الملاحظات حول أقوالهم.

١ - رأينا في المصادر الأُصيلة الّتي تحدّثت عن غزو بغداد أنّ أيّاً منها لم يشر إلى دورٍ للخواجه في هذا المجال، بينما كان موقف أصحابها سلبيّاً حيال الشيعة والمغول. و هذا أفضل دليل على عدم صحّة أقوال ابن تيميّة و أمثاله.

٢ - إنّ التعصّب الديني الّذي عرف به ابن تيميّة و تلميذه ابن القيّم، و أشخاص آخرون كالسبكي، و ابن العماد الحنبلي اللّذين حذوا حذوهما، و تماثلت تعابيرهم بعضها مع بعض تماماً، لا يدعنا نقبل طعنهم بالخواجه نصيرالدّين الطوسي.

لقد اتّخذ ابن تيميّة موقفاً سلبيّاً من الشيعة في أكثر كتبه، و تقوّل عليهم بتهم جوفاء كثيرة، أهمّها خلطه غلاة الشيعة بمعتدليهم. و الدليل على ذلك اتّهامه الخواجه بالنصيريّة في كتابه الرّد على النصيريّة، و النصيريّة فرقة غالية. كما أنّ ذكر هذه التهمة في كتاب منهاج السنّة الّذي ألّفه ابن تيميّة ردّاً على كتاب منهاج الكرامة للعلاّمة الحلّي يشعر بأنّه كان ينوي إلصاق التهم. و هذه التهمة واهية جوفاء أيضاً كسائر تهمه.

و عندما سمع العلاّمة الحلّي أنّ ابن تيميّة كتب ردّاً عليه، قال: «لو كان يفهم ما أقول، أجبته[١]».

٣ - لو قدّر أن نحسب حساباً للتهم الّتي ألصقها ابن تيميّة، و ابن القيّم بالخواجه، و وازنّا بينها و بين اتّهامه بتأثيره في غزو بغداد، لعلمنا أنّ هذه التهمة واهية أيضاً.

---

١ - لسان الميزان، ابن حجر العسقلاني ٢ : ٣١٧.

إنّ التهم الّتي أُلصقت بالخواجه هي : أ - عدم رعاية الأحكام الشرعيّة.
ب - ارتكاب المحرّمات الشرعيّة. ج - عدم إقامة الصلاة. د - إرتكاب الفواحش. هـ - شرب الخمر . و - ارتكاب الزنا . ز - إنكارالمعاد. ح - إنكار صفات اللّه. ط - عبادةالأصنام و ...

إنّ الّذي يبدو من هذه التهم هو أنّ أصحابها تقوّلوها بدافع التعصّب المقيت البغيض. ولا ينبغي أن نحسب نقلها نقلاً عاديّاً، فضلاً عن نقل تاريخيّ أصيل.

٤ - إنّ المثال المناسب جدّاً الّذي يمكن أن نستهدي به في عدم الركون إلى كلام ابن تيميّة و أتباعه هو موقف ابن كثير (م ٨٤٦ هـ). فقد كان هذا الرجل من الحنابلة، و يعدّ من أتباع ابن تيميّة[1]، و لا جرم أنّه كان مطّلعاً على كلامه الملحوظ في ثلاثة من كتبه على الأقل، بيد أنّه لم يتّفق معه فيه.

يقول ابن كثير في الخواجه ضمن إشارته إلى وزارته لهولاكو: كان الخواجه إلى جانبه في واقعة بغداد. و من الناس من يزعم أنّه أشار على هولاكو بقتل الخليفة. و عندي أنّ هذا لا يصدر من عاقل و لا فاضل[2].

إنّ قوله: و من الناس ! وردّه على ذلك يدلاّن على أنّه لم يقبل كلام ابن تيميّة، لأنّه لم يجد أساساً تاريخيّاً لهذا الزعم، بل يراه بعيداً عن شأن الخواجه.

ج : المصادر الّتي لم تشر إلى دورٍ للخواجه في واقعة بغداد، لكنّها نقلت ما أصبح منبعاً لهذه التهمة

و على الرغم من عدم وجود هذا أيضاً، إلاّ أنّ ذكره يعود إلى ما ذهب إليه الدكتور الشيبي بقوله: «أمّا قصّة فتح بغداد، فإنّها و ان كانت نتيجة طبيعيّة لزحف التتار و قضائهم على الإمارات ابتداءً من تركستان إلى العراق، ألقى التعصّب المعهود بين أهل السنّة والشيعة وزره على الشيعة[3]». أجل، حسب الخواجه أن يكون اسمه بين مرافقي ملك المغول باعثاً على هذه التهمة.

و قد نقل رشيدالدّين ذلك، و ذكر شخصين: أحدهما: حسامالدّين المنجّم، و الآخر:

---

١ - الدرر الكامنة ١ : ٣٤٧.
٢ - البداية و النهاية ١٣ : ٢٦٧ ، ٢٦٨ .
٣ - الفكر الشيعي و النزعات الصوفيّة، الشيبي : ٥٣ .

الخواجه نصيرالدّين الطوسي. و أورده ابن الطقطقي من غير أن يذكر اسماً. و ثمّة أشخاص آخرون أخذوه من رشيدالدّين و غيّروا في مضمونه. و فيما يأتي ما نقله رشيدالدّين.

يحسن بنا قبل أن نأتي بالمعلومات الّتي أوردها رشيدالدين، أن نذكّر بأنّ العبّاسيّين كانوا يخالون - و يبثّون الدعايات - أنّ أحداً لا يستطيع القضاء على حكومتهم، كما أنّ الأوضاع التاريخيّة كانت قد ساعدتهم كثيراً.

إنّ حكومتهم الّتي امتدّت خمسمائة و خمساً و عشرين سنة، مضافاً إلى هذه الدعايات، قد رسّخت هذا الاعتقاد عند كثير من العوام. و ذكرنا آنفاً أنّ السلطان محمّد خوارزم شاه عندما توجّه إلى بغداد للإطاحة بالحكومة العبّاسيّة، و هلك كثير من جنوده بسبب البرد القارص الّذي أصابهم في أسدآباد التابعة لهمدان، فإنّ الناس ظنّوا أنّ هذه معجزة لدعم العبّاسيّين و تأييد حكومتهم.

و قال الجويني عن تلك الحادثة: «لمّا دبّ فيه الضعف و الوهن، و ألوت به معجزة الدّين ... تراجع عن رأيه بالضرورة[1]».

لا ريب أنّ هذه الحادثة الطبيعيّة قد تركت أثرها على الناس، بما فيهم العلماء الّذين كان يعتقد بعضهم بالحكومة العبّاسيّة.

و من هؤلاء العلماء: حسام الدّين المنجّم الّذي كان أحد المقرّبين عند هولاكو، و لعلّه كان أقرب إليه من الخواجه. و كان الحوار الّذي جرى بينه، و بين هولاكو و الخواجه، هو الباعث على جرّ الخواجه إلى تلك المعمعة، فأُشيرت إليه أصابع الاتّهام بالتحريض على قتل الحاكم العبّاسي.

يقول رشيدالدّين: «استشار هولاكوخان أركان حكومته و أعيان بطانته فيما عزم عليه من السفر [إلى بغداد]. فأبدى كلٌّ منهم رأيه حسب ما يعتقد. ثمّ طلب حسام الدّين المنجّم الّذي كان مرافقاً له بأمر منكوقاآن ليختار وقت النزول والركوب، و أمره أن يوافيه بكلّ ما يبدو له في النجوم دون مداهنة. و لمّا كان هذا الرجل من المقرّبين عنده، فقد كانت له جرأة على الكلام، فقال له: إنّه ليس ميموناً قصد أُسرة الخلافة بسوء، و الزحف بالجيش

---

١ - تاريخ جهانگشای ٢ : ٩٨.

إلى بغداد، إذ إنّ كلّ ملك قصد بغداد و العبّاسيّين، لم يستمتع بالملك و العمر. و إذا لم يصغَ الملك إلى كلامي و ذهب إلى هناك، تظهر ستّة أنواع من الفساد: ١ - تنفق الخيول كلّها و يمرض الجنود. ٢ - تحتجب الشمس. ٣ - يمتنع القطر. ٤ - تهبّ ريح صرصر، وينهارالعالم بالزلزال. ٥ - لا ينبت النبات في الأرض. ٦ - يموت ملك عظيم في تلك السنة. فطلب هولاكو منه شهادة بصحّة هذا الكلام. فكتبها المسكين، و قال علماءالدين المغول والأمراء: إنّ الذهاب إلى بغداد هو عين المصلحة. بعد ذلك استدعى هولاكوخان الخواجه نصيرالدّين الطوسي و استشاره، فخاف الخواجه، و ظنّ أنّ الأمر على سبيل الاختبار، فقال: لن تقع أيّة واقعة من هذه الأحداث. فقال هولاكو: إذن ما ذا يكون؟ قال: إنّ هولاكوخان سيحلّ محلّ الخليفة. ثمّ أحضر هولاكو حسامالدّين ليتباحث مع الخواجه الّذي قال: لقد استشهد جمع كثير من الصحابة باتّفاق آراء الجمهور و أهل الإسلام، و لم يحدث فساد قطّ. و لو قيل: إنّ للعبّاسيّين مكرمة خاصّة بهم، فإنّ طاهراً جاء من خراسان بأمر المأمون، و قتل أخاه محمّد الأمين، و قتل المتوكّلَ ابنه بالاتّفاق مع الأمراء. كذلك قتل الأمراء و الغلمان المنتصر والمعتزّ، و قُتل عدد من الخلفاء على يد جملة أشخاص، فلم تختلّ الأمور[1]».

و نقل ابن الطقطقي ما يشبه ذلك، إلّا أنّه ذكر أنّ الخواجه ضرب مثالاً بأميرالمؤمنين، و ولده الحسين - عليهماالسلام[2].

و ذكر منهاج سراج أصل القصّة، بيد أنّه لم يذكر جواباً لتهديد هولاكو بقتل الحاكم العبّاسي، واكتفى بكلام ملك الموصل بدرالدّين لؤلؤ و غيره من الكفّار، إذ قالوا لهولاكو: لو بقي الخليفة حيّاً فإنّ المسلمين الموجودين في الجيش، والناس المقيمين في البلدان الأخرى يخرجون عليك و يخلّصونه من يدك ثمّ يقتلونك[3].

والحقيقة هي أنّ هذا الحوار - لو صحّ بالشكل الّذي أجاب الخواجه فيه - كان في وقت قد اتّخذ فيه هولاكو قراره الحاسم، و لم يبال حتّى بكلام حسامالدّين الّذي كان مرافقاً له بأمر أخيه ليختار له وقت النزول والركوب. و لا يمكن أن يشكّل الحوار المشار إليه دليلاً على تحريض هولاكو على مهاجمة بغداد، بخاصّة أنّ الخواجه توهّم أنّه يختبره،

---

١ - جامع التواريخ ٢ : ٧٠٦ ـ ٧٠٧.
٢ - الفخري : ١٤١ ـ ١٤٢.
٣ - طبقات ناصري : ١٩٧ ـ ١٩٨.

و في هذا أكبر الخطر. و قُتل حسام الدّين بسبب كذب نبوءته[١].

و أخيراً أمر هولاكو، مراعاةً للاحتياط «فلُفّ الخليفة في بساط، و رُفس حتّى مات[٢]».

و ذكر الاستاذ الحائري النقاط الآتية، مضافاً إلى ما تقدّم: ١ - إنّ خان المغول تولّى القيام بهذه المهمّة مكلّفاً من قبل أخيه. ٢ - إنّ فيلسوفاً مثل الخواجه لا يمكن أن يقرّ بمثل هذه العقائد الخرافيّة. ٣ - في ضوء ما نقله رشيدالدّين، لم يرغب هولاكو في سماع أيّ اعتراض قطّ. ٤ - إنّ كلام الخواجه بعدم حدوث أيّ واقعة إلّا جلوس هولاكو على العرش مكان حاكم بغداد كان حقيقة لا مناصّ من الإقرار بها.

ثمّ أشار الدكتور الحائري إلى أنّ هذا الكلام أصبح فيما بعد ذريعة للتخرّص على الخواجه، بيد أنّ الباعث الأساس على ذلك هو التعصّب الديني. ثمّ ذكر كلام وصّاف، و هو كلام رشيدالدّين نفسه، و لكن جاء في آخره أنّه بعد ذلك، أي: بعد جواب الخواجه، قرّر غزو بغداد بعزيمة راسخة و ضمير مطمئن[٣].

و هذه العبارة المضافة هي الّتي أوهمت ابن تيميّة و أمثاله فيما بعد، فوّجهوا تهمهم إلى الخواجه، بينما لم يذهب المؤرّخون العقلاء -كالّذين ذكرنا أسماءهم- إلى ما ذهب إليه ابن تيميّة، و ابن القيّم من التصوّر الخاطىء.

آثار وجود الخواجه بين المغول

الحقّ هو أنّ الخواجه كان يعيش بين المغول، و لازمهم حتّى وافاه الأجل. ثمّ عاش بينهم ولده من بعده[٤].

و ينبغي لنا هنا أن نلتفت إلى عدد من النقاط: الأولى: أنّ الخواجه نصيرالدّين كان شيعيّاً إماميّاً. و تمثّل أهم تراث ثقافيّ و تاريخيّ للشيعة في التقيّة الّتي حافظت على كيانهم عبر التاريخ، و وقتهم من المضايقات الّتي بلغت ذروتها في عهد زياد، و ابنه عبيداللّه،

---

١ - حبيب السير، خواندمير ٣: ١٠٧.

٢ - طبقات ناصري: ١٩٨؛ حبيب السير ٢: ٣٤٠. و ذكر القزويني أنّ قتله كان في الرابع عشر من صفر سنة ٦٥٦ هـ على الأصح بل قطعاً. انظر: يادداشتهاى قزوينى ٧: ٧٩.

٣ - الأمصار و تزجية الأعصار، وصّاف الحضرة ٢: ١٩٩. و انظر أيضاً: الحائري: ٩١ - ٩٣.

٤ - مدرسي زنجاني: ٧٨ - ٧٩. شبولر: ٢٩٧، نقلاً عن المقريزي.

والحجّاج، والمنصور، والرشيد، و المتوكّل، و أمثالهم. تلك التقيّة الّتي ما لم يعمل بها أحد، فلا دين له.

من جهة أُخرى ، عندما وقع الخواجه في فخّ الألموتيّين، رأى بأمّ عينه أنّ المغول قد بدأوا هجومهم، و حقّقوا ما لم يحقّقه السلاجقة و غيرهم خلال مائة و سبعين سنة مع ما كانوا عليه من التجهيزات والإمكانيّات العظيمة، ودمّروا قلاع الإسماعيليّة[1]. و هذه حقيقة قلّما كان يصدّق بها أحد آنذاك.

و شاهد الخواجه ما قام به المهاجمون من أعمال قرابة ثلاثين سنة إذ دمّروا كافّة الحواضر الاسلاميّة و جعلوها قاعاً صفصفاً، و ارتكبوا المذابح المروّعة بقسوة بالغة. و رأى كيف طمسوا جميع المعالم الثقافيّة، و منها المكتبات، و عُرف أن لا قِبل لأحدٍ أن يقف بوجههم و يردعهم. و أثبت التاريخ ذلك أيضاً.

أمّا النقطة الأُخرى فهي أنّ المغول ليسوا كالعرب الّذين كانوا يغيرون على بلد من أجل هدايته إلى الدّين، و إنقاذه من الكفر والضَلال، بل كانوا قوماً همجاً رَعاعاً لا موجّه لهم إلّا الشعار الجنكيزي المشوب بمئات الخرافات و العقائد الجوفاء الملوّثة بالشرك.

و هؤلاء يأتون الآن ! فإذا لم نتحرّك عاجلاً، فإنّهم يدمّرون كلّ شيء، و لكن عندما نراهم يحترمون العلماء - حتّى لو كان الاحترام لفظيّاً - ألا ينبغي لنا أن نستثمر ذلك و ننقذ الإسلام والمسلمين من براثنهم ؟ أو ننجي الثقافة الإسلاميّة من قبضة قوم لا ثقافة لهم، ثمّ نربّيهم بعد ذلك و نصنع منهم مبلّغين للعلم و الفكر و الدين ؟

اتّخذ الخواجه قراره و تحرّك إلى جانب هولاكو. و شخّص الداء، فرأى أنّ سبيله هو السبيل الوحيد لحفظ الإسلام و المسلمين و الثقافة الدينيّة في المجتمع.

و ما هذا الكلام إلّا زعم في بادىء الأمر، بيد أنّ التاريخ أيّد حزم الخواجه و كياسته، و دلّ على أنّ الخواجه و أمثاله من علماء الشيعة و السنّة قد أدّوا ما عليهم جيّداً، و أثمر عملهم. و كان هناك من له عقل كعقل الخواجه أيضاً، غير أنّ الحاكم العبّاسي لم يحفل بهم[2].

و سنلاحظ أنّ ابن العلقمي الّذي كان وزيراً لآخر حاكم عبّاسي قد طرح نفس الاقتراح

---

١ - نشريه باستانشناسى و تاريخ، مجيد زاده، السنة الثانية، العدد الثاني ٣٦ ـ ٣٧ .

٢ - الفخري : ٣٣٦ ؛ تاريخ مختصر الدول : ٢٦٩ ـ ٢٧٠ .

إلاّ أنّ بعض المتعصّبين من أمثال دويدار قد تعنّتوا فألقوا الجميع في هاوية الهلاك، و أغرقوا بغداد بالدم حفظاً لمناصبهم !

طبيعيّاً أنّ الخواجه و أمثاله لم يكونوا ذوي نفوذ كبير في البداية، فيجعلوا هولاكو خاضعاً لتوجيهاتهم تماماً، لكنّهم استطاعوا، على تواتر الأيّام، أن يسيطروا عليه من منظار سياسي، و ليس هذا فحسب، بل اعتنق الإسلام كثير من سلاطين المغول بعده. و بذلوا جهودهم من أجل بسط العدالة و بثّ الثقافة الإسلاميّة. فكانوا أفضل من الأمويّين والعبّاسيّين - الّذين يتحرّق لهم ابن تيميّة - أضعافاً.

و هذا لا يعني أنّنا ننكر دور الأشخاص الّذين قاوموا و حاربوا ببسالة حتّى استشهدوا، بيد أنّ إدراك الحقيقة، والتصرّف بحزم و كياسة المغول ـ من قبل شخص كالخواجه العالم الّذي كان بمقدوره أن يملك قلوب المغول ـ أمران يستسيغهما العقل السليم جيّداً.

و كانت هذه هي سجيّة الشيعة إذ استطاعوا المحافظة على كيانهم إلى جانب كفاحهم و جهادهم، حتّى أنّهم أقرّوا بالحكّام العبّاسيّين في فترة ما - و هو ما نلمسه عند الشريف الرضيّ و الشريف المرتضى و سائر نقباء العلويّين في بغداد - و اتّخذوا هذا الموقف لتوسيع نطاق التشيّع والإسلام، و استطاعوا أن يستقطبوا نصف الناس في بغداد إلى التشيّع على امتداد القرون الّتي تلت تأسيسها من قبل المنصور العبّاسي، و استأثروا بالقسم الغربي منها لأنفسهم.

و نعرض فيما يأتي نماذج من استثمار الخواجه نفوذه لإقامة دعائم الدّين و الثقافة الإسلاميّة، والمحافظة على العلماء والمفكّرين، و ذلك لتكون آيةً على صحّة الطريق الّذي انتهجه الخواجه و آثره على غيره في تلك الأوضاع العصيبة.

نفوذ الخواجه عند هولاكو

أشرنا فيما تقدّم إلى أنّ الخواجه لم يكن له نفوذ يُذكر عند هولاكو في أوّل أمره. و هذه حقيقة ألمع إليها بعض الباحثين أيضاً[1]. و نقرأ أنّ المغول عندما أغاروا على بغداد، فإنّ

---

١ - الحائري : ٩٢.

الشيعة و السنّة جميعاً قد تعرّضوا إلى هجماتهم[١].

و أشار الدكتور الشيبي إلى هذا الموضوع أيضاً، و قال: إنّ احتراق الشيعة و السنّة بنار المغول في واقعة بغداد دحض التهمة بوجود اتّفاق سابق بين الشيعة و المغول[٢]. كما أنّ مرقد الامام موسى الكاظم - عليه السلام - قد احترق أيضاً[٣]. و لكن بعد مضيّ مدّة أصبحت للخواجه مكانة عند سلطان المغول تدريجاً. و فُوّضت إليه عدّة أعمال، منها: إدارة شؤون الأوقاف[٤]، كما أُنيطت به الشؤون المتعلّقة بمدينة طوس[٥]. و نُصب من قبل هولاكو أيضاً رئيساً للمحكمة مدّة، وكانت المحكمة الوحيدة في بلاد المغول[٦]. و أشخصه هولاكو مرّة مبعوثاً من قِبله إلى الحاكم العبّاسي في قضيّة غزو بغداد[٧]. و بعد مدّة، أصدر له أمراً بتشييد المرصد[٨].

و أخيراً بلغ نفوذه درجة أنّ ابن شاكر قال عنه: «و كان ذا حرمة وافرة، و منزلة عالية عند هولاكو. و كان يطيعه فيما يشير به عليه، والأموال في تصريفه[٩]». و لمّا كان الخواجه أميناً، فقد زادت ثقة هولاكو به.

و قال شمس الدّين بن مويّد العرضي: «و كان يعمل الوزارة لهولاكو من غير أن يدخل يده في الأموال. و احتوى على عقله حتّى انّه لا يركب و لا يسافر إلاّ في وقت يأمره به[١٠]».

بدأ عمل الخواجه بعد ذلك. و كانت أهمّ المسائل عنده: المكتبات، و إحياء العلوم الإسلاميّة، و تربية العلماء. و قد بلغت المستوى المطلوب بجهوده و مساعيه حتّى انّ أحداً لم يتوقّع ذلك إذا نظر إلى الدمار الّذي خلّفه المغول.

و من الأعمال الّتي قام بها الخواجه أنّه جمع الكتب من المكتبات الّتي تعرّضت للدمار والنهب في المدن الكبيرة كبغداد، و مدن الشام و الجزيرة، و أسّس مكتبة تضمّ أربعمائة

---

١ - ابن الوردي ٢: ٢٨٠. تاريخ الخميس، الدياربكري ٢: ٣٧٧.

٢ - الفكر الشيعي و النزعات الصوفيّة: ٥٥.

٣ - جامع التواريخ ٢: ٧١٣.

٤ - فوات الوفيات ٣: ٢٥٠.

٥ - جامع التواريخ، نقلاً عن شبولر: ٣٤١.

٦ - الحوادث الجامعة، ابن الفوطي: ٣٥١، عن شبولر: ٣٨٣.

٧ - جامع التواريخ ٢: ٧١١.

٨ - فوات الوفيات ٣: ٢٤٧.

٩ - نفسه: ٢٤٧.

١٠ - نفسه: ٢٥٠.

ألف كتاب[1].

و عندما كانت بيده أوقاف البلاد، كان يصرف عشرها على المرصد والعلماء المقيمين هناك، مضافاً إلى أنّ نفعها كان يصل إلى جميع المسلمين بخاصّة العلويّين و الشيعة[2].

و من أعماله الأُخرى محافظته على العلماء و المفكّرين الّذين كانوا يتعرّضون إلى غضب المغول أحياناً لأسباب مختلفة. و من المناسب جدّاً أن ننقل هنا حادثتين بالشكل الّذي ذكرهما المؤرّخون.

الاولى : عن نخجواني الّذي كان يعتبر في الدرجة الثانية بين المؤرّخين الّذين أرّخوا الحوادث الواقعة في تلك الفترة. و ألّف كتابه سنة ٧٢٤ هـ، يقول هذا المؤرّخ : «أخرجوا عزّالدين [ابن أبيالحديد] و أخاه موفّق الدّين،في واقعة بغداد ليقتلوهما ... و لمّا سمع [ابن العلقمي] بخبر عزّالدّين، حار في أمره، فجاء من فوره إلى الخواجه أفضل العالم نصيرالدّين الطوسي قدّس اللّه روحه - و توسّل إليه قائلاً: لقد أخذوا اثنين من أفاضل بغداد لهما عليّ حقّ عظيم، و هم يريدون قتلهما. و أرجو أن يعجّل الخواجه إلى الملك... فتوجّه الخواجه حالاً ... و جثا الوزير على ركبتيه جرياً على عادة المغول، و قال : أخرجوا شخصين من المدينة لتنفيذ أمر الملك في قتلهما،و أقلّ ما أرجوه هو أن يقتلني الملك مكانهما ... فضحك الملك، و قال : لو أردت قتلك لما أبقيتك، إلى هذا اليوم. و عطف الملك على الفور و عفا عنهما»[3].

أمّا الثانية : و هي أجلى من الأولى فتتجسّد في الخطّة الّتي رسمها الخواجه للمحافظة على أحد العلماء و إنقاذه من موت محقّق.

يقول ابن شاكر: «بلغ الخواجه أنّ هولاكو أمر بقتل علاءالدّين الجويني. فقال الخواجه لأخيه: هذا القان إن أمر بأمر لا يمكن ردّه. فلابدّ من الحيلة في ذلك. فتوجّه إلى هولاكو و بيده عكاز و مسبحة ثمّ اصطرلاب و خلفه من يحمل مبخرة و بخوراً و ناراً. فرآه خاصّة هولاكو الّذين على باب المخيّم. فلمّا وصل، أخذ يزيد في البخور و يرفع الاصطرلاب ناظراً فيه. فلمّا رأوه يفعل ذلك، دخلوا على هولاكو و أعلموه. ثمّ خرجوا إليه، فقال لهم: القان طيّب معافئ موجود في صحّة ؟ قالوا : نعم. قال : أُريد أن أرى وجهه بعيني. فدخلوا

---

١ - فوات الوفيات ٣ : ٢٤٧ .
٢ - نفسه : ٢٥٠ .
٣ - نخجواني : ٣٥٩ .

فأعلموه، و كان في وقت لا يجتمع به أحد ... فقال الخواجه: اقتضى الطالع في هذا الوقت أن يكون على القان أمر فظيع عظيم للغاية. فقمت و عملت هذا، و بخّرت بهذا البخور و دعوت بأدعية أعرفها. أسأل اللّه - تعالى - صرف ذلك عن القان. و ينبغي الآن أن يكتب القان إلى سائر ممالكه باطلاق من في الاعتقال، و العفو عمّن له جناية. فأمر في تلك الساعة هولاكو بما قال. و انطلق علاءالدّين، و لم يذكره الخواجه نصيرالدّين [1]».

هذه الخطّة الّتي قام بها الخواجه تبيّن حنكته و دقّته في استثمار نفوذه، و كذلك تعكس قدرته على إقناع هولاكو لتنفيذ مطالبه. و يقول ابن شاكر بعد نقل هذه الحادثة: «و هذا غاية في الدهاء. بلغ به مقصده و دفع عن الناس أذاهم. فإطلاق كلّ من كان في سجن المغول في جميع البلاد الخاضعة لحكم هولاكو أمر لا يقاس به شيء».

و كان الخواجه يغتنم الفرص المناسبة فيحثّ هولاكو على مراعاة شؤون الرعيّة، و يذكّره بانتهاكات جنود جلال‌الدّين الخوارزمي حرمة الناس في شمال العراق بعد هزيمتهم، و يدعوه إلى تدبير شؤون البلاد. فقال هولاكو: إنّنا بحمداللّه فاتحون للبلاد و مدبّرون لشؤونها. نغزو الطغاة، و نرعى شؤون المطيعين. و لسنا مثل جلال الدّين مبتلين بالعجز والضعف [2].

من جهة أُخرى، كان الخواجه يسعى في إنقاذ الناس من الموت والهلاك عبر دعوتهم إلى التسليم. و في غضون ذلك كان يحثّ المغول على رعاية العدل من خلال موادعتهم.

والمقارنة بين المرحلة الاولى و الثانية من حياة هولاكو تثبت لنا أنّه قد لان و مرن بتأثير الخواجه و أمثاله.

و عندما أرسل هولاكو الشيخ شريف التبريزي للتجسّس على جيش عدوّه المغولي بوقاي. و توجّه لأداء مهمّته، قبض عليه جند بوقاي و حملوه إليه. فسأله بوقاي عن هولاكو قائلاً : ماذا تعلم عن هولاكوخان ؟ هل ما زال يقتل أشرافنا و أعياننا و زهّادنا و عبّادنا و تجّارنا غيظاً و غضباً أم لا ؟ فأجاب : إنّ الملك كان غاصباً قبل هذا، فكان يحرق الأخضر و اليابس بسبب خلاف الإخوة. أمّا الآن:

فلا تحرق النار الحرير لعدله

---

١ - فوات الوفيات ٣ : ٢٤٧ - ٢٤٨ .

٢ - جامع التواريخ ٢ : ٧١٧ .

والغزالة أيضاً ترضع اللبن من اللبوة
والناس في راحة و طمأنينة لانصافه و عدله
و الظالمون أذلّاء مرهقون من قدرته و بطشه[1].

و لعلّ في هذا إغراقاً و مبالغة، بيد أنّ الوضع كان كذلك إذ أفضى إلى بقاء المغول في الحكومة. و من المؤكّد أنّهم لو أرادوا أن يواصلوا نهجهم كما كانوا في اليوم الأوّل، لما استمرّوا طويلاً.

و بعد موت هولاكو في التاسع عشر من ربيع الآخر سنة ٦٦٣ هـ جلس اباقاآن على عرش أبيه بجهود الخواجه و مساعيه. و نلحظ هنا أيضاً أنّ نفوذ الخواجه كان باعثاً على حفظ العلماء «... و أنعم اباقاآن على ما يقرب من مائة عالم معتبر من تلامذة أُستاذ البشر الخواجه نصيرالدّين الطوسي ـ رحمه‌اللّه ـ الّذين كانوا ملازمين للبلاط[2]».

و عندما جلس اباقاآن على العرش، ألقى الخواجه خطبة ضمّنها توجيهاته القيّمة له. ننقل شيئاً منها فيما يأتي:

«... أوّلاً يرضي ربّه - تعالى و تقدّس - فيجازى بالإحسان في الدارين ... ثانياً : يعدل بين الناس و يعدّ عمله بسرعة و صدق حتّى يسأل اللّه مزيداً من الجاه و الحشمة ... ثالثاً: لا يؤذي أحداً، و لا يعذّب الأبرار والأبرياء خلال حكمه. رابعاً : يسعى في العمران كي يحصل على مال كثير من غير أن يظلم الناس و يرهقهم...[3]».

و ما زال تنامي الإسلام بين المغول حقيقاً بالكتابة و البحث والتحقيق. و من الثابت أنّ أكثر المغول بما فيهم هولاكو كانوا لم يسلموا حتّى ذلك الحين - على عكس ما أُشيع من إسلامهم - فماذا نتوّقع منهم حينئذٍ ؟ و حسبنا أن نتقدّم قليلاً، فسنرى - كما قال المستوفي - أنّ غازان خان بن ارغون خان بن اباقاآن بن هولاكو عندما جلس على العرش سنة ٦٩٤ هـ - بعد أربعين سنة مضت على الغزو المغوليّ لبغداد - قد بذل جهوده مع نائبه[4] لتوطيد دعائم الإسلام، و دمّر معابد الأصنام والكنائس. و أسلم جميع المغول في ايران بفضل حكومته، و سطعت شمس الإسلام، و انجابت ظلمات الكفر والضلال[5]».

---

١ - جامع التواريخ ٢ : ٧٣٣ .
٢ - نفسه .
٣ - ملوّسي زنجاني : ٦٢ ـ ٦٣ .
٤ - كان نائبه الأمير نوروز.
٥ - تاريخ گزيده : ٦٠٢ ـ ٦٠٣ . و انظر أيضاً : شبولر ص ٢٢٤ فما بعد.

و لعلّ إلزام المغول بالإسلام كان الأمر الأوّل الّذي أصدره غازان خان[١].

دور ابن العلقمي في واقعة بغداد

ذكرت موضوعات جمّة حول دور الوزير مؤيّد الدّين بن العلقمي الشيعيّ الاماميّ الّذي كان وزيراً لآخر حاكم عبّاسي. و هي أكثر ممّا قيل في دور الخواجه نصيرالدّين في الواقعة المذكورة. حتّى إنّ بعض الّذين برّأوا الخواجه - بلا بحث و تحقيق - أقرّوا بدور ابن العلقمي[٢].

و عبّر أكثر المؤرّخين عن آرائهم في دور ابن العلقمي. و ذكروا معلومات متماثلة عن هذه الشخصيّة بسبب تقليد بعضهم بعضاً، مع أنّ قسماً منهم قد أوغل في كذبه و طفق يسرد القصص والحكايات لتضخيم دور الوزير المشار إليه.

إنّ ابن العلقمي وزير أثنى عليه حتّى الّذين اتّهموه بضلوعه في تحريض هولاكو على غزو بغداد. و لذلك كان من نوادر الوزراء الّذين نبغوا في العصر العبّاسي.

و كان الغسّاني الّذي رماه بهذه التهمة من الّذين أثنوا عليه، فقال: «دمث الأخلاق، كريم الطباع، خيّرالنفس، كارهاً للظلم، خبيراً بتدبير الملك. لم يباشر قلع بيت و لا استئصال مال[٣]».

و عُيّن ابن العلقمي وزيراً في وقت كانت البلاد الاسلاميّة تعيش أزمات و مشاكل كثيرة، أهمّها: غارات المغول، إذ هاجموا مناطق العراق و أطراف بغداد في السنين الأولى من وزارته (٦٤٣ هـ) فصمد أمامهم بشدّة، و صدّ هجماتهم بتدبيره العظيم، كما نصّ على ذلك ابن أبي الحديد[٤].

و نحن لا ننوي هنا عرض ترجمة لابن العلقمي، بيد أنّ ما جاء من ترجمة مفصّلة له يدلّ على أنّه كان رجلاً عالماً، محبّاً للأدب، وقوراً، منجزاً لأعماله في أحسن وجه مع علم

---

١ - **تاريخ گزيده**: ٦٠٣ (الهامش) عن وصّاف الحضرة.

٢ - و من هؤلاء الدكتور الحائري في مقالته المذكورة الّتي أجاب عنها الدكتور حسن الأمين في العدد التالي من المجلّة. و انظر أيضاً: بياني: ٣١٥ و ٣١٦.

٣ - **العسجد المسبوك**: ٦٤٠.

٤ - **شرح نهج البلاغة**، لابن أبي الحديد ٨: ٢٣٩ - ٢٤٠.

و دراية[١].

إنّ ما ورد في أكثر كلمات المؤرخين هو أنّه كاتَبَ هولاكو و حرّضه على غزو بغداد.

أمّا الّذين وصموه بهذه التهمة فهم: الغسّاني[٢]، منهاج سراج[٣]، ابن كثير[٤]، ابن خلدون[٥]، خواندمير[٦]، الذهبي[٧]، ابن‌الوردي[٨]، ابن شاكر[٩]، اليافعي[١٠]، الدياربكري[١١]، و آخرون غيرهم ممّن كرّروا نفس الموضوعات غالباً.

و ينبغي لنا أن نشير هنا إلى عدد من الأسباب الكامنة وراء بثّ هذه الإشاعة و توسيع رقعتها إلى هذا الحدّ.

أحدها تشيّع الوزير إذ كان رافضيّاً على حدّ تعبير المؤرّخين، و كان يحبّ أن يسلّم مقاليد الأُمور لأحد العلويّين بدل الحاكم العبّاسي[١٢].

و لكن على الرغم من أنّ الوزير كان شيعيّاً، إلّا أنّه لم يُذكَر دليل مقنع على أنّه كان يستهدف ذلك طوال الفترة الّتي كان فيها وزيراً، و لم تُنكر عليه هذه التهمة بسبب تشيّعه فحسب، بخاصّة أنّ السلطان محمّد خوارزم شاه الّذي كان ينوي الهجوم على بغداد، قد تشبّث بهذه التهمة (استبدال العلوي بالعبّاسي) فسوّغ هجومه[١٣].

و ثمّة ممهّد آخر مهمّ جدّاً قد شدّد هذه التهمة ضدّالوزير. و يتمثّل هذا الممهّد بحدوث كارثة في بغداد قبل غارة المغول بسنة. إذ تواصلت الاشتباكات و الاصطدامات بين الشيعة و السنّة، و حدث مرّة أن قُتل أحد الأشخاص من جرّاء اشتباك حصل بين الطرفين، فقام الابن الأكبر للحاكم العبّاسي و معه قائد القوّات العسكريّة العبّاسيّة مجاهد الدّين دواتدار[١٤] بالهجوم على محلّة الكرخ الّتي كان يسكنها الشيعة، و ارتكبا جرائم شنيعة

---

١ - انظر : الساعدي .
٢ - **العسجد المسبوك** : ٦٢٦ - ٦٣٠ .
٣ - **طبقات ناصري** : ١٩١ ـ ١٩٢ .
٤ - **البداية والنهاية** ١٣ : ١٩٦ .
٥ - **العبر** ٣ : ٥٣٧ .
٦ - **حبيب السير** ٢ : ٣٣٦ - ٣٣٨ .
٧ - **تاريخ دول الإسلام** : ٣٦١ .
٨ - ابن‌الوردي ٢ : ٢٧٩ ـ ٢٨٠ .
٩ - **فوات الوفيات** ٣ : ٢٥٣ .
١٠ - **مرآة الزمان** ٤ : ١٣٨ .
١١ - الدياربكري ٢ : ٣٧٦ . و انظر أيضاً: **تاريخ أبي‌الفداء** ٣ : ١٩٤ .
١٢ - ابن الوردي ٢ : ٢٧٩ . السيوطي : ٤٦٦ .
١٣ - جونيز ٢ : ٩٦ .
١٤ - في المصادر العربيّة : دويدار.

مروّعة.

و قال صاحب العسجد المسبوك: «فهجموا عليهم و قتلوا منهم جماعة و نهبوا محالّهم و ارتكبوا من الشيعة العظائم[١]». و أشار كثير من المؤرّخين المذكورين إلى تأثير هذه الجريمة على نفسيّة ابن العلقمي، و اعتبروها باعثاً على مراسلته هولاكو[٢].

و أشار ابن الوردي إلى أنّ أبابكر - الابن الأكبر للمستعصم و قد سميّ بهذا الاسم للظلم الّذي ارتكبه بحقّ أهل الكرخ - أمر العسكر بالهجوم على الشيعة، فنهبوا الكرخ، و هتكوا النساء و ركبوا منهنّ الفواحش. و طرح ردّ الفعل الّذي أبداه ابن العلقمي[٣]. و هذه قضيّة لا ينبغي لابن العلقمي أن يتغاضى عنها، بخاصّة أنّه كان يواسي الشيعة و يشاطرهم في مصائبهم كثيراً.

بيد أنّ هذه المعلومات المنقولة أيضاً لا يمكن أن تثبت بذاتها تحريضه هولاكو على غزو بغداد، و هو رجل داهية لبيب.

و يبدو أنّ القيام ببعض الأعمال كالهجوم على محلّة الكرخ، الّذي يمثّل جريمة بحقّ نصف السكّان البغداديّين في الأقلّ، يُعتبر عملاً طائشاً للغاية في تلك الفترة الّتي كان الخطر فيها جدّياً. وكان على الحاكم العبّاسي أن يفكّر بإقرار الوحدة بين السنّة و الشيعة، لا أن يكون أُلعوبة بيد شخصين سنيّين متعصّبين فيسبّب في دمار الحكومة و ضياعها.

إنّ السبب الآخر الّذي مهّد لهذه التهمة هو أنّ الوزير كان واثقاً بعقم العمل العسكري ضدّ المغول بعد أن حصل على معلومات عن وضعهم، و بخاصّة بعد سماعه بسقوط أَلَمُوت الّتي قاومت مهاجميها مائة و سبعين سنة، ثمّ سقطت بأيديهم. لذلك كان يقترح على الحاكم العبّاسي باستمرار أن يعجّل بطرح قضيّة الصلح حتّى يفعل المغول ما فعله السلاجقة و البويهيّون فيبقوا اسم الحاكم العبّاسي - في الأقل - متزامناً مع تولّيهم زمام الأمور. و قد نقل أكثر المؤرّخين هذا الاقتراح[٤].

---

١ - العسجد المسبوك : ٦٢٦.

٢ - منهاج سراج : ١٩٣ ، ١٩٤ ؛ الأتابكي ٧ : ٤٨ ؛ السيوطي : ٤٦٥ ـ ٤٦٦.

٣ - ابن الوردي ٢ : ٢٧٩ ؛ أبوالفداء ٣ : ١٩٤.

٤ - خواندمير ٢ : ٣٣٩ ؛ نخجواني : ٣٥٧ ؛ الذهبي : ٣٦١ ؛ ابن الطقطقي : ٤٤٨ ؛ ابن العبري : ٢٦٩ ـ ٢٧٠ ؛ رشيدالدّين ٢ : ٧٠٢.

والحقّ أنّنا ينبغي أن لا نتّهم الوزير بالتواطؤ مع هولاكو في ضوء الافتراض القائل بوجود مثل هذا الاقتراح الّذي كان بإمكانه أن ينقذ الحاكم العبّاسي و دولته على نحو الاحتمال.

و كانت نبوءة الوزير النابه صائبة تماماً. و جرّ الحاكم نفسه و حكومته الى الهلاك إذ منعوه من العمل بنصيحة الوزير. و ما استسلم إلّا بعد أن أغضب المغول بسبب تعنّته. و لم يصفح عنه هولاكو.

و ثمّة سبب آخر لهذه التهمة هو بقاء الوزير حيّاً، و احتفاظه بمنصب الوزارة في عهد هولاكو، و إنْ كان هذا المنصب قد فقد هويّته و حقيقته يومئذٍ.

و ينبغي أن نقول في هذا المجال أيضاً: أوّلاً: من الثابت أنّ الوزير لم يرغب في الحرب، لأنّه كان يراها عقيمة. و هذه ميزة له عند المغول.

ثانياً: نحتمل أنّ بقاءه حيّاً كان بشفاعة الخواجه نصيرالدّين، ذلك أنّ الخواجه كان يشترك معه عقيديّاً.

ثالثاً: لم يسلم ابن العلقمي وحده من مخالب المغول، بل إنّ كثيراً من الشخصيّات السياسيّة والدينيّة في بغداد قد سلموا أيضاً، و منهم مبارك بن المستعصم نفسه، و جلال الدّين نجل دويدار قائد الجيش العبّاسي، و نظام الدّين عبدالمنعم قاضي القضاة في بغداد الّذي ظلّ في منصبه بعد غزو بغداد، و الأمير علي بهادر الّذي كان شحنة بغداد، و احتفظ بمنصبه أيضاً، و فخر الدّين الدامغاني رئيس الديوان الّذي استمرّ في منصبه بعد غزو بغداد، و نجم الدّين عبدالغني درنوس من المقرّبين عند المستعصم، فهؤلاء جميعاً قد نجوا. كما نجا تاج الدّين عليّ بن الدوامي الّذي تسنّم منصب الحجابة بعد غزو بغداد[1].

إنّ الموارد المذكورة استحوذت على أذهان المؤرّخين و أفضت إلى رسوخ هذه التهمة فيها، بينما رفضها بعضهم و لم يحفل بها. و من الطبيعي أنّ أسباباً أُخرى موجودة أيضاً منها: تعصّب المؤرّخين من أهل السنّة. فينبغي للباحث أن يتحرّىٰ في مثل هذه الأحكام الّتي نحتمل احتمالاً كبيراً أنّها صادرة عن التعصّب المذهبي.

يضاف إلى ذلك، أنّ استسلام أهالي الحلّة الّتي كانت القاعدة الأساسيّة للشيعة –

---

١ – الساعدي : ١٣٧ ـ ١٣٨ . حول بعض الأشخاص، انظر: ابن العبري : ٢٧٢ و رشيدالدّين ٢ : ٧١٤ .

و عملهم نابع من تعقّلهم و كياستهم، كما أنّ أهالي كثير من المدن الأُخرى ـ كالبصرة ـ قد ساروا سيرتهم – و وجود الخواجه إلى جانب هولاكو، و الأهمّ من ذلك تعاظم شوكة التشيّع في المناطق الإسلاميّة بعد حضور المغول، كلّ ذلك أفضى بالمؤرّخين المتأخّرين أن يكرّروا هذه التهمة بكلّ اطمئنان.

... أمّا الجذور الحقيقيّة لهذه التهمة

كما ذكرها بعض المؤرّخين الواقعيّين، فتكمن في توزّع القرار بين الحاكم العبّاسي و خطّين آخرين كانا يمارسان السلطة في بغداد أيضاً.

الأوّل يمثّله دويدار قائد الجيش العبّاسي، و أهمّ مؤازر له هو أبوبكر الابن الأكبر للحاكم العبّاسي. و كان الدويدار متعصّباً في مذهبه السنّي[1]، لذلك انسجم مع أبي‌بكر، و تعاون الاثنان على نهب محلّة الكرخ تعاوناً تامّاً.

أمّا الخطّ الثاني الّذي يقف أمام الدويدار و أبي‌بكر بن المستعصم، فيمثّله الوزير ابن العلقمي الّذي كان يعدّ شيعيّاً[2].

و كان الخطّان يتصادمان في القضايا السياسيّة، مضافاً إلى أنّ الخلاف المذهبي كان يوسّع نطاق الاشتباكات بينهما. و في هجوم المغول على بغداد كان الخطّ الأوّل يضغط على المستعصم كي يرفض اقتراح الوزير المتمثّل بالاستسلام و الحصول على امتياز، و قد رفضه طبيعيّاً. و هاجموا المغول ففشلوا فشلاً ذريعاً أرغم الجميع – بما فيهم الدويدار و أبوبكر – على الذهاب عند هولاكو. وكانت عاقبة الشخصين المذكورين القتل بسبب تعنّتهما.

و سبق هذه الحادثة أنّ الدويدار – كما نقل الرشيدي – كان يزمع عزل المستعصم، و تولية ابنه أبي بكر مكانه، إذ إنّه لم يستجب لمطالبه، و أبقى الوزير في منصبه. و انكشفت خطّته من قبل الوزير ممّا سبّب إحراجه، و اتّساع نطاق الخلافات. و أراد أن يتلافى ذلك، فقال للمستعصم: إنّ الوزير كاتَبَ المغول. و هذه الإشاعة – كما سنلاحظ – الّتي عدّها المستعصم واهية لا أساس لها أدّت بالمؤرّخين المتعصّبين فيما بعد أن يصنعوا

---

١ – **فوات الوفيات** ٣ : ٢٥٢ . قال ابن شاكر : «دواتدار كان غالياً في السنّة».

٢ – نفسه : ٢٥٢ ؛ الساعدي : ٤٣ ـ ٤٤ .

منها خبراً صحيحاً. و مرّ بنا أنّ ممهّدات كثيرة طرحت لها أيضاً.

و ذهب رشيدالدّين فضل‌اللّه إلى أنّ هذه التهمة الموجّهة إلى ابن العلقمي إرجوفة لا صحّة لها. و كان هذا الرجل من المؤرخين المهمّين في العصر المغولي، و لم يكن له دافع على نفي هذه التهمة عن ابن العلقمي. و أشار إلى الفيضان الّذي حدث سنة ٦٥٤ هـ. ق، و تحدّث عن الأوغاد الّذين تطاولوا على أرواح الناس و أموالهم، و قد دعاهم مجاهد الدين ايبك [دويدار] قائد الجيش العبّاسي للالتفاف حوله.

و كان يرمي من وراء ذلك عزل الحاكم العبّاسي و تولية نجله مكانه. بيد أنّ الوزير أطلعه على نواياه، فطلبه و هدّده و عاتبه. و لمّا شعر دويدار أنّ الحاكم لم يتعامل معه بعنف، اتّهم الوزير بوجود علاقات سرّيّة بينه و بين المغول، و قال له: إنّ سعايته في حقّي من أجل دفع هذه التهمة عن نفسه، «... و انّه عدوّ الخليفة، فهو يتبادل مع هولاكو خان الجواسيس[1]».

و أشار رشيدالدين إلى أنّ الدويدار كان قد حرّض الأوغاد والسفلة و أثار فتنة، و واصل كلامه قائلاً: «و عهد الخليفة إلى فخرالدّين الدامغاني باخماد تلك الفتنة، وكتب كتاباً بخطّه فحواه أنّ ما قيل في حقّ الدويدار إنّما هو محض افتراء و بهتان، و نحن نثق به ثقة تامّة. و عندما أرسلت تلك الرسالة على يد ابن درنوش إلى الدويدار، حضر و مثل أمام الخليفة، فاستماله هذا، و عاد معزّزاً مكرّماً[2]».

و يدلّ هذا الموضوع على أنّ الدويدار كان خائفاً، و على الرغم من عفو المستعصم عنه في البداية، فقد أثار تلك الضجّة، أملاً في دفعه إلى أن يعلن ثقته به على رؤوس الأشهاد. و بلغ نفوذه و حبّه السلطة أنّ المستعصم خاف فأمر أن يذكر اسم الدويدار في الخطبة بعد اسمه، و ذلك لاقناعه بعدم التآمر عليه و عزله عن الحكومة.

و يبدو أنّ ما قام به الدويدار يدلّ جيّداً على أنّ شعوره بالخطر من جهة، و حبّه المنصب من جهة أخرى، قد دفعاه إلى أن يتذرّع بالتسنّن من أجل تولية أبي‌بكر بن المستعصم، فتزداد قدرته. و ألصق بابن العلقمي تلك التهمة أيضاً من أجل تبكيته و الايقاع به، و لم يؤثّر ذلك على المستعصم إذ ما أساء ظنّه بوزيره قيد أنملة.

---

١ - جامع التواريخ ٢: ٦٩٨ ـ ٦٩٩.
٢ - نفسه: ٦٩٩.

و قال رشيدالدّين في موضع آخر: «لمّا كان الدويدار. في تلك الفترة - خصماً للوزير، فإنّ أتباعه من أوغاد المدينة و طغامها كانوا يذيعون بين الناس أنّ الوزير متّفق مع هولاكوخان و أنّه يريد نصرته و خذلان الخليفة، فقوي هذا الظن[1]».

و أشار رشيدالدّين في مكان آخر من كتابه إلى مشاورة المستعصم وزيرَه، و ذلك في سياق حديثه عن الانذار الّذي بعثه هولاكو إلى المستعصم و أعلن فيه الحرب. و قال المستعصم للوزير: ماذا نفعل ؟ فأجاب الوزير: ندفع هولاكو ببذل المال و إرسال الخزائن إليه، و نجعل السكّة باسمه. فوافق المستعصم على هذا الاقتراح في أوّل الأمر، بيد أنّ الدويدار صرفه عن ذلك، و ذكر له أنّ اقتراح ابن العلقمي دليل على تجسّسه لهولاكو. و قال : إنّه يريد أن يكون محترماً عند هولاكو. و كذلك هدّد المستعصم بأنّه إذا أرسل الخزائن، فسوف يبعث جنده للاستيلاء عليها[2].

بعد ذلك اقترحت جماعة أخرى القيام بهجوم عسكريّ قويّ. و من هؤلاء: سليمان شاه الّذي عرض الاقتراح على الوزير، و قال: على شرط أن يضع الامكانيّات في تصرّفه، حتّى يستطيع أن يجمع قوّة كافية. فوافق الوزير على أن يوصل هذا الاقتراح إلى المستعصم و كان يعلم أنّ المستعصم «لن يمنح مالاً» على حدّ تعبير رشيدالدّين. و في نهاية المطاف لم يدفع شيئاً، و تُركت القضيّة على ما هي عليه... [3].

إذن ، كان رشيدالدّين يرى أنّ اتّهام ابن العلقمي بالتجسّس إشاعة بثّها الدويدار. و يستشفّ ممّا كتبه أنّ معلوماته دقيقة للغاية و لافتة للنظر، بينما كان سائر المؤرّخين يجترّون نفس التهمة و يسردون عين المضمون. و لا تقاس معلوماتهم من منظور تاريخي رصين بمعلومات رشيدالدّين العالم و المؤرّخ الدقيق.

و يمكن أن يكون ابن الطقطقي أيضاً (م ٧٠٩ هـ) مؤرّخاً موثوقاً من حيث انتمائه إلى الجهاز المغولي - إذ كان أبوه موظّفاً عند المغول. فقد نقل هذا المؤرّخ معلومات رائعة عن التهم الملصقة بابن العلقمي و الأراجيف المبثوثة عليه. و قال مشيراً إلى الأوضاع المضطربة في بغداد، و عجز المستعصم عن إدراك الحقائق إدراكاً صحيحاً:

---

١ - جامع التواريخ ٢ : ٧٠٤.

٢ - نفسه : ٧٠٢. و نقل ابن العبري هذه التهمة أيضاً عن الدويدار ، انظر : ٢٦٩.

٣ - نفسه : ٧٠٣ ـ ٧٠٤.

«وكان وزيره مؤيّد الدّين بن العلقمي يعرف حقيقة الحال في ذلك و يكاتبه بالتحذير والتنبيه، و يشير عليه بالتيّقظ والاحتياط والاستعداد، و هو لا يزداد إلّا غفولاً. و كان خواصّه يوهمونه أنّه ليس في هذاكبير خطر و لا هناك محذور. و أنّ الوزير إنّما يعظّم هذا لينفق سوقه و لتبرز إليه الأموال ليجنّد بها العساكر فيقتطع منها لنفسه[١]».

و من الجدير ذكره أنّ هذه المعلومات تدلّ على أنّ ابن العلقمي كان في البداية يحرّض المستعصم على تعبئة الجند و إعدادهم للحرب.

و قال في مكان آخر من كتابه: «و نسبه الناس أنّه خامر، و ليس ذلك بصحيح. و من أقوى الأدلّة على عدم مخامرته سلامته في هذه الدولة، فإنّ السلطان هولاكو لمّا فتح بغداد و قتل الخليفة، سلّم البلد إلى الوزير، و أحسن إليه و حكّمه. فلو كان قد خامر على الخليفة، لما وقع الوثوق إليه[٢]».

و هذا الاستدلال الّذي ذكره ابن الطقطقي صائب تماماً، لأنّ دأب الملوك الماضين، و منهم سلاطين المغول أن لا يولّوا الخونة منصباً. فمن خان مولاه السابق فسيخون مولاه الجديد مرّة أُخرى. و لكن نزاهة الوزير أثّرت على سلطان المغول فأبقاه في منصبه كما أبقى كثيرين غيره.

و يبدو من الخبر الّذي نقله ابن الطقطقي بنحو موثّق، بعد ذلك - عن ابن اخت مؤيّد الدّين بن العلقمي - أنّ الوزير ظلّ على وفائه للمستعصم حتّى آخر لحظة. و عندما أمره بالتوجّه إلى هولاكو، فإنّه قال : سمعاً و طاعة.

و يقول ابن الطقطقي في سبب حظوته عند هولاكو: «لمّا حضر بين يدي السلطان، و سمع كلامه، وقع بموقع الاستحسان. و كان الّذي تولّى تربيته في الحضرة السلطانيّة الوزير السعيد نصيرالدّين محمّد الطوسي قدّس اللّه روحه[٣]».

إنّ ابن العلقمي لم يلبث طويلاً بعد غزو بغداد، إذ نقل ابن الطقطقي أنّه مكث شهوراً ثمّ مات في جمادى‌الاولى سنة ٦٥٦ هـ[٤]. و نقل المؤرّخون المتعصّبونَ -الّذين افتروا على ابن العلقمي كثيراً - أنّه قتل بأمر هولاكو، و ذكروا ذلك لتهدئة خواطرهم و خواطر القرّاء[٥].

---

١ - الفخري : ٣٣٥.
٢ - نفسه : ٣٣٨.
٣ - نفسه : ٣٣٨.
٤ - نفسه : ٣٣٨.
٥ - الدياربكري ٢ : ٣٧٧.

و قال بعضهم أيضاً: إنّه مات كمداً[1]. و كلا القولين غير صحيح.

و يحسن بنا أن ننقل معلومات أُخرى من كتاب طبقات ناصري لمؤلّفه منهاج سراج، و ذلك لدعم ما ذكره رشيدالدّين، و ابن الطقطقي. فإنّ منهاج سراج تحدّث عن الموضوع بتعصّب أكثر من الآخرين، و أشرك ابن العلقمي في جرائم أُخرى، لكنّه نقل أيضاً معلومات لافتة للنظر حول ثقة المستعصم بالوزير. و ذكر الخبر الّذي جاء في كتاب رشيدالدّين حول إطْلاع ابن العلقمي المستعصمَ بمؤامرة الدويدار ضدّه. و اتّهم ابن‌العلقمي بعد ذلك بعلاقته السرّيّة بالمغول. و جاء هذا القلب للحقائق لئلاّ يخال أحد أنّ الوزير قد ثأر لنفسه، و أنّه أراد أن يلصق بالدويدار تلك التهمة بعد أن اتُّهم هو نفسه بعلاقته بالمغول.

و قال منهاج سراج متّهماً ابن العلقمي: كانت بينه و بين هولاكو علاقات سرّيّة. و واصل حديثه فذكر مراسلته سلطان المغول. و قال: إنّ الدويدار أخذ إحدى الرسائل إلى الخليفة، لكنّ الخليفة لم يقبلها بسبب الجفوة بين الوزير والدويدار. و عندما علم الوزير بما فعله الدويدار، ذهب عند الخليفة و أوهمه كذباً أنّ الدويدار يريد عزله و تولية ابنه أبي‌بكر مكانه[2].

إنّ المهمّ في كلماته هو أنّ الدويدار و أمثاله بلغ بهم الأمر أنّهم اختلقوا رسائل و عرضوها على الحاكم العبّاسي متّهمين الوزير بإرسالها إلى المغول، غير أنّ الحاكم العبّاسي لم يقبل ذلك، معلّلاً هذا العمل بالخصومة بين الاثنين.

و نصّ منهاج سراج بعد ذلك على أنّ المستعصم لم يلتفت إلى كلام الاثنين بسبب تنازعهما و تعاندهما، حتّى إنّ بطانته -كما قال منهاج سراج- عندما أخذوا رسائل الوزير إليه، فإنّه عدّ هذا العمل من صنع الدويدار. و لمّا يئسوا منه، ذهبوا عند الدويدار، فقال لهم: إنّي تحدّثت مع الخليفة ما كان إلى ذلك سبيل، لكنّه لم يصغ إلى كلامي. فتوجّهوا إلى المستعصم مرّة أُخرى، و طلبوا منه الحلّ لدفع المغول، فبعثهم إلى الوزير[3].

هذه حقائق جالبة للانتباه، إذ تدلّ على أنّ المستعصم كان يرتاب فيمن يتّهم الوزير بعلاقته بالمغول، و ينظر إلى هذه التهمة على أنّها من صنع الدويدار. و كانت أهميّة هذا

---

١ - حبيب السير، خواندمير ٣: ٩٧.

٢ - طبقات ناصري، الطبعة: ٢٣، ص ١٩١.

٣ - نفسه: ١٩٣ ـ ١٩٤.

الموضوع على درجة أنّ الحاكم العبّاسي لابدّ له أن يتّخذ موقفاً حيال الوزير، إنْ ارتاب في أمره أقلّ الارتياب. و لكنّه لم يفعل ذلك لثقته العالية به.

و إذا أثبتنا سقم هذه التهمة، فلا يتسنّى لنا - إذن - أن نقرّ بالتهم الأُخرى الّتي أُلصقوها بالوزير، كقولهم: إنّه بعد أن ذهب عند المغول و عاد إلى المستعصم، فإنّه خدعه بقوله: إنّ هولاكو يرغب أن يزوّج بنته بابنك أبي‌بكر، و يحكم كالسلاجقة و يبقيك في منصب الخلافة[1]. و ذكروا أنّه جمع الفقهاء كافّة بحجّة إجراء العقد، فقتلهم المغول[2].

و اتّسع نطاق هذه التهم الكاذبة إلى درجة أنّ بعض المتعصّبين نسبوا إلى ابن العلقمي خبراً يرتبط بالناصر لدين‌اللّه كما في الأثر الصحيح - سننقله فيما بعد - و ذلك أنّه بعث إلى المغول رسالة حتّى جاؤوا إلى إيران، و مارسوا ضغوطهم على الخوارزمشاهيّين. بينما نقرأ أنّ هذه المعلومات ترتبط بزمن سبق غزو بغداد بخمس و ثلاثين سنة في الأقلّ.

و اتّهموه أيضاً أنّه هو الّذي أمر الجنود في هجومهم على جيش هولاكو أن يتركوا الماء وراءهم، فغرق أكثرهم[3]. و اتُّهم كذلك أنّه هوالّذي أمرهم بالتفرّق قبل تلك الحادثة[4].

و هذه تهمة باطلة كاذبة من أساسها، إذ إنّ الوزير لا علاقة له بالأعمال العسكريّة، لأنّها من مهامّ مجاهد الدّين الدويدار الّذي كان يتولّى قيادة الجيش العبّاسي.

و ذكر الأتابكي المصري (م ٨٧٤ ه) معلومات خاطئة عن غزو بغداد، نقلها عن المصادر المتعصّبة. فهو لم يعدّ ابن العلقمي مرتبطاً بالمغول تماماً فحسب، بل ذهب إلى أنّه أرسل أخاه إليهم أيضاً. و يضيف أنّ شيعة الكرخ كانوا عند الجيش المغولي[5]. و ثمّة تهم تافهة واهية أُخرى، يدلّ أُسلوب سردها على كذبها. و إنّما صدرت عن التعصّب المذهبي الّذي قوّى جذورها.

يضاف إلى ما تقدّم أنّنا ينبغي أن ننبّه على أنّ الخواجه نصيرالدّين الطوسي لم يشر أدنى إشارة إلى دورٍ لابن العلقمي، فيما كتبه عن واقعة بغداد، و قد طبع في تاريخ

---

١ - العسجد المسبوك : ٦٣٠؛ الذهبي : ٣٦١؛ ابن الوردي ٢ : ٢٨١؛ الأتابكي ٧ : ١٥٠؛ تاريخ أبي الفداء ٣ : ١٩٤ .

٢ - السيوطي : ٤٧٢ .

٣ - طبقات ناصري : ١٩٤ .

٤ - خواندمير ٢ : ٣٣٨ . الديار بكري ٢ : ٣٧٦ - ٣٧٧ .

٥ - الأتابكي ٧ : ٤٧ - ٤٩ .

جهانكشاى للجويني، بينما يعدّ ذكره في غاية الأهميّة للخواجه، لأنّه كان إلى جانب هولاكو.

و على الرغم من أنّ ابن العبري (م ٦٨٥ هـ) نقل في تاريخه اقتراح الوزير بإرسال الهدايا إلى هولاكو، بيد أنّه لم يشر ولو إشارة بسيطة إلى مصالحته المغول، في وقت كانت هذه القضيّة خطيرة[١].

و في ختام هذا القسم أرى أنّ الإشارة إلى هذه النقطة ضروريّة، و هي أنّ كتّاب دائرة المعارف الشيعيّة قالوا: «... أمّا المصادر الشيعيّة، فتذهب إلى أنّ سبب هزيمة الجيش العبّاسي هو انشغال المستعصم باللهو و اللعب و ... هذا مع الإقرار بتردّد المبعوثين بين هولاكو والوزير[٢]». و إذا كان القصد من تردّد المبعوثين ! هو الاتّصال من أجل المصالحة والوئام مع هولاكو، فلابدّ أن نقول : إنّ المصادر الشيعيّة تخلو من ذلك. و يبدو أنّ المقصود من المصادر الشيعيّة كتاب الفخري لابن الطقطقي ليس غيره.

دور الحكّام العبّاسيّين في جرّ المغول إلى البلاد الإسلاميّة

إنّ من أهم المشاكل الّتي واجهها الحكّام العبّاسيّون منذ القرن الثالث الهجري قوّة روح الاستقلال عند الحكّام الّذين تسلّطوا على المناطق البعيدة عن عاصمة الحكم. و كان هؤلاء يُنصبون من قبل الحكّام العبّاسيّين في البداية، و ما إنْ تمضي فترة حتّى ينادوا بالاستقلال محتفظين بذكر اسم الحاكم العبّاسي في الخطبة و نقشه في السكّة.

و ثمّة حكّام آخرون لا يُعيَّنون من قبل السلطان العبّاسي، بل كانوا يحكمون قبضتهم على المنطقة المعنيّة بقدرتهم و همّتهم، ثمّ يأخذون من العبّاسيّين حكماً بتوليتهم. و هذه مشكلة واجهها الحكّام العبّاسيّون و بلغت ذروتها في تسلّط البويهيّين والسلاجقة وسيطرتهم حتّى على العراق نفسه، و لم يدعوا للسلاطين العبّاسيّين إلّا النفوذ المعنوي!

و كان الخوارزمشاهيّون على نفس الشاكلة أيضاً، إلّا أنّهم لم يستطيعوا التغلغل في بغداد بسبب بعدهم عن العراق، إذكانوا في شرق إيران، وكذلك بسبب دهاء الناصر لدين

---

١ - ابن العبري : ٢٦٩ ـ ٢٧١ .

٢ - دايرة المعارف تشيّع، بنياد إسلامي طاهر ١ : ٣٥١.

اللّه وكياسته في القضايا السياسيّة. و لمّا حاول السلطان محمّد أن يقوم بهذا العمل، و قرّر الاصطدام بالعبّاسيّين من خلال موضوع التشيّع[١]، فإنّ الثلج و البرد في همدان قد حالا دون تحقيق أُمنيته[٢].

و أفضت هذه الحادثة إلى استعار الأضغان العبّاسيّة حيال الخوارزمشاهيّين. و حاول العبّاسيّون إثارة المشاكل ضدّهم عبر الأساليب السياسيّة والدينيّة، و عبر تحريض بعض الحكومات المحليّة في الشرق.

و ممّا نلحظه في هذا المجال رسائل الناصر لدين اللّه إلى سلاطين غور، إذ حثّهم فيها على قتال السلطان محمّد. و هذا من أسباب الهجوم الفاشل الّذي قام به الشخص المذكور على بغداد.

قال الجويني: «... كان الخليفة يرسل الرسائل إلى سلاطين قراختاي خفية يطلب فيها منهم صدّ السلطان محمّد. وكاتب سلاطين غور بذلك مراراً. و انكشفت تلك الأسرار عندما ذهب السلطان إلى غزنين و فتّش الخزائن[٣]».

ذكرنا هذه المقدّمات لنبيّن سابقة الحاكم العبّاسي في تحضيض الحكومات المحلّيّة في الشرق على السلطان محمّد، بحيث إنّنا إذا سمعنا بعد ذلك، أنّه حثّ المغول على قمع السلطان المذكور، فلا نندهش و لا نستغرب، و ثمّة أدلّة تاريخيّة متعدّدة على هذا الموضوع:

١ - إنّ ابن الأثير الّذي عاش في العصر العبّاسي الأخير و شهد غارات المغول، قد ثبّت وجود دورٍ للحاكم العبّاسي الناصر لدين اللّه في جرّ المغول إلى البلدان الإسلاميّة بأوضح تعبير و قال: «وكان سبب ما ينسبه العجم إليه صحيحاً من أنّه هو الّذي أطمع التتر في البلاد و راسلهم في ذلك، فهو الطامّة الكبرى الّتي يصغر عندها كلّ ذنب عظيم[٤]».

٢ - و ذهب مؤرّخ سنيّ آخر، و هو أبوالفداء (م ٧٢٩ هـ)، إلى نفس الرأي أيضاً، و قال: «بسبب ما كان بينه (الناصر) و بين خوارزمشاه من العداوة ليشغل خوارزمشاه بهم عن

---

١ - **تاريخ جهانگشاى** ٢ : ٩٦ ـ ٩٧ . ٢ - نفسه : ٩٨ .

٣ - نفسه : ١٢٠ .

٤ - **الكامل** ١٢ : ٤٤٠ . و انظر أيضاً : **تاريخ ابن خلدون** ٣ : ٥٣٥ .

قصد العراق[١]».

٣ - في ضوء رواية أحمد بن نصرالله، وصلت رسالة من الحاكم العبّاسي إلى المغول قبل قتل التجّار على يدالحكومة الخوارزميّة. و كُتبت هذه الرسالة على رأس المبعوث بعد حلاقة شعره. و لمّا طال شعره، توجّه إليهم كي لا يعلم الخوارزمشاهيّون بها.

و فحوى هذه الرسالة «أنّ جنكيز مهما اهتمّ بالاستيلاء على ماوراءالنهر، فإنّه لو جدّ في قمع خوارزم شاه الّذي ضاقت الرعيّة ذرعاً بظلمه و انتهاكه، لكان أفضل[٢]».

و من المخجل أنّ ابن شاكر ألقى التبعة على ابن العلقمي - لاتّهامه - و لم يذكر الحاكم العبّاسي[٣]، كما نقل السبكي ذلك لإثبات التهمة الملصقة بابن العلقمي، بينما تحقّق هذا العمل من قبل الناصرلدين اللّه قبل وزارة ابن العلقمي بسنين[٤].

٤ - عندما كانت الغارات المغولية جارية على قدم وساق في جميع أقطار الشرق الإسلامي، و وجّه الحاكم العبّاسي مبعوثين من قبله إلى المغول يتوعّدهم و يتهدّدهم. كما أنّ سلطان المغول - كيوك خان - كان يهدّد الحاكم العبّاسي و يتوعّده[٥]!

وكان قاضي القضاة فخرالدّين ممثّل الحاكم العبّاسي حاضراً في مراسيم جلوس كيوك خان بن جنكيز على العرش[٦].

٥ - و جاء في خبر آخر على لسان روبروك الّذي كان يعمل عندالمغول: «... وصل سفيرالخليفة إلى بقراقروم مرّة أُخرى. وكانت مهمّته عقدالصلح مع الأمبراطور الجديد، والتعهّد له بوضع عشرة آلاف فارس تحت تصرّف المغول من أجل مواصلة عمليات الغزو في ايران. و طلب سلطان المغول من المبعوث أن يدمّر الخليفة جميع تحصيناته و قلاعه، فلم يوافق المبعوث على ذلك[٧]».

---

١ - تاريخ أبي الفداء ٣ : ١٤٣ . و انظر أيضاً : الفكر الشيعي و النزعات الصوفيّة : ٥٤ .

٢ - تاريخ الفي، احمد بن نصرالله ٤ : ٢٨١ ، نقلاً عن بياني . و انظر أيضاً: تاريخ الدول والملوك لابن الفرات ٩ : ٩٨ . الساعدي : ١١٤ .

٣ - فوات الوفيات ٣ : ٢٥٤ ـ ٢٥٥ ؛ الساعدي : ١١٤ .

٤ - طبقات الشافعيّة الكبرى، السبكي.

٥ - جامع التواريخ ١ : ٥٧٠ ؛ بياني : ٢٨٢ .

٦ - تاريخ جهانگشاى ١ : ٢٠٥ .

٧ - بياني : ٢٨٢ عن :

Rubruk . William . The joumery of Willlam - of Rubruk to the Eastem Parts of the World.

٦ - و يرى شبولر، نقلاً عن مير خواند، أنّ الناصر استنجد بسلطان المغول للضغط على السلطان الخوارزمي[١].

و يقول في صحّة هذا الخبر: «الآن لا يمكن أن نقطع هل كان الخليفة نفسه مصمّماً على إنزال أكبر ضربة بالعالم الإسلامي أو لا ؟ بيد أنّ صدور مثل هذا العمل عن الناصر لدين اللّه، الّذي كان شديد الانهماك في الشؤون السياسيّة، لا يبدو مستحيلاً، لا سيما إذا أخذنا بنظر الاعتبار أنّ أحداً لم يعرف القدرة الحقيقيّة لسلطان المغول يومئذٍ، و لم يتوقّع نتائج ميله إلى التطاول و الانتهاك. و لمّا لم يشكّ ميرخواند في إرسال الحاكم العبّاسي هذه الرسالة إلى سلطان المغول، لذلك يمكن القول : إنّ أشخاصاً آخرين كانوا يرون ذلك محتملاً آنذاك. و بقطع النظر عن هذا كلّه، فإنّ من الصعوبة بمكان أن نقبل بأنّ أحداً قد أشاع هذا الخبر في القرن التاسع من أجل أهداف نفعيّة[٢]».

و ينبغي أن نقول في هذا المجال: أوّلاً : إنّ ابن الأثير ـ و هو من أكبر المؤرّخين الإسلاميّين في القرن السابع ـ قد شهد بهذا الأمر.

ثانياً: إنّ تثبيت هذا الموضوع من قبل أحد السنّة فيما يخصّ الخليفة - في وقت كان الجميع يحاولون الدفاع عن الخلافة - ينبغي أن يحظى بالقبول أكثر.

ثالثاً: إنّ النقطة المهمّة لا تكمن في عدم معرفة النتائج الّتي يتركها عمل المغول، و ميل سلطانهم إلى التطاول والانتهاك، بل تكمن في أنّ خليفة المسلمين يستنجد بالكفّار من أجل محق البلدان الإسلاميّة والقضاء على سلطان مسلم، و هو ما يريد الآخرون أن يلقوا تبعته على الشيعة.

٧ - تحدّث رشيدالدّين في كتابه عن تعهّد الحاكم العبّاسي بمساعدة سلطان المغول، و قال : «أرسل هولاكو في الثاني عشر من رجب سنة ٦٥٥ هـ رسولاً إلى الخليفة يتهدّده ويتوعّده قائلاً: لقد أرسلنا إليك رسلنا وقت فتح قلاع الملاحدة، و طلبنا مدداً من الجند. ولكنّك أظهرتَ الطاعة و لم تبعث الجند. و كانت آية الطاعة والاتّحاد أن تمدّنا بالجيش عند مسيرنا إلى الطغاة، فلم ترسل إلينا الجند، و التمستَ العذر[٣]».

إنّ هذه الفقرة و إن كانت تنصّ على أنّه لم يساعده، لكن ذكر الاتّحاد و قبول طاعة

---

١ - روضة الصفا، ميرخواند ٥ : ٢٥ ؛ شبولر : ٢٤ .

٢ - شبولر : ٢٤ ـ ٢٥ .

٣ - جامع التواريخ ٢ : ٦٩٩ .

السلطان المغولي في وقت كان منهمكاً في غزو ايران أمر مهمّ للغاية، إذ إنّ الحاكم العبّاسي كان تعهّد له بتقديم المساعدة.

٨ - عندما أصبح تهديد المغول بغزو بغداد جديّاً، و طلب ابن العلقمي الوزير من المستعصم أن يتفاهم مع هولاكو بنحو من الأنحاء لكي لا تزول الحكومة العبّاسيّة، و لا تفلت الأمور من يده، قال له بتحريض من أعداء الوزير: «لا تخش القضاء المقبل، و لا تقل خرافة، فإنّ بيني و بين هولاكوخان و أخيه منكوقاآن صداقة و ألفة، لا عداوة و قطيعة. و حيث انّني صديق لهما، فلابدّ أنّهما أيضاً يكونان صديقين و مواليين لي[1]».

و من الجدير ذكره أنّ المغول لم يثقوا بالحاكم العبّاسي بمقدار ما كان واثقاً بصداقته معهم إلى مدى بعيد. والمهمّ هنا تأكيد الحاكم العبّاسي الصداقة. و هذا دليل على صحّة اتّصاله بالمغول.

٩ - و ذُكرت موارد أُخرى أيضاً. و هي تدلّ على أنّ سفراء الحاكم العبّاسي كانوا يحرّضون سلطان المغول منكوقاآن على الإسماعيليّة. و هذا الشخص هو الّذي أرسل أخاه هولاكو إلى ايران لتحقيق انتصارات أكثر في آسيا الغربيّة. و نُقل أنّ قاضي القضاة شمس‌الدين القزويني ظهر للسلطان المغولي لابساً الدرع، و أخبره أنّه يلبسه تحت ثيابه خشية الملاحدة. كما سرد له طرفاً من اعتداءاتهم و غاراتهم[2].

و ممّا يذكر أنّ هولاكو عندما توجّه إلى إيران والعراق للغزو، لم يقضِ على الملاحدة فحسب، بل قضى على الحاكم العبّاسي أيضاً.

و يقول المستوفي أيضاً عن ذهاب هولاكو باتّجاه الغرب: «جاء هولاكوخان الى ايران سنة ٦٥٣ ﻫ بأمر أخيه منكوقاآن، و طَلَبِ القاضي شمس الدّين أحمد القزويني من أجل صدّ الملاحدة[3]». و لا جرم أنّ هولاكو فكّر في نفسه بعد ذلك أن يخطو خطوات نحو بغداد!

و لو تغاضينا عن هذا الموضوع، فإنّ موضوعاً آخر يأخذ دوره في هذا المجال، و هو أنّ الخطر لمّا تفاقم، و أصبح سقوط العراق و شيكاً لم يقدّم الحاكم العبّاسي أيّة مساعدة للأشخاص الّذين صمدوا بوجه المغول، و تركهم وحدهم في الميدان.

---

١ - جامع التواريخ ٢ : ٧٠٣.
٢ - نفسه : ٦٨٤ ـ ٦٨٥.
٣ - المستوفي : ٥٨٨ ـ ٥٨٩.

ولعلّ ذكر عدد من النماذج التاريخيّة يفيد في هذا الحقل :

١ – في ضوء ما نقله ابن الأثير، فإنّ مظفر الدّين حاكم أربل صمّم على مقاومة المغول سنة ٦١٨ هـ من خلال استنجاده ببدر الدّين حاكم الموصل، و بالحاكم العبّاسي. و بعث إليه بدرالدين عدداً من جنوده الجيّدين.

و لمّا اجتمعوا في دقوقا، التحق بهم جيش قليل من قبل الحاكم العبّاسي، بينما كان مظفّرالدّين قد طلب عشرة آلاف فارس. و حكى مظفّر الدّين قال: لمّا أرسل إليّ الخليفة في معنى قصد التتر، قلت له : إنّ العدوّ قويّ، و ليس لي من العسكر ما ألقاه به. فان اجتمع معي عشرة آلاف فارس، استنقذت ما أُخذ من البلاد. فلمّا سرتُ، لم يحضر عندي غير ثمانمائة طواشيّ. و ما رأيتُ المخاطرة بنفسي و المسلمين[1].

٢ – إنّ جلال الدّين خوارزمشاه الّذي ورث حكماً قلقاً مضطرباً بعد أبيه استطاع الصمود وحده عدّة سنين بشجاعة عديمة المثيل، بينما كان يخوض صراعاً في جبهات متعدّدة تتمثّل في المغول من جهة، و أخيه من جهة أُخرى، و الحاكم العبّاسي من جهة ثالثة، والحكّام المحلّيّين من جهة رابعة. و طلب من الحاكم العبّاسي مرّتين أن يواجه المغول. فلم يجبه إلى ذلك، و لم يساعده بل «أشخص إليه عشرين ألف فارس لمحاربته، و طلب من مظفّرالدّين كوكبري حاكم أربل أن يرسل عشرة آلاف فارس أيضاً فيحاصروا جلال‌الدّين و يستأصلوا شأفته[2]».

٣ – استنجد جلال الدّين مرّة أُخرى بالمستنصر العبّاسي سنة ٦٢٧ هـ لصدّالمغول، و أرسل إليه رسالة قال له فيها: «أناكالسدّ بينك و بين المغول، و إذا دُمّر هذا السدّ، فسوف يتخلخل عملك». و لم يغثه الحاكم العبّاسي أيضاً[3].

٤ – تُقدّر الفترة الزمنيّة بين بداية الغارات المغوليّة على الأقطار الإسلاميّة، و غزو بغداد (٦٥٦ هـ) بأكثر من أربعين سنة. وكان الحكّام العبّاسيّون في تلك الفترة منهمكين في ترتيب شؤونهم الرسميّة فحسب، و لم يقوموا بأيّ مبادرة جديّة. و ما تحرّكوا إلّا في وقت كان المغول قد وصلوا خلف بوّابات بغداد سنة ٦٣٤ و ٦٣٥ هـ، و حينئذٍ أفتوا بالجهاد.

و لمّاكان الخطر لا يهدّد بغداد قبل ذلك – و إنْ أُبيدت جميع البلدان الاسلاميّة – فلم

---

١ – **الكامل** ١٢ : ٣٧٩. ٢ – **بياني** : ٢٨٥ .

٣ – **روضة الصفا**، ميرخواند، نقلاً عن بياني : ٢٩٨ .

تعد حاجة إلى الحكم بالجهاد. بيد أنّ خطر سقوط العبّاسيّين هو الّذي أفضى إلى صدور الحكم بالجهاد، و هيّج المستنصر العبّاسي[١]. و هذا العمل أرغم المغول على التقهقر، حتّى إذا مضت عشرون سنة على ذلك، غزيت بغداد في محرّم سنة ٦٥٦ هـ أيّام المستعصم الّذي كان آخر الحكّام العبّاسيّين.

إنّ تهاون الحكّام العبّاسيّين و عدم تخطيطهم كانا من البواعث المهمّة على هزيمة المسلمين و انكسارهم. و هو ما ينبغي أن نتحدّث عنه أكثر من هذا.

يقول ابن الطقطقي في المستعصم الّذي كان يعيش أوضاعاً أكثر تدهوراً من غيرها: «وكان المستعصم آخر الخلفاء شديد الكلف باللهو و اللعب و سماع الأغاني. لا يكاد مجلسه يخلو من ذلك ساعة واحدة. وكان ندماؤه و حاشيته جميعهم منهمكين معه على التنعّم واللّذّات لا يراعون له صلاحاً».

ثمّ ذكر أبياتاً من الشعر في ذمّه، و في الأحوال المتداعية يومئذٍ، و واصل كلامه قائلاً: «و ممّا اشتهر عنه أنّه كتب إلى بدر الدّين لؤلؤ صاحب الموصل يطلب منه جماعة من ذوي الطرب. و في تلك الحال وصل رسول السلطان هولاكو إليه يطلب منه منجنيقات و آلات الحصار. فقال بدرالدّين : انظروا إلى المطلوبين و ابكوا على الإسلام و أهله[٢]».

إنّ تقاعس الحاكم العبّاسي – الّذي كان يتبجّح بالسيادة المعنويّة و الرسميّة في حفظ الثغور الإسلاميّة – قد طار في الآفاق، حتّى إنّ هولاكو نفسه عندما غزا بغداد، نبّهه على ذلك.

يقول الخواجه نصير في معرض حديثه عن كيفيّة غزو بغداد: «... لمّا حضر الخليفة [عند هولاكو]، أمر بتقديم الهدايا إلى هولاكو. و عندما قُدّمت إليه، وزّعها على الخواصّ والأمراء والجنود و غيرهم من الحاضرين. و وضع طبقاً من الذهب أمام الخليفة ليأكل. فقال : لا أستطيع. قال : إذن لماذا ادّخرتها و لم تعط جنودك منها ؟ و لماذا لم تصنع السلاح من هذه الأبواب الحديديّة، و تأت إلى جيحون فتحول دون عبوري ؟ فقال الخليفة: هذا هو تقدير اللّه. فقال هولاكو: إنّ ما يجري عليك تقديراللّه أيضاً ـ و عاد في اللّيل ... و ذهبوا إلى قصر الخليفة فوجدوا سبعمائة امرأة و ألفاً و ثلاثمائة خادم، و فرّقوا الآخرين[٣]».

---

١ – جامع التواريخ ١ : ٥٧٥ ـ ٥٧٦ .　　٢ – الفخري : ٤٦ ـ ٤٧ .

٣ – تاريخ جهانگشاى (الملحق) ٣ : ٢٩٠ ، و انظر أيضاً: جامع التواريخ ٢ : ٧١٣ (نقل رشيدالدين القسم الأخير فحسب) .

قال نخجواني (م ٧٢٤ هـ) : «قال هولاكو للخليفة : قل له [المستعصم] : أيّ رجل أنت؟ أين ذهب عقلك و تدبيرك ؟ فلا أنت جمعت الجيش ليحاربوا من أجلك، و لا أنت جئتنا طائعاً منقاداً[١]».

و أشار خواندمير أيضاً إلى وضع طبق الذهب أمام الخليفة، و عدم أكله شيئاً منه، و نُقل على لسان هولاكو قوله للخليفة: لِمَ لم تضحِّ بهذا فداءً لك و لآلاف المسلمين ؟ و لم تدفعه إلى الجيش كي يحافظ على ملكك الموروث من انتهاك الأجانب[٢] ؟

٥ - سبق هجومَ هولاكو على بغداد أن اقترح سليمان شاه على المستعصم أن يمدّه بالمال فيجمع جيشاً و يهجم على المغول، و قبل المستعصم ذلك، بيد أنّ وزيره ابن العلقمي كان يعلم «أنّ الخليفة لن يمنح مالاً[٣]».

و اعترف سليمان نفسه و غيره من أكابر بغداد عند الوزير «أنّه [المستعصم] صديق المطربين والمساخرة، و عدّو الجيش والجنود[٤]».

و بدأ الوزير عمله بعد قبول الاقتراح الّذي عرضه سليمان شاه، و بعد وعود المستعصم. و شرع في جلب الجنود من المناطق البعيدة والقريبة إلى بغداد، و بعد خمسة أشهر أبلغ سليمانُ شاه الوزيرَ أنّ الجند قد صاروا عدداً وفيراً و جيشاً جرّاراً، و أنّ على الخليفة أن يمنح المال، فعرض الوزير الأمر على المستعصم، لكنّه اعتذر، فيئس الوزير من وعوده تماماً، و رضي بالقضاء، و وضع عين الانتظار على نافذة الاصطبار «حتّى يكشف الفلك نفسه عمّا وراء الستار[٥]».

و قال ابن الطقطقي عن المستعصم : «وكان زمانه ينقضي أكثره بسماع الأغاني و التفرّج على المساخرة[٦]».

إنّ ما يُحكى عن المستعصم من حبّه المال، و تقاعسه عند هجوم المغول أشهر من أن نريد إثباته هنا.

وكان أمله الوحيد أن يخبروا هولاكو «... أنّ كلّ ملك - حتّى هذا العهد - قصد الأُسرة العبّاسيّة و دارالسلام بغداد، كانت عاقبته وخيمة. و مهما قصدهم ذوو السطوة من الملوك،

---

١ - نخجواني : ٣٥٧ .
٢ - حبيب السير، خواندمير ٣ : ٩٦ .
٣ - جامع التواريخ : ٧٠٣ .
٤ - نفسه : ٧٠٣ .
٥ - نفسه : ٧٠٣ ـ ٧٠٤ .
٦ - الفخري : ٣٣٣ .

و أصحاب الشوكة من السلاطين، فإنّ بناء هذا البيت محكم للغاية، و سيبقى إلى يوم القيامة[١]».

و كان المستعصم يتهدّده أحياناً بأنّ العالم كلّه تحت أمره، و إذا حكم بشيء، فالجميع منقادون و مطيعون لحكمه. و كانت هذه الأوهام معشعشة في أدمغة أشخاص آخرين من بطانته أيضاً[٢].

بيد أنّ هذه التهديدات لم تخلق أيّ مشكلة للمغول لأنّهم لم يعتقدوا بها، و كانوا يعلمون أنّها ليست ذات بال و شأن كالطبل الأجوف، ذلك أنّهم خبروا حكّام بغداد و عرفوهم حقّ معرفتهم على امتداد أربعين سنة.

و عندما يتحدّث ابن كثير الحنبلي عن حياة المستعصم، يقول : و قد كان سنّيّاً، و لكن كان فيه عدم تيقّظ، و محبّة للمال و جمعه. و من جملة ذلك أنّه استحلّ الوديعة الّتي استودعه إيّاها الناصر داود بن المعظّم، و كانت قيمتها نحواً من مائة ألف دينار ... فاستُقبح هذا من مثل الخليفة[٣].

و ذكر ابن شاكر أيضاً حُبَّ المستعصم جمعَ المال[٤].

و قال هندوشاه نخجواني فيه : «كان يميل إلى الترف و سماع الأغاني و حضور الندماء و أهل العشرة[٥]». و نقل أيضاً أنّه : كان يقضي أكثر أوقاته في اللهو[٦]».

و تحدّث الغسّاني أيضاً عن مثالب المستعصم، و منها: جمع المال، و ... . علماً أنّه كان يعيش في تلك البلاد، و في ذلك العصر[٧].

و قال خواندمير: «... و شذّ المستعصم عن أكثر الحكّام العبّاسيّين، في تجبّره و تكبّره و تكدّس ماله و مجوهراته، و كثرة ملبوساته الفاخرة، و وجود الأشياء النادرة عنده[٨].

و كتب الأتابكي عنه أنّه كان جاهلاً في تدبير الملك، إذ لم تكن له معرفة كافية بذلك.

---

١ - **جامع التواريخ** : ٧٠٤.
٢ - نفسه : ٧٧٠.
٣ - **البداية و النهاية** ١٣ : ٢٠٤ ـ ٢٠٥. الساعدي : ٦٢.
٤ - الساعدي : ٦٢ ، نقلاً عن **فوات الوفيات** ١ : ٤٩٦.
٥ - نخجواني : ٣٥٤.
٦ - نفسه : ٣٥٦.
٧ - **العسجد المسبوك** : ٦٢٤.
٨ - خواندمير ٢ : ٣٣٥.

و كان يهمل الأُمور، و يحبّ جمع المال[١].

ألا يجدر بنا أن نعتبر السبب الجوهري لعدم تحرّك المسلمين أمام المغول هو عـدم كفاءة الحاكم العبّاسي و عدم تدبيره إذ لم يسـمع نـصيحة الوزيـر، و اسـتسلم لدويـدار سديّ؟!

---

١ - الأتابكي ٧: ٦٤.

الخاتمة

و في الختام ينبغي أن نؤكّد على أنّ ما نراه باطلاً من منظور تاريخي هو زَعْمُ من زَعَمَ أنّ الخواجه نصيرالدّين و ابن العلقمي كانا ضالعين في تحريض هولاكو. و قد استبان بطلان هذا الزعم الواهي بما ذكرناه من الأدلّة المتقدّمة.

بيد أنّ هناك ملاحظة صحيحة، و هي أنّ الخواجه، و ابن العلقمي، و كذلك شيعة الحلّة و علماءها[1]، و كثيراً من أهالي المدن الأُخرى عندما رأوا غارات المغول من جهة، و عددهم من جهة أُخرى، و تنازع الحكّام المحلّيّين في إيران و العراق من جهة ثالثة، فقد خالوا أنّ مقاومتهم تذهب أدراج الرياح لذلك قرّروا أن يتنازلوا لهم أملاً في حثّهم على قبول الإسلام، و إنْ كان المقدّم على ذلك كله إنقاذ الناس و العلماء و المكتبات، و قد بذلوا جهودهم في هذا المجال أيضاً.

و كان هذا الوعي باعثاً على رسوخ التشيّع فيما بعد، بل إنّ بعض سلاطين المغول قد تشيّعوا بفضل علماء من أمثال العلاّمة الحلّي، و من هؤلاء: خدابنده مثلاً. و الحقّ أنّنا يمكن أن نعدّ هذه الإجراءات مرحلة جديدة في نموّ التشيّع و اتّساع نطاقه، بخاصّة قد ظهر نوع من التسامح الديني[2] في ظلّ السيادة المغوليّة، و انبرى الشيعة إلى تبليغ

---

١ - انظر في هذا المجال: **الحوادث الجامعة**: ٣٣٠، نقلاً عن الشيبي: ٥٣. مدرّسي زنجاني: ٦١. **جامع التوايخ** ٢: ٧١٥. و انظر أيضاً بياني: ٣٠٨.

٢ - شبولر: ٢٠٣.

عقائدهم و أفكارهم بكلّ حريّة. و على الرغم من هذا كلّه، فإنّ المغول كانوا في البداية أقسى من أن يرحموا أحداً بتأثير الخواجه و أمثاله، اللّهمّ إن توسّل هؤلاء بهم كثيراً، و تشفّعوا لهم بأسلوب مؤثّر - كما نقلنا عدداً من الأمثلة في هذا الحقل - و في الوقت نفسه، فإنّ المغول عندما دخلوا بغداد، قتلوا السنّة و الشيعة على السواء[١].

و إذا كان أهل الحلّة قد نجوا كغيرهم من أهالي بعض المدن، فإنّ ذلك يعود إلى همّتهم و استسلامهم المبكّر. و حينئذٍ لا يصحّ كلام القائل «إنّ المدن الشيعيّة استسلمت ببركة كياسة الخواجه نصيرالدّين الطوسي[٢]». و إن كان ممكناً أنّه اقترح على أهل الحلّة أن يستسلموا كما فعل أهالي بعض المدن الأُخرى[٣]، و ذلك نصيحة منه لهم، فاستجابوا و استسلموا.

تعريف التشيّع والرفض

لا يزال التعريف الّذي ذكره أبان بن تغلب للشيعة من أفضل التعريفات المطروحة. فقد قال: **الشيعة الّذين إذا اختلف الناس عن رسول الله - صلّى اللّه عليه و آله، أخذو بقول عليّ - عليه السّلام. و اذا اختلف الناس عن عليّ، أخذوا بقول جعفر بن محمّد - عليه السّلام**[٤]. و تحدّثنا في كتابنا: الشيعة في ايران كثيراً في هذا المجال. و سنذكر هنا أدلّة و شواهد أُخرى.

نحن نعلم أنّ كلمة الشيعة تعني الأتباع. و مالم يذكر اسم بَعدها تضاف إليه، في اللغة العربيّة، فلا يُعلَم من يتبعون. و كان لفظ الشيعة في البداية ملازماً لاسم الإمام عليّ - عليه السّلام، أو لاسم عثمان، و معاوية أيضاً، بيد أنّه استُعمل بعدُ ليقتصر على أتباع الإمام عليه السلام و مواليه. و لعلّ من أقدم الوثائق الّتي نقرأ فيها كلمة الشيعة، و قد سُمّيَ بها أتباع أهل البيت - عليهم السّلام - بصراحة، رسالة كتبها شيعة الكوفة، و على رأسهم سليمان بن صُرَد، إلى الإمام الحسين - عليه السّلام - يعزّونه فيها باستشهاد أخيه الإمام

---

١ - دياربكري ٢ : ٣٧٧ ؛ الشيبي : ٥٥ . الأتابكي ٧ : ٥٠ .

٢ - شبولر : ٥٩ .

٣ - جامع التواريخ ٢ : ٧١٥ ؛ روضات الجنّات ٦ : ٣١٩ .

٤ - رجال النجاشي : ١٢ .

الحسن - عليه‌السّلام. و نقل اليعقوبي نصّ الرسالة المشار إليها، في تاريخه[١].

و من الثابت أنّ معنى التشيّع كان أشمل من معنى الرفض في القرون الأُولى. و كانت كلمة الشيعة تُطلق أساساً على من يقدّم - عليّاً عليه‌السلام - على عثمان، كما عُرف بها مَن يقدّمه على سائر الخلفاء، أو من يعتقد بإمامته و إمامة أولاده. و المتشيّع هوالّذي يفضّل أميرالمؤمنين - عليه‌السّلام - على غيره عند الموازنة بين الخلفاء. بينما يعني الرفض إنكار خلافة الشيخين والاعتقاد بإمامة الإمام عليّ - عليه‌السّلام. أمّا السنّة فيرون أنّ تقديم عليّ - عليه‌السّلام - على عثمان بدعة[٢]. حتّى قال بعض متطرّفيهم : من قال: أبوبكر، و عمر ، و عليّ، و عثمان، رافضيّ أو مبتدع [٣].

و كان أهل الكوفة شيعة لترتيبهم الخلفاء على النحو الآتي: أبوبكر، عمر، و عليّ[٤].

و قيل في أهل واسط ما نصّه: كان عامّة أهل واسط يتشيّعون[٥]. و جاء في مسائل الإمامة أنّ أهل الحديث كوكيع بن الجراح، والفضل بن الدكين يزعمون أنّ أفضل الناس بعد النبيّ - صلّى‌اللّه عليه و آله و سلّم - أبوبكر، ثمّ عمر، ثمّ عليّ، ثمّ عثمان، يقدّمون عليّاً على عثمان. و هذا تشيّع أصحاب الحديث من الكوفيّين و يثبتون إمامة عليّ. بينما يعتقد أصحاب الحديث البصري في مقابل هذه الرؤية أنّ أفضل الأُمّة بعد النبيّ - صلّى‌اللّه عليه و آله - أبوبكر، ثمّ عمر، ثمّ عثمان، ثمّ عليّ، ثمّ يسوّون بين بقيّة أصحاب الشورى. و ثمّة رؤية أُخرى نطالعها لمشايخ أهل الحديث ببغداد، فإنّهم لم يقرّوا بخلافة الإمام عليّ عليه‌السلاّم جوهريّاً.

و أمّا مشايخ أصحاب الحديث من البغداديّين، فإنّهم لا يثبتون إمامة عليّ، منهم ابن معين، و أبو خيثمة، و أحمد بن حنبل كانوا يحذفون عليّاً من الإمامة و يزعمون أنّ ولايته كانت فتنة[٦]! و نقرأ شاهداً آخر نُقل عن يحيى بن معين و هو من أصحاب الحديث اللّامعين في القرن الثالث، فقد كان يقول : أقول : أبوبكر، ثمّ عمر، ثمّ عثمان[٧]. و كان أحمد بن حنبل يقول ـ و هو

---

١ - تاريخ اليعقوبي ١ : ٢٢٨.
٢ - السنّة، الخلّال : ٣٨٠.
٣ - نفسه : ٣٨١.
٤ - نفسه : ٣٩٣.
٥ - نفسه : ٣٩٤.
٦ - مسائل الامامة : ٦٥ - ٦٦.
٧ - السنّة ، للخلال : ٣٩٨ ـ ٤٠٤. و انظر : ص ٣٨٤ ، ٣٩٦ ، ٤٠١ ـ ٤٠٣.

معتدل نوعاً ما : لا نعيب من ربّع بعليّ[١] ! و كان الكثيرون يخالفون أحمد بن حنبل في هذه الرؤية[٢]. ولعلّ ابن حنبل لم يظلّ على هذه الرؤية، فقد تغيّرت، و رسخت عقيدته في شرعيّة خلافة الإمام عليه‌السّلام كخليفة رابع. لذا كان يقول : من لم يربّع بعليّ فهو أضلّ من حمار أهله[٣]. و يقال لمن يلمز معاوية، و عمرو بن العاص : رافضي[٤]. وقيل لأحمد بن حنبل : إنّ فلانا من الناس يقدّم عليّاً - عليه‌السّلام - على أبي‌بكر و عمر، فاستقبح ذلك، و قال : أخشى أن يكون رافضياً[٥]. و قال ولده: سُئل أبي : من الرافضة ؟ فقال : الّذي يشتم و يسبّ أبابكر و عمر[٦].

و إذا أردنا أن نعرف معنى الرفض، فيمكننا أن ننظر في ما افتُرِيَ على رسول‌اللّه - صلّى‌اللّه عليه و آله - بشأن الروافض[٧].

و ينبغي أن نلتفت إلى أنّنا إذا أشرنا إلى تشيّع الكوفة أو العراق، فعلينا أن نُبيّن هل كان تشيّع الشخص أو التيّار المعنيّ من نوع تفضيل الإمام عليّ - عليه‌السّلام - على عثمان أم من نوع التشيّع الإمامي. و كان بالكوفة شيعة كثيرون بالمعنى الأوّل، و لهم هوى شديد في أهل البيت - عليهم‌السّلام -. و جلّهم كان يروي فضائل الإمام عليّ - عليه‌السّلام - و سائر الأئمّة - عليهم السّلام. فهؤلاء لا يُسَمَّون سنّة اصطلاحاً، على الرغم من أنّ معظمهم كان يعتقد بخلافة الشيخين أيضاً.

بعبارة أُخرى، ينبغي دراسة رواياتهم بالنظر إلى ميولهم الشيعيّة القويّة. و من الطبيعي أنّ شيعة عثمان - و هم الأسلاف للسنّة المتأخّرين - كانوا يختلفون عن هذا الفريق، و ليس بينهما علاقة تذكر. من هذا المنطلق، يلاحَظ في الآثار الرجاليّة لأهل الحديث و الحنابلة أنّ الاتّهام بالتشيّع، بمعنى نقل فضائل أهل البيت، يُعدّ أحد معايير القدح. مع هذا نرى علماء الرجال الحنابلة المتعصّبين و أهل الحديث قد وثّقوا كثيراً من هؤلاء الأشخاص. على سبيل المثال، جاء في داود بن أبي عوف الّذي وثّقه أحمد بن حنبل، و يحيى بن معين أنّه شيعيّ، عامّة ما يرويه في فضائل أهل البيت - عليهم السّلام. و ينقل له حديث أثِرَه عن

---

١ - السنّة : ٤٠٤ - ٤١٠.
٢ - نفسه : ٤٢٤ - ٤٢٦.
٣ - نفسه : ٤٢١ (الهامش).
٤ - نفسه : ٤٤٧.
٥ - السنّة : ٤٨٩.
٦ - نفسه : ٤٩٢.
٧ - نفسه : ٤٦٠.

رسول‌الله - صلّى‌الله عليه و آله - أنّه خاطب عليّاً - عليه‌السّلام - قائلاً: أما إنّك يا ابن أبي طالب و شيعتك في الجنّة. و ورد في تضاعيفه كلام لرسول‌الله - صلّى‌الله عليه و آله - ضدّ الروافض[1].

إنّ العبارات الّتي ذكرها الذهبي في ما يخصّ الشيعة نقلاً عن علماء الرجال في القرون الأولى تمثّل دليلاً لمعرفة اصطلاح (الشيعة)، و (الرفض) وقتذاك. و نجد في الكلمات المنقولة أنّ التعبير يشتدّ تبعاً لشدّة الميول الشيعيّة في الشخص. و ما نأتي به من تعابير هنا مأخوذ من كتاب ميزان‌الاعتدال، و نشير فيه إلى رقم الجزء والصفحة. قيل في عبيدالله بن موسى‌الّذي كان من مشايخ البخاري: **كان شيعيّاً متحرّقاً** (٣ : ١٦). و قيل في عديّ بن ثابت: **شيعيّ مفرط، رافضيّ غال** (٣ : ٦٢).

و قيل في العلاء بن صالح التيمي الكوفيّ: **كان من عتق الشيعة** (٣ : ١٠١). و قيل في العلاء بن أبي العبّاس : **شيعيّ غال** (٣ : ١٠٢).

و قيل في عليّ بن ثابت الدهان: **كان ممّن يسكن في تشيّعه و لا يغلو** (٣ : ١١٦). و قيل في عليّ بن موسى السمسار: **فيه تشيّع يفضي إلى الرفض** (٣ : ١٥٨). و قيل في عليّ بن هاشم بن البريد: **كان مفرطاً في‌التشيّع** (٣ : ١٦٠). و قيل في عمرو بن شَمِر الجعفي: **رافضيّ يشتم الصحابة** (٣ : ٢٦٨). و قيل في عيسى بن قِرطاس: **كان من الغلاة في الرفض** (٣ : ٣٢٢). و قيل في عيسى‌بن مهران المستعطف : **رافضيّ كذّاب جَبَل، محترق في الرفض. كان من شياطين الرافضة و مَردَتهم** (٣ : ٣٢٤). و ذكر النجاشي هذا الرجل في كتابه أيضاً[2].

و جاء في فضيل بن مرزوق الكوفيّ **أنّه كان يتشيّع من غير سبّ** (٣ : ٣٦٢). و قيل في فِطْر بن خليفة: **كان فطر عند يحيى ثقة و لكنّه خشبي مفرط**[3] (٣ : ٣٦٤). و قيل في المؤرّخ المعروف محمّد بن جرير الطبري: **فيه تشيّع يسير و موالاة لا تضرّ** (٣ : ٤٩٨). و كان علماء السنّة و محدّثوهم يُتّهمون بالميول الشيعيّة لأدنى شيء. على سبيل المثال، اتّهم الدارقطني بذلك لجمعه دواوين الشعراء و منها ديوان السيّد الحميري[4]. و قيل في الشريف‌الرضيّ: **رافضي جلد** (٣ : ٥٢٣). و قيل في زرارة بن أعين: **كان يترفّض** (٢ : ٦٨).

---

١ - ميزان الاعتدال ٢ : ١٨.

٢ - رجال النجاشي : ٢٩٧، رقم ٨٠٧.

٣ - عرّف يحيى بن معين الخشبيّ بقوله: الخشبي ينسبون إلى خشبة زيدبن عليّ لمّا صلب عليها. ميزان الاعتدال ١ : ٤٣٢.

٤ - لسان الميزان ٦ : ٢٦٩.

و جاء في سالم بن أبي حفصة الّذي كان من رجال الإماميّة: مفرط في التشيّع... يقول: لبّيك قاتل نعثل (عثمان) لبّيك مهلك بني أميّة، لبّيك ... و كان من رؤوس من يتنقّص أبابكر و عمر (٢: ١١٠). و يبدو أنّ نقل كلام الذهبي في تعريف التشيّع الخفيف مفيد في هذا المجال، إذ يقول نافياً النصب عن محمّد بن زياد، و هو أحد مشايخ البخاري، و كان قد اتّهم به. بلى، غالب الشاميّين فيهم توقّف عن أميرالمؤمنين عليّ رضيالله عنه من يوم صفّين ... كما أنّ الكوفيّين -إلاّ من شاء ربّك - فيهم انحراف عن عثمان و موالاة لعليّ، و سلفهم شيعته و أنصاره ... ثمّ خَلَق من شيعة العراق يحبّون عثمانَ و عليّاً، لكنْ يفضّلون عليّاً على عثمان، و لا يحبّون من حارب عليّاً مع الاستغفار لهم. فهذا تشيّع خفيف[١].

و يرى الذهبي أيضاً أنّ التشيّع الغالي يختلف في اصطلاحه القديم و الجديد، فهو يقول: فالشيعيّ الغالي في زمان السلف و عُرفهم هو من تكلّم في عثمان، والزبير، و طلحة، و معاوية، و طائفة ممّن حارب عليّاً رضيالله عنه، و تعرّض لسبّهم. والغالي في زماننا و عُرفنا هوالّذي يكفّر هؤلاء السادة و يتبرّأ من الشيخين[٢].

و جاء في عباد بن عبدالصمد الّذي ذُكر على أنّه غالٍ في التشيّع: عامّة ما يرويه في فضائل عليّ. (٢: ٣٦٩). و ورد في عبّاد بن يعقوب أنّه كان من غلاة الشيعة و رؤوس البدع ... كان يشتم السلف ... و يشتم عثمان ... و يقول: اللّه أعدل من أن يدخل طلحة والزبيرالجنّة، قاتلا عليّاً بعد أن بايعاه (٢: ٣٧٩). و قيل في عبدالرحمن بن يوسف بن خِراش: كان يتشيّع ... كان خرّج مثالب الشيخين، و كان رافضيّاً ... و قال عبدان: قلتُ لابن خِراش حديث: لا نُورث، ما تركناه صدقة. قال: باطل (٢: ٦٠٠).

و قد أشرنا في كتابنا هذا، أعني: الشيعة في إيران - دراسة تاريخيّة إلى أنّ التشيّع على ثلاثة أقسام هي: التشيّع السياسي، والتشيّع العقيدي، والتشيّع بمعنى مودّة أهل البيت. و نقرأ رواية مأثورة عن الإمام العسكري عليه السّلام تبيّن الفرق بين التشيّع العقيدي، والتشيّع بمعنى مودّة أهل البيت - عليهمالسّلام. فقد جاء فيها أنّ الإمام - عليهالسّلام - سئل: ماالفرق بين الشيعة والمحبّين؟ قال: شيعتنا هم الّذين يتّبعون آثارنا و يطيعونا في جميع

---

١ - ميزان الاعتدال ٣: ٥٥٢.

٢ - نفسه ١: ٦. أخطأ الذهبي في ما ذكره من التكفير.

أوامرنا و نواهينا. و من خالفنا في كثير ممّا فرضه‌اللّه، فليس من شيعتنا[١].

و تحدّثنا في كتابنا المذكور مفصّلاً عن ظهور الميول الشيعيّة بالكوفة. و الآن نضيف إلى حديثنا المشار إليه قائلين: قلّما كان يُرى كوفيّ ليس له ميول شيعيّة[٢]. والقصد من هذه الميول مفهوم عامّ يشمل كلّ الدرجات والمراتب،أوطأها و أعلاها. و نقل ابن معين عن ابن مبارك أيضاً أنّه قال : من أراد الشهادة فليدخل دار البطّيخ بالكوفة يترحّم على عثمان[٣]. و نطالع خبراً آخر مفاده أنّ الكوفيّين كانوا يفخرون على البصريّين بمحضر المأمون قائلين: قد علم الناس أنّه ليس في الأرض بلد أجمع أهله على حبّ بني هاشم إلاّ الكوفة. و ما قُتل أحد من بني هاشم في شرق و لا غرب إلاّ و حوله قتلى من أهل الكوفة تختلط دماؤهم بدمه[٤]. و أُثر عن الإمام الصادق عليه السلام قوله: إنّ اللّه عرض ولايتنا على أهل الأمصار فلم يقبلها إلاّ أهل الكوفة[٥]. و هذه الفضائل المنقولة للكوفة، ثمّ لِقُمّ بلغت مبلغاً جعل سعد بن عبداللّه الأشعري يؤلّف كتاباً بعنوان : فضل قمّ و الكوفة[٦]. على أيّ حال، ظهر التشيّع بين الكوفيّين، أو بين العرب حقّاً. لذلك صنّف بعض كتّاب الشيعة في القرن الثاني، و الثالث كتباً تحمل عنوان فضائل العرب أو فضل‌العرب[٧].

التشيّع في إيران خلال القرن الثاني و الثالث

إنّ أحد الفصول في تاريخ التشيّع في إيران هو اتّصال المسلمين الساكنين فيها بأئمّة أهل البيت – عليهم‌السّلام. و ينبغي أن أُشير في البداية إلى نقطة تتعلّق باسم إيران. فإنّ هذا الاسم لم يعرف عند الناس منذ بزوغ الإسلام حتّى منتصف العصر الصفوي. فما كان معروفاً هو : خراسان، فارس، آذربايجان، طبرستان، أصفهان، سجستان، الجبل. و كانت هذه المناطق خاضعة لحكومات مختلفة تناوبت عليها خلال تسعمائة سنة. فتارة قامت حكومة في الشمال، و أُخرى في الشرق . و كانت إحداها ديلميّة، والثانية تركيّة، والثالثة

---

١ - تفسير الإمام العسكري عليه السّلام : ٣١٦، رقم ١٦١ .

٢ - المعرفة و التاريخ ٢ : ٨٠٦.

٣ - تاريخ يحيى بن معين ٣ : ٣٩٤ .

٤ - أخبار البلدان : ٣٠ لابن الفقيه الهمداني.

٥ - بصائر الدرجات : ٧٦ - ٧٧ .

٦ - رجال النجاشي : ١٧٧ .

٧ - نفسه : ٨٢، ١٧٧، ٢١٩ ؛ فهرست الطوسي : ٩٦، ١٠٢، ١٤٤ .

سجستانيّة، والرابعة علويّة. فلم تكن ايران موحّدة سياسيّاً يومئذٍ. و لذلك كانت كلمة (إيران) تستعمل في النصوص الأدبيّة أو التاريخيّة من حين إلى آخر، نقلاً عن الماضي. وإذا ما أطلقنا (ايران) على الوضع القائم آنذاك، فلأنّ المتبادر إلى أذهان الناس اليوم هو أنّ هذا المفهوم يشمل المحافظات الّتي كانت موجودة يومذاك.

و كان كثير من الشيعة في إيران يتّصلون بالأئمّة - عليهم السّلام - منذ عصر الإمام الصادق - عليه‌السّلام - فما تلاه، و ارتبطت حواضر إيران بالإمامة عن طريق الوكلاء بعد إقرار نظام الوكالة في عصر الإمام الرضا - عليه‌السّلام، و في العصور اللاحقة، بخاصّة في عصر العسكريّين (الإمام عليّ الهادي و الإمام الحسن العسكري - عليهماالسّلام). و نذكر فيما يأتي قسماً من الأخبار الّتي تدلّ على هذا الارتباط بنحو مجمل. علماً أنّنا تحدّثنا عن الري بصورة مستقلّة في أحد فصول هذا الكتاب.

إنّ إحدى هذه الحواضر هي جرجان. يقول جعفر بن شريف الجرجاني: حملتُ أموالاً من شيعة جرجان الى سامراء، فأمرني الإمام العسكري - عليه‌السّلام - أن أدفعها إلى المبارك. بعد ذلك قلتُ له : **إنّ شيعتك بجرجان يقرأون عليك‌السّلام**[١]. و كان أبو يحيى أحمد بن داود الجرجاني من مصنّفي الشيعة البارزين في القرن الثالث الهجري. و قبل ذلك كان ذا نزعة سنّيّة بين أهل الحديث. و لمّا تشيّع، استُشهد على يد محمّد بن طاهر بن عبداللّه حاكم خراسان الطاهري بتحريضٍ من بعض علماء السنّة. و قال الطوسي بشأنه - لعلّه نقل ذلك عن الكشّي[٢]: **و كان من جملة أصحاب الحديث من العامّة، و رزقه اللّه هذا الأمر ... و ذكر محمّد بن إسماعيل النيسابوري أنّه هجم عليه محمّد بن طاهر و أمر بقطع لسانه و يديه و رجليه و بضربه ألف سوط و بصلبه لسعايةٍ كان سعى بها إليه معروفةً، و سعى بها محمّد بن يحيى الرازي و ابن البغوي وإبراهيم بن صالح.** وكانت آثاره - نوعاً ما - في الردّ على الحشوية من أهل الحديث[٣]. وكان عدد كبير من أصحاب الأئمّة و رواة أخبار الشيعة في القرن الثالث حتّى أوائل القرن الرابع يعرفون بلقب الجرجاني. و ذكرهم النجاشي و غيره، على سبيل المثال كان ابن مملك الأصفهاني - و هو أحد متكلّمي الشيعة البارزين -

---

١ - **الثاقب في المناقب : ٢١٥ - ٢١٦ ؛ الخرائج و الجرائح ١ : ٤٢٤ - ٤٢٥ .**

٢ - **رجال الكشّي : ٥٣٢ - ٥٣٣ .**

٣ - **فهرست الطوسي : ٣٣ - ٣٤ ؛ رجال النجاشي : ٤٥٤ ، رقم ١٢٣١ .**

ينحدر من جرجان، ثمّ سكن أصفهان[1]. و كان أبو عبدالله الجرجاني في عداد الخوارج، ثمّ استبصر و تشيّع[2].

و نقرأ أنّ نيسابور و بيهق في خراسان كانتا من المناطق الّتي يكثر فيها الشيعة. و نقل الحاكم النيسابوري أنّ قنبر حاجب الإمام أميرالمؤمنين - عليه‌السّلام - توطّن بيهق «و قبره بنيسابور حيث مسجد هاني. و هاني الّذي يسمّى المسجد باسمه من أولاد قنبر ... و له ولد بسبزوار يدعى شاذان. و إليه ينسب مسجد شاذان بسبزوار[3]». و أُثر أنّ جماعة من أهل خراسان دخلوا على الإمام الصادق - عليه‌السّلام، فقال عليه السلام: **من جمع مالاً يحرسه، عذّبه‌الله على مقداره**. فقال الحاضرون، و هم فُرس: **لانفهم العربيّة**. فأعاد الإمام كلامه بالفارسيّة[4]. و ذكرت رواية أُخرى حضور رجل خراساني عندالإمام الباقر - عليه‌السّلام، وإخبار الإمام إيّاه بموت أبيه[5]. و ورد في خبر أنّ رجلاً خراسانيّاً أتى إلى الإمام الصادق - عليه‌السّلام - و قال له : **يا ابن رسول الله! موالاتي إيّاكم أهلَ البيت و بيني و بينكم شقّة بعيدة، و قد قلّ ذات يدي و لا أقدر أن أتوجّه إلى أهلي إلاّ أن تعينني**. فأمر الإمام أصحابه أن يجمعوا له خمسة آلاف درهم ليرجع بها إلى بلده[6]. و نُقل في جعفر بن زياد الأحمر الكوفي الّذي كان من الشيعة أنّه ذهب إلى خراسان. و قال فيه حفيده: **كان جدّي من رؤساء الشيعة بخراسان، فكتب فيه أبوجعفر (المنصور) فأُشخص إليه في ساجور مع جماعة من الشيعة فحبسهم في المطبق دهراً**[7]. و نطالع في رواية أُخرى قدوم جماعة من أهل خراسان - من ناحية ماوراءالنهر - إلى الإمام الصادق - عليه‌السّلام -[8]. و جاءه أيضاً شيعيّ آخر، و قال له : **إنّي كنتُ في قرية من قرى خراسان يقال لها بخارا**. ثمّ سأله مسألة في الخمس[9]. و نقرأ أيضاً أنّ جماعة خراسانيّة زارت الإمام الرضا - عليه‌السّلام، و طلبت منه أن يهبها الخمس[10].

---

١ - رجال النجاشي : ٣٨١ ، رقم ١٠٣٣ ؛ رجال الطوسي : ١٩٣ ، رقم ٨٨٤ .

٢ - رجال ابن داود : ٤٠٧ .

٣ - تاريخ بيهق : ٢٥ .

٤ - مستدرك سفينة البحار ٩ : ٤٧٥ (عن بحارالأنوار ٤٧ : ١١٩).

٥ - الثاقب في المناقب : ٣٨٢ .

٦ - قضاء حقوق المؤمنين : ١٩٢ - ١٩٣ .

٧ - ميزان الاعتدال ١ : ٤٠٧ .

٨ - الكافي ٥ : ٣٥٢ .

٩ - نفسه ٣ : ٥١٧ .

١٠ - نفسه ١ : ٥٤٨ ؛ الاستبصار ٢ : ٦٠ .

و قد بيّنا في موضعه أنّ العبّاسيّين تولّوا الحكم تحت غطاء التشيّع، ثمّ عمدوا إلى إيذاء الشيعة الحقيقيّين. و قال داود بن علي حين تقلّد السفّاح الأمر: **أيّها الناس! إنّه والله ما على منبركم هذا خليفة بعد عليّ بن أبي طالب غير ابن أخي هذا**[١]. و هذا يدلّ على أنّهم كانوا في بادىء الأمر لا يقرّون بالحكّام الّذين سبقوا أميرالمؤمنين - عليه‌السّلام.

و نلاحظ في عصر الإمام العسكري - عليه‌السّلام - أنّه نصب إبراهيم بن عبده وكيلاً له على شيعة خراسان. وكتب إلى عبدالله بن حمدويه البيهقي فيه: **فقد نصبتُ لكم إبراهيم بن عبده ليدفع النواحي و أهل ناحيتك حقوقي الواجبة عليكم إليه. و جعلته ثقتي و أميني عند مواليّ هناك، فليتّقوا الله و ليراقبوا و ليؤدّوا الحقوق**[٢]. و نقل الكشّي رسالة أُخرى مفصّلة للامام العسكري عليه‌السّلام كتبها إلى إسحاق بن إسماعيل النيسابوري. مضافاً إلى ماورد فيها من نصائح و مواعظ، فقد تحدّثت عن كيفيّة اتّصال الشيعة بالإمام، و رأي الإمام في بعض قادة الشيعة بنيسابور و خراسان[٣]. و نقرأ في رجال‌النجاشي أسماء عدد من المصنّفين و رواة الأخبار من الاماميّة الّذين كانوا بنيسابور ممّا يشعر بوجود التشيّع فيها. ومن هؤلاء داود بن أبي زيد أحد أصحاب الإمام الهادي - عليه‌السّلام[٤] - و منهم أبو محمّد يحيى آل زبارة الّذي تدلّ آثاره على فكره الإمامي ككتاب في إبطال القياس، والمسح على الرجلين[٥]. و لعلّه هو المقصود في كتاب فضل الاعتزال، إذ جاء فيه : **السيّد أبو محمّد يحيى بن محمّد العلويّ النقيب بنيسابور كان فاضلاً نبيلاً. و حجّ، و لمّا انصرف من الحجّ، صار إلى حضرة الصاحب بجرجان و توفّي سنة ٣٧٥ ... وكان إماميّاً**[٦]. و ثمّة علويّ آخر يُدعى يحيى بن محمّد بن أحمد له آثار تُنبىء عن نزعته الإماميّة أيضاً[٧]. وكان أبو محمّد عمركي بن عليّ البوفكي الّذي ورد الثناء عليه **بأنّه شيخ أصحابنا من قرية بوفك،** و هي إحدى قرى نيسابور[٨].

وكان شيعة المدائن على اتّصال بالإمام العسكريّ - عليه‌السّلام - أيضاً. يقول

---

١ - **تاريخ خليفة بن الخيّاط** : ٤٠٩.
٢ - **رجال الكشّي** : ٥٨٠ - ٥٨١، رقم ١٠٨٩.
٣ - نفسه : ٥٧٥ - ٥٨٠، رقم ١٠٨٨.
٤ - **فهرست الطوسي** : ٦٨.
٥ - **رجال النجاشي** : ٤٤٢؛ **فهرست الطوسي** : ١٧٩.
٦ - **فضل الاعتزال** : ٣٧٣.
٧ - **رجال النجاشي** : ٤٤٣، رقم ١١٩٤.
٨ - نفسه : ٣٠٣ رقم ٨٢٨.

أبوالأديان: كنت أخدم الحسن بن عليّ بن محمّد بن عليّ .... عليهم‌السّلام، و أحمل كتبه إلى الأمصار. فدخلت إليه في علّته الّتي توفّي فيها صلوات‌اللّه عليه فكتب معي كتباً و قال: تمضي بها إلى المدائن، فإنّك ستغيب خمسة عشر يوماً فتدخل إلى سرّ من رأى يوم الخامس عشر و تسمع الواعية في داري، و تجدني على المغتسل[١].

و نقرأ خبراً منقولاً عن عليّ بن محمّد بن الحسن في الأهواز، قال فيه: وافت جماعة من الأهواز من أصحابنا لزيارة الإمام العسكري - عليه‌السّلام[٢]. و تعدّ رسالة الامام العسكري - عليه‌السّلام - إلى أهل قم و آبه معلماً على هذا الاتّصال أيضاً[٣]. و كان في منطقة الجبل شيعة كثيرون. و تشمل هذه المنطقة النطاق الممتد من قصر شيرين و همدان إلى اصفهان، و منها إلى الري. و جاء في رواية أنّ الإمام الباقر عليه‌السّلام كان جالساً إلى القبلة، فدخل عليه رجل من الجبل، و أراد منه أن ينصحه و يوصيه. فنصحه الإمام - عليه‌السّلام - و أوصاه[٤]. و ورد في خبر آخر ما نصّه: **خرج رجل من العلويّين من سُرّمَنْ‌رأى في أيّام أبي محمّد إلى الجبل يطلب الفضل، فتلقّاه رجل بحُلوان، فقال: من أين أقبلتَ؟ قال: من سرّمن رأى. قال: هل تعرف درب كذا و موضع كذا؟ قال: نعم. فقال: عندك من أخبار الحسن بن عليّ شيء؟ قال: لا. قال: فما أقدمك إلى الجبل؟ قال: طلب الفضل. قال: فلك عندي خمسون ديناراً فأقبضها و انصرف إلى سُرّمَنْ‌رأى حتّى توصلني إلى الحسن بن عليّ. فأعطاه خمسين ديناراً، و عاد العلويّ معه فوصلا إلى سُرّ من رأى**[٥].

و نعرف من الجبل خضر بن عيسى الّذي كان في عداد مصنّفي الشيعة، و ذكره النجاشي أيضاً[٦]. وكان عطاء بن جبلة الكوفي من أصحاب الإمام الصادق - عليه‌السّلام - أيضاً، و قال فيه الشيخ الطوسي: **انتقل إلى الجبل**[٧]. و قال عبداللّه بن كيسان في تعريف نفسه عند الإمام الصادق - عليه‌السّلام: **إنّي ولدتُ في الجبل و نشأت في أرض فارس**[٨].

وكان بهمدان شيعة يتّصلون بإمامهم عن طريق إبراهيم بن محمّد الهمداني. وكتب إليه

---

١ - بحارالأنوار ٥٠: ٣٣٢، عن كمال‌الدين ٢: ١٤٩.

٢ - كشف الغمّة ٢: ٤٢٥. بحارالأنوار ٥٠: ٢٩٤.

٣ - بحارالأنوار ٥٠: ٣١٧.

٤ - قضاء حقوق المؤمنين: ١٩٦.

٥ - كشف الغمّة ١: ٤٢٦.

٦ - رجال النجاشي: ١٥٣. رقم ٤٠١.

٧ - رجال الطوسي: ٢٦٠، رقم ٦١٧.

٨ - الكافي ٢: ٤.

الإمام الجواد - عليه‌السّلام - رسالتين، أعلمه في إحداهما بوصول أموال كان قد أرسلها إليه، و ورد في آخرها قوله : **وكتبتُ إلى مواليّ بهمدان كتاباً أمرتُهم بطاعتك والمصير إلى أمرك، و أن لا وكيل لي سواك**[١].

و نقل ابن الفقيه على لسان بعض أهل همدان قوله: **قدمتُ على جعفر بن محمّد الصادق - عليه‌السّلام، فقال لي : من أين أنتَ ؟ قلتُ من الجبل. قال : من أيّ مدينة ؟ قلتُ : من مدينة همدان. قال: أتعرف جبلها الّذي يقال له راوند ؟ قلتُ: جعلني اللّه فداك، إنّما يقال له أروند. قال: نعم، أما إنّ فيه عيناً من عيون الجنّة**[٢]. و نقل أحمد بن محمّد بن فارس الأديب حكاية في سبب تشيّع جماعة من الهمدانيّين كانوا يعرفون ببني راشد، قال فيها: **و ذلك أنّ بهمذان أناساً يعرفون ببني راشد، و هم كلّهم يتشيّعون، و مذهبهم مذهب أهل الإمامة**[٣]. علماً بأنّ همدان كانت مشهورة بنزعتها السنّيّة - و يستشفّ هذا من خبر لطيف مفاده: قال محمّد بن صالح: لمّا مات أبي و صار الأمر لي، كان لأبي على الناس سفاتج من مال الغريم ... فقضاني الناس إلّا رجل واحد كانت عليه سفُتجة بأربعمائة دينار. فجئت إليه أُطالبه فماطلني و استخفّ بي ابنه و سفه عليّ، فشكوت إلى أبيه، فقال : وكان ماذا ؟ فقبضت على لحيته، و أخذتُ برجله و سحبته إلى وسط الدار و ركلته ركلاً كثيراً. فخرج ابنه يستغيث بأهل بغداد، ويقول: قمّيّ رافضي قد قتل والدي. فاجتمع عليّ منهم الخلق، فركبتُ دابّتي و قلتُ: أحسنتم يا أهل بغداد ! تميلون مع الظالم على الغريب المظلوم، أنا رجل من همدان من أهل السنّة، و هذا ينسبني إلى أهل قمّ و الرفض ليذهب بحقّي و مالي ! فمالوا عليه و أرادوا أن يدخلوا على حانوته حتّى سكّنتهم و طلب إليّ صاحب السُفتجة، و حلف أن يوفّيني مالي[٤].

و تحدّثنا عن الري حديثاً مفصّلاً مستقلاً[٥]، و ذكرنا هناك أنّ عبداللّه بن عبدالقدّوس قد ذُكر في الآثار الرجاليّة، و قيل عنه : **كوفيّ رافضيّ، نزل الري... عامّة ما يرويه في فضائل**

---

١ - **رجال الكشّي** : ٦١١ - ٦١٢.
٢ - **أخبار البلدان** : ٢٢٢.
٣ - **الثاقب في المناقب** : ٦٠٥.
٤ - **الكافي** ١ : ٥٢١ - ٥٢٢.
٥ - من الخليق بالذكر أنّ كتاباً بعنوان **رجال فقه و حديث در جماران، ري و طرشت** للاستاذ عطاردي قد طُبع أخيراً . و هو كتاب جيّد جدّاً و مفيد للتعرّف على التشيّع في المناطق المذكورة.

أهل البيت ... رافضيّ خبيث ... و كان خشبياً[١]. و هذه الصفات تنطبق تماماً على من كـان قويّ التشيّع.

وكان عبدالله بن عمر بن أبان القرشيّ الكوفيّ المعروف بمُشكدانه المتوفّى سنة ٢٣٩ في مصافّ شيعة خراسان. وكان شديد الودّ لأهل البيت عليهم السـلام، بـاثّاً فـضائلهم. وذكره الحاكم النيسابوري على أنّه محدّث خراسان في عصره. و قـيل عـنه : كـان غـالياً في التشيّع. و قال صالح بن محمّد: سألـني: من حـفر زمـزم ؟ قـلتُ: مـعاوية !! فـصاح فـيّ و قام[٢].

و امتدّ التشيّع الإمامي منذ أواخر القرن الثالث في نقطة نائية بخراسان، تقع حـوالي سمرقند، وكش. و يعود ذلك إلى النشاط العلميّ الّذي مارسه محمّد بن مسعود العيّاشي صاحب تفسيرالعيّاشي الّذي وصفت داره بأنّها كانت مرتعاً للشيعة و أهل العلم[٣]. و قال ابن النديم فيه: من فقهاء الشيعة الإماميّة، أوحد دهره و زمانه في غزارة العلم. و لكتبه بـنواحـي خراسان شأن من الشأن[٤]. و كتب مادلونغ في هذا المجال قـائلاً : نـما المـذهب الإمـامي وازدهر في أقصى الشرق، و بالتحديد في ماوراء النهر كتيّار مستقلّ خلال القرن الرابـع، وانتشر بسمرقند، وكان ذلك - دقيقاً - بعد بدايته المحدودة في أواخر القـرن الثـالث. ويعود الفضل فيه إلى محمّد بن مسعود العيّاشي. وكان رجلاً وجيهاً، و ثريّاً، و حـديث العهد بالمذهب الإمامي[٥]، و نشيطاً في العقود الأولى من القرن الرابع الهجري. وكان في أيّام شبابه ذا حصيلة واسعة من الحديث السنّي قبل أن يتشيّع. و بعد مدّة قليلة كان يعقد للشيعة مجالس خاصّة بهم إلى جانب مجلس الحديث الّذي يقيمه لأهل السنّة. و انتشرت كتبه العديدة في شمال شرق إيران. بيد أنّ علماء الإماميّة في العراق و غرب ايران بعامّة لم

---

١ - ميزان الاعتدال ٢ : ٤٥٧ .

٢ - نفسه ٢ : ٤٦٦ .

٣ - رجال النجاشي : ٣٧٢ .

٤ - الفهرست : ٢٤٤ .

٥ - كان العيّاشي في البداية سنّيّاً ثمّ اهتدى إلى التشيّع. (المترجم) .

الفهرست : لابن النديم ، تحقيق فلوغل ١٩٤ ـ ١٩٥ . رجال النجاشي : ٢٧٠ - ٢٧٣ . فهرست الطوسي : ٣١٧ - ٣٢٠ .

مقالة الكشّي في دائرة المعارف الاسلاميّة، رجال النجاشي : ٣٥١ ، رقم ٩٤٤ .

يأخذوا برواياته، لأنّه كان يروي عن رواة ضعفاء[١] ... وكان أبو عمرو محمّد بن عمر الكَشّي - أو الكِشّي - أحد تلاميذه الّذين لا حصر لهم. والكشّي من مدينة كش في ماوراءالنهر. وله كتاب في الرجال يعدّ أحد الكتب الأربعة الأساسيّة للشيعة في الرجال بعد أن أجرى عليه الشيخ الطوسي قليلاً من الإصلاح[٢]. و قال النجاشي في داره: **وكانت داره كالمسجد بين ناسخ أو مقابل أو قارىء أو معلّق مملوءة من الناس**[٣].

وكان أبو نصر أحمد بن يحيى السمرقندي أحد تلاميذ العيّاشي أيضاً. و في ضوء ما قاله الطوسي عنه، فإنّه كان يفتي للعامّة [و لعلّ المقصود بهم هنا الحنفيّون] على مذهبهم، و يفتي للحشويّة و الشيعة على مذهبهم أيضاً[٤]. و لا يُعلم الى أيّ وقت ظلّت مدرسة العيّاشي قائمة[٥].

و نعرف من كش، و سمرقند رجالاً يدلّ وجودهم في هاتين المدينتين على امتداد نطاق التشيّع فيهما. منهم : الحسين بن أشكيب المروزي المقيم بسمرقند و كش. و هو أحد مصنّفي الشيعة البارزين، و له كتب منها: **الردّ على الزيديّة، والردّ على من زعم أنّ النبيّ كان على دين قومه**[٦]. و منهم أبو سعيد عثمان بن حامد من أهالي كش. و عرف أنّه ثقة[٧]. ومنهم : عليّ بن محمّد الفيروزان القمّيّ المقيم بكش[٨]. و منهم: عليّ بن إسماعيل الدهقان، و عليّ بن حسنويه الكرماني، و عبداللّه بن طاهر النقار الحلواني، و عمروالخيّاط، و عبداللّه الصيدلاني، و عدّ الشيخ الطوسي هؤلاء من أصحاب العيّاشي[٩]. و منهم : عليّ بن الحسين بن عليّ من أهل سمرقند، و عرف بأنّه ثقة وكيل[١٠]. و منهم : عليّ بن محمّد الخلقي الّذي كان من شيعة سمرقند، و ذكره الشيخ الطوسي في فهرسه[١١]. وكان

---

١ - الفهرست لابن النديم ، تحقيق فلوغل : ١٩٤ - ١٩٥ ؛ رجال النجاشي : ٢٧٠ - ٢٧٣ ؛ فهرست الطوسي : ٣١٧ - ٣٢٠ .

٢ - مقالة الكشي في دائرة المعارف الاسلاميّة،

٣ - رجال النجاشي : ٣٥١ ، رقم ٩٤٤ .

٤ - فهرست الطوسي : ٤٣٩ - ٥٢٠ .

٥ - تاريخ تشيّع إمامي و زيدي در ايران (كيهان انديشه، رقم ٥٢ ، ص ١٥٥) .

٦ - رجال النجاشي : ٤٤ . رجال العلاّمة الحلّي : ٥٨ . رجال الطوسي : ٤٧٨ .

٧ - نفسه .

٨ - رجال الطوسي : ٤٧٨ .

٩ - رجال الطوسي : ٤٧٨ - ٤٧٩ .

١٠ - نفسه : ٤٧٨ .

١١ - نفسه : ٤٧٨ .

إبراهيم بن عليّ الكوفي، الموصوف بأنّه راوٍ مصنّف زاهد عالم، من القاطنين بسمرقند.

و قيل: إنّ نصر بن أحمد الساماني والملوك بعده كانوا يحترمونه[١]. و من النقاط المهمّة هنا هي التواصل الفكري الجدير بالاهتمام بين قم، و سمرقند. و كان هذا التواصل وليد الهجرة الّتي قام بها بعض القمّيّين إلى تلك الأرجاء.

و كان عدد من الشيعة يسكنون سرخس إحدى المدن التابعة لمحافظة خراسان، وهؤلاء هم في عداد مصنّفي الشيعة و رواتهم. منهم : داود بن أبي هند القشيري السرخسي[٢]، و أبو الحسين البلدي الّذي وُصف بأنّه من أهل الأدب و المعرفة في وقت الطاهريّة[٣]. و منهم إبراهيم بن علي بن كلثوم الّذي اُتّهم بالغلوّ[٤]. و منهم جبرئيل بن أحمد السرخسي الّذي نفاه إسماعيل بن أحمد الساماني[٥].

و ذكرت كتب الرجال الشيعيّة شخصيّتين من مدينة بلخ، و كلاهما متّهم بالغلوّ. أحدهما آدم بن محمّد القلانسي الّذي كان من أهل بلخ، و قيل عنه أنّه كان يقول بالتفويض أي: الغلو[٦].

و الآخر نصر بن الصبّاح، و هو مرميّ بالغلوّ أيضاً[٧].

و نقرأ في رواية حضور رجل من أهل بلخ عند الإمام الصادق - عليه‌السّلام [٨].

و كان بين أصحاب الأئمّة - عليهم‌السّلام - من يُعرف بالسندي، مثل أبان السندي، و خالد السندي، و فرج السندي. و يرى رضوي أنّ وجود هؤلاء الأشخاص دليل على أوّل اتّصال للتشيّع الإمامي بهذه المنطقة[٩]. و جاء حول سلالة شنسبانيّة و ملوك غَور ما نصّه: إنّهم يُدعون شنسبانيّة نسبة إلى أبيهم (يقال): إنّه كبر، و شهم، و قوي، و اشتهر بعد انتقال أولاد الضحّاك إلى بلاد غور. و أغلب الظنّ أنّه أسلم على يد عليّ كرّم‌اللّه وجهه في أيّام خلافته رضي‌اللّه عنه. و أخذ منه عهداً و لواءاً. فكان كلّ من يتقلّد الأمر من آل شنسب، يُسَلَّم إليه عهد عليّ و لواؤه. و كان حبّ الأئمّة من أهل بيت المصطفى - صلّى‌اللّه عليه

---

١ - رجال الطوسي : ٤٣٨.

٢ - نفسه : ١٢٠.

٣ - نفسه : ٥٢٠.

٤ - نفسه : ٤٣٨.

٥ - نفسه : ٤٧٨.

٦ - رجال الطوسي : ٤٣٨.

٧ - رجال النجاشي : ٤٢٨، رقم ١١٤٩.

٨ - الثاقب في المناقب : ٤٢٣.

9 - History of Isna Ashri in India , 1 / 192

و آله و سلّم - عقيدة راسخة في قلوبهم[١]. و تحدّث المؤلّف الّذي نقل هذا النصّ عن دعم آل شنسب لتولّي العبّاسيّين الحكم بوصفه دعماً لأهل بيت النبيّ - صلّى‌اللّه عليه و آله[٢]!

نحن نعلم أنّ طبرستان كانت مركزاً للتشيّع الزيدي، أو الإماميّ أحياناً منذ منتصف القرن الثالث. و أوّل قائد علويّ فيها هو الحسن بن زيد. و نطالع في تاريخ جرجان أنّه كان متشدّداً على النواصب [الذين ينصبون العداء لآل محمّد - صلّى‌اللّه عليه و آله، و هم أئمّة أهل البيت - عليهم‌السّلام]. و كان جعفر بن أحمد بن بهرام الباهلي الملقّب بأبي حنيفة الشهيد الاسترآبادي من فقهاء أصحاب الرأي و مفتيهم باسترآباد فسعيه عند الحسن بن زيد العلوي أنّه يبغض أهل البيت، فحبسه في سجنه حتّى مات، ثمّ أمر به فصُلب بجرجان، فذهب جماعة من أهل استرآباد، فسرقوه ليلاً و دفنوه[٣]. و لم يتشدّد الحسن بن زيد على النواصب فحسب، بل كان متشدّداً على الإماميّة أيضاً. و ذكر راويا التفسير المنسوب إلى الإمام العسكريّ - عليه‌السّلام - ما نصّه :كان أبوانا إماميّين، وكانت الزيديّة هم الغالبون في استرآباد. و كنّا في إمارة الحسن بن زيد العلوي الملقّب بالداعي إلى الحقّ إمام الزيديّة. و كان كثير الإصغاء إليهم يقتل الناس لسعاياتهم، فخشينا على أنفسنا فخرجنا بأهلينا إلى حضرة الإمام أبي محمّد الحسن بن عليّ أبي‌القائم عليهم‌السلام[٤]. و إذا صحّ هذا الخبر، فإنّه يدّل على تشدّد الحسن بن زيد على الإماميّة. و كان الخلاف عميقاً يومئذٍ بين الزيديّة بوصفهم أصحاب السيف، و بين أصحاب الأئمّة بوصفهم أصحاب الإمامة.

و على الرغم من أنّ قزوين كانت تُعرف بدار السنّة، بيد أنّ شيعة كثيرين كانوا يسكنونها منذ عصرالأئمّة عليهم‌السلام. و نطالع في فهرست النجاشي، وكذلك فهرست الشيخ الطوسي و رجاله أسماء ما يربو على خمسين شخصاً كانوا يلقّبون بلقب القزويني. و بينهم بعض الوجوه الشيعيّة المتألّقة. و من المناسب أن ننقل ما ذكره ابن الفقيه الهمداني في قزوين . قال: و حُكي أنّ عمّال خالدبن عبداللّه القسري في قزوين لعنوا عليّ بن أبي طالب على المنبر، فقام حبيش بن عبداللّه، و هو من موالي الجنيد و ابن عمّه، فاخترط سيفه و ارتفع إلى العامل فقتله، و قال : لا نحتملكم على لعن عليّ بن أبي طالب. فانقطع بعد ذلك اللعن عنه

---

١ - طبقات ناصري : ٣١٩ - ٣٢٠.
٢ - نفسه : ٣٢٤.
٣ - تاريخ جرجان : ٦٠٩.
٤ - تفسير الامام العسكري عليه السّلام : ١.

رضوان‌اللّه تعالى عليه[١].

و من المناطق الّتي جاء اسمها في الآثار الشيعيّة: سجستان. و كانت تمتدّ من كرمان حتّى جنوب خراسان، و منها إلى سواحل بحر عمان، حتّى العمق الشرقي لسجستان الحاليّة. و لدينا أخبار عن تشيّع هذه البلدة، فقد جاء في بعضها أنّه لمّا وصل هذا الخبر (استشهاد الإمام الحسين و سبي نساء أهل البيت) إلى سجستان، قال أهلها: لم يحسن يزيد صنعاً إذ فعل بأبناء الرسول - عليه‌السّلام - ما فعل. و ثار بعضهم[٢]. و ثمّة خبر آخر يتعلّق بحريز بن عبداللّه السجستاني. فقد كان هذا الرجل من أصحاب الإمام الصادق - عليه‌السّلام. و كان مشغولاً بتجارة السمن. و عُرف عنه تردّده الكثير على سجستان، و شارك في محاربة الخوارج القاطنين في المنطقة المذكورة[٣]، وقُتل هناك[٤]. و من آثاره كتاب الصلاة الكبير الّذي ذكره النجاشي. و من علماء الشيعة الآخرين في سجستان محمّد بن بحر الرهني. وصفه الشيخ الطوسي قائلاً: كان متكلّماً عالماً بالأخبار فقيهاً، إلّا أنّه متّهم بالغلوّ. و أضاف أنّ له أكثر من خمسمائة كتاب و رسالة، و كتبه أكثرها موجودة ببلاد خراسان. و ذكر الشيخ و كذلك النجاشي عدداً من آثاره[٥]. و كان له كتاب بعنوان نِحل‌العرب، يتحدّث فيه عن استيطان القبائل العربيّة في حواضر إيران المختلفة، و أفاد منه ياقوت في مواضع من كتابه. و نقل في ذيل سجستان معلومات عن محمّد بن بحر الرهني في سجستان. و واصل كلامه - الّذي يبدو أنّ فيه حذفاً - فأشار إلى جرير بن عبداللّه صاحب أبي عبداللّه جعفر بن محمّد الباقر عليه‌السّلام، و أيضاً إلى خليدة السجستاني مصنّف كتاب تاريخ آل محمّد. و ذكر منع السجستانيّين لعن الإمام عليّ - عليه‌السّلام، قال : قال الرهني: و أجلّ من هذا كلّه أنّه لُعِنَ عليّ بن أبي طالب رضي‌الله عنه على منابر الشرق والغرب، و لم يلعن على منبرها إلاّ مرّة، و امتنعوا على بني أميّة حتّى زادوا في عهدهم أن لا يلعن على منبرهم أحد ... و أيّ شرف أعظم من امتناعهم من لعن أخي رسول‌اللّه -صلّى‌اللّه عليه و آله - على منبرهم و هو يلعن على منابر الحرمين[٦]. و أشار النجاشي إلى هذه النقطة أيضاً، فقال:

---

١ - أخبار البلدان : ٢٨٣ - ٢٨٤ .
٢ - تاريخ سيستان : ١٠٠ .
٣ - رجال النجاشي : ١٤٤ ، رقم ٣٧٥ ؛ فهرست الطوسي : ٦٣ ، رقم ٢٣٩ .
٤ - رجال الكشّي : ٣٨٥ ، رقم ٧١٩ ؛ رجال البرقي : ٤ .
٥ - فهرست الطوسي : ١٣٢ ، رقم ٥٨٧ .
٦ - معجم البلدان ٣ : ١٩١ - ١٩٢ .

ساكن نرمانشير من أرض كرمان[١]. و ألمع ياقوت في ذيل عنوان رهنة إلى أنّ محمّد بن بحر كان يعيش في هذه المدينة، و هي من المدن التابعة لكرمان. و أنّ توطّن عالم شيعي في رهنة في القرن الرابع، و له قرابة خمسمائة كتاب و رسالة، أمر لافت للنظر جدّاً. و نقرأ خبراً آخر عن سجستان نقله الكشّي ويرتبط بعمّار السجستاني، و جاء فيه قوله: ذهبت مع أبي بحير عبدالله بن النجاشي من سجستان إلى مكّة، وكان على مذهب الزيديّة[٢]. بعد ذلك تحدّث الكشي عن تغيير نزعته من الزيديّة إلى الإماميّة. و ذكر الكشّي أيضاً حبيبَ السجستاني، فقال عنه: كان أوّلاً شارياً (الشراة)، ثمّ دخل في هذا المذهب، وكان من أصحاب أبي جعفر و أبي عبدالله - عليهماالسّلام - منقطعاً إليهما[٣].

و نطالع في خبر آخر دخول قوم من أهل سجستان على الإمام الصادق - عليه‌السّلام - و قد سألوه مسألة فقهيّة[٤]. و جاء في خبر آخر أنّ رجلاً من بني حنيفة كان ساكناً بست وسجستان نقل أنّه رافق الإمام الجواد - عليه‌السّلام - في السنة الّتي حجّ فيها في أوّل حكومة المعتصم، فقلتُ له و أنا معه على المائدة : إنّ والينا رجل يتولاّكم أهل البيت ويحبّكم، و عليّ في ديوانه خراج، فإنْ رأيتَ - جعلني‌الله فداك - أن تكتب إليه كتاباً بالإحسان إليّ. فكتب - عليه‌السّلام - الكتاب، فأخذته إلى الحسين بن عبدالله النيسابوري و هو الوالي، فقبّله، و قضى حاجتي[٥].

و تحدّثت أخبار الاماميّة عن مدينة فارس. فقد قيل في سُليم بن قيس : إنّه عندما هرب من ظلم الحجّاج، نزل على أبان بن أبي عياش بمنطقة من مناطق فارس. و قال العلّامة الحلّي: فهرب إلى ناحية من أرض فارس و لجأ إلى أبان بن أبي عياش[٦]. و هو الّذي هداه، و أودع كتابه إيّاه. و أنّ كتاب سليم نُقل عن طريق أبان هذا فحسب، ممّا سبّب مشكلة مهمّة للكتاب المذكور. و سكن موسى بن محمّد الأشعريّ القمّي ـ مؤدّب حفيد سعد بن عبدالله الأشعري ـ بشيراز. و صنّف كتباً[٧]. و قيل في عليّ بن مهزيار أنّه كان من أهل

---

١ - رجال النجاشي : ٣٨٤، رقم ١٠٤٤.
٢ - رجال الكشّي : ٣٤٢، رقم ٦٣٤.
٣ - نفسه : ٣٤٧، رقم ٦٤٦.
٤ - الكافي ٥ : ٢٥٣.
٥ - نفسه ٥ : ١١١ ؛ التهذيب ٦ : ٣٣٤.
٦ - رجال العلّامة الحلّي : ٢٠٦.
٧ - رجال النجاشي : ٤٠٧، رقم ١٠٧٩ ؛ رجال ابن داود : ٣٥٦ ؛ رجال العلّامة الحلّي : ١٦٦.

هندوان، و هي قرية من قرى فارس[١]. و نقل خبر آخر عن حضور الإماميّة بشيراز[٢]. مضافاً إلى أنّ عبداللّه بن كيسان قال للإمام الصادق - عليه‌السّلام - أنّه نشأ بأرض فارس[٣]. فقد ورد في خبر آخر أنّ أحد تجّار فارس كتب كتاباً إلى الإمام الرضا- عليه‌السّلام - يسأله فيه عن أحكام الخمس[٤]. و جاء شيعيّ آخر من فارس ليتشرّف بخدمة الإمام العسكريّ - عليه‌السّلام[٥]. وكان رجل من أهل فارس يسأل الإمام - عليه السّلام - عن علمه بالغيب[٦].

و نقرأ أنّ شيعيّاً كان عليه خراج في ديوان النجاشي والي الأهواز و فارس، فطلب من إمام وقته أن يكتب إليه كتاباً يعفيه من الخراج، وكان الوالي المشار إليه شيعيّاً، ففعل الإمام، فعفاه الحاكم المذكور[٧].

و نقل الشيخ الطوسي أنّ شيعيّاً سوسنجرديّاً في أواخر القرن الثالث كان من غلمان أبي سهل النوبختي. و يعرف بالحمدوني لانتسابه إلى آل حمدون[٨].

و ذُكر شيعيّ من مدينة جِيرُفْت التابعة لمحافظة كرمان. و نحن نعلم أنّ هذه المدينة ضمّت عدداً من الشيعة في القرون التالية. و قال محمّد بن بحر الرهني: رأيتُ محمّد بن هارون النسّابة هناك، و كان أعلم خلق اللّه بأنساب الناس و أيّامهم. ثمّ أضاف قائلاً: و كان مفرطاً في التشيّع[٩].

و نطالع عن أصفهان أنّ جماعة من أهلها ذكروا رجلاً شيعيّاً يدعى عبدالرحمن. و قد سئل : ما السبب الّذي أوجب عليك القول بإمامة عليّ النقيّ دون غيره من أهل الزمان؟ فذكر أنّه ذهب مع جماعة من أهل أصفهان لاستغاثة المتوكّل العبّاسي، فرأى الإمام الهادي- عليه‌السّلام، فاعتقد بإمامته بعد أن شاهد منه كرامة[١٠].

كان القسط الأكبر من الاتّصالات القائمة بين الأئمّة و سكّان بلاد فارس من نصيب مدينة قم. و قد تحدّثنا عن ذلك بالتفصيل في هذا الكتاب. و أنّ نظرة على المتلقّبين بلقب

---

١ - رجال الكشّي : ٥٤٨.
٢ - رجال الطوسي : ٤٤٩ ، رقم ٦٣.
٣ - الكافي ٢ : ٤.
٤ - نفسه ١ : ٥٤٧ ؛ التهذيب ٤ : ١٣٩.
٥ - نفسه ١ : ٣٢٩.
٦ - نفسه ١ : ٢٥٦.
٧ - التهذيب ٦ : ٣٣٣.
٨ - فهرست الطوسي : ١٣٢.
٩ - معجم البلدان ٢ : ١٩٨.
١٠ - الثاقب في المناقب : ٥٤٩ - ٥٥٠ ؛ كشف الغمّة ٢ : ٣٨٩ - ٣٩٠.

القمّي في رجال‌النجاشي يمكن أن تدلّنا على النطاق الواسع لهذا الاتّصال. و كانت هذه المدينة عربيّة حتّى القرن الرابع. و نقل أبو دلف أنّ أثراً من العجم لم يُلحظ فيها يومئذٍ[١].
و ذكرنا في كتابنا هذا المصادر الّتي نصّت على تشيّع قم، و يضاف إليها مصادر أُخرى أيضاً نصّت على ذلك. منها نشوار المحاضرة للتنوخي[٢]، و أشكال العالم للجيهاني الّذي قال عن أهلها ما نصّه : أهلها كلّهم على مذهب الشيعة، و هم متعصّبون[٣]. و قال عن أهل كاشان: هم شيعة.

إنّ الكلام كثير حول الدور المذهبي لقمّ في التشيّع. و من الثابت أنّ قمّ كانت مركز الثقل في حفظ حديث أهل البيت. وكانت لها منزلة أفضل من الكوفة من حيث التمسّك بالتشيّع الإمامي الإثني‌عشري. و في الحقيقة كانت الكوفة، ثمّ بغداد مركزين لتنامي الغلوّ و النزعات الفِرَقيّة بين الشيعة، بينما لم تُلحظ نماذج واقفيّة و فطحيّة و غيرها في قمّ إلّا نادراً.

و قال مادلونغ في هذا المجال : ظلّ شيعة قم على وفائهم لإمامة الأئمّة الإثني عشر. و قال أيضاً: و لم يذكر انشقاق فطحيّ أو واقفيّ بين محدّثي الإماميّة الّذين لا يُحصى عددهم في هذه المدينة. وكان زعماء الأشاعرة الّذين سيطروا على المدينة بدعم الحاكم العبّاسي يمارسون نشاطاتهم بوصفهم حُماة المذهب الإمامي ... و هكذا كانت قمّ مركزاً رئيساً للحديث الإمامي الّذي كان يُروى بالكوفة أوّلاً، ثمّ يهذّب و يجمع في حواضر أُخرى. و أنّ دراسة لسلسلة طرق الحديث في الكتب الموثوقة المقبولة الّتي تحتوي على أحاديث الشيعة الإثني عشريّة معْلم مشرق على هذا الأمر. و نلحظ في أشهر هذه الكتب، أعني: كتاب الكافي للكليني، أكثر من ثمانين بالمائة من الأحاديث المرويّة على لسان القمّيّين. و إذا أضفنا إليها الأحاديث الّتي نقلها عن علماء بلدته - الّذين كانت لهم علاقة حميمة بالرواة القمّيّين - فإنّ النسبة المذكورة تصل إلى تسعين بالمائة. و روى ابن بابويه الصدوق، الّذي يُعدّ من الوجوه المرموقة في مدرسة الحديث القمّيّة، جميع أحاديث كتابه المعروف من لا يحضره الفقيه تقريباً عن طريق المحدّثين من أبناء حاضرته. و كان دور قمّ مؤثّراً في تنامي الشيعة الإماميّة لأنّها كانت المعقل الرئيس للعلماء المحدّثين من

---

١ - سفرنامه أبودلف در إيران : ٧١.
٢ - نشوارالمحاضرة ٨ : ٢٦٠.
٣ - أشكال العالم : ١٤٣.

الإماميّة، و لأنّها سارت بهدْي الأئمّة صادقة مخلصة. و لعلّ الشيعة الإثني عشريّة لم يستطيعوا تشكيل كيان لهم لولا الدور المذكور. بيد أنّه لابدّ من الالتفات الى أنّ الفضل في وجود قمّ و علمها الإمامي يعود إلى العرب، بخاصّة الأشاعرة. و أنّ القسم الأعظم من المحدّثين القمّيّين، لا سيّما وجوههم البارزة، كانوا من العرب ، بينما كان القسم الأكبر من محدّثي الإماميّة بالكوفة من الموالي[1].

و نطالع في المأثور من التاريخ أسماء عدد من الشيعة الّذين حظوا برؤية الإمام المهدي - عليه‌السّلام - في حياة أبيه. و هؤلاء من مدن و أقطار مختلفة هي: بغداد، الكوفة ، الري، قم، همدان، آذربايجان، نيسابور، دينور، أصفهان، صيمرة، قزوين، فارس، شهرزور، مرو، اليمن، مصر، مكّة، نصيبين، الأهواز[2].

التشيّع في إيران خلال القرن الرابع والخامس

نلاحظ بين الكتب الكثيرة الّتي صنّفها الشيخ الصدوق (م ٣٨١ هـ) أنّ بعضها يشير إلى اتّصاله العلمي بالشيعة القاطنين في حواضر مختلفة. و من حسن الحظّ أنّ أسماء هذه الحواضر مثبتة في أجوبته عن المسائل المتنوّعة الّتي كانت ترد عليه من أهاليها. فقد جاء في بعضها مثلاً: كتاب جوابات مسائل وردت عليه من قزوين كتاب جوابات مسائل وردت من مصر؛ كتاب جوابات مسائل وردت من البصرة؛ كتاب جوابات وردت من الكوفة؛ جواب مسألة وردت عليه من المدائن في الطلاق، كتاب جواب مسألة نيسابور؛ كتاب الرسالة الثانية إلى أهل بغداد في معنى شهر رمضان[3]. و ينبغي أن نضيف إلى مصنّفات الصدوق كتابه المعروف من لا يحضره الفقيه الّذي صنّفه بعد وصوله إلى إيلاق في سفره إلى ماوراءالنهر سنة ٣٦٨ هـ تلبيةً لطلب شريف الدّين أبي عبداللّه محمّد بن الحسن بن إسحاق المعروف بنعمة، إذ عرض عليه أن يصنّف له كتاباً في الحلال و الحرام. و أشار الشيخ الصدوق إليه في مقدّمة كتابه المذكور قائلاً: سألني أن أُصنّف له كتاباً في الفقه والحلال والحرام، والشرائع والأحكام، موفياً على جميع ما صُنّف في معناه ... هذا مع نسخه

---

١ - تاريخ تشيّع إمامي و زيدي در ايران ، مادلونغ ، كيهان انديشه، رقم ٥٢ ، ص ١٥٣ .

٢ - كشف الغمّة ٢ : ٥٣٢ - ٥٣٣ .

٣ - رجال النجاشي : ٣٩٢ .

لأكثر ما صحبني من مصنّفاتي و سماعه لها روايتها عنّي و وقوفه على جملتها، و هي مائتاكتاب و خمسة و أربعون كتاباً[١]. و نطالع مثل هذه المقدّمة في كتابه الآخر كمال‌الدّين الّذي صنّفه لرفع الشبهات الّتي عرضت لشيعة ماوراء النهر حول المهدويّة. و هذان الكتابان يدلاّن على وجود الشيعة في تلك المنطقة.

و نجد بين كتب الشيخ المفيد (م ٤١٣ ه) بعض الكتب المماثلة لكتب الصدوق المارّ ذكرها. منها: أجوبة المسائل الفارسيّة، و من المؤسف أنّه مفقود. وكان الشيخ المفيد قد أشار إليه في المسائل السرويّة الّتي أجاب فيها عن أسئلة أُرسلت إليه من مدينة ساري[٢]. و من آثاره الأخرى: المسائل المازندرانيّة، و المسائل الجرجانيّة، و المسائل‌النيسابوريّة، و هي تضمّ أجوبته عن أسئلة وصلت إليه من مازندران، و جرجان، و نيسابور[٣]. و سُئل الشريف المرتضى مثل هذه الأسئلة أيضاً. و نرى قسماً من مصنّفاته المستهلّة بمدخل المسائل جواباً عن هذه الأسئلة. منها : المسائل الطبريّة. و كذلك المسائل الجرجانيّة،و جوابات المسائل الميافارقيات . و هذا الأخير يحتوي على أسئلة بعثها إليه شيعة ميافارقين، و هي من أشهر مدن دياربكر الواقعة جنوب تركية. و أشار السائلون في بدايتها إلى أنّهم يريدون أن يعرفوا فتوى السيّد الصريحة في المسائل المطروحة على الرغم من وجود الكتب عندهم[٤]. و منها: المسائل الطرابلسيات . فهذه الآثار معلم على وجود التشيّع في الحواضر الّتي كانت على اتّصال بعلماء الشيعة في بغداد.

و أشرنا في موضع من كتابنا هذا إلى أنّ قدوم الإمام الرضا - عليه‌السّلام - إلى خراسان كان باعثاً على انتشار التشيّع في إيران. و ما الاهتمام بالمحافظة على الآثار الباقية من مرور الإمام - عليه‌السّلام - بالحواضر والمناطق الّتي مكث فيها بنحو من الأنحاء إلّا آية على مودّة شيعيّة خاصّة بين الناس، و إنْ كنّا لا نملك خبراً صحيحاً حول بعض هذه الأماكن و اتّصالها بالإمام - عليه‌السّلام. و من هذه الأماكن : مسجدالإمام الرضا-

---

١ - من لا يحضره الفقيه : ١ ، مقدّمة المؤلّف .

٢ - مقالات مؤتمر الشيخ المفيد ؛ رقم ٦٦ ، ص ٢٩ .

٣ - قال الشيخ في المسائل السرويّة ٧٤ : و قد أجبتُ عن كثير من الأخبار المختلفة في مسائل وردت عليّ، بعضها من نيسابور، و بعضها من الموصل، و بعضها من فارس، و بعضها من ناحية تعرف بمازندران.

٤ - رسائل الشريف المرتضى ١ : ٢٧١ .

عليه‌السّلام - في الأهواز[١]، مسجد قدمگاه الإمام الرضا- عليه‌السّلام - في ابرقو[٢] [قدمگاه : موطىء قدم]، قدمگاه شاه خراسان في يزد[٣]، قدمگاه نيسابور، عين الرضا في محلّة تعرف بالحمراء[٤]، محلّة بسنده، و هي المحلّة الّتي أقام فيها الإمام وكان راضياً عنها، و لذا قيل بالفارسيّة: بسنده[٥] (أي: المرضيّة). و منها: قدمگاه نائين الّذي كان خلف المسجد الواقع في محلّة كلوان، و مسجد و حمام إمام رضا في محلّة گودالو، و هي من أحياء مدينة نائين، و موم روضا، و هي شجرة في الطريق بين بافران و نائين[٦].

و قال الرافعي : **قد اشتهر اجتياز عليّ بن موسى الرضا بقزوين. و يقال : إنّه كان مستخفياً في دار داود بن سليمان غازي**[٧]. بيد أنّ أحداً لم يؤيّد هذا الخبر.

و نؤكّد هنا أنّ وجود قبر الإمام الهُمام الرضا - عليه‌السّلام - في إيران أدّى إلى اتّساع دائرة التشيّع فيها لأسباب لا تُحصى. وكانت زيارة قبره الشريف موضع اهتمام الشيعة والسنّة على السواء ممّا وطّد حبَّ الناسِ أهلَ البيت عليهم السلام. و شدّ أكثرَهم إلى المرقد الطاهر اعتقادهم أنّ في زيارته تيسير أعسارهم و قضاء حوائجهم. طبيعيّاً، أنّ هذا الاعتقاد مهّد الأرضيّة لانتشار التشيّع في إيران. و نطالع نموذجاً من هذا الاعتقاد في القرن الرابع يحمله أحد علماء السنّة البارزين، و هو أبو حاتم محمّد بن حِبّان البُستي. يقول هذا العالم في ترجمة الإمام الرضا- عليه‌السّلام، و هو يذكر الإمام و استشهاده على يد المأمون: **و قبره بسناباد خارج النوقان، مشهور يُزار بجنب قبر الرشيد، قد زرتُه مراراً كثيرة. و ما حلّت بي شدّة في وقت مقامي بطوس، فزرتُ قبر عليّ بن موسى الرضا صلوات‌اللّه على جدّه و عليه، و دعوتُ اللّه إزالتها عنيّ إلاّ استجيب لي و زالت عنيّ تلك الشدّة. و هذا شيء جرّبتُه مراراً فوجدته كذلك. أماتنا اللّه على محبّة المصطفى و أهل بيته صلّى‌اللّه عليه و عليهم أجمعين**[٨].

---

١ - أخبر عنه أبودلف في القرن الرابع (سفرنامه : ٨٩، رِحلة).

٢ - هذا المسجد موجود، و جاء في نقوش هناك ما نصّه: مبرك مبارك حضرت عليّ بن موسى الرضا عليه‌السّلام.

٣ -**يادگارهاى يزد** ٢ : ٢١٥ ـ ٢٧٤ .

٤ - **الثاقب في المناقب** : ١٤٦ .

٥ - نفسه : ١٤٦ .

٦ - **تاريخ نائين** ٢ : ٢٣٠ و ٢٣٧ .

٧ - **التدوين في أخبار قزوين** ٣ : ٤٢٨ .

٨ - **الثقات** ٨ : ٤٥٧ .

و كان القرن الرابع قرن انتشار التشيّع حقّاً. و هذا موضوع أقرّ به القاضي عبدالجبّار (م ٤١٥ هـ) بصراحة في بعض ردوده على الشيعة. فقد قال مشيراً إلى السياسات الداعية إلى بثّ التشيّع في فترة كان بعضها قد طرح من وحي التعصّب : يستهدف الشيعة من دعوتهم العرب، و الأكراد، والديالمة، والبربر، والأنباط، و كبار الأمراء، والوزراء، و المنشئين، والجهلة. ثمّ أضاف قائلاً: **و ملوك الأرض منذ نحو مائة سنة من الديلم و بني‌حمدان، و من بالبحرين و عمران في البطيحة، و من باليمن و الشام و آذربايجان، و كلّ هؤلاء الملوك أصحاب الإمامة و مشيّعة و في الأرض كلّها، و دولة بني العبّاس لم يبق منها إلّا اسمها في بعض المواضع والموضع الّذي فيه سلطانهم و ملكهم و عزّهم يُشتم فيه العبّاس و ولده والمهاجرون والأنصار و يُلعنون**[١]. و يحتوي كتاب القاضي عبدالجبّار على معلومات أُخرى حول التشيّع أيضاً. و يلاحظ على القاضي أنّه انطلق من التعصّب في نظرته إلى العقائد الشيعيّة، و ذلك في كلّ موضع من مواضع كتابه ممّا دلّ على أنّه لم يفهم الأفكار الشيعيّة فهماً صحيحاً. فقد ذكر أصحاباً لقاضٍ زنجاني، و هم شيعة. ثمّ أشار إلى أنّه يستطيع أن يدحض أقاويلهم الخاطئة، بيد أنّه يخشاهم، فلا يفعل[٢]. و تطرّق في موضع آخر من كتابه إلى بعض الشخصيّات الشيعيّة الّتي يحتمل أنّ بعضها كان إسماعيليّاً، و سرد شيئاً من ممارسات الشيعة يومئذٍ قائلاً: **و في هذا الزمان منهم مثل أبي جبلة إبراهيم بن غسّان، و مثل جابر المتوفى، و أبي الفوارس الحسن بن محمّد الميمدي، و أبي الحسين أحمد بن محمّد بن الكميت، و أبي محمّد الطبري، و أبي الحسن الحلبي، و أبي يتيم الرلباي، وأبي القاسم‌النجاري(كذا)، و أبي الوفاء الديلمي، و ابن أبي الديس، و خزيمة، و أبي خذيمة، و أبي عبدالله محمّد بن محمّد بن النعمان (الشيخ المفيد). فهؤلاء بمصر، و بالرملة، و بصور، و بعكا، و بعسقلان، و بدمشق، و ببغداد، و بجبل البسماق. وكلّ هؤلاء يدّعون التشيّع و محبّة رسول‌الله - صلّى‌الله عليه و آله - و أهل بيته، فيبكون على فاطمة و على ابنها المحسن الّذي زعموا أنّ عمر قتله و يذكرون لهم تبديل القرآن والفرائض ، ... و يقيمون المنشدين والمناحات في ذلك. و يأخذون على الناس من العهود و يحلّفونهم بالأيمان الغليظة. فإذا حصلوا كذلك، قالوا لهم: إيّاكم و مجالسة الفقهاء و استماع الحديث من أصحاب الحديث و استماع القرآن من العامّة.**

---

١ - تثبيت دلائل النبوّة : ٤٤٣ .

٢ - نفسه : ٣٥٥ ـ ٣٥٦ . و تحدّث في كتابه هذا عن الزنجاني المذكور، انظر : ص ٦١٠ ـ ٦١١ .

و عليكم برواية الخاصّة. فقد قال جعفربن محمّد: كتابة حديث العامّة يُعمي القلب. و إيّاكم وفقه أبي حنيفة، و مالك، والثوري، و الحسن البصري ... و الرشد في خلافهم[١].

الملحوظ هنا أنّ بعض هذه التهم واهية لا نصيب لها من الصّحة. و يرتبط قسم منها بالباطنيّة، كما أشار نفسه إلى ذلك أيضاً بعد هذه العبارة. و بعض معلوماته في هذا الحقل عديم المثيل، و رائع جدّاً. و واصل المؤلّف كلامه فعرض شرحاً لنشاطات الإسماعيليّة. و أشار في موضع آخر من كتابه بصراحة إلى أنّ التشيّع حصل على الأكثريّة منذ سنة ٣٥٠هـ: و قد كانت الحنبليّة تحتجّ على خصومهم من الرافضة بالكثرة، و تقرع الرافضة بالقلّة. والرافضة تحتجّ بأنّ اللّه قد ذمّ الكثرة و مدح القلّة، و تتلو ما في القرآن . فلمّا اتّفقت لهم منذ سني نيف و خمسين و ثلثمائة للهجرة احتجّوا بالكثرة[٢]. و أشار أبوبكر الخلال (م ٣١٢ هـ) في سياق حديثه عن الوضع الديني لخراسان إلى شخص فيها باختصار، فقال : وضع لآل أبي طالب كتاباً يذكر فيه أنّ العلويّة أحقّ بالدولة من أبي‌بكر الصدّيق[٣].

و نجد في سفرنامه أبو دلف (رحلة أبي دلف) إشارات مقتضبة حول التشيّع في القرن الرابع. وردت إحداها في حديثه عن قلعة بذّ في آذربايجان إذ قال فيها: ينتظر أهلها ظهور المهدي[٤]. و كتب عن شهرزور قائلاً: و في شهرزور مدينة أُخرى أهلها أقلّ عصياناً و شجاعة من أهل الديلم. و تُسمّي هذه المدينة «بير» (پير). و أهلها شيعة زيديّة صالحون. اختاروا الإسلام بفضل زيد بن عليّ ... و حدث مرّة أنّ أهالي (نيم ازارى) أغاروا عليهم، فقتلوهم، و ألقوهم في النار، و نهبوا أموالهم، مندفعين من التعصّب الديني و متذرّعين بحماية‌الشريعة. و كانت هذه الواقعة في‌سنة ٣٤١ هـ[٥]. و ذكر عيناً من الماء بالري تدعى [عين عليّ][٦] فقال : شهدتُ الناس يكرهونها، و يطيّرون بها، و لا يقتربون منها. فسألت عن السبب. فقال لي شيخ من أهالي تلك المنطقة: السبب هو أنّ السيف الّذي قُتِل به يحيى بن زيد غُسل بمائها[٧].

و تحدّث عن الأهواز أيضاً، فذكر سدّاً كان على نهر الكارون. و أضاف قائلاً: يقع مسجد عليّ بن موسى الرضا – عليه‌السّلام – قُبالة هذا السدّ. إذ نزل الإمام هناك و بنى المسجد المذكور،

---

١ – تثبيت دلائل النبوّة : ٥٩٥ .
٢ – نفسه : ٢١١ .
٣ – السنّة، للخلال : ٢٣٨ .
٤ – سفرنامه أبودلف : ٤٧ .
٥ – نفسه : ٥٦ .
٦ – چشمه سورين (چشمه علي).
٧ – نفسه : ٧٥ .

و ذلك عند مسيره من المدينة إلى خراسان[١].

و من الجدير ذكره أنّ أبا دلف كان شيعيّاً، و كان من ندماء الصاحب بن عبّاد. و له قصيدة طويلة بعنوان الساسانيّة في أحوال الشحّاذين في زمانه، نقل الثعالبي قسماً منها. و نجد أبا دلف في هذه القصيدة ينصّ على تشيّعه، فهو يقول:

أمالي أسوةٌ في غُر ... بتي بالسّادة الطُّهرِ
هُم آلُ الحوامي ... مهُمُ الموفونَ بالنَّذر
هُم آل رسول اللـ ... ـه أهل الفضل والفخر
بكوفان وطى كر ... بلاكم ثمّ من قبر
و بغداد و سامرا ... و باخمرا على السكر
و في طوس مناخ الركـ ... ـب في شعبان في العشرِ
و سلمان و عمّار ... غريب و أبوذرّ
قبور في الأقالي ... مشفيت غُلّة الصدرِ[٢]

و ليس في أيدينا معلومات تذكر عن تشيّع فارس، غير أنّنا نعلم أنّ هذه الحاضرة كانت من المراكز الأصليّة لسلطة البويهيّين الّذين كانوا على المذهب الشيعي. و نطالع خبراً يتحدّث عن حضور عليّ بن أحمد المعروف بأبي القاسم الكوفي في الحاضرة المشار إليها. و هذا الرجل كان من الوجوه الشيعيّة الغالية البارزة، و إنْ كان البعض قد دافع عنه أيضاً. و له آثار لا تُحصى ذكر النجاشي فهرسها. و توفّي سنة ٣٥٢ هـ في منطقة تدعى كرمى على بعد خمسة فراسخ عن مدينة فسا.

و قال النجاشي: قبره بكرمى بقرب الخان و الحمّام أوّل ما يدخل كرمى من ناحية شيراز[٣]. و يهتمّ غلاة الشيعة بزيارة قبره. و في ضوء ما نقله العلّامة الحلّي عنه بقوله: تدعّي له الغلاة منازل عظيمة، فإنّ ابن الغضائري المعروف ينكره بشدّة[٤].

و نعرف شيعيّاً آخر من شيراز في القرن الرابع و الخامس و يُدعى أباالحسن عليّ بن أيّوب بن الحسين بن أيّوب أُستاذ القمّيّ المعروف بابن الساريان. قال السمعاني فيه: الكاتب من أهل شيراز، سكن بغداد، و كان رافضيّاً غالياً. و أضاف أنّ الخطيب ذكره، و نقل

---

١ - سفرنامه أبودلف: ٨٩.

٢ - يتيمة الدهر ٣: ٤٣٥.

٣ - رجال النجاشي: ٢٦٦، رقم ٢٩١.

٤ - رجال العلّامة الحلّي: ٢٣٣.

على لسانه أنّه ولد سنة ٣٤٠. و ذهب الخطيب إلى أنّه مات ببغداد سنة ٤٣٠ [١].

و نقرأ عن تشيّع أصفهان في القرن الرابع مطلباً للراغب الأصفهاني يشير إلى ميوله الشيعيّة. و نحن نعلم أنّ هذه المدينة كانت من المراكز الأصليّة للمذهب السنّي في إيران. و يندر فيها وجود المعتزلة و الشيعة آنذاك. قيل: جاء رجل إلى الجاحظ المعتزلي، و قال له: أنا من إخوانكم. فقال الجاحظ: من أيّهم ؟ قال : من المعتزلة. فقال له : أوَ بأصبهان من يحسن أن يتبجّح في اسم الاعتزال [٢]؟ قال الراغب : كان بأصبهان رجل يُدعى بالكتّاني. وكان أحمد بن عبدالعزيز يقرأ عليه و يتعلّم منه الإمامة. فاتّفق أن طلعت عليه أمّ أحمد يوماً، و قالت: يا فاعل ! جعلتَ ابني رافضيّاً ؟ فقال الكتاني : الرافضي يصلّي كلّ يوم إحدى و خمسين ركعة، و ابنكِ لا يصلّي في أحد و خمسين يوماً ركعة واحدة[٣].

ثمّة دليل آخر أيضاً على تشيّع أصفهان في القرن الرابع. يقول محمّد بن عبدالله بن هيثم الدميري: لقيت أبا العبّاس بن عقدة بالكوفة في سنة ٣٢٣، فسألته أن يعيد ما فاتني من المجلس، فامتنع، و شددتُ عليه، فقال لي: من أيّ البلد ؟ قلتُ : من أهل أصبهان ! فقال : ناصبة ينصبون العداوة لأهل بيت رسول‌الله - صلّى‌الله عليه و آله و سلّم، فقلت له : لا تقولنّ يا شيخ هذا، لأنّ أهل أصبهان منهم متفقّهة و متّقون و فاضلون و متشيّعة. فقال : شيعة معاوية ! قلتُ لا والله، شيعة عليّ بن أبي طالب، و ما فيهم أحد إلاّ و عليّ أعزّ عليه من عينه و أهله و ولده، فأعاد عليّ ما فاتني[٤].

و نقرأ حكاية أُخرى تدلّ على تشيّع أصفهان. و هي لأبي نعيم الأصفهاني. فهو يعدّد محدّثي أصفهان، فيذكر عبدالله بن محمّد الكناني الّذي اعتنق مذهب الرافضة على حدّ تعبيره. و فيما يأتي كلام أبي نعيم: عبدالله بن محمّد الكناني أبو الوليد، روى عن ... و كان كثير الحديث، مشهوراً بالطلب و الكتابة، ثمّ أفصح بموافقة الروافض، و أنكر خلافة الصدّيق فيما حُكِيَ عنه. فجمع عبدالعزيز بن دُلَف - و كان والي البلد - مشايخ البلد: أبا مسعودالرازي، و محمّد بن بكار، و محمّدبن الفرج، و زيد بن خرشة، و غيرهم . فناظروه على ما خالفهم فيه، فأبى إلّا الثبوت على مقالته، فضربه أربعين سوطاً، و باينه الناس و هجروه، و ذهب حديثه.

---

١ - الأنساب ٣ : ١٩٧ .
٢ - فضل الاعتزال : ٢٧٦ .
٣ - روضات‌الجنّات ٣ : ٢٠٦ .
٤ - مختصر تاريخ دمشق ١٠ : ١٠٤ .

وكتاب أبي مسعود المترجم بالرّد، صنّفه ردّاً على الكناني[١].

و من الحريّ بالذكر أنّ أصفهان عاشت في القرن الرابع نزاعاً مذهبيّاً بين الحنابلة والنزعات المستجدّة الّتي انتهت باتّساع التيّار الأشعري[٢]. و لكن الحنابلة أخذوا يضعفون بعد مدّة قليلة، فصار النزاع نزاعاً بين الحنفيّة والشافعيّة. و كانت تلك النزاعات في أيّام حكم السلاجقة على أصفهان.

و كان الطالبيّون بخراسان و غيرها من المناطق يبلّغون للتشيّع على الدوام. و قد يكون تشيّعاً زيديّاً حيناً، أو إماميّاً حيناً آخر، أو أنّه - في الأقلّ - ضرب خاصّ من التشيّع يتّخذ طابع المودّة لأهل البيت. و كان آل زباره بنيسابور من السادات أُولي الشأن فيها قروناً عديدة. و تحدّث ابن فندق في لباب الأنساب عن كثير منهم. فقد ذكر على سبيل المثال السيّد أباعلي محمّد زباره (م ٣٦٠ هـ) فقال عنه: **شيخ الطالبيّة بنيسابور، بل بخراسان في عصره. قرأكتب الفضل بن شاذان الشيعي على عليّ بن قتيبة (و هو قرأها على الفضل**[٣]**)**. و نصّ ابن فندق على أنّه عندما مات دفنوه في مقبرة العلويّة بنيسابور. و من أكابر هذه الأسرة أبو الحسين محمّد بن أبي جعفر أحمد بن محمّد زباره. قال الحاكم النيسابوري فيه: **عالم ، أديب ، حافظ للقرآن، ورع، راوية للأشعار، حافظ للتواريخ و أيّام الناس ، ... و قد تابعه أهل نيسابور للخلافة، و تبعه خلق كثير من الأُمراء والقوّاد و طبقات الشيعة.** أطاعه الناس أربعة عشر شهراً إلى أن سجنه نصربن أحمد الساماني مدّة، ثمّ أُطلق من السجن. وكان يلقّب خلال تلك الفترة بالعاضد باللّه[٤].

و من الجدير ذكره أنّ الخناق ضاق على الشيعة و المعتزلة في مطلع العهد الغزنوي. فقد قام أحد علماء السنّة بتدمير مسجد للشيعة الإماميّة بنيسابور. و قال صاحب تاريخ نيسابور، المنتخب من السياق، و هو يتحدّث عن محمّد بن إسحاق بن محمشاد الواعظ الّذي وصفه بأنّه صاحب القول في وقته عندالسلطان: **و كان مقرّباً عند الأمير يمين الدولة محمود، دعا إلى السنّة و هدم المسجد الجديد الّذي بناه الروافض و ظهرت به دولة الكرامية**[٥].

---

١ - أخبار اصبهان ٢ : ٤٩ .

٢ - انظر في هذا المجال : أبو منصور صوفي حنبلي : ٢٢ - ٢٦ .

٣ - لباب الأنساب : ٤٩٤ .
٤ - نفسه : ٤٩٥ .

٥ - تاريخ نيسابور المنتخب من السياق : ١٣ .

و تشرّف أبو العلاء صاعد بن محمّد - و هو أحد علماء السنّة الوجهاء بخراسان - بحجّ بيت اللّه الحرام سنة ٣٧٥ . ثمّ زار بغداد، فعاتبه العبّاسيّون على إفتائه بعدم وضع صندوق على قبر هارون الرشيد المجاور لقبر الإمام الرضا - عليه‌السّلام. فقال مسوّغاً فتواه : ... فأفتيتُ بما وافق الشرع والمصلحة، رعاية أنّه لو نصب الصندوق، فإنّه يُقلع منه لاستيلاء المتشيّعة، و يصير ذلك سبب وقوع الفتنة و التعصّب والاضطراب. و يؤدّي ذلك إلى فساد المملكة[1].

نلحظ هنا أنّ قوله: «لاستيلاء المتشيّعة» يعبّر لنا عن حضور قويّ للشيعة بطوس و سناباد.

و من الضروري أن نشير في حديثنا عن امتداد التشيّع بخراسان إلى ملاحظةٍ ذكرها النجاشي في حديثه عن الفقيه الشيعي الحسن بن عليّ بن أبي عقيل. و تدور هذه الملاحظة حول كتابه الفقهي : المتمسّك بحبل آل الرسول. فقد قال عنه: ما ورد الحاج من خراسان إلاّ طلب و اشترى منه نسخاً[2].

و كانت نيسابور من المناطق الّتي توطّنتها جماعات متعصّبة من السنّة. كما كان فيها شيعة و متشيّعون كُثر أيضاً، و أُثر للشيخ المفيد رسالة عنوانها المسائل الصاغانية، كتبها ردّاً على حنفيّ متعصّب، و معتزليّ في آن واحد، و كان هذا الشخص قد نشر رسالة ضدّ الشيعة في أواخر القرن الرابع أو بعده بقليل. و يحتمل أنّ صاغان كانت من المناطق القريبة من نيسابور. و بعث شيعة خراسان أسئلة هذا العالم الحنفيّ إلى الشيخ المفيد، فأجاب عنها. و في ضوء ما أشار إليه الشيخ المفيد، فإنّ الحنفي المذكور ذهب إلى أنّ الشيعة خارجون من الايمان[3]. و ألمع هذا الحنفيّ إلى قدوم العالم الشيعي ابن الجُنيد إلى نيسابور سنة ٣٤٠ ، و قال إنّ الشيعة دفعوا إليه أموالاً كثيرة. فانتقده الشيخ المفيد، و كذّبه لما قاله عن ابن الجنيد أنّه وكيل الإمام المعصوم، و أشار إلى العلاقة العلميّة و الدينيّة المستمرّة بين شيعة نيسابور و شيعة بغداد، فقال : لمواصلة شيعة نيسابور و كثير من شيعة بغداد و مكاتبتهم بما يتعلّق بالديانة والاعتقاد[4]. و يذهب الشيخ المفيد الى أنّ ابن الجنيد يمكن أن

---

١ - تاريخ نيسابور المنتخب من السياق : ٤٠٠ - ٤٠١ .

٢ - رجال النجاشي : ٤٨ ، رقم ١٠٠ .

٣ - المسائل الصاغانية : ٣ .

٤ - نفسه : ٥٧ .

يُكرم من قبل شيعة نيسابور، بيد أنّه يرفض ادّعاء الوكالة و النيابة و أخذ الأموال إلى الإمام المعصوم، و يقول : **و لسنا ننكر أن يكون قد وصل إلى نيسابور هذا الرجل و أكرموه، و أقاموا بما يجب له من حقوق الإخوان - و قد عرفنا برّ القوم له**[1].

و مرّ بنا أنّ النزعة السنيّة المتطرّفة لأهل الحديث كانت ممتدّة في المدينة المذكورة. على سبيل المثال، ذُكر أبوالفضل بن أبي صالح (م ٤٩٤) **أنّه شاب سنّي متعصّب للسنّة**[2].

و ثمّة نموذج آخر هو أبو عثمان إسماعيل بن عبدالرحمن الصابوني فقد قال عبدالغافر الفارسي فيه **أنّه سيف السنّة و دافع أهل البدعة**[3]. له كتاب بعنوان **عقيدة السلف أصحاب الحديث**، طبع بالحجاز. و يذكر في موضع منه شيوع البدعة في زمانه[4]. و يقصد من هذه البدع - نوعاً ما - الاعتزال، والتشيّع. و نُقل أنّ أباه قُتل في الحروب الطائفيّة بنيسابور[5]. وكان كثير من رجال أهل الحديث في نيسابور من تلاميذ أبي عثمان الصابوني في القرن الخامس. و هذا ما تفيده التراجم الواردة في كتاب **تاريخ نيسابور المنتخب من السياق**. و من الطبيعي - في ضوء هذه الحقيقة - أنّ التعصّب المذهبي الشديد ضدّ الشيعة و المعتزلة كان قائماً في المدينة المذكورة. و العجيب أنّ مؤلّف الكتاب المشار إليه آنفاً جعل محمود الغزنوي الّذي يتباهى بالقضاء على الشيعة والمعتزلة في مصافّ علماء نيسابور[6]. و قيل في أبي القاسم الأصفهاني النديم أيضاً : **إنّه متعصّب لأهل السنّة**[7].

و في الوقت نفسه ينبغي أن نلتفت إلى أنّ القرن الخامس كان قرن نموّ التصوّف بنيسابور. و هذا ما نفيده من التراجم الواردة في كتاب **تاريخ نيسابور المنتخب من السياق**. و ثمّة ملاحظة أُخرى ترتبط بنيسابور، و هي كثرة العلويّين فيها، و ذكر عبدالغافر الفارسي عدداً منهم في كتابه المتقدّم. و لم يقل شيئاً في تشيّعهم أو تسنّنهم، و اكتفى بالإشارة إلى أنّهم سمعوا الحديث من بعض مشايخ السنّة. بيد أنّه قال في أبي عبدالله فتوح بن رضيّ الحسني: **وكان مائلاً إلى أهل السنّة، مجانباً عقيدة الغلاة من الشيعة**[8].

---

١ - المسائل الصاغانية : ٥٨ .

٢ - تاريخ نيسابور المنتخب من السياق : ٤٠٤ .

٣ - نفسه : ١٧٦ .

٤ - عقيدة السلف : ١٢٤ .

٥ - تاريخ نيسابور المنتخب من السياق : ١٧٧ .

٦ - تاريخ نيسابور المنتخب من السياق : ٦٨٠ .

٧ - نفسه : ٣٧٩ ، و انظر: ص ٥١ ـ ٥٥ ، ٦٧٣ للاطّلاع على نماذج أخرى .

٨ - نفسه : ٦٣٤ .

و لا جرم أنّه لو كان هناك آخرون بهذه الصفة، لصرّح بذكرهم. و لم ينو هذا المؤلّف التطرّق إلى علماء الشيعة في نيسابور، لكنّه ألمع إلى أحدهم و هو محمّد بن أحمد بن مهدي العلوي فقال فيه: **فاضل من دعاة الشيعة، عارف بطرقهم و علومهم**[١]. و كان الصراع بين الحنفيّة والشافعية في هذا القرن مشهوراً في نيسابور و غيرها من حواضر ايران الأخرى إلى درجة انّه لم تُعد هناك فرصة للنزاع بين الشيعة و السنّة[٢].

و نطالع كلاماً لأبي دلف حول نقاط قاصية في الشرق . فقد قال: **ثمّ خرجنا إلى قبيلة تُعرف بالبغراج ... يعملون بالرماح عملاً حسناً فرساناً و رجّالة. و لهم ملك عظيم الشأن يذكر أنّه علويّ من أولاد يحيى بن زيد، و عنده مصحف مذهب على ظهره أبيات شعر رُثيَ بها زيد عليه السلام. و هم يعبدون هذا المصحف ! و زيد عندهم ملك العرب، و عليّ بن أبي طالب إله العرب. و لا يملّكون عليهم أحداً إلّا من ولد العلوي ... و يؤدّون الخراج إلى العلويّ البغراجي و لا يملّكون عليهم أحداً إلاّ بالقرعة، و لهم محبس جرائم و جنايات. و صلواتهم إلى قبلتنا**[٣]. و لعلّ هؤلاء الشيعة -كما يبدو - مُنوا بنوع من العقائد الغالية لابتعادهم عن إمامتهم و قيادتهم.

و نقرأ في تاريخ جرجان حكاية حول التشيّع في مدينة ساري. قال أبو الحسن عليّ بن أحمد الاسترآبادي: **صنّف أبو إسحاق إسماعيل بن سعيد الكسائي فضائل أبي بكر، و عمر، و عثمان بسارية، فقرأ على أهلها. فلمّا كان يوم قراءة فضائل عليّ كثر الناس، فقال : لا أقيم ببلدة لا يعرف فيها لأبي بكر، و عمر ، و عثمان من الفضائل ما يعرف لعليّ بن أبي طالب، فانتقل إلى استراباد**[٤]!

و نذكر الخوارزمي معْلماً على التشيّع في مدينة آمل. فهو أبوبكر محمّد بن عبّاس الخوارزمي الطبري، أحد الأدباء المشهورين في القرن الثالث الهجري. و كان يعيش بطبرستان و خراسان. وكان جليس الحاكم النيسابوري بنيسابور، و ساعده كثيراً . قال السمعاني: **كان أوحد عصره في حفظ اللغة و الشعر**[٥].

و يرى السمعاني، والذهبي، و ابن خلّكان، و ابن العماد الحنبلي، والرافعي، والأهمّ

---

١ - **تاريخ نيسابور المنتخب من السياق** : ٦٨ .

٢ - انظر : ص ٣٢٨ من كتاب **تاريخ نيسابور المنتخب من السياق** كنموذج على ذلك.

٣ - **سفرنامه أبودلف** (نصّ عربيّ مطبوع مع أخبارالبلدان ، طبعة سزكين) : ٣٥٠ .

٤ - **تاريخ جرجان** : ٦٠٢.

٥ - **الأنساب** ٢ : ٤٠٨ .

منهم ابن فندق صاحب تاريخ بيهق، أنّ الخوارزمي، ابن أخت الطبري، المؤرّخ المعروف[١]. وكان الخوارزمي من الشيعة المعروفين. و يدلّ على ذلك مجموعة من رسائله المطبوعة. و له شعر يقول فيه أنّه رافضيّ، و العجيب أنّه يعدّ نفسه فيه تابعاً لأخواله، يقول:

بآمُلَ مولدي و بنوجريرٍ فأخوالي و يحكي المرءُ خالَه

فها أنا رافضيٌّ عن تراثٍ و غيري رافضيّ عن كلاله

و جاء هذا الشعر في مصادر عديدة باختلاف يسير[٢].

و لدينا معلومات موجزة عن التشيّع في منطقة الجبل خلال القرن الرابع. و هي تتحدّث عن عيسى بن مهران المستعطف. فقد عدّه الخطيب البغدادي من شياطين الرافضة و مَرَدَتهم، و سمّاه الذهبي كذّاب الجبل[٣].

و ينبغي الاطّلاع على الأدب الفارسي الشيعي في كلّ قرن من أجل التعرّف على تاريخ التشيّع في إيران. و قد تجلّى هذا الأدب في الشعر أكثر من غيره في غضون القرن الخامس. و تنبّه عبدالجليل القزويني إلى هذه الحقيقة بنحو كاف، فأشار إلى الشعراء الفرس للدلالة على حجم التشيّع، قال هذا المؤلّف: «أمّا الشعراء الفرس الّذين كانوا شيعة عقيديّين متعصّبين، فنشير إلى بعضهم أيضاً: و أوّلهم الفردوسي الطوسي، وكان شيعيّاً، و أشار إلى مذهبه في مواضع من الشاهنامه. و يفتخر شاعر طوسي بالفردوسي في قوله و تعريبه: كلّ من كان وزيراً و عالماً و شاعراً فهو طوسيّ كنظام الملك و الغزالي[٤].

و كان الفخري الجرجاني شيعيّاً. و لا خلاف في الكسائي إذ إنّ ديوانه كلّه في مدائح المصطفى و آل‌المصطفى عليه و عليهم‌السلام و ذكر مناقبهم. و كان عبدالملك بنان رحمة

---

١ - سير أعلام النبلاء ١٦ : ٥٢٦ ؛ شذرات الذهب ٣ : ١٠٥ ؛ مرآة الزمان ٢ : ٤١٦ ؛ تاريخ بيهق : ١٠٨ ؛ الأعلام للزركلي ٦ : ١٨٣ .

٢ - معجم البلدان ١ : ٥٧ ؛ نقض : ٢١٨ ؛ شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد ٢ : ٣٦ ؛ تاريخ بيهق : ١٠٨ . و نحن ناقشنا في مقالتنا الّتي كتبناها عن الميول المذهبيّة للمؤرّخ الطبري إلى بعض الاحتمالات المطروحة حول هذا الشعر.

٣ - تاريخ بغداد ١١ : ١٦٧ ؛ ميزان الاعتدال ٣ : ٣٢٤ .

٤ - هر وزير و عالم و شاعر كه او طوسى بود چون نظام الملك و غزالي بود

اللّه عليه مؤيّداً بتأييد الهي ... وكان ظفر الهمداني سنيّاً بيد أنّه نظم قصائد جمّة في مناقب عليّ و آل عليّ عليهم السلام بلغ بها مبلغاً أنّه رُمي بالتشيّع، و هذه القصائد مثبتة في ديوانه. و نذكر منهم أيضاً أسعدي قمّي، و خواجه علي متكلّم رازي العالم والشاعر، وامير إقبالي الشاعر نديم السلطان محمّد - رحمةاللّه عليه - وكان شيعيّاً معتقداً، وقائمي قمّي، و معيني و بديعي، و أحمدچه رازي، و ظهيري، و بردي، و شمسي، وفرقدي، و عنصري، و مستوفي، و سمان، و السيّد حمزة العلوي، و خواجه ناصحي، و أمير قوامي، و غير هؤلاء رحمة اللّه عليهم. و كلّهم كانوا يتحدّثون بالتوحيد، والزهد، والموعظة، و المناقب ما لا يُحصى ذكره.

و إذا أردنا أن نذكر الشعراء الشيعة جميعهم، خرجنا عن موضوعنا. و كان خواجه سنائي غزنوي عديم المثيل في النظم و النثر حتّى قيل عنه : خاتم الشعراء. و أنشد مناقب كثيرة. و لو لم يكن له إلاّ هذان البيتان في فخرى‌نامه، لكفى : [فخرى‌نامه أحد دواوينه].

و تعريبهما: كلّ من كانت عقيدته في عليّ غير حسنة، فلا أحبّه أيّاً كان. و من لم يكن تراباً على بابه (يتواضع له) فليخسأ حتّى لو كان مَلَكاً[1].

و تحدّثنا عن أشعار الفردوسي في كتابنا هذا. وكانت هذه الأشعار موضع اهتمام الناس منذ عهد سيحق. و نضيف هنا قائلين: إنّ محيط طباطبائي كتب مقالة مستقلّة حول مذهب الفردوسي، و طبعت في كتابه تحت عنوان فردوسي و شاهنامه. و نجد في الصفحة الرابعة و الخامسة من مقدّمة بهين‌نامه باستان كلاماً حول هذا الموضوع. و نشرت إحدى صحفنا المحلّيّة مقالة أُخرى في هذا المجال[2]. كما نلاحظ قسماً من مقالة ثالثة دارت حول الموضوع المشار إليه[3].

و من الشعراء الآخرين في تلك الفترة كسايي مروزي الّذي بلغ الخمسين من عمره سنة ٣٩١ . و ثمّة أدلّة على تشيّعه، أهمّها قصيدته في مناقب الإمام عليّ - عليه‌السّلام،

---

١ - نقض ٢٣١ - ٢٣٢ . و ورد هذان البيتان في حديقة الحقيقة : ٢٦١ .

جانب هر كه با علي نه نكوست	هر كه خواه گير من ندارم دوست
هر كه چون خاك نيست بر در او	گر فرشته است خاك بر سر او

٢ - صحيفة اطلاعات، العدد ١٩٢٢٧ ، ٣١ / ١٢ / ١٩٨٩ م.

٣ - تابش تشيّع بر فراز خاوران : ١٢ .

و قصيدته في رثاء شهداء كربلاء. و يمكن أن نجد هاتين القصيدتين في كتاب كسائی مروزی، زندگی، اندیشه و شعر او مع توضيحات عليها. و أنّ نقل أبيات منهما يمكن أن يدلّ على درجة تشيّعه، فقد قال في مناقب أميرالمؤمنين - عليه‌السّلام و تعريبهما: امدح و أثنِ على من مدحه النبيُّ و أثنى عليه، و فوّض إليه الأعمال كلّها. و مَن يكون بهذه الصفة غير أسداللّه الباسل حيدر الكرّار[١]؟!

و نستشفّ من هذين البيتين أنّ تشيّعه لا يمكن أن يكون إلاّ تشيّعاً إماميّاً. و نظم قصيدة اخرى سنة ٣٧٠ هـ و هي في مدح أميرالمؤمنين، و الإمام السجّاد، والإمام الصادق - عليهم‌السّلام، منها هذان البيتان و تعريبهما: إذا كنتَ مؤمناً فاعرف فضل أميرالمؤمنين، فضل حيدر أسداللّه المرتضى صادق الدين، فضل من كان أفضل الناس بعد النبيّ، فضل ركن الإسلام، إمام المتّقين[٢].

و نظم الكسائي مرثيّة في واقعة الطّفّ، و هي آية أخرى على تشيّع واسع النطاق في الأدب الفارسي خلال القرن الرابع. و هي قصيدة جميلة جدّاً، و ذكر أمين الرياحي أنّها أوّل قصيدة في الأدب الفارسي في رثاء شهداء كربلاء، و تبلغ خمسين بيتاً، منها قوله و تعريبهما: إنّ مسك العالم، و الربيع النضير صارا علينا كالقبر الضيّق الموحش بسبب الغمّ. أنا مشمئزّ من الكأس، و من شجر الأرجوان، و الورد، و ما لي إلّا أن آوي إلى زاوية حجرتي و أنوح[٣].

و تحدّثنا مفصّلاً عن تشيّع الري في هذا الكتاب. و نضيف إليه قائلين: صدر أخيراً كتاب بعنوان المقنع في الإمامة لعبيداللّه بن عبداللّه سُدّ آبادي، و هو أحد علماء القرن الخامس الهجري. و ثمّة اختلافات في ضبط كلمة (سدّ) ضبطاً دقيقاً. بيد أنّ محقق

---

١ - مدحت كن و بستای کسی را که پیمبر — بستود و ثنا کرد و بدو داد همه کار
آن کیست بدین حال و که بوده است و که باشد — جز شیر خداوند جهان، حیدر کرّار

٢ - فهم كن گر مؤمنی فضل أميرالمؤمنين — فضل حیدر، شیر یزدان، مرتضای پاکدین
فضل آن کس کز پیمبر بگذری فاضل‌تر اوست — فضل آن رکن مسلمانی، امام المتّقین

٣ - **كسائی مروزی**: ٥٩ - ٦٧.
کاین مشکبوی عالم وین نوبهار خرم — بر ما چنان شد از غم چون گور تنگ و تنها
بیزارم از پیاله، وز ارغوان و لاله — ما و خروش و ناله کُنجی گرفته مأوا

الكتاب ذهب إلى أنّ (سُدّ) قرية من قرى الري، و عرض عدداً من الأدلّة على ذلك[١]. و هكذا ينبغي أن نلتفت الى أنّ تشيّع هذه القرية كان منذ القرن الخامس. و من الجدير ذكره بخصوص الري هو أنّ أحد علمائها المشهورين في أواخر القرن الخامس هو الشيخ جعفر الدوريستي. يقول أبو جعفر محمّد بن عليّ الطوسي صاحب كتاب الثاقب في المناقب (المؤلّف بعد سنة ٥٦٠) في موضع من كتابه بعد نقل حكاية عن جعفر بن محمّد الدوريستي، و هذه الحكاية تتعلّق بجلسة كانت معقودة بحضور الشيخ المفيد: نقلتُ هذا الكلام من نسخة كتبها جعفر الدوريستي نفسه، و ترجمها إلى الفارسيّة سنة ٤٧٣. و أنا ترجمتها من الفارسيّة إلى العربيّة مرّة أُخرى سنة ٥٦٠ هـ[٢]. و من الحريّ بالذكر أنّ عماد الدين الطبري الّذي سنشير إليه بعدُ نقل هذا الكلام نفسه في كتاب مناقب الطاهرين و قال: إنّه أخذه من الكتاب المذكور، و ترجمته من العربيّة إلى الفارسيّة مرّة ثالثة بكاشان سنة ٦٧١[٣]. وإنّي أنقل هذه المعلومات لأُشير إلى الأدب الفارسي الشيعي يومذاك. علماً أنّ دوريست المشار إليها هي طرشت الحالية التابعة لطهران. و حريّ بنا أن نقول في حديثنا عن الري أيضاً أنّ نزاعات شبّت فيها بين الشيعة و النواصب سنة نيف و أربعمائة، و أدّت إلى نزوح أبي القاسم إسماعيل بن أحمد بن محفوظ البُستي المعتزلي من الري إلى آمل بطبرستان. و كان هذا الرجل من المعتزلة الزيديّة، و له كتاب المراتب. قيل فيه: نزح من الري إلى آمل طبرستان عند فتنة النواصب و الشيعة بالري في نيف و أربعمائة[٤]. و لعلّ القائل يشير إلى حوادث وقعت بالري امتداداً لغارة السلطان محمود الغزنوي عليها.

إنّ المعلومات الّتي عرضناها هنا تتعلّق بإيران. و أمّا التشيّع في عراق العرب و سائر المناطق منذ القرن الرابع فصاعداً، فينبغي أن نتحدّث عنه مفصلاً في موضع آخر. و أكتفي هنا بالإشارة إلى نقطة صغيرة فأقول: نحن نعلم أنّ حيّ الكرخ ببغداد كان حيّاً شيعيّاً معروفاً، و كُتبت مقالات في هذا الحقل أيضاً، لكن الجديد هنا هو أنّ (دليسى أوليرى) ذهب إلى أنّ هذا الحيّ كان قرية فارسيّة[٥].

---

١ - المقنع في الإمامة: ٢٥ - ٢٦. ٢ - الثاقب في المناقب: ٢٣٩.

٣ - مناقب الطاهرين (رسالة حول) عبّاس اقبال، فرهنگ ايران زمين، السنة: ١٣، ص ٦٨.

٤ - أهل البيت في المكتبة العربيّة؛ رقم ١٢، ص ١٢٧.

٥ - انتقال علوم يونانى به عالم اسلامى: ٢٣٣.

و نلحظ في هذا المجال أيضاً أنّ تنسيقاً أكثر قد حصل بين التشيّع في إيران و بين الاعتزال خلال القرن الرابع و الخامس، و توسّعت علاقاتهما ممّا أدّى إلى انصهار المعتزلة في التشيّع شيئاً فشيئاً. و تحدّثنا عن ذلك مفصّلاً في كتابنا : **مناسبات فكرى معتزله و شيعه**، فلا نكرّر شيئاً هنا. و ظهر جيل من أدباء الشيعة أو المائلين إلى التشيّع في هذا القرن، وكان لهم دور مهمّ في تنامي التشيّع. و قد أشرنا إلى أحدهم و هو الخوارزمي. و نضيف إليه الوزير أبا سعد منصور بن حسين الآبي (الآوي المتوفّى سنة ٤٢١) مؤلّف كتاب نثرالدر. وظهرت هذه التطوّرات برمّتها في ظلّ الحكومة البويهيّة. فانتشر التشيّع في القرن الرابع والخامس[١]. و على الرغم من ضغوط الغزنويّين و حرق السلطان محمود كتب الشيعة والمعتزلة[٢]، فقد اتّسعت دائرة التشيّع إلى درجة أنّ الإجراءات المذكورة عجزت عن القضاء على الشيعة.

التشيّع في ايران خلال القرن السادس

كانت خراسان تُعدّ من مراكز التشيّع في إيران منذ القرن الثاني فما تلاه، بخاصّة، أنّ عدداً غفيراً من الإماميّة كانوا يعيشون في مناطقها المختلفة منذ القرن الثالث. و من هذه المراكز مدينة طوس و مشهد الرضا. وكان عدد من السنّة يعيشون في هذه المنطقة أيضاً. و شهدت المنطقة المذكورة نزاعات بين الشيعة و السنّة. و لدينا دليل مهمّ على وجود الإماميّة في مشهد الرضا يومئذٍ إذ وجد على صخرة موضوعة على المرقد المطهّر للإمام الرضا- عليه‌السّلام دعاء بالصلاة على محمّد والأئمّة الاثني‌عشر، و تاريخه ٥١٦ هـ.ق، و نصّه : **اللّهمّ صلّ على محمّد و علي و فاطمة والحسن والحسين و عليّ و محمّد و جعفر و موسى و عليّ و محمّد و عليّ والحسن والقائم الحجّة**[٣].

و كانت زيارة قبر الإمام الرضا - عليه‌السّلام، الّتي يواظب عليها الشيعة باعثاً على توطّنهم هذه المدينة. و بلغ إصرار الشيعة على زيارة الإمام الرضا - عليه‌السّلام - مبلغاً أنّ أحد السنّة المعادين للشيعة كتب في ذلك القرن قادحاً أنّ الشيعة يستحبّون زيارة طوس

---

١ - انظر: **نثر الدر** (مقدّمة محمّد علي قرنه)، ج ١، ص ١٠.

٢ - انظر: تعليقات المرحوم ارموي على كتاب **الفهرست** لمصنّفه منتجب الدين، ص ٣١٢ - ٣١٥.

٣ - **تاريخ آستان قدس رضوي** : ٦٤ - ٦٥.

على حجّ بيت الحرام[1]!

و كان الشيعة في القرن المذكور يزورون مراقد السادة من أبناء الأئمّة، و كـان السـنّة يرافقونهم في هذا المسير أيضاً.

و قال عبدالجليل القزويني راداً على خواجه سنيّ إذ قال: إنّ الشيعة يزورون العلويّين و لا ينظرون في علمهم و عملهم [أي: لا يطبّقون ما يريدون]: المسكين من أنكر الحقّ، و هو لا يعلم أنّ أهل الري يزورون السيّد عبدالعظيم، والسيّد أباعبدالله الأبيض، والسيّد حمزة الموسوي، و هم معروفون بشرفهم و نسبهم و جزالة فضلهم و كمال عفّتهم. و يزور أهل قم فاطمة بنت موسى بن جعفر الّتي يتقرّب إلى الله بزيارتها ملوك الأرض و أُمراؤها من الحنفيّة والشافعيّة. و يزور أهل قاشان عليّ بن محمّد الباقر المدفون بباركرسب، والّذي ظهر هناك من خلال عدد من الحجج والبراهين.

و يزور أهل آوه الفضل و سليمان ولدَي الإمام موسى الكاظم.

و يزور أهل أوجان عبدالله بن موسى المدفون هناك.

و يتقرّب أهل قزوين سنّتهم و شيعتهم إلى الله بزيارة أبي عبدالله الحسين بن الرضا. وقس على ذلك أمثالهم لتنظر أين مظنّة العلم و العمل والعفّة و الشرف[2]؟

و يدلّ هذا الكلام على المدى الّذي بلغته زيارة أولاد الأئمّة من قبل الشيعة، و أحياناً السنّة في القرن السادس.

و إذا ما دار الكلام حول خراسان، فإنّا نعلم أيضاً أنّ نزاعاً نشب في مدينة مشهد بين الشيعة و السنّة عام ٥١٠ هـ، و قُتل فيه عدد كبير من الناس. و تحدّث ابن الأثير عن هذا النزاع في تاريخه[3]. و من حواضر ايران الكبيرة في القرن السادس الهجري: نيسابور. كانت هذه الحاضرة من مراكز السنّة آنذاك، وكان عدد من الشيعة يعيشون فيها أيضاً. يضاف إلى ذلك أنّ مودّة السنّة في المدينة المذكورة و خراسان لأهل البيت كانت كبيرة. و النموذج المهم في هذا المجال هو الحاكم النيسابوري الّذي كانت له منزلة رفيعة بين أهل السنّة، ولكنّه كان شديد الحبّ لأهل البيت. و صنّف كتاباً خاصّاً في سيرة الإمام الرضا -

---

١ - نقض: ٥٨٩.
٢ - نفسه: ٥٨٨ - ٥٨٩.
٣ - الكامل ١٠: ٥٢٢ - ٥٢٣. البداية و النهاية ١٢: ١٩٢.

عليه‌السّلام - تحت عنوان مفاخرالرضا، ما زالت بعض منقولاته باقية[١]. و النموذج الآخر هو عبداللّٰه بن عمر بن أبان القرشي مشكدانه، وكان من المحدّثين المتشيّعين بخراسان (محدّث خراسان في عصره[٢]).

و من الأخبار الّتي تشير إلى وجود الشيعة في هذه المدينة، أخبار نقلها السمعاني (م ٥٦٢). فقال في ذيل اسم أبي العلاء النيسابوري: **شيخ عدل سديد السيرة ... قُتل ببشت فروش فتكاً ليلة الجمعة من شوّال سنة ستّ و ثلاثين و خمسمائة، قتله الروافض و نُقل تابوته إلى نيسابور فدفن بالحيرة**[٣]. و بشت المذكورة من مناطق خراسان، وكانت مشهورة بأدبائها الكثيرين[٤]. و ثمّة شخص آخر قتله شيعة نيسابور، و هو أبوالمعالي عبدالكريم بن عبيداللّٰه القشيري واعظ نيسابور. و ذكره السمعاني قائلاً: **قتله الروافض بنيسابور في أحد الجمادين من سنة ست و خمسين و خمسمائة**[٥]. كما ذكر السمعاني أبا المعالي حسن بن عبداللّٰه البزّاز، فقال: **وكان ينسب إلى التشيّع و الغلوّ فيه. وكان طريفاً سخيّ النفس ... توفّي بنيسابور في الثامن من ذي القعدة سنة إحدى و خمسين و خمسمائة**[٦].

و من الجدير ذكره أنّ العالم الشيعي المشهور الفتال النيسابوري مؤلّف كتاب روضة الواعظين قد استشهد في مطلع القرن السادس على يد عبدالرزّاق بن عبداللّٰه بن عليّ بن إسحاق (م ٥١٥) رئيس نيسابور يومذاك[٧].

و من شيعة نيسابور في القرن السادس الإمام السيّد الأديب أبوالحسن عليّ بن أحمد البنجكردي النيسابوري (م ٥١٣). له كتاب بعنوان سلوة الشيعة أو تاج الأشعار، ويحتوي على مجموعة من الأشعار المنسوبة إلى الإمام أميرالمؤمنين عليّ‌بن أبي طالب - عليه‌السّلام. و توجد نسخة منه كتبت سنة ٧٣٥[٨].

و ذكر السمعاني أبا طاهر محمّد بن يحيى بن ظفر بن الداعي العمري المولود سنة

---

١ - **الثاقب في المناقب** : ٤٨٣ ، ٤٩٦ .

٢ - **ميزان الاعتدال** ٢ : ٤٦٦ .

٣ - **التحبير في المعجم الكبير** ١ : ٣٣٤ .

٤ - انظر : **معجم البلدان** ١ : ٦٢٨ .**الأنساب** ٢ : ٢٤٣ ، نقلاً عن هامش المصدر السابق.

٥ - **التحبير في المعجم الكبير** ١ : ٤٧٨ .

٦ - نفسه ١ : ٢٠٠ - ٢٠١ .

٧ - **رجال ابن داود** : ٢٩٥ .

٨ - فهرس المخطوطات في مكتبة مدرسة الشهيد مطهّري العالية ٥ : ١١٨ . و تحتفظ مكتبة المجلس بنسخة أُخرى منه رقمها ٧٠٩٩ . (المقصود هنا مجلس الشورى الاسلامي).

٤٦٦ و المتوفّى سنة ٥٥١ أو ٥٥٢ ، فقال فيه: **شيخ الإماميّة باستراَباد و مقدّم طائفته بها**. و أثنى عليه بقوله : **شيخ متيقّظ متودّد له معرفة و هيئة و فضل**[1].

و من الشخصيّات البارزة في النصف الأوّل من القرن السادس : أبوالفتح الشهرستاني (م ٥٤٨هـ) صاحب كتاب **الملل والنحل**، و نحن تحدّثنا عنه قليلاً في كتابنا هذا. و نضيف هنا أنّ السمعاني قال فيه: **متّهم بالإلحاد والميل إليهم، غالٍ في التشيّع**. و أضاف قائلاً: إنّه سكن بلاد خراسان و أقام بها مدّة[2]. و حريّ بالذكر أنّ الالحاد المقصود هنا هو الاتّجاه الإسماعيلي.

و من الكتّاب الفرس الشيعة في تلك الفترة: الفضل بن الحسن الطبرسي (م ٥٤٨) . و هو مؤلّف أحد التفاسير الثمينة في العالم الإسلامي، ألا و هو **مجمع البيان**. و تحدّثنا في أحد كتبنا عن نزعته الشيعيّة المعتدلة. و تدلّ آثاره الفارسيّة على انتشار التشيّع بين الفرس في القرن السادس الهجري. و أهدى تفسيره المذكور إلى أحد النقباء الكبار في عصره، و هو أبو منصور محمّد بن يحيى بن هبة اللّه الحسيني. و قد عبّر عنه قائلاً: جلال الدين، ركن الإسلام، مخلص الملوك و السلاطين، سيّد نقباء الشرف، تاج أُمراء السادة من آل رسول‌اللّه. و له كتاب آخر في النحو تحت عنوان **جواهر الجمل - الجواهر في النحو**، و أهداه أيضاً إلى النقيب المومىٔ إليه الّذي كان من السادة الوجهاء من آل زباره بخراسان[3].

و صنّف الطبرسي كتاب **الآداب الدينيّة للخزانة المعينيّة** باسم السلطان معين الدّين أبي نصر بن فضل بن محمود الكاشاني[4]. و أهدى كتابه **إعلام الورى** الى ملك الشيعة بمازندران و هو علاء الدولة عليّ بن شهريار بن قارن (حكم من سنة ٥١١ إلى سنة ٥٣٤). و كان من سلاطين الشيعة بمازندران، و قد أثنى عليه مصنّف كتاب **النقض** أيضاً[5].

و أطرى الطبرسي في مقدّمة الكتاب على ذلك السلطان. و من بين نتاجاته الفارسيّة يمكن أن نشير إلى كتاب **العمدة**. قال صاحب كتاب رياض العلماء : **و له أيضاً كتاب العمدة في أصول الدين و في الفرائض و النوافل بالفارسيّة**[6]. و في حياة الطبرسي معالم يمكن أن تكون دليلاً على سطر من سطور تاريخ التشيّع في القرن السادس. و كان الطبرسي من

---

١ - **التحبير في المعجم الكبير** ٢ : ٢٥٠ .
٢ - نفسه : ١٦١ - ١٦٢ .
٣ - طبرسي و مجمع البيان ١ : ٢٣١ .
٤ - **الذريعة** ١ : ١٨ .
٥ - **نقض** : ٢٠٠ .
٦ - **رياض العلماء** ٤ : ٣٤٨ .

مدينة تفرش، كما ذكر ذلك ابن فندق في كلامه قائلاً: طبرس منزل بين قاشان و أصفهان. أفلا يمكن أن تشير هذه المسألة إلى وجود التشيّع بتفرش في القرن السادس الهجري؟ وينبغي أن نقول هنا : إنّ أُسرة الطبرسي كانت في تفرش. و حسبنا هذا آية على وجود التشيّع في تلك البلدة الّتي كانت قريبة من قم. علماً أنّ الطبرسي نفسه لم يمكث هناك.

و قال ابن فندق بعد كلامه المتقدّم: و كان متوطّناً مدينة مشهد، و مرقده قريب من مسجد (قتلگاه). و هكذا آثر الطبرسي أو أبوه العيش مجاوراً المرقد الإمام الرضا - عليه‌السّلام. و صاهر أُسرة كبيرة من السادات القاطنين بخراسان، و هم المشهورون بآل زباره. ثمّ قدم سبزوار سنة ٥٢٣. و نقل ابن فندق أنّ مدرسة (دروازه عراق) كانت تُدار بإشرافه[١]. و هذا معلم أيضاً على وجود التشيّع بسبزوار، و من الطبيعي أنّ جذورة تعود إلى ما قبل القرن السادس، كما ألمعنا إلى ذلك في كتابنا هذا.

و مهما تحدّثنا عن احتفاء النّاس بالسادات في هذه القرون، فهو قليل. إذ كانوا يحترمونهم احتراماً بالغاً، و هو ما أدّى إلى انتشار التشيّع طبيعيّاً. و نقرأ في كتاب الفصول الّذي صنّفه الاستاذ أبوالقاسم يوسف بن الحسين بن يوسف الهروي، و ترجمه إلى الفارسيّة رشيدالدّين الميبدي (م بعد سنة ٥٢٠) فصلاً مخصوصاً بالسادات و ضرورة احترامهم. و نلاحظ في هذا الفصل أنّ الميبدي ذكر الرواية الّتي تدور حول سؤال السيّدة فاطمة الزهراء بنت رسولَ‌اللّه - صلّى‌اللّه عليه و آله - عن سماع اسم الحسنين عليهما‌السّلام ليلة المعراج. و ترجمها و شرحها بعبارات عذبة[٢]. و ذكر أشعاراً في وصف السادات، منها هذان البيتان:

إليكم كلّ مكرمة تؤولُ — إذا ما قيل جدّكمُ الرسولُ
كفاكم من مديح الخلق طرّاً — إذا ما قيل أمّكمُ البتولُ[٣]

بينما كان الميبدي المذكور مصنّف كتاب كشف‌الأسرار - سنّيّاً شافعيّ المذهب أشعريّ‌الاعتقاد. و مع هذا كلّه كانت الأجواء في إيران معطّرة بتعظيم أهل البيت، فتأثّر بها الميبدي. وكتب الأستاذ محمّد مهدي رُكني مقالة مفصّلة تحت عنوان [قبسات التشيّع في

١ - تاريخ بيهق : ٢٤٢.
٢ - الفصول : ٧٤ - ٧٥.
٣ - نفسه : ٧٠.

تفسير كشف الأسرار][1] استخرج فيها الروايات الّتي نقلها الميبدي عن الإمام أميرالمؤمنين و سائر الأئمّة حتّى الإمام الرضا عليهم صلوات‌اللّه. يضاف إلى ذلك أنّه أعدّ الفضائل الّتي ذكرها الميبدي لأهل البيت، بخاصّة عند شرح الآيات النازلة فيهم. فإنّ نظرة على المقالة المشار إليها يمكن أن تهدينا الى المدى الّذي بلغه التشيّع - في معناه المتمثّل بالمودّة الشديدة لأهل البيت - بين علماء السنّة المعتدلين في إيران خلال القرن السادس.

كانت طوس في الحقيقة مركزاً من مراكز الشيعة في القرن السادس. و نعرف عدداً من علماء هذا القرن كانوا يتلقّبون بلقب الطوسي. منهم أبو منصور حسين بن عبدالجبّار بن محمّد الطوسي (م ٥٢٩) الّذي ذُكر بعنوان القاضي **الفاضل الفقيه الواعظ الثقة**.[2] و كان عبدالجبار بن حسين بن عبدالجبّار من هذه الأسرة أيضاً. و من الحريّ بالذكر أنّ الاسرة المشار إليها كانت تقطن في كاشان. و ليس صدفة أن يتلقّب عدد كبير من الشيعة بلقب الطوسي، و لا تخلو طوس من التشيّع حتّى لو كان أمثال الشيخ الطوسي يعيشون في بغداد والنجف. و منهم : حمزة بن عبداللّه الطوسي و هو من علماء الشيعة الّذين ينتسبون إلى هذه المدينة، و ذكره منتجب الدين على أنّه **فقيه ثقة**[3].

و نقل الشيخ آغا بزرك الطهراني في **الثقات العيون** أسماء عدد من الطوسيّين الشيعة في ذيل عنوان الطوسي.

وكذلك مدينة آوه أو آبه الّتي تحدّثنا عنها في موضع من هذا الكتاب. فقد ظهر فيها عدد من علماء الشيعة في القرن السادس. منهم: السيّد أبوالفتح الآوي الحسيني، والسيّد أبو عبداللّه سمت استادي[4]. و منهم : السيّد فخرالدّين بابا بن محمّد العلوي الحسيني الآبي الّذي ذكره منتجب الدين[5]. و منهم : الشيخ موفّق الدين حسن بن محمّد بن حسن المعروف بخواجه آبي، وكان يسكن في قرية اشده شنئت من توابع الري[6]. و منهم: القاضي أشرف الدين صاعد بن محمّد بن صاعد البريدي الآبي الّذي ذكره منتجب الدين

---

١ - اسم الكتاب بالفارسيّة: **جلوه‌هاى تشيّع در تفسير كشف الاسرار**.

٢ - **الثقات العيون** : ٦ . حول أسرة هذا العالم، انظر: **الفهرست** (تصحيح إرموي) ١٩٧ . و ذكره عبدالجليل الرازي أيضاً بقوله : أبو علي طوسي نزيل قاشان .

٣ - **الفهرست** : ٤٩ (ارموي).

٤ - **نقض** : ١٩٩ .

٥ - **الفهرست** : ٤٣ (إرموي).

٦ - نفسه : ٥٣ .

بقوله : فاضل متبحّر، و عدّ تسعة من مصنّفاته[١]. و ذكر في كتاب الثقات العيون عدداً آخر من العلماء الآبيين[٢].

و من المناسب أن نشير هنا إلى العلماء المتلقّبين بالمدن الفارسيّة، الّذين أوردهم الشيخ آغابزرك في كتاب الثقات (ترجمة علماء الشيعة في القرن السادس) مكتفين بذكر العدد، و سنعرض في هذا المجال معلومات أكثر تفصيلاً. و ينبغي أن نلتفت إلى أنّ بعض الأشخاص ينحدرون من هذه المدن لكنّهم لم يتلقّبوا بها، لذا لم ترد أسماؤهم في الفهرست بهذه الألقاب.

آبي: ٦ ؛ آملي : ٥ ؛ أبهري : ٤ ؛ أبيوردي : ١ ؛ ارآبادي : ١ ؛ أردستاني : ٢ ؛ استرآبادي : ٨ ؛ أصفهاني : ٩ ؛ برق رود (قم): ١ ؛ بزوفر : ١ ؛ بيهقي : ١٤ ؛ جاسبي : ٥ ؛ جرجاني : ٥ ؛ خجندي : ٣ ؛ خوارزمي : ٢ ؛ دستگرد (من توابع قم) : ٣ ؛ دوريستي (طرشت): ٦ ؛ ديلمي : ٧ ؛ رازي : ٤٥ ؛ راوندي : ١١ ؛ روياني : ١ ؛ زنجاني : ٢ ؛ زينو آبادي : ٤ ؛ سبزواري : ٩ ؛ سروي (ساري): ٦ ؛ طالقاني : ٢ ؛ طبرسي (تفرش) : ٧ ؛ طبري : ٨ ؛ طوسي : ١٤ ؛ فراهاني : ١ ؛ قزويني : ٢٨ ؛ قمّي : ٣٤ ؛ قوهدي (من توابع الري) : ٣ ؛ قوسبيني (و لعلّ كاسبين أخذت من هذه الكلمة): ٤ ؛كابلي : ١ ؛كاشفري : ١ ؛كليني : ٤ ؛ كيسكي (في بيهق): ١٠ ؛ مازندراني : ٣ ؛ مامطيري (من توابع مازندران): ٤ ؛ مرعشي : ٢٦ ؛ مشهدي : ٧ ؛ ميانجي : ١ ؛ نيسابوري : ٢٦ ؛ ورامیني : ١٠ ؛ هروي : ١ ؛ هشتكردي : ١ ؛ همداني : ٩.

و يمكن أن نحصل من الاحصائيّات المتقدّمة على جدول يرسم لنا نموّ التشيّع في كلّ مدينة من المدن المذكورة. و من الطبيعي أنّ مناطق ك «بيهق» و تعدّ في مصافّ المناطق الشيعيّة بوضوح. مع هذا، نلاحظ في قزوين الّتي كانت من المناطق السنّيّة عدداً لافتاً للنظر من علماء الشيعة. و نجد في قسم من أقسام المسجد الجامع بقزوين، و هو (طاق جعفري) - بناه خمارتاش بن عبدالله بين سنة ٥٠٠ و ٥٠٩ هـ - نقوشاً تعود إلى هذا القرن. و من المؤسف أنّها وردت في مينودر بنحو يتعذّر قراءتها. و جاء فيها بعد الصلاة على خاتم الأنبياء عبارات غير واضحة، يليها ما نصّه : و رحمة الله على أمير المؤمنين، و أمام

---

١ - الفهرست : ٧٢.
٢ - الثقات : ١.

المسلمين، و ابن عمّ الرسول، و زوج البتول، أبي الحسنين مظهر العجائب، و مظهر الغرائب، الشهاب الثاقب، و غالب كلّ غالب، و نقطة دائرة المطالب، عليّ بن أبي طالب[١].

و أرّخ الرافعي لمدينة قزوين في القرن السادس، فعدّ أحياءها و قراها، و أشار إلى منطقة من مناطقها، و هي الزهراء، فقال : **و أكثر أهل الزهراء من الشيعة. و أكثر أهل البشاريات و السفح من الحنفيّة و أهل ساير النواحي شافعيّون.** ثمّ نقل حكاية، فقال : رأيت **في بعض المجاميع أنّ غريباً حضر في قرية من قرى قزوين أهلها متناهون في التشيّع، فسألوه عن اسمه، فقال: عمران ! فأخذوا يضربونه و يستخفّون به، فقال : لستُ بعمر، إنّما أنا عمران، فقالوا، فيك حروف من عمر و حرفان من عثمان**[٢] ! و نقل الراغب الاصفهاني هذه الحكاية نفسها في قرية تدعى يزداد، كان أهلها شيعة[٣]. و من الجدير بالذكر أنّ الرافعي ذكر قبراً من قبور أولاد الإمام الرضا – عليه‌السّلام – فقال : **و فيه قبر جماعة من العلويّة والشيعة**[٤]. و هذا القبر هو قبر الحسين المعبّر عنه هناك (شاهزاده حسين) و عليه بناء فخم. و نقرأ في تاريخ قزوين للاستاذ مدرّسي طباطبائي نبذة تاريخيّة عن القبر مع الوثائق المتعلّقة به.

و كان عبدالجليل القزويني الرازي في عداد علماء الشيعة الكبار في القرن السادس. و هو قزويني المَحْتِد، رازيّ الموطن.

و كانت الري من المراكز الأصليّة للتشيّع. و نظراً الى أهميّتها العلميّة، هاجر إليها كثير من الشيعة طلباً للعلم، و رغبة في الحضور في مركز علميّ. و مثالنا على ذلك عبدالجليل القزويني الرازيّ مصنّف كتاب نقض ... . و لهذا السبب نلاحظ في المعلومات الإحصائيّة المتقدّمة خمسة و أربعين عالماً شيعيّاً، لا ريب في أنّهم يمثّلون قسماً من علماء الشيعة في المدينة المذكورة. و من أبرز علماء الشيعة في هذا القرن : قطب الدّين سعيد بن عبداللّه بن حسين بن هبة اللّه الراوندي (٥١٥ – ٥٧٣) . و ينحدر من راوند الواقعة على بعد اثني عشر كيلومتراً عن كاشان في طريق قم. و هو أحد الّذين هاجروا إلى الري. ذكر ابن حجر ترجمته في لسان الميزان (٣ : ٤٨) نقلاً عن تاريخ ري، لمصنّفه منتجب الدين. و هذا و غيره من الأدلّة الأخرى الّتي نقلها الأستاذ عبدالعزيز الطباطبائي مَعْلَم على سكنه في الري[٥].

---

١ – **مينودر** ١ : ٥٤٧ .
٢ – **التدوين** ١ : ٤٨ .
٣ – محاضرات الأدباء ٢ : ٣٤٢ .
٤ – **التدوين** ١ : ٥٦ .
٥ – **نهج البلاغة عبر القرون** : (مجلّة تراثنا ٣٨ – ٣٩) ص ٢٥٦ .

صنّف الراوندي كتباً منها: **منهاج البراعة في شرح نهج البلاغة، و قصص الأنبياء، و فقه القرآن، و الخرائج و الجرائح** . و ثمّة نسخ لا تزال باقية من كتبه الّتي بلغت قرابة ثمانية عشر كتاباً، و قد طُبع جلّها. و كانت له كتب أُخرى يؤسفنا أنّنا لا نجد أثراً منها حتّى الآن. و أحصى الاستاذ الطباطبائي له ستّة و خمسين كتاباً. و لم يُلحظ بين آثاره كتاب باللغة الفارسيّة. و ذكر الاستاذ أيضاً عدداً من الشخصيّات البارزة من آل الراوندي. بينهم تسعة من أصفهان. و يتمتّع بعضهم بمواصفات دقيقة من الوجهة الجغرافيّة. منهم على سبيل المثال: أبو نصر حسن بن محمّد بن إبراهيم بن أحمد بن عليّ يونارتي أصفهاني. وكانت يونارت من القرى الواقعة في باب أصفهان. و هذا الرجل من مشايخ قطب الدين الراونديّ[١].

و ينبغي أن نلاحظ أنّ علماء الري كانوا يذهبون في البداية إلى بغداد لطلب العلم. و نعرف من هؤلاء نماذج من الرازيّين والوراميّين الّذين كانوا تلاميذ الشيخ الطوسي. مع هذا كانت الري في الدرجة الثانية، إذ تقاطر عليها طلاّب العلم من أرجاء شتّى من منطقة الجبل. و توجّه السيّد أبوالرضا فضل‌اللّه بن عليّ بن عبيداللّه الراوندي (المتوفّى بعد سنة ٥٧٢) من راوند الى بغداد لطلب العلم يوم كان شابّاً. و فيها عثر على نسخة من **نهج‌البلاغة** بخطّ الشريف الرضيّ، فاستنسخ لنفسه منها نسخة أتمّها سنة ٥١٠ ، ثمّ عاد إلى كاشان فتوطّنها.

قال السمعاني في ذيل مدخل (قاساني) : **و هذه النسبة إلى قاسان ـ و هي بلدة عند قم على ثلاثين فرسخاً من اصفهان ـ دخلتها و أقمت بها يومين و أهلها من الشيعة. و كان بها جماعة من أهل العلم و الفضل. و أدركت جماعة منهم بها ... و أدركت بها السيّد الفاضل أباالرضا فضل‌اللّه بن علي (العلوي) الحسيني القاساني، و كتبت عنه أحاديث و أقطاعاً من شعره. و لمّا وصلتُ إلى باب داره قرعت الحلقة، و قعدتُ على الدكّة أنتظر خروجه، فنظرت الى الباب فرأيت مكتوباً فوقه بالجص : «إنّما يريدُاللّه ليذهب عنكم الرجسَ أهلَ البيت و يطهّركم تطهيراً[٢]»**. و ذاع صيته في عصره، و كان من أفضل المدرّسين في كاشان، و له المدرسة

---

١ - **نهج البلاغة عبر القرون** : (مجلّة تراثنا ٣٨ - ٣٩)، ص ٢٥٧ .

٢ - **الأنساب** ٤ : ٤٢٦ .

المجدية[١]. و ذكره عبدالجليل أيضاً و نوّه بعلمه. كما ذكره عماد الكاتب في خريدة القصر معظّماً إيّاه بألقاب كثيرة[٢]. و استدلّ الأستاذ عبدالعزيز الطباطبائي على أنّه أوّل من شرح نهج‌البلاغة. و عُرفت من شرحه نسختان. و نلحظ بين كتبه كتاباً بعنوان ترجمة العلويّ للطبّ الرضوي، و هو ترجمة فارسيّة للرسالة الطبّيّة للإمام‌الرضا - عليه‌السّلام. و كان المترجَم له شاعراً بارزاً، و طُبع ديوانه بجهود (محدّث ارموي). و ننقل فيما يأتي ثلاثة أبيات منه للتبرّك:

ألا يا آل أحمدَ يا هُداتي ... لقد كنتم أئمّةَ خيرِ أُمّه
أرادكمُ الحسود بكيد سوءٍ ... فأصبح ما أراد عليه غُمّه
يريدُ ليطفىءَ النور المصفّى ... و يأبى اللهُ إلاّ أن يُتمّه[٣]

وكان السيّد كمال الدّين أبو المحاسن أحمد بن فضل الله الحسني من أولاد أبي الرضا الراوندي. شغل منصب القضاء مدّة في كاشان، و مكث فترة في أصفهان. ذكره منتجب الدين[٤].

و كانت جميع القرى التابعة لكاشان شيعيّة ما عدا راوند. و إحدى هذه القرى (ماه آباد) الّتي ينتسب إليها أفضل الدين حسن بن علي ماهابادي[٥]، الّذي أُثر عنه شرح على نهج‌البلاغة، وكان شاعراً أيضاً. و من تلاميذه منتجب الدّين الّذي أحصى عدداً من آثاره[٦]. و أشار منتجب الدين إلى جدّه الّذي كان من علماء الشيعة[٧]. و فيما يأتي أبيات من شعره في مدح أهل البيت:

على أنّني مولىً لآل محمّدٍ ... همُ شفعائي قد وصلتُ بهم حبلي

---

١ - انظر في ذلك: مجلّة تراثنا، العدد ٣٥، ٣٦، ص ١٦٩.

٢ - هذا القسم من خريدة القصر، المتعلّق بايران لم يطبع بعدُ. انظر: العبارات المذكورة في مقالة الاستاذ عبدالعزيز الطباطبائي تحت عنوان: **نهج البلاغة عبر القرون**، **مجلّة تراثنا**، العدد ٣٥، ٣٦، ص ١٦٢ - ١٦٣.

٣ - **نهج البلاغة عبر القرون**، **تراثنا**، العدد ٣٥، ٣٦، ص ١٧٩ - ١٨٠.

٤ - **الفهرست**: ٣٩، ارموي.

٥ - ماه آباد ـ التي لا تزال تعرف بهذا الاسم ـ تقع بين نطنز و اردستان على بعد ٢٣ كيلومتراً من أردستان.

٦ - **الفهرست**: ٥١، ارموي.

٧ - نفسه: ٣٥.

مـعادن وحـي اللـه أعـلام ديـنه — همُ كلمات اللّه في الصدق والعدلِ
نجوم الهدى، والمنقذون من الردى — ليوث الوغى لكنّهم سحب المـحْلِ
عـليهم سـلام اللـه غـير مـصرّد — كفاءً لذاك الفضل والخلقُ الجـزلِ[1]

و كانت بيهق من المراكز الشيعيّة أيضاً، و إنْ كثر فيها الزيديّة و المعتزلة في القرن السادس.

و من الشخصيّات الشيعيّة المشهورة فيها يومئذٍ: قطب الدّين محمّد بن حسين البيهقي النيسابوري المعروف بقطب الدين الكيدري. و كان حيّاً حتّى أوائل القرن السابع، و بالتحديد حتّى سنة ٦١٠ . له كتاب مهمّ عنوانه **حدائق الحقائق** في شرح نهج البلاغة، و قد طُبع بجهود الأستاذ عطاردي. و صنّف كتاباً مفصّلاً في عقائد الشيعة بالفارسيّة، و هو بعنوان **مباهج المهج في مناهج الحجج**، و لم يطبع بعدُ، بيد أنّ نسخاً منه لا تزال موجودة[2]. و قام حسن بن حسين الشيعي السبزواري بتلخيص هذا الكتاب، و سمّى تلخيصه **بهجة المباهج**، و هو الآن تحت الطبع. و طُبع للكيدري أيضاً كتابه الفقهي **إصباح الشيعة**، و هو باللغة العربيّة.

و ينبغي أن نذكر شخصيّة معتزليّة ذات ميول شيعيّة، و هو ابن فندق، ظهيرالدين البيهقي - علي بن زيد الأنصاري الأوسي - (٤٩٣ - ٥٦٥) شارح **نهج البلاغة**. و عنوان شرحه **المعارج**، و له **لباب الأنساب**، و **تاريخ بيهق**. و ترجم له الكثيرون ترجمة مفصّلة. منهم : الاستاذ السيّد محمّد مشكوٰة القزويني، دانش پژوه في **مقدّمة المعارج** . و الاستاذ الطباطبائي في **مجلّة تراثنا**، و ترجمته أكثر تفصيلاً من الآخرين[3]. و لد المترجَم له في قرية (ششتمد[4]) إحدى قرى سبزوار و اشتهر بالبيهقي بحقّ. و لا يرتاب أحد في علمه، و لكنّ مذهبه موضع شكّ فهل كان شيعيّاً أم حنفيّاً أم شافعيّاً[5] ؟ و أمّا هواه الشيعي، فيتبيّن من كتاب **لباب الأنساب** في نسب العلويّين، وكتاب **المعارج** في شرح **نهج البلاغة**. و من

---

١ - **نهج البلاغة عبر القرون** (**مجلّة تراثنا**، العدد ٣٨ و ٣٩) ص ٤٩٩ .

٢ - نفسه ص ٣١٦ .

٣ - انظر : مصادر ترجمته في المقالة المعنونة **نهج البلاغة عبر القرون** (**مجلّة تراثنا**، العدد ٣٧) ص ١٨٧ .

٤ - و هي القرية الّتي نزل فيها الامام الجواد عليه‌السّلام على ما نقل ابن فندق في **تاريخ بيهق** : ٤٦ .

٥ - **نهج‌البلاغة عبر القرون** (**مجلّة تراثنا**: العدد ٣٧) ص ١٨٢ . انظر : **مقدّمة المعارج** : ٦٦ .

الملحوظ هنا أنّ الشيعة كانوا معتدلين جدّاً في تلك البرهة. و تحدّثنا عن ذلك في شرحنا على كتاب نقض ... و نحن نعلم أنّ البيهقي كان من أصدقاء عبدالجليل مؤلّف الكتاب المشار إليه[١]. و انّ كتابه **لباب الأنساب** كتاب رائع في تاريخ العلويّين. و يعدّ - بدوره - مصدراً في تاريخ التشيّع أيضاً. و من الجالب للانتباه في غضون ذلك انّ عبدالجليل الرازي، الّذي ذكر البيهقي معاشرته إيّاه، جعل البيهقي في عداد أكابر الشيعة[٢]. كما انّ معاصره الآخر ابن شهر آشوب وضعه في مصاف مصنّفي الشيعة[٣].

و من المناسب أن نذكر الكتب الفارسيّة المصنّفة في القرن السادس، فنشير إلى كتاب **نزهة الزاهد و نهزة العابد**. و من المؤسف أنّ مؤلّفه مجهول. و ذكر العلّامة الشيخ آقابُزُرْك أنّ بعض المصنّفين نقلوا من الكتاب المشار إليه في كتبهم ، و من هذه الكتب : **معتقد الإماميّة**، و **سفينة أهل البيت** ، و **زبدة الدعوات**، و **كفاية المهمّات**. و توجد نسخ منه في المكتبات[٤]. و لعلّ هذا الكتاب الجميل صنّف سنة ٥٩٦ ، و ينبغي ألّا ننسبه إلى الطبرسي المتوفّى سنة ٥٤٨ . و ورد في فهرس المجلس نموذج من ألفاظه، لا شكّ أنّه يُبين نسبته إلى القرن السادس[٥].

و يمكن أن نشير إلى كتاب آخر من الكتب الفارسيّة في ذلك القرن، مع أسانا على ضياع أصله، و هذا الكتاب هو **رامش أفزاى آل محمّد**[٦] و يعني الّذي يزيد الفرح والطرب. و مؤلّف هذا الكتاب هو الشيخ محمّد بن حسين المحتسب. و قرأ منتجب الدين نفسه قسماً من هذا الكتاب على المؤلّف. و نقل ابن شهر آشوب مقطوعتين منه في كتابه: **مناقب آل أبي طالب**[٧].

و يجب أن نُلمع إلى ترجمة **نهج البلاغة** من بين الكتب الفارسيّة الشيعيّة في القرن

---

١ - **المعارج** : ٣٦ .
٢ - **نقض** : ٢١٢ .
٣ - **معالم العلماء** : ٥١ - ٥٢ .
٤ - مكتبة كليّة الالهيّات في مشهد، رقم ٦٤٩ . جامعة طهران، فهرس الأفلام، ص ٢٦٤ ، ٨٠١ ، رقم ٤٦٤٦، المكتبة المركزيّة المركزيّة في جامعة طهران، رقم ٧٣٨٠ ، فهرس مكتبة المجلس، ج ٧ ، ص ١٢٠ ، رقم ١١٤ .
٥ - هو الآن تحت الطبع .
٦ - **الفهرست** (ارموي)، ص ١٠٩ ، رقم ٣٩٤ ؛ **نقض** : ١٩٥ ؛ **أمل الآمل**؛٢ : ٢٦٨ .
٧ - **الفهرست** (ارموي) : ٤٣٥ .

السادس. و تاريخ الترجمة سنة ٥٧٣ . و يلاحظ في هذه النسخة نهج البلاغة مع ترجمة فارسيّة في ثنايا سطوره. و تحتفظ المكتبة المركزيّة في جامعة طهران بنسخة منه[١].

أمّا في حقل الأدب الشيعي المنظوم في ذلك القرن، فلابدّ أن نشير إلى شعر سَنائي (المتوفّى سنة ٥٤٥) . و قد عُدّ من شعراء الشيعة. و نقلنا آنفاً كلام عبدالجليل في شعراء الشيعة، بخاصّة سنائي. و مافتىء السؤال مثاراً حول هذه الضروب من الشعر، فهل هي تدلّ على تشيّع إماميّ خالص أم على هوى شيعيّ ؟ و لكن ينبغي الالتفات - على أيّ حال - إلى أنّ التشيّع يبدأ بمودّة أهل البيت، و ينتهي بطاعتهم عبر معرفتهم معرفة عميقة.

و ننقل فيما يأتي شيئاً من أشعار سنائي الّتي اختارها الأُستاذ أحمدي بيرجندي و تعريبها : يا أميرالمؤمنين ! يا شمع الدين !يا أباالحسن! يا من تخطف روحالعدّو بضربة واحدة. كلّ من لا يرسخ حبّك في قلبه كالروح، و كلّ من لا يقترن عشقك بروحه. فسوف يُحرم من جنّات العلى بلاخلاف، و سوف يخلد في النار محروماً محزوناً[٢].

و قال في موضع آخر و تعريبهما : إذهب و تحرّ مدينة العلم و سر فيها باتّئاد، فالى متى تبقى خلف الباب كحلقة الباب ؟ و لمّا كنت تعرف انّ حيدراً هو باب مدينة العلم، فلا يحسن بك أن تتّخذ غيره أميراً و سيّداً[٣].

لى أن قال: إذا خلتَ نفسك مؤمناً، فآية ذلك اعتناق دين جعفر (الصادق عليه‌السّلام).[٤]

و يمكن أن يدلّ البيت الأخير على تشيّع جعفري كان يعتقد به الشاعر. و نظم سنائي

---

١ - فهرست ١٤ : ٣٩١٧ ، رقم ٤٨٧٦ ؛ المتبقّي من مخطوطات نهج‌البلاغة : ٧٣ .

٢ -

أي أميرالمؤمنين ! أي شمع دين ! أي بوالحسن — أي به يک ضربت ربوده جان دشمن در بدن
هردلی کو مهرت اندر دل ندارد همچو جان — هر دلی کو عشقت اندر جان ندارد مقترن
روی جنّات العلی هرگز نبیند بی خلاف — لا یزالی ماند اندر نار با گُم و حزن

٣ -

شو مدینه ی علم را در جوی، پس در وی خرام — تا کی آخر خویشتن چون حلقه بر در داشتن!
چون همی دانی که شهر علم را حیدر در است — خوب نبود غیر حیدر میر و مهتر داشتن

٤ - گر همی مؤمن شماری خویشتن را بایدت — مهر زرّ جعفري بر دین جعفر داشتن

قصيدة في مدح الإمام الرضا - عليه‌السّلام، قال فيها و تعريبهما: للدين حرم في خراسان ييسّر لك العسير يوم المحشر هو كالكعبة المكتظّة بالزوّار الوافدين من كلّ مكان وكالعرش الحافل بالملائكة في كلّ زمان[1].

و يواصل الشاعر مدحه حتّى نلحظ في هذه القصيدة مضامين تجعل الشاعر في عداد الشيعة الإماميّة. مع هذا لا يمكن أن نلغي وجود مثل هذه الأفكار الّتي تقر بالإمام عليّ - عليه‌السّلام - إماماً للشيعة و هي تمجّد من سبقه من الحكّام.

و من الجدير ذكره أنّ الملاّ محمّد طاهر القمّي المناهض للصوفيّة ينكر عدّ سنائي من شعراء الصوفيّة، كما ينكر تشيّعه. و من أدلّته على ذلك أنّ أحداً من العلماء المتقدّمين لم ينصّ على تشيّعه. و نحن قد أشرنا سابقاً إلى أنّ عبدالجليل القزويني يراه شيعيّاً. و من الطريف أنّه نقل أشعاراً و حكايات عن تشيّعه، ثمّ أنكر نسبة هذه الأشعار إليه لسبب واحد يتلخّص في أنّه لو كان يحمل مثل هذه الأفكار، للقي من السنّة أذى كثيراً. و مثّل بالسؤال الّذي وجّهه السلطان سنجر إليه. إذ سأله قائلاً: أيّ المذهبين على حقّ : مذهب السنّة أو مذهب الشيعة ؟ فأجاب سنائي بثلاثة أبيات عدّ فيها المذهب الشيعي هو المذهب الحقّ، فقال: و تعريبها: إنّ من تدعوه أميراً على عليّ المرتضى لا يساوي - والله - نعل قنبر. لمّا كان التاج و العرش لا يليقان بعد السلطان ملكشاه إلاّ بسنجر فكيف يليق المحراب و المنبر بعد النبيّ بغير عليّ و آل علي[2]؟

و نقل الأبيات الآتية أيضاً و تعريبها : قالوا: رحل نبيّنا عن هذه الدنيا و ورّث الخلافة فلانا و فلاناً. لم يورّث مَلِك مِلْكَه غريباً قطّ. فاقرأ ذلك في تاريخ ملوك العالم. و لم يورّث

---

١ - تابش تشيّع بر فراز خاوران ١٣ .

دين را حرمی است در خراسان | دشوار تو را به محشر آسان
چون كعبه پر آدمی زهر جای | چون عرش پر از فرشته هرزمان

٢ -

آنكه او را بر عليّ مرتضی خوانی أمير | بالله از او می تواند كفش قنبر داشتن
از پس سلطان ملكشه چون نمی داری روا | تاج و تخت پادشاهی جز كه سنجر داشتن
از پس سلطان دين، پس چون روا داری همی | جز عليّ و عترتش، محراب و منبر داشتن

مسلم غريباً مع وجود البنت و الصهر و ابن العمّ و السبط[١].

و يتعسّر علينا تشخيص مذهب سنائي إذا ما قرأنا شعره في **حديقةالحقيقة**. فقد عبّر فيه عن نزعته إلى الوحدة، إذ استهلّه بمدح رسول‌الله - صلّى‌اللّه عليه و آله و سلّم، ثمّ ثنّى بأبي‌بكر (ص ٢٢٦ - ٢٣٣) ، و ثلّث بعمر (ص ٢٣٤ - ٢٣٩)، ثمّ عرّج على عثمان (٢٣٩ - ٢٤٤)[٢]، و خلص أخيراً الى مدح الإمام علي - عليه‌السّلام (٢٤٤ - ٢٦٢). و تساوي الصفحات المخصوصة ببيان مناقب الإمام الصفحات الّتي تتحدّث عن الخلفاء الثلاثة. و حين فرغ الشاعر من مدح أميرالمؤمنين، انتقل إلى مدح الامام الحسن، فالامام الحسين، و أخيراً أبي حنيفة، والشافعي. و نلمس رؤية إماميّة في كلماته عن الامام و تعريبها: نصب الله خليفة المصطفى أميراً يوم الغدير. و لأجله دعا المصطفى ربّه قائلاً: اللّهم والِ من والاه. هو للنبيّ وصيٌّ و صهر، و سُرّت روح النبيّ لجماله[٣].

و يسجّل الشاعر موقفاً ضدّ معاوية، فيقول: و تعريبه : إعلم أنّ من تدعوه الآن معاوية، هو الآن في الهاوية.[٤]

و يذكر الشاعر حديث الثقلين بأفضل وجه و يقول و تعريبها: لمّا رحل المصطفى عن هذه الدنيا، و تأهّب للعقبى. قال له الصحابة قلقين: ماذا خلّفت فينا ؟ قال : خلّفت فيكم

---

١ - **تحفة الأخيار** : ٢٦٩ - ٢٧٠ .

گويند كه پيغمبر ما رفت از عالم — ميراث خلافت به فلان داد و به بهمان
هرگز ملكى ملك به بيگانه نداده است — رو دفتر شاهان جهان جمله تو برخوان
با دختر و داماد و بني عم و نبيره — ميراث به بيگانه دهد هيچ مسلمان

٢ - قال فضيلة الأستاذ مايل هروي إنّ في أفغانستان نسخة من كتاب **حديقة الحقيقة** تخلو من مدح الخلفاء، علماً أنّه نفسه لم ير النسخة المذكورة.

٣ - **حديقة الحقيقة** : ٢٤٧ .

نائب مصطفى به روز غدير — كرده در شرع مر ورا به امير
بهر او گفته مصطفى به اله — كاى خداوند وال من واله
مر نبى را وصى و هم داماد — جان پيغمبر از جمالش شاد

٤ - **حديقة الحقيقة** : ٢٥٩ .

و آنكه خوانى كنون معاويه‌اش — دانكه در هاويه است زاويه‌اش

كتاب الله و عترتي، فارعوهما حقّ رعايتهما[١].

و يمكن أن نلحظ مرحلة من التطوّر في الرؤيةالسنّيّة من خلال هذه الأبيات الأخرى الّتي أنشدها في الردّ على الروافض[٢]. تلك الرؤية أفضت إلى نوع من المذهب السنّي الإمامي فيالقرن السابع (لاحظوا البحوث القادمة).

و تحدّثنا في المبحث المتعلّق بتاريخ امتداد التشيّع في الري عن تشيّع هذه الحاضرة مفصّلاً. و ذكرنا شاعراً شيعيّاً في القرن السادس و هو قوامي رازي. و من حسن الحظّ أنّ ديوانه موجود إذ طبع بجهود المرحوم محدّث أرموي. و استعرضنا في مقال مستقل نزعاته الفكريّة بخاصّة في مجال دعوته إلى الوحدة بين الشيعة و السنّة[٣].

و من الشعراء الفرس في القرن السادس أبو المفاخر رازي. و لقبه يشير إلى أنّه كان من أهل الري. و قصيدته الطويلة في مدح الإمام الرضا - عليه‌السّلام - من القصائد المعروفة في هذا العهد. و قد جاراه فيها كثير من الشعراء، و فيهم من شرحها. و مطلع هذه القصيدة و تعريبه : احترق الجناح المرصّع للطائر الملوّن، و أبكىٰ يوسفُ صاحب القميص اللطيف زليخا[٤].

ثمّة شروح على هذه القصيدة، منها رسالة حل ما ينحل، و قد طبعت في دفتر دوم ميراث إسلامى ايران بجهود الاستاذ حسن‌زاده آملي. و تحدّثنا في مقدّمتها عن شخصيّته التاريخيّة. و أهمّ أثر مفقود للشاعر أبي المفاخر هو مقتل الحسين. و لعلّ جُلّ ما فيه أشعار فارسيّة في شرح واقعة كربلاء. و كان هذا الكتاب عندالملاّ حسين كاشفي مصنّف روضة الشهداء، و قد نقل كثيراً من أشعاره هناك. و كان لهذا العالم الشيعي في القرن السادس الهجري قسط كبير في تدوين المقتل الحسيني باللغة الفارسيّة من خلال ترجمة أراجيز

---

١ - حديقة الحقيقة : ٢٦٠.

مصطفى گاه رفتن از دنيا / چون بسيجيد منزل عقبى
جمله أصحاب مرو را گفتند / كه چه بگذاشتى برآشفتند
گفت بگذاشتم كلام الله / عترتم را نكو كنيد نگاه

٢ - نفسه : ٢٣٢ - ٢٣٣.

٣ - انديشه تفاهم مذهبى : ٦٣ - ٧٧.

٤ -

بال مرصّع بسوخت مرغ ملمع بدن / اشك زليخا بربخت يوسف گل پيرهن

الزوّار الوافدين على كربلاء إلى أراجيز فارسيّة. و من المناسب أن ننقل نموذجاً من شعره في مقتل الحسين، و يمكن أن يشكّل هذا النموذج مدخلاً إلى الشعر العام المنظوم في كربلاء. و تعريبها: طوبى للحرّ الحكيم المشهور إذ فدّى آل أحمد بروحه. و نزل من رخش (اسم حصان رستم) التكبّر و ركب بُراق الشهادة. و نكّل بالعدوّ حبّاً لبضعة المصطفى [1].

و تحدّثنا عن هذا الموضوع مفصلاً في إحدى مقالاتنا الّتي كتبناها عن الملاّ حسين كاشفي وكتاب روضة الشهداء [2].

التشيّع في إيران خلال القرن السابع

تُعدّ الآثار الفارسيّة التي صنّفها الكتّاب الشيعة من المعالم الّتي تذكّر بالتشيّع في إيران. و تدلّ هذه الآثار على أنّ التشيّع امتدّ فيها إلى درجة أنّ آثاراً بالفارسيّة تصنّف للشيعة. و من هؤلاء الكتّاب، الحسن بن علي بن محمّد بن علي بن الحسن الطبري صاحب كتاب كامل بهائى. و له آثار أُخرى في التشيّع أيضاً. و هو أحد المعدودين من فضلاء الشيعة في مجمع الأُخوة الجوينيّين. و صنّف كتاب مناقب الطاهرين في التولّي، وكتاب كامل بهائى في السقيفة في التبرّي [3]. [المقصود تولّي أهل البيت عليهم السلام و البراءة من أعدائهم]. و صُنّف مناقب سنة ٦٧٣ باسم الخواجه بهاءالدّين محمّد الجويني نجل الخواجه شمس‌الدّين الجويني. و ليس في أيدينا معلومات دقيقة عن حياته. و نقل الأُستاذ مايل هروي أنّه كان يقيم في قم قبل عام ٦٧٢ ، ثمّ توطّن أصفهان. و قيل إنّه قدم أصفهان تلبية لدعوة محمّد الجويني من أجل مناظرة السنّة [4]. و من الطبيعي أنّه ألّف كتاب مناقب

---

١ - روضة الشهداء : ٢٢٣ .

خوشا حرّ فرزانه نامدار	كه جان كرده بر آل احمد نثار
ز رخش تكبّر فرود آمده	شده بر براق شهادت سوار
به عشق جگرگوشهٔ مصطفى	بر آورده از جان دشمن دمار

٢ - ملاّ حسين كاشفى و روضة الشهداء ، آينه پژوهش ، العدد ٣٣ .

٣ - ذكر الطبري هذا النقطة في ديباجة كتاب كامل ... و قال انّه صنّفه باسم محمّد الجويني نجل شمس‌الدين .

٤ - مناقب الطاهرين : (رسالة بشأن ...)، عبّاس اقبال ، ص ٦٩ .

الطاهرين باسمه أيضاً. توفّي هذا الشخص قبل نهاية القرن السابع الهجري[١]. و انّ النقطة الرائعة في آثاره تعبيره في مقدّمة كامل، إذ ترجم فيه حبّه شمسَ‌الدين الجويني، و ثناءه عليه كما هو أهله، و قال بصراحة: و وجبت التقيّة على الشيعة الإماميّة لقلّة الأعوان و الأنصار، أمّا اليوم فقد حُرّمت عليهم لظهور هذه الدولة.

لقد صنّف الطبري كثيراً من آثاره في أصفهان. و يدلّ هذا على أنّ التشيّع كان آخذاً بالامتداد فيها تدريجاً خلال القرن السابع. و من آثاره: كتاب الأربعين. قال في مقدّمته: كنتُ بمدينة أصفهان و لقيتُ علماءَها، و فيهم جماعة يفضّلون الصحابة على عترة الرسول - عليه‌السّلام - و أهل بيته، و جماعة يفضّلون العترة على الصحابة. و لمّا كان الأمر كذلك رأيتُ - أنا الأقلّ الداعي - من الضروري أن أكتب عدداً من الأدلّة في ترجيح الطائفة الثانية نقلاً عن كتب الطائفة الأولى[٢].

و ورد له كتاب في فهرس مكتبة مسجد أعظم، ترجم عباراته العربيّة عالم يدعى رضيّ‌الدين عبدالملك شمس‌الدين بن إسحاق بن فتحان الواعظ القمّي الكاشاني، و ألحق الترجمة بالمتن، و أشار الطبري في موضع من هذا الكتاب إلى حضوره في أصفهان و قال: «اتّفق لي الحضور بمدينة أصفهان زوال يوم العاشر من المحرّم سنة ٦٧٣. فرأيت جمعاً من علماء المدينة و فقهائها و صلحائها و قد ارتدوا ثياباً قشيبة ثمينة، و حلقوا رؤوسهم ولحاهم، و كحلوا أعينهم، و خضبوا أيديهم و أرجلهم بالحنّاء، و كانوا يتغنّجون و يتبخترون و يتضاحكون و هم ذاهبون إلى عرس[٣]». و هذا العمل من رواسب تقليدٍ شاذٍّ كان مألوفاً عند السنّة يومئذٍ، إذ كانوا يتّخذون العاشر من المحرّم عيداً.

و ينبغي أن نذكر كتاب **تحفة الأبرار** من بين كتبه الفارسيّة، و هو في أصول الدين. و صنّفه بفارسيّة بيّنة واضحة، استجابة لدعوة جمع من الأحبّة على ماذكر. و أكّد في موضع من هذا الكتاب مرور سبعمائة سنة على عصر رسول‌الله - صلّى‌اللّه عليه و آله[٤]. و ألمع في موطن آخر إلى سيطرة الشيعة على مكّة والمدينة، إذ «إنّ الأشراف في مكّة هم

---

١ - أربعين، (مقدّمة) (مشكوة، شتاء ١٩٨٦ م، العدد ١٢، ١٣) : ١١٢ .

٢ - نفسه : ١١٧ .

٣ - **فهرست نسخه‌هاى خطّى كتابخانه مسجد أعظم قم** : ٣٢ . [فهرس مخطوطات مكتبة مسجد أعظم بقم].

٤ - **تحفة الأبرار** : ٢٧ .

رؤساؤها و كبراؤها، و سادات بني الحسين في المدينة هم زينة الدارين». و هؤلاء كلّهم شيعة[١].

و قال في موطن آخر: دار البحث بيني و بين جماعة من الشافعيّة في أصفهان حول الإمامة. و قلتُ في آخر المطاف: لو فرضنا أنّ الخلفاء الأربعة في هذه المدينة، و لكلّ واحد منهم منزل، و جاء النبيّ - صلّى‌اللّه عليه و آله، فأين ينزل ؟ فقالوا بأجمعهم: ينزل في بيت عليّ. فقلتُ : الحمد للّه إذ ثبتت دعواي، فلو كان أحد الثلاثة الآخرين أهلاً، لنزل النبيّ - صلّى‌اللّه عليه و آله - في بيته[٢]. و قال في مكان آخر: يدلّ قوله تعالى: يدخلون في دين اللّه أفواجاً على أنّ الحقّ للشيعة، ذلك أنّهم جنحوا إلى الإسلام و ركنوا إلى الايمان من بين الملل و النحل الأخرى، و صدفوا عن المذاهب المختلفة، و تمسّكوا بمذهب أهل البيت، و دخل الناس في التشيّع أفواجاً، حتّى صار أهل طبرستان و العراق (عراق العجم) كلّهم شيعة لأميرالمؤمنين. و كذلك أصبح أهل العراق (العراق العربي)، و خراسان، و معظم بلاد الإسلام، حتّى الهند شيعة ببركة المِلِك (عالم پناه) [ملاذالعالم] و يذكرون الأئمّة الإثني عشر في الخطبة، و يلعنون ظلمة أهل البيت، ويدلّ هذا على أنّ الشيعة هم أهل المذهب الحقّ، و غيرهم أهل المذهب الباطل[٣]. و أشار في موضع آخر من كتابه إلى أنّ الّذين سلكوا مدارج اليزيديّين كانوا يمضون يوم عاشوراء باللهو والسرور، و يخضبون أيديهم بالحنّاء ليلة العاشر من المحرّم، ليمضوا يوم العاشر في الغناء. كما فعل لار إذ اتّخذوا يوم العاشر من المحرّم عيداً، و كانوا يسمّونه: (محيا) . و كذلك فعل المشايخ و المتصوّفة المشائيم إذ كانوا يستمعون إلى الدفّ و الناي و المزمار في ذلك اليوم. نعوذ باللّه من شرور أنفسهم و من سيّئات أعمالهم، لكن بحمداللّه و منّه إذ نشاهد في هذه الأيّام المباركة أنّ عقرب الساعة يعدّ عكسيّاً، فإنّ الناس في العراق و خراسان، بل في بلاد الهند يلعنون أبابكر، و عمر، و عثمان ، و جميع أعداء عليّ على المنابر، و يمدحون أهل بيت سيّد المرسلين و يذكرون مناقبهم[٤].

و للطبري كتاب الفصيح، و هو باللغة الفارسيّة أيضاً. و كان له كتاب ضخم في الإمامة صنّفه ري. و ألّف كتابه : الكفاية في الإمامة بمدينة اصفهان. و لعلّ كتاب معتقد الإماميّة من

---

١ - تحفة الأبرار : ٤٦ .

٢ - نفسه : ٤٧ .

٣ - نفسه : ٥٩ .

٤ - نفسه : ١٤٩ .

مؤلّفاته أيضاً كما ذكر ذلك محقّقه. و يُعدّ هذا الكتاب من أثمن الكتب الفارسيّة في عقيدة الشيعة و فقهها ممّا جاد به القرن السابع.

و ثمّة رسالة بعنوان فضائل أئمّه و أهل بيت في المجموعة المرقّمة ٤٧٦٨ في مكتبة آخوند بهمدان جاء في مستهلّها ما نصّه: نُقل عن الثقات أنّ الشيخ أبا الفتوح الرازي ـ قدّس سره - لمّا وصل أصفهان في طريقه إلى الحجّ، سمع أنّ شرذمة من الفجّار كانوا يسبّون الأمير راكب (دُلدُل) [اسم بغلة الإمام أميرالمؤمنين - عليه‌السّلام] أي : حيدر الكرّار، فرأى أنّ الحؤول دون هذا الأمر أوجبُ عليه من الحجّ[١] ... و لعلّه صنّف الرسالة المشار إليها لهذا الغرض.

و نلحظ أثراً فارسيّاً آخر أنتجه ذلك العصر، و هو رسالة في الإمامة لعالم ذكر اسمه كالآتي: أبو الفضل محمّد بن أبي‌المكارم علويّ حسيني. و صنّف هذا الأثر الثمين سنة ٦٤٩، على ما ذكره مصنّفه. أي : قبل الغارة المغوليّة على بغداد بسبع عشرة سنة[٢]. و أشار المصنّف في مطلع الرسالة إلى أنّ هدفه من تأليف الرسالة إثبات أفضليّة أهل البيت على الآخرين[٣]. و دوّنها بأسلوب الحوار مع سنّي كان - على ما نقل - مطّلعاً على فنون العلوم.

و ينبغي أن نذكر آل الجويني كأُسرة شيعيّة، و إنْ كانوا محتاطين معتدلين في هذا السبيل ككثير من السياسيّين غيرهم. و لعلّ أكثرهم تشيّعاً هو محمّد بن محمّد الجويني نجل الخواجه شمس الدين الجويني. و قد حكم أصفهان ردحاً من الزمن، و ألّف الطبري المارّ ذكره آنفاً كتاب كامل بهائى باسمه. و ألّف المحقّق الحلّي كتاب المعتبر في شرح المختصر باسمه أيضاً. و كذلك فعل الخواجه نصيرالدين الطوسي إذ صنّف كتاب أوصاف الأشراف، و [مائة كلمة بطلميوس][٤] باسمه[٥]. و لم يعمّر هذا الرجل طويلاً. و قيل في أبيه شمس الدين الجويني أيضاً أنّه اعتنق المذهب الإمامي، و إنْ كان آباؤه من الشافعيّة[٦]. و ذُكرت أدلّة على تشيّع عطا ملك الجويني أخي شمس الدّين، منها أنّ ابن ميثم البحراني

---

١ - فهرست نسخه‌هاى خطى كتابخانه‌هاى رشت و همدان : ١٥٤٩ .

٢ - على عكس ما ذكره محقّقه، إذ ذهب الى انّه صُنّف أيّام حكومة المغول.

٣ - ميراث اسلامي ايران، العدد ٢ ، ص ٥٠٣ - ٥٢٦ .

٤ - صد كلمه بطلميوس.

٥ - الأنوار الساطعة : ١٧٣ .

٦ - نفسه : ١٧٢ .

أهدى كتابه: شرح نهج البلاغة إليه. و أنّ تمجيده الاخوين الجوينيّين لا يُبقي شكّاً في تشيّعهما، يقول : **فإنّهما لهذه الأمّة بدران مشرقان يُستضاء بأنوارهما، و بحران زاخران يُغترَف من تيّارهما، وطودان شامخان يستعاذ بأقطارهما، و عمادان يقوم بهما في الوجود أركان الايمان، و صارمان يصول بهماالدين القيّم على سائر الأديان. فجزاهما اللّه عن الإسلام و أهل الفضل جزاء المحسنين، و خصّهما من وظائف فضله بأكمل ما أعدّه لعباده الصالحين، و قرن سعادتهما بالدوام و الاستمرار، و عضد آراءهما بمطاوعة الأقضية و الأقدار، وصان دولتهما عن حوادث الأيّام و آفاتها، و جعل نتايج أفعال أعدائهما تابعة لأخسّ مقدّماتها**[١].

و كان الإربلي من الشخصيّات الشيعيّة المتألّقة في بغداد. و ذُكر أنّه قدمها في رجب سنة ٦٦٠ للخدمة عند علاءالدين الجويني صاحب الديوان[٢]. و تولّى رئاسة ديوان الإنشاء في حكومة بغداد[٣]. و كانت علاقاته بعطا ملك الجويني و أخيه شمس الدين الجويني وزير الحاكم المغولي حسنة و ودّية جدّاً. و كان بينه و بين حاكم العراق قاسم مشترك مهم لاهتمامه بالأدب من جهة - و هو ماكان يحبّه الجويني - و لتشيّعه من جهة أُخرى. و أنشد القاضي نظام الدّين أصفهان الشاعر الشيعي يومئذٍ، في مدح عطا ملك قائلاً:

قل للنواصب كفّوا لا أباً لكم ... لشيعة الحقّ يأبى اللّه توهينا
أعاد أهل ملوك الترك رونقهم ... و زادهم ببهاء الدين تمكينا
يرى عليّاً وليّ اللّه مدّخراً ... للحشر أولاده الغرّ الميامينا[٤]

و بذل الجويني جهوداً كبيرة في إعمار النجف الأشرف. و هو نفسه دُفن في مشهد الإمام علي - عليه‌السّلام[٥]. مات في ذي الحجّة سنة ٦٨١ بعد أن تعرّض ذووه لأذى بليغ من قبل الحاكم المغولي. و تستبين العلاقة الوطيدة للإربلي الشيعي بعلاء الدين و شمس‌الدين من الشعر الكثير الّذي أنشده في وصفهم، و تعابير الاحترام الّتي قالها فيهم. وورد شعره المشار إليه في مواضع من التذكرة الفخريّة[٦]. و كانت تجري بينهم مطارحات

---

١ - **شرح نهج البلاغة**، ابن ميثم ١ : ٣ - ٤.
٢ - **التذكرة الفخريّة** : ٤١.
٣ - حول المسؤوليّة المهمّة لديوان الانشاء، انظر: **صبح الأعشى** ١ : ١٠١ - ١٢٩.
٤ - **الذريعة** ١٤ : ١٨٠.
٥ - انظر : **الأنوار الساطعة** : ٩٧ - ٩٨.
٦ - **التذكرة الفخريّة** : ١٥٦، ١٥٨ - ١٥٩، - ١٦٠، ١٦٤، ٢٥٦ - ٢٥٧.

أدبيّة تُستشفّ من بعض مواطن الكتاب المذكور[١]. يقول الإربلي في علاقاته بعطا ملك الجويني: لمّا قدمتُ بغداد في رجب ٦٦٠ لخدمة مولى الصاحب الأعظم سلطان وزراء العالم علاء الحقّ والدّين صاحب الديوان عطا ملك ... دخلتُ في سلك أتباعه، و صرتُ من أنصاره و مريديه، و اقتفيتُ أثره، فشملني برّه، و وكل اليّ منصب كتابة الإنشاء و أنعم عليّ بأنواع النعم، و وجدتُه شخصاً مكرّماً و ذا خلق مهذّب[٢].

و بينما كان عطا ملك الجويني متوجّهاً لإقامة صلاة الجمعة في الخامس عشر من جمادى الآخرة سنة ٦٦٨ إذ هاجمه شخص بسكّين قريباً من المسجد الواقع بالقرب من «مشرعة الابرينية» ، و طعنه عدّة طعنات، ثمّ فرّ فقُبض عليه. و نُقل الجويني إلى دار بهاءالدّين عليّ بن عيسى الإربلي، و كان الإربلي، يومذاك في دار مشهورة بديوان الشرابي. و لمّا علم به خرج حافياً و حمله إلى البيت، و أحضر له طبيباً. و هكذا نجا علاءالدين الجويني من الموت[٣]. و إنّنا نرمي من نقل هذه التفاصيل تبيان العلاقة الّتي تربط آل الجويني بالتشيّع و الشيعة. وكانوا عاملاً مهمّاً في بثّ التشيّع من خلال سيطرتهم على الجانب الشرقي من العالم الإسلامي.

و انعكس الأدب الفارسيّ الشيعي في آثار الشعراء السنّة في القرن السابع. و ينبغي أن نذكر في هذا المجال ما نُظم في كربلاء. و كان الشيعة آنذاك يقيمون مجالس العزاء سنويّاً لمناسبة عاشوراء. و هذه المراسم كانت معروفة عند السنّة، يقول سيف فرغاني، و هو أحد الشعراء في تلك الفترة و تعريبها: يا قوم ابكوا في هذا العزاء، ابكوا على قتيل كربلاء. الى متى هذا الضحك بقلب ميّت ؟! ابكوا اليوم في هذا العزاء. قتلوا ابن الرسول، فابكوا لوجه الله[٤].

---

١ - **التذكرة الفخريّة** : ١٧٢ . و انظر أيضاً: **رسالة الطيف** : ٥٨ .

٢ - نفسه : ٤١ - ٤٢ .

٣ - **الحوادث الجامعة** : ١٧٦ . انظر : **مقدّمة القزويني على تاريخ جهانگشاى** ١ : ٤٠ : ٣٣ .

٤ - **ديوان سيف فرغاني** ، طهران ١٩٨٥ م، ص ١٧٦ .

اى قوم در اين عزا بگرييد	بر كشته كربلا بگرييد
با اين دل مرده خنده تا چند	امروز در اين عزا بگرييد
فرزند رسول را بكشتند	از بهر خداى را بگرييد

أمّا الحقل الآخر لانعكاس الأدب المذكور في آثار الشعراء السنّة، فيتمثّل في مدح الإمام الرضا - عليه‌السّلام - الّذي دُفن في ايران، بخاصّة أنّ الخراسانيّين أحبّوه حبّاً شديداً آنذاك. و من شعراء القرن السابع: سيّد ذوالفقار شرواني (المتوفّى بعد سنة ٦٩٠). و له شعر في مدح ذلك الإمام الهمام، تجلّى في قسم من أشعاره المعروف بـ(تَركيب بَنْد[١]) و قام أحد الكتّاب بطبع هذا القسم. و قال : إنّ هذا (التركيب بند.) من أقدم أنواعه في مدح الإمام الرضا - عليه‌السّلام. و فيما يأتي نموذج من هذه الأشعار و تعريبهما: يا من يتمتّع الملائكة بالجاه من تراب عتبتك، و يا من تتزيّن دارالجنان و تتعطّر من نسيم روضتك.

في جوار تربتك الطاهرة يقول الروح الأمين للخضر في كلّ زمان: دَع عنك عين الحياة[٢].

و من الضروري أن نشير في هذا العصر إلى العطّار النيسابوري (م ٦١٨). فهذا الشاعر مدح الخلفاء جميعهم في مستهلّ كتابه : منطق الطير. و يلحظ في القسم المخصوص لمدح أبي‌بكر، و بعده أنّه كان شديد التأثّر بالنزعات المناوئة للتشيّع. بعبارة أُخرى :إنّ امتداد التشيّع و اتّساع نطاقه في عصره حمله على مهاجمة الشيعة - ما سنحت له الفرصة - بوصفهم مخالفين للصحابة. و قد قال في شأن أبي بكر و تعريبه: كيف تستسيغ أن يرضى أصحاب الرسول برجل باطل[٣]؟!

و في مناسبة أُخرى، وصف الشيعة بالتعصّب تحت عنوان [حول التعصّب][٤] و تكلّم ضدّ التشيّع كثيراً[٥].

---

١ - تركيب بند: شكل من أشكال الشعر الفارسي يتكوّن من عدّة مقاطع كلّ واحد منها ذو رويّ خاص. و في نهاية كلّ مقطع يُذكر بيت يختلف عن البيت الّذي سبق. نقلاً عن **المعجم الفارسي الكبير** للدكتور ابراهيم الدسوقي شتا ١ : ٧٢٤.

٢ - قديمی‌ترين تركيب بند در ستايش بارگاه امام رضا عليه‌السّلام (مشكوة، شتاء ١٩٨٥ م، العدد ٩) ص ١٧٥ . (أقدم تركيب بند في مدح مرقد الإمام الرضا عليه‌السّلام).

ای ز خـاك آسـتانت قـدسيان را آبـروی   و ز نسـيم روضـه‌ات دارالجنان را رنگ و بـوی

... در جوار خاك پاكت هـر زمـان روح الأمـين   به خِضر گويد كه دست از چشمهٔ حيوان بشوی

٣ - **منطق الطير** : ٢٧ .

كی روا داری كه أصحاب رسـول   مرد ناحق را كـنند از جـان قـبول

٤ - اندر تعصّب.

٥ - نفسه : ٣٠ - ٣٤ .

و من المناسب أنْ نشير إلى أنّ نسخة من (الشاهنامه) كُتبت سنة ٦١٤ و هي مختومة بالجمل الآتية: تمّ المجلّد الأوّل من (الشاهنامه) بتوفيق و حبور، و ذلك في يوم الثلاثاء الثلاثين من شهر محرّم المبارك ! سنة ستمائة و أربع عشرة، بحمداللّه تعالى و حسن توفيقه و صلّى اللّه على خير خلقه و آله الطيّبين الطاهرين[1]. و الشاهد في كلامنا هنا العبارة الأخيرة للكاتب.

و من المعالم الشيعيّة الباقية من القرن السابع آثار ملحوظة في مدينة قمّ الّتي تعدّ من المراكز الشيعيّة العريقة في ايران على امتداد القرون. فقد كان يحيط بالمرقد القديم للسيّدة فاطمة بنت موسى بن جعفر - عليهماالسّلام - القيشاني العائد إلى أوائل القرن السادس، و هو من إنتاج مصنع القيشاني لصاحبه محمّد بن أبي طاهر الّذي تُلمس له آثار شيعيّة وافرة من ذلك العهد في ورامين، وكاشان ، و قم. و نقرأ على مرقد السيّدة المذكورة نصّاً دعائيّاً في الصلوات. و هو كما يأتي: **اللّهمّ صلّ على المصطفى والمرتضى والبتول والحسن المجتبى والحسين الشهيد والسجّاد والباقر والصادق والكاظم والرضا والتقي والنقي والزكي العسكريّ والإمام المنتظر المهدي صلوات اللّه عليهم أجمعين و أصحابه الغرّ الراشدين. اللّهمّ وال من والاهم و عاد من عاداهم وانصر من نصرهم و اخذل والعن من ظلمهم و عجّل فرجهم و اهلك أعداءهم. اللّهمّ احشرنا مع آل طه و يس بمحمّد و آله الطاهرين**[2].

و تُلاحَظ نقوش أُخرى في هيكل المرقد، تشير إلى صاحبها. و هو مظفّربن أحمد بن اسماعيل الّذي ذُكر أنّه ابن الوزير الشهيد سعيد معين الدين أحمد بن فضل بن محمود، وكان هدفه «**تقرّباً إليه [إلى اللّه] وإلى رسوله محمّد و آله الطاهرين صلوات اللّه عليهم أجمعين**، و تاريخ بنائه: سنة ٦٠٢[3]. و من الجدير ذكره أنّ كثيراً من الوزراء والكتّاب يومئذٍ كانوا من قم، وكاشان، و تفرش، و ديار الجبل، و لذلك كانوا يتمتّعون بمنزلة رفيعة في الحكومة السلجوقيّة».

---

١ - فهرست نسخه‌های فارسی کتابخانه‌های ایتالیا [فهرس المخطوطات الفارسيّة في مكتبات ايطاليا]، پی مونته ، ص ١١٣ .

٢ - **تربت پاكان** ١ : ٤٧ عن **مجلّة معارف اسلامى** ، العدد ١٦ ، ٣٣ .

٣ - **تربت پاكان** ١ : ٤٩ . [تربة الأطهار].

التشيّع في ايران خلال القرن الثامن

السلطان خدا بنده، العلّامة الحلّي، و انتشار التشيّع في إيران

كانت مدينة الحلّة في العراق مركز الثقل في التشيّع خلال القرن الثامن، و تأتي بعدها في الدرجة الثانية مدينة حلب بالشام. و حسبنا نظرة نلقيها على ألقاب علماء الشيعة المنتسبين إلى هاتين المدينتين ليستبين هذا الموضوع. وكان كثير من علماء الشيعة الفرس يتوجّهون من كاشان، و جرجان، و مناطق أخرى الى الحلّة من أجل الدراسة. و انّ أكبر عالم شيعي و هو العلّامة الحلّي، و ابنه فخر المحقّقين - الّلذين تلمذ لهما معظم علماء الشيعة آنذاك - ينتميان إلى تلك المدينة.

إنّ أهمّ موضوع في تشيّع ايران خلال القرن الثامن هو انتشار التشيّع بعد سقوط الحكومة العبّاسيّة في منتصف القرن السابع، و بعده بقليل في أواخر هذا القرن، و بداية القرن الثامن. وكانت الحريّة الدينيّة منتشرة بعد انهيار الحكومة العبّاسيّة على يد هولاكو، و قبل ذلك أيضاً. وكان وزيرالمستعصم العبّاسي(٦٤٠ - ٦٥٦) شيعيّاً اثني عشريّاً يُدعى ابن العلقمي. و غاب رمز الإسلام السنّي على غرّة بزوال الحكومة العبّاسيّة، و هدأت الأجواء الدينيّة من حيث التشيّع، والتسنّن، و من حيث الحنفيّة والشافعيّة أيضاً[1]. واعتنق الايلخانيّون الإسلام تدريجاً، و وجدوا أنفسهم أمام مذهبين: المذهب السنّي، و المذهب الشيعي. و ركن غازان خان (٦٩٣ - ٧٠٣) إلى الإسلام، و اتّخذ موقفاً وسطاً بين المذهبين. و نقل لنا رشيدالدين فضل‌اللّه رؤيا غازان خان، إذ رأى رسول‌اللّه - صلّى‌اللّه عليه و آله - في منامه، قال: و دار حوار طويل بينهما، وكان أميرالمؤمنين علي، والحسن، والحسين عليهم‌السلام مع النبيّ صلوات‌اللّه عليه. و مدحه النبي - صلّى‌اللّه عليه و آله، و قال: عليكم أن تكونوا إخوة، و أمره أن يعانق أهل البيت، و رضي الجانبان بالأخوّة ... و منذ ذلك الحين، زادت محبّةالملك أهلَ بيت النبوّة - عليهم‌السّلام. وكان يقدّم التسهيلات للحجّاج، و يزور مراقد أهل البيت، و يقبل النذور و يرسلها، و يحترم السادات و يكرّمهم،

---

١ - انظر: مسائل عصر ايلخانان، فصل «نبودن تعصّب مذهبى در دورهٔ مغول»: ٢٥٩ - ٢٦٨. [قضايا العصر الايلخاني، فصل «غياب التعصّب المذهبي في العصر المغولي»].

و يمنحهم المبرّات والأُعطيات، كما كان يشيّد في كلّ موضع الخانقاه و المدارس والمساجد و غيرها من أبواب البرّ، و يعيّن الأوقاف، و يأخذ بنظر الاعتبار وظائف كلّ طائفة و أعمالها، و كان يقول: كيف يكون ذلك للفقهاء والمتصوّفة و غيرهم من الطوائف الأُخرى، و لا يكون للسادات ؟! و أمر أن يكون نصيب منها للعلويّين أيضاً، كما أمر ببناء دار السيادة في تبريز، والحواضر الكبيرة في جميع الأقطار، كأصفهان، و شيراز، و بغداد و أمثالها لينزل فيها السادات ... و طالما كان يقول: أنا لا أُنكر أحداً، و أُقرّ بعظمة الصحابة، لكنّي لمّا رأيتُ الرسول عليه الصلاة والسلام في المنام، و عقد بيني و بين أولاده عقد الأخوّة و المودّة، فإنّي أودّ أهل‌البيت كثيراً، و معاذاللّه أن أُنكر الصحابة. و أمر بحفر نهرٍ لمشهد الحسين - عليه‌السّلام[١]. و أُشير في موضع آخر أيضاً أنّه لمّا مضى إلى بغداد زار المشهد الكاظمي، و قبر الإمام الأعظم أبي حنيفة الكوفي[٢]. و قال حافظ ابرو في تشيّع غازان خان أيضاً: كان الملك غازان يميل إلى هذه الطائفة (الشيعة) ميلاً تامّاً، بيد أنّه لم يُظهر ذلك قطّ، و كان يراعي المصلحة العامّة، و لم يجرؤ أن يصحر به[٣].

و يُعدّ تشيّع اولجايتو أو السلطان محمّد خدابنده، الّذي قيل عنه الكثير في المصادر القديمة والجديدة، من الفصول المهمّة في تاريخ التشيّع في ايران. و آية هذا التشيّع الباقية إلى الآن نقوش «عليّ وليّ الله» الّتي لا تزال موجودة على القبّة السلطانيّة، و هي تعود إلى سنة ٧١٠ هـ[٤]. و نقل حافظ أبرو قصّة تشيّع السلطان محمّد خدابنده كما يأتي: في غضون هذه الفترة قال أمير طرمطاز للسلطان خدا بنده: كان غازان خان من أعقل الناس و أكملهم، و قد ركن إلى المذهب الشيعي لحسن اعتقاده. و ما على السلطان إلاّ أن يختار هذا المذهب نفسه، فسأله السلطان: أيّ مذهب هذا؟ فقال: المذهب المشهور بالرفض. فصاح في وجهه و قال: أيّها التعس! تريد أن تصيّرني رافضيّاً؟! فاعتذر إليه طرمطاز، و زيّن له ذلك المذهب، و كان رجلاً فصيحاً محتالاً. و طفق يفنّد له مذهب السنّة و الجماعة. و قال له: إنّ الشيعة هم الّذين يرون أنّ الملك بعد جنكيز يظلّ في أُسرته. أمّا السنّة فيرون أنّه لآل (قراجو) و هم أقارب جنكيزخان. و ذكر له أمثال هذه الترّهات. و كان السلطان

---

١ - جامع التواريخ ٢: ١٢٥٨ - ١٢٥٩.   ٢ - نفسه: ١٢٧٢.

٣ - مجمع التواريخ، نسخة ملك ٣: ٢٣٧، عن مسائل عصر ايلخانان: ٢٣٩.

٤ - مجلّة ميراث فرهنگی، العدد الأوّل، ص ٨.

حسن الاعتقاد جدّاً، فطريّ الميل إلى الاسلام، و اتّباع رسول‌اللّه و محبّته، فجنح إلى ذلك المذهب. و جاءه خلال ذلك السيّد تاج‌الدّين آوجي مع جمع من علماء الشيعة، فوقعوا في مذهب أهل السنّة و الجماعة، و حرّضوا الملك عليه، فانبرى مولانا نظام‌الدين عبدالملك إلى مجادلتهم و مناظرتهم، و ذكر للملك أحكامهم المزيّفة، و شوّه سمعة الشيعة، و لم يقدروا على مناظرته. و اتّفق أنّ الشخص المذكور غاب عن الملك في ذلك الشتاء بسبب أوقاف آذربايجان. و شدّ الملك رحاله إلى بغداد سنة ٧٠٩، و لمّا وصلها توجّه منها لزيارة مرقد الإمام علي - عليه‌السّلام. و هناك رأى في المنام ما يدلّ على قوّة إسلامه. و لمّا نقل للأمراء ذلك، حثّه المتشيّعون منهم على اختيار المذهب الشيعي، فاستجاب لهم بعد أن غلوا غلوّاً عظيماً، كما كان السلطان و أُمراؤه و ندماؤه يبالغون، ليختار الجميع هذا المذهب. و من هؤلاء من اعتنقه مجاملة للسلطان، و منهم من مال إليه لضعف عقيدته السنّيّة و منهم من ركن إليه فطريّاً، و جنح أكثرهم إليه، فعلا كعبُ الشيعة، وكان بين الأمراء من لم يستجب للسلطان كسعيد چوپان، و ايسن قتلغ - رحمه اللّه تعالى - إذ كانا شديدي الاعتقاد بمذهب أهل السنّة. و لم يطرأ فتور على عقيدتهما قطّ، و بلغت صلابتهما حدّاً أنّ الأُمراء الآخرين الّذين تشيّعوا لم يجرأوا على الكلام بين يديهما، بل كان السادات و الشيعة الملازمون للسلطان يخافونهما. و دبّر هؤلاء خطّة دقيقة من أجل ترغيبهما في المذهب الشيعي، فلم يتيسّر لهم. و شاء القضاء أن تتغيّر الخطبة في جميع بلاد إيران، إذ أسقطوا منها أسماء الصحابة الثلاثة و اقتصروا على اسم أميرالمؤمنين عليّ بن أبي‌طالب والحسن والحسين - سلام‌اللّه عليهم - و غيّروا النقود سنة ٧٠٩ و سكّوا عليها اسم أميرالمؤمنين مكان الصحابة، و أظهروا فقرة «حيّ على خيرالعمل» في الأذان. و شاع ذلك في كافّة أنحاء بلاد (اولجايتو) بخاصّة في قزوين حيث ازدهر المذهب الشيعي فيها ازدهاراً بالغاً.

و طلب السلطان علماء الطائفة الشيعيّة من أكناف البلاد، فحضر الشيخ جمال الدين الحسن بن المطهّر الحلّي عنده، و هو أحد تلامذة الخواجه نصيرالدين، و كان عالماً متبحّراً، مشهوراً بالعلوم العقليّة والنقليّة إذ كان نسيج وحده فيها. و له مصنّفات كثيرة. و لمّا حضر عند السلطان، أهدى إليه كتابين كان قد صنّفهما باسمه : أحدهما: نهج الحقّ و كشف الغمّة و الصدق (كذا) في علم الكلام، والآخر: منهاج الكرامة في باب الإمامة، و هو في

المذهب الشيعي. و هذان الكتابان من الكتب المعظّمة عند تلك الطائفة. بعد ذلك أذن السلطان للعلّامة و ابنه مولانا فخرالدّين محمّد، و غيرهما بالعودة الى وطنهم. و جرت بين جمال‌الدين بن المطهّر و مولانا نظام الدين عبدالملك مناظرات كثيرة. و كان مولانا نظام‌الدين يحترمه كثيراً و يبالغ في تعظيمه. و كانت مناظراتهما على سبيل الاستفادة و الافادة، لا على سبيل الجدل واللجاج و العناد. و لم ينطلق الشيخ جمال‌الدين الحسن بن المطهّر من التعصّب في مناظراته، و كان يبالغ في توقير الصحابة - رضوان الله عليهم - و تعظيمهم. و إذا ما أساء أحدٌ إليهم فإنّه يمنعه و ينهره. وكانت له جلسات خاصّة مع السلطان سعيد يحضرها ابنه أيضاً. و كان يحثّ السلطان على حبّ الصحابة و تعظيمهم وينكر بشدّة ما يتفوّه به الشيعة المتعصّبون، و يحظر عليهم ذلك. و خُصّ بعواطف السلطان و عوارفه، كريوع الأرض والإذن بدفع الإكراميات و بالتصرّف في الشؤون العامة بمدينة الحلّة. و كان حيّاً حتّى سنة ٧٢٤، و لازم السلطانَ السيّد بدرالدين النقيب المشهور بطوس مع جمع من السادات. و لم يصدر ما لا يليق بشأن السادات العظام، بيد أنّ شرذمة من الأشرار كانوا يثيرون الفتن و يحرجون المسلمين في شتّى حواضرهم، و لم يتأثّر أهل السنّة والجماعة بذلك و ثبتوا على اعتقادهم الخالص و محبّتهم لصحابة المصطفى - صلّى‌اللّه عليه و آله، و مودّتهم أهلَ بيته، و تعظيمهم أميرالمؤمنين عليّاً و أولاده - صلوات‌الله و سلامه عليه و عليهم أجمعين إلى يوم الدين. و كلّ ما أثار الجانبان من التعصّب و ما دار بينهم من المحاججات لم يُؤتِ أُكُلَه. و كان السلطان سعيد يناظر العلماء دائماً بسبب حبّه للدين الإسلامي و مودّته لمحمّد رسول‌اللّه - صلّى‌اللّه عليه و آله - و أهل بيته. و ازدهر وضع العلماء ازدهاراً تامّاً.

و كان السلطان يحبّ العلم إلى درجة أنّه أمر ببناء مدرسة متنقّلة من الخيام بناءً على اقتراح الخواجه رشيدالدين، و كانت هذه المدرسة تتنقّل من مكان إلى آخر، و عيّن فيها عدداً من المدرّسين كالشيخ جمال الدين الحسن بن المطهّر، و مولانا نظام الدين عبدالملك، و مولانا نورالدين تستري، و مولانا عضدالدين آوجي، و السيّد برهان الدين عبري، و أسكن فيها قرابة مائة طالب، و هيّأ لهم ما يحتاجونه من الطعام و اللباس و الدابّة و غيرها من الأشياء ليكونوا في خدمة السلطان، و أنشأ مدرسة بالسلطانيّة في أبواب البرّ

المباركة...[١]»

على الرغم ممّا نقل عن ارتداد خدابنده عن التشيّع، فإنّ ابن كثير يشير إلى نزعته الشيعيّة بعد مرور سنة على حكومته، و يقول: و لم يزل على هذا المذهب ... إلى أن مات في هذه السنة (٧١٦) [٢]. و لعلّه خفّف من إصراره على رسميّة التشيّع بعد مدّة بسبب اعتراض الناس. و يذكر ابن كثير اجراءات أحد قادة (خدابنده) الشيعة، و يُدعى : دلقندى، إذ حاول نشر التشيّع في بلاد الحجاز أيضاً، بيد أنّ محاولته توقّفت بسبب وفاة (خدابنده[٣]).

إنّ الفصل المهم في تشيّع الجايتو هو الدور الّذي ذُكر للعلّامة الحلّي (الحسن بن يوسف بن المطهّر المتوفّى سنة ٧٣٦) في ذلك. و يذهب ابن بطوطة إلى أنّ العلّامة الحلّي هو السبب في تشيّع خدابنده. قال : **فأمر السلطان بحمل الناس على الرفض، وكتب بذلك إلى العراقين و فارس و آذربايجان و اصفهان و كرمان و خراسان ... و كان السلطان أمر بأن تسقط أسماء الخلفاء و سائر الصحابة من الخطبة و لا يُذكر إلّا اسم عليّ و من تبعه كعمّار[٤]**. و أنّ تصنيف العلّامة الحلّي عدداً من الكتب في الإمامة و إهدائها الى (الجايتو) معْلم على جهود هذا الفقيه الشيعي في نشر التشيّع يومئذٍ. و أهدى العلّامة كتاب نهج‌الحقّ و كشف الصدق إلى السلطان محمّد خدابنده. و نصّ في مستهلّ كلمة الإهداء على أنّه صنّف **الكتاب خشية للّه و رجاءً لثوابه، و طلباً للخلاص من أليم عقابه، بكتمان الحقّ، و ترك إرشاد الخلق. و في الوقت نفسه، راعى في تصنيفه أمر السلطان، فقد قال بعد الكلام المتقدّم: و امتثلتُ فيه مرسوم سلطان وجه الأرض، الباقية دولته إلى يوم النشر والعرض، سلطان السلاطين، و خاقان الخواقين، مالك رقاب العباد و حاكمهم، و حافظ أهل البلاد و راحمهم، المظفّر على جميع الأعداء، المنصور من إله السماء المؤيّد بالنفس القدسيّة، و الرياسة الملكيّة، الواصل بفكره العالي إلى أسنى مراتب العُلى، البالغ بحدسه الصائب، إلى معرفة الشهب الثواقب، غياث الملّة والحقّ والدين «أولجايتو خدابنده محمّد» خلّد الله ملكه إلى يوم‌الدين. و قرن دولته بالبقاء والنصر و التمكين، و جعلتُ ثواب هذا الكتاب واصلاً إليه.**

---

١ - مجمع التواريخ ، نسخه ملك، الجزء الثالث، الورقة ٢٣٧ ، نقلاً عن مسائل عصر ايلخان: ٢٤٦ - ٢٥٠.

٢ - البداية والنهاية ١٤ : ٧٩.

٣ - نفسه : ٨٠.

٤ - رحلة ابن بطوطة : ٢٠٥ .

لا جَرَمَ أنّ العلّامة لم يكن جاداً في بعض ما ذكره من الألقاب، و إنّما راعى التقاليد السائدة يومئذٍ. و لم يحفّزه على إهداء الكتاب غير ركون السلطان محمّد خدابنده إلى التشيّع، فكان يشعر بواجبه، و هو أبرز عالم شيعيّ آنذاك، أن يشكر السلطان على تلك الخطوة بنحو من الأنحاء. و أهدى العلّامة اليه أيضاً كتاب منهاج الكرامة. و قال في أوّله: خدمتُ بها خزانة السلطان الأعظم، مالك رقاب الامم، ملك ملوك طوائف العرب والعجم، مولىالنعم، مدادالخيروالكرم، شاهنشاه المعظّم، غياث الحقّ والملّة والدين الجايتو (محمّد خلّدالله سلطانه، و ثبت قواعد ملكه و شيّد أركانه، و أمدّه بعنايته و ألطافه، و أيّده بجميل إسعافه، قرن دولته بالدوام، إلى يوم القيامة[1]. و قد مرّ بنا أنّ ما حمل العلّامة على إهداء الكتاب إلى (الجايتو) هو ميل الأخير إلى التشيّع فحسب. و أهدى إليه أيضاً كتاب كشف اليقين. كما أهدى الرسالة السعديّة إلى أحد أعضاء ديوانه و يُدعى: محمّد بن عليّ ساوجي. و كتب في مقدّمتها قائلاً: ... برسم المولى، المخدوم الأعظم، الصاحب الكبير المعظّم، صاحب ديوان الممالك شرقاً و غرباً، بعداً و قرباً، مالك السيف و القلم، ملجأالعرب و العجم، ملاذ جميع طوائف الأُمم، محيي المكارم و الرمم، مميت البدع و دافع النقم، المؤيّد بالألطاف الربّانيّة، المظفّر بالعنايات الالهيّة، خواجه سعد الملّة والدّين، أعزّاللّه بدوام دولته الإسلامَ والمسلمين، و شيّد قواعد الدين، ببقاء أيّامه الزاهرة إلى يوم الدّين، و قرن أعقابه بالنصر والظفر و التمكين. و ختم أعماله بالصالحات ... بمحمّد و آله الطاهرين صلواتالله عليهم أجمعين[2]. و نلاحظ أنّ هذا الضرب من التقديم معهود في الكتب الّتي صنّفها العلّامة في الإمامة ، أمّا كتبه الفقهيّة المفصّلة فلا نقرأ فيها شيئاً من ذلك. على أيّ حال، يُعدّ هذا الموضوع فصلاً مهمّاً في تاريخ التشيّع في إيران، إذ إنّ معظم هذه الأعمال كانت تجري في السلطانيّة و غيرها من حواضر ايران. فقد أتمّ العلّامة الحلّي الجزء الثاني من كتاب الألفين سنة ٧١٢ هـ - بمدينةالدينور - مدينة قريبة من كرمانشاه[3]. و كُتبت إجازة من قبله لقطب

---

١ - منهاج الكرامة : ٦.

٢ - الرسالة السعديّة : انظر بشأن المهدى إليه : الدرر الكامنة ٤ : ١٠١ ؛ مقدّمة جامع التواريخ ٢ : ١٥ - ٢٩ ؛ نسائم الأسحار : ١١٤ ؛ آثار الوزراء : ٢٨٣.

٣ - فهرست نسخه‌هاى خطّى كتابخانه گوهرشاد ١ : ١٣٣ [فهرس مخطوطات مكتبة گوهرشاد].

الدين الرازي سنة ٧١٣ بمدينة ورامين[١].

و من الجدير بالذكر أنّ آل الجويني، و رشيدالدين و أولاده كانوا يحترمون علماء المذاهب المختلفة يومذاك، و كانوا يقدّمون المساعدات اللازمة إليهم جميعاً. و تدلّ وثيقة من عصر رشيدالدين فضل‌الله (م ٧١٨) على أنّه أمر نجله الأمير عليّاً حاكم بغداد أن يساعد العلماء. و ذُكر من بينهم العلّامة الحلّي أيضاً، إذ أُمر أن يُعطى ألفي دينار، و ثوباً جلديّاً من الفنك [حيوان غزير الشعر يستخدم جلده كفراء]، و حصاناً مع سرجه. و يُلاحَظ اسم أصيل الدين نجل الخواجه نصيرالدين الطوسي بينهم أيضاً[٢]. و كان اتّصال العلاّمة الحلّي برشيدالدين فضل‌الله واسعاً نوعاً ما. و نلحظ ذلك في خبر نقله العلّامة الحلّي عن جلسة درس لرشيد الدين. و أشار في مقدّمته إلى وقت حضوره قائلاً: **فإنّي لمّا أُمرتُ بالحضور بين يدي الدركاه المعظمة الممجّدة الإيلخانيّة ... حضرتُ في بعض الليالي في خدمته** (رشيدالدين فضل‌الله) للاستفادة من نتايج قريحته. و واصل كلامه متحدّثاً عن موضوع الدرس، و هو الجمع بين كلام اللّه تعالى في خطابه لرسوله - صلّى‌اللّه عليه و آله: و قل ربّ زدني علماً، و كلام الوصيّ إذ قال : **لو كُشف الغطاء ما ازددتُ يقيناً**[٣].

و ألمح فضل الله في مقدّمة رسالته: **بيان الحقائق** إلى أنّ خدابنده عندما وصل إلى حدود بغداد والمدائن سنة ٧٠٩، نوى أن يزور قبر سلمان الفارسي، فسأله «**مولانا المعظّم ملك الحكماء والمشايخ، علّامة العالم، وحيد إيران المعتمد المكين، جمال‌الملّة والدّين، ابن المطهّر الحلّي الّذي كان رئيس عصره و كان ملازماً للبلاط الأعلى**» عن زيارة جسم لا روح فيه، فكتب الرسالة المذكورة في جواب سؤاله[٤].

و ذكر الأفندي عالماً يُدعى حسن كاشاني، و جعله في مصفّ العلاّمة الحلّي، والمحقّق الكركي من حيث نشر التشيّع. و نقل أنّه ذهب إلى السلطانيّة أيّام السلطان خُدابَنْده، و مات بها. و كان قبره ماثلاً حتّى عصر الأفندي، و قد زاره الأفندي نفسه[٥].

و نقرأ خبراً من هذا القرن نقله ابن بطوطة (م ٧٧٩) حول اصفهان، قال : **قد خرب أكثرها**

---

١ - **بحارالأنوار** ١٠٧ : ١٤٠ و انظر: **مقدّمة غاية المراد** ١ : ٤٦ .

٢ - **سوانح الأفكار**، رشيدي ، ص ٦٩ - ٧٠ .

٣ - **تقريرات خواجه رشيدالدّين فضل‌الله** : ١٠٧ - ١٠٨ .

٤ - **بيان الحقائق** : ٥٥ .

٥ - **الحقائق الراهنة** : ٤٤ .

بسبب الفتنة الّتي بين أهل السنّة و الروافض، و هي متّصلة بينهم حتّى الآن فلا يزالون في قتال[١]. و من الحريّ بالذكر أنّ أصفهان قد دُمّرت بسبب القتال بين الحنفيّين والشافعيّين، و كذلك الري، و نيسابور[٢]. و نسب التشيّع في موضع من كتابه إلى مدن كربلاء، والحلّة، و البحرين، و قم، و كاشان، و ساوه !، و آوه، و طوس[٣]. و قدّم لنا شرحاً عن بداية ظهور السربداريّين[٤] في خراسان تحت عنوان حكاية الرافضة[٥].

و ينبغي أن نتحدّث عن السربداريّين بالتفصيل في مجال آخر. و ما كتب إلى الآن عنهم يقدّم لنا معلومات جيّدة عن حركتهم. و يكفينا أن نشير إلى أنّ شمس الدين آوي ذهب إلى زيارة الشهيد الأوّل مبعوثاً من قبل عليّ بن مؤيّد السربداري. و لا تزال رسالة عليّ بن مؤيد الّتي بعثها إلى الشهيد موجودة، و ألّف الشهيد كتاب اللمعة بطلب منه[٦].

الآثار الشيعيّة الفارسيّة في القرن الثامن

تُعدّ رسالة مسمار العقيدة - و هي ترجمة رسالة مسبار العقيدة - أحد الآثار الشيعيّة الفارسيّة الّتي دُوّنت في أصفهان مجاراة لتوجّهات السلطان محمّد خدابنده، و هي تعود إلى أوائل القرن الثامن، و عندما ضرب السلطان محمّد خدابنده النقود باسم الأئمّة الاثني‌عشر سنة ٧٠٧، نهضت بعض الحواضر الفارسيّة لمقاومة هذا العمل، و من بينها أصفهان الّتي لانت و مرنت على تواتر الأيّام، ثمّ أنهت نزاعها مع الحكومة. و جاء في المنقول ما نصّه : **أمر السلطان محمّد خدابنده في شهور سنة سبع و سبعمائة أن تُزَيّن النقود والخطبة بأسماء الأئمّة الاثني‌عشر - عليهم‌السّلام. و لم يُنفَّذ أمره في كثير من المناطق، و منها أصفهان الّتي رفض أهلها ذلك، إلى سنة عشر و سبعمائة، إذ أراد السلطان أن يشخص إليهم**

---

١ - **رحلة ابن بطوطة** : ١٩٩ .

٢ - انظر: مقالة مادلونغ حول النزاع بين الحنفيّين و الشافعيّين، مجلّة **ميراث جاويدان**، العدد ٣.

٣ - **رحلة ابن بطوطة** : ١٨٧ .

٤ - الفدائيّون أو المضحّون (و ترجمتها الحرفيّة: أصحاب الرؤوس المعلّقة على المشانق) و هم جماعة من أهل سبزوار نهضوا لمواجهة المغول، و حكموا ردحاً من الزمن.

٥ - **رحلة ابن بطوطة** : ٣٨٣ .

٦ - انظر : **غاية‌المراد** ١ : ١٦٢ - ١٦٦ للوقوف على رسالة عليّ بن مؤيّد، و التعرّف على مخطوطاتها، و الاطّلاع على ما كتبه الشهيد الثاني بهذا الشأن في مقدّمة **شرح اللمعة**.

عشرين ألف فارس لتأديب المتمرّدين. وبعد جهود كبيرة قُبض على رئيسهم الملاّ أبي إسحاق، و أُتي به إلى المعسكر. فخفّف الأصفهانيّون من تشدّدهم فجأة، بيد أنهم لم يهتدوا إلى الطريق كما ينبغي[١].

و في خضمّ تلك الملابسات، كان القاضي نظام‌الدين أبو إسحاق محمّد بن إسحاق المعروف بالمزهّد يواجه التشيّع بعنف. و قدم أصفهان متكلّم شيعي يُدعى تاج‌الدين عبدالله ابن المعمار البغدادي، و ألّف رسالة مسبار العقيدة في إثبات حقّانيّة العقائد الشيعيّة. و بعد خروجه من المدينة، طلب شيعتها من قوام الدين أبي الفضل هبة‌الله بن محمّد بن أصيل‌الدّين أن يترجم الرسالة المذكورة إلى الفارسيّة ليفيدوا منها. فلبّى طلبهم و سمّى ترجمته : مسمار العقيدة. و ذكر ابن الفوطي قوام الدّين هذا، فقال : رأيته بتبريز سنة ست و سبعمائة، و اجتمعت بخدمته بالسلطانيّة، و هو حافظ عارف بأسماء المحدّثين و متن الأخبار. و قد صنّف كتباً منها كتاب «زجاجة الأنوار في دراري الأخبار[٢]». و أشار المترجم في نهاية الرسالة إلى آبائه و أجداده بأنهم كانوا يصنّفون: الكتب في مناقب و مآثر أميرالمؤمنين و إمام المتّقين ... وكانوا يفعلون ذلك في نظم الاستعارة اللطيفة بينما لم يقوَ الناس فيه على إظهار مثله[٣]. و يبدو في ضوء ذلك أنّ المترجم كان عالماً مشهوراً من أُسرة شيعيّة في أصفهان. و هذا دليل ساطع على وجود كيان منظّم للشيعة هناك في مطلع القرن الثامن الهجري. و جاء في مقدّمة الرسالة المشار إليها حول الموضوع المارّ ذكره: هكذا كتب محرّر هذه الرسالة، و مقرّر هذه المقالة، أنّه جرت بين الناس عامّة و أهالي أصفهان خاصّة. و مدينتهم واسطة[٤] قلادة الإقليم الوسط مناقشات سرّيّة و علنيّة حول إمامة النوع الإنساني و خلافة النبيّ الخاتم و وضع أسدالله أميرالمؤمنين و أوليائه و أعدائه، و ذلك في وسط الصيف سنة سبعمائة و سبع للهجرة النبويّة الشريفة، و في العهد الميمون والزمان المبارك لملك العالم ابن الملوك، مولى سلاطين الأرض والزمان، ملك العالمين،

---

١ - نسخة ٣٠٠٨ للمرعشي، الورقة ٦١٢ ، رسالة سير النبيّ - صلّى‌الله عليه و آله.

٢ - تلخيص مجمع الآداب في معجم الألقاب، الجزء الرابع، القسم الرابع، ص ٨٠٧ ، نقلاً عن ميراث إسلامى ايران (التراث الاسلامي في ايران)، دفتر دوم، ص ٧٨٣ .

٣ - مسمار العقيدة ، ميراث اسلامى ايران، دفتر دوّم ، ص ٨٦٥ .

٤ - الواسطة : الجوهرة التي في وسط القلادة، و هي أجودها.

إمام الملوك، قائد المسلمين، ظلّ رحمة الرحمن، شمس سماء أمن الإيمان، ضياء أُسرة جنكيزخان، غياث الدنيا والدين

هـــنيئاً له الدنــيا و آزره الدهــرُ   و عاش بحفظ اللّه ما أسعف العُمر

و وصل الحكيم الفاضل، والعارف الواصل مولانا تاج الملّة والدّين عبداللّه بن المعمار البغدادي إلى أصفهان، و كتب عدداً من الأسئلة إلى الشيخ المشهور واعظ البلدة نظام الدين إسحاق المزهد، و ألّف رسالة باللغة العربيّة. و لمّا غادر المدينة، كان الناس لم يفيدوا كلّهم من تلك الأسئلة، فأشاروا علَيّ بأجمعهم أن أُترجمها إلى الفارسيّة، وفي غضون ذلك جمعتُ رسالة و نقّحت تلك البحوث و دوّنتها. و إذا كانت هناك ضرورة لبيان الوجه الأوضح من الآيات، و سائر الكلام القريب من الفهم، أو كانت هناك حاجة إلى جواب آخر، فقد قمتُ بذلك لتعمّ فائدة تلك الأسئلة، و تصل إلى الخاصّ والعام[١].

و من الجدير ذكره بشأن أصفهان أنّ قاضيها في عهد اولجايتو هو عبّاد بن أحمد بن... شرفشاه المعروف بگلستانه. و له شرح على التهذيب بعنوان توضيخ الوصول[٢]، و توجد نسخة منه في مكتبة الآستانة الرضويّة. كما له كتاب عنوانه كاشف المعاني في شرح حرز الأماني، و توجد منه نسخة أيضاً[٣].

و من الآثار الشيعيّة الفارسيّة في هذا العصر: كتاب راحة الأرواح و مؤنس الأشباح للحسن بن الحسين الواعظ البيهقي السبزواري. و مخطوطته موجودة[٤]. و صنّف هذا الكتاب سنة ٧٥٧ باسم السلطان نظام الدين يحيى بن شمس الدين كرائي، و فيه ترجمة المعصومين بدءاً برسول الله - صلّى اللّه عليه و آله - و انتهاءاً بالإمام المهدي - عليه السّلام - و ذكرنا قبل ذلك كتاب بهجة المباهج لهذا المؤلّف الّذي كان في عداد مؤلّفي الشيعة القُرس، كما كان من المكثرين في التأليف. و من الجدير ذكره أنّه ترجم كتاب كشف الغمّة للإربلي، و توجد نسخة منه[٥]. و هو الّذي ألّف بالفارسيّة كتاباً بعنوان غاية المرام في

---

١ - مسمار العقيدة، ميراث، دفتر دوم، ص ٧٨٧ . طبعت هذه الرسالة بجهود صدارائىنيا في دفتر دوّم ميراث .

٢ - الذريعة ٤ : ٤٩٩ .

٣ - الحقائق الراهنة : ١٠٧ .

٤ - فهرست نسخههاى خطّي كتابخانه آية الله مرعشي ٣ : ٢٣٩ ، رقم ١٠٤٩ .

٥ - عليّ بن عيسى الإربلي و كشف الغمّة : ٧١ .

فضائل عليّ و أولاده الكرام[١]، و آخر بعنوان مصابيح القلوب في شرح ثلاثة و خمسين حديثاً في المواعظ والحكم، و توجد منه عدد من النسخ[٢].

و كان الفيلسوف والعارف الشيعي السيّد حيدر الآملي(م بعد ٧٨٧) - و هو من تلاميذ فخر المحقّقين (نجل العلّامة الحلّي)- أحد المؤلّفين الإيرانيّين في ذلك العصر، إذ صنّف كتباً بالفارسيّة، مضافاً إلى كتبه الكثيرة بالعربيّة، و من كتبه الفارسيّة أمثلة التوحيد و جامع الحقائق[٣]. و يعدّ كتاب نفايس الفنون من الكتب الشيعيّة في القرن الثامن. صنّفه محمّد بن محمود الآملي. و هو أحد الكتّاب في النصف الأوّل من القرن الثامن الهجري، و أيّام حكومة اولجايتو و ابنه أبي سعيد. كان يزاول التدريس في مدرسة السلطانيّة. و يدلّ كتابه نفايس العيون في عرايس العيون - الّذي يمثّل موسوعة في العلوم - على عقائده الشيعيّة، و إنْ كان شيعيّاً معتدلاً -كما ذكر المرحوم الشعراني في مقدّمة الكتاب[٤]. و لبث بالسلطانيّة حتّى عصر السلطان أبي سعيد، ثمّ غادرها إلى شيراز بعد الفوضى الّتي أعقبت وفاة السلطان، و مات هناك. و كان قد أهدى كتابه المذكور الى أبي إسحاق اينجو (حكم من سنة ٧٤٣ الى سنة ٧٥٤) أحد حكّام فارس، مع أنّ بعض النسخ تخلو من المقدّمة. و من الكتب الفارسيّة الأُخرى في تلك الفترة: ترجمة تاريخ قم، إذ ترجمه حسن بن عليّ بن حسن بن عبدالملك القمّي سنة ٨٠٥ أو ٨٠٦، و أهدى ترجمته إلى أحد أمراء عصره.

و أنجب القرن الثامن عالماً شيعيّاً من سمنان يُدعى عزّالدّين حسن سمناني، ذكره الافندي نقلاً عن كتاب رجالي، كما ذكر أنّه كان معاصراً للعلّامة الحلّي[٥].

الجغرافية المذهبيّة لإيران في القرن الثامن

عندما يتحدّث المستوفي صاحب كتاب نزهة القلوب - المصنّف في علم الجغرافية - عن الأمصار والحواضر المختلفة، فإنّه يذكر مذهبها أيضاً أُسوةً بمن سبقه. نقرأ في كتابه

---

١ - الذريعة ١٦ : ٢١.

٢ - نفسه ٢١ : ٩٠، رقم ٤٠٨١. انظر: رياض العلماء ١ : ١٧٦ للاطّلاع فيما إذا كان هناك شخصان أو شخص واحد باسم الحسن بن الحسين الشيعي السبزواري، و أيّهما كان في القرن الثامن.

٣ - الحقائق الراهنة : ٦٩ - ٧٠.

٤ - نفايس الفنون في عرايس العيون ١ : ١٦ (المقدّمة).

٥ - الحقائق الراهنة : ٤١.

معلومات فريدة عن تلك الأمصار والحواضر خلال القرن الثامن الّذي كان يعيش فيه. و لنا أن نلقي نظرة على المعلومات الّتي تتّصل بمذهب الناس في الحواضر الفارسيّة. و من الواضح أنّ المستوفي جعل الأكثريّة ميزانه و لم يلتفت إلى الأقليّة في مُعظم الحالات.
اصفهان: أكثر الناس سنّة شافعيّة، و هم مطيعون تماماً (٤٩)[١].

الري: أهالي المدينة و أكثر الضواحي شيعة إثناعشريّة إلّا قرية قوهة فإنّ أهلها على مذهب أبي حنيفة، علماً أنّ كثيراً من سادات أهل البيت مدفونون في الري (٤٥). قزوين: الناس فيها على مذهب الشافعي، و هم من أُولي الصلابة والدهاء في دينهم، و فيها أيضاً أقليّة حنفيّة و شيعيّة (٥٧).

طهران: شيعة إثنا عشريّة يغلب عليهم التكبّر (٥٥).

ديلمان: أهلها أقرب إلى الشيعة والباطنيّة (٦٠).

زنجان: والناس فيها سنّة شافعيّة، يتهكّمون و يستهزئون بغيرهم كثيراً (٦٢).

ساوه: و أهلها شافعيّة ، ذوو عقيدة خالصة، بيد أنّ قراها كلّها شيعة اثناعشريّة إلّا الوسجرد فإنّها سنّيّة (٦٢ - ٦٣).

سجاس و سهرورد: أهاليهما على مذهب الإمام الأعظم أبي حنيفة (٦٤).

الطالقان: يزعم أهلها أنّهم سنّة لكنّ ميلهم إلى الباطنيّة أكثر (٦٥). كاغذكنان و مزدقان أيضا: شافعيّة.

قم: الناس شيعة اثناعشريّة، و هم متعصّبون جدّاً. و معظم معالم المدينة اليوم مدمّرة إلّا سورها، فإنّ القسم الأكبر منه لا يزال قائماً (٦٧).

كاشان: أهلها شيعة، و أكثرهم من ذوي الاتّزان و الرزانة و الشيم اللطيفة، و يقلّ فيها الجهّال والبطّالون ... و تتبع كاشان ثماني عشرة قريّة، معظم أهاليها سنّة (٦٨).

تفرش: و أهلها شيعة اثنا عشريّة (٦٨).

جربادقان : و هي گلبايگان الحاليّة، الناس فيها على مذهب الشافعي (٦٨).

فراهان: أهلها شيعة اثنا عشريّة في غاية التعصّب (٦٩).

همدان: أكثر الناس فيها معتزلة و مشبّهة (٧١).

---

١ - هذا و ما يأتي بعده من الأرقام هي أرقام الصفحات في كتاب **نزهة القلوب**.

نهاوند: أهلها أكراد و هم على المذهب الشيعي الإثني عشري(٧٤).

يزد: يميل معظم الناس فيها إلى المذهب الشافعي (٧٤).

تبريز : و أكثر أهلها سنّة شافعيّة. و فيها عددكبير من أتباع المذاهب والأديان الاخرى (٧٧).

اوجان: ساكنوها بيض و هم على المذهب الشافعي(٨٠).

أردبيل: و معظم أهلها من أتباع المذهب الشافعي، و يحبّون الشيخ صفيّ الدين عليه‌الرحمة (٨١).

شاهرود : قيل : إنّ أهلها شافعيّة، و لكن لا مذهب لهم (٨٢).

مشكين: يدين أهلها بالمذهب الشافعي، و بعضهم حنفيّة، و بعضهم شيعة (٨٣).

أهر : الناس فيها على مذهب الشافعي (٨٣).

سلماس: أهلها سنّة، دينهم خالص (٨٥).

مراغه: معظم الناس فيها على المذهب الحنفي و لغتهم بهلويّة معرّبة (٨٧).

نخجوان : قاطنوها بِيض، و هم يدينون بمذهب الشافعي (٨٩).

تستر: معظم أهلها سُمر، ضعفاء البنية، و يدينون بمذهب أبي حنيفة (١١٠).

شيراز: سنّة شافعيّة و قليل منهم حنفيّة و شيعة (١١٥).

كازرون: شافعيّة (١٢٦).

بيهق: شيعة اثناعشريّة (١٥٠).

جوين: أكثرهم شافعيّة (١٥٠).

جرجان : شيعة اولو مروءة (١٥٩).

هذه صورة عن وضع المذاهب في ايران. و من الواضح أنّ المستوفي كتبها من منطلق دفاعه عن المذهب الشافعي، إذ إنّ كثيراً من المناطق الّتي تقطنها أكثرية شافعيّة لا تخلو من أقلّيّة حنفيّة و شيعيّة عادةً.

الاعتدال في المذهب السنّي ممهّد لانتصار التشيّع في ايران خلال العهد الصفوي

تمّ الانتقال من المذهب السنّي إلى المذهب الشيعي في طرق متنوّعة منذ القرن

السادس فصاعداً. فقسم منه اُنجز عبر السياسة، و قسم عبر الثقافة، و الأدب، والحديث والتصوّف. و كان لهذا القسم تأثير مهمّ في الانتقال المشار إليه. و من الضروري دراسة أبعاده بإمعان[١]. و لا جرم أنّ دراسة دقيقة لهذه الطرق عمل عسير، بخاصّة أنّ كثيراً من النصوص المأثورة عن تلك الفترة لم تطبع بعد أو لم تطبع طبعة صحيحة منقودة. و أنّ دراسة حياة العلماء الّذين عاشوا في ذلك العصر فصل مهمّ في هذا العمل و ينبغي انجازه. و كذلك متابعة ظهور النزعات الجديدة في التشيّع أو التصوّف. و نتحدّث فيما يأتي عن أحد الطرق المذكورة الّتي أدّت إلى انبثاق موقف معتدل بين السنّة، و من ثمّ آلت إلى ولادة حركة تسير نحو التشيّع.

على الرغم من محادّة حنابلة بغداد للتشيّع في القرن الخامس و ما تلاه، فقد شاع نقل فضائل أهل البيت - عليهم‌السّلام - في النصوص الحديثيّة والعقيديّة بحريّة أكثر من ذي قبل. و أفضت هذه الحركة إلى انطلاق المحدّثين الشيعة أو المتشيّعين في بغداد. و خفّف السنّة من حدّة مخالفتهم للشيعة تدريجاً من خلال تغلغل الشيعة في هذه المدينة، و نفوذهم في الشؤون الديوانيّة والوزاريّة. و تقارن مع ذلك انقراض مذهب أهل الحديث و استبدال المذهب الأشعري به، و هو المذهب الّذي كان يحاول أن يدافع دفاعاً عقليّاً عن المبادىء المألوفة لأهل الحديث - مع تعديل يسير - أكثر من أن يكون حديثيّاً أو مهتمّاً بالأحاديث الموضوعة في القرن الثاني والثالث. و صُنّفت كتب و رسائل مستقلّة في أهل البيت - عليهم‌السّلام - منذ القرن السادس فما تلاه. و يمكن أن نلاحظ بينها كتباً صنّفها أصحابها من وحي حبّهم الشديد لأهل البيت و أخبارهم.

و الأهمّ من ذلك أنّ بعضهم ترجم للأئمّة الاثني‌عشر مباشرة، و ألّف كتباً في فضائلهم و مناقبهم. و نجد في هذه الكتب أنّ جُلّ مصادرها هي مصادر شيعيّة، مع أنّها اُفادت أيضاً من كتب التاريخ العامّة. و نذكر من هؤلاء المصنّفين مصنّفاً لا معاً هو كمال الدّين محمّد بن طلحة الشافعي (م ٦٥٢) مؤلّف الكتاب الثمين **مطالب السؤول في مناقب آل‌الرسول**. و قد أثنى عليه الإربلي - قياساً بسائر الكتّاب - لأنّه تحدّث في كتابه المذكور عن سيرة

---

١ - نلفت نظر القرّاء إلى كتابينِ في هذا المجال و هما : **الصلة بين التشيّع و التصوّف**، و **النزعات الصوفيّة عند الشيعة الإماميّة** فإنّهما يمثّلان بحثاً مفيداً جديراً بالمطالعة على الرغم ممّا حوياه من نقاط تستدعي التأمّل و الوقوف عندها.

الأئمّة الاثني‌عشر- عليهم‌السّلام. و يقصد من هؤلاء الكتّاب، عبدالعزيز بن محمّد المعروف بابن الأخضر الگنابادي (م ٦١١) لأنه ذكر في كتاب معالم العترة النبويّة و معارف أهل البيت الفاطميّة العلويّة أحد عشر إماماً فحسب[١]. و تدلّ المصادر الّتي اعتمد عليها الإربلي في كتابه على أنّ كتباً كثيرة من هذا القبيل كانت عنده، و قد اعتمد عليها في تصنيف كتابه. و بلغ شأن الأئمّة الاثني‌عشر في القرن السابع درجة أنّ ابن خلّكان، الرجالي المعروف يومئذٍ، ذكرهم في كتاب وفيات الأعيان. و صُنّفت كتب جمّة في هذا الحقل منذ القرن الثامن فصاعداً. منها: الفصول المهمّة في معرفة أحوال الأئمّة لابن الصبّاغ المالكي (م ٨٥٥) و منها: الشذرات الذهبيّة في تراجم الأئمّة الاثني‌عشر عند الاماميّة لشمس الدين محمّد بن طولون (م ٩٥٣).

و من الشعراء العرب الّذين نظموا شعراً في وصف الأئمّة الاثني‌عشر: سلامة بن الحسين بن محمّد الملقّب بمعين‌الدين الحفصكي المتوفّى سنة ٥٥١ أو ٥٥٣. و أوردتْ كثير من المصادر ترجمته[٢]. و فيما يأتي أبيات من قصيدة له في مدحهم:

و سائلٍ عن حبّ أهل البيت هل ... أُقِرّ إعلاناً به أم أجحدُ
هيهات ممزوج بلحمي و دمي ... حُبُّهُمْ و هوالهدى والرشَدُ
حيدرة والحسنانِ بعده ... ثمّ عليٌّ و ابنُه محمّدُ
و جعفرُ الصادق و ابن جعفر ... موسى و يتلوه عليٌّ السيّدُ
أعني الرضا ثمّ ابنه محمّد ... ثمّ عليٌّ و ابنه المسدّدُ
والحسن التالي و يتلو تلَوه ... محمّدُ بن الحسن المفتقَدُ
فإنّهم أئمّتي و سادتي ... و إنْ لحاني معشَر و فنّدوا
أئمّة أكرِمْ بهم أئمّةً ... أسماؤهم مسرورة تطّردُ
هم حُجج الله على عبادهِ ... بهم إليهم منهجٌ و مقصدُ

و أنشد ابن طولون المارّ ذكره مثل هذا الشعر، و أورده في آخر كتابه : الأئمّة

---

١ - كشف الغمّة ٢ : ٣٠٦ . يبدو أنْ لا أثر لهذا الكتاب، مع أنّ الاربلي نقل نصوصاً منه في كتاب كشف الغمّة . انظر : علي بن عيسى اربلي و كشف الغمّة : ١٢١ .

٢ - انظر : زفرات الثقلين ٢ : ٢٩٣ - ٢٩٥ عن وفيات الأعيان ٦ : ٢٠٦ ؛ معجم الأدباء ٢٠ : ١١٩ ؛ نسمة البحر ٢ : ٢٧٨ ؛ المنتظم ١٠ : ١٨٧ ؛ البداية و النهاية ٦ : ٢٣٩ ؛ سير اعلام النبلاء ٢٠ : ٣٢٠ .

الاثناعشر[١].

إنّنا نرمي من المعلومات الّتي عرضناها آنفاً تبيان دور الاعتدال الّذي أبداه بعض السنّة في تمهيد الأرضيّة لنموّ التشيّع. و نلحظ بين البارزين منهم من عبّر عن حبّه للأئمّة الاثني‌عشر - عليهم‌السّلام.

و كانت هذه الحركة ملموسة في إيران أيضاً، إذ ركن عدد من العلماء بخاصّة بعض أقطاب التصوّف، إلى هذا الاتّجاه. و تحدّث حمدالله المستوفي مؤلّف كتاب نزهة القلوب، و كتاب تاريخ گزيده [منتخب التاريخ] عن خلفاء النبيّ - صلّى‌اللّه عليه و آله - في كتابه الثاني، و خصّص صفحات منه[٢] للحديث عن سيرة الخلفاء‌الثلاثة الأوّل، و تكلّم عنهم من وحي حبّه الشديد لهم. ثمّ انبرى إلى سيرة الإمام أميرالمؤمنين - عليه‌السّلام - و بيان فضائله. و واصل حديثه عنه و عن حفيد رسول ربّ‌العالمين الإمام المجتبى الحسن بن عليّ المرتضى - عليه‌السّلام. و أوقف الفصل الثالث من الباب الثالث لسائر الأئمّة، فقال: في ذكر جميع الأئمّة المعصومين رضوان‌الله عليهم أجمعين الّذين كانوا حجّة الحقّ على الخلق، و مدّة إمامتهم مائتان و خمس عشرة سنة و سبعة أشهر، امتدّت من الرابع من صفر سنة ٤٩ إلى شهر رمضان سنة أربع و ستّين و مائتين. و هم و إنْ لم يتولّوا شؤون الخلافة، لكنّهم لمّا كانوا أهلاً لها، فانّنانتبرّك بذكر نبذة من أحوالهم على سبيل الايجاز. و ساق كلامه حتّى الإمام المهدي صاحب الزمان - عليه‌السّلام[٣]- ثمّ أورد بعد ذلك ترجمة للعشرة المبشَّرة!

ماذا يمكننا أن نسمّي هذه الرؤية؟ إنّها لون خاصّ من التسنّن الممزوج بالتشيّع الإمامي الإثني‌عشري. و لعلّ عنوان (التسنّن الإمامي الإثناعشري) مناسب لها. و هذا الضرب من التسنّن قد تنامى في إيران حتّى أصبح الممهّد الأساس لظهور الحكومة الصفويّة بلا مراء. و كان الصفويّون في عداد الّذين قطعوا شوطاً على هذا الطريق، إذ أعرضوا عن المذهب السنّي تدريجاً. و لكن هل كانوا سنّة أم شيعة في عصر الشيخ صفي؟ الاجابة عن هذا السؤال تنطلق من هذه النظرة الجديدة المتمثّلة بنظرية التسنّن الإمامي الإثني‌عشري». و أنّ ما ذكره المستوفي في نزهة القلوب عن أنّ أنصار الشيخ صفي في أردبيل كانوا على المذهب الشافعي - و هو ما أشرنا إليه سلفاً - لا يدلّ على أنّ الشيخ

---

١ - الأئمّة الاثنا عشر: ١١٨.

٢ - من ص ١٦٧ إلى ص ١٩٢.

٣ - تاريخ گزيده: ٢٠٧.

صفيّاً كان بمعزل عن التشيّع يومئذٍ. و في متناول أيدينا كتب كثيرة من القرن التاسع و العاشر كان مصنّفوها يدينون بالمذهب السنّي، بيد أنّهم كانوا يحبّون المعصومين الأربعة عشر حبّاً جمّاً. و فيما يأتي فهرس لهذه الكتب:

١ - **فتوح الحرمين** : و هو كتاب شعرٍ لمحيي اللاري في النصف الأوّل من القرن العاشر، جمع صاحبه فيه بين الخلفاء الأربعة والأئمّة[١].

٢ - **فصل الخطاب** للخواجه محمّد پارسا من القرن التاسع. ذكر فيه مؤلّفه ترجمة للأئمّة على الرغم من إصراره على المذهب السنّي و موقفه الحادّ المتطرّف من الروافض.

٣ - **روضات الجنان و جنّات الجنان** لمؤلّفه درويش حسين الكربلائي من القرن العاشر. خصّص فيه فصلاً طويلاً لسيرة الأئمّة.

٤ - **وسيلة الخادم إلى المخدوم در شرح صلوات چهارده معصوم** (وسيلة ... في شرح صلوات المعصومين الأربعة عشر) لفضل‌الله بن روزبهان خنجي (م ٩٢٧)، وكان مشهوراً بمشاقّته التشيّعَ والحكومةَ الصفويّة، وكتابه هذا في ترجمة المعصومين الأربعة عشر[٢]. وطبعت له قصيدة عربيّة طويلة في وصف الأئـمّة[٣]. و من المناسب أن نـنقل له أبياتاً بالفارسيّة يدعوالله فيها بالنجاة متوسّلاً بالمعصومين عليهم‌السلام و تعريبها: أيّها المهيمن بحقّ حبيب محمّد العربي سلطان الولاية عليّ العالي الفن. و بحقّ السبطين المباركين و زين العباد و الباقر و الصادق و الكاظم الأحسن. و بحقّ الرضا الثاوي في حظيرة القدس، والتقيّ و النقي الصبور على المحن. وبحق العسكريّ و حجّتك المهدي نجّني بجاه هؤلاء الاثني عشر عليك[٤].

---

١ - طبع هذا الكتاب بجهودنا سنة ١٩٩٤ م من قبل (انتشارات انصاريان) في قم.

٢ - طبع هذا الكتاب بجهودنا سنة ١٩٩٤ م من قبل مكتبة آية الله العظمى المرعشي.

٣ - **فرهنگ إيران زمين** (حضارة ايران) ٤ : ١٧٨ - ١٧٩.

٤ - **مهمانامه بخارا** : ٣٣٨.

مهيمنا بـه حـبيب مـحمّد عـربي / به حقّ شاه ولايت علي عالى فن
به هر دو سبط مبارک به شاه زين عباد / به حقّ باقر و صادق به كـاظم أحسـن
به حقّ شاه رضا ساكن حظيرهٔ قـدس / به حق شاه تقي و نـقي صـبور مـحن
به حقّ عسكري و حجت خدا مهدي / كـزين دوازده ده نـجات روح و بـدن

٥ - كُنه الأخبار: و هو من مؤلّفات القرن العاشر الهجري. صُنّف في ظلّ الحكومة العثمانيّة، و فيه ترجمة للأئمّة الاثني عشر[1].

٦ - الصواعق المحرقة لابن حجر الهيتمي الذي صنّفه في الردّ على الروافض، و يحتوي على ترجمة للأئمّة و مناقبهم. و عندما تحدّث عبدالواسع باخرزي صاحب مقامات جامی و هو يردّ على أحد علماء الشيعة، فإنّه دافع عن الأئمّة الاثني عشر بصراحة[2]. و عبّرت هذه الرؤية عن نفسها بكلّ يُسر في إيران و الهند أوّلاً، ثمّ انتقلت إلى هرات، و تغلغلت حتّى في الدولة العثمانيّة. و نُقل أنّ السلطان حسين بايقرا عزم في بداية حكمه أن يخطب باسم الأئمّة الاثني عشر، فمنعه الأمير عليشير نوائى من ذلك. و السبب هو أنّه كان نقشبنديّاً، و على الرغم من أنّ النقشبنديّين يحبّون الأئمّة، بيد أنّهم يستندون إلى المذهب السنّي. و ظلّت رؤية التسنّن الشيعي نافذة في هرات، و كان الملاّ حسين كاشفي أحد وجوهها المهمّين، إذ اتّخذ موقفاً وسطاً، و رُمي بالتسنّن في سبزوار، بينما رُمي بالتشيّع في هرات. و هو صاحب كتاب روضة الشهداء الّذي دلّ فيه على المنزلة الرفيعة لسنّة العزاء الحسيني في الأدب الفارسي، و على انتشارها انتشاراً تامّاً بين الفرس السنّة و الشيعة قبل العصر الصفوي. و لنا كلام حول هذا الموضوع ذكرناه في موضع آخر و قلنا : إنّ أحد البواعث الثابتة على تغلغل التشيّع في إيران هو بروز تيّار التسنّن الإمامي الاثني عشري فيها منذ القرن السابع فصاعداً. و هو ما أدّى إلى شيوع أسماء الأئمّة الأطهار - عليهم‌السّلام - في نتاجات ذلك العصر، و بثّ مناقبهم و فضائلهم و كراماتهم بين الناس، ممّا أفضى إلى تعميق منزلة الإمام أميرالمؤمنين - عليه‌السّلام . و منزلة الامام الحسين - عليه‌السّلام - على نحو خاصّ بين ساكني الشرق الإسلامي تدريجاً، و أصبح هذا التوجّه على تواتر الأيّام وسيلة لإثبات إدانة الّذين كانوا مساعير كارثة كربلاء من منظار الشيعة. و كانت كتب الشيعة هي المصادر الّتي اعتمد عليها كُتّاب السنّة الّذين كانوا يرغبون في الكتابة عن أئمّة الشيعة. على سبيل المثال، كان كتاب عيون أخبار الرضا- عليه‌السّلام - للشيخ الصدوق مصدراً مهمّاً في سيرة الإمام الرضا- عليه‌السّلام ، ذلك الإمام الّذي كان يحبّه سنّة خراسان ـ لا سيما الصوفيّون منهم ـ حبّاً شديداً. و عندما تَقَيَّض

---

١ - انظر : نشر دانش، السنة الرابعة عشرة، عدد آذر، ٥٨.

٢ - مقامات جامی : ١٤٨ ، ١٥٧ .

لكتاب الشيخ الصدوق أن يعرّف الامام الرضا- عليه‌السّلام، فإنّ الرؤى الأُخرى للشيعة كانت تنتشر طبيعيّاً. و نقرأ أنّ الصوفيّين النقشبنديّين الّذين كانوا يحاولون الدفاع عن المذهب السنّي، قد فصلوا بين التشيّع و الرفض، إذ تبرّأوا من الرفض و دعموا التشيّع العامّ. بيد أنّ هذا التوجّه لم يستطع أن يُبطّيء الحركة المتنامية للتشيّع في نهاية المطاف. إذكان مقدّراً أن يقطع كاشفي شوطاً بعيداً في مثل تلك الأجواء. و على الرغم من أنّه غادر سبزوار إلى قصر هرات، و ركن إلى الميول المذهبيّة الّتي كان عليها جامي، و أمير عليشير، لكنّه أسهم في دفع الحركة الوليدة و تسريعها عبر تأليفه كتاب روضة الشهداء. و كانت تُقام في بلاد ماوراءالنهر يومئذٍ مراسم سنويّة في ذكرى ثورة عاشوراء. و هذه المراسم هي الّتي حملت كاشفي على تأليف كتابه المذكور ، ذلك أنّه ذكر في مقدّمته أنّ هدفه من تأليفه هو إعداد نصوص لتلك المراسم[١]. و نستشفّ في ضوء ما تقدّم أنّ الكتاب المشار إليه أدّى دوراً مهمّاً في تشيّع معظم الناس الساكنين في تلك المناطق، و من ثمّ تشيّع إيران بأسرها بعد مدّة قليلة. و احتمل الدكتور الشيبي أنّ البكاء على الإمام الحسين - عليه‌السّلام - حلّ محلّ مجالس الذكر الصوفيّة بعد إلغائها يومذاك. ثمّ قال: و ذلك - لو صحّ - أمارة على مدى استعداد الناس لتقبّل التشيّع في خاتمة القرن التاسع الهجري. و لعلّه ليس من المبالغة الشديدة أن نزعم أنّ كتاب روضة الشهداء كان من عوامل نجاح حركة إسماعيل الصفوي الّتي قامت في هذا الوقت بالذات[٢].

على أيّ حال، ينبغي أن نقرّ بأنّ الصفويّين أصابوا حظّاً من العواطف الّتي كان يحملها كثير من المسلمين حيال عاشوراء. و ازدادت هذه العواطف بعد فترة قصيرة إثر انتشار كتاب روضة الشهداء. و حريّ بالذكر أنّ المقاتل الفارسيّة كنت موجودة قبل الكتاب المشار إليه، و لم تكن هذه المقاتل مخصوصة بالعصر الصفوي، بل كانت في العصر التيموري بهرات. و هذه المقاتل الّتي أفاد منها كاشفي في الحقل المتعلّق بحادثة الطف في الأدب الفارسي معلَم على ماضي أدب العزاء بين الفُرس. و اذا استثنينا كتاب مصابيح القلوب للمولى حسن الشيعي السبزواري الّذي أفاد منه كاشفي، فإنّ مقتل الشهداء لمؤلّفه (أبو المفاخر رازي) يعدّ بشعره الجميل ـ على ما نقله كاشفي عنه - أحد أهمّ الكتب

---

١ - روضة‌الشهداء : ١٣ .

٢ - الفكر الشيعي و النزعات الصوفيّة : ٣٤٦ .

الفارسيّة في أدب كربلاء في الشرق الإسلامي. و تحدّثنا قبل ذلك عن (أبوالمفاخر). يضاف إلى ما تقدّم أنّ نورالأئمّة - الّذي نُقلت عنه أخبار تاريخيّة، كما نقل عنه شعر فارسي أيضاً -كان مصدراً مهمّاً يتداوله الناس يومذاك. و النقطة المهمّة هي أنّ هذا الشعر الفارسي الكثير المنظوم في واقعة الطفّ آيةٌ على وجود آثار خاصّة في هذا المجال، مع انّنا نحتمل أنّه لا يدلّ على وجود مقتل مدوّن.

النقوش الشيعيّة في القرن الثامن و التاسع

نلاحظ أسماء الخلفاء إلى جانب أسماء الأئمّة الإثني عشر على نقوش ماثلة في إيران، مضافاً إلى الآثار المدوّنة الّتي تدلّ على رؤية «التسنّن الشيعي». و إذا تخطّينا إيران، فإنّنا نجد هذا التركيب من الأسماء اليوم في مسجد النبيّ - صلّى الله عليه و آله - بالمدينة بوصفه أثراً باقياً منذ العصر العثماني. و في أصفهان آثار تعود إلى النصف الثاني من القرن الثامن الهجري (٧٥٩ - ٧٧٦) تشير الى ظهور نزعة «التسنّن الإمامي الإثني عشري». و أهمّ دليل على ذلك وجود هذا التركيب من الأسماء في قسم من محراب (مدرسة إمامي) الّتي شيدت في عهد السلطان شاه محمود نجل السلطان محمّد، و هو أحد سلاطين آل المظفّر. و أشار اندريه غدار إلى هذا الموضوع في عهد آل المظفّر، و قال : لا يخصّ هذا الأمر الأبنية المشيدة في عهد الشاه محمود، إذ تُلحظ هذه النقوش في واجهة المساجد الكبيرة لآل المظفّر في يزد و كرمان ، أي: خارج النطاق الّذي كان يحكمه الشاه المذكور، فالّذي يبدو هو أنّ هذه النقوش آية على حسن التفاهم المذهبي (بين الشيعة و السنّة) الّذي كان ينطلق من القدرة الشخصيّة لسلاطين آل المظفّر[1]. و قال في شرح هذه النقوش: زُيّن محراب مدرسة (إمامي) بضربين من النقوش، أحدهما مستطيل الشكل، و يحتوي على الآية ١٨ إلى الآية ٢٢ من آيات السورة التاسعة في القرآن الكريم، و الآخر يحيط بإطار المحراب، و يضمّ مجموعة من العبارات الإسلاميّة التقليديّة كالشهادتين مثلاً، و يلاحظ على الهيكل الواقع في آخر الايوان الشمالي نقش اترنجي محاط بعشرة مربّعات، و في داخل كلّ مربّع نقش بالخطّ الكوفي المربّع يضمّ اسم أحد العشرة المبشّرة، و هم: أبوبكر، و عمر، و عثمان، و علي، و طلحة، والزبير، و سعد، و سعيد،

---

١ - آثار ايران ٢ : ٣٤٨ .

و عبدالرحمن، و أبوعبيدة. و تحدق بهذه النقوش كلّها حاشية رفيعة نقرأ فيها اسم رسول‌الله محمّد - صلّى‌الله عليه و آله - والأئمّة الإثني عشر- عليهم‌السّلام - بالخطّ الكوفي المربّع. و هي كالآتي: **اللّهمّ صلّ على محمّد المصطفى و عليّ المرتضى و حسن الرضا و حسين الشهيد و علي زين العابدين و محمّد الباقر و جعفر الصادق و موسى الكاظم و عليّ بن موسى الرضا و محمّد التقيّ و عليّ النقيّ والحسن العسكري و محمّد المهدي، صلوات‌الله عليه و عليهم أجمعين.**

و تُشاهَد نقوش مربّعة الشكل في مواضع متنوّعة، و هي تضمّ اسم اللّه، و محمّد، و علي، والحسن، و الحسين[١].

و أشار غدار إلى قسم من مرقد (إمام زاده إسماعيل) [السيّد إسماعيل] يضمّ نقشاً صمّمه الشاه محمود أحد ملوك آل المظفّر، و قال: على أطراف الأشكال اللوزيّة أدعية باسم محمّد - صلّى‌الله عليه و آله - والأئمّة الإثني عشر، و نلاحظ مثلها أيضاً في آخر الإيوان الشمالي لمدرسة (إمامي). ثمّ ذكر الصلوات المشار إليها آنفاً، و أضاف قائلاً: هذا الجمع بين أشخاص يرضاهم أهل السنّة، و أشخاص يحبّهم الشيعة في مكان واحد شيء لم يلحظ - عادةً - قبل عصر آل المظفّر وبعده، و يمكن أن نشهده في هذا العصر فحسب[٢].

و وردت أسماء الأئمّة الأثني‌عشر في نقوش موجودة على الإيوان الأصلي للمسجد الجامع بيزد. و تعود هذه النقوش إلى عصر شاهرخ في أوائل القرن التاسع الهجري[٣].

و نقرأ تحت قبّة المسجد المذكور نقوشاً تعود إلى الفترة الواقعة بين سنة ٨٦٣ و ٨٧٥ تقريباً و جاء فيها ما نصّه : **لا إله إلّا الله ، محمّد رسول‌الله، علي وليّ‌الله حقّاً حقّاً.** ثمّ ذكرت أسماء الأئمّة الاثني‌عشر أيضاً[٤]. و نشاهد أسماء الأئمّة الاثني‌عشر في الحاشية الحجريّة المنصوبة فوق مرقد السيّد أبي جعفر محمّد بن علي (من أولاد الأئمّة) في يزد، و تاريخها محرّم سنة ٨٣٧. و تُقر على واجهتها عبارة **لا إله الّا الله محمّد رسول‌اللّه** و بينهما كلمة : **علي وليّ الله** بخطٍّ دقيق[٥]. و نقشت أسماء الأئمّة الاثني‌عشر في أطراف حجر موضوع على قبر

---

١ - **آثار ايران** ٢ : ٣٤٨. و انظر : **گنجينۀ آثار تاريخي أصفهان** [كنز المعالم التاريخيّة في أصفهان]: ٢٣٠٥.
٢ - **آثار ايران** ٢ : ٣٥٠ - ٣٥١.
٣ - **يادگارهاى يزد** ٢ : ١٤٧.
٤ - نفسه : ١٥٠.
٥ - نفسه : ٣٠٢.

يعود إلى سنة ٧٠٠ هـ و هو للشيخ داد. و نرى صورة لها في الجزء الثاني من كتاب [ذكريات يزد][١]، ص ١١١٥. و يتسنّى لنا أن نستشفّ منها جيّداً قدم الحجر - السنة (٧٠٠) واضحة تماماً - و نستبعد الاحتمال القائل أنّ أسماء الأئمّة الاثني عشر أُضيفت إلى ما على الحجر في عصور متأخّرة. و يلاحظ على نقش الفسيفساء المنصوبة عند رأس الشيخ داد، و هي مؤرّخة في سنة ٨٩٣ - أي: قبل وصول الصفويّين إلى الحكم بما يزيد على عشر سنين - عبارة **عليّ وليّ الله**[٢].

و نشاهد في حاشية الحجر المنصوب على قبر الخواجه عمادالدين مسعود المتوفّى سنة (٨٥٨) آية الكرسي، و في أعلاه عبارة **لاإله إلاّالله محمّدرسول‌الله عليّ‌وليّ‌اللّه حقاً حقاً**، ونُقر في زواياه الأربع اسم محمّد - صلّى‌اللّه عليه و آله - ثلاثاً، و اسم عليّ، والحسن، والحسين، و موسى، و جعفر - عليهم‌السّلام - أربعاً، و تاريخ الحجر المذكور سنة ٨٥٨[٣]. و نقرأ في نقش الفسيفساء العائدة إلى العصر التيموري، المنصوبة فوق قبر (الأمير فاضل)[٤] من جهة الرأس - وقبره في يزد - أنّه ابن الإمام الكاظم - عليه‌السّلام، ونقل نسبه حتّى أميرالمؤمنين - عليه‌السّلام. و ذُكر كلّ واحد من الأئمّة بلقب «الإمام» كالآتي ... **ابن الإمام العالم موسى‌الكاظم بن الإمام الناطق جعفر الصادق بن الامام القادر محمّد الباقر ابن إمام الزاهدين عليّ زين العابدين ابن الإمام السعيد الشهيد بن أسدالله الغالب عليّ بن أبي‌طالب**[٥].

و احتضن كثير من مناطق إيران في هذا القرن أُناساً من الشيعة بشكل متفرّق. ظلّت الحواضر القديمة للشيعة في إيران ثابتة على هذا المذهب. و من هذه الحواضر: كاشان الّتي تضمّ مرقد السيّد حبيب بن موسى (من أولاد الأئمّة) و نقرأ في محراب المرقد الذي يعود تاريخه إلى سنة ٧٧٠ عبارة **لاإله إلاّالله، محمّدرسول‌الله، عليّ‌وليّ‌الله**[٦]. و من العلماء البارزين في هذه المدينة خلال القرن الثامن: حسن بن حسين بن حسن سرابشنوى كاشاني وكان من تلامذة العلاّمة الحلّي. قدم كاشان بعد أن أقام في الحلّة مدّة[٧].

---

١ - **يادگارهاى يزد** ٢ : ١٤٧.
٢ - نفسه : ٣٥٤.
٣ - نفسه : ٣٥٨.
٤ - شاهزاده فاضل.
٥ - **يادگارهاى يزد** ٢ : ٣٤٣.
٦ - **آثار ايران** ٢ : ١٤٢.
٧ - **رياض العلماء** ١ : ١٧٤ - ١٧٥ ، ١٩١ . **الحقائق الراهنة** : ٣٨.

و ظلّت قم متمسّكة بتشيّعها، و هي من أهمّ الحواضر القديمة للشيعة في هذا القرن. ووردت صلوات على المعصومين الأربع عشر في نقوش على محراب مرقد السيّد علي‌بن جعفر في قم (من أولاد الأئمّة) تعود إلى سنة ٧١٣ [١].

و ثمّة نقوش على قبر الخواجه أصيل الدين الواقع في قم،تاريخها ٧٦١ و فيها صلوات على الأئمّة الاثني‌عشر [٢]. و جاءت أسماء المعصومين الأربعة عشر أيضاً منقوشة على قبر الخواجه علي صفي الّذي يعود تاريخه الى سنة ٧٩٢ [٣]. و نلحظ معالم التشيّع الإمامي أيضاً على قبر (السلطان أحمد قاسم) [٤] في قم، و هي مثبّتة على القيشاني‌العائد إلى سنة ٦٦٣ - و سرقه السلّابون و هو الآن في متحف برلين [٥]. وكذلك نرى آثاراً من أسماء الأئمّة على القيشاني الموجود في مرقد السيّد إبراهيم (من أولاد الأئمّة) في قم، و تاريخها سنة ٨٠٥ [٦].

و وجدت الصلوات الكبيرة - أي: الصلوات على المعصومين الأربع عشر - في نقوش في مدينة تون - فردوس الحاليّة - يعود عهدها إلى سنة ٨٨٥ ، أي: قبل الاعتراف الرسمي بالتشيّع في إيران بما يربو على عشرين سنة. و نُقرت هذه النقوش في جانب المحراب الصيفي للمسجد [٧].

---

١ - انظر صورتها في آثار ايران ٢ : ١٤٨ . تربت پاكان ٢ : ٤٤ .

٢ - تربت پاكان ٢ : ٥٤ .

٣ - نفسه : ٥٨ .

٤ - شاه احمد قاسم.

٥ - نفسه : ٦٩ .

٦ - نفسه : ٧٤ .

٧ - آثار تاريخي شهر فردوس ، مشكوة ش ١٧ ، ١٣٦٦ ، ص ١٨٥ .

دليل الآيات و الأحاديث

دليل الأعلام

«حرف الألف»

«حرف التاء»

«حرف الحاء»

«حرف الدال»

«حرف الذال»

«حرف الراء»

«حرف الزاء»

«حرف الشين»

«حرف الصاد»

«حرف الضاد»

«حرف الطاء»

«حرف الظاء»

«حرف الغين»

«حرف الفاء»

«حرف القاف»

«حرف الكاف»

«حرف اللام»

«حرف الميم»

«حرف النون»

دليل الأماكن و البلدان

«حرف الباء»

«حرف التاء»

«حرف الجيم»

«حرف الحاء»

«حرف الخاء»

«حرف الدال»

«حرف الراء»

«حرف الزاء»

«حرف السين»

«حرف الشين»

«حرف الصاد»

«حرف الطاء»

«حرف العين»

«حرف الغين»

«حرف الفاء»

«حرف القاف»

«حرف الميم»

«حرف النون»

«حرف الهاء»

«حرف الواو»

«حرف الياء»

دليل الفرق و القبائل و الطوائف

«حرف الباء»

«حرف التاء»

«حرف الثاء»

«حرف الجيم»

«حرف الحاء»

«حرف الشين»

«حرف الصاد»

«حرف الطاء»

«حرف العين»

«حرف الغين»

«حرف النون»

«حرف الهاء»

«حرف الواو»

«حرف الياء»

دليل المصادر

«حرف الثاء»

«حرف الجيم»

«حرف الزاء»

«حرف السين»

«حرف القاف»

«حرف الكاف»

«حرف النون»

«حرف الهاء»

«حرف الواو»

فهرس الموضوعات

حول تغلغل التشيّع في إيران
(٢٩ ـ ٦٠)

الموالي و النزعات الدينيّة
(٦١ ـ ١٢٠)

التشيّع في إيران
(١٢١ ـ ١٤٤)

استمرار التشيّع في خراسان و سائر المدن الفارسيّة خلال القرن الثاني الهجريّ
(١٤٥ ـ ١٤٨)

حول تغلغل التشيّع في إيران خلال القرن الثالث الهجريّ
(١٤٩ ـ ١٦٣)

التشيّع في القرن الثالث الهجريّ
(١٨٠ ـ ١٦٤)

تاريخ امتداد التشيّع في الريّ
(٢٣٨ ـ ١٨١)

التشيّع في بيهق (سبزوار)

(٢٣٩ - ٢٤١)

الإسماعيليّة

(٢٤٢ - ٢٥٦)

التشيّع في القرن الرابع الهجريّ

(٢٥٧ - ٢٩٧)

التشيّع في القرن الخامس الهجريّ

(٢٩٨ - ٣٢٤)

التشيّع الاثنا عشري في القرن الخامس والسادس الهجريّين

(٣٢٥ - ٣٤٧)

الخاتمة

(٤١٥ ـ ٤٩٦)